مطالع الأنوار

تاريخ النبيل عن وقائع الأيام الأولى للأمر البهائى

أقف وروحى فى يدى مستعداً لعل بفضل الله وكرمه يضحى
هذا الحرف المنزل الظاهر حياته فداء فى سبيل النقطة
الأولى الكلمة العليا — بهاء الله (اه مترجما)

هذّبه وترجمه من اللغة الفارسية إلى اللغة الانجليزية

شوقى افندى ربّانى

وافق المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بالقطر المصرى والسودان
على هذه الترجمة العربية المنقولة عن النسخة الانجليزية
القاهرة

ديباجة

كان من عزمي بفضل الله ومساعدته أن أخصص الصحائف الاولى من هذا التاريخ لذكر الروايات التي حصلت عليها فيما يخص النورين الأعظمين الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي وكان أملي بعد ذلك أن أحكي بالترتيب الزمني أهم الحوادث التي حصلت منذ سنة ٦٠ تلك السنة (١) التي أعلنت فيها دعوة الباب لغاية الوقت الحالي وهو سنة ١٣٠٥ هـ (٢) وذكرت بعض الحوادث بالتفصيل واقتنعت فى البعض الآخر بذكر مختصر الوقائع ودونت وصف الحوادث التي شاهدتها بنفسي وكذلك التي سمعتها من ثقات الرجال ذاكراً اسمهم ومقامهم فى كل حالة والذين أنا مدين لهم على الأخص هم المرزا احمد قزويني كاتب وحي الباب وسيد اسماعيل الذبيح والشيخ حسن الزنوزي والشيخ أبو تراب قزويني والأخير الذى لم يكن له آخراً هو مرزا موسى آقاى كليم أخ بهاء الله

وإني أشكر الله الذى مكنني من كتابة هذه الصحائف الأولى ومن تبريكها وتشريفها بموافقة بهاء الله الذى تنازل وتفضل بمراجعتها وحازت رضاه وقبوله بعد أن قرأها له كاتب وحيه آقا مرزا جان وإنى أطلب من القدير العون والهداية لئلا أغلط أو أخطأ فى المهمة التي عزمت على إتمامها

عكا فلسطين ١٣٠٥ هجرية «محمد زرندى ٣»

(١) ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ ميلادية)
(٢) ١٨٨٧ — ١٨٨٨ ميلادية
(٣) ولقبه التام نبيلي أعظم

مطبعة المستقبل بمصر والاسكندرية

إلى

العروة العليا

آخر الأحياء من عصر الشجعة المجيد

أقدم هذا الكتاب

تذكاراً

لما أنا مدين به لها من عظيم المحبة والفضل

فهرست

يشمل أهم مواضيع التاريخ

الجزء الاول فى الايام التى سبقت الدعوة

الفصل الاول

فى ذكر رسالة الشيخ احمد الاحسائى

صحيفة

الفصل الثانى فى رسالة السيد كاظم الرشتى

صحيفة

الجزء الثانی فی دعوة البـــــاب

الفصل الثالث فی إعلان دعوة الباب

صحيفة

الفصل الرابع فى سفر الملا حسين الى طهران

الفصل الخامس فى رحلة بهاء الله الى مازندران

فهرست المواضيع

الفصل التاسع فى مكث الباب فى شيراز بعد الحج

(تابع ماقبله)

الفصل العاشر فى رحلة الباب الى اصفهان

الفصل الحادى عشر فى مكث الباب فى كاشان

الفصل الثانى عشر فى رحلة الباب من كاشان الى تبريز

فهرست المواضيع

الفصل الثالث عشر فى حبس الباب فى قلعة ماه كو

الفصل السادس عشر فى مؤتمر بدشت

صحيفة

الفصل السابع عشر فى حبس الباب فى قلعة جهريق

الفصل الثامن عشر فى محاكمة الباب فى تبريز

الفصل التاسع عشر فى ملحمة مازندران

الفصل العشرون فى ملحمة مازندران

(تابع ما قبله)

الفصل الحادى والعشرون فى شهداء طهران السبع

الفصل الثانى والعشرون فى ملحمة نيريز

الفصل الثالث والعشرون فى شهادة الباب

الفصل الرابع والعشرون فى ملحمة زنجان

فهرست المواضيع

الفصل الخامس والعشرون فى رحلة بهاء الله الى كربلاء

صحيفة

الفصل السادس والعشرون فى الشروع فى الاعتداء على حياة الشاه وآثار ذلك

فهرست الصور

فهرست الصور

فهرست الصور

صحيفة

فهرست الصور

فهرست الصور

فهرست الصور

مقدمة

اشتهرت الحركة البهائية الآن فى جميع أنحاء العالم وجاء الوقت الذي فيه يهتم القراء بتصفح تاريخ النبيل الفريد عن أوائل حوادث هذه الحركة التى وقعت فى أظلم عهود ايران فلهذا التاريخ الذى دون بدقة تامة أهمية من جهات متعددة ففيه قطع مؤثرة مهيجة للشعور . ولايقتصر سمو تدوينه على قيمته التاريخية فقط بل لأنه أيضا يحوى قوة أدبية فائقة ، فانواره مشرقة ولها قوة ساطعة كأنها الشمس المضيئة فى وسط الديجور الحالك . والرواية عبارة عن ملاحم واستشهادات فمناظرها مؤثرة مروعة وحوادثها مفجعة متعددة. وقد اكتنفت الحركة الامرية الاصلاحية واحاطتها جملة أنواع من التعصبات الدينية والرشوة والاضطهادات كانت كلها ترمى إلى محوها والقضاء عليها . وينتهى هذا الجزء من التاريخ إلى حيث تكون سورة البغض والعدوان قد أتمت عملها وانتهت فى ايران بنفى وبقتل كل رجل أو امرأة أو طفل ممن يصبو إلى تعاليم الباب . وكان النبيل بنفسه مشتركا فى بعض الادوار التى يقصها ورقم بقلمه الفريد جميع حوادث الذين استشهدوا رجالا ونساء بغير رحمة ولا شفقة وسرد أحوال الامر وما لحقه من الاهانات التى لامثيل لها فى التاريخ .

وكتابته من السهل الممتنع وعندما يهيج شعوره تصل إلى بلاغة ساحرة تأخذ بالالباب ولم يكن يرمى فى تحريره كتابة شىء عن طبيعة الدعوة الجديدة أو تعاليم وأحكام بهاء الله ومبشره من قبل على هيئة منظمة فلم يعن إلا ببسط أحوال مبدأ الامر البهائى والمحافظة على ذكريات الاعمال من أنصاره الاولين ولذلك كان يقص سلسلة من الحوادث ويتحرى الحقيقة عن مصدر كل خبر يرويه . ويذكره بالدقة ويذكر اسم راويه فلكتابته قيمتها الادبية الفنية العظيمة نظراً لما تحراه إما بنفسه أو من الشهود العيان عن تاريخ أوائل الامر فضلا عن قيمتها التاريخية والفلسفية . وكانت كتابته فى معالم تاريخه إذ يصف الشخصيات البارزة فى هذا الامر بلغة واضحة سهلة كوصفه للباب ذلك الرئيس القدسى

الباسل الوديع الهادىء الغالب الغيور الراسخ وكوصفه لاخلاص اتباعه الذين احتملوا الظلم بشجاعة واقدام وأحيانا بشغف ووجد وهيام تلقاء حنق وغيظ الطائفة الدينية أى العلماء الذين اشعلوا نيران التعصبات فى قلوب العوام المتعطشين لسفك الدماء ولما لم يكن من السهل الالمام بجميع تفاصيل ذلك التاريخ أو تقدير ذلك العمل الخطير الذى ظهر من بهاء الله ومن مبشره من قبل بدون الاطلاع ولو قليلا على حالة النظام الدينى والملكى السائد فى ايران فى ذلك الوقت وعلى حالة عقلية الشعب وعقلية رؤسائه لهذا كله رأينا أن نبسط للقارىء الغربى بعض معلومات عن هذا الموضوع ذلك لان نبيل كان يؤرخ بصفته كاتبا شرقيا ولم يكتب إلا لشرقى مثله وبلغة شرقيـة ولم يكن يخاطب الغربيين . ولم يسافر خارج حدود بلاد الشاه والسلطان إلا نادراً إن لم يكن قطعا فلم يخطر على باله عمل مقارنة بين مدنية بلاده والمدنيات الاجنبية فقـد كان النظام الدينى والمدنى السائد فى بلاده عنده من الاوليات ولم يكن يجهله ولذلك أغفل ذكره رغم أنه كان يعلم أن التاريخ والمعلومات التى دونها سوف لاتقتصر فى ذيوعها على أهل وطنه أو على البلاد الاسلامية وأنها لابد وأن تذاع فى القريب العاجل شرقاً وغرباً حتى تعم العالم . وكان الكتاب الذى بذل فيه الجهد عمـلا فريداً وعظيما أنشأه بكل أمانة و دقة . ولما كان موجوداً باللغة الانجليزية كتابات أدبية كثيرة عن إيران فى القرن التاسع عشر كما يوجـد فى بعض الكتابات الفارسية التى ترجمت إلى اللغات الأجنبية وفى كتب السائحين من الاوربيين أمثال اللورد كرزون والسير . ج . ملكولم وغيرهم أبواب كثيرة تفصح عن الفظائع التى واجهها الباب عندما أسس الحركة فى أواسط القرن التاسع عشر لذلك رأينا أن نبسط للقراء بعضاً منها لاطلاعهم

ولا ينظر جميع أهل العلم لايران إلا أنها مملكة ضعيفة وأن أمتها متأخرة منقسمة على نفسها بما دبّ فيها من عوامل الرشوة والتعصبات الوحشية وعلى أثر الانحطاط الادبى فيها امتلأت بالجهل والعمى فمن الرأس إلى الذنب لم يوجد فيها من يقدر على عمـــل الاصلاح أو يرغب فيه فالغرور القومى جعل الناس راضين بعظمة كاذبة . فلبست جميع الاشياء رداء الجمود وأصبح التقدم مستحيلا من تأثير الشلل العقلى العام

ومما يؤسف له مايظهر للطالب المؤرخ من عوامل الفساد التى دبت فى أمة كان لها تاريخ مجيد ذو شهرة فائقة . وكان عبد البهاء رغم المظالم التى وقعت عليه شخصيا وعلى

بهاء الله وعلى الباب يسمى ذلك الانحطاط فى كتابه « أسرار المدينة » بمأساة الامة حيث كان محبا لأمته . فى ذلك الكتاب أراد تحريك قلوب مواطنيه للعمل على الاصلاحات الأساسية وكان ينوح على ما آل اليه حال ذلك الشعب بعد أن كان فى الأزمان القديمة يعد فتوحاته شرقا وغربا ويقود مدنية العالم . وفى ذلك الكتاب يقول (إن إيران كانت فى الأزمام الخالية قلب العالم وأضاءت جميع الأمم كالسراج الوهاج وأخذ مجدها وسعادتها يظهران فى أفق الأنسانية كالفجر الصادق وانتشرت أنوار المعرفة وأضاءت أمم الشرق والغرب . وكانت عظمة ملك الملوك قد أخضعت ملوك روما واليونان وامتلأ جميع الحكماء رهبة من حكمتهم واحتذى ملوك العالم حذوها فى صياغة القوانين مقتفين آثارها ومتتبعين سياستها . وامتاز الفرس من بين ملل الارض بأنهم أمة الفتوحات ويفخرون بعلمهم ومدنيتهم وكانت أقطارهم مركزا للعلوم والمعارف والصنائع ومعدنا للتربية والثقافة ومنبعا للفضائل والكمالات . والآن أنظر كيف أظلمت أشعة السعادة فى هذه المملكة الفائقة وأشرفت على الزوال بسبب ما دبّ فيها من عوامل الكسل والغرور وعدم المبالاة وانعدام التعليم وفقد النظام وزوال الحماس وازدياد الاطماع)

وقد وصف هذه الاحوال التى تكلم عنها عبد البهاء كتاب آخرون فما قاله اللورد كرزون « أن الحكومة فى وقت ظهور الباب وإعلان دعوته كانت عبارة عن حكومة دينية جامدة طامعة قاسية سافلة مرتشية فاسقة وكانت أحكام الاسلام الفقهية هى العامل الوحيد الذى استولى على شئون الحكومة وحياة الاهالى الاجتماعية فلم توجد غيرها من قوانين ولا أحكام ولا أخلاق لأرشاد العموم ، ولم يكن لديهم مجلس أعيان ولا مجلس نواب ولا مجمع دينى ولا مجلس لوزراء الدولة بل كان الشاه هو الحاكم المطلق المستبد وأمره نافذ على جميع الموظفين من وزير إلى أحقر كاتب ولا توجد محكمة مدنية لتوقف أو تعدل أحكامه أو تحد من السلطة التى يعطيها لأى مرؤس . وكلمته هى القانون فله أن يفعل ما يشاء ويعين أو يطرد الوزراء أو الموظفين والضباط والقضاة . وله وحده السلطة على حياة أو موت أى فرد من أفراد أسرته أو حاشيته سواء كانوا مدنيين أو حربيين فهو وحده يملك حكم الاعدام وبيده جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فلا حد لامتيازه ولا رادع من قانون مكتوب

« وكان أنجال الشاه يوظفون فى الحكومة فى الوظائف التى تدر عليهم بالخيرات فى

طول البلاد وعرضها وبمرور الاجيال ملأوا أيضا الوظائف الصغيرة مما لا يعد ولا يحصى حتى أثقلوا كاهل البلاد بهذا الجيش الجراد من الزنابير الملكية الذين لا سبب لتوليتهم المناصب الحكومية إلا مجرد قرابتهم ودمهم الملكى حتى اشتهر بسبب ذلك مثل قائل (إن البرنسات والقمل والمواشى موجودون بكثرة فى كل مكان)

وإذا أراد الشاه أن يحكم فى مسألة بالعدل والحق فلا يستطيع ذلك لأن المعلومات التى يدلى بها اليه لا يمكن التعويل عليها فيمل الوزراء وغيرهم من ذوى الاطماع على إخفاء الحقائق عنه أو تقديمها اليه مشوهة. أما نظام الرشوة فأصبح فى إيران نافذا وسن الانظمة المعترف بها وصفها اللورد كرزون بما يأتى : —

«والآن آتى على وصف نظام الادارة الاساسى الفريد . فأن الحكومة بل الحياة نفسها فى تلك المملكة يمكن أن يقال عنها إنها عبارة عن تبادل الهدايا . وقد يظن من الوجهة الاجتماعية أن هذه العادة إنما تعبر عن إحساس شعب أليف كريم ولو أنها لايظهر فيها وجه الكرم عندما يضطر المهدى له أن يعيد مثلها للواهب . فضلا عن الزامه أيضا بأن يهدى لحامل الهدية جزءا نسبيا لقيمتها وأحيانا يكون ذلك هو كل ما يملكه المهدى له بل وربما ما يقتات به . أما من الوجهة السياسية فأن عادة الاهداء ولو أنها متعلقة بقواعد وتقاليد الشرق الجامدة إلا أنها تنطبق كل الانطباق على ذلك النظام الغير المشرف . وهو الذى اتبعته إيران من قرون عديدة وهو الذى يقف حجر عثرة فى سبيل الاصلاح الحقيقى. فمن الشاه إلى أصغر موظف لا يوجد أحد لايقبل الهدايا ولا تكاد توجد وظيفة لا يكون التعيين فيها بغير الهدايا ولا يوجد إيراد مكدس إلا من الهدايا وكل موظف يشترى وظيفته بمبلغ يقدمه إما إلى الشاه مباشرة أو للوزير أو الحاكم الا على الذى يعينه . وإذا كان لوظيفة واحدة جملة طلاب فالذى تكون هديته أكبر هو الذي يكون مقبولا فيها .

« وكان نظام (الداخل) من الانظمة القومية المحبوبة فى إيران وتحصيلها بآلاف الطرق والأشكال وتتعدد تدابير تحصيلها بتعداد أنواعها . وإن شئت قلت إنها هى نفس الحياة الايرانية ومصالحها الرئيسية . ويقول المستر واطسون أنه لاتوجد أى كلمة فى اللغة الانجليزية يمكن أن تعبر بدقة عن هذا النظام . فيمكن ترجمة كلمة (مداخل) بكلمات النهب والنشل والاكرام والمنافع والرشوة والهدية والحلوان والراتب وذلك تبعاً للكيفية التى استعملت فيها وهى على وجه العموم ميزان المنافع الشخصية التى يمكن تشخيصها فى

مبلغ من النقود مما يستخرج أو يطلب فى أى معاملة فيصح وجودها أثناء مفاوضة بين رئيس ومرؤوس وفيما بين اثنين من المتعاملين المتعاقدين فى إيران ولا بد أن يكون أحد الفريقين هو الدافع للهدية لغرض الحصول على منفعة والآخر هو الذى يستلم مبلغاً معيناً من النقود فى مقابل الخدمة التى يؤديها له . ويمكن الاعتراض بأن الطبيعة البشرية هى واحدة فى كل مكان وأن مثل هذا النظام موجود فى مملكتنا كما هو فى الممالك الأخرى تحت اسم آخر وأن الناقد الفيلسوف يرحب بالرجل الايرانى كأخ له فى هذا السبيل ورغماً من أن هذا الاعتراض وجيه إلى حد ما إلا أنه لايوجد ولايرى ولا يسمع فى أى مملكة نظام مكشوف إلى هذا الحد وهو عام فى جميع بلاد ايران ولا خجل فيه ولا حياء وفضلا عن أنه لم يكن قاصراً على دائرة الاقتصاد السياسى أو المعاملات التجارية فأنه يوجد فى كل عمل ويقترن بجميع المرافق الحيوية وبه محيت صفة الكرم من قائمة الفضائل الاجتماعية فى إيران وأصبح الجشع هو العامل القوى فى الحياة الاجتماعية الانسانية . . . وقد تأسست بسبب ذلك سلسلة من الهيئات المتوالية الحسابية للسلب والنهب من الملك إلى أفراد الرعايا وأصبح الفلاح المسكين هو الفريسة الاخيرة . فلا عجب أن تكون الوظائف بمقتضى هذا النظام هى السبيل العادى للحصول على الثروة . خصوصا وقد شوهد فى كثير من الأحوال أن الموظفين أصبحوا بعد الفقر المدقع من ذوى الثروات ويقطنون فى منازل فخمة تحوطهم حاشية كبيرة من الخدم والحشم يعيشون فى رغد من العيش كالأمراء وكانت القاعدة المتبعة عند أغلب الناس منذ دخولهم فى الحياة العامة هى (إجمع من المال كلما تستطيع وبقدر ما تستطيع) ولم تكن هذه الأعمال ممقوتة من الوجهة الاجتماعية قط وكان الناس يعتبرون من تهيأت له الفرصة ولم يملأ جيوبه من هذه (المداخل) أنه شخص لا يحترم نفسه ولم يفكر أحد من الرؤساء فى هؤلاء البؤساء الذين تسلب من عرق جبينهم هذه المداخل لتصرف على بناء وتهيئة المباني الفخمة وعلى البضائع الأوربية وعلى الحاشية الكبيرة »

ومن قراءة ما تقدم من السطور المنقولة عن اللورد كرزون يمكن أن يفهم مقدار الصعوبة التى عاناها الباب فى رسالته وكذلك يفهم من العبارة الآتية التى اقتبسها من أقواله مقدار الأخطار التى كانت تهدد حياة الباب وما ذكره اللورد من تفاصيل أحوال المقوبات تجعل القارىء يستعد لأن يسمع رواية القسوة الوحشية الممقوتة التى عومل بها قال: —

« وقبل أن أترك موضوع القانون الايرانى والادارة الأيرانية أريد أن أذكر بعض

المقوبات وشيئا عن السجون فلا يوجد شيء أدهش للقارىء الأوربي من وصف العقوبات الوحشية والتعذيب المفجع المثبوت فى صحائف تاريخ إيران الملوثة بسفك الدماء والاجرام فى القرن الفارط وهى فى القرن الحالى اخف نوعا وكلها تشهد بالقسوة الوحشية والخبث الشيطانى . وكانت غرائز أهل إيران تميل إلى استنباط الحيل فى اختراع أنواع العقوبات ولم يكن عندهم اكتراث بالآلام الناتجة عنها . ويظهر ذلك بجلاء فى ميدان التنفيذات القضائية التى هى محل ظهور كلتا الطبيعتين . وكان من عهد قريب وفى حدود الحكم الحالى يصلب المجرمون أو ينسفون من المدافع أو يدفنون أحياء أو يعدمون باجلاسهم على الخازوق أو يضربون بالرصاص كما تضرب الخيول أو يشطرون شطرين بواسطة ربطهم فى رأس شجرتين تضمان على بعضهما بقوة ثم يفك ربطها حتى يعودان إلى مكانهما الأصلى وتكون الجثة فى هذه الأثناء قد انفسخت شطرين أو تعمل منهم مشاعل انسانية أو تسلخ جلودهم وهم أحياء

« وكان من جراء وجود حكومة ذات صفتين كالتى وصفتها يعنى أن يكون العامل فى إدارتها شخصان أحدهما راشى والآخر مرتشى ويكون الاجراء القضائى بلا قانون ولا محاكم ـ عدم وجود أى ثقة فى الحكومة ولا فى أى شعور بالواجب ولا فى الفخر بالشرف ولا فى الثقة بالتعاون إلا على الضرر ولا خجل فى التبذل ولا فائدة فى الفضائل وفوق ذلك لا روح للأمة ولا وطنية »

ومن أول يوم قام فيه الباب على الدعوة تنبأ بالمصير الذى سيعطيه مواطنوه لتعاليمه وبالنصيب الذى سوف يلاقيه على أيدى الملاوات (العلماء) ولكن مع علمه بذلك المصير لم يمتنع عن إعلان دعوته بكل صراحة ولا عن إظهار أمره مكشوفا . وكانت التجديدات التى قام على نشرها شديدة الوقع ولو أنها كانت دينية محضة . وكان إعلان ظهوره مدهشاً خطيراً فانه أظهر نفسه بأنه هو القائم الموعود والرسول الجليل والمسيح المنتظر الذى كان العالم الاسلامى يترقب ظهوره بفروغ صبر . وأضاف الى ذلك أنه الباب الذى منه يظهر آخر هو أعظم منه للعالم الانسانى .

وإذ طبق الاحاديث الاسلامية على شخصه وأظهر أنه هو المقصود من النبوات وقعت بينه وبين أصحاب الافكار الجامدة العتيقة مشادة لأنهم يفسرون هذه الأحاديث على خلاف ما يدعيه . ومع أن كلتا الفرقتين العظيمتين من الفرق الاسلامية وهما الشيعة

فلما اظهر الباب كتاب البيان وأتي بشريعة جديدة وأسس إصلاحاً أدبياً واجتماعياً متيناً ليكون مقتداهم ونبراساً لهم شعرهؤلاء بالخطر الدائم ووجدوا أن امتيازهم قد تقوض وأن أطماعهم قد تبددت وأن حياتهم وثروتهم قد انحطت فى درجات الاحتقار فقاموا لذلك ضده قومة رجل مندهش متذرع بالديانة وقرروا أمام الشاه والرعية أن هذا القائم عدوّ للعلم وموهن للأسلام وخائن فى دين محمد وخطر على الدين المقدس بل على الهيئة الاجتماعية وعلى الحكومة نفسها

فكان إنكار الباب وأمره واضطهاده شبيها فى جوهره بانكار المسيح واضطهاده ولو كان المسيح لم يأت بكتاب جديد ولم يردد سوي الاصول الروحية التى علّمها موسى بل لو كان أمر باستمرار قوانين موسي لكان يعتبر مصلحا أدبيا وينجو من انتقام الكتبة والفريسيين ولكن مجرد الادعاء بأن أى جزء من قوانين أو شريعة موسى حتى الأوامر المتعلقة بالأمور المادية كالطلاق وحفظ السبت يمكن تغييرها بمعرفة شاب من قرية الناصرة يعتبر خطرا على مصالح الكتبه والفريسيين أنفسهم لانهم كانوا خلفاء موسى وخلفاء الله وإن ذلك التغيير عبارة عن تجديف على الحق وما كاد مقام المسيح يعرف حتى ابتدأ اضطهاده فلما امتنع عن الرجوع عن دعوته حكم عليه بالقتل

ولمثل هذه الأسباب اتهم الباب من أول أمره من رؤساء الديانة بأنه هادم لأساس الدين حتى إن الملاوات الذين هم بمثابة الكتبة فى قرن ظهور المسيح ، فى تلك المملكة المظلمة المتعصبة لم يجدوا ذريعة سهلة يقدمونها لاهلاك المسيح الذى اعتقدوه عدوّهم خلاف هذه التهمة ولم يدون فى الصحائف ذكر مشاهدة أى أوروبى للباب إلا أثناء الفترة التى كان مضطهدا فيها فان طبيبا انجليزيا مقيما فى تبريز اسمه الدكتور كورميك دعى من السلطات الايرانية لفحص قوى الباب العقلية وكان الخطاب الذى أرسله إلى طبيب مساعد فى الأرسالية الأمريكية قد أورده البروفسور براون فى كتابه المسمى (مستندات فىدراسة ديانة الباب) قال الدكتور «تسألنى عن بعض المعلومات الخاصة بمقابلتى لمؤسّس الفرقة المدعوة بالبابية ففى تلك المقابلة لم يحصل أمر ذو بال لأن الباب كان عالما بأنى موفد مع طبيبين من الايرانيين للكشف عليه إذا كان عقله سليما أم أنه مجرد رجل معتوه وذلك للفصل فى امكان إعدامه ولعلمه بذلك كان يكره أن يجيب على الأسئلة الموجهة إليه وعند كل سؤال كان ينظر إلينا بنظرة الحنان وهو يتلو بصوت منخفض

وبترتيل بعض المناجاة على ما أظن وكان سيدان آخران حاضرين معه وهما من أصحابه وقتلا معه بخلاف إثنين آخرين من الموظفين ولما قلت له أنى لست مسلماً وأريد أن أعرف شيئاً عن دينه لأنى ربما اعتنقه رضى أن يجيبني وحدّق نظره فىّ وأجاب بأنه لا شك عنده أن جميع الاوربيين سيعتنقون دينه وكان تقريرنا للشاه فى ذلك الوقت مشفوعا بعدم اعدامه ولكنه أعدم بأمر الأمير نظام ميرزا تقى خان بعد حين وأما بناء على تقريرنا بجلده أحد الفراشين وأثناء الجلد أصيب فى وجهه من العصى المعدة للجلد ولم يعلم إن كانت الاصابة متعمدة أو كانت بدون قصد وسببت الاصابة له جرحا كبيراً فى الوجه مع كدم أيضا وإذ سئل هل يحضر اليه طبيب ايراني أظهر رغبته فى حضورى لمعالجته وفى ظرف بضعة أيام عالجته ولم أتمكن مطلقا أثناء مقابلتى له من التحدث معه بطريقة سرّية لأن موظفى الحكومة كانوا دائما حاضرين معنا لأنه كان سجينا وقد كان رجلا حليما وسيم المحيّا نحيف الجسم برقة لاتصدرعادة من ايراني وكان صوته ناعما موسيقيا ذا تأثير كبير على نفسى ولأنه سيّد من الأشراف كان يرتدى ملابس الاسياد كما هى العادة فى تلك البلاد وكذلك كان صاحباه وكان منظره فى الواقع يبعث فى الانسان ميلا شديداً ومحبة له ولم أسمع من فمه شيئا بخصوص شريعته ولو انه كان يغلب على الظن أن بينها وبين المسيحية نوع تقارب وقد رآه بعض النجارين الذين أرسلوا لاجراء بعض التصليحات فى السجن الذى كان محبوسا فيه ونظروه يقرأ فى الكتاب المقدس ولم يخف ذلك عنهم بل كان يعلن ذلك لهم ومن المؤكد أن دينه خلو من التعصب الاسلامى بالنسبة للديانة المسيحية ولا يوجد فيه ذلك الحجر على حرية النساء » وعلى هذا النحو كانت آراء رجل انجليزى مهذب فيما يختص بشخصية الباب ومنذ أن انتشرت تعاليمه وآدابه فى الغرب لم يعلم أن شاهده أحد آخر من الأوروبيين خلاف من ذكر وكانت أخلاقه فى الجمال والشرف نادرة المثال وشخصيته وديعة ولكنها مؤثرة ويمتزج لطفه بالحكمة حتى انه بعد إعلان دعوته عرف بسرعة فى جميع أنحاء إيران بشخصيته المعهودة وكان حلو الحديث جذابا لكل من يقابله أو يتصل به وكثيراً ما كان سجّانوه يعتقدون فى دينه وكان يتمكن من قلب أخلاق المفسدين إلى محاسن الأخلاق فيصبحون من أصحابه المعجبين به.

ولم يكن من السهل فى ايران فى أواسط القرن الماضى ارغام مثل هذا الشخص

على السكوت بسهولة بدون إثارة سخط الأهالى ولو لدرجة محدودة أما بالنسبة لأتباع الباب فكان الأمر على خلاف ذلك .

ولم يجد الملاوات داعيا للتعويق ولم يكونوا فى احتياج الى التدبير أو الاحتيال لأن التعصب الموجود فى نفوس الجميع من الشاه إلى أحقر شخص يمكن إثارته بسهولة ضد أى أصلاح دينى كما انه يسهل اتهام البابيين بعدم الطاعة أو الولاء للشاه ويمكن بذلك اسناد الأغراض السياسية الشنيعة إلى أعمالهم ومجهوداتهم وفضلا عن ذلك فان أتباع الباب كانوا عديدين وكان الكثير منهم من ذوى اليسار والبعض كانوا أغنياء ذوى ثروات طائلة وكان القليل منهم يملك البعض من العقارات التى يحسدهم عليها الجيران ويودّون من صميم أفئدتهم تملكها واذ تذرع الملاّوات بتخويف السلطات وبأهواء التعصبات القومية والجشع العام أثاروا حربا شعواء للتخريب والتدمير الذى نفّذوه بوحشية وبلا رحمة حتى قضوا مآربهم للنهاية .

وقد قص نبيل كثيراً من حوادث هذه الرواية المحزنة فى تاريخه وخاصة فى ذكر حوادث مازندران ونيريز وزنجان التى اقترنت بأعمال الشجاعة الصادرة من البابيين إلى أن انتهت هذه الحوادث الثلاث التى اضطر البابيون فيها أن ينسحبوا من منازلهم ويلتجئوا الى المعاقل التى اتفقوا عليها بينهم حيث رأوا أنهم فى حالة يأس تام واشتغلوا بتحصين مراكزهم حتى أمنوا من الهجوم عليهم .ويظهر لكل منصف أن ادعاء الملاوات عليهم بأنهم قاموا بدافع سياسى كان كاذبا فالبابيون كانوا دائما يعلنون أنهم على استعداد للعودة إلى منازلهم إذا تأكدوا أن العامة لا تهاجمهم أو تتعدى عليهم بسبب معتقداتهم ونبيل يؤكد أنهم كانوا حريصين ألا يصدر منهم أعمال التعدى فكانوا لا يقاتلون إلا للدفاع عن حياتهم فقط بمهارة وقوة وشجاعة وما كانوا يعتدون حتى إنهم كانوا فى وسط معمعان القتال لا يضربون ضربة غير لازمة ولا ينقلون الغنائم إلى معاقلهم بل يتركونها وقال عنهم عبد البهاء فى مقالة سائح (صحيفة ٣٤ — ٣٥ طبعة انجليزية) ذاكراً موقفهم الأدبى بما يأتى : —

(والخلاصة أن هذا الوزير « تقى خان » بما له من السلطة الاستبدادية أمر بتأديب وتعذيب البابيين بدون أن يستشير فى ذلك أو يستأذن أحداً وأرسل بذلك إلى جميع

الأطراف فوجد الحكام والولاة هذا الأمر علة لجمع الأموال وكذلك وجد المأمورون ذلك سببا لجلب المنافع الشخصية وصار العلماء المعروفون يحثون الناس من رؤوس المنابر على الهجوم العام واتحدت القوة التشريعيــة « الدينية » مع القوة التفيذية « المدنية » قلبا وقالبا على قمع وقلع هذه الطائفة واستئصال شأفتها وإلى ذلك الحين لم تــكن هذه الطائفة قد اطلعت على أساس وأسرار تعاليم الباب اطلاعا كافيا ولم يعلموا أحكامه فكانت تصوراتهم وآراؤهم موافقة للمسلك القديم وكان طريق الوصول الى الباب مسدودا واشتعلت نار الفتنة فى كل الجهات وبمقتضى فتوى أشهر العلماء شرعت الحكومة فضلا عن عامة الناس فى نهب وسلب هذه الطائفة ومعاقبتهم وتعذيبهم بنهاية القسوة وشنّـوا الغارة عليهم واجتهدوا فى قتلهم لعل يطفئوا هذه النار ويخمدوا هذه النفوس المشتعلة،ففى المدن التى كان عدد البابيين فيها محدودا أخذوا جميعا طعمة للسيف وأما فى المدن التى كان عددهم فيها كبيرا قاموا للدفاع عن أنفسهم على حسب عقائدهم السابقة حيث لم يكن يتيسر لهم السؤال عن تكاليف أحكامهم الجديدة لأن أبواب الوصول اليها كانت جميعا موصدة »

أما بهاء الله فعند اعلان دعوته بعد ذلك ببضع سنين لم يترك مجالا للشك بخصوص قاعدة أمره حيث يقول بطريق الجزم « خير لكم أن تُقتلوا من أن تَقتلوا »

ومهما يكن من أمر المقاومة التى حصلت من البابيين فانه قد ظهر عدم فائدتها وتغلبت عليهم كثرة الجموع وأخذوا الباب نفسه من حجرته وأعدموه ولم يتركوا أحدا من تلاميذه حيّـا سوى بهاء الله الذى نفى هو وأسرته وبعض المخلصين من الأتباع وسجن فى بلدة أجنبية

ومع ان النار أطفئت فانها لم تخمد بل كانت تشتعل فى قلوب المنفيين الذين انتقلوا بها من قطر الى آخر بينما هم يرتحلون وحتى فى موطنهم فى ايران كانت قد تأسست وتأصلت تأصلا عميقا يصعب معه اطفاؤها بالقوة الغاشمة بل بقى وميض النار فى القلوب منتظراً هبوب أنفاس من الروح ليضطرم إلى لهب نار مشتعلة لا تبقى ولا تذر .

أما الظهور الآلهى الثاني الأعظم فقد أعلن طبقا للنبوة الصادرة من الباب فى الوقت والسنة التى أنبأ عنها . ففى السنة التاسعة من ظهور الباب أعنى سنة ١٨٥٣ أعلن بهاء الله فى بعض أشعاره أنه هو المقصود من تلك النبوات وبعد مرور عشر سنوات بينما كان مقيما فى بغداد أعلن نفسه لجميع أصحابه أنه هو المقصود .

والآن ظهر الأمر العظيم الذى كان الباب يهيء الطريق اليه وابتدأ فى دور عظمته بكل قوة ومع أن بهاء الله عاش وتوفى وهو منفى سجين ولم يكن معروفا للأوروبين إلا قليلا فان ألواحه التى أعلن فيها مجيئه الجديد أرسلها لعظماء الملوك فى نصفى الكرة الأرضية من شاه إيران إلى رئيس حكومة الولايات المتحدة والبابا وبعد صعوده قام نجله عبد البهاء وسافر بنفسه لاعلان الأمر فى مصر وفى العالم الغربى وزار عبد البهاء انجلترا وفرنسا وسويسرا والمانياوامريكا معلناً فى كل مكان أن أبواب السماءقد فتحت وأن الأمر الجديدقد نزل ومعه البركات الالهية لتحل على أبناء الانسان وتوفى فى نوفمبرسنة ١٩٢١م واضطرمت النار مرة أخري فى جميع أنحاء ايران بعد أن ظن الناس أنها أطفئت الى الأبد وتأسس الأمر فى الولايات المتحدة وفى كل مملكة وقطر فى العالم والآن قد تناولت الأيدى كتابات بهاء الله وعبد البهاء وشرحوا تعاليمها حتى نتجت عن ذلك مؤلفات جسيمة فى شرحها وشواهدها وفى الأصول والمبادىء الانسانية والروحية التى جاء بها منذ عشرات السنين فى أظلم بقاع الأرض والتى تأسست بمعرفته بنظام ملائم ويقتفى العالم الآن أثرها واحدة تلو الأخرى دون أن يشعر بالمصدر الذى انبثقت منه هذه المدنية الراقية فامتلأ جميع المفكرين شعوراً بأن العالم قد انقطعت صلته بالماضى القديم وأن الآراء والهداية القديمة لا تصلح فى نجاة العالم طبقاً لمستلزمات ومقتضيات الأحوال الحاضرة وأضحت شكوكهم كبيرة من هذه الوجهة وخابت منهم الآمال إلا الذين تمكنوا من أن يعلموا من خلال حوادث ظهور بهاء الله معنى كل هذه المخاوف والانذارات التى يتشاءم منها العالم .

والآن قد مر تقريبا ثلاثة أجيال من ابتداء الحركة فالذين كانوا من أتباعها الأولين ونجوا من الاستشهاد والسيف قضوا نحبهم منذ زمن طويل بطبيعة الحال وأغلق الى الأبد الباب الذى يمكن الوصول منه الى معرفة شيء عن الرئيسين العظيمين وعن تلاميذهما الأبطال ممن شاهدوا أحوالها رأى العين .

أما تاريخ النبيل فهو مجموعة من الحقائق التى دونت بالصدق والدقة وتمت فى زمان حياة بهاء الله وله قيمته الفريدة وكان المؤلف يبلغ العمر ١٣ عاماً عند ما أعلن الباب دعوته وولد فى قرية زرند فى ايران فى اليوم الثامن عشر من شهر صفر سنة ١٢٤٧ هـ . وكان فى كل أدوار حياته معاشراً لرؤساء الأمر ولم يكن إلا طفلا وقت أن كان على أهبة

الالتحاق بجماعة الملا حسين فى قلعة الشيخ طبرسى إذ علم بالمذبحة الخائنة التى وقعت على البابيين وبذلك تبددت آماله فى إمكان الذهاب اليها . وذكر فى تاريخه أنه قابل فى طهران الحاجى ميرزا سيّد علىّ خال الباب وكان فى ذلك الوقت عائداً من زيارة الباب فى قلعة جهريق وكان مدة سنتين فى صحبة كاتب وحى الباب المدعو ميرزا احمد

وتشرف بحضور بهاء الله فى كرمانشاه وطهران قبل النفى إلى العراق وكان فيما بعد فى خدمته ببغداد وأدرنه كما كان فى مدينة السجن عكا وأرسله مراراً للتبليغ فى إيران ولتشجيع جماعة المؤمنين المضطهدين وفى وقت صعود بهاء سنة ١٨٩٢ ميلادية كان قاطنا فى عكا وتوفى بطريقة مؤثرة ومحزنة لأنه تملكه الأسى من وفاة محبوبه المعظم حتى أنه ألقى بنفسه فى البحر وغرق ووجدت جثته بعد ذلك على الشاطىء قريبا من عكا

وابتدأ فى تدوين تاريخه سنة ١٨٨٨ ميلادية بمساعدة ميرزا موسى أخ بهاء الله وتم فى مدة سنة ونصف وروجعت بعض فصوله ووافق عليها بهاء الله وفصول أخرى بمعرفة عبد البهاء

ويشمل الكتاب تاريخ الحركة إلى وفاة بهاء سنة ١٨٩٢ ميلادية والجزء الأول منه ينتهى بنفى بهاء الله من إيران وهو ما تدون بالجزء الحالى هنا وله أهميته المعروفة وستستمر قراءته على توالى الأزمان بما حواه من صور الشهامة والشجاعة والأيمان الثابت الذى لا يتزعزع وخاصة تلك القطع المؤثرة التى حواها فضلا عن الأهمية الدائمة لتلك الحوادث التى وصفها ببيان بديع وتدوين فريد منقطع النظير .

ذكر حالة انحطاط ايران

فى أوائل القرن التاسع عشر

أولا ذكر سلاطين القاجار

« إن النظام الذى كان الملك قائما عليه فى إيران هو الملكية المطلقة وأن كلمة الملك هى القانون لأنه هو الممثل لشريعة الماديين والفرس الأولى التى هى نظام ثابت لا يتغير وبذلك يتبرر استبداد الملك برعيته فهو الذى يعين ويقبل الوزراء والضباط والموظفين والقضاة وله السلطة العامة التامة على أفراد أسرته وعلى الموظفين المدنيين والحربيين والذين فى خدمته فله حق الحياة والموت عليهم دون الرجوع إلى أية محكمة وكذلك على أملاك كل شخص يعدم أويعزل فهو المسيطرعليها وتعود اليه حتى إن حق الاعدام امتياز خاص له ويمكنه أن ينيب عنه فيه من يشاء من ولاته وجميع الاملاك التى لم تكن قد وهبها لأحد أو اشتراها منه أحد وجميع العقارات التى لا صاحب لها تكون ملكه وله أن يتصرف فيها كيف يشاء ولا يمكن التسليم بأى شىء من الحقوق والامتيازات الخاصة بالمرافق العامة أو موارد البلاد الطبيعة إلا بأمره وذلك كالاشغال العامة وأعمال التعدين والتلغراف والطرق العمومية والسكك الحديدية والترام فيجب شراؤها منه قبل التمكن من استغلالها فى شخصه تجتمع القوى الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية وليس عليه أى واجب خلاف المواظبة على مراسيم الدين الخارجية ، وبالاختصار هو المحور الذى تدور حوله حركة الحياة العامة .

وهذا هو نظام الملكية الذى كان متبعا الى عهد قريب فى ايران فلم يتنازل الملك عن أى هذه الامتيازات تنازلا صريحا وكانت اللغة التى يخاطب

بها الملك أتباعه هى لغة التكبر والغطرسة ولا يزالون يخاطبونه بها كما كان ارتكزرسيس أودارا يخاطب الملايين من الاتباع كما هو منقوش فى آثار قصورهم وقبورهم . فهو يدعى شاهنشاه وقبلة العالم وظل الله وكوكب زحل المتعالى ومنبع العلم وموطىء أقدام العلويات والمليك الاعلى الذى صورت الشمس فوق أعلامه والذى يوجد بهاؤه فى السموات وهو ملك الجيوش التى لا تعدّ ولا تحصى . وللآن يستشهد الايرانيون بقول السعدى (إن الرذيلة إذا وافق عليها السلطان تنقلب فضيلة وان الذى يخالف أمره فى ذلك يغمس يديه فى دمه) ومع تقدم الازمان لم يكن عليه رقيب لامن مجلس دينى ولامجلس مليّ ولامجلس علماء أوشيوخ ولم تدخل فى سياستهم الانظمة الانتخابية ولا البرلمانية التىدأبها المعارضة ولا يوجد أى رادع كتابي يمكن أن يقاوم الامتياز الملكى

« وهكذا كان تأله الذى ارتقى العرش فىإيران لدرجة أن الشاه لا يأكل مع أحد على مائدة عامة إلا فى عيد النوروز مع أرشد أفراد أسرته الذكور . وكانت اللغة التى يخاطبه بها أقرب الوزراء لغة الطاعة والانقياد والتملق . فكان أقرب الموظفين يخاطبه قائلاً : (جعلت فداءك ياملجأ العالمين) ففى حاشيته لا يوجد أحد يقول له الحق أو ينصحه بنصيحة خالية عن الغرض ولا يقدر أن يعلم حقائق الأمور إلا من سفراء الدول الأجنبية الذين هم المنبع الوحيد لاسداء النصح الخالى عن الغرض أو التملق أما بالنسبة لاجراء الاصلاحات وعمل التدابير اللازمة لتحسين حالة المملكة فهو عاجز عن تنفيذ أى مشروع لأنه بمجرد أن يخرج أى مشروع من يده للتنفيذ يقع فى أيدى الموظفين المرتشين الذين يبحثون عن المنافع ولا يصل إلى مقره النهائى نصفالمبالغ التى يتقرر صرفها على المشروع بل تدخل فى جيوب الموظفين الذين بمهارتهم الفنية يعملون على اقتناصها وبذلك لا يتحقق نصف المشاريع التى يأمر بها ويتكل الوزير المأمور بالتنفيذ على نسيان الملك وعلى اشتغاله فى أهوائه وأخيراً يحصل التجاوز عنه ويهمل أو يترك كلية .

« وكان هذا النظام الممقوت متبعاً حتى ابتداء القرن الأخير فكانت تسمل أعين كل طامح فى الملك وكان من المسموح به فى العقوبات تقطيع الأجسام إربا أو الحكم بالأسر وبالحبس الأبدى أو بالذبح القاسى أوسفك الدماء المنظم ولم يكن العزل من الوظائف بأقل مفاجأة من الترقية وفى كثير من الأحيان يكون القتل رفيقا للعزل .

ذكرها غير مسؤول عن شيء وله السلطة التامة على حياة وأملاك أى شخص من رعيته وليس لأنجاله قوة مستقلة عنه فيمكنه إذلالهم وافقارهم فى أقل من لمح البصر . . أما الوزراء فيعينون ويعزلون تبعاً للأرادة الملكية . فالملك وحده هو القوة المنفذة وجميع الموظفين نواب عنه ولا يوجد فى المملكة محاكم نظامية تحد من سلطته .

« وأما بالنسبة لأخلاق وأعمال الوزراء فى البلاط الملكى فقد كتب السير. ج . مالكولم فى تاريخه فى ابتداء القرن الحالى ما يأتى : (إن الوزراء وكبار رجال البلاط هم من الرجال المثقفين والماهرين فى الاعمال كل فيما يخصه وهم ذووا ملاحظات دقيقة ومحادثات شيقة وأخلاق خاشعة وهذه الصفات هى كل ما يملكون ولم يكن ينتظر من أشخاص يهتمون بالأشكال والصور أن يكون عندهم اطلاعات علمية أو فضائل لأنهم يستقون معيشتهم من أحط الموارد وكل همهم منصرف إلى الفتن بقصد حفظ أنفسهم وإهلاك غيرهم وبغير خطر لايقدرون أن ينطقوا أو يتكلموا بغير التملق والخداع وهم متبعون سبل الشهوات والباطل وقد توالى على إيران جملة من الوزراء الذين لا يصح بحال وضعهم فى صف غيرهم من ذوى السيرة الرديئة ولكنهم كانوا عا فيهم من كبار المثقفين مضطرين لمجاراة الأحوال نوعا لحفظ مراكزهم ولولا ثقة الملك فيهم بكيفية تمنع عنهم كيد أعدائهم لألجأتهم الضرورة إلى تتبع المنافع والمواربة والمداهنة التى تخالف طريق الحق والصدق ذلك الطريق الذى يجلب الاحترام لعظماء الرجال وهذه الملحوظات اعا عليها العدالة والتأمل الشديد ويظهر أنها تنطبق على الجيل الحاضر كما كانت تنطبق على الاجيال السالفة

ثالثا — فى الرعية

« والآن أذكر العامل الاصلى المعول عليه فى الادارة الايرانية فان الحكومة بل الحياة نفسها فى تلك المملكة عبارة عن تبادل الهدايا ، وقد يظن من الوجهة الاجتماعية أن هذه العادة إنما تعبر عن إحساس شعب أليف كريم رغما عن أنها لا يظهر عليها وجه للكرم عند ما يضطر المهدى له أن يعيد مثلها للواهب فضلا عن الزامه أيضا بأن يهدى لحامل الهدية جزأ نسبيا لقيمتها وأحيانا يكون ذلك هو كل ما يقتات به . أما من الوجهة السياسية فان عادة الاهداء ولو أنها متعلقة بقواعد وتقاليد الشرق الجامدة إلا أنها تنطبق كل

الانطباق على ذلك النظام الغير المشرف . وهو الذى اتبعته إيران من قرون عديدة وهو الذى يقف حجر عثرة فى سبيل الاصلاح الحقيق فمن الشاه إلى أصغر موظف لايوجد أحد لايقبل الهدايا ولاتكاد توجد وظيفة لايكون التعيين فيها بغير الهدايا ولا يوجد إيراد مكدس إلا من الهدايا وكل موظف يشترى وظيفته بمبلغ يقدمه إما إلى الشاه مباشرة أو للوزير أو الحاكم الأعلى الذى يعينه . وإذا كان لوظيفة واحدة جملة طلاب فالذى تكون هديته أكبر هو الذى يكون مقبولا فيها

« وكان نظام (المداخل) من الأنظمة القومية المحبوبة فى إيران وتحصيلها بآلاف الطرق والأشكال وتتعدد تدابير تحصيلها بتعدد أنواعها . وإن شئت قلت إنها هى نفس الحياة الايرانية ومصالحها الرئيسية . ويقول المستر واطسون أنه لاتوجد أي كلمة فى اللغة الانجليزية يمكن أن تعبر بدقة عن هذا النظام . فيمكن تعريب كلمة (مداخل) بكلمات النهب والنشل والاكرام والمنافع والرشوة والهدية والحلوان والراتب وذلك تبعاً للكيفية التى استعملت فيها وهى على وجه العموم ميزان المنافع الشخصية التى يمكن تشخيصها فى مبلغ من النقود مما يستخرج أو يطلب فى أى معاملة فيصح وجودها أثناء مفاوضة بين رئيس ومرؤوس وفيما بين اثنين من المتعاملين المتعاقدين فى إيران ولابد أن يكون أحد الفريقين هو الدافع للهدية لغرض الحصول على منفعة والآخر هو الذى يستلم مبلغاً معيناً من النقود فى مقابل الخدمة التى يؤديها له . ويمكن الاعتراض بأن الطبيعة البشرية هى واحدة فى كل مكان وأن مثل هذا النظام موجود فى مملكتنا كما هو فى الممالك الأخرى تحت إسم آخر وأن الناقد الفيلسوف يرحب بالرجل الايرانى كأخ له فى هذا السبيل ورغماً عن أن هذا الاعتراض وجيه إلى حد ما إلا أنه لايوجد ولايرى ولا يسمع فى أى مملكة بوجود نظام مكشوف إلى هذا الحد وهو عام فى جميع بلاد إيران ولاخجل فيه ولاحياء وفضلا عن أنه لم يكن قاصراً على دائرة الاقتصاد السياسى أو المعاملات التجارية فانه يوجد فى كل عمل ويقترن بجميع المرافق الحيوية وبه محيت صفة الكرم من قائمة الفضائل الاجتماعية فى إيران وأصبح الجشع هو العامل القوي فى الحياة الاجتماعية الانسانية . . .

وقد تأسست بسبب ذلك سلسلة من الهيئات الحسابية المتوالية للسلب والنهب من الملك إلى أفراد الرعايا وأصبح الفلاح المسكين هو الفريسة الأخيرة . فلا عجب أن تكون الوظائف بمقتضى هذا النظام هى السبيل العادى للحصول على الثروة . خصوصاً وقد

شوهد فى كثير من الأحوال أن الموظفين أصبحوا بعد الفقر المدقع من ذوى الثروات العظيمة ويقطنون فى منازل فخمة تحوطهم حاشية كبيرة من الخدم والحشم يعيشون فى رغد من العيش كالأمراء وكانت القاعدة المتبعة عنـــد أغلب الناس منذ دخولهم فى الحياة العامة هى (إجمع من المال كلما تستطيع وبقدر ماتستطيع) ولم تـكن هذه الأعمال ممقوتة من الوجهة الاجتماعية قط وكان الناس يعتبرون من تهيأت له الفرصة ولم يملأ جيوبه من هذه (المداخل) أنه شخص لايحترم نفسه ولم يفكر أحد من الرؤساء فى هؤلاء البؤساء الذين تسلب من عرق جبينهم هذه المداخل لتصرف على بناء وتهيئة المباني الفخمة وعلى البضائع الأوربية وعلى الحاشية الـكبيرة

«ومن بين مظاهر الحياة العامة فى إيران التى هى غريبة فى نظر الأجنبي والتى هى من نتائج هذا النظام هو زيادة عدد الأتباع والحاشية الذين يلتفون حول الوزير أو الموظف من أى نوع كان ففى حالة الموظف من ذوى المراتب العـالية يختلف عددهم من ٥٠ إلى ٥٠٠ ويقول بنيامين أن الوزير الأكبر له حاشية تبلغ ٣٠٠٠ نفر ويفهم من ذلك معنى النظامات الاحتفالية التى تتبع عادة فى إيران وخاصـة فى الشرق لأنها ناتجة عن هـذه الأوضاع وأصبحت أهمية كل شخص تتوقف على عدد الحاشية والخدم الذين يصطفون حوله فى الاحتفالات فى المناسبات المتنوعة وأساس كل هذه المفاسد هو نظام (المداخل) والتلصص الحاصـل فيه . ولا يمكن أن ينقص عدد الحاشية إلا إذا تغير النظام الحالى بنظام دفع المرتبات فاذا كان الوزير أو الحاكم مضطراً لدفع مرتبات للذين حوله فان عدد الحاشية ينقص نقصاً بيناً سريعاً فان أغلبهم لايتقاضي مرتباً وفقط يحوم حول سـيده انتهازاً للفرص التى تدر عليهم بالأموال فيعيشون بذلك على السلب والنهب .

«ومن ذلك يعلم فداحة المصيبة القومية الناتجة من وجود هذا الجيش الجرار من الذين يشتغلون فى استنزاف أموال المساكين .. ومن آداب الفرس أن الانسان عند مازور آخر يأخذ معه عدداً من الحاشية على قدر طاقته وبأكبر عدد يمكنه ويسير إما ماشيا أو راكبا وتعلم أهمية الزائر من عدد أفراد حاشيته

رابعاً — فى النظام الدينى

« كان الدين الاسـلامى موافقا لعوائد وأخلاق ووظائف وأعمال تلك الممالك التى دخلت فى قبضته ولهـا يخضع الاهـالى خضوعا تاما من المهد إلى اللحـد

ولم يكن الدين منظما للعلاقات الفردية فقط بل كان هو الحكومة وهو الفلسفة والعلم أيضا فالفكرة الاسلامية لا ترمى إلى إيجاد دين حكومى فحسب بل إلى ايجاد حكومة دينية فجميع الروابط فى الهيئة الاجتماعية عندهم لم تكن مدنية بل هى دينية فأساس نظام المجتمع عندهم ليس مدنيا بل هو دينى من تشكيل الفقهاء الذى أحاط بهذا الدين السامى .. وعلى هذا النحو يعيش المسلم برضا وقناعة وهو خاضع لجميع أحكام ذلك النظام ويعتبر عبادة الله أعلا الفرائض محتقرا كل من لا يتعبده بالروح ولا يتوفى الا وهو آمل فى دخول الجنة . . وأما الأشراف أو نسل الرسول فهم سبب متاعب المملكة وهم عالة على الناس ومن امتيازهم لبس العمامة الخضراء ولا يخشون شيئا لارتكانهم على امتيار نسبهم الشريف . . وأما يهود ايران فقد انحطوا فى الفقر والجهل وهؤلاء التمساء فى العالم الاسلامى فى الشرق قد وطدوا أنفسهم على أن يعتبروا الاضطهاد نصيبا لهم كما عرف العالم ذلك فكانوا يجبرون على أن يعيشوا منعزلين فى مكان خاص بهم وبما أنهم كانوا مضطهدين فى أعمالهم وملابسهم وعوائدهم أصبحوا طائفة منعزلة معروفة ويبلغ عددهم فى اصفهان نحو ٣٧٠٠ شخص ولا يسمح لهم فيها بلبس الكلاه وهو لباس الرأس القومى ومع أن حالتهم المعنوية فى تلك البلاد أحسن منها فى غيرها إلا أنهم لا يسمح لهم فيها بمزاولة أعمالهم داخل حوانيت الأسواق ولا أن يتطاولوا فى البنيان بارتفاع أزيد من جيرانهم المسلمين أو أن يركبوا فى الأسواق وكلما قامت ضجة فى ايران كانوا هم أول ضحاياها فتمتد اليهم كل يد والويل لليهودى التعس الذى يجابه طائفة من غوغاء الايرانيين

. . . ولعل من أعظم مظاهر الحياة فى (مشهد) التى أريد أن أذكرها قبل أن أنتهى من الكلام على موضوع الضريح الذى فيها والحجاج الذين يؤمونها مسألة إباحة اللهو فيها مدة إقامة الزائرين فأبيح لهم أن يعقدوا زواجا مؤقتا بموافقة الرؤساء الدينيين ويوجد فى المدينة جمهور من الزوجات المعدات لهذه الأغراض ويعقد الملا العقد ويختمه من كلا الطرفين بعد الاستيلاء على الرسم وبذلك يصح الاقتران وينتهى عقد الزواج بمضى المدة المعينة فى العقد سواء حددت باسبوعين أو شهر أو أى مدة أخرى فيعود الزوج إلى إسرته فى بلاد بعيدة ويترك الزوجة حتى تنقضى عدتها وهى أربعة عشر يوما فتعود بعد ذلك وتتزوج بآخر وإني آسف لأقول كم من الزائرين الصامتين الذين يعبرون البحار والأراضي لأجل التوصل لتقبيل شباك الضريح يتشجعون على أداء هذه المهمة بما يلاقونه من التسلية التى نسميها نحن الانجليز بالمجون

الخـــاتمة

«وقبل أن أترك موضوع القانون الايرانى أريد أن أذكر بعض الشيء عن السجون فلا يوجد شيء أدهش للقاريء الاوربي من وصف العقوبات الوحشية والتعذيب المفجع المثبوت فى صحائف تاريخ إيران الملوثة بسفك الدماء والاجرام فى القرن الفارط وهى فى القرن الحالى أخف نوعا وكلها تشهد بالقسوة الوحشية والخبث الشيطاني . وكانت غرائز أهل إيران تميل إلى استنباط الحيل فى اختراع أنواع العقوبات ولم يكن عندهم اكتراث بالآلام الناتجة عنها . ويظهر ذلك بجلاء فى ميدان التنفيذات القضائية التى هى محل ظهور كلتا الطبيعتين . وكان من عهد قريب وفى حدود الحكم الحالى يصلب المجرمون أو ينسفون من المدافع أو يدفنون أحياء أو يعدمون باجلاسهم على الخازوق أو يضربون بالرصاص كما تضرب الخيول أو يشطرون شطرين بواسطة ربطهم فى رأس شجرتين تضمان على بعضها بقوة ثم يفك رباطهما حتى تعودان إلى مكانهما الأصلى وتكون الجثة فى هذه الأثناء قد انفسخت شطرين أو تعمل منهم مشاعل انسانية أو تسلخ جلودهم وهم أحياء

«وكان من جراء وجود حكومة ذات صفتين كالتى وصفتهـا — يعنى أن يكون العامل فى إدارتها شخصان أحدهما راشي والآخر مرتشي ويكون الاجراء القضائى بلا قانون ولا محاكم ـ عدم وجود أى ثقة فى الحكومة ولا فى أى شعور بالواجب ولا فى الفخر بالشرف ولا فى الثقة بالتعاون إلا على الضرر ولا خجل فى التبذل ولا فائدة فى الفضائل وفوق ذلك لا روح للأمة ولا وطنية

«وقالت الفلاسفة إن الروحانيات يجب أن تسبق الماديات والحق فى ذلك معهم فان الاصلاح الباطنى يجب أن يسبق الاصلاح المادى الظاهرى فى إيران. فلا فائدة ترجى من تطعيم شجرة قديمة بفروع شجرة جديدة بعد أن استهلكت أو تسممت نعم يمكن أن يعمل فى إيران طرق وسكك حديدية وأن تستغل معادنها ومرافقها الطبيعية وأن يدرب جيشها وتنظم عمالها ولكنها لا تقترب بهذه الأعمال إلى الأمم الأوربية المتمدنة إلا إذا وصلت إلى صميم قلوب الرعية وأحدثت انقلابا كليا فى الأنظمة والأخلاق القومية

ولقد بينت كيفية الادارة الايرانية كما اعتقد صحتها حتى يطلع القراء الانجليز على النظام الذى يواجه كل من أراد الاصلاح فى تلك البلاد سواء من الأهالى أم من الأجانب لأنه لا بد وأن يرى ذلك السد الحديدى المنيع المبنى على الأطماع والطبائع الغريزية المعادية لأفكار التقدم والترقى ولو فرض وقام بذلك رجل قوى مثل الملك الحالى فمن الذى يقوم على نشر دعوته (مقتطف من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية)

إجلال بهاء الله لمقام الباب وأصحابه

من كتاب الايقان

« ومع أنه كان فى ريعان شبابه وكان أمره مخالفا لجميع من على الأرض من الوضيع والشريف والغنى والفقير والعزيز والذليل والسلطان والرعية إلا إنه قام بكل استقامة على الدعوة لهـذا الأمر . وكل الناس علموا منه ذلك وسمعوه . ولم يخف من أى انسان ولم يعر أي اهتمام لما يتوقع من النتيجة . فهل يمكن ظهور مثل هـذا الأمر إلا بقوة إلهية ومشيئة ثابته ربانية ؟ تالله لو يفكر أحد فى القيام بمثل هـذا الأمر لتهلكه الفكرة فى الحال ولو جمعت قلوب أهل العالم فى قلبه فانه لايجسر على حمل مثل هـذه المهمة الشاقة المخوفة الا أن يكون ذلك باذن من الله وأن يكون قلبه متصلا بالفيوضات الرحمانية ونفسه مطمئنة بالعنايات الربانية فبربك على أى محمل يحملون هذا الاقدام ؟ هل ينسبونه للجنون كما سبق أن نسبوا ذلك إلى الانبياء السابقين ؟ أو يقولون أنه تعرض لهذه الأمور طلبا للرئاسة الظاهرة أو بقصد جمع زخارف هذه الدنيا الفانية ؟ ياسبحان الله هل يكون ذلك بعد إذ أنه أخبر فى كتابه المسمي قيوم الأسماء وهو الأول والأعظم والاكبر من جميع الكتب عن استشهاده قائلا (يابقيـة الله قد فديت بكلى لك ورضيت السب فى سبيلك وماتمنيت إلا القتل فى محبتك وكفى بالله معتصما قديما) فهل يمكن أن ينسب لصاحب مثل هـذا البيان أنه يمشى على غير صراط هدى الله ؟ أو أنه يطلب شيئا خلاف رضاه ؟ ففى هذه الآية ظل نسيم الانقطاع مكنونا بحيث لو يهب على العالم لينفق جميع هيا كل الوجود أرواحهم ويضحـون حياتهم فى سبيله . والان انظر كيف إن سدرة الرضوان السبحانى قد بلغ أمر الله فى ريعان شبابه . وتأمل فيما ظهر من جمال الاحدية من الاستقامة . ومع قيام جميع من على الأرض على منعه لم يحصلوا على أي فائدة . وكلما زادوا البلاء والأذى على سدرة الطوبي كلما زاد شوقا واشتعلت نار حبه إلى أن أسلم الروح فى نهاية الأمر وأسرع إلى الرفيق الأعلى وما كاد ذلك الجمال الأزلى يظهر فى شيراز فى سنة الستين

أو يكشف عن نفسه الستار حتى ظهرت آثار النصرة والقوة والسلطنة والاقتدار من جوهر الجواهر وبحر البحور فى جميع البلاد على شأن ظهرت فى كل مدينة آثار واشارات ودلالات وعلامات تلك الشمس الأزلية . وكم من رشحات علمية من بحر علمه أحاطت جميع الممكنات . وفى كل بلدة ومدينة قام العلماء والأمراء على قمع البابيين وردهم وأحكموا نطاق الغل والحسد والظلم لقمعهم . فكم أعدموا من هؤلاء النفوس المقدسة واتهموهم ظلما مع انهم كانوا جواهر العدل . وكم عذبوهم بأشد أنواع العذاب . ومع كل ذلك كان كل واحد من هؤلاء الوجودات القدسية مشتغلاً بذكر الله إلى آخر نفس من حياته طائرا فى هواء عالم التسليم والرضا . وكانت درجة تأثيره عليهم على شأن انقلبت أعيان وجودهم فلم يطلبوا أمراً خلاف رضائه ولم يختاروا إلا ما اختاره لهم تاركين رضاهم متعلقة قلوبهم بذكره والآن تدبروا من ذا الذى فى عالم الامكان يمكنه أن يصدر عنه مثل هذه المعرفة وهذه الاحاطة لجميع هؤلاء النفوس المقدسة وأصحاب القلوب المنزهة أسرعوا بكمال الرضا فى موارد القضاء إجابة لطلبه . وبدلا من أن يشكوا شكروا ولم يظهر منهم فى موارد البلاء غير التسليم والرضاء، وكان من المعلوم المحقق أن جميع أهل الارض قاموا على هؤلاء الاصحاب بكل غل وبغض بحيث اعتبروا إيذاء هذه الطلعات القدسية المعنوية سبيلا للفوز والاستقامة وسببا للفلاح والنجاح الابدى فلم ير العالم منذ بداية خلق آدم حصول مثل هذا الهياج وهذه الضوضاء بين العباد ومع كل صنوف الاعتداء والأيذاء التى احتملوها كانوا هدفا للعن العام والملام من جميع من فى البلاد حتى كأن الصبر قد ظهر فى الكون من اصطبارهم وكأن الوفاء قد برز فى أركان العالم من أفعالهم فانظروا وتدبروا هذه الحوادث بقلوبكم حتى تعلموا عظمة هذا الأمر وتشاهدوا بهاءه الأسمى.

ذكر مميزات الشيعة في الإسلام

« إن النقطة الاساسية التى فيها تختلف الشيعة (مع الفرق الأخرى المرتبطة بها والتى تدعى جميعها باسم الامامية) عن اهل السنة هو اعتقاد الامامة فتبعا لاعتقاد أهل السنة تتعين الخلافة بالانتخاب الحاصل من الاتباع ولا يمتاز الرئيس فى العالم الاسلامى بشيء من المواهب الالهية فلا يجمع فى وظيفته سوي القوة الادارية والدينية أما فى نظر الامامية فعلى العكس من ذلك فالخلافة فيها أمر روحى ومنحة إلهية تعطى أولا للرسول ثم للذين يخلفونه من بعده وليس لها علاقة بالانتخاب ولا بتصديق العامة فالخليفة عند أهل السنة هو المدافع الظاهر عن الدين وأما إمام الشيعة فهو الخليفة للرسول وهو الملهم والمتحلى بالكمالات والمواهب الروحية وعلى جميع المؤمنين طاعته وحكمه قطعى ونهائي وحكمته فوق المستوى البشري وكلمته فصل الخطاب . وتطلق الامامية على كل من اتبع هذا الرأى بدون التفات إلى الطريقة التى يعينون بها سلسلة التوريث ولذلك فهى تشمل الباقرية والأسماعلية والشيعة مذهب الاثنى عشرية وتلك الطائفة الأخيرة هى التى نتكلم عنها فعندهم عدد الأئمة إثنى عشر إماما وهم

(١) الامام على بن ابى طالب أول المؤمنين وابن عم الرسول قتله ابن ملجم فى الكوفة سنة ٤٠ هـ (٦٦١ م)

(٢) الحسن بن على وفاطمة ولد فى السنة الثانية للهجرة وسمه معاوية الأول سنة ٥٠ هـ (٦٧٠ م)

(٣) الحسين بن على وفاطمة ولد سنة ٤ هـ وقتل فى كربلاء فى ١٠ محرم سنة ٦١ هـ (١٠ اكتوبر سنة ٦٨٠ م)

(٤) على بن الحسين وشهربان بنت يزدجرد آخر ملوك الساسانية (ويسمي بالامام زين العابدين) وسمه الوليد

(٥) محمد باقر بن زين العابدين وابن ام عبد الله بنت الامام الحسن وسمه ابراهيم بن الوليد

(٦) جعفر الصادق بن الامام محمد باقر وسم بأمر المنصور الخليفة العباسى

(٧) موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق ولد سنة ١٢٩ هـ وسم بأمر هارون الرشيد سنة ١٨٣ هـ

(٨) على بن موسى الرضا المدعو بالامام الرضا ولد سنة ١٥٣ هـ وسّم فى طوس من اعمال خراسان بامر الخليفة المأمون سنة ٢٠٣ ودفن فى مشهد التى سميت بذلك من أجله

(٩) محمد تقى بن الامام الرضا ولد سنة ١٩٥ هـ وسّم بمعرفة الخليفة المعتصم فى بغداد سنة ٢٢٠ هـ

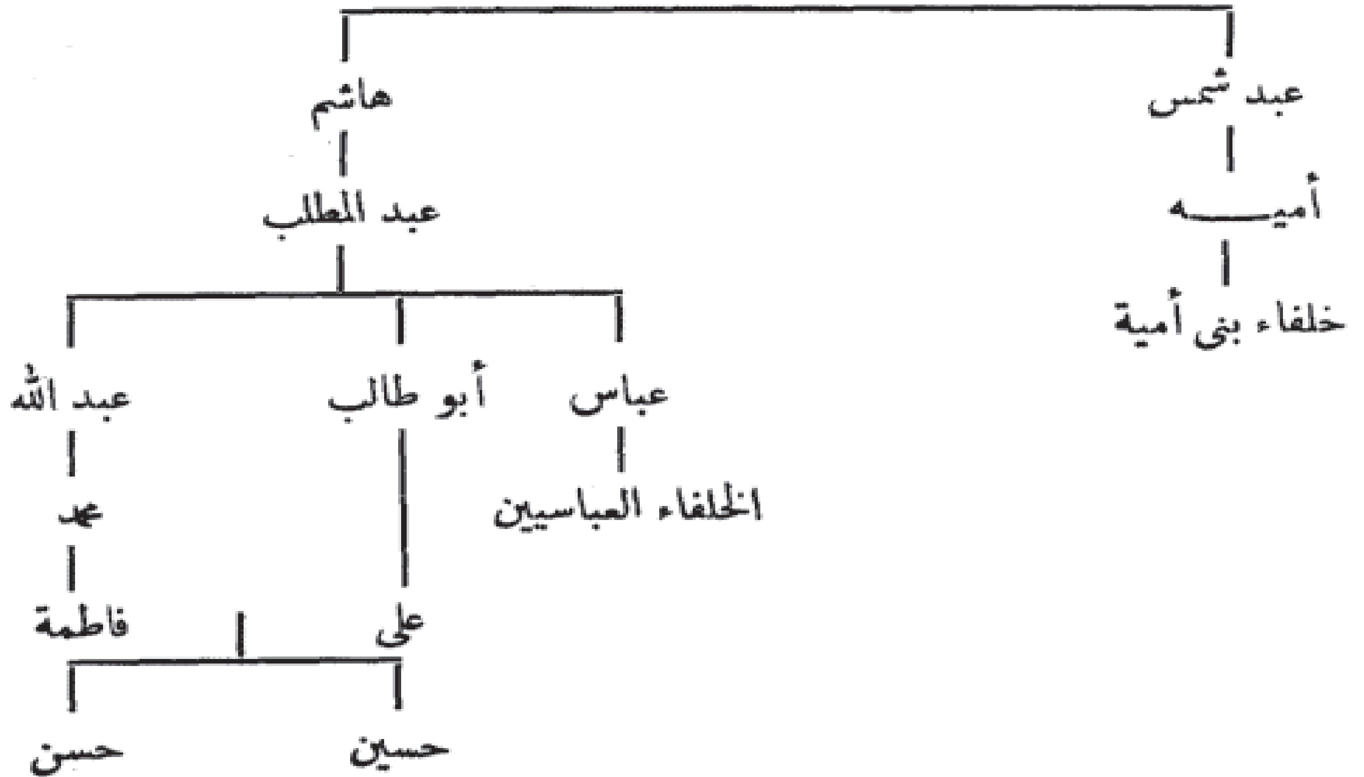
(١٠) على تقى بن الامام محمد تقى ولد سنة ٢١٣ هـ وسّم فى سرّ من رأى سنة ٢٥٤هـ

(١١) الحسن العسكرى بن الامام على تقى ولد سنة ٢٣٢ هـ وسّم سنة ٢٦٠ هـ

(١٢) محمد بن الامام حسن العسكرى ونرجس خاتون وتسميه الشيعة بالامام المهدى حجة الله وبقية الله وقائم آل محمد ويكنى بنفس كنية الرسول وهى أبو القاسم وعندالشيعة لايجوز لأحد أن يحمل هذا الاسم والكنية معا بهذه الكيفية غيره . ولدفى سرّ من رأى سنة ٢٥٥هـ . وخلف والده فى الامامة سنة ٢٦٠ هـ ويعتقد الشيعة أنه لم يمت وأنه اختفى فى سرداب تحت الأرض فى سرّ من رأى فى سنة ٣٢٩ هـ وأنه حى للآن محاط بطائفة من أتباعه فى إحدى البلاد السرية جابلقا وجابلسا وأنه سيظهر فى آخر أيامه عندما تملأ الارض بالظلم ويقع المؤمنون فى اليأس ويظهر قبله المسيح مبشرا بظهوره ويقلب أفكار الكفار ويؤسس العدل ويبدأ الحكم الذهبي للألف سنة ويباركه وفى جميع مدة الامامة أي من سنة ٢٦٠ لغاية الوقت الحالى كان الامام المهدى مختبئاً ولا يصل اليه أحد من الاتباع وهذا ما يسمونه بالغيبة وبعد أن تولى الامام حسن العسكرى الامامة ودفن والده وسلفه اختفى عن نظر الناس إلا القليل من الذين انتخبهم ليكونوا واسطة بينه وبين أتباعه واحداً بعد الآخر وهؤلاء دعوا بالابواب وأولهم أبو عمر عثمان بن سعيد العمرى والثانى ابو جعفر محمد بن عثمان وهوابن الاول والثالث من الأبواب حسين بن روح نوبختى والرابع أبو الحسن على ابن محمد السمرى . وكان تعيين أولهم بمعرفة الامام حسن العسكرى وأما الآخرون فعينهم الباب الموجود بموافقة الامام المهدى وقد امتدت هذه المدة ٦٩ سنة كان فيها الامام معروفامن الابواب الذين كانوا الواسطة بينه وبين الناس . وكانت غيبته فى هذه المده تدعى بالغيبة الصغري ثم جاءت بعد ذلك الغيبة الكبرى فعندما حضرت الوفاة أبا الحسن علىّ آخر الأبواب طلب منه المؤمنون أن يعيّن خلفا له لأنهم كانوا خائفين من انفصالهم عن الامام انفصالاً كليا ولكنه رفض طلبهم قائلا إن لله أمراً هو بالغه و بوفاته انقطعت كل صلة بين الامام وبين علماء الدين وابتدأت بذلك الغيبة الكبرى وستستمر إلى رجعة الامام فى آخر الأيام »

« من مقالة سائح صحيفة ٢٩٦ — ٢٩٩ حاشية (و) »

في النسبة المحمدية



خلفـاء

دولة بنى أمية من ٦٦١ : ٧٤٩ م

العباسيين من ٧٤٩ : ١٢٥٨ م

الفاطميين من ١٢٥٨ : ١٥١٧ م

العثمانيين من ١٥١٧ : ١٥١٩ م

ميلاد محمد ٢٠ أغسطس سنة ٥٧٠ م

إعلان الدعوة سنة ٦١٣ : سنة ٦١٤ م

هجرته للمدينة سنة ٦٢٢ م

أبو بكر الصديق ابن قحافة ٦٣٢ : ٣٤ م

عمر بن الخطاب ٦٣٤ : ٤٤ م

عثمان بن عفان ٦٤٤ : ٥٦ م

على بن أبى طالب ٦٥٦ : ٦١ م

في النظام القضائي في ايران

فى أواسط القرن التاسع عشر

« ينقسم القانون فى ايران وفى البلاد الاسلامية على وجه العموم إلى قسمين الأول دينى عام وهو ما بنى على الكتاب والشريعة الاسلامية ويطبقه أرباب الدين والثانى هو القانون المدنى وهو ما تطبقه المحاكم المدنية والأول يسمى بالشرع والآخر يسمى بالعرف ومن هذين الأصلين يتفرع النظام القضائى الحالى وهو وإن لم يكن مبنيا على العلم إلا أنه معقول من جهة التطبيق ويوافق مقتضيات وحاجيات الدين دون لأجلهم والأساس الذى بنى عليه الشرع ما نطق به الرسول فى القرآن وآراء الأئمة الاثنى عشر الذين لا يقل حكمهم فى نظر الشيعة عن حكم الرسول وكذلك تفاسير علماء الدين وهو ما وسع دائرة الشرع كما وسعت قواعد وأحكام (الجورس كنسالت) شريعة روما أو كما وسعت تفاسير التلمود شريعة بنى إسرائيل وانقسمت الشريعة الناتجة من ذلك الى أربعة أقسام وهى العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والدعاوى ويطبق هذه الشريعة رجال الدين وهم الملاوات والمجتهدون وأحيانا القضاة تحت رئاسة موظف يدعى شيخ الاسلام ويعين عادة فى كل مدينة من الملك ويرأس جميع أرباب الدين والقضاة فى المملكة ولكن هذه الوظيفة ألغاها نادر شاه عند قيامه ضد رؤساء الدين ولم تتجدد فيما بعد عندهم وفى البلاد الصغيرة والقرى يقوم بهذه الوظيفة الملاوات الذين يستندون دائما على آية من القرآن وأما فى المحاكم العالية فان الحكم يكون مكتوبا معززا بأدلة من الكتاب والتفاسير وأما القضايا ذات الأهمية الكبرى فترفع إلى المجتهدين الأعلام وهم قليلوا العدد ولا يصلون إلى هذا المقام إلا بالعلم والاطلاع الذى يكون مشهوداً لهم به من العموم وهم الذين لا تنقض أحكامهم إلا فيما ندر ومذكور فى كتب القانون فى إيران أن القضايا الجنائية يحكم فيها الرؤساء الدينيون وأما القضايا المدنية فتحكم فيها المحاكم المدنية وفى العمل لا يوجد هذا التميز ويختلف امتياز المحاكم باختلاف الأزمان تبعاً للتصادف أو الاختيار لا للضرورة

والاضطرار والآن ولو أن القضايا الجنائية من اختصاص المحاكم الدينية إلا أنهـا تنظر عادة بمعرفة المحاكم المدنيـة . أمامسائل البدع والارتداد فتعرض على المحاكم الدينيةبطبيعة الحال.وكذلك يحكمون فى أحوال الزنا والطلاق والسكر ولو أن شرب الخمر بحسب العرف المدنى معتبر من اكبر المؤهلات المدنيـة إلا أنه مخالف لنص القرآن ولذلك يقع فى دائرة اختصاصهم .

وهنا أنتقل من الشرع الى العرف أو القانون العام . وهذا مبناه العادة ويختلف باختلاف الاماكن فى ايران . وكذلك يختلف الحكم فيه باختلاف الشخص الذى يطبقه فهو قانون غير مدوّن . وقضاة العرف هم القضاة المدنيون ولا يوجد لهم نظام معلوم كالنظام الموجود فى البلاد الأوروبية وفى القرى ينظر الكدخدا قضاياها . وأما فى المدن فينظر هذه القضايا الداروغ وهوقاضى بوليسى ويحكم فى جميع جرائم البوليس كمحكمة البوليس فى انجلترا والعقوبة فى قضايا السرقة والخطف وأمثالها هى رد الشىء المسروق أو المخطوف أو قيمته المالية وإذا كان غير قادر على الرد فانه يجلد أما القضايا الجنائية الأخرى فيحكم فيها حاكم المدينة وأما الاكثر أهمية فحاكم الاقليم واستئناف الأحكام يكون أمام الملك إذا كان المستأنف من بلاد قاصية والعدالة التى تطبق بهـذه الكيفية فى ايران غير تابعـة لأى قانون أو نظام مقرر ولا ضمان لها سوى السمعة والاعلان لكن المجال يتسع فيها خصوصا فى الدرجات الجزئية للرشوة والبقشيش أما الداروغ فشهرته أنه قاسى ومرتشى ويقول البعض أنه لا يوجد أى حكم فى إيران يصدر من أى موظف حتى فى المراتب العليا إلا ويمكن الحصول عليه بالنقود والأموال (من كتاب إيران والمسألة الايرانية للورد كرزون الجزء الأول صحيفة ٤٥٢ — ٤٥٥) .

مفتاح النسبة للباب

(١) من ذرية الامام الحسين وفاطمة وقطن فى شيراز

(٢) زوجة البـــاب

(٣) ملقب بأفنان أكبر

(٤) زوجة مرزا زين العابدين

(٥) معروف بسقا خان

(٦) زوج حاج مرزا سيد حسن ابن مرزا على

(٧) توفى عند الميلاد

(٨) ملقب بخال أصغر وهو الذى نزل له كتاب الايقان

(٩) ملقب بخال أعظم أحد الشهداء السبع فى طهران

(١٠) ملقب بوكيل الدولة أكبر بانى لمشرق الأذكار فى عشق آباد

(١١) ملقب بوزير من أهالى نور مازندران واسمه عباس

(١٢) اسمه عباس

(١٣) اسمه على محمد

(١٤) اسمه حسين على

(١٥) زوجة وكيل الدولة حاجي مرزا محمد تقى

(١٦) اين حاجى مرزا محمد على وهو ابنه الوحيد

(١٧) صهر عبد البهاء

(١٨) من ذرية الامام الحسين تاجر من اهالى شيراز

(١٩) صهر عبد البهاء

(٢٠) النجل الوحيد لميرزا أبو الفتح

ديباجة

كان من عزمي بفضل الله ومساعدته أن أخصص الصحائف الاولى من هذا التاريخ لذكر الروايات التي حصلت عليها فيما يخص النورين الأعظمين الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي وكان أملي بعد ذلك أن أحكي بالترتيب الزمني أهم الحوادث التي حصلت منذ سنة ٦٠ تلك السنة (١) التي أعلنت فيها دعوة الباب لغاية الوقت الحالي وهو سنة ١٣٠٥ هـ (٢) وذكرت بعض الحوادث بالتفصيل واقتنعت في البعض الآخر بذكر مختصر الوقائع ودونت وصف الحوادث التي شاهدتها بنفسي وكذلك التي سمعتها من ثقات الرجال ذاكراً اسمهم ومقامهم في كل حالة والذين أنا مدين لهم على الأخص هم المرزا احمد قزويني كاتب وحي الباب وسيد اسماعيل الذبيح والشيخ حسن الزنوزي والشيخ أبو تراب قزويني والأخير الذي لم يكن له آخراً هو مرزا موسى آقاي كليم أخ بهاء الله

وإني أشكر الله الذي مكنني من كتابة هذه الصحائف الأولى ومن تبريكها وتشريفها بموافقة بهاء الله الذي تنازل وتفضل بمراجعتها وحازت رضاه وقبوله بعد أن قرأها له كاتب وحيه آقا ميرزا جان وإني أطلب من القدير العون والهداية لئلا أغلط أو أخطأ في المهمة التي عزمت على إتمامها

عكا فلسطين ١٣٠٥ هجرية　　　　«محمد زرندی ٣»

(١) ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ ميلادية)

(٢) ١٨٨٧ — ١٨٨٨ ميلادية

(٣) ولقبه التام نبيلى أعظم



صورة الشيخ أحمد أحسائي

مطالع الأنوار

الفصل الاول

في ذكر رسالة الشيخ احمد الاحسائي

ظهر الشيخ أحمد الأحسائى (١) نجم الهداية اللامع فى أفق الشرق (٢) فى وقت كانت شمس الحقيقة الاسلامية مختفية من أثر الجهل والتعصب والفساد الذى وقعت فيه الفرق المتجادلة وقد لاحظ كيف أن رؤساء الدين الاسلامى مزّقوه شذر مذر وأضعفوا قوته وعكسوا مقاصده وحطوا من شأن اسمه المقدس فكانت روحه ممتلئة بالدهشة مما فشا بين فرق الشيعة من الفساد والغرور والشرور والجدال. وإذ اهتدى بالنور الذى كان يشرق فى باطنه (٣) قام بنظر ثاقب وقصد معين وانقطاع تام ليحتج على آثام هؤلاء القوم المخادعين وإذ كان واثقا بنبالة مقصده طلب بحماس من جميع أتباع الاسلام فى الشرق عا فيهم أهل الشيعة أن ينتبهوا من نوم غفلتهم ويهيئوا الطريق للذى سوف يظهر بينهم عند عام الأيام. والذى يقدر وحده بأنواره على محو ظلمات الجهل والعمى التى أحاطتهم فى دينهم وإذ ترك أهله وعشيرته وموطنه الواقع فى إحدى جزائر البحرين جنوب الخليج الفارسى استعد كما أمرته القدرة الآلهية أن يبين معضلات الآيات الاسلامية

(١) ولد فى رجب سنة ١١٦٦ هجرية (٢٤ ابريل — ٢٤ مايو سنة ١٧٥٣) فى بلدة الاحساء من اقليم الاحساء فى الشمال الشرقى من بلاد العرب (أنظر مقالة عن الشيخية المؤلف ا.ل.م نقولاس جزء أول صحيفة ١) وولد شيعيا ولو أن أجداده كانوا من أهل السنة (صحيفة ٢) وتبعاً للمستر إي. ج براون ولد الشيخ أحمد سنة ١١٥٧ هجرية وتوفى سنة ١٢٤٢ (أنظر مقالة سائح حاشية إي صحيفة ٢٣٥)

(٢) وكانت نسبته كما رواها نجله الشيخ عبدالله ما يأتى : الشيخ أحمد بن زين العابدين بن ابراهيم ابن صقر بن ابراهيم بن ظاهر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ بن صولح (كتاب مقالة على الشيخية صحيفة ١ جزء أول تأليف نقولاس)

(٣) كتب السيد كاظم فى كتابه دليل المتحيرين ما يأتى (إن مولانا رأى الامام الحسن عليه السلام ذات ليلة وضع لسانه المقدس فى فمه فمن ريقه المقدس ومعونة الله تعلم العلوم وكان في فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك. ولما استيقظ أصبح فى خاصته محاطا بأنوار معرفة الله طافحا بأفضاله منفصلا عن كل ما هو مغاير لله وزاد اعتقاده فى الله فى نفس الوقت الذى ظهر فيه استسلامه لارادة العلي. وبسبب ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التى استولت على قلبه نسى الاكل واللبس اللهم إلا ما يسد به حاجته الضرورية (ا. ل. م نقولاس مقالة علي الشيخية صحيفة ٦ جزء أول)

التى كانت تشير الى مجيء مظهر جديد وكان عالما حق العلم بالمصاعب التى تعترض طريقه والمسئولية الساحقة المهينة فأضاءت فى روحه شعلة الاعتقاد بانه لا يمكن لأي اصلاح مهما كان أن يأتى بنتيجة أو ثمرة فى إنهاض هذا الشعب من كبوته وأعلمته الارادة الالهية أنه لا يمكن إحياء ذلك الدين ولا إعادة طهارته الأولى إلا بأمر جديد كما تشهد بذلك نفس الكتب الاسلامية (١)

ولأنه كان خلواً من المتلكات ومنقطعا عن كل ما سوى الله قام فى أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة وله من العمر ٤٠ سنة وخصص ما بقى من حياته للمهمة التى رأى نفسه مضطراً للقيام بها وسافر الى نجف وكربلاء (٢) وهناك اطلع على أفكار وآراء ومشارب علماء الاسلام واشتهر بأنه من أقدر المفسرين للكتاب وأصبح من المجتهدين وحاز قصب السبق على جميع أقرانه الذين أقاموا فى تلك الجهات أو أتوا اليها للزيارة واعترفوا جميعهم له بمقدرته الفائقة على حل المعضلات الدينية والاطلاع على الأسرار الالهية وتأويل المتشابهات وإذ اتسعت دائرة نفوذه وازداد تأثيره وجد نفسه محاطا بعدد غفير من التلاميذ والباحثين الذين كانوا يسألونه عن أمور كثيرة تتعلق بدقايق الدين وكان قادرا على حلها جميعها وبهذه المعرفة وهذا الاقدام أوقع الرعب فى قلوب الصوفية والأفلاطونية الجدد وأشباههم (٣) ممن حسدوه على علمه وخشوا بأسه وبهذه الوسيلة زاد اعتبارا فى أعين علماء الدين الذين

(١) وكان الشيخ احمد يعلم بان الله اختاره ليعد قلوب الناس لقبول الحق الذي سوف يظهر عن قريب وأنه بواسطته يسهل فتح الطريق إلى المهدى الامام الثانى عشر المختفى ولم يكتب ذلك بلغة واضحة مفهومة لئلا يمزقه الاشرار (من كتاب اتحاد الأمم والاديان للدكتور جبنى صحيفة ١٥)

(٢) كربلاء تقع فى الجنوب الغربى من بغداد على بعد ٥٥ ميل عن شاطىء الفرات ويقع قبر الحسين فى وسطها وقبر أخيه العباس فى الربع الجنوبى الشرقى (أنظر تاريخ إيران لماركهام صحيفة ٤٨٦) أما نجف فيقدسها الشيعة لانها تحوى قبر الامام على .

(٣) إن أخص عقايد الشيخ احمد هي كما يأتى (ان جميع العلوم والمعارف موجودة في القرآن ولأجل فهم معانى بواطنه الكلية يقتضي معرفة العلوم ابتداء والاطلاع عليها ولأجل إيضاح هذه العقيدة كان يستعمل طرقا حرفية فى تفسير الكتاب واجتهد أن يطبق عليه جميع أنواع العلوم المعروفة فى العالم الاسلامى وكان يبدى احتراما زائدا للائمة وخاصة للامام جعفر الصادق وهو السادس فى ترتيب الائمة وكان دائم الاقتباس من أقواله وفيما يتعلق بأحوال الآخرة وقيام الاجساد كان اعتقاده معدودا من الهرطقة فقد قرر أن جسم الانسان مكون من أجزاء متباينة مستمدة من الطبائع الاربعة والاجسام التسعة السماوية وأما الجسم الذى يقوم فى يوم القيامة لا يتكون إلا من الاجزاء السماوية . وأما الطبائع الاربعة فانها تعود إلى أصلها بمجرد الوفاة . أما هذا الجسم الهرقولى فهو الذي يعود وبسبب هذه الآراء اعتبره باقى العلماء مبتدعا واتهموه بانه يوافق آراء الملا صدرا أكبر فيلسوف ايرانى فى الزمن الحديث (أنظر جريدة الجمعية الاسوية الملكية سنة ١٨٨٩ مقالة عدد ١٢ صحيفة ٨٩٠ — ٨٩١)

يعتبرون هذه الطوائف من الفرق الباطلة . وكان مع ذلك لا يعبأ بالتكريم الذي يسديه له المعجبون به رغما من اتساع دائرة علمه وشهرته واحترامه من الجميع وكان يتعجب من شدة تعلقهم بالرتب والمناصب ولم يقبل أن يشاركهم فى مقاصدهم .

وبعد أن أتم مهمته هناك وإذ استنشق طيب الرائحة التى هبت عليه من ايران أسرع إلى تلك المملكة وأخفى عن أصحابه الحامل الحقيقى الذى جعله يرحل إلى تلك البلاد فمن طريق الخليج الفارسى أسرع إلى أرض محبوب قلبه متظاهراً أنه يقصد زيارة ضريح الأمام الرضا فى مشهد (١) ولما وصل إلى شيراز تلك البلدة التى ستر فيها الكنز الألهى والتى سيرتفع صوت المنادى فيها بالأمر الجديد ذهب إلى مسجد الجمعة الذى هو مشابه فى هيئته وشكله للكعبة المقدسة وكان يقول وهو ينظر إلى هذا البناء (حقا إن لبيت الله علامات لا يعلمها إلا أولوا الابصار وإني أعتقد بأن الذى بناه موحى اليه به من الله (٢)) وكم كان يمتدح هذه المدينة بشغف وبدرجة أدهشت سامعيه الذين كانوا معتادين على رؤيتها ولكنه كان يقول لهم (لا تدهشوا لأنكم سوف ينكشف لكم سر كلامى عن قريب وإن منكم من يعيش ليرى جلال ذلك اليوم الذي اشتاق الانبياء قديما لرؤيته) ولجلالة قدر الشيخ فى أعين العلماء لم ينسبوا عدم فهمهم لكلماته إلا لقصور فى إدراكهم لأسرار إشاراته .

ولما تم له ما أراد من بذر بذور المعرفة الالهية فى قلوب الذين أوجد فيهم الاستعداد لقبول ندائه رحل إلى يزد ومكث فيها مدة وأخذ ينشر الحقائق التى رأى ضرورة الافصاح عنها ، وفى تلك البلدة كتب (٣) معظم كتبه ورسائله وكان صيته وشهرته (٤) قد

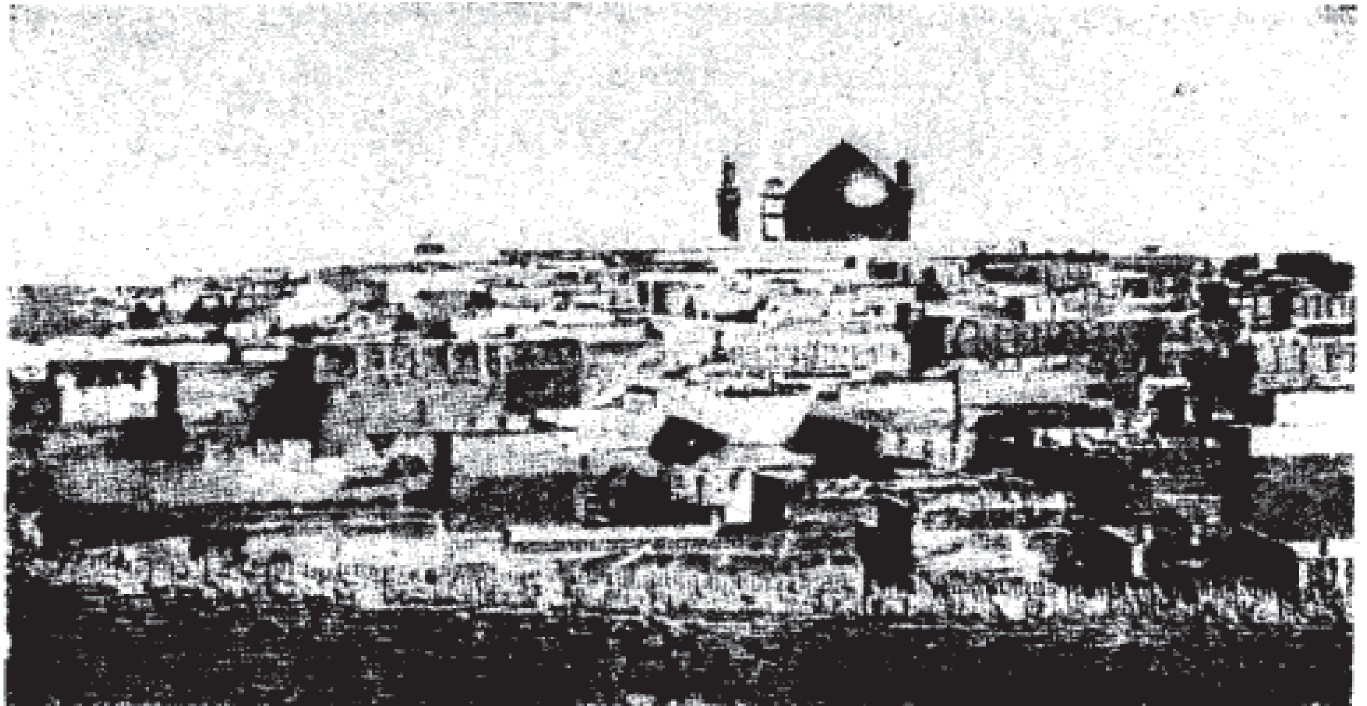
(١) فى القرن التاسع الميلادى دفنت رفات الامام الرضا بن الامام موسى وثامن الأئمة الاثنى عشر فى مشهد

(٢) وفى أرض الفاء (فارس) يوجد مسجد قد شيد فى وسطه بناء شبيه بالكعبة (مسجد الجمعة) ولم يبن ذلك البناء إلا علامة قبل ظهور الامر من الله ببناء البيت فى هذه الارض (إشارة إلى منزل الباب فى شيراز) طوبى لمن يعبد الله فى تلك الأرض وإنا قد عبدناه هناك ودعونا الله لمن شيد هذا البناء (من كتاب البيان الفارسى الجزء الثانى صحيفة ١٥١ ترجمة فرنساوى)

(٣) عدد نقولاس فى كتاب مقالة على الشيخية فى الفصل الخامس نحوا من ٩٦ كتاب مما كتبه الشيخ أحمد ومن بينها ذكر أشهرها كما يأتى : ١ — شرح الزيارة على الجامعة الكبيرة للشيخ هادى ٢ شرح آية قل هو الله أحد — ٣ الرسالة الخاقانية جواب فتح على شاه على سؤاله بخصوص امتياز القائم على أسلافه — ٤ رسالة فى الاحلام — ٥ جواب الشيخ موسى البحرين بخصوص دعوى صاحب الزمان — ٦ جواب الصوفية — ٧ جواب الملامهدى الاسترابادى فى معرفة النفس — ٨ فى نعيم وجحيم الحياة الأخرى — ٩ جواب الملا على اكبر فى أحسن الوسائل للوصول لله — ١٠ فى القيامة

(٤) وكان لنبأ وصوله رنة بين العلماء وخاصة أكابرهم الذين قابلوه بكل احترام والتفوا حوله وقلدهم فى ذلك سكان المدينة وجاء جميع العلماء لمقابلته وكانوا يعتقدون أنه أشهر عالم بين أكابر العلماء (من كتاب مقالة فى الشيخية لنقولاس صحيفة ١٨)

وصلنا إلى درجة أن سلطان إيران فتح على شاه أرسل له خطابا بخط يده (١) من طهران طلب منه فيه شرح بعض التعاليم الدينية التي لم يقدر العلماء على بيانها فأجابه حالا برسالة تسمى بالرسالة السلطانية وسرّ الشاه من عباراتها وما حوته من المعارف لدرجة أنه دعاه بخطاب آخر لزيارة تخت المملكة فأجابه (بأني منذ سافرت من نجف وكربلاء كنت وطدت العزم على زيارة ضريح الامام الرضا في مشهد ولذلك أتعشم أن جلالة الملك لا يمنعني عن البر بذلك القسم ثم بعد ذلك إن شاء الله أتعشم أن أقوم بالشرف الذي أسداه إليّ جلالته)



منظر عام لمدينة النجف

ومن بين الذين انتبهوا لفحوى الدعوة التي قام بها ذلك المطلع الآلهي في مدينة يزد الحاجي عبدالوهاب وهو رجل ذو تقوى كبيرة ومستقيم ويخاف الله وكان يزور الشيخ أحمد كل يوم بصحبة من يدعي عبدالخالق يزدي الذي كان مشهوراً بنفوذه وعلمه. وفي كثير من الاحيان كان يريد الشيخ أحمد أن يحادث عبدالوهاب سرا فكان يطلب من عبدالخالق أن يتركه على انفراد مع تلميذه المحبوب وكان هذا التفضل المشهود لرجل أمي مثل عبدالوهاب سببا لدهشة

(١) ويقول نقولاس في كتاب مقالة في الشيخية (صحيفة ١٩ — ٢٠) بان الشاه أرسل له خطابا آخر قال له فيه (إنه يعلم أنه من الواجب عليه الذهاب الى يزد لمقابلة العلامة الشهير والرجل القدسي الذي تبركت بأقدامه البلاد التي وطئها إلا أنه لأسباب سياسية خطيرة لا يقدر في الوقت الحالي على مفارقة تخت المملكة وخاصة أنه لو سافر منها يكون مضطرا لاستصحاب عشرة آلاف من الرجال والاتباع وتضيق بهم مدينة يزد الصغيرة وقال انه لذلك يرجو أن يتنازل الشيخ لزيارته وزاد على ذلك بقوله (مع علمي الاكيد بحقارتي أمامك)

زميله الذى كان يظن نفسه أقدر وأعلم منه . وكان بعد رحيل الشيخ أحمد من يزد أن اعتكف عبد الوهاب وأعتزل الناس فظنوه قد زهد وتصوف. فقام عليه الرؤساء كنعمة الله والذهبي وأتهموه بأنه دخيل و يريد أن يسلبهم سلطتهم وأما عبد الوهاب الذى لم يكن منجذبا من طريقة التصوف فلم يكن له كبير اعتناء بادعاآتهم وأحتقر اتهامهم وأمتنع عن صحبتهم ولم يكن له من الاصحاب سوى الحاجي حسن نائنى الذى انتخبه كصديق حميم وأطلعه على السر الذى أدلى به اليه سيده . فلما قضى نحب عبد الوهاب استمر ذلك الصاحب فى السبيل الذى أرشده اليه وكان يبشر كل شخص مستعد ببشارة قرب ظهور دين الله .

وقابلت فى كاشان ميرزا محمود القمصري الذى كان رجلا مسنا ويبلغ التسعين من عمره ومحبوباً ممن يعرفونه وأخبرنى بالرواية الآتية (أتذكر انى كنت أسمع وأنا صغير وقاطن فى كاشان أن رجلا فى بلدة نائين كان يبشر الناس بقرب الظهور وكل من يسمعه سواء من العلماء أو الموظفين أو العوام كان يزهد فى الدنيا ويحتقرها وإذ كنت أريد التحقق من صدق ذلك سافرت إلى نائين بدون اطلاع اخوانى وهناك تحققت من الرواية التى سمعتها عنه . وكانت طلاقة وجهه تنطق عن النور الذى اشتعل فى روحه وسمعته ذات مرة يقول بعد أن أدى صلاة الصبح (عن قريب سوف تتبدل الارض بالجنة وستكون بلاد إيران كعبة القصاد من جميع أمم العالم ويطوفون حولها وفى إحدى الايام رأيته لفرط دهشتى فى الفجر ساجداً يردد باخلاص كلمة (الله أكبر) كثيراً ثم التفت إلىّ وقال (إن الذى كنت أبلغك عنه قد ظهر ففى هذه الساعة انبثق نور الموعود وهو يضيء العالم بأنواره . يامحمود الحق أقول لك أنك سوف ترى وتشاهد بعينك يوم الأيام) فبقيت تلك الكلمات التى خاطبنى بها ذلك الرجل المقدس تدوى فى أذنى إلى أن جاء اليوم الموعود فى سنة الستين فكان لى الشرف أن استمع للنداء الذى ظهر من شيراز وكنت ويا للأسف بسبب مرضي غير قادر على الذهاب إلى تلك المدينة وفيما بعد عندما زار الباب صاحب الظهور مدينة كاشان ونزل ضيفا ثلاثة ليال فى منزل الحاجى ميرزا جانى لم أكن أعلم بزيارته وبذلك منعت من شرف المثول بين يديه وفيما بعد بينما كنت أتحادث مع أصحاب الأمر علمت بتاريخ ميلاد الباب أنه يقع فى أول المحرم سنة ١٢٣٥ هـ ووجدت أن ذلك التاريخ لم يكن مطابقاً للتاريخ الذى تكلم عنه الحاجى حسن النائنى بل كان هناك فرق بمقدار سنتين بين التاريخين فأزعجنى ذلك الأمر وحيرني ولكن بعد ذلك بعدة قابلت حاجى ميرزا كمال الدين النارقى الذى أخبرنى بظهور بهاء الله فى بغداد وقص على بعضاً من القصيدة الورقائية وبعض قطع من الكلمات المكنونة الفارسية والعربية





فتح علی شاه واولاده

فحركت أعماق روحي تلاوة هذه الكلمات القدسية وتذكرت منها ما يأتي (يا ابن الوجود فؤادك منزلي قدسه لنزولي وروحك منظري طهره لظهوري — يابن الأرض إذا أردتني لا تطلب سواي ولو تنظر الى جمالي فاغمض عينيك عن العالمين لأن إرادتي وإرادة غيري كالماء والنار لا يسكنان في قلب واحد) فسألت عن تاريخ ميلاد بهاء الله فعلمت أنه سنة ١٢٣٣ هجرية في فجر اليوم الثاني من المحرم (١) فتذكرت إذ ذاك كلام الحاجي حسن النائيني وفي اليوم الذي ذكرني فيه سجدت لله قائلا (سبحانك اللهم يا إلهي أحمدك على ما أعلمتني بيومك الموعود فاذا دعوتني اليك الآن فاني أموت راضيا مطمئنا) وفعلا توفى في تلك السنة وهي سنة ١٢٧٤ هـ (٢) وصعدت الى الله روحه الطيبة

وهذه الرواية التي سمعتها من فم ميرزا محمود القمصري والتي هي متداولة بين الناس تشهد بعرفان الشيخ الاحسائي وبتأثيره البليغ على تلامذته المباشرين فقد تم الوعد الذي أخبرهم به وانكشف السر الذي أشعل قلوبهم به بكل بهائه ومجده .

وفي تلك الأيام التي كان الشيخ الاحسائي يستعد فيها للرحيل من يزد تحرك السيد كاظم الرشتي (٣) ذلك النور والعلم الالهي الآخر من بلدته جيلان لزيارة الشيخ احمد قبل رحلته الأخيرة للحج في خراسان وفي أول مقابلة له خاطبه الشيخ قائلا (مرحباً ياحبيبي كم كنت أشتاق اليك وأنتظرك لتخلصني من غرور هؤلاء الجهلاء واني لمرتبك من عدم مبالاتهم وقلة خجلهم من أعمالهم وفسوقهم « انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا »

وكان السيد كاظم تظهر عليه من صغره علائم النجابة والقوة الروحية فكان فريداً بين معاصريه والدين في رتبته وفي سن الحادي عشر حفظ القرآن كله غيبا ولما بلغ الاربعة عشر عاماً حفظ كثيراً من الاحاديث الاسلامية والصلوات والمناجاة وفي الثامنة عشرة من عمره كتب تفسيراً على آية الكرسي أدهش الكثيرين من أعظم علماء عصره وكانت تقواه وكمال أخلاقه وتواضعه بدرجة يتأثر منها كل من يعرفه من الصغير والكبير

(١) يوافق ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ ميلادية

(٢) يوافق ١٨٥٧ — ١٨٥٨ ميلادية

(٣) وكان السيد كاظم من أسرة مشهورة بالتجارة واسم والده آقا سيد قاسم ولما بلغ من السن أثنى عشرة سنة كان يقطن في اردبيل قريبا من قبر الشيخ صفي الدين اسحق من أولاد الامام موسي الكاظم سابع الأئمة وجد الملوك الصفوية وفي ذات ليلة رأي أحد أسلاف الشيخ يأمره بان يكون تحت أمر الشيخ الاحسائي الذي كان مقيما إذ ذاك في يزد فسافر بناء على هذا الامر الى هناك واندمج ضمن تلاميذ الشيخ احمد ونبغ في تعاليمه لدرجة انه اعترف له بالاجماع عند وفاة الشيخ بانه هو الرئيس للشيخية (من كتاب تاريخ مقالة سائح حاشية نمرة إي صحيفة ٢٣٨)

وفى سنة١٢٢١ هجرية (١) لما بلغ من العمر اثنين وعشرين عاما فقط ترك الأهل والخلان وسافر من جيلان ليتشرف بلقاء من قام لاعلان قرب الظهور الالهى ولم يمكث معه سوى بضعة أسابيع حتى واجهه الشيخ بهذه الكلمات « إلزم بيتك ولا تحضر مجلسى والذين يريدون من تلاميذى وأصحابى أن يتحروا مسألة قد تحيروا فيها يذهبون اليك ويتعلمونها منك فانك بفضل الله وموهبته التى منحها لك ستحل لهم المشكلات بما يطمئن قلوبهم وستحيي بقوة بيانك دين جدك محمد الذى أهمله الناس » وكانت هذه الكلمات التى خاطبه بها السيد كاظم قد أشعلت نار الحسد فى صدور تلاميذ الشيخ أحمد وأهاجت شجونهم ومن بينهم ملا محمد المامقانى والملا عبد الخالق اليزدى وكان تكريم الشيخ للسيد كاظم واضحاً لدرجة أن هؤلاء التلاميذ اضطروا للخضوع خصوصا لما شاهدوه من اتساع علمه وحكمته .



صورة ميرزا بزرك والد بهاء الله

(١) يوافق ١٨١٥ — ١٨١٦ ميلادية

وبعد أن سلم الشيخ أحمد تلاميذه لحراسة السيد كاظم ، ارتحل إلى خراسان وهناك استراح مدة فى الجهات المجاورة لضريح الامام الرضا فى مشهد وابتدأ فى ذلك الاقليم أيضا بنشر تعاليمه وواصل أعماله هناك بحماس زائد . فكان يحل معضلات الأمور لعقول الباحثين ويهيء الطريق لمجيء المظهر وفى تلك المدينة ازداد شعوره بقرب مجيء اليوم الذى يولد فيه الموعود وبأن الساعة الموعودة كانت تقترب بسرعة ومن ناحية بلدة النور إقليم مازندران كان يشاهد علائم تشعشع أنوار الجمال مما كان ينادى بقرب انبثاق فجر ظهور الموعود كما أشارت إليه النبوات فى الأحاديث (سترون ربكم كما ترون القمر ليلة أربعة عشر وستنكرونه) وكذلك (إن من اشراط الساعة أن تلد الأمة ربها)

فولى الشيخ أحمد وجهه شطر إقليم النور وسافر فعلا إلى طهران ومعه السيد كاظم وبعض التلاميذ ولما علم شاه ايران بقرب مجيء الشيخ أحمد إلى العاصمة أمر جميع الأعيان والموظفين فى طهران بالخروج لاستقباله وأن يرحبوا به غاية الترحيب . وأضافه الشاه مع أصحابه ضيافة ملكية وزاره الشاه بنفسه ووصفه بأنه فخر أمته وزينة رعيته(١) وفى تلك الأيام ولد مولود من عائلة نور(٢) الشريفة وكان والده ميرزا عباس المعروف بميرزا بزرك وزير مشهور فى إيران وكان المولود هو بهاء الله(٣) فى ساعة الفجر فى اليوم الثانى من المحرم سنة ١٢٣٣ هجرية (٤) وهى الساعة التى لم يشعر العالم بأهميتها ولدمن قدر له أن يهب العالم نعما لا تحصى وكان الشيخ أحمد مطلعا على ذلك وأراد أن يمضى بقية أيامه فى موطن هذا المولود الالهى ولكنه لم يرو غلته ولا شفا ظمأه . واضطر أن يستسلم لأمر الله ويغادر مدينة محبوبه وسار إلى كرمانشاه .

وكان البرنس محمد على ميرزا أكبر أنجال الشاه حاكم كرمانشاه وأقدر عضو فى

(١) وكان الشاه يشعر بزيادة احترام وتقدير الشيخ ويعتقد أن من الفرض عليه طاعته وأن مخالفته كفر وحصلت فى تلك الايام جملة زلازل فى الري وسقطت جملة منازل ورأى الشاه فى الرؤيا من قال له لولا وجود الشيخ أحمد لكانت المدينة قلبت رأساً على عقب وقتل جميع السكان . فانتبه مرعوبا وزاد اعتقاده فى الشيخ (من كتاب مقالة فى الشيخية لنقولاس جزء أول صحيفة ٢١)

(٢) يقول ميرزا أبو الفضل فى كتاباته أن نسبة بهاء الله يمكن تسلسلها الى أنبياء ايران القدماء كما الى الملوك الذين حكموا تلك البلاد قبل احتلال العرب

(٣) واسمه ميرزا حسين على

(٤) يوافق ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ ميلادية

أسرته استأذن جلالة الملك أن يمكنه من القيام بشخصه على خدمة الشيخ أحمد(١) ولما كان البرنس محبوبا من الملك أذن له فى ذلك ، وودع الشيخ أحمد طهران مفوضا أمره إلى ما قدر له وقبل مفارقته لتلك المدينة دعا الله بمناجاة أن يحفظ هذا المولود الجديد ويبارك هذا الكنز الربانى وأن يعترف مواطنوه ببهائه وبركته اعترافا كليا وأن يعلنوا تفوق أمره لسائر الامم والاقوام .

ولما وصل الشيخ أحمد إلى كرمانشاه عزم أن ينتخب جماعة من أخلص مريديه ووجه اهتمامه اليهم وأمرهم أن يكونوا على أهبة الاستعداد لنصرة الامر الجديد الموعود. وفى سلسلة كتبه ورسائله التى حرّرها وخاصة فى كتابه المعروف بشرح الزيارة عدّد مناقب الائمة بلغة عالية ممتازة وجعل جل اهتمامه الاشارة الواردة فى أقوالهم بالنسبة لظهور الموعود . وكان يكرر كلمة (الحسين) مشيراً بذلك إلى الحسين الموعود وكذلك كان يشير إلى (علىّ) ولم يكن مقصوده الذبيح بل الذى ولد حديثا . وكان يشير فى أجوبته على الاسئلة الخاصة بعلامات ظهور القائم الموعود إلى ضرورة قرب ظهوره . وفى السنة التى ولد فيها الباب توفى ابن الشيخ المسمى بعلىّ . فكان يقول لتلاميذه الذين تأسفوا على وفاته (لا تحزنوا لأنى قدمت ابنى علىّ فداء للعلىّ الذى تنتظرونه جميعا وانى ربيته وأعددته لذلك) .

وكان الباب المدعو علىّ محمد قد ولد فى شيراز فى أول المحرم سنة ١٢٣٥ هجرية من بيت مشهور بالشرف والعترة النبوية ومن سلالة الرسول وكان والده السيد محمد رضا من ذريّة الرسول كما كانت والدته أيضا ومن العائلات العريقة فى النسب وطابق تاريخ ولادته الحديث المروى عن الامام على أمير المؤمنين حيث قال (أنا أصغر من ربى بسنتين) وبقى سرّ هذا الحديث مستوراً إلا للذين بحثوا وعرفوا حقيقة هذه الرسالة الجديدة . وقال الباب فى أول كتبه وأعظمها عن بهاء الله (يابقية الله قد فديت بكلى لك ورضيت السب فى سبيلك وما تمنيت إلا القتل فى محبتك وكفى بالله العلى الحافظ القديم شهيداً)

وبينما كان الشيخ أحمد يجول فى كرمانشاه أظهر له البرنس محمد على ميرزا علائم الخضوع التام حتى انه فى ذات يوم أشار الى البرنس قائلا عنه (انى أعتبر محمد على إبنى

(١) وكانت كرمانشاه تنتظره بفروغ صبر وكان البرنس محمد على حاكمها قد أخرج المدينة بأسرها لملاقاته وشيد خياما لاستقباله فى شاه كيلان ومشى البرنس أمامه لغاية تاج عباد التى تبعد ٤ فراسخ عن المدينه (من مقال فى الشيخية لنقولاس جزء أول صحيفه ٣٠)

ولو أنه من نسل فتح على) وكان كثير من الطلاب والتلاميذ يحضرون منزله ودرسه فلم يكن يعر اهتماما خاصا لاحد من اتباعه سوى السيد كاظم وتبين أنه أفرده من بين الجماهير الذين التفوا حوله واعده بكل قوته لاتمام عمله بعد وفاته . وسأله يوما أحد التلاميذ عن الكلمة التى يتفوه بها الموعود فى وقته وهى التى يفر منها نقباء الأرض والثلثماية وثلاثة عشر رئيس فى الأرض وهى التى يمتاثون منها رعبا لعدم قدرتهم على تحملها فأجابه الشيخ قائلا كيف تقدر على تحمل كلمة لا يقدر على تحملها نقباء الأرض فلا تطمع فى المحال ولا تعد تطلبه ولا تسألنى هذا السؤال واطلب من الله المغفرة . ولكن السائل المغرور أصر على السؤال ملحا فى طلب معنى تلك الكلمة فاجابه أخيرا الشيخ أحمد بقوله (لوفرض وبلغت ذلك اليوم وقيل لك فيه اترك ولاية علىّ وانكر صحتها فماذا عسى أن يكون جوابك ؟) فصاح ذلك التلميذ (لاقدّر الله ذلك فلا يمكن أن يحصل هذا ابداً فلا يعقل أن تصدر مثل هذه الكلمات من لسان الموعود) وبهذه العبارة امتحن التلميذ وخفّت موازين إيمانه وظهر نقصها لأنه لم يعلم أن الذى يظهر قد وهب له من السلطة مالا يمكن لأى انسان أن يعارضه أو يناقشه فيها لأنه مظهر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والذى يتردد أو يجادل فى ذلك أقل من آن إنه محروم من فضله ومحسوب من الغافلين ومع ذلك لم يلتفت أحد فى تلك المدينة من تلاميذ الشيخ أحمد إلى المعنى المقصود من قوله ولا انكشفت أسراره إلا للقليل منهم .

وبعد وفاة البرنس محمد على ميرزا نقل (١) الشيخ أحمد مسكنه إلى كربلاء حيث تخلص من رجاء البرنس أن يطيل مدة إقامته فى كرمانشاه ومع إنه بحسب الظاهر كان يدور حول ضريح سيد الشهداء الامام الحسين إلا أن قلبه كان وهو يقوم باداء فرائض الزيارة يدور حول حسينه الحقيق الذى كان مقصود فؤاده فى دعواته وقد حضر جمهور غفير من العلماء لملاقاته وأخذ الكثيرون يحسدونه على شهرته وأراد العديدون النيل من سلطته ولكنهم أخفقوا فى سعيهم للحطّ من مقامه بين علماء تلك المدينة واخيراً دعى ذلك النور المضىء لارسال أشعته على مدينتى مكة والمدينة فسافر اليهما وهناك تابع باخلاص تام أعماله وجعل مضجعه الاخير بجوار قبر النبى الذى اتعب حياته فى نشر تعاليمه وبيان حقيقة دينه .

(١) سنة ١٢٣٧ هـ

وقبل مبارحته كربلاء أوصى السيد كاظم خليفته وزوده بسر رسالته (١) وطلب اليه أن يبذل الجهد فى إشعال قلب كل باحث بما يجمل باطنه متوقدا ورفض أن يأذن له فى مرافقته إلى نجف كما كان السيد كاظم يلح به وكانت كلماته الختامية له وهو يودعه (لا تضيع الوقت بل اغتنم كل ساعة تمر واشدد أزر الهمة واجتهد ليل نهار فى أن تزيل بعون الله ومحبته وقدرته تلك الحجب والغشاوة التى أعمت الناس فالحق أقول لك إن الساعة قريبة تلك التى طلبت من الله أن ينجينى من مشاهدتها لأن زلزلة الساعة شيء عظيم فاسأل الله أن ينجيك من محنة وهول ذلك اليوم لأننا كلانا لا نقدر أن نتحمل قوتها الخارقة وسيحمل ثقلها غيرنا ممن هم أشد بأسا وقوة رجال قلوبهم مقدسة عن أهواء هذا العالم وقوتهم مستمدة من قوة الله القدير)

ولما أتم الشيخ هذه العبارة ودعه وشجعه على أن يقابل المصاعب والامتحانات التى ستأتيه ووكله إلى حفظ الله . وفى كربلاء اجتهد السيد كاظم فى نشر وإكمال تعاليم الشيخ أحمد ودافع عن أمره وأجاب على كل سؤال مما حير عقول أتباعه وزاد فى حسد معارضيه الجهلاء الذين كانوا يصيحون فى وجهه قائلين (اننا تحملنا تعاليم الشيخ الادعائية مدة أربعين سنة بدون أى معارضة من جانبنا والآن يدعي السيد مثل ادعائه فلا يمكننا والحالة هذه تحملها أو السماح بنشرها فهو لا يعتقد فى قيامة الجسد وينكر المعراج الجسمانى ويعتبر علامات اليوم الاخير انها استعارية وجميع ذلك مخالف لقواعد الاسلام الصحيحة فآراؤه التى يقوم على نشرها بدعة مضلة) ولكن السيد لم يعبأ بصيحاتهم واستمر فى مجهوده وكلما زاد صخبهم كلما زاد ثباتا عملا بالوصية وأخيرا أرسل خطابا إلى الشيخ يعلمه فيه بالمصاعب التى حلت عليه والتهم التى وجهت ضده ويسأله فيه عن مقدار الزمن والوقت الذى يستطيع فيه أن يتحمل جهل وتعصب هؤلاء القوم المتمردين وعن الوقت والميعاد الذى يظهر فيه الموعود حتى يتخلص من مجابهتهم فاجابه الشيخ بقوله (ثق بفضل الله ولا تحزن من أعمالهم فسيظهر الله سر هذا الأمر وينكشف الغطاء عن مكنون الرسالة ولا أزيدك شيئا

(١) ذكر نقولاس فى مقدمته على كتاب رسالة فى الشيخية : اقتبس الآتى من الأقوال التى تنسب للشيخ احمد مما قاله للسيد الرشتي (لايوجد سوى السيد كاظم الرشتي الذى يعرف مقصدى ولا يقدر أن يفهمه أحد خلافه فاطلبوا علومى من السيد كاظم الرشتى فقد تلقاها منى مباشرة وهى التى تلقيتها من الأئمة الذين تلقوها من رسول الله . فهو وحده الذى يعرف مغزى كلامى)

على هذا ولا أعين لك (١) زمناً معيناً وستعلمون نبأه بعد حين (٢) ولا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) .

فما أعظم وما أسمى الأمر الذى كتبت بسببه مثل هذه الكلمات إلى شخص عظيم مثل السيّد كاظم وكان جواب الشيخ أحمد مما طمّن خاطر السيّد وقوّاه على متابعة عمله بمضاعفة المجهود الأول مستمراً على مقاومة هجمات العدوّ الحسود الماكر .

وتوفى الشيخ أحمد سنة ١٢٤٢ هجرية وكان عمره ٨١ سنة (٣) ووضع جسده فى مقبرة الباقى (٤) فى المدينة المنورة وراء حائط مرقد الرسول .

(١) أشار الباب نفسه الى هذه الفقرة فى الدلائل السبعه وأيدها بقوله (وهــذا معروف من أقوال الشيخ احمد الاحسائى وتوجد دلائل لا تحصى خاصة بهذا الظهور فمثلا كتب بيده للسيد كاظم الرشتي قائلا « كما أنه ينبغى لبناء المنزل وجود الارض كذلك يلزم لهذا المظهر من قيام الوقت ولــكن الآن لا يمكن الاجابة عن تحديد هذه الساعه ومع ذلك فهى معلومة على وجه اليقين » فــكل هذا الذي سمعتــه بنفسك مراراً من السيد كاظم ألم يكن واضحــا ؟ ألم يكرر قوله (ألا ترضون أن أذهب ويظهر لــكم الله) اه من كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة ٥٨ وفيه أيضا الحــكاية الآتيه الخاصه بالشيخ احمد فى طريقه الى مكة فان بعضا من تلامذته رووا انهم سمعوا بان الملا عبد الخالق ومرتضى قلي قالا ان الشيخ أخبرهما يوما قائلا (صلوا حتى لا توجدوا فى يوم الظهور والرجعــة لانه سوف توجد حروب أهليــه كثيرة وإذا عاش أحدكم ليرى هذا الوقت يشاهد أموراً عجيبة بين سنى ٦٠ ، و ٦٧ وأعجب الكل نفس المظهر فسوف تشاهدوا أمراً عجيبا لان الله اذا أراد نصرة هذا المظهر يظهر هيكلا يتكلم عن نفسه وبدون أن يتعلم من أحد (صحيفه ٥٩ و ٦٠)

(٢) بحسب حساب ابجد كلمة حين تساوى من العدد ٦٨ وفيها أظهر بهاء الله أمره كما يعلم من القصائد التى كتبها سنة ١٢٦٨ هـ

(٣) وتوفى فى مكان يدعى الحدّة بجوار المدينة (أنظر مقالة فى الشيخية صحيفه ٦٠ جزء أول)

(٤) ونقل جسده الى المدينة ودفن فى مقبرة الباقى خلف حائط القبة النبوية الى جهة الجنوب تحت ميزاب المحراب ويقال ان هناك أيضا قبر فاطمة أمام بيت الحزن (صحيفة ٦٠ — ٦١ من مقالة فى الشيخية) وقد أعقب وفاة الشيخ احمد لمدة بضعة أيام هدوء ويظهر ان الاهواء قد سكنت وذلك فى وقت أصيب فيه الاسلام بنكبة وتضعضعت قوته لان امبراطور الروسيا أخضع أمما اسلامية وأغلب البلاد المأهولة بالمسلمين وقعت فريسة لجيش موسكو (أنظر الجزء الثانى من كتاب مقالة على الشيخية صحيفة ٥) وكان قد ظن انه بوفاة الشيخ احمد تنقرض تعاليمه وتتلاشى ومر سنتان ساد فيهما الهــدوء الا أنه لم تمض تلك المدة الا ورؤى أن تعاليمه قد أشرقت على العالم مرة أخرى بواسطة السيد كاظم الرشتي أقدر تلاميــذه (صحيفة ٥ — ٦)

الفصل الثاني

في ذكر رسالة السيد كاظم الرشتي

إن اخبار وفاة الشيخ أحمد قد أحزنت قلب السيد كاظم وامتلأ منها أسى ولكنه قام لاتمام عمله الذي أوصاه به رغما عن معارضة الأعداء وتشجع بالآية الكريمة (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) وقد وجد نفسه من بعد ذلك المربي الممتاز فريسة لعداوة كثير من الناس حوله ممن تنطق ألسنتهم بفحش القول ولا يأنفون من التهكم عليه والاستهزاء بتعاليمه وتوهين كرامته وقد اجتمع جميع أعداء السيد كاظم معا باشارة من رئيس شيعي شهير مقتدر يدعى سيد ابراهيم قزويني وأخذوا فى عمل تدبير لاهلاكه ولذلك فكر السيد كاظم فى الحصول على مساعدة أحد أعاظم رجال الدين فى إيران من الرؤساء البارزين وهو الحاج سيد محمد باقر الرشتي الذي كان مقيما فى اصفهان والذي كانت تمتد سلطته خارج حدود تلك المدينة وفكر السيد كاظم فى أنه يمكن أن يعتمد عليه لسبق معرفته به وصحبته معه وعطفه عليه وأن يواصل مجهوداته فى اعلاء أمره بين تلاميذه فكان دائما يشير اليهم قائلا (هل فيكم من يقدر أن يسافر إلى اصفهان منقطعاً عن كل شيء ويوصل هذه الرسالة مني لهذا السيد العلامة ويقول له (لماذا أظهرت فى مبدأ الأمر احتراما ومحبة للشيخ أحمد وتعاليمه والآن فجأة تركت أتباعه وانفصلت عنهم ولماذا تركتهم تحت رحمة أعدائهم . ولعل هذا الرسول يقوم متوكلا على الله ويفسر له كل ما أشكل على عقله ويزيل جميع الشكوك التي أوجبت ابتعاده ثم يأخذ منه إقراراً بصحة تعاليم الشيخية ووجاهتها وشهادة منه بعلو شأن الشيخ أحمد فاذا أجاب إلى ذلك يذهب أيضاً إلى مشهد وهناك يقابل ميرزا عسكري أكبر عالم فى تلك المدينة المقدسة وبعد اتمامه لهذه المأمورية يعود ظافراً إلى هذا المكان) وكان السيد يكرر هذا الطلب كلما حانت الفرصة. فلم يرض أحد بتحمل هذه المشاق سوى ميرزا محيط كرماني الذي أظهر استعداده للقيام بهذه المأمورية فأجابه السيد كاظم قائلا (احذر أن تمس ذيل الأسد فلا تقلل من شأن مثل هذه المهمة) ثم التفت إلى تلميذه

الملا حسين بشروئي المدعو باب الباب (١) وخاطبه قائلا : (قم أنت وأتم هذه المأمورية لأني أعتبرك كفأ لها وسوف يساعدك القدير عليها ويكلل أعمالك بالنجاح) .

فوثب الملا حسين بكل فرح وقبل طرف رداء سيده وابتسم له بالطاعة وقام توا لرحلته وبانقطاع تام وعزم شريف اضطلع بأعباء هذه المأمورية واذ وصل الى إصفهان طلب فى الحال الحضور أمام السيد ومع أنه كان مرتديا لباسا حقيرا وعليه غبار السفر ظهر فى وسط التلاميذ الذين كانوا جميعهم فى أكمل حلة كأنه شخص حقير وبدون أن يشعر بقدومه أحدا وبغير خوف تخطى الصفوف حتى وصل الى مقعد مواجه للسيد وبكل شجاعة واقدام وثقة مما كان ينفثها فى روعه السيد كاظم قام وخاطب الحاج سيد محمد باقر بهذه الكلمات (اسمع كلامى أيها السيد لان باجابتها تنصر دين رسول الله وبرفضها تسبب أضراراً بليغة له) واستمر فى الكلام على هذا المنوال بكل جسارة وقوة مما أوجب الدهشة عند السيد فقطع درسه فجأة ولم يعبأ بالتلاميذ الحاضرين واستمع بالتفات إلى الرسالة التى جاء بها هذا الزائر الغريب ولكن تلاميذ السيد الذين دهشوا من جسارة هذا الدخيل سفهوا ادعاآته وأخذوا يزجرونه فأشار الملا حسين فى أدب كبير الى جفائهم وسخافتهم وأظهر دهشته من صلفهم وغرورهم . وسر السيد من براعة هذا الزائر وللدلالة على عدم موافقته على غلظة التلاميذ أظهر سروره من مقدم هذا الشاب وأكرمه وطلب منه إبداء رسالته فعرفه الملا حسين بالمأمورية التى عهد بها اليه فأجابه (إنا كنا فى أول الأمر نعتقد أن تعاليم الشيخ احمد والسيد كاظم مما تقدم الدين وان لا غرض لهما إلا مصلحته ولكنا لاحظنا أخيرا وجود متناقضات واشارات خفية فى كلامهما ففضلنا أن نلتزم السكوت ردحا من الزمن وأن نمتنع عن المدح أو القدح فيها . فاجاب الملا حسين (إنى آسف على سكوتك هذا لأني أعلم أن فى ذلك ضياعا للفرصة الثمينة لاعلاء كلمة الحق فعليك أن تظهر ما أشرت اليه من وجود تناقض فى كلامهما وأنا أفسر لك معناه بمعونة الله تعالى) .

وكانت مهابة هذا الرسول المفاجىء ووقاره وثقته قد ادهشت الحاج السيد محمد باقر الذى رجاه فى أن لا يستعجل الموضوع فى الوقت الحالى وأن يرجئه إلى وقت يكونان

(١) كان أول من آمن بالباب ولذلك لقبه بهذا اللقب

فيه على انفراد ويتمكن فيه من اظهار شكوكه فلم يقبل ملا حسين التسويف لاعتقاده أن ذلك يضر بالأمر الذى يتطلبه بقلبه وصمم على ضرورة حصول الاجتماع توا والمفاوضة فى المسائل الخطيرة التى أظهر استعداده لحلها وبيانها فتأثر السيدلذلك حتى جرت دموعه من تأثره من حماس ذلك الشاب ومن الصداقة البادية على وجهه وأرسل واحضر بعض كتب الشيخ أحمد والسيد كاظم وشرع يسأل الملا حسين عما أبهم عليه فكان يجيبه عليها بعلم واسع وحكمة سديدة واستمر الملا حسين على إظهار الحق والدفاع عن الأمر حتى قطع صوت المؤذن حديثهما مناديا للصلاة وعادت الكرة فى ثان يوم وكان السيد وجميع تلاميذه صامتين يستمعون لبيانات الملا حسين الفصيحة دفاعا عن المهمة التىأوكله بها الشيخ أحمد وخليفته من الحضرة الألهية وحصل سكوت عميق من السامعين واخذهم العجب من طلاوة حججه وحلاوة عباراته فوعد السيد أنه سوف يصدر فى اليوم التالى فتوى يثبت فيها علو مقام الشيخ احمد والسيد كاظم وأن كل من يخالفهما يخالف فى الوقت نفسه دين الرسول بذاته ويشهد لهما كذلك بسعة اطلاعهما وقوة كشفهما وصحة فهمهما للاسرار المودعة فى دين محمد وبرّ السيد بوعده وكتب بيده الفتوى التى وعد بها وكانت كتابته مفصلة وامتدح فى أثنائها علم وأخلاق الملا حسين وتكلم بعبارات التفخيم والاجلال للسيد كاظم واعتذر عن مسلكه القديم ووعده بأنه فى مستقبل الأيام يتدارك ما فاته وقرأ فتواه بنفسه لتلامذته وسلمها مفتوحة الى الملا حسين وصرح له بان يطلع من يشاء عليها حتى يعلم الخاص والعام اخلاصه للسيد الرشتى ولما استأذن الملا حسين فى الانصراف أمر السيد أحد اتباعه أن يتبعه ويعلم مقره فراقبه عن بعد ووجده قد دخل بناء معدا كمدرسة (١) ونام فى احدى غرفها ولم يكن بها من الفرش سوى حصير مقطعة مفروشة على البلاط وبعد أن صلى وشكر الله نام وتغطى بعباءته فلما علم السيد بذلك أرسل له فى ثانى يوم مبلغ ١٠٠ تومان (٢) مع رسول مع اعتذاره لسيده من عدم امكانه إكرام

(١) المدارس فى ايران هي فى أيدى العلماء ويوجد منها عدد كبير فى كل مدينة وهي عبارة عن فناء يحيط به غرف للتلاميذ والمعلمين ولها باب من جهة واحدة وأحيانا يوجد بها حديقة وبئر فى وسط الفناء وكثير من هذه المدارس تأسست بمعرفة الملوك والصلحاء ثم وهبت منهم (تاريخ ماركهام مختصر تاريخ ايران صحيفة ٣٦٥)

(٢) يساوى تقريبا ١٠٠ ريال وهو مبلغ كبير فى تلك الأيام .

رسوله بما يليق بمقامه ولـكن الملا حسين رفض استلام المبلغ وقال للرسول (قل لسيدك إن عطيته الحقيقية هى عطفه وإ كرامه لى وما أظهره من التسامح وسعة الصــدر الدال على علو مقامه نحو غريب مثلى أتاه برسالة فأرجع الى سيدك النقود لاني لا أريد مكافأة ولا جزاء (إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منـكم جزاء ولا شكورا) (١) ورجائى من سيدك هو أن لاتمنعه الرئاسة الأرضيه عن الشهادة والاعتراف بالحق (٢) وكانت وفاة حاجى سيد محمد باقر قبل سنة الستين التى هى سنة الظهور ودعوة الباب وكان لآخر لحظة من حياته من أشد أنصار السيد كاظم وا كبر المعجبين به .

ولما أتم الملا حسين الجزء الأول من مهمته أرسل فتوى الحاج ســيد باقر إلى مولاه فى كربلاء وعزم على الارتحال الى مشهد وبذل الجهد لتوصيل الرسالة الى ميرزا عسكرى وما كاد الخطاب الذي يتضمن الفتوى يصل الى السيد كاظم حتى ابتهج وأرسل اليه رد الجواب مقدراً كفاءته على أداء المأمورية وقيامه بها خير قيام . وكان قد ابتهج بوصول الفتوى وخطاب الملا حسين حتى أنه قطع الدرس وقرأهما للتلاميذ ثم قرأ عليهم فيما بعـد الرد الذى أرسله الى الملا حسين اعترافا منه بالخدمة الفريدة التى أداها . وفيها أظهر ماهو عليه من الـكفاءة والأخلاق المرضية وأطراه إطراء شديداً على استعداده وعلو كعبه حتى إن الذين سمعوا ذلك المدح ظنوا أن الملا حسين هو المنتظر الذى كان دائما سـيدهم يشير اليه والذى يقول عنه انه موجود بينهم ولـكنهم لايعرفونه وهو مسـتور عنهم . وكانت هذه الرسالة فى نظر الملا حسين أقوى حجة لمقاومة هجوم الاعداء عليه وعنوان الشرف

(١) قرآن ٧٦ ـ ٩

(٢) يشير الباب فى الدلائل السبع الي الملا حسين بقوله (أنت تعلم بنفسك من هو أول من اعترف بهذا الامر وتعلم أن أغلب علماء الشيخية والسيدية وغيرهم من الاحزاب أعجبوا بعلومه ومواهبه ولـما دخل اصفهان صاح غوغاء المدينة قائلين عند مروره (آه آه قد حضر طالب مـكين ولـكن هـذا الرجل قد أخم سيدا مشهورا بالعلم وقوة برهانه وهو محمد باقر) حقا إن ذلك إحـدى دلائل هذا الظهور لانه بعد وفاة هذا السيد ذهب هذا الرجل لمقابلة أغاب علماء الاسلام ولم يجـد الحق إلا عند رب الحق وبذلك وصل الى ماقدر له . حقا إن خلق هذا الظهور من الاول للآخر يغبطونه وسوف يغبطونه الى يوم يبعثون ومن الذى يقـدر أت يتهم سلطان العلم والحـكمة بضعف العقل أو خفته (كتاب الدلائل السبعة ترجمة ا.ل.م نقولاس صحيفة ٥٤)

لـكل مؤمن مخلص حتى أنه ازداد بها خشية لله . وكانت مكتوبة بقالب المحبـة حتى أن كل من يقرأها لايشك فى أن كاتبها يودع فيها تلميذه المحبوب ويقطع الأمل فى رؤيتـه مرة أخرى فى هذا العالم .

وكان السيد كاظم على تمام العلم باقتراب الساعة التي يظهر فيها الموعود (١) وبالحجبات التى تمنع الباحثين من تفهم ومعرفة جمال الظهور المستور. وقد بذل جهده تدريجياً بالحكمة فى إزالة تلك الحجب والعقبات التى تقف فى سبيل كنز الله المستور وكان دائما يشير إلى اتباعه (بأن الموعود الذى تنتظرونه لا يأتى من جابلقا ولا من جابرسا (٢) بل هو موجود فى وسطكم وترونه بأعينكم ولـكنكم لا تعرفونه) وكان يقول لتلاميذه عن علائم الظهور (بأنه من نسل شريف من سلالة رسول الله من سبط هاشم وهو حديث السن وعلمه لدنى وليس مستفاداً من تعاليم الشيخ أحمد بل من الله . وإن علمى لم يكن إلا كقطرة بالنسـبة إلى بحر علمه واجتهادى إلا كالنقطة من التراب أمام عجائب فضله وقدرته ولا يوجد قياس بينهما فأين الثرى من الثريا وإنه لمتوسط القامة ولا يشرب الدخان وعلى غاية من الأستقامة والصلاح والتقوي (٣) وكان البعض من التلاميذ يظنون أن السيد هو الموعود رغم صدور هذه التعليمات منه وظنوا أن جميع العـلائم تنطبق عليه وأخذ أحد أتباعه فى ذكر هذا الأعتقاد علانية فانتهره السيد وغضب عليه وكان على وشك طرده من جملة الأتباع المخلصين ولـكن التلميذ المذكور رجاه أن يصفح عنه بعد توبته

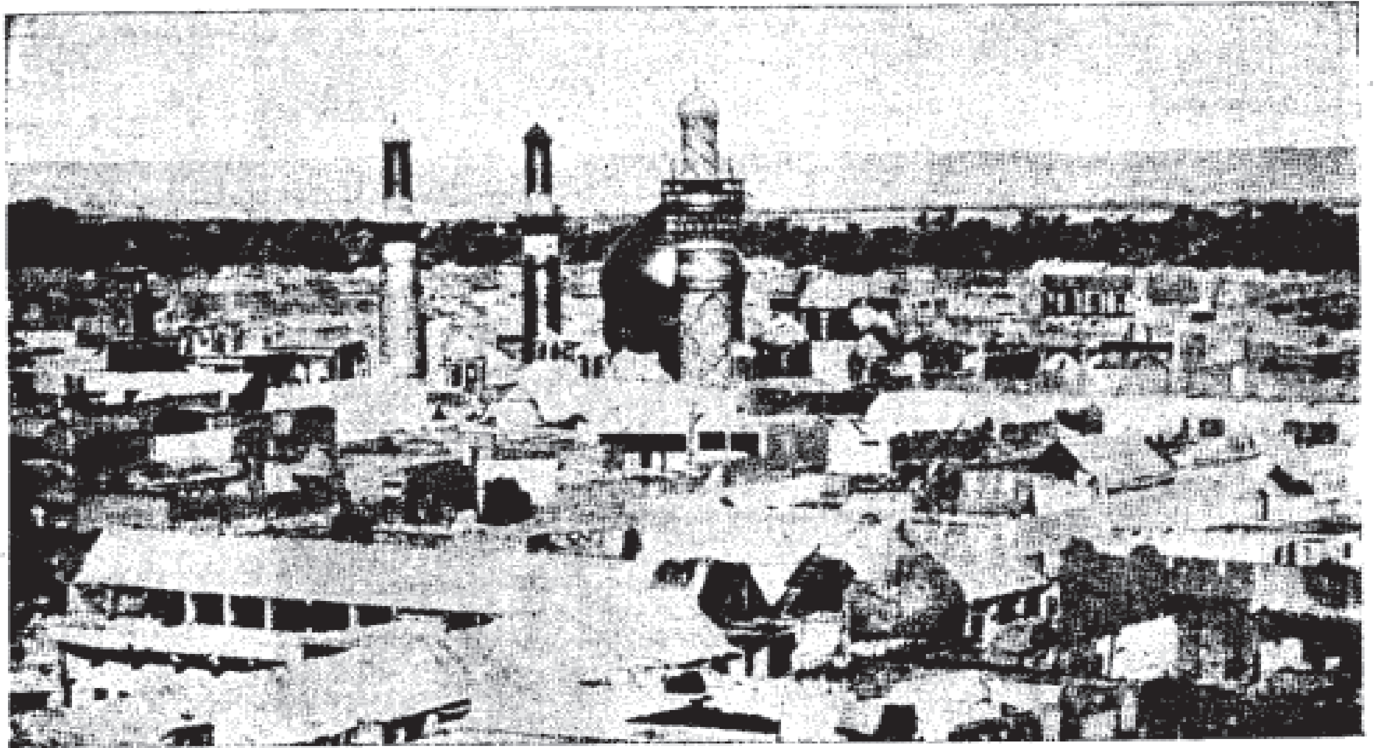
ومما حكاه لى الشيخ حسن الزنوزى أنه كان يعتقد مثل هذا الأعتقـاد وكان يطلب من الله دائما أن يخلصـه من هذا الوهم إذا كان اعتقاده غير صحيح وقال « كنت

(١) وقد أبان الباب فى الدلائل السبع فى هذا الخصوص ما يأتى : والذى رواه عند انتهاء سفره من الذى سمعته بنفسك فهل لم يكن يروى لك ؟ وكذلك حكاية ميرزا محمد اخبارى التى رواها عبد الحسين الشسترى فانه سأل السيد المحترم ذات يوم وهو فى الـكاظمين قائلا متى يكون ظهور الموعود فأدار السيد عينيه فى المجلس ثم قال له وإنك أنت سوف تراه وقد حكى ملا محمد هراوى أيضا هذه الرواية فى اصفهان (من كتاب الدلائل السبع ترجمة ا.ل.م نقولاس صحيفة ٥٨)

(٢) أنظر المقدمة في ذكر معالم الشيعة فى الاسلام

(٣) وكان السيد الرشتى فى أواخر أيامه يعتقد بأن المظهر موجود وكثيرا ما كان يشير الى ذلك بقوله إنى أراه كالشمس المشرقة «دكتور جينى اتحاد الاجناس والاديان صحيفة ١٩»

اضطربت من هذا الأمر لدرجة أنى لم آكل ولم أشرب ولم أنم جملة أيام وكنت أصرف الوقت دائما فى خدمة السيد كاظم الذى كنت دائم التعلق به وذات يوم فى الفجر أيقظنى ملا نوروز أحد أتباعه وأمرنى بوله أن أقوم وأتبعه فقمت وذهبنا سويا إلى منزل السيد كاظم حيث وجدناه مرتديا عباءة ومستعدا للذهاب معنا قائلا (قد حضر شخص جليل القدر وواجب علينا زيارته نحن الاثنين وكان الفجر قد انبثق ونحن نسير فى شوارع

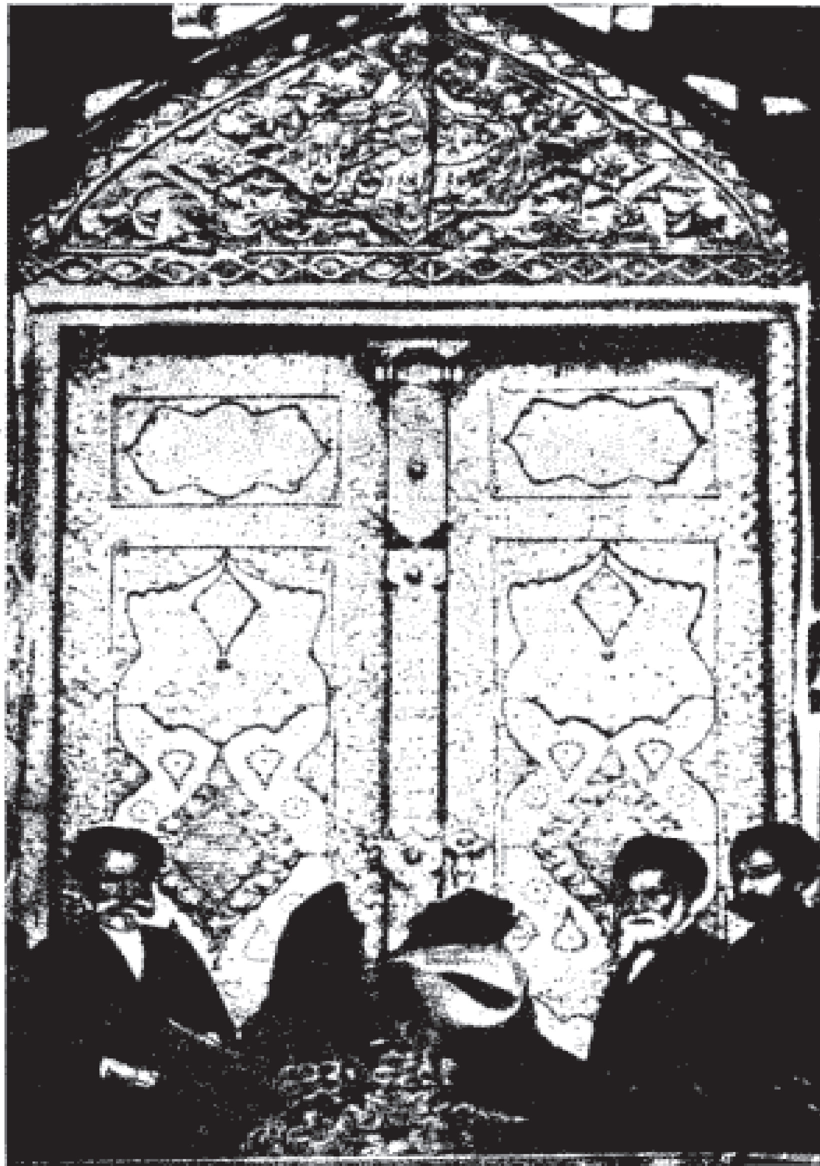


منظر كربلاء

كربلاء ووصلنا إلى منزل كان شاب واقفا على بابه كأنه ينتظر مقابلتنا وهو يلبس عمة خضراء ويظهر على محياه الخشوع واللطف الذى لا أقدر أن أصفه وتقدم نحونا ببطء وعانق السيد بكل محبة وكان شغفه ولطفه فى معانقة السيد لا يقل عن احترام السيد له احتراماً عميقاً وقد قابل أشواق واحترام الشاب المتكررة بالتزام السكوت وإحناء الرأس وسرعان ما أخذنا إلى غرفة عليا مزينـة بالزهور ومعطرة بأروح الطيب وأمرنا بالجلوس وكان السرور قد شملنا بدرجة أننا لم نكن نشعر بالمقاعد التى جلسنا عليها وشاهدنا كوبا من فضة موضوعا فى وسط الحجرة وسرعان ما ملأه مضيفنا وناوله للسيد كاظم قائلا (وسقاهم ربهم شرابا طهورا (١)) فأمسك السيد الكأس من يده وانتهله وامتلأ

(١) قرآن ٧٦ ــ ٢١

هيكله بسرور فائق عن الحد وأنا أيضا أعطانى كوبا من ذلك المشروب ولم يخاطبنى بأى كلمة . وكلما دار من الحديث كان خاصا بالآية القرآنية السابقة ثم بعد هنيهة قام مضيفنا وودعنا لغاية عتبة باب المنزل . وأنا كدت أذوب من التعجب ولم أقدر أن أعبر عن شدة إكرامه وترحيبه وجلال هيكله وجمال ذلك الوجه . وكم كانت دهشتى إذ رأيت أستاذى قد نهل ذلك المشروب بدون أدني تردد من الكأس الفضى مع أن استعمال هذا المعدن محرم حسب قواعد الاسلام . ولم يمكننى أن أعلل سبب شدة احترام السيد وإجلالة لذلك الشاب احتراما لا يسدى حتى لمقام سيد الشهداء وبعد ثلاثة أيام رأيت ذلك الشاب جالسا وسط حلقة تلاميذ السيد كاظم قريبا من العتبة وكان يستمع



مدفن الامام الحسين فى كربلاء

للدرس بأدب ووقار وبمجرد أن وقعت عينه على ذلك الشاب سكت عن الدرس فترجاه أحد تلاميذه أن يستمر فأجاب قائلا (ماذا أقول لكم زيادة عن ذلك) ولفت وجهه نحو شخص الباب ثم قال (إن الحق أظهر من شعاع الشمس الواقع على هذا الذيل) وفى الحين لاحظت أن أشعة الشمس كانت واقعة فى حجر هذا الشاب الذى زرناه أخيرا فأجابه السائل (ولماذا لا تكشف لنا عن إسمه أو تظهر لنا شخصه) فأشار السيد إلى حنجرته بأصبعه يعنى أنه لو كشف ذلك لتعرضا للقتل فى الحال وقد زاد ذلك فى حيرتى وسمعت من أستاذى مرارا بأن ضلال هذا الجيل كان بدرجة أنه لو أشار بأصبعه إلى الموعود وقال (هذا هو محبوب قلبي وقلبكم)لأنكروه وما قبلوه وقد رأيت بنفسى ذلك السيد يشير بأصبعه إلى حجر ذلك الشاب ومع ذلك لم يفقه أحد المعنى المقصود من الاشارة وأما أنا فكنت مقتنعاً بأن السيد لا يمكن أن يكون هو الموعود ولكن بعض السر المستتر أصبح يحوم حول هذا الشاب الغريب الجذّاب وكثيراً ما أردت أن أتجاسر بالتقدم نحو السيد لسؤاله عن كشف هذا السر ولكن هيبته كانت تحول دون ذلك وكثيراً ما كنت أسمعه يقول يا شيخ حسن (افرح لان اسمك حسن فابتداؤك حسن وانتهاؤك حسن وانك تشرفت بلقاء الشيخ أحمد وتقابلت معى وفى المستقبل سيكون لك فرح عظيم لأنك سترى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)

وكنت كثيراً ما أشعر باشتياق لمقابلة هذا الشاب الهاشمى لأكشف سرّه وكنت أرقبه يصلى فى مشهد الامام الحسين وهو مستغرق فى مناجاته حتى كأنه غير شاعر بمن حوله وكانت الدموع تذرف من عينيه وتنحدر من فمه كلمات لا تزيدعنها الآيات فى الحسن والقوة والشرف وتتردد فى فمه كثيراً عبارات (يا إلهى ومحبوب قلبى) حتى أن المصلين كانوا كثيراً ما يقطعون صلواتهم ويستمعون لآيات الرحمة والخشوع التى تظهر من وجه ذلك الشاب وكانوا مثله يذرفون الدموع مدراراً ويتعلمون منه كيفية العبادة الحقة وكان هذا الشاب يعود بسكون بعد إتمام صلوته الى منزله بدون أن يمر على عتبة المقام وبدون أن يتكلم مع الذين حوله وقد رأيت ضرورة مخاطبته وكنت كلما حاولت الاقتراب منه أجد قوة تحجزنى عنه مما لا أقدر أن أصفها . وبالبحث عنه علمت

انه قاطن فى شيراز وأنه يشتغل بالتجارة وأنه لم يكن من طائفة علماء الدين وأنه هو واخواله وأقاربه من المعجبين بالشيخ أحمد والسيد كاظم وسمعت بعد ذلك أنه مسافر للنجف فى طريقه الى شيراز وكان قد أشعل قلبي وذكراه لا تغيب عن مخيلتى وكانت روحى متعلقة به حتى سمعت أن شاباً فى شيراز ادعى أنه الباب نخطر فى بالى أنه لا بد وأن يكون ذلك الشاب هو محبوب قلبي الذى رأيته فى كربلاء .ولما سافرت من كربلاء الى شيراز فيما بعد علمت انه سافر للحج إلى مكة والمدينة وعند عودته قابلته واجتهدت أن أكون فى صحبته فلما حبس فى قلعة ماكو كنت أكتب الآيات التى أملاها لكاتبه ولمدة تسعة أشهر كان كل ليلة يملي تفسيرا على جزء من القرآن وكان فى كل شهر



مدفن الأمام الحسين فى كربلاء

يكمل تفسيراً كاملا على القرآن بأجمعه فكمل فى أثناء حبسه فى ما كو تسعة تفاسير للقرآن وكانت هذه التفاسير قد أودعت عند شخص يدعى سيد إبراهيم الخليل وكان مأموراً باخفائها إلى أن يأتي الوقت لنشرها ولم يعلم نصيب هذه التفاسير الى الآن وذات يوم سألنى الباب بخصوص هذه التفاسير قائلا (أيهما تفضله فى نظرك هذا التفسير الذى أنزلته الآن أم أحسن القصص ذلك التفسير الأول على سورة يوسف) فقلت له (فى نظرى أحسن القصص أفضل لان فيه قوة وبهجة) فتبسم لملحوظتى وقال (انك للآن لم تعرف لحن هذا التفسير الأخير فان الحقائق المدونة فيه تمكن الباحث للوصول إلى مرغوبه ومطلوبه). وكنت ملازما للباب باستمرار الى أن حصلت حادثة الشيخ طبرسى ولما سمع بها الباب أمر جميع أصحابه أن يسرعوا ويعاونوا القدوس تلميذه البطل الممتاز ومرة قال لى (لولا حبسى فى جبل الشديد وقلعة جهريق لكان من الواجب على معاونة محبوبي قدوس ولكنك أنت غير مفروض عليك الاشتراك فى هذه الملحمة بل عليك أن تذهب إلى كربلاء وتمكث فيها حتى ترى بعينيك جمال وجه الحسين الموعود كما هو مقدر لك وعند ما تنظر إلى وجهه المضىء تذكرنى وقدم إليه محبتى وخضوعى) ثم زاد على ذلك مرة أخرى قائلا (إعلم انى أوكلت إليك مأمورية كبيرة فاحذر من أن يوهن قلبك وتنسى هذا الفخر الذى منحته لك)

وبعد قليل سافرت الى كربلاء كما أمرنى ومكثت فى تلك المدينة أترقب وتزوجت خوفا من إتهامى بسبب طول مكثى بها . وابتدأت أتعيش من الكتابة وكم من المصائب حلت بي من الشيخية الذين ادعوا أنهم من أتباع الشيخ أحمد ومع ذلك لم يعرفوا الباب . ولكنى صبرت على أذاهم وفى أثناء ذلك أخذوا ذلك الشاب المقدس من سجنه الارضى وبواسطة استشهاده تخلص من القسوة الوحشية التى اختتمت بها حياته ومضى على شهادة الباب ستة عشر شهرا قمريا إلا اثنين وعشرين يوما الى أن جاء يوم عرفه (١) سنة ١٢٦٧ هجرية (٢) فبينما أنا أسير عند الباب الداخلى من مشهد الامام الحسين وقعت عينى لأول مرة على بهاء الله فما أذكر عن ذلك الوجه الذى

(١) هو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة

(٢) ٥ أكتوبر سنة ١٨٥١ ميلادية .

رأيته فان جمال ذلك الوجه وكمال هيئته ولطف محياه الذى لا يقدر القلم على وصفه وكذلك لحاته النافذة ونضارة وجهه واعتدال قوامه وحلاوة ابتسامه وغزارة ضفائر شعره السوداء الحالكة المتدلية على كتفيه قد أثرت فى نفسى تأثيرا عميقا وكنت فى ذلك الوقت طاعنا فى السن فما أحلى عطفه على وأخذه بيدى حينما تكلم معى بصوت لا يضارعه جمال ولا قوة قائلا (انى عزمت فى هذا اليوم أن أشهرك فى كربلاء بأنك بابى) وجعل يتكلم معى وهو ممسك بيدى حتى دخلنا السوق وأخيراً قال لى (إحمد الله الذى بقيت فى كربلاء حتى رأيت بعينيك وجه الحسين الموعود) فتذكرت اذ ذاك كلام الباب الذى كنت أظن أنه يشير به الى مستقبل بعيد ولم أكن شافهت به أحداً فحركت هذه الكلمات لبى إلى أعمق درجة وشعرت بأنى مجبور فى ذلك الوقت على أن أعلن بكل روحى وبما أوتيت من قوة نبأ ظهور الحسين الموعود . ولكنه همس فى أذنى قائلا (صبراً فان الساعه آتية قريبا ولكنها لم تدق بعد فأطمئن واصبر) ومنذ ذلك الوقت زالت جميع أحزاني وطفح السرور على قلبي وكنت إذ ذاك فقيراً جداً إلا أن جميع كنوز الارض تلاشت أمامى عندما قارنتها بما أمتلك وهذا من فضل الله يعطيه لمن يشاء وهو الواسع الكريم » انتهى

وسأعود الآن إلى أصل المطلب والكلام على شوق السيد كاظم على كشف السبحات التى حالت بين الخلق وبين معرفة المظهر ففى الكتابين الاولين من كتبه وهما شرح القصيدة وشرح الخطبة (١) كان يشير بكنايات إلى اسم بهاء الله المقدس وفى آخر رسالة كتبها ذكر إسم الباب بقوله (ذكر الله أعظم) وفيها كتب مخاطبا ذلك الذكر (٢)

(١) خصص نقولاس الفصل الثانى من الجزء الثانى من مقالة على الشيخية فى تعداد المايه واحد وثلاثين رسالة من رسائل السيد كاظم وأهمها ١ — شرح الخطبة التوتنجية ٢ — شرح القصيدة ٣ — تفسير آية الكرسى ٤ — اسرار شهادة الامام الحسين ٥ — فى الهيئة ٦ — دليل المتحيرين ويقال أن رسائله زادت على ٣٠٠ رسالة (انظر مقالة سائح حاشية ى صفحة ٢٣٨)

(٢) وقد أورد نقولاس فى الفصل الثالث من كتاب مقالة على الشيخيه صحيفة ٤٣ جزء ثانى القطعة الآتية من كلام السيد فى كتابه شرح القصيدة قال (ويقوم فى كل ماية من بروج الاحكام ويبين الحلال من الحرام فيظهر ما كان مخفيا ويفصل ما كان مجملا فى الماية السابقة ويبين ما كان مبهما فيها وبالجملة فذلك العالم الكامل الفاضل يروى غصن الشريعة ويخضر عودها الى أن يبلغ الكتاب أجله ويتم تمام الماية الثانية عشر . واذا ظهر بعض الكاملين وأظهر بعض البواطن للبالغين الواصلين كان

أخاف عليك من قومى ومنى ومنك ومن مكانك والزمان
ولو أنى وضعتك فى عيونى إلى يوم القيـامة ما كفانى

وكم كان السيد يتحمل إهانة أهل الشرور والفساد بكل شجاعة فما أنكى تلك الاضرار التى كان ذلك الجيل الفاسق الشرير يوقعها به وكان يتحمل بسكون وهدوء جميع الشتائم والسخرية التى كانت تكال له ولـكنه عاش ليرى فى أواخر أيامه كيف أن يد الغيب قد أهلكت جميع معانديه والذين كانوا يكيدون ويدبرون له فاتباع السيد ابراهيم ذلك العدو اللدود للسيد كاظم تجمعوا فى تلك الايام ونادوا بقصد جلب الاذى والخطر على حياة خصمهم القوى وبكل وسيلة نجحوا فى تسميم عقول أحبابه والمعجبين به وتقويض سلطته وتلويث اسمه ولم يرتفع أى صوت فى الاحتجاج ضد هؤلاء الخائنين الكفرة الذين كان كل منهم يدعى أنه مفسر للتعاليم الالهية وانه مكمن الاسرار ولم يحذرهم أو ينبههم أحد من سوء أعمالهم فجمعوا جموعهم وهيجوا فتنة شعواء ونجحوا فى طرد مندوب الحكومة العثمانية شر طردة واستولوا بأنفسهم على الموارد المخصصة له ارضاء لاطماعهم الحقيرة فغضبت الحكومة العثمانية المركزية من تهديدهم ووعيدهم وأرسلت ضابطا حربيا لمكان الثورة ومعه التعليمات لاطفاء نيرانها فحاصر الضابط المدينة بالقوة التى كانت معه وأرسل إلى السيد كاظم رسالة يطلب فيها أن يهدى الثورة الفكرية الموجودة عند هذا الشعب الهائج وأن ينصحهم بالاعتدال ويطلب منهم أن يخضعوا

بيانه مخفيا وتلك المطالب كانت مطوية ... فلما تمت المائة الثانية عشرة وتمت الدورة الأولى المتعلقة بالظواهر لشمس النبوة والاثنى عشر دورة لقمر الولاية من حيث التبعية فتمت الدورة وتمت مقتضياتها والـكرة الثانية والدورة الأخرى لبيان أحكام ظهور البواطن والاسرار المخفيات والمختبئات تحت الحجب والاستار . وبعبارة أخرى أن الدورة الأولى وهى الاثنى عشر مائة لشمس النبوة لتربية الابدان والارواح المتعلقة بها مثاله الجنين فى بطن الام والـكرة الثانية لتربية الارواح القادسة والنفوس المجردة الغير المرتبطة بالاجسام مثاله تربية الارواح بالتكليف فى هذه الدنيا فلما تمت الدورة الأولى لشمس النبوة التى هى متعلقة بتربية الظواهر التى هى مقتضى ظهور اسم محمد أتت الدورة الثانية لشمس النبوة التى هى متعلقة بتربية البواطن . والظواهر فى هذه الدورة تابعة كما أن الدورة الأولى لتربية الظواهر والبواطن كانت تابعة فكانت هذه الدورة الثانية فيها اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى السماء وهو أحمد فكان المروج والرئيس فى رأس هذه المائة المسمى بأحمد ولابد أن يكون من اعذب أرض واحسن هواء) انتهى ويزيد على ذلك نقولاس فى الحاشية بقوله (وربما كانت اشارة اسم أحمد الى الشيخ أحمد ولـكنه لايمكن القول بان الاحساء هى أعذب أرض فبالعكس من ذلك فأنه يفهم من جميع أقوال الشعراء فى ايران اتفاقهم على التغنى بمدح شيراز وان هواءها لايفوقه هواء ويمكن الرجوع لأقوال الشيخ فيما يختص ببلاده

لأمره وحكمه وأنهم لو فعلوا ذلك يضمن لهم حياتهم ويؤمنهم ويأمر بالعفو العام ويجتهد فى مايكفل لهم راحتهم . وأما إذا رفضوا فانه ينذرهم بان حياتهم تكون فى خطر وتنزل عليهم المصائب الجمة .

وبمجرد وصول الرسالة اليه أحضر السيد كاظم رؤساء الفتنة ونصحهم بغاية الحكمة أن يكفوا عن الهيجان وأن يسلموا أسلحتهم وتكلم معهم فى ذلك بكل صدق واخلاص وفصاحة وبلاغة حتى لانت قلوبهم وهبطت مقاومتهم وعزموا على فتح أبواب القلعة ثانى يوم وأن يسلموا أنفسهم بصحبة السيد كاظم إلى القائد وأن السيد يتوسط لهم ويطلب لهم العفو والامان وكل ما يلزم لراحتهم ولكنهم بعد أن تركوا مجلسه قام فيهم العلماء أعداء السيد وحرضوهم على عدم الاذعان ولعلمهم بان توسط السيد الذى كانوا يحسدونه يكون سببا لاعلاء شأنه وتثبيت سلطته عزموا على تحريك بعض الغوغاء وحرضوا الحمقى من سكان المدينة على مهاجمة القوة التركية ليلا وكانوا يؤكدون لهم النصر باقوال مصطنعة كقولهم ان أحدهم رأي فى الرؤيا العباس (١) يأمره بتحريض الناس على الحرب الدينية ضد المحاصرين وأنه وعدهم بالنصر النهائى وإذ خدعوا من هذا الوعد الكاذب رفضوا نصيحة ذلك الرئيس العادل وقاموا على تنفيذ رغبة هؤلاء المهوسين ولما كان السيد كاظم عالما بالضرر الذى يلحق بالثائرين كتب رسالة إلى القائد التركى نجيب باشا وأفهمه حقيقة الموقف فأجابه القائد مرة أخرى طالبا منه اعادة النصح للأهالى وأنه سيفتح أبواب المدينة فى ساعة معينة ولا يؤمّن أحدا فيها إلا من التجأ إلى منزل السيد. ولما وصلت الرسالة قام بنشرها فى كافة أنحاء المدينة فقابلوها بالاستهزاء والسخرية ولما أخبر بذلك قال (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) (٢) وفى الفجر فى الساعة المعينة هاجمت القوات المرابطة القلعة وهدموا الاسوار واستبيحت المدينة قتلا ونهبا وهرب الكثيرون ملتجئين إلى حرم المقام الحسينى والتجأ آخرون إلى مقام العباس وهرع إلى منزل السيد كاظم أحباؤه ومعارفه وازداد عددهم بدرجة أنه اضطر إلى إضافة المنازل المجاورة لمنزله ليكون الجميع حرما للاجئين وازدادت الجموع التى هرعت إلى منزله حتى أنه بعد هدوء الحالة وجدوا عشرين شخصا توفوا من شدة الزحام وما كان أشد

(١) أخ الحسين .
(٢) قرآن ٨١ : ١١ .

انزعاج سكان المدينة المقدسة والزائرين لها وما أقسى ما عامل الفاتحون الاهالى الخائفين وبكل جسارة تجاهلوا الحقوق المقدســـة التى كان الحجاج المسلمون يسدونها للمقامات المقدسة فيها ولم يعترفوا بحرمة مقام الحسين ولا مقام العباس المقدس كحرمين للاجئين فقتل فيهما آلاف من الهاربين اليهما للاختفاء وجرت دماء القتلى فى صحن المقامين وما كان يوجد فى المدينة كلها مكان مأمون سوى منزل السيد كاظم مع متعلقاته فكان حرما مقدسا يتمتع بأمان لم تتمتع به مقامات الشيعة المقدسة . وكان هذا الغضب الالهى العجيب درسا قاسـيا للذين قللوا من أهمية ذلك الرجل المقـدس السيد كاظم . وكان حصول (١) هذه الحادثة التاريخية سنة ١٢٥٨ هجرية فى ثامن ذي الحجة (٢)

ومن المعلوم أن رسل الحق والذين مهدوا الطريق لقبوله كانوا فى كل عصر مبتلـين بمعـاندين من ذوى القوة والسطوة الذين كانوا دائماً يجتهدون فى افسـاد تعاليمهم وقد نجحوا وقتياً فى إضـلال الجهال لرغبتهم فى جعل عقول وأفكار الناس فى قبضة يدهم ليتمكنوا من جنى ثمار السلطة الدنيوية الزائلة مادام أن دين الله يبقى محجوبا . إلا أنه لايكاد أمر الدين الحق يشتهر حتى يجـدوا لفرط دهشتهم أن جميع آثار مجهوداتهم وتدابيرهم

(١) وقد وصف نقولاس فى مقالة على الشيخية جزء ٢ صحيفة ٢٩ — ٣٠ هذه الحادثة كالآتى : حصلت هذه الحادثة سنة ١٢٥٨هـ «١٨٤٢ م.» فى ليلة القدر وقد دخل الجيش التركى تحت قيادة نجيب باشا كربلاء وقتل الاهالى وسلب مافى الجوامع من نفائس وقتل فيها قريبا من تسعة آلاف شخص أغلبهم من الفرس . وكان محمد شاه مريضا بحالة خطرة عند حصول هذه الحادثة ولذلك أخفاها عنه كبار الموظفين ولما علم الشاه بها بعد شفائه غضب غضباً عظيما وحلف أن يأخذ بالثأر ولـكن مندوبو انجلترا وروسيا تداخلوا لتهدئة الخواطر . وأمر ميرزا جعفر مشير الدولة العائد من سفارة اسلامبول بالسفر إلى أرضروم ليقـابل هناك مندوبى انجلترا وروسيـا وتركيا . وإذ وصل إلى تبريز مرض السفير الايرانى فعين الحاجى ميرزا آقاسى ميرزا تقى خان فراهانى وزير النظام الذى ذهب إلى أرضروم ومعه ٢٠٠ ضابطا وكان مندوب الاتراك أنور افنـدى يظهر بمظهر الاحترام والصلح ولـكن أحد رجال الامير نظام صدر منه فعل عد اهانة لطريقة أهل السنة فهجم الاهالى على خيمة السفير وقتلوا ثنين أو ثلاثة من الفرس ونهبوهم ونجا السفير أمير النظام بتداخل بدري باشا واعتذرت الحكومة التركية ودفعت ١٥٠٠٠ تومان تعويضا لهذا الحادث

وفى هداية الطالبين يقول كريم خان أنه أثناء نهب المدينة كانت الجيوش تحترم بيوت الشيخية وكل من التجأ اليهم صار آمنا وكل ما معه من الاشياء الثمينة ولم يقتل أحد من أصحاب السيد كاظم مع أن الذين التجأوا الى المشاهد المقدسة قتلوا جميعاً بلا رحمة ويقولون إن الباشا دخل بجواده فى المكان المقدس

(٢) ١٠ يناير سنة ١٨٤٣ ميلادية

الباطلة تذوب وتتلاشى أمام أنوار يوم الله الجديد . وتذهب أعمالهم ويذوب مكرهم وضلالهم أمام شعاع الشمس الطالعة ويكون كالهباء المنثور

وقد اجتمع أيضـــا حول السيد كاظم عدد من المغرورين الذين يدعون التعلق به ويتظاهرون بالصلاح والتقوي ويظنون أنهم مخزن أسرار الشيخ أحمد وخلفاؤه من بعده وكانوا يجلسون فى الصفوف الأولى فى المقاعد فى درس السيد ورغما عن أنه كان يلقى عليهم درسه ويظهر لهم احترامه فأنه كان يشـير من طرف خفى وفى لحن القول إلى عمههم وغرورهم وعجزهم عن فهم الاسرار الالهية وكان يقول (لا يفهم قولى إلا المولود منى) وكان كذلك كثيراً ما يقول (يأخذني الفكر ويدهشنى أن أرى العالم محروما من القوة السامعة فلا أقدر أن أكشف السر لأن الناس لايقدرون أن يتحملوا أثقاله)ومرة كان يتمثل بقول الشاعر

وكل يدعى وصـلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا
إذا انبجست دموع من مآق * تبين من بكى ممن تباكى

وكثيراً ما كان يشير إلى الموعود ويقول(ان الذى يظهر بعدى هو من السلالة الطاهرة من النسب الرفيع من ذرية فاطمة وهو متوسط القامة وخال من العيوب الجسمانية والعاهات (١) وسمعت الشيخ أبو تراب (٢) يحكي الآتى (إنى مع تلامذة السيد علمنا من قوله السابق وإشارته إلى العاهات الجسمانية أنه أشار ضمنا إلى الذين لايصلحون أن يكونوا خلفاءه لوجود عاهات بهم وأولهم مرزا كريم خان (٣) بن ابراهيم خان القاجارى الكرمانى الذى كان أعور العين

(١) نقل المسيو نقولاس فى كتابه مقالة على الشيخية الجزء الثانى صحيفة ٦٠ — ٦١ من كتابات السيد كاظم قال : قد علمت أن الشريعة وأصول الآداب هى غـذاء للروح لذلك يجب أن تكون الشرائع متنوعة وعلى ذلك يجب نسخ الشرائع العتيقة ويجب أن تشمل على شرائع محكمة وشرائع متشابهة وعامة وخاصة وظاهرة وباطنة ومطلقة ومقيدة حتى بذلك يصل الطفل إلى درجة البلوغ ويكون كاملا فى قوته ومقدرته وفى ذلك الوقت يظهر القائم وبعد ظهوره واتمام حياته يقتل واذا قتل يصل العالم إلى سن ١٨ سنة

(٢) تبعـاً لسمندر « صحيفة ٣٢ » كان الشيخ أبو تراب من جهة اشتهارد وكان من أخص تلاميذ السيد كاظم واقترن بأخت الملا حسين وتوفى وهو فى السجن فى طهران

(٣) كتب الباب الى الحاجى محمد كريم خان ... وطلب منه أن يعترف برسالته فلم يرفض هذا الاخير هذا الطلب فحسب بل كتب رسالة ردا على الباب وعلى شريعته (صفحة ٩١٠) وكتب ما لا يقل عن رسالتين من هذا القبيل وكانت احداها بعد وفاة الباب وبناء على طلب ناصر الدين شاه وقد طبعت واحدة منها تحت عنوان ازهاق الباطل (من جريدة الجمعية الاسوية الملكية ١٨٨٩ المقالة ١٢)

وكث اللحية وثانيهم مرزا حسن جوهر الذى كان ذا جسم بدين جدا والثالث مرزا محيط شاعر كرمانى كان ذا طول مفرط ونحافة زائدة وكنا مقتنعين بأنه لا يوجد أحد يدعى تلك الدعوى بالباطل سوى هؤلاء الثلاثة الذين كان السيد دائمـا يصفهم ويشير اليهم بأنهم عديموا الايمان ومغرورون وأنهم سوف يدعون بالباطل ويظهرون حمقهم وجهالتهم أما الحاجى كريم خان فقد لازم السيد عدة سنين وأخذ عنه علمه الذى يدعيه واخيرا استأذن منه أن يقيم فى كرمان وهناك يشتغل فى ترقية الاسلام وإذاعة تلك الاحاديث التى حامت حول ذكرى أئمة الهدى . ومرة كنت موجودا فى مكتبة السيد كاظم إذ وصل رسول الحاجى مرزا كريم خان وبيده كتاب فقدمه للسيد ورجاه أن يقرأه ويصادق على محتوياته بخطه فقرأ السيد بعض فصوله وأعاده للرسول قائلا قل لسيدك انه أقوى من غيره على تقدير كتابه فلما ذهب الرسول كلمنى السيد بصوت حزين قائلا (الا لعنة الله عليـه إنه عاشرنى عدة سنوات والآن إذ اراد الانفصال كان غرضه الوحيد بعد صرف السنوات العديدة فى الدرس والصحبة أن ينشر فى كتابه قواعد الـكفر والالحاد وهى ما يريدنى أن اقرظها وقد اتفق مع بعض الملحدين على أن يتخذ له مركزاً فى كرمان حتى بعد فراق من هذا العالم يمسك زمام القيادة والرياسة فما أخطأ ظنه فى ذلك لان نسيم الوحى الالهى قد هب من ربيع الهداية وسوف يطفىء ناره ويهـدم سلطته فلن تثمر شجرة وجوده سوى الخزى والوهم الباطل وانى الحق اقول لك إنك سوف ترى بعينيك كل ذلك واطلب من الله أن يحفظك من فتنة هذا الدجال الذي يعاند الموعود فى مستقبل الأيام) وقد طلب منى السيد أن أحفى ذلك النبأ إلى يوم القيامة ذلك اليوم الذى تـكشف فيه يد الغيب الأسرار المسـتورة فى قلوب وصـدور الرجال . وقال لى (فى ذلك اليوم قم على نصرة أمر الله بقوة لا تتزعزع وعزم متين وانشر فى كل مكان ما سمعت وما رأيت) وكان الشيخ ابو تراب فى ابتداء إعلان الأمر قد ظن أن من الحـكمة أن يستر ايمانه و بقيت فى قلبه تلك النار الـكامنة حتى أدى اشتعالهـا أخيرا إلى سجنه فى طهران فى نفس السرداب الذى سجن فيه بهاء الله وتوج ختام حياته بتاج التضحية وفخر الشهادة

واذ قاربت أيام السيد كاظم على الانتهاء كان يعظ مريديه إما سرا وإما علانية بقوله

(يا احبائى حذار حذار أن تخدعكم الدنيا بغرورها واحذروا أن تنسوا الله وتزدادوا غرورا على غروركم . عليكم برفض اللذات الدنيوية والممتلكات الارضية والاهل فى طلب مرغوب قلوبكم وقلبى . وتفرقوا فى كل جهة وتخلوا عن متعلقات الدنيا وادعوا ربكم تضرعا أن يهديكم ولا تهنوا فى عزمكم حتى تجدوا من اختفى خلف حجاب العظمة وواظبوا على ذلك حتى أن مولاكم وهاديكم الحقيق يساعدكم بفضله ويمن عليكم بمعرفته فكونوا ثابتين إلى أن يختاركم اصحابا له وتكونوا ناصرى أمر القائم الموعود هنيئا لمن يشرب منكم كأس الشهادة فى سبيله. وعلى الذين يؤيدهم الله ليشهدوا غروب كوكب الهداية المنير وظهور شمس الحقيقة الالهية أن يكونوا ثابتين مستقيمين ولا ييأسوا ولا يقنطوا لأن بعد حصول النفخة الأولى التى تهلك الارض بالفناء والموت سيرتفع نداء آخر تحيي به جميع الاشياء ويظهر اذ ذاك معنى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات والارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون (١)) والحق أقول لكم إن بعد


منظر الكاظمين

القائم يظهر القيوم (٢) وبعد أن يغرب الكوكب الأول تشرق شمس جمال الحسين وتضىء العالمين .. وفى ذلك الحين ينكشف السر الذى تكلم عنه الشيخ أحمد عند ما قال (إن سر هذا الامر لابد وأن ينكشف ويظهر سر هذه الرسالة) فمن وصل إلى معرفة ذلك فى يوم الأيام فكأنما وصل إلى معرفة ثمرة الأجيال الماضية وإن عملا طيبا فى ذلك الوقت

(١) قرآن ٣٩ : ٦٨

(٢) يشير إلى الباب وبهاء الله

يساوى عبادة قرون لاعدد لها . فكم كان الشيخ أحمد يكرر آيات القرآن السابق ذكرها. ويؤكد أن مضمونها عبارة عن مجيء ظهورين متواليين لايفصلها وقت كبير وكل منهما يملأ الأرض مجداً وبهاءً وكان يصيح مراراً قائلاً (طوبى لمن يدرك معناها ويشاهد جمال محياها وكثيراً ما كان يخاطبنى ويقول (نحن الاثنين لانعيش لنرى ضياء بهائها ولكن الكثيرين من تلاميذك المخلصين سيشاهدون ذلك اليوم الذى لاأمل لنا فى رؤيته وياللأسف فيا أحبائى المخلصين ماأعظم وأجل هذا الأمر وما أعظم المقام الذى أدعوكم اليه وما أعظم المهمة التى أعدكم لها فشمروا عن ساعد الجد واجملوا وعده نصب أعينكم أسأل الله أن يؤيدكم بفضله على أن تقاوموا عواصف الامتحان التى سوف تكتنفكم حتى تخرجوا منها ظافرين وبغير خطر سالمين وترتقوا مقاما عليا .)

وكان السيد فى كل سنة فى شهر ذى القعدة يسافر من كربلاء إلى الكاظمين[١] ليزور فى يوم عرفة مقام الامام الحسين وفى آخر سنة من سنى حياته سافر الى كربلاء تبعاً لعادته التى كان حريصا عليها وفى أوائل شهر ذى القعدة سنة ١٢٥٩ هجرية[٢] وصل فى رابع يوم من الشهر إلى مسجد (برانه) الكائن فى الطريق العام مابين بغداد والكاظمين وقت صلاة الظهر فأمر المؤذن أن يؤذن بالصلاة ووقف تحت نخلة مواجهة للمسجد وما كاد يتم الصلاة حتى ظهر بغتة أعرابى وإذ اقترب من السيد عانقه قائلا (منذ ثلاث أيام كنت أرعى غنمى فى المرعى المجاور إذ أخذتنى سنة من النوم فرأيت محمدا رسول الله يقول لى هذه الكلمات « اسمع أيها الراعى كلماتى واحفظها فى قلبك لأنها وديعة الله أؤديها اليك لتحفظها وإذا وفيت بالأمانة يكون أمرك عظيما وإذا أهملتها يحل بك عقاب شديد واسمع فهذه هى الوديعة التى أعطيها لك :امكث قريبا من مسجد برانة وفى اليوم الثالث من هذه الرؤيا سيحضر أحد ذريتى وهو السيد كاظم مصحوبا بأصحابه ويقفون ساعة الظهر تحت النخلة بقرب الجامع وبمجرد أن تراه اهدى له تحياتى وقل له عنى افرح لأن ساعة فراقك قد جاءت فبعد الفراغ من زياراتك فى كاظمين ورجوعك إلى كربلاء فهناك

(١) قبر الكاظمين وهما موسى الكاظم سابع إمام والامام التاسع محمد تقى وهو على بعد ٣ أميال من بغداد ونشأت مدينة كبيرة حوالى المقامين ويسكنها الايرانيون وسميت بالكاظمين .

(٢) ٢٢ نوفمبر — ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٣ م

بعد ثلاثة أيام أي فى يوم عرفة تطير إلىّ ولا يمضى زمن كبير حتى يظهر من هو الحق ويضىء الأرض بأنوار وجهه » فبدت على وجه السيد كاظم ابتسامة بعد أن وصف الراعى الرؤيا وقال (لاشك عندى فى صحة رؤياك) فحزن أتباعه لذلك حزنا عميقا ولكنه التفت اليهم قائلا اليست محبتكم لى لأجل من نحن ننتظره جميعاً أفلا تحبون أن أذهب حتى يظهر لكم الموعود) وكانت هذه العبارة متداولة وسمعتها من نحو عشرة أشخاص ممن كانوا حاضرين وقتها . ومع ذلك فكثير ممن شاهدوها بأعينهم رفضوا الاعتراف بالحق وأنكروا رسالته



جانب من مسجد براثه

وانتشرت ذكرى هذه الحادثة العجيبة فى أقاصى البلاد وأوجبت الحزن والأسى فى قلوب محبي السيد كاظم فكان يهدى روع قلوبهم المضطربة ويثبتهم فى إيمانهم ويشعل فيهم نار الحمية والحماس .وأكمل حجّه بكل كمال ووقار وعاد إلى كربلاء وعند وصوله وقع مريضا طريح الفراش وأشاع أعداؤه لمجرد التضليل أن حاكم بغداد أعطاه سما لان الحاكم بنفسه كان كثير الاعتقاد فى السيد ويضع فيه ثقته ويعتبره أكبر رئيس دينى مثقف

وذا اطلاع تام وخلق مجيد (١) وفى يوم عرفه سنة ١٢٥٩ هجرية فى سن الستين من عمره ودع السيد كاظم هـذا العالم طبقا لرؤيا ذلك الراعى البسيط وترك وراءه جماعة من الاصحاب المخلصين زهدوا فى الدنيا وما فيها وانتشروا فى البلاد يبحثون عن القائم الموعود

(١) وكريم خان الذى أصر على أن الفاتحين أظهروا كل احترام للشيخيه وللسيد كاظم الرشتي لم يتردد فى القول باحتمال سم السيد في بغداد من نجيب باشا حيث سقاه شرابا شعر بعده بعطش شديد وتوفى وعلى هذا المنوال المضطرب يكتب الفرس تواريخهم (من مقاله على الشيخية لنقولاس جزء ٢ صحيفة ٣٠ — ٣١)



مكان مرقد السيد كاظم (والآن نقل حجر القبر)

ودفنت بقاياه المقدسة فى مقام الامام الحسين (١) وأحدثت وفاته ضجة كبيرة فى كربلاء كالتى قامت فى السنة السالفة فى مساء يوم عرفة اذ جاءت عساكر الترك منصورة واقتحمت أبواب القلعة وقتلوا عدداً غفيراً من الاهالى وكان منزله اذ ذاك أى قبل وفاته بسنة واحدة ملجأ (٢) للاجئين اليه فأصبح منزله منزل الاحزان والأسى لاصحابه الذين كانوا يندبون وفاته وينوحون لفراقه (٣).

(١) ودفن خلف شباك البهو الموجود بقبر أمير المؤمنين وقد حفر عميقا ومائلا فى عمقه نحو مدخل فناء الحرم

(٢) وانتشرت عقائد السيد حال حياته في جميع أنحاء إيران وكان له فى العراق وحده مائة الف مريد (من الجريدة الأسيوية سنة ١٨٦٦ جزء ٧ صحيفة ٤٦٣)

(٣) وهناك ينتهي تاريخ الشيخية أو على الاقل تاريخ وحدتها وانقسمت بعد وفاة الشيخ الى شعبتين أحدهما تحت اسم البابية وانتشرت بقوة كبيرة كالقوة التي أوجدها الشيخ أحمد ومنها ظهر الظهوران اللذان تنبأ عنهما وأما الطائفة الاخرى صارت تحت رياسة كريم خان القاجارى الكرمانى الذى استمر فى منازعته مع الشيعة وهو دائما يتستر تحت ستار الشيعى الاثني عشرى الكامل . أما الباب فى نظر كريم خان فهو ضال هو وأتباعه . وأما كريم خان فهو فى نظر البابيين الدجال الذى تنبأ عنه محمد (صلعم) (انظر نقولاس مقالة على الشيخية جزء ٢ صحيفة ٣١)

الفصل الثالث

فى اعلان دعوة الباب

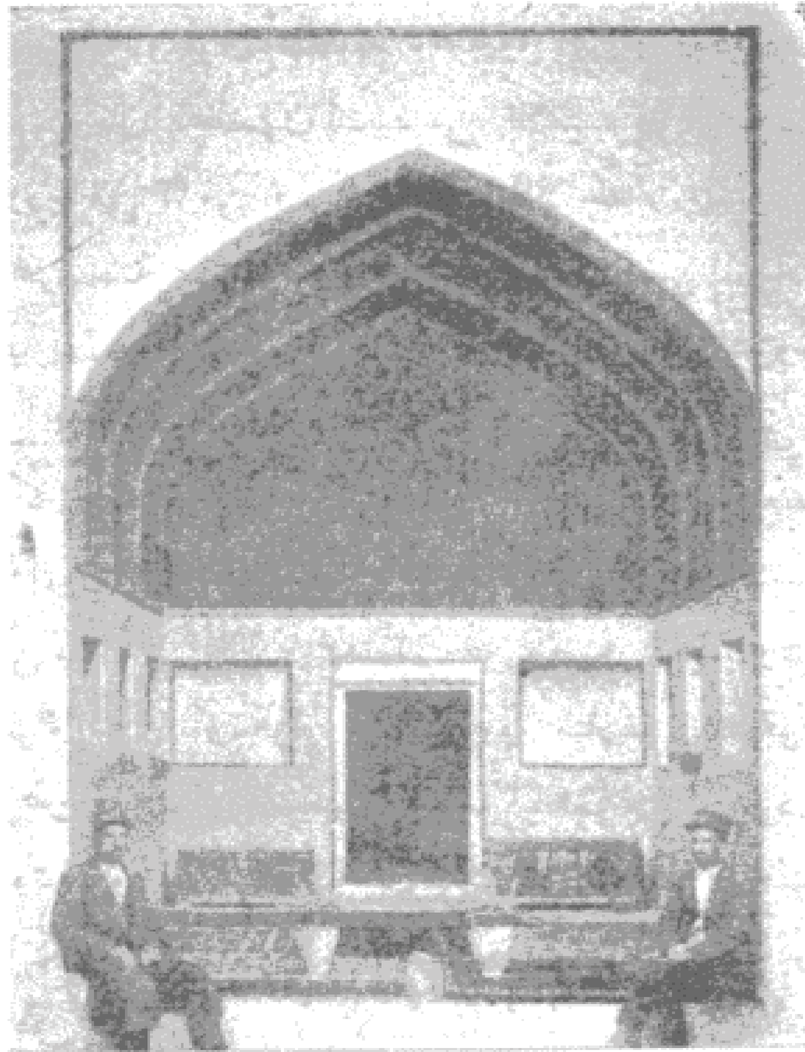
كانت وفاة السيد كاظم إشارة لقيام أعدائه بمجهودات جديدة اذ كانوا متعطشين للرياسة ومتجرئين بوفاته وتفرق أصحابه وأرادوا أن يجددوا ادعاآتهم وأعدوا العدة لتحقيق أغراضهم . وكان المخلصون للسيد من تلاميذه قد ازعجت قلوبهم وأمتلات أسى وحزنا عليه ردحا من الزمن ولكن عودة الملا حسين بشروئى من سفره الى كربلاء فى أول المحرم سنة ١٢٦٠ (١) هجرية بعد أن قضى المهمة التى أوكلها له السيد المذكور بنجاح قد بددت أحلام الاعداء (٢) وأنعشت قلوب المحزونين من تلاميذ السيد وجددت آمالهم فى المثابرة والدأب على البحث عن محبوبهم المختفى . واذ كان مقيما فى المنزل المجاور للذى كان يقطنه السيد مكث مدة ثلاثة أيام يتقبل العزاء من المعزين ويستقبل عدداً كبيرا من الذين كانوا يواسونه باعتباره أكبر تلاميذ السيد . وبعد الانتهاء من العزاء دعا عدداً من الاتباع المخلصين وسألهم عن وصية السيد وعن آخر نصائحه لهم فأخبروه بأنه أمرهم مراراً وتكرارا أن يهجروا منازلهم ويتفرقوا فى البلاد ويطهروا قلوبهم من كل غرض دنيوى ويخصصوا أنفسهم للبحث عن الموعود الذى كان دائما يشير إلى قرب ظهوره ومما قاله (انه أخبرنا بأن الذي هو مطلوبنا قد ظهر وأما الحجب التى هى بينكم وبينه فانكم لا تقدرون على رفعها إلا بالبحث الحثيث ولايمكن تمزيق تلك الأستار إلا باخلاص النية والتضرع والاستقامة ألم يقل تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) (٣) فأجابهم الملاّ (لماذا فضلتم الاقامة فى كربلاء ولماذا لم تتفرقوا للبحث) فقالوا (إننا نعترف بتقصيرنا ونشهد جميعاً بعظمتك ونحن على يقين بأنك لو تدعى

(١) ٢٢ يناير سنة ١٨٤٤ ميلادية

(٢) كان الملا حسين بشروئى رجلا يعترف له أعداؤه بأنه عالم كبير وذو قوة خلقية عاليه . وكان يداوم على الدرس من صغره وترق فى العلوم الدينية والشرعية على شأن اوجب احترامه (من كتاب الاديان والفلسفة فى أواسط أسيا للكونت جوبنو صفحة ١٢٨)

(٣) قرآن ٢٩ — ٦٩

أنك أنت الموعود فاننا لا نتردد فى الاذعان لك لشدة ثقتنا فيك ونحن نعاهدك على الطاعة وعمل كل ما تريده) فصاح الملاّ حسين قائلا (لاسمح الله أين التراب من رب الأرباب فلو عرفتم لحن القول من السيد كاظم ما كنتم تتفوهون بمثل هذه الكلمات فأول واجب عليكم وعلىّ أن نقوم على تنفيذ أمر رئيسنا المحبوب قولا وفعلا) فأطاعه الجميع وقام توا من مقعده وذهب لمقابلة ميرزا حسن جوهر وميرزا محيط من أشهر تلاميذ



منزل الملا حسين فى بشروه

السيد كاظم وأبلغهم رسالة رئيسه وألح عليهم بالقيام فوراً لتنفيذ رغبته ولكنهما امتنعا عن إجابة الطلب معتذرين باعتذارات واهية بقصد المراوغة وقال أحدهما (إن أعداءنا كثيرون وأقوياء وعلينا أن ننتظر فى هذه المدينة لحراسة مقام رئيسنا المتوفى الحالى) وقال الآخر (علىّ أن أقيم فى هذه المدينة لأرعى تلاميذ السيد الذين تركهم) فعرف الملا حسين

غرضهما وحمقهما والدافع الذى ألجأهما لأن يصما آذانهما عن الوفاء بأمر السيد فتركهما لاطاعهما ولم يطل معهما الحديث لعلمه بأن كل مجهود معهما يضيع عبثا .

وأما سنة الستين التى شهدت ظهور الموعود فقد ذكرت فى الأحاديث المروية عن الرسول وعن الأئمة فما قاله الامام جعفر الصادق جواباً على السؤال الخاص بظهور القائم (وفى سنة الستين يظهر أمره ويعلو ذكره) وكثيراً ما أشار العلامة محيي الدين ابن العربي فى كتبه ورسائله الى اسم الموعود وسنة ظهوره ومن ذلك قوله (ان وزراء المهدى كلهم من الأعاجم وفى اسمه يقدم اسم الولى (علىّ) على اسم النبى (محمد) وإن سنة ظهوره تنطبق على نصف أصغر عدد مشترك ينقسم على التسع أعداد (٢٥٢٠) اي ١٢٦٠ (١)

ومما رواه ميرزا محمد أكبرى فى أشعاره خاصا بسنة الظهور ما معناه (وفى سنة غرس تشرق الأرض بأنواره ولو كنت حيا فى سنة غرمى تشاهد كيف تتجدد الأمم والملوك والدين) وسنة غرس تطابق ١٢٦٠ وغرسى ١٢٧٠ ومن أحاديث الامام (انه فى سنة غرس تغرس شجرة الهداية الالهية)

أما الملاّ حسين فبعد أن حرض أقرانه على تنفيذ رغبة السيد سافر من كربلاء الى النجف ومعه أخوه محمد حسين وابن عمه محمد باقر وكانا يلازمانه منذ زيارته لمدينة بشروه موطنه فى خراسان ولما وصل الى مسجد الكوفة اعتزم على أن يصرف أربعين يوما فيه للخلوة والعبادة واستعد بمتابعة الصوم والتقشف للمهمة المقدسة التى كان ينتظرها . وكان يشاطره أخوه العبادة بينما كان ابن عمه يأتيهما بما يحتاجانه ويرافقهما فى التعبد فى وقت فراغه

وبعد أيام قلائل تغيرت حالة السكون والهدوء ووصل الملا على البسطامى من أشهر تلاميذ السيد ومعه اثنى عشر من رفقائه الى مسجد الكوفة وكان الملا على متفقها فى العلوم والمعارف وعلى اطلاع عظيم بتعاليم الشيخ أحمد حتى أن كثيرين كانوا يعدونه أعظم من الملاحسين وطالما كان يشتاق أن يسأل الملاّ حسين عن المصير بعد انقضاء مدة الخلوة ولكنه رآه منهمكا فى العبادة وكلما أراد مقابلته لم يتجاسر أن يسأله وعزم أن ينقطع للخلوة مدة أربعين يوما واتبعه فى ذلك رفقاؤه عدا ثلاثة ممن كانوا يقومون على خدمتهم

(١) سنة ظهور الباب

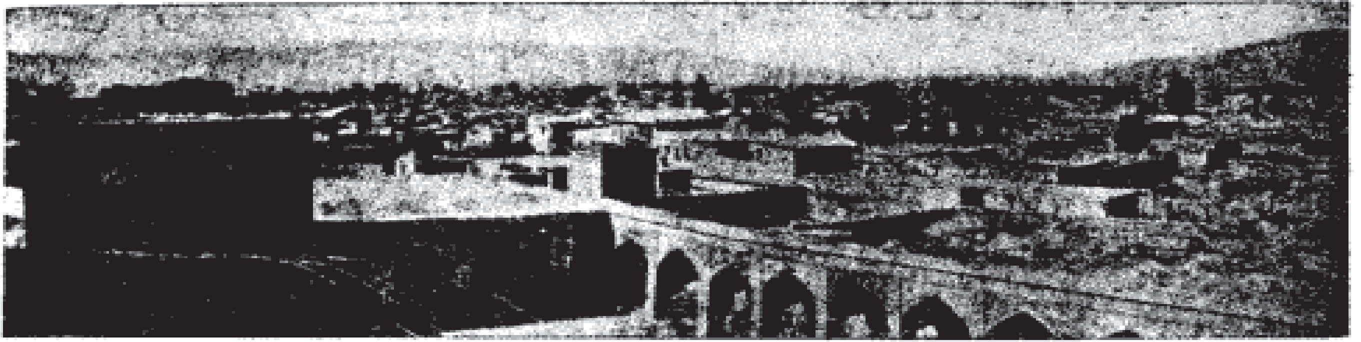
وبعد انقضاء مدة الأربعين يوما سافر الملاّ حسين ومعـه رفيقاه الى النجف وكان سفره من كربلاء ليلا وبعد زيارة مشهد النجف واصل سيره الى بوشـير على الخليج الفارسي وهناك ابتدأ يسأل عن محبوب قلبه وفيهـا استنشق طيب الأنفاس التى عبقت





مناظر مسجد ايلخانى

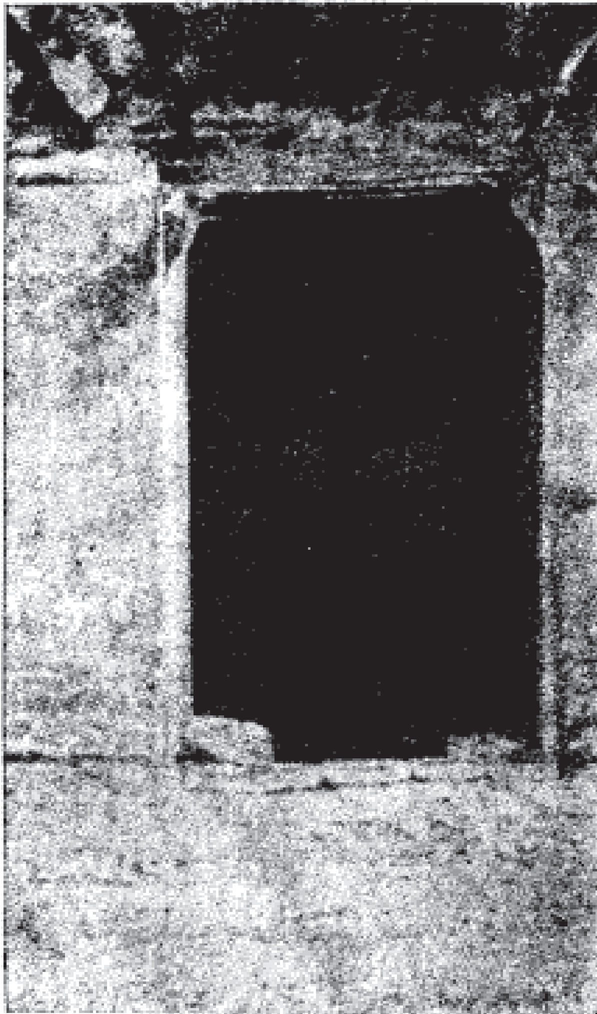
ممن كان يقطن تلك المدينة مشتغلا فيها كتاجر بسيط وشاهد روائح القدس التى ملأت أرجاء تلك المدينة من أثر مناجاة المحبوب .



منظر عام لشيراز

ولكنه لم يقدر على المكث كثيراً فى بوشير . وأحس أن شيئاً يجذبه بقوة الى الشمال نحو شيراز حتى اذا وصل اليها طلب من رفيقيه أن يذهبا إلى مسجد ايلخانى وينتظراه هناك الى أن يلحقهما وأخبرهما انه سوف يصلى معهما صلاة المغرب ان شاء الله

وفى ذلك اليوم بينما كان الملا يتمشى قبل الغروب ببضع ساعات خارج سور المدينة اذ بصر فجأة بشاب وضاح الجبين لابساً عمامة خضراء قد أقبل عليه وحياه بابتسامة مرحبا بوصوله بالسلامة وعانق الملا حسين بمحبة واخلاص كأنه صديق قديم وكان الملا قد ظنه فى أول الأمر أحد تلاميذ السيد كاظم وانه حضر للترحيب به بعد ان سمع بسفره إلى شيراز .



الغرفة التى تقابل فيها الباب مع الملا حسين فى مسجد إيلخانى

ومما قصه الميرزا احمد قزوينى الشهيد على المؤمنين ما سمعه من الملا حسين مرارا من كيفية مقابلته للباب تلك المقابلة التاريخية العظمى وتتلخص فى الآتى (ان الشاب الذى قابلنى خارج ابواب شيزار أدهشنى باشارات محبته والحّ بدعوتى لزيارته لاستريح قليلا من وعثاء السفر وسألته أن

يعفيني من ذلك لأن رفيقاى قد عملا ترتيبا لنزولى فى هذه المدينة وهما بانتظار رجوعي فقال (اتركهما لحراسة الله فهولاشك حافظهما) ولما تفوه بذلك امرنى باتباعه وكنت قد تأثرت جدا من اللطف الذى واجهنى به اثناء محادثته ولما تتبعته ازداد تعجبي من هذه المفاجأة ومن حسن ذوقه وحلاوة صوته وكمال هيئته ولم تمض برهة وجيزة حتى وجدت

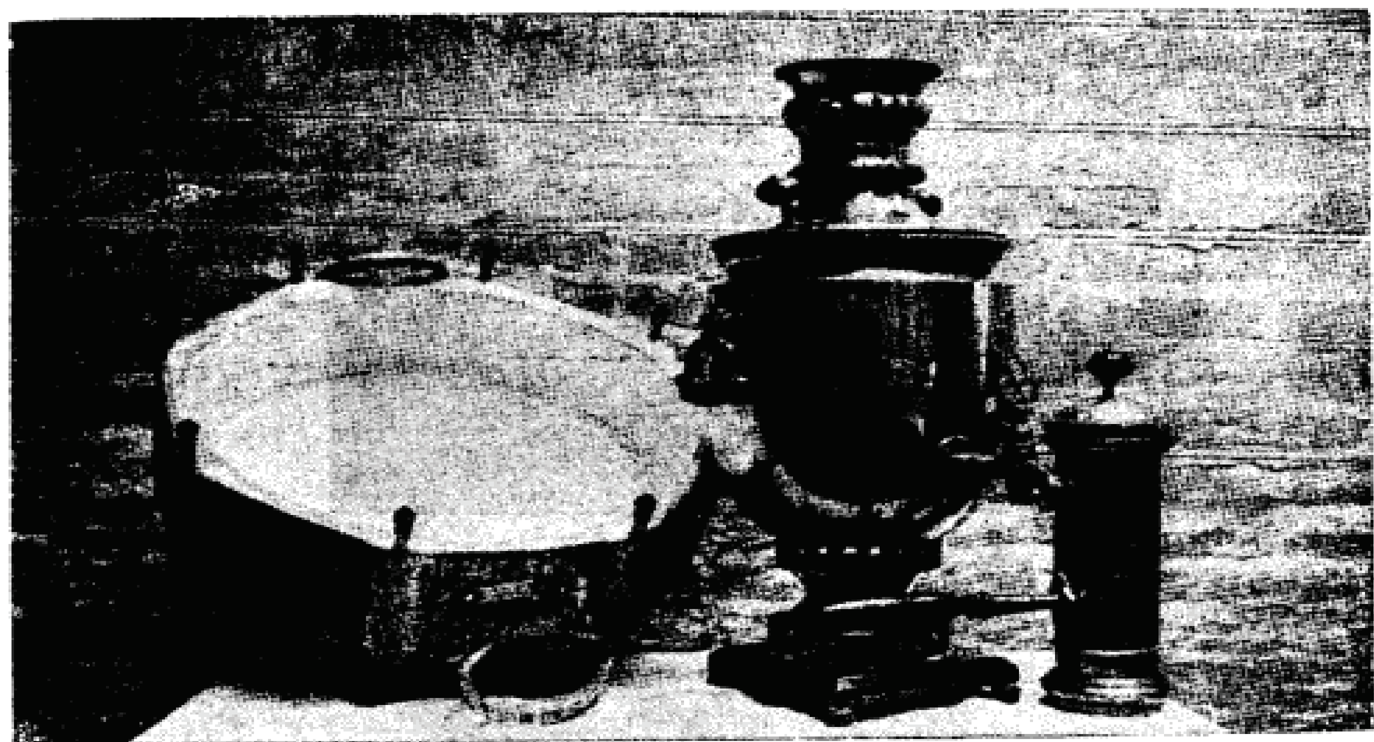


شجرة البرتقال التي غرسها الباب فى فناء منزله في شيراز

نفسى عند باب منزل ظريف طرق بابه ففتح له خادم حبشي ولما دخل على العتبة أمرنى باتباعه قائلا (ادخلوها بسلام آمنين) (١) وكانت تحيته بقوة وجلال نفذا الى أعماق قلبي واستبشرت خيرا من الفال الحسن الصادر من هذه الكلمات التى خاطبنى بها وانا واقف

(١) قرآن ١٥ — ٤٦

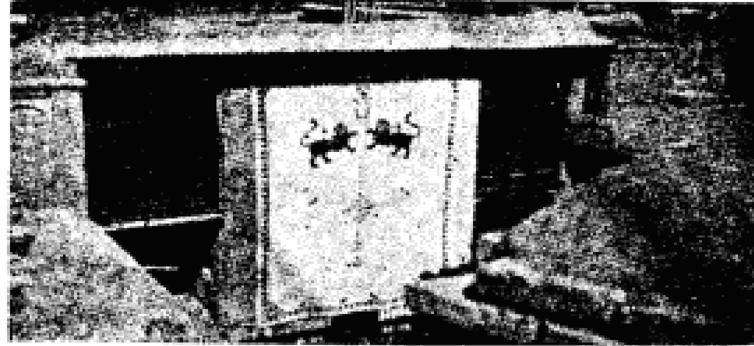
على عتبة باب أول منزل دخلته في شيراز تلك المدينةالتي سبق أن طفح السرور على قلبي من تأثير جوها سرورا لامزيد عليه وقلت في نفسي لعلى اصل الى بغيتي أو تقربني هذه الزيارة الى من ابحث عنه وتقصر علىّ مدة انتظاري الطويلة وبحثي الشاق واذ دخلت المنزل وتبعت مضيفي الى غرفته شعرت بسرور لامزيد عليه وبمجرد أن جلسنا أمر بالطشت والابريق وأمرني أن اغسل يدي وقدمي من وعثاء السفر فأستأذنت منه لاغسل في الغرفة المجاورة ولكنه رفض وشرع يصب الماء بنفسه على يدىّ . ثم ناولني مشروبا لطيفا وطلب السماور وجهز الشاي بنفسه وناولني منه . وبعد أن غمرني بلطفه



سماور الباب وموقده

طلبت منه الانصراف وقلت بأن صلاة المغرب قد اقتربت ووعدت اصحابي أن التحق بهم في مسجد ايلخاني فبكل احترام وهدوء اجابني (لابد وانك تكون قد علقت عودتك على مشية الله ويظهر أنه ما أراد ذلك فلا تخف من خلف الوعد وكان بهاؤه واطمئنانه قد اسكتني وقمت أعدت وضوئي وابتدأت في الصلاة وأخذ هو ايضا يصلي بجانبي واثناء الصلاة ارتاحت نفسي من تحيرها من غرابة هذه المقابلة ومن البحث الذي تعلقت به وشرعت أثناء الصلاة أقول (يالهي لم آل جهدا في البحث وللآن لم اوفق لضالتي المنشودة ورسولك الموعود وأن وعدك الحق وانك لن تخلف الميعاد)

وكانت تلك الليلة العشية السابقة على ٥ جمادى الاول سنة ١٢٦٠ (١) وكان مضيفي الشاب بتدأ يحادثني بعد المغرب بنصف ساعة وسألني اذ ذاك قائلا (من ذا الذي تعتبره خلفا للسيد كاظم ئيسالكم) فأجبته بان السيد عندما حانت منيته نصحنا بشدة أن نترك اوطاننا و نتفرق فى كل







ضواحي شيراز حيث كان الباب يتنزه

مكان طلبا للمحبوب الموعود ولذلك سافرت الى ايران وقمت لتنفيذ ارادته وللآن لا أزال مشتغلا بالبحث) فسألني (هل اعطاكم معلمكم أوصافا مفصلة وامتيازات فى موعودكم) فقلت (نعم فانه من السلالة الطاهرة والعترة النبوية ومن ذرية فاطمة واما سنه فا كثر

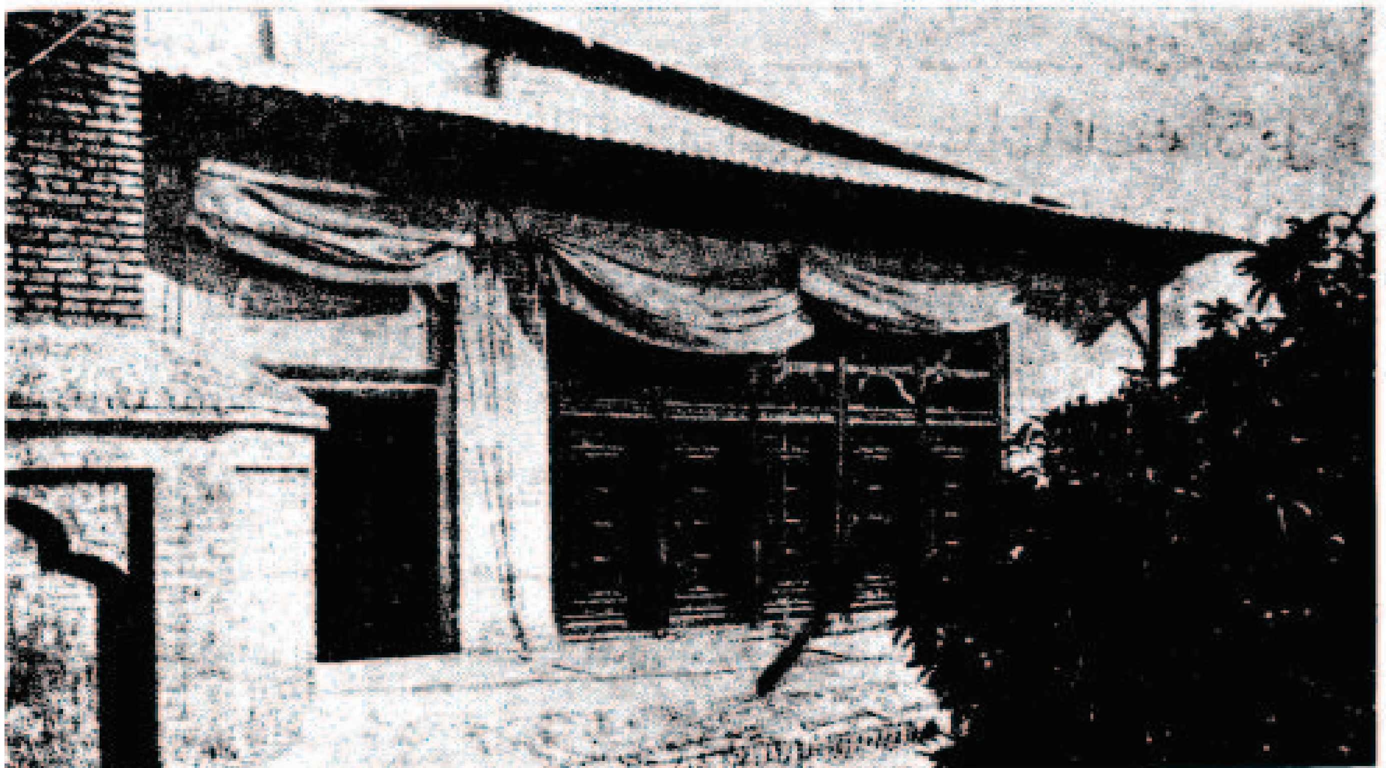
(١) يوافق مساء ٢٢ مايو سنة ١٨٤٤ م ويقع يوم ٢٣ مايو فى يوم الخميس .

من العشرين واقل من الثلاثين ، وعنده علم لدنى وهو متوسط القامة ويمتنع عن شرب الدخان وخال من العيوب والعاهات الجسمانية) فسكت هنيهة ثم قال بصوت جهورى (انظر هل ترى هذه العلامات فى شخصى) ثم عدد العلامات واظهر أنها جميعها تنطبق عليه فحصلت عندى دهشة كبيرة وقلت له فى أدب (ان الذى ننتظره هو شخص قدسى ليس فوق قداسته قداسة ويظهر من الامر ما له قوة فائقة وشرائطه وعلائمه عديدة فكم اشار السيد الى سعة علمه وكم كان يقول (إن علومى بالنسبة لعلمه كقطرة من بحر مما وهبه الله وان جميع ما حصلته لم يكن الا كذرة من التراب فى مقابلة اتساع معارفه والفرق بينهما شاسع) وما كدت اتفوه بهذه الكلمات حتى شعرت بالخوف والخجل بدرجة لم اتمكن من اخفائها ووبخت ضميرى وعزمت على تغيير اسلوبى وتخفيف حدتي وعاهدت الله بانه لوعاد للموضوع فانى أقول له بكل خضوع (اذا اردت أن تؤسس دعوتك فانك تخلصنى ولاشك من عبء الانتظار والتوقف الذى أثقل كاهلى وا كون مدينا لك لهذا الخلاص) وكنت فى ابتداء طلبى وبحثى قدجعلت أمام عينى علامتين أعرف بهما صحة دعوي القائم وهما اولا رسالة الفتها تختص بالامور والاحوال الغامضة والاقوال المتشابهة والتعاليم الباطنية الصادرة من الشيخ احمد والسيد كاظم وصممت على أن الذى يحل معضلات هذه المسائل اسلمه زمام امرى — وثانيا أن أطلب منه أن يملى علىّ تفسيرا على سورة يوسف بلغة وطريقة مغايرة للأصول المعروفة فى زماننا ذلك لانى سبق أن طلبت من السيد تفسيرا على هذه السورة فامتنع قائلا (ان هذا ليس فى مقدورى فان الذى يأتى بعدى وهو أعظم منى سيكتب تفسيرا لها بدون أن يطلبه أحد وهذا التفسير هو أكبر الادلة على رفعة شأنه وعلو مقامه وأكبر شاهد على صدق دعوته (١)

وبينما كنت مشتغلا بحل هذه الأمور فى عقلى قال لى مضيفى مرة أخرى (أنعم النظر هلا يمكن أن يكون الشخص الذى يعنيه السيد كاظم إنما هو أنا) فاضطررت اذ ذاك أن أقدم له نسخة من الرسالة التى كانت معى وسألته (هل لك أن تقرأ هذا

(١) يروى أن الملا حسين قال (بينما كنت ذات يوم مع السيد كاظم فى مكتبته سألته عن السبب فى أن سورة يوسف دعيت فى القرآن أحسن القصص فأجابنى بأنه لم يحن الوقت لابداء السبب وبقيت هذه الحادثة فى مخيلتى ولم أذكرها لأى أحد (من التاريخ الجديد صحيفة ٣٩)





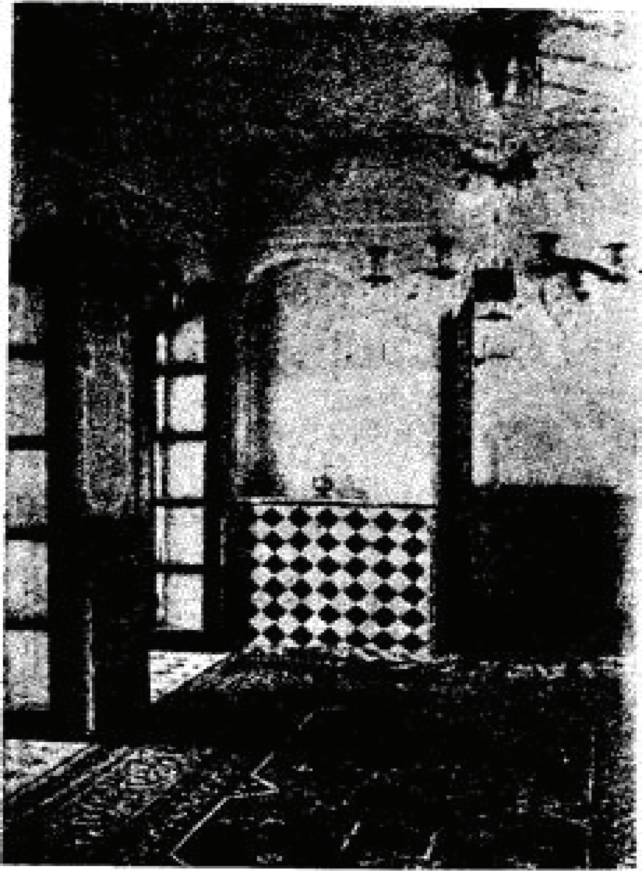
مناظر الغرفة العليا فى منزل الباب فى شيراز وهى التى اعلن فيها دعوته

الـكتاب وتتصفحه بعين الرضا وتصفح عما تجده فيه من ضعف وتقصيرى) فأجابنى إلى طلبي وفتح الـكتاب ونظر فى بعض صفحاته ثم أغلقه وابتدأ يخاطبنى وفى ظرف بضعة دقائق كشف لى عن جميع الأسرار التى فيه وحل جميع معضـلاته ولما أتم ما أردته فى برهة قصيرة فسر لى أيضا كثيرا من الحقائق التى لم توجد فى أقوال الأئمـة ولا فى كتابات الشيخ احمد ولا السيد كاظم وهذه الحقائق التى لم أسمعها من قبل كانت تتلى بطلاوة مبهجة وقوة فائقة ثم قال لى (لو لم تكن ضيفى لـكان موقفك خطـيرا ولـكن الرحمة الالهية شملتك فان لله أن يمتحن عبيده وليس للعبيد أن يمتحنوه بمـا عندهم من الموازين ولو كنت فرضا لم أحل لك هذه المعضلات فهل تعتبر الحقيقة المشرقة فى باطنى عاجزة أو تتهم علمى بالنقص حاشا لله بل ينبغى فى هـذا اليوم للملل الارض فى الشرق والغرب أن يسرعوا الى هذه العتبة وعندها ينشدون فضل الرحمن ، وكل من يتردد فى ذلك فهو فى خسران مبين . أفلا يشهد أهل الارض أن الغرض الاصلى من خلقهم انما هو معرفة الله وعبادته. إذاً ينبغى لهم أن يقوموا بانفسهم ويبذلوا الجهد كما قمت أنت ويطلبوا بالاستقامة والثبات محبوبهم الموعود) ثم شرع يقول (والآن وقت انزال التفسير على سورة يوسف) واخـذ قلمه وبسرعة لاتـكاد تصدق نزلت سورة الملك وهو اول باب من تفسيره على سورة يوسف وكانت قوة تأثير كلماته قد زادتهـا حلاوة الصوت الذى كان يتلوها به ، ولم يتوقف لحظة اثناء تلاوة الآيات التى نزلت من قلمه حتى تمت السورة وكنت جالسا استمع مأسورا من سحر صوته وقوة بيانه وأخيرا قمت وانا أقدم رجـلا وأؤخر أخري واستأذنت منه فى الانصراف فأمرني بابتسامة بالجلوس قائلا (اذا انصرفت على هذه الحال فان كل من يراك يقول ان هـذا الغلام قد فقد رشده) وكانت الساعة اذ ذاك اثنين وإحـدى عشر دقيقة بعد الغروب (١) من الليلة الخامسة والستين بعد النوروز أو هى تطابق ليلة اليوم السادس من خرداذ سنة نهنج ثم قال لى (انــ هذه

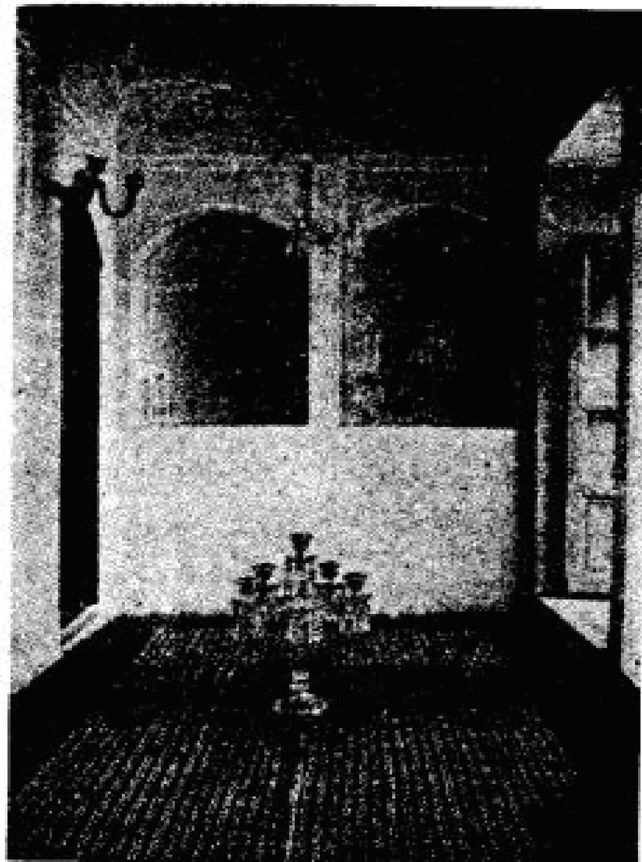
(١) اى من ليلة ٥ جمادى الأول سنة ١٢٦٠ هجريه وهى ١٢٧٠ من رسالة محمد ص كما ذكر فى الواحد الثانى من الباب ٧ من البيان الفارسى (كان ابتداؤه بعد مرور ساعتين وإحـدى عشر دقيقة من مساء اليوم السابق على ٥ جمادى الاول سنة ١٢٦٠ التى هى سنة ١٢٧٠ من بعثة محمد (منقول من نسخة خطيه كتبت بخط السيد حسين كاتب وحى ورفيق الباب)



غرفة والدته



غرفة نومه



غرفة استقباله

مناظر منزل الباب فى شيراز

الليلة وهذه الساعة سيحتفل بها فى الايام الآتية كأعظم الاعياد وأهمها فاشكر الله الذى أوصـلك إلى مرغوب قلبك وأشربك من رحيق كلامه المختوم طوبى للذين هم اليــه واصلون) (١)

وفى الساعة الثالثة بعـد الغروب امر مضيفى بتجهيز العشاء وظهر الخادم الحبشى واحضر أمامنا أشهى طعام مما ابهج جسمى وروحى معا وشعرت كأنى اتناول من فواكه الجنة وكنت أكبر اخلاق هذا الخادم الذى كأن حياته قد تجددت من تأثير سيده ومن ذلك عرفت معنى الحديث الشريف (أعددت لعبـادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ولو لم يـكن عند مضيفى سوى ما قابلنى به من الـكرم والمحبة التى اقنعتني انها لا تصدر ابداً من أى مخلوق آخر لـكان ذلك شاهدا كافيا للدلالة على عظمته ومكثت جالسا مسحورا من حـديثه ناسيا الوقت ومن كانوا على انتظار عودتى ولم أنتبه من النشوة التى وقعت فيها الا على صوت المؤذن بغتة يدعو المؤمنين إلى صلاة الصبح وفى تلك الليلة شعرت بجميع المسرّات والنعم التى ذكر الله فى كتابه أنه يهبها لأهل الجنة وأحسست اني فى مكان (لا يمسنا فيه نصب ولا لغوب) ويصدق عليه قوله تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) — (دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

وفارقنى النوم تلك الليلة فـكنت أعير أذنا صاغية لنغمات صوته فى صعودها وهبوطها أثناء نزول قيوم الاسماء (وهى تفسير الباب لسورة يوسف) (٢) متلذذا من ترنمات مناجاته التى كان يتلوها فى صلواته وكان بين كل منـاجاة وأخرى يـكرر الاية

(١) نقل المسيو نقولاس من كتاب الحرمين (فى الحقيقة أن أول يوم نزل فيه الروح على قلب هذا العبد كان يوم ١٥ من ربيع الأول (انظر كتاب سيد على محمدالباب تأليف نقولاس صحيفة ٢٠٦)

(٢) ويظهر عليه فى أول هذه السور أنه كان شخصا تقيا باطنيا وفى الثانية جدليا منطقيا ويلاحظ المستمعون أنهم وجدوا فى الفصل الخاص بكتاب الله انه اختار نغمة جديدة لم يعلم بها أحد قبل ذلك وانها تستمد من معلومات لم يسمع بها من قبل . ولا يسع المستمع الا الاعجاب بعلو وجمال تلك العبارات العربية المستعملة في تلك السور . فلها من المعجبين العالين من لايخشى تفضيلها على أحسن المقاطيع الالهية (من كتاب الـكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفه ـ ١٢٠)

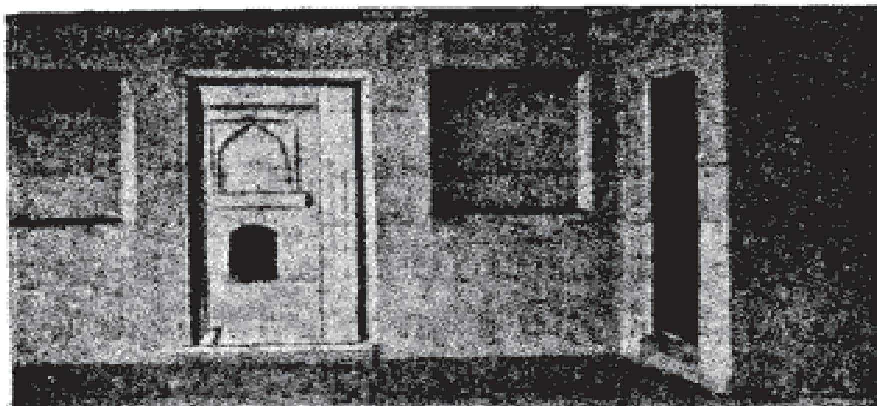


(منظر البابية فى مشهد)

ولما تمكن من ضم هؤلاء المؤمنين الاشداء الى الأمر عزم على كتابة التقرير الى الباب عن أعماله ووصف رحلته فى اصفهان وكاشان ووصف مارآه من بهاء الله ورحلته الى مازندران وذكر حوادث نور وحدث فيه عن النجاح الذى صادفه فى خراسان وأرفق مع التقرير كشفا ببيان أسماء الأحباء الذين أجابوا النداء واطمأن إلى ثباتهم واستقامتهم . وأرسل خطابه بطريق يزد بواسطة شركاء خال الباب الذى كان إذ ذاك قاطناً فى طاباس ووصل الخطاب إلى الباب فى الليلة التى سبقت اليوم السابع والعشرين من رمضان(١) وهى المشهورة عند المسلمين بليلة القدر وهى التى وصفت فى القرآن بأنها خير ألف شهر(٢) ولم يكن مع الباب فى تلك الليلة عند

(١) يوافق ليلة ١٠ أكتوبر سنة ١٨٤٤ ميلادية

(٢) وهى إحدي الليالي العشر الأخيرة من رمضان ومعناها ليلة القوة وهى على الأرجح الليلة السابعة اذا حسبت بالتراجع (أى ليلة ٢٣ ، ٢٤ من رمضان)



(منظر البابية فى مشهد)

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (١))

ثم التفت اليّ وخاطبني بقوله (يامن هو أول من آمن بي حقا إنني انا باب الله وأنت باب الباب ولا بد وأن يؤمن بي ثماني عشرة نفسا من تلقاء انفسهم ويعترفون برسالتي وسينشدني كل منهم على انفراد بدون أن يدعوهم أحد أوينبههم اليها . وعندما يتم عددهم يجب انتخاب أحدهم لمرافقتي إلى الحج الى مكة والمدينة وهناك أبلغ الرسالة الألهية إلى شريف مكة ثم أرجع إلى الكوفة وفي مسجد تلك المدينة أظهر الأمر وعليك الآن أن تكتم عن أصحابك وعن كل شخص آخر وواصل الانقطاع في مسجد إيلخاني وواظب على الدرس فيه واحذر أن تظهر مكنون هذا السرّ من سلوكك أو هيئتك إلى وقت مفارقتي للحجاز وسأعين لكل من الثمانية عشر نفس رسالته ومهمته وسأعرفهم كيفية تبليغ كلمة الله وإحياء النفوس ولما أتم هذه الكلمات أمرني بالأنصراف ورافقني إلى الباب وجاءت هذه الرسالة على غرّة كالصاعقة التي خدرت جميع قواي وقتا ما (٢) وكان بهاء إشرافها يخطف بالأبصار وأخذتني قوتها الساحرة وحركت أعماق قلبي بشدة الفرح وفرط التعجب والدهشة والخوف وكان الحبور هو الغالب عليّ من جميع هذه الأحساسات وكذلك القوة فأنهما أخذا بمجامع قلبي واستوليا على هيكلي ولبي فكم كنت أحس بالضعف والأهمال والجبن قبل ذلك . وما كنت أقدر على الكتابة ولا على المشي وكانت يداي ورجلاي ترتعشان على الدوام ولكن معرفة أمره بعد ذلك كهربت جسمي وأحسست بوجود قوة وشجاعة لا يقدر العالم بأجمعه على مقاومتها بل لو اجتمع أهل الأرض وما عندهم من قوة لرأيت في نفسي من الجسارة ما أقاوم به هجومهم وحدي فكان الوجود أمامي كقبضة من تراب في يدي وكأن جبريل قد تجسد فيّ وهو ينادي

(١) قرآن ٣٧ — ١٨٠

(٢) ورد في بحار الانوار والعوالم وفي الينبوع عن الصادق بن محمد قوله (العلم سبعة وعشرون حرفا وجميع ما جاءت به الرسل حرفان ولم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة وعشرين حرفا) فانظر كيف أنه قرر أن العلم سبعة وعشرون حرفا وأن جميع الانبياء من لدن آدم إلى الخاتم بينوا منه حرفين وبعثوا على هذين الحرفين ويقول أن القائم يظهر جميع الخمسة عشر حرفا فاعرف من هذا البيان قدر ومرتبة حضرته وأن قدره أعظم من جميع الانبياء وأمره أعلا وأرفع عن عرفان وأدراك كلّ الاولياء « كتاب الايقان »



السلم المؤدى الى غرفة إعلان الدعوة



الباب والشباك الاصليين



المدخـــل

مناظر منزل الباب الذى أعلن فيه دعوته وهو فى شيراز

العالمين « تنبهوا أيها الأقوام فقد انبلج نور الصباح ولاح الأمر وفتحت أبواب الرحمة لتدخلوا فيها لأن الموعود الذي وعدتم به قد ظهر »

وعلى هذه الحالة تركت المنزل وعدت إلى أخي وابن عمي ورأيت الكثيرين من أتباع الشيخ أحمد ممن بلغهم خبر حضوري في مسجد ايلخاني أتوا لمقابلتي وطبقا لارادة محبوبي قمت لتنفيذ رغبته ولما رتبت الدرس اجتمع حولي الكثيرون وجاء لزيارتي وجهاء وعلماء المدينة وكان الجميع قد أعجبوا من الروح التي كنت ألقي بها الدرس غير عالمين بأن المنبع الذي صدرت عنه إنما هو ذلك الموعود الذي ينتظرونه بشغف

وفي هذه الأثناء كان الباب يدعوني لزيارته ويرسل لي ذلك الخادم الحبشي برسالة المحبة والترحيب وكلما زرته كنت أصرف الليل بتمامه عنده وأبقى متيقظا إلى مطلع الفجر تحت أقدامه مبهوتا من حلاوة حديثه متناسيا الدنيا وما فيها وكانت تمر تلك السويعات كالبرق الخاطف ولا أفارقه إلا في الفجر بعد التردد وكنت كل يوم أنتظر المساء بشغف حتى إذا دنا الفجر امتلأت حزنا وأسفا لفراقه وقال لي مضيفي ذات ليلة سوف يأتي باكرا ثلاثة عشر شخصا من أصحابك وعليك أن تظهر لكل منهم محبتك الزائدة ولا تتركهم وشأنهم لأنهم خصصوا حياتهم لطلب المحبوب وادع الله أن يمكنهم بمنه وكرمه على أن يسيروا باطمئنان في هذا الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر ومنهم من هو معدود عند الله من عباده المنتخبين المخلصين . وآخرون يسلكون طريقا وسطا ولا يظهر نصيب الباقين حتى تأتي الساعة التي يظهر فيها كل أمر مكنون(١) وفي صبيحة ذلك اليوم في وقت الفجر بعد عودتي من منزل الباب جاء ملا على البسطامي في مسجد ايلخاني ومعه باقي أصحابه الذين أخبرني عنهم الباب وفي الحال قمت لهم بواجب الضيافة وذات ليلة بعد مرور بضع أيام على وفودهم كلمني ملا على نيابة عن باقي أصحابه قائلا (أنك لتعلم عظم ثقتنا فيك وإن طاعتنا لك بدرجة لو تدعي أنك القائم الموعود فأننا جميعا لا نتأخر عن إجابتك وطبقا لأمرك قد تركنا أوطاننا للبحث عن موعودنا المحبوب وإنك كنت أول

(١) كذلك انظر في ابتداء ظهور الباب ففي مدة أربعين يوما لم يؤمن بحرف الباء سوى السين ولم يكن الا بالتدريج حتى لبست حروف بأسم الله الامنع الاقدس قيص الايمان حتى كمل الواحد الاول فانظر بعد ذلك كيف تضاعفت الى هذا اليوم (البيان الفارسي الجزء الرابع صحيفة ١١٩)

قدوة حسنة لنا وقد تبعنا خطواتك وعزمنا أن لا نتوانى فى بحثنا حتى نعثر على ضالتنا المنشودة ولقد تبعناك إلى هذا المكان ونحن مستعدون لقبول كل من تقبله أملا فى الاستظلال فى ظل حمايته والفوز من المخاطر التى تؤذن بدنو الساعة الأخيرة وقد رأينا من ملامح وجهك أن الترقب قد انتهى وأن الاضطراب قد زال . ولذلك نرجوك أن تخبرنا عن سبب ذلك حتى نتخلص نحن أيضا من عبء الانتظار والشك) . فأجبتهم بلطف قائلا (إن أصحابك ربما نسبوا هدوئي وسروري إلى الصيت والشهرة التى نلتهما فى هذه المدينة ولكن الحق بعيد عن ذلك فالعالم جميعه بأبهته وملاذه لا يثنى هذا الحسين البشروئى عن محبوبه ومنذ بداية هذه المهمة المقدسة التى نزلت فى ساحتها أقسمت بأن يكون نصيبى أن أختم حياتى بخاتم دمى فرحبت بالولوج فى بحر البلايا . فلا أحن لأمور هذه الدنيا ولا أبغى إلا رضا المحبوب فلا تنطفىء هذه النار المشتعلة فى قلبى إلا إذا سفك دمى فى سبيله وإنكم والحمد لله سترون ذلك اليوم . فبفضله العميم وبمنه وكرمه قد فتحت أبواب رحمته أمام الملاّ حسين واتباعا لأمره وحكمته قد أمرني بالسير على هذا المنهج لاخفاء هذه الحقيقة) فحركت هذه الكلمات روح الملاّ على ورأى بنفسه معناها وألح عليّ بعين دامعة أن أكشف له عن حقيقة ذلك الذى أبدل الشك باليقين والاضطراب بالاطمئنان وقال (أقسمك بربك الرحمن أن تهبنى نصيبا من ذلك الرحيق القدسى الذى تناولته من يد الرحمة ففى ذلك إطفاء للهيب ظمأى وتهدئة لاضطراب قلبى من ألم الانتظار) فاجبته (لا تطمح فى أن تنال منى هذا المرغوب وثق به فسوف يسدد خطواتك ويهدىء روع قلبك)

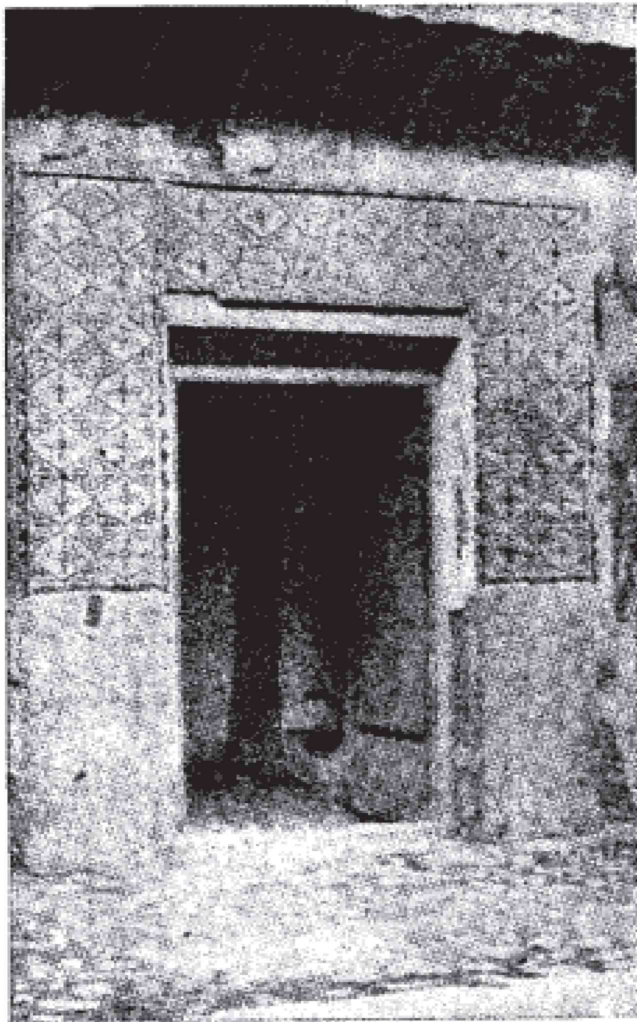
فأسرع الملا على إلى أصحابه وأخبرهم بما دار بينه وبين الملاّ حسين من الحديث وأشعل فى قلوبهم الرغبة فى البحث وتفرقوا للخلوة طالبين بالصوم والتضرعات كشف الحجاب الذى حال بينهم وبين معرفة محبوبهم . وكانوا يقولون فى مناجاتهم (اللهم ربنا إياك نعبد وإياك نستعين إهدنا الصراط المستقيم ياربنا وآلهنا أظهر لنا ما وعدتنا على لسان أنبيائك ورسلك ولا تخزنا يوم الدين إنك لن تخلف الميعاد) وفى ثالث ليالى الخلوة بينما كان الملاّ على البسطامى مستغرقا فى الصلاة رأى رؤيا فظهر أمام عينيه نور تحرك أمامه فتبعه وهو مأخوذ من بهجته إلى أن أداه ذلك إلى محبوبه الموعود فانتبه فى تلك الساعة فى نصف الليل وهو مغتبط فرحاً وفتح باب مخدعه وأسرع إلى الملاّ حسين وارتمى فى

أحضانه وعانقه الملا حسين بغاية المحبة قائلا (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) وفى فجر ذلك اليوم ذهب الملا حسين يتبعه الملا على إلى منزل الباب فرأيا ذلك الخادم الحبشى واقفا على الباب فعرفهما وحياهما قائلا (قبل الفجر ذهبت لمقابلة سيدى فأمرنى أن أفتح باب المنزل وأنتظر على عتبته قائلا أنه سيحضر فى هذا الصباح باكرا ضيفان فبأسمى رحب بهما وقل لهما ادخلا بسلام على اسم الله)

وكانت مقابلة الملاّ على مع الباب شبيهة بمقابلة الملاّ حسين ولم تختلف عنها إلا فى أن المقابلة السابقة كانت تدور حول الحجج والبراهين على رسالة الباب بينما فى هذه الدفعة سادت روح الخضوع والخشوع التام وامتلأت الغرفة بالحياة من أثر تلك القوة السماوية وكأن كل شىء فيها ينادى (قد انبثق فجر اليوم الجديد وتسلط الموعود على قلوب العالمين وبيده كأس الأسرار ومعين الخلود طوبى للشاربين) وكذلك وجد كل من باقى الاثنى عشر من الأصحاب المرافقين للملاّ على محبوبه كل بدوره وبكامل سعيه وجده فرآه البعض فى الرؤيا والبعض الآخر أثناء صلواته ومنهم من وجده أثناء تأملاته مسترشدا بالالهام الربانى الذى ألهمهم لمعرفة قوة بهائه وتشرف هؤلاء بحضرة الباب كما تشرف ملاّ على من قبل وكانت زيارتهم له مصحوبة بالملاّ حسين ودعوا بحروف الحى وكمل منهم سبعة عشر حرف وثبت اسمهم فى لوح الله المحفوظ بالتدريج وتعينوا رسلا للباب وأمناء لدينه وناشرين لنفحاته

وتكلم الباب أثناء محادثته مع الملاّ حسين ذات ليلة قائلا (قد أثبتنا سبعة عشر حرفا وانضموا للواء دين الله ولم يبق إلا حرف واحد على تمام العدد فعلى هؤلاء الحروف القيام لدعوة الأمر وتأسيس دين الله وسيأتى الحرف الأخير فى الليلة القادمة ليكمل العدد.) ففى اليوم التالى فى الغروب بينما كان الباب راجعا إلى منزله متبوعا بالملاّ حسين إذ ظهر شاب عليه غبار السفر واقترب من الملاّ حسين وعانقه وسأله إذا كان قد وصل إلى بغيته فاجتهد الملاّ حسين أن يهدىء روعه وطلب منه أن يترقب ووعد بارشاده فلم يقبل ذلك الشاب أن يلتفت إلى نصحه ووجّه نظره إلى الباب وقال للملاّ حسين (لماذا تكتم عنى. فانى أعرفه من هيئته وإنى أشهد فى سرّى أنه لا يقدر أحد خلافه فى الشرق أو الغرب أن يدعى أنه

الحق) فدهش الملاّ حسين من كلماته واعتذر اليه وطلب منه أن يضبط حواسه حتى يأتي الوقت الذى يقدر فيه أن يبوح له بالحق وتركه مسرعا نحو الباب وأخبره بما دار بينه وبين ذلك الشاب من المحادثة فأجابه الباب (لا تدهش من ذلك المسلك فاننا كنا فى عالم الروح نتحادث مع ذلك الشاب ونعرفه من قبل وكنا ننتظر قدومه فاذهب اليه واحضره أمامنا) فتذكر الملاّ حسين حالا من كلمات الباب تلك الفقرة (انه فى اليوم الأخير تجوب رجال





مناظر الحمام العمومى الذى ذهب اليه الباب فى حداثته فى شيراز

الغيب فضاء العالم على أجنحة الروح ويحضرون أمام القائم الموعود ويبتغون منه ذلك السرّ الذى يحل لهم معضلاته ويزيل متاعبهم) . ومع ان هؤلاء الأبطال كانوا بعيدين عنه بالجسد إلا أنهم روحيا كانوا مشغولين بالمناجاة مع محبوبهم ويشاركونه فى أحاديثه وصحبته وإلا فكيف يمكن للشيخ أحمد والسيد كاظم أن يعرفا الباب وكيف تمكنا من الاطلاع على السرّ المودع فيه بل كيف يتمكن الباب نفسه والقدوس تلميذه المحبوب أن يحصل بينهما مادوّناه لولا وجود رابطة سرية تجمع أرواحهما. ألم يشر الباب فى

ابتداء دعوته فى أوائل سـور (قيوم الأسماء) التى هى تفسير سورة يوسف الى أهمية وجلال بهاء الله وأمره . ألم يك قصده فى بيان الاضرار التى لحقت بيوسف من اخوته وما ظهر منهم من الغدر والجفاء أن يتنبأ بما يصيب بهاء الله من أخيه وأقاربه . ألم يك القدّوس مستمرا ليل نهار وهو محاط بجموع الأعداء من كل الجهات وبنيران لا تخبو أوارها فى قلعة الشيخ طبرسى فى إعداد وتكميل مديحه فى بهاء الله فى تفسيره الخالد لحرف الصاد من سورة الصمد الذى يبلغ نحوا من الخمسماية ألف بيت . يشهد بذلك كل من ينعم النظر فى آيات وكلمات تفسير (قيوم الأسماء) .

وقد كمل عدد التلاميذ المنتخبين بقبول القدوس لدعوة الباب واسمه محمد على وينتمى من والدته الى سلالة الامام الحسن أكبر أحفاد الرسول (١) وكان مولده فى بارفروش فى اقليم مازندران ومما ينقل عن الذين حضروا دروس السيد كاظم أن القدوس تتلمذ عليه وكان يجلس فى الصف الأخير من المجلس ويقوم بعد انتهاء الدرس قبل غيره . وامتاز عن بقية الأصحاب بالهدوء والسكينة ودماثة الأخلاق . وكان السيّد كثيرا ما يقول ان بعض التلاميذ مع انهم يجلسون فى آخر الصفوف ويظهر منهم سكوت تام لهم فى نظره مقام جليل على شأن لا يستحق بنفسه أن يكون من خدامهم . وكان تلاميذه يلاحظون تواضع القدّوس ويعترفون بسمو وشرف أخلاقه ولكنهم ما كانوا يعرفون قصد السيد كاظم . ولما وصل القدّوس الى شيراز واعتنق الأمر كان له من العمر اثنان وعشرون عاما . ومع صغر سنه أظهر شجاعة نادرة وإيمانا تاما لم يصل اليه أحد خلافه من أتباع مولاه . وكان قد مثل فى أدوار حياته واستشهاده المجيد صحة الحديث القائل (من طلبنى وجدنى ومن تقدم إلى شبراً تقدمت اليه باعاً ومن أحبنى أحببته ومن أحببته قتلته ومن قتلته فعلىّ ديته)

أما الباب فاسمه السيّد على محمد (٢) وولد فى مدينة شيراز سنة ١٢٣٥ (٣) هجرية فى أول المحرم من بيت مشهور بالشرف والانتماء الى الرسول وكان تاريخ ميلاده مطابقا

(١) وطبقا لكشف الغطاء توفى والد القدوس قبل ظهور الباب بجملة سنين وفى وقت وفاته كان القدوس طفلا يدرس في مشهد فى مدرسة ميرزا جعفر (صحيفة ٢٢٧ حاشية ١)

(٢) وهو معروف أيضا بالاسماء الآتية : سيد الذكر — وعبد الذكر — وباب الله — ونقطة الاولى — وطلعة الاعلى — وحضرت الاعلى — ومظهر الرب الأعلى — نقطة البيان — والسيد الباب —

(٣) ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩ ميلادية .

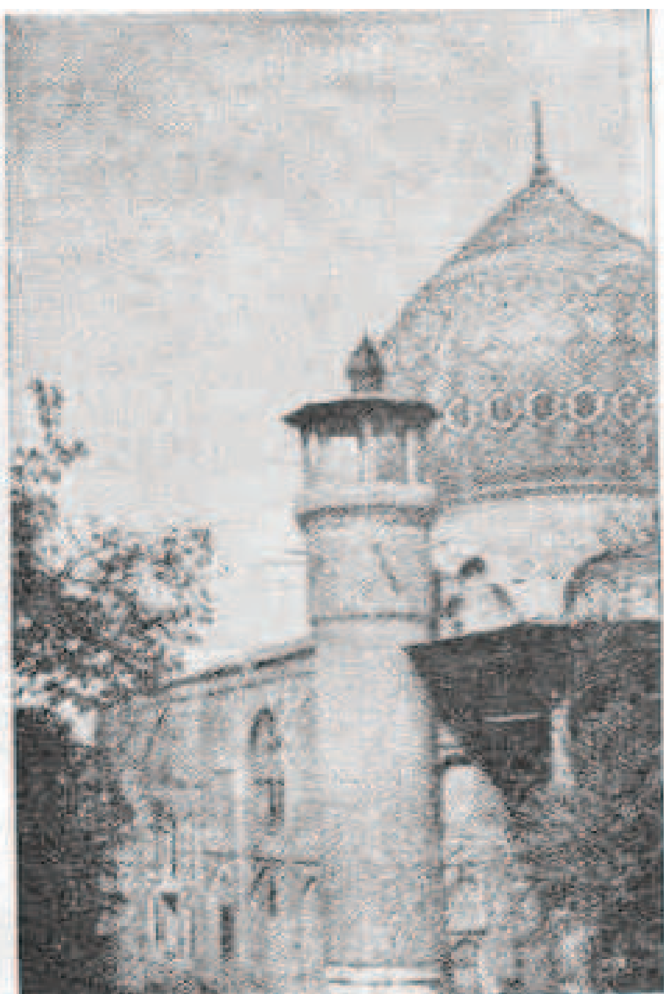


خرائب قهوبي اولياء التي كان الباب يتعلم فيها



مدخل باب قهوبي اولياء





الشجرة الدالة على محل مرقد نجل الباب الطفل في باب دختران شيراز



مرقد زوجة الباب في شاه چراغ شيراز

للحديث المروى عن الامام على (انى أصغر من ربى بسنتين) (١) وأعلن دعوته بعد أن بلغ من العمر خمسة وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام وتوفى والده وهو طفل وكان والده من نسل النبي صلى الله عليه وسلم وهو السيد محمد رضا (٢) ومشهورا فى جميع إقليم فارس بالتقوي والفضل وذا احترام عظيم من الجميع وكان والداه كلاهما من الاشراف ولهما مكانة واحترام من الجميع وكفله خاله حاجى ميرزا سيد على أحد الشهداء فى الأمر وسلمه إلى معلم يدعى شيخ عابد (٣) ولو أن الباب كان غير ميال للدرس إلا أنه أطاع رغبة خاله وكان الشيخ عابد المعروف عند تلامذته بالشيخونة رجلا صالحا متفقها وكان تلميذا لكل من الشيخ أحمد والسيد كاظم ومما حكاه قال « ذات يوم سألت الباب أن يقرأ فاتحة القرآن بسم الله الرحمن الرحيم فلم يقبل قراءتها الا اذا عرف معناها فتظاهرت بأنى لا أعرف المعنى فاجابنى (انا اعرف المعنى من هذه الكلمات) واستأذن منى أن يشرحها لى وتكلم فى ذلك بطلاوة ومعرفة أدهشتنى وفسر الله والرحمن والرحيم بكيفية لم اكن اعرفها من قبل ولاسمعتها وكانت حلاوة عباراته لاتزال ماثلة فى مخيلتى فشعرت باضطرارى أن أرجعه الى خاله وأن أوصيه بتلك الوديعة التى عهد بها الىّ قائلا له (إني أشعر انى لست مستحقا أن اعلّم مثل هذا الطفل الفذ) وكنت رأيت خاله على انفراد فى مكتبه فقلت له (انى أعيده اليك واعهد به الى يقظتك وحمايتك ولا يمكن معاملته كطفل عادى لانى أشاهد فيه قوة عجيبة مما لاتظهر الا من صاحب الزمان (٤) وحده فالواجب عليك أن تحيطه بكل عنايتك ومحبتك فاحفظه فى منزلك لانه الحق اقول لك لايحتاج الى معلمين مثلى) . ولكن خاله امره بالرجوع إلى الدرس ووبخه قائلا (الم انصحك أن تتبع مثال اقرانك وان تلتزم جانب السكون وتستمع إلى كل كلمة يقولها لك معلمك . وبناء على ذلك عاد ولكن روحه لم تقف فى سبيل افاضة

(١) هذا من أحاديث الشيعة .

(٢) تبعا للتاريخ الخطي المكتوب بمعرفة أبو الفضل كان الباب طفلا لم يفطم حين توفى والده .

(٣) وكتب ميرزا أبو الفضل فى كتاب خطي بأن الباب كان يبلغ من العمر ست أو سبع سنوات عند ما دخل مدرسة الشيخ عابد وكانت المدرسة تعرف باسم قهوتي اولياء ومكث الباب فيها خمس سنين تعلم فيها مبادىء اللغة الفارسية وفى أول ربيع أول سنة ١٢٥٧ هجرية عاد الي بلده فى فارس بعد أن مكث فى النجف وكربلاء سبعة أشهر .

(٤) صاحب الزمان أحد ألقاب المهدى أو القائم

ما لديها من العلم اللدني بل كانت تظهر عليه يوما فيوما علائم الحكمة الفائقة الحد والخارجة عن حدود البشرية حتى اضطر أخيرا خاله الى سحبه من المدرسة وإشراكه معه في التجارة (١) وفيها اظهر نجابة وعظمة وقوة لا يصل اليها إلا القليل وبعد بضعة سنين تزوج (٢) بأخت ميرزا سيد حسن وميرزا ابو القاسم (٣) وولد له ابن يدعى أحمد (٤) توفى سنة ١٢٥٩ وهى السنة السابقة لاظهار الدعوة وكان يقول (الهى الهى لوأعطيت لابراهيمك الف اسماعيل لفديتهم فرادى وجمعا فى سبيل محبتك فيا محبوب قلبى إن فداء أحمد الذى قدمه عبدك على محمد فداء على مذبح محبتك لن يكفى لاطفاء اشتعال شوقه المتأجج فى قلبه حتى يفدى قلبه تحت قدمك ويقع جسمه ضحية لأقسى أنواع الظلم فى سبيلك وحتى يكون صدره هدفا لآلاف السهام فى مرضاتك وبذلك يسكن اضطراب روحه. الهى هذا هو مرغوبى فاجعل اللهم فداء إبنى ووحيدي مقبولا عندك ومقدمة لفداء نفسي وكينونتى فى سبيل مرضاتك وامنحنى فضل سفك دمى وفداء حياتى فى سبيلك. واجعله يروى وينبت بذور دينك واشمله بقوتك السماوية حتى ينمو ذلك البذر الجديد فى قلوب الرجال وينتعش

(١) وطبقا لما ذكره الحاج معين السلطنة فى تاريخه (صحيفة ٣٧) اشتغل الباب فى سن العشرين فى التجارة بنفسه ولانه كان يتيما من صغره وضع فى وصاية خاله آقاسيد على واشتغل تحت اشرافه بنفس تجارة والده (خردوات) (من كتاب نقولاس المسمى سيد على محمد الباب صحيفة ١٨٩)

(٢) وتبعا لتاريخ الحاجى معين السلطنة (صحيفة ٣٧) تزوج الباب لما وصل سن ٢٢

(٣) وقد أشار الباب اليها فى شرحه لسورة يوسف فى القرابة بقوله —

« وقد عقدت على الفراش بسرية اسم الحبيبة من الحبيب الاول للذكر الاكبر هذا ولقد جعلت ملائكة السماء وأهل رضوانه فى يوم العهد بالحق الاكبر علي الذكر بالذكر شهيداً. يا أيتها الحبيبة من لدى المحبوب عند حبيبتى ما أنت كاحد من النساء ان اتبعت أمر الله الحق فى الحق الاكبر أعرفى حق العظيم من كلمة القديم لنفسك وأفخرى بالجلوس مع الحبيب محبوب الله الاكبر ويكفيك الفخر هذا من لدى الحكيم حميدا وأصبرى على القضاء فى شأن الباب وأهله وأن ولدك أحمد لدى فاطمة الجليلة فى جنة القدس على الحق بالحق قد كان فى الحق بالعلم مربوبا »

وعاشت أرملة الباب الى سنة ١٣٠٠ هـ (جريدة الجمعية الاسيوية الملكية سنة ١٨٨٩ مقاله ١٢ صحيفة ٩٩٣) وكان كلاهما ابنا لميرزا علي الذي كان عم والدة الباب.. وكان ميرزا محسن ابن سيد حسن وميرزا هادى حفيد مرزا أبو القاسم وهما صارا صهرين لعبد البهاء.

(٤) وقد أشار الباب الي ابنه فى تفسير سورة يوسف قال (وان ولدك أحمد لدى فاطمة الجليلة فى جنة القدس على الحق بالحق قد كان في الحق بالعلم مربوبا) من سورة القرابة وكذلك (الحمد لله الذى أعطى قرة الاعين من شبابه طفلا يدعى أحمد بالحق ورفعه الله اليه) « سورة العبد » (من مقدمة كتاب البيان الفارسى لنقولاس الجزء ٢ صحيفة ١١)

ويعظم الى أن يصير شجرة كبيرة وتجتمع وتستظل الامم والاقوام تحت ظلها فأجب يا الهي دعائي واتمم لى مراد قلبي إنك أنت القوى الكريم (١))

وكان الباب يصرف غالب اوقات التجارة فى بوشير (٢) وكانت شدة الحرارة فيها لا تمنعه من أن يقضى بضع ساعات فى الصلاة على سطح منزله . ومع أنه كان يتعرض



نسخة طبق الاصل من خط يد الطاهرة (قرة العين)

(١) وترك شيراز الى بوشير وهو فى سن السابع عشر ومكث هناك خمس سنوات مشتغلا بالتجارة وفى تلك المدة كسب احترام جميع التجار الذين تعامل معهم لصداقته وتقواه وكان دائم الالتفات الى واجباته الدينية وكان يصرف مبلغا كبيرا فى الصدقة . وذات مرة اعطى لجار فقير ٧٠ تومان (اى ٢٢ جنيه) (حاشية التاريخ الجديد لحاجى مزرا جانى صحيفة ٣٤٣ — ٣٤٤)

(٢) كان دائم التأمل كثير الصمت مع أن هيكله الجميل ونور محياه وسكون ذاته كان يجذب انظار مواطنيه ومن صغره كانت المسائل الدينية تجذبه بقوة وفى سن ١٩ كتب اول كتاب له وهو الرسالة الفقهية وأظهر فيها تقواه ونفحة اسلامية بشرته بمستقبل باهر بالنسبة للعقيدة الشيعية وربما كتبها فى بوشير اثناء اقامته فيها للتجارة اذ كان سنه ١٨ أو ١٩ سنة (من كتاب السيد على محمد الباب تاليف نقولاس من صحيفة ١٨٩ — ١٩٠)

لاشعة الشمس فى الظهيرة فانه كان يتوجه بقلبه الى المحبوب ويستمر فى المناجاة معه بدون إعارة اى أهمية لشدة القيظ ومتناسياً العالم باجمه وكان يقضى فى الصلاة والعبادة جميع الوقت من الفجر الى طلوع الشمس ومن الظهر الى العصر ويتوجه دائما الى جهة طهران شمالا ويحيّي الشمس المشرقة بمحبة وفرح زائد رمزا منه وإشارة لطلوع كوكب الحق الذى سوف يشرق على العالم فكان ينظر الى قرص الشمس حين الطلوع بثبات ولهف كما ينظر العاشق فى وجه معشوقه ويناجى ذلك النير الاعظم بلغة سرية وكأنه يبلغها رسالة حنينه ومحبته لتوصيلها إلى محبوبه المستور وبمثل هذه الرسائل الحبية كان يستقبل أشعتها الساطعة حتى إن من حوله من الجهلاء كانوا يظنون أنه يعشق الشمس (١) ويتعبدها .

ومما حكاه السيد جواد الكربلائي (٢) وسمعته بنفسي أنه أثناء سياحته الى الهند مر ببوشهر. ولمعرفته بالحاج ميرزا سيد على تمكن من مقابلة الباب مراراً وكان فى كل مرة يراه بهيئة الخشوع والخضوع وغض البصر واللطف وكمال الحيا مما لاتقدر أى عبارة على وصفه (٣) وكان الجميع يشهدون بطهارة أخلاقه ونبالة صفاته ونكران ذاته وشدة صدقه وتقواه (٤)

(١) وكان يتباحث مع العلماء فى المجالس ويستمع لروايات الزوار الذين يحضرون فى تلك المدينة التجارية وكانوا يعدونه من أبناء الطريقة التى كانت محترمة فى تلك البلاد (الجريدة الآسيوية سنة ١٨٦٦ جزء ٦ صحيفة ٣٣٥)

(٢) وقد أبان فى كشف الغطاء عن هذا الشخص الجليل قال : ان السيد جواد الكربلائى أخبرنى بنفسه أنه كان مقيما فى كربلاء وأن أبناء عمه كانوا معروفين بين علماء تلك المدينة وهم تابعون للفرقة الاثنى عشرية من شيعة الاسلام وفى حداثته قابل الشيخ احمد الاحسائى ولم يكن معدوداً ضمن تلامذته ولكنه كان من أتباع السيد كاظم المخلصين ومن المتقدمين بين تلاميذه وقابل الباب فى شيراز قبل الظهور بعدة ورآه جملة مرات عند ما كان سن الباب ثمانية أو تسعة عاما فى منزل خاله ثم قابله فيما بعد فى بوشير ومكث نحوا من ستة أشهر فى نفس الخان الذى كان يقطن فيه الباب وخاله وقد أبلغه ملا على البسطامى أحد حروف الحى برسالة الباب بينما كان فى كربلاء ومنها عاد الى شيراز ليزداد إطلاعا بنفسه على طبيعة الرسالة الجديدة (صحيفة ٥٥ — ٥٧)

(٣) كان الباب وسيم الطلعة حليا مهابا ساكتا زائد الفصاحة والبلاغة سريع الكتابة « كتاب لمحات عن الحياة فى إيران للسيدة شيل »

(٤) وكان يختلى بنفسه ليشتغل دائما بالعبادة ببساطة متناهية وحلاوة جاذبة وكانت هذه المواهب قد نسبت الى حداثة سنه وكمال طلعته وانجذب حوله كثيرون من المتنورين الذين كانوا يستمعون لعلومه ومعارفه ويسرون من فصاحته وكان اصدقاؤه يؤكدون انه لم يفتح فاه إلا بما حرك أعماق القلوب وكان يسر المتدينين المتمسكين لشدة احترامه للرسول والأئمة وأصحابهم فى كل عباراته وفى الوقت نفسه كان

وذات مرة أودعه أحد الناس أمانة لبيعها بثمن معيّن فلما أرسل لهالباب ثمنها وجده أكثر مما قدّره فكتب إلى الباب يستفهم عن السبب فأجابه الباب (بأن الثمن الذى أرسلته اليك هو حقك ولم أزدك شيئا وقد أتى وقت على وديعتك وصل فيها ثمنها الى تلك القيمة ولما لم أبعها بذلك الثمن وجدت من الواجب علىّ رد تلك القيمة) وكلما أراد البائع رد القيمة الزائدة امتنع الباب من قبولها .

وكان يحضر احتفالات العزاء للامام الحسين سيد الشهداء ويستمع بلهف إلى ترتيلات المدائح ويظهر الخشوع والخضوع فى هذه المعازى وتنهمر عيناه بالدموع بينما كانت شفتاه تهمسان ببعض المناجاة التي يتلوها فما أعظم الكمال الذى كان يظهر على هيكله وما ألطف تلك الشمائل التى كانت تبدو آثارها على وجهه .

وأما أسماء الذين كان لهم الشرف فى إثباتهم فى كتاب الوحى بمعرفة الباب كحروف الحىّ المنتخبين فهى كالآتى :

(١) ملاّ حسين بشروئى (٢) محمد حسن أخوه (٣) محمد باقر ابن عمه (٤) ملاّ على البسطامى (٥) ملاّ خدابخش كوشانى وسمى بملاّ على فيما بعد (٦) ملاّ حسن باجستانى (٧) سيد حسين يزدى (٨) مرزا محمد روضه خانى يزدى (٩) سعيد هندى (١٠) ملاّ محمود خوئى (١١) ملاّ جليل أورومى (١٢) ملاّ أحمد أبدالى مراغى (١٣) ملاّ باقر تبريزى (١٤) ملاّ يوسف أردبيلى (١٥) ميرزا هادى بن ملاّ عبد الوهاب قزوينى (١٦) ميرزا محمد على قزوينى [١] (١٧) الطاهرة [٢] (١٨) قدّوس.

فى أحاديثه الخاصة يبهج أرواح المستمعين اليه ويحدث فيهم اشتعالا . ولم يجدوا فى أحاديثه غضاضة بل سرورا حتى فيما لم يكونوا يتحملونه لأنها كانت تفتح أمامهم آفاقا لانهاية لها وأبوابا متنوعة فيكشف الكثير من الأسرار بطريقة مغطاة بغطاء رقيق يسهل به تصديق أهالى تلك البلاد (كتاب الأديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١١٨)

(١) كتب سمندر فى كتابه الخطى (صحيفة ١٥) وهو من المؤمنين الاولين في قزوين إن أخت الطاهرة مرضية كانت زوجة لميرزا محمد على الذى كان أحد حروف الحى واستشهد فى قلعة الشيخ طبرسى . وكانت مرضية قد آمنت على مايظهر بأمر الباب (صحيفة ٥) وكان الميرزا محمد على بن الحاج عبد الوهاب الذى أرسل له الباب لوحا وهو فى جوار قزوين

(٢) وفى كتاب تذكرة الاوفياء (صحيفة ٢٩١ — ٨) كان للطاهرة ولدان وبنت ولم يعترف منهم حد بالأمر وكانت درجة اطلاعها وعلمها على شأن أن والدها كان كثيراً ما يأسف ويقول لو كانت

وجميعهم تشرف بحضور الباب عدا الطاهرة التى لما علمت بسفر زوج أختها المدعو محمد على من قزوين سلمته خطابا مختوما وطلبت منه أن يسلمه إلي ذلك الشخص الموعود الذى لا بد وأن يقابله أثناء بحثه وأفهمته أن يقول له :

(لمعات وجهك أشرقت وضياء طلعتك اجتلى)
(قالت ألست بربكم قلنا بلى قلنا بلى) (١)

وقد قابل ملا محمد على الباب وأقبل الى دعوته وسلمه الخطاب وأوصل اليه الرسالة فأقرها الباب ضمن حروف الحي . وكان والدها حاجى ملا صالح القزوينى وأخوه الملا تقى من كبار المجتهدين فى إيران ومن المتبحرين فى الأحاديث الاسلامية والمحترمين من العموم من جميع أهالى طهران وقزوين وغيرها من كبار مدن إيران . وكانت متزوجة بالملا محمد بن الملا تقى عمها (٢) ويسمونه الشيعة بالشهيد الثالث ومع أن أسرتها كانت ولداً لكانت أضاءت بيتي وخلفتى وقد اطلعت على كتابات الشيخ احمد وهي في منزل ابن عمها ملا جواد وكانت تستعير كتباً من مكتبته وتأخذها معها فى المنزل . وكان والدها يعارضها فى أعمالها وذات مرة أثناء محاولاته معها بعنف انتهرها وازدرى بتعاليم الشيخ احمد . فلم تلتفت الطاهرة الى نصائح والدها واشتغلت بمكاتبة السيد كاظم سراً وهو الذى سماها قرة العين وكان لقب الطاهرة مقترنا باسمها وقت أن كانت فى بدشت ووافق الباب على ذلك اللقب وتركت قزوين الى كربلاء أملا فى لقاء السيد كاظم ولكنها وصلت بعد وفاته بعشرة أيام واجتمعت مع تلامذة المرحوم وقضت وقتها فى العبادة والتضرع فى انتظار ظهور الموعود الذى أخبر عنه السيد كاظم وبينما كانت فى تلك المدينة رأت رؤيا وهو أن شابا سيداً يلبس رداءً أسود وعمامة خضراء ظهر لها فى السماء وكان رافعا يده بالدعاء وتلاوة آيات كتبت احداها في دفترها ولما استيقظت تأثرت من الرؤيا العجيبة ولما وصلها فيما بعد كتاب أحسن القصص وهو تفسير الباب لسورة يوسف وجدت لفرط سرورها الآية التى سمعتها فى الرؤيا مكتوبة وكان ذلك الكشف مؤيداً لها في تصديق الدعوة الجديدة وأخذت على نفسها ترجمة أحسن القصص الى الفارسية وبذلت أقصى جهدها فى نشره وتفسيره . وكان منزلها فى كربلاء محاطا بالحرس الذين عينهم الحاكم لمراقبتها ومنعها من الاختلاط بالعامة ومن كربلاء سافرت الى بغداد ومكثت مدة فى منزل الشيخ محمد شبل ثم نقلت من منزله الى منزل آخر وأخيراً نقلت الى منزل المفتى وفيه مكثت ثلاثة أشهر

(١) ونقلا عن كشف الغطاء صحيفة ٩٣ بلغت الطاهرة الرسالة من ملا على بسطامى الذى زار كربلاء سنة ١٢٦٠ هجرية بعد عودته من شيراز

(٢) وكانت أسرة الحاجي ملا صالح البرقاني من أشهر أسر قزوين ومن اكبرها بسبب ما كان يشغله أعضاؤها من الوظائف العالية والمراكز في هيئة العلماء ولشهرتها فى العلوم والمعارف وكان له أخ يدعى ملا محمد تقى بارقانى تسمى بعد موته بالشهيد الثالث . وسنذكر تاريخهم لأجل معرفة مقدار تصيبهم فى الاختلافات الدينية فى فارس وفى المصيبة التى انتهت أخيراً بالقضاء على كبر وغرور الأخ

من بالاسرى فانها بمفردها كانت تميل إلى تعاليم السيد كاظم وتظهر محبتها وإخلاصها له وللدلالة على اعجابها بشخصيته كتبت له رسالة للدفاع عن تعاليم الشيخ أحمد وقدمتها اليه فأجابها السيد برسالة مكتوبة بأرق العبارات وافتتحها بقوله (يا قرة عيني وفرح فؤادي) ومنذ ذلك الوقت أطلق عليها اسم قرة العين وفي اجتماع الأحباء الأبطال في بدشت

الملا صالح . ولما وصل المجتهد أقا سيد محمد الى قزوين سأله بعضهم اذا كان الحاجي ملا صالح برقاني يعد مجتهداً فاجابهم السيد بقوله (طبعا) وذلك لأنه فضلا عن صلاحه كان من تلاميذه القدماء وكان متتبعا للنهاية لدروس الآقاسيدعلى فقال السائل : (حسناً وهل أخوه محمد تقي يستحق أيضا هذا اللقب المقدس) فأجاب الآقا سيد محمد مادحا علوم تقي إلا أنه امتنع عن الاجابة على الاستفهام بطريقة جلية ولكن ذلك لم يمنع المستفهم من أن ينشر في المدينة إشاعات أن السيد محمد اعترف بنفسه برياسة محمد تقي وأنه قال عنه أنه مجتهد في حضوره. وكان السيد محمد قد قطن مع أحد أقرانه الحاج ملا عبد الوهاب واطلع هذا الأخير على الاشاعة وأحضر السائل ووبخه أمام الشهود وكانت إشاعة هذا التداخل بسبب تداولها بالألسنة قد زادت حتى وصلت سمع تقي وحمي غضبه من ذلك فكان بمجرد أن يسمع باسم عبد الوهاب يقول (أنا لا أحترمه إلا بسبب أنه ابن معلمي المحبوب) فلما سمع السيد محمد الاشاعة وظن أنه أحزن تقي دعاه يوما عنده للغذاء وعامله بكل احترام وكتب له شهادة مجتهد وصحبه الى المسجد وبعد الانتهاء من أداء الصلاة جلس على كرسي وأيده علنا في مقامه الجديد . وتصادف مرور الشيخ الاحسائي فيما بعد بقزوين وكان الناس يكفرونه لأنه قرب الفلسفة من الديانة وكل العالم يعرف أن مزج الفلسفة بالشريعة أمر مستحيل كما قال في كتاب قصص العلماء. إلا أن الشيخ احمد ارتفع في الحقيقة عن مقام اقرانه وشاركه العديدون في أفكاره وآرائه. وكان له مريدون في جميع مدن وأنحاء إيران .وعامله شاه إيران بمنتهى درجة الاحترام رغما عما قاله الآخوند ملا علي في حقه (بأنه جاهل ولكن قلبه طاهر) وعند مروره من قزوين ذهب وقطن في منزل الملا عبد الوهاب رغما عن عداوة أسرة برقاني له ولما ذهب للصلاة في المسجد حضر علماء قزوين وصلوا خلفه ورد لهم الزيارة جميعا بكل محبة وازدادت روابط الالفة بينهم وظهر للعموم أن مضيفه هو من أجل مريديه. وزار ملا محمد البرقاني الذى أظهر له منتهى الاحترام إلا أنه انتهز الفرصة لسؤاله بعض أسئلة غامضة منها (هل اعتقادكم في القيامة كاعتقاد الملا صدرا) فأجاب الشيخ أحمد بالنفي فطلب تقي من أخيه[1] أن يحضر له كتاب شواهد الربوبية من المكتبة ولما تأخر الحاجي ملا في إحضار الكتاب قال تقي إني لا أريد الجدل ولكني مستغرب من اعتقادك في القيامة فأجابه (لم يكن أسهل منه لأن القيامة عندي لا تحصل بالجسم المادى بل بالجسم الهيولاني كما يكون الزجاج موجودا في الحجر بالقوة) فقال له تقي اسمح لي أن أقول لك أن ذلك الجسم هو خلاف الجسم المادى ومن أصول اعتقادنا أن القيامة هي بأجسامنا المادية فدهش الشيخ من ذلك وتوسط أحد تلاميذه من أهالي تركستان وفتح موضوعا آخر يطول فيه الجدال وعاد الشيخ احمد مقتنعا أنه أخذ على غرة وتبين أن تقيا شهر باعتقاده وكفره . لانه لما ذهب للمسجد في نفس اليوم لم يتبعه أحد خلاف عبد الوهاب وعلم أن الامر سيشتد ولكن عبد الوهاب رغبة منه في مداركة الأمر طلب من سيده أن يكتب رسالة يؤيد فيها القيامة للجسد المادي حاسبا حساب ماصنعه تقي .وفعلا كتب الشيخ رسالة موجودة ضمن أجوبة المسائل لم يقبل

(١) الحاج ملا علي

دهش الكثيرون من جرأتها وشجاعتها حتى أنهم رأوا من واجبهم أن يعلموا الباب بعملها العجيب الذى لم يسبق له نظير واجتهدوا أن يسيئوا سمعتها عند الباب فأجابهم الباب بقوله (ماذا عسى أن أقول فى من أسماها لسان العظمة والقوة بالطاهرة) فقطعت هذه الكلمات جهيزة كل قول واسكتت الذين أرادوا تقويض سلطتها والنيل من سمعتها فمنذ ذلك الوقت دعيت بالطاهرة من جميع المؤمنين (١) والآن أذكر

أحد أن يقرأها وانتشرت أخبار كفره وزادت يوما فيوما وتداخل البرنس على (*) ركن الدولة للصلح خوفا من إتهامه بالاهمال حتى تفاقم الامر ودعا يوما جميع العلماء لتناول الطعام عنده وأعد المكان الأول للشيخ أحمد ومن بعده لتقى يفصلهما رجل واحد وكان الترتيب معمولا على أن يأكل كل ثلاثة معاً إلا أن تقى خالف النظام واتجه للأكل مع الزميل الذى على يمينه ووضع يده الشمال لينفصل عن الشيخ احمد وبعد الانتهاء من الطعام أراد البرنس الاصلاح وأخذ فى مدح الشيخ احمد قائلا أنه اكبر علماء العرب والفرس وأن الواجب يقضى على تقى أن يقوم له بواجب الاحترام وأن لا يصغى للذين يريدون القاء الفتنة بين العلماء . فقاطعه تقى قائلا : لا يمكن الصلح بين الكفر والايمان لأن الشيخ يعتقد فى القيامة عقيدة تخالف عقائد الاسلام وكل من اعتقدها كافر فكيف يمكن التوفيق بينى وبين كافر وكلما شدد البرنس فى الصلح كلما تصلب تقي وانتهت بذلك الحفلة (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٦٣ — ٢٦٧)

(١) وكان من بين ذرية الملا صالح بنت تدعى زرين تاج (أى التاج الذهبى) جذابة منذ صباها وبدلا من صرف وقتها فى اللعب كانت تمضى أغلب أوقاتها فى استماع المحادثات الدينية فى أسرتها وأمكنها بذكائها من أن تحل مشكلات العلوم الدينية وتجادل فى أمهات المسائل العويصة . أما الاحاديث فقد أجادتها . ولم يخف عليها سرّها وانتشر وذاع صيتها فى المدينة وكان مواطنوها يعتبرونها آية فى الدين ولم تكن كذلك فحسب بل آية فى العلوم والمعارف وآية فى الجمال وأصبح يتلألأ من وجهها شعاع نور الجمال حتى دعوها بقرّة العين . وكان أخوها عبد الوهاب القزوينى الذى ورث العلم والشهرة من والده يحكى بنفسه (إننا جميعاً من إخوة واولاد عم ما كنا نقدر أن نتكلم فى حضرتها لأن علمها كان يرعبنا وإذا تصادف وتكلمنا عن مسألة فانها كانت تتكلم عنها بكل وضوح واتقان على البداهة حتى نعلم أننا أخطأنا السبيل ونتركها ونحن متحيرون) وكانت تحضر دروس والدها وعمها في نفس البهو الذى كان يجتمع فيه من التلاميذ ماينوف عن مائتين أو ثلثماية تلميذ ولكنها كانت تحتجب وراء ستار . وكانت كثيراً ما تدحض أدلة هذين العالمين فى بعض مسائل دينية . وزادت شهرتها في الأوساط العلمية فى فارس . وكان العديدون من علمائها لايحجمون عن أن يتبعوها فى كثير من آرائها وكان مع ذلك من رأى أهل الشيعة أن الاسلام لايجعل للمرأة مقاما فى شىء إلا للولادة فهى لاتفضل الحيوان فى شىء وقد تزوجت وهى صغيرة السن بابن عمها محمد قزوينى الذى كان إمام الجمعة فى المدينة ثم سافرت الي كربلاء فيما بعد وهناك حضرت دروس السيد كاظم الرشتى وكانت موافقة على آراء معلمها لأنها وجدتها منطبقة على آرائها وأفكارها وبذلك أصبحت قزوين مركز العقائد الشيخية . وكانت كما سترى فيما بعد حادة الفهم سليمة الفكر بعيدة النظر هادئة الخلق وذات شجاعة فائقة . وقد أدى مجموع اجتهادها

(*) علي تقي ميرزا.

البالاسرى (١) وأذكر معناها فالشيخ أحمد والسيد كاظم فى وقت زيارتهما لضريح الأمام الحسين فى كربلاء ومعهم الأتباع لم يتقدما عن الجزء الأدنى من المقام علامة للاحترام . ولم يتقدما عن هذا الموقف ولكن كثيرون غيرهم وهم البالاسرى اعتادوا أن يقرأوا أدعيتهم فى الجزء الأعلى من الضريح ويعتقد الشيخية أن المؤمن الصادق حىّ فى الدارين الدنيا والآخرة ولذلك فهم يشعرون أنه لايليق بهم أن يتقدموا وراء الحدود الدانية من ضريح الامام الحسين الذى هو فى نظرهم المثل الاعلى لأكمل المؤمنين

وكان الملاّ حسين يعتقد أنه سيكون الشخص الذى ينتخبه الباب لمرافقته فى الحج إلى مكة . ولكن الباب بمجرد أن عزم على الارتحال من شيراز دعاه وقال له (إن أيام اجتماعنا قد قاربت الانتهاء فشمّر الذيل وقم لتبليغ أمرى ولا تخف من سقوط والتواء هذا الجيل لأن رب العهد يساعدك ويحيطك بحفظه ومحبته وينقلك من نصر إلى نصر . فسر فى البلاد واغدق على الناس تلك البركات التى منحها لك القدير برحمته كما تغدق الأمطار ببركتها على الارض واحترس من العلماء وأسلم نفسك لارادة الله . وقم على النداء بصوت مرتفع وقل : تيقظوا تيقظوا قد فتح باب الله وسطع نور الصبح بأشعته على جميع العالم وظهر الموعود فمهدوا الطريق أمامه يا أمم الارض ولاتحرموا أنفسكم من بدائع فضله ولا تغمضوا أعينكم عن ساطع بهائه والذين يقبلون منك الأمر اقرأ عليهم الألواح التى أنزلناها اليك لعل تجذبهم تلك الكلمات البديعة وتوقظهم من وهدة غفلتهم

الى الاشتغال بمسألة الباب . وسمعته يتكلم عند عودته من قزوين . واشتد إعجابها بما تعلمته من ذلك حتى أنها واصلت الكتابة مع ذلك المصلح وليقينها فيه أشهرت إيمانها . فقامت لذلك قيامة العلماء واشتد حنقهم وحاول زوجها ووالدها واخوتها عبثا التأثير عليها كى ترفض التمسك بهذه الضلالة الخطرة . ولكنها لم تقبل ولم تتزعزع وأعلنت دينها الجديد بكل قوة(من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٧٣ ـ ٢٧٤)

(١) قال الحاجى كريم خان فى كتابه هداية الطالبين إنهم سموا بذلك لأن الشيخ أحمد لما كان فى كربلاء وحضر للزيارة كان يتلو دعواته وصلواته وهو خلف الامام احتراما . ومن ذلك يعلم أنه لايفرق بين الامام الميت والامام الحى لأن الفرس إذا دخلوا القبور يولونها ظهورهم عند الصلاة لأن الأجداث المطهرة مدفونة بطريقة أن الرأس متوجهة للقبلة . ولكن ذلك خطأ واتباع المسيح انما سموا نصارى لنصرهم الله ولكن هذا الاسم أطلق على جميع من اقتفى أثرهم وكذلك إسم بالاسرى يطلق على جميع الذين يصلون وهم فوق رأس الامام(من كتاب مقالة على الشيخية لنقولاس الجزء الاول مقدمة صحيفة ٥ ـ ٦)

وترفعهم الى ملكوت الحضرة الالهية . وقد اخترنا معنا القدوس لمرافقتنا فى هذا السفر وتركناك لتواجه هجوم عدوّ قاس فتأكد أنك سوف تنال الموهبة الكبري فسافر ناحية الشمال وزر فى طريقك اصفهان وكاشان وقمّ وطهران واطلب من القدرة الربانية أن



(سوق الوكيل فى شيراز)



(مكان باب الكازران فى شيراز)

توفقك على أن تشاهد فى هذه العاصمة مقر سلطنة الحق وتدخل فى قصر المحبوب ففى تلك المدينة سرّ لو انكشف تنقلب الأرض جنة عليا . وأتعشم أنك سوف تشترك فى ذلك الفضل وتعترف ببهائه ومن طهران سافر الى خراسان وهناك قم على النداء مرة أخرى بالأمر ومنها عد الى نجف وكربلاء حيث تنتظر أمر ربك وتأكد أنك ستتمم المأمورية التى خلقت لأجلها ولو اجتمعت جميع سهام المشركين وصوبت نحوك لن تقدر أن تضرك ولو بمقدار شعرة واحدة من رأسك إلى أن يتم عملك فكل شىء موكل فى قبضة قدرته فهو القادر القاهر .)

وأحضر الباب الملاّ علي البسطامي وتكلم معه بكلمات المحبة والسرور وأمره أن يذهب توّاً إلى نجف وكربلاء وأشار الى الامتحانات الشديدة التي تنتابه وإلى المصاعب والشدائد التي ستصادفه : وقال له (إنك يجب أن تكون ثابتاً في إيمانك لا تزعزعك العواصف فكن كالجبل الراسخ لكل كارثة ولا تحزن من قذف الجهال وشتائم الملاّوات وأرباب الدين واحذر أن يثنيك ذلك عن مقصدك لأنك مدعوّ لأن تتناول من المائدة السماوية المعدة لك في العالم الأبدي فأنت أول من يغادر بيت الله وأول من يصيبه البلاء في سبيله ولو فرض وذبحت لأجله فتيقن بأن جزاءك سيكون عظيما وموهبتك كبرى)

وما كاد الملاّ عليّ يتم له استماع هذه الكلمات حتى قام لتنفيذ الأمر وإذ بعد عن شيراز بمقدار فرسخ لحقه شاب يدعى عبد الوهاب وطلب منه بالحاح وهو في حالة اضطراب أن يتكلم معه وقال للملاّ عليّ وهو يبكي (أتضرع اليك أن توافق على أني أرافقك في سفرك لأن قلبي ضاق ذرعا واضطرابا وأرجو منك أن تسدّد خطاي في سبيل الحق . فقد رأيت في الرؤيا الليلة الماضية أنني سمعت مناديا ينادي في سوق شيراز بظهور الامام عليّ أمير المؤمنين وكان يخاطب الجمهور قائلا : (قوموا واطلبوه وانظروا أنه يجمع من وسط النار رسائل الغفران للناس فأسرعوا اليه وكلّ من أخذها من يده غفرت له خطاياه ونجا من العقاب ومن فاتته كان محروما من بركات الجنة) فلما سمعت صوت ذلك المنادي قمت وتركت الحانوت وجريت في سوق الوكيل إلى المكان الذي أنت واقف فيه توزع تلك الأوراق للناس . وكل من أخذها تهمس في أذنه كلمات يفرّ عند سماعها صائحا : الويل لي لأني محروم من بركات عليّ وأصحابه فيا أسفي إنني معدود من الساقطين : وعند ذلك انتبهت من النوم وذهبت الى الحانوت وأنا غريق في بحر من الأفكار ثم رأيتك تمرّ ومعك رجل معمّم يتكلم فنهضت من ساعتي وجريت لألحقك كأني مدفوع بقوة لا أقدر على ردّها . ولدهشتي وجدتك في نفس المكان الذي شاهدته في الرؤيا وأنت تتلو الآيات فوقفت بعيداً عنك أشاهدك أنت وصديقك فسمعت الرجل الذي تخاطبه يحتج عليك ويقول إنه من السهل عندي أن تلتهمني النيران من أن أعترف بصحة كلماتك فان الجبال لن تقدر أن تحمل ثقلها فأجبته على اعتراضه وإنكاره قائلا : (لو أنكر العالم بأجمعه

رسالته فلن يؤثر ذلك على ذيل رداء عظمته الطاهر) . فلما تركته عجّلت نحو باب كازرين فتتبعتك إلى أن وصلت إلى هذا المكان) . فتلطف ملاّ عليّ به وأراد أن يهدىء روعه وطلب منه الرجوع الى حانوته ومزاولة أعماله وقال له إن صحبتك معى تجرّ لى متاعب فارجع إلى شيراز وتيقّن إنك معدود من الفائزين فان الله لا يرد كأس فضله عن طالب مشتمل مثلك أو يخيب نفساً متعطشة من عمّان فضله وأمره . ولكن كلمات الملاّ علىّ كانت بغير نتيجة . وكلما شدّد عليه فى الرجوع كلما زاد نحيبه وبكاؤه فاضطر الملاّ علىّ أخيراً أن يجيب طلبه وسلّم نفسه لارادة الله .

فكان الحاجّ عبد المجيد والد عبد الوهّاب كثيراً ما يقصّ هذه الرواية وعيناه منهمرتان بالدموع فكان يأسف كثيراً على ماوقع منه ويرجو الله أن يسامحه على ذنبه ومما قال (كنت أحد حاشية بلاط أبناء فرمان فرما حاكم فارس ولم يكن أحد يقدر على مخالفته أو يتداخل فى أموره ولما سمعت أن ابنى عبد الوهاب ترك حانوته وخرج من المدينة جريت الى باب الكازارانى لأمنعه وأخذت معى هراوة لضربه وقيل لى إنه مرّ ومعه رجل معمّم وقصد ترك المدينة والسفر معه لأنه اتّبعه فأهاج ذلك غضبى ودهشتى وقلت كيف تحصل مثل هذه المخالفة من نجلى مع أنى صاحب مقام رفيع فى حاشية الامير فرمان فرما وصممت على عقابه لأغسل هذه الاهانة واستمررت فى البحث حتى اهتديت اليهما . وأخذ منى الغضب كل مأخذ حتى حدا بى أن أوقع بملاّ علىّ أشد العذاب . وكان يجيبنى ردّا على الضربات الشديدة بقوله (كفّ عن ضربى ياعبد المجيد لأن عين الله ناظرة إليك وإنى أشهد الله إنى لم أك مسؤولا عن سلوك ابنك . وإنى لا أهتم بضربك لأنى مستعد لملاقاة أشد أنواع العذاب فى السبيل الذى اخترته فأساءتك بالنسبة لما انتظره أن يقع علىّ لم تكن إلا كالقطرة بالنسبة الى المحيط . حقّا أقول لك إنك سوف تعيش بعدى وتشهد إذ ذاك ببراءتى ويزداد اذن توبيخ ضميرك وندمك على فعلك ويكون حزنك عميقا) ولكن لم أك أعبأ بأقواله وإشاراته وزدته ضربا وجيعاً إلى أن عييت فتحمل بسكون وشجاعة كل هذا العذاب الذى لم يكن يستحقه ثم أمرت أخيراً إبنى أن يتبعنى وتركت الملاّ علىّ وحده

وأثناء رجوعنا الى شيراز أخبرني إبني بالرؤيا التي رآها فتأسفت أسفاً شديداً لما بدر مني وتجلّت أمام عينيّ براءة الملاّ عليّ وكنت كلما تذكرت قسوتي عليه ينفطر قلبي وبقيت مرارتها في نفسي إلى الوقت الذي شعرت فيه بتحويل إقامتي من شيراز إلى بغداد ومن بغداد تحركت الى كاظمين حيث تركّز عبد الوهاب في أشغاله وكانت تلوح على محياه المنير سيماء سرّ عجيب وظهر لي أنه يخفي عنّي هذا السرّ الذي استولى على لبّه . وفي سنة ١٢٦٧ (١) لما سافر بهاء الله من العراق وزار الكاظمين كان عبد الوهاب قد وقع في جذب محبته وجعل نفسه رهينة الفداء له ولما استشهد نجلي بعد ذلك ببضعة سنين في طهران ونفي بهاء الله الى بغداد أيقظني من نوم غفلتي برحمته وشفقته وعلّمني رسالة يومه الجديد غاسلا بمياه عفوه الالهي أقذار تلك الفعلة الشنعاء .

ومن هذه القصّة يتبين كيفية أول اضطهاد حصل لأحد تلاميذ الباب بعد إعلان دعوته وكان الملاّ عليّ قد عرف من هذه الحادثة أن السبيل للحصول على ماوعد به الباب محفوف بالمخاطر والاشواك فواصل السفر إلى أن وصل الى نجف وهو مستسلم لارادة المولى ومستعد لان يسفك دمه في سبيله وفي حضور الشيخ محمد حسن أحد الرؤساء الدينيين الكبار لهيئة الشيعة تكلم الملاّ عليّ عن ظهور الباب بلا خوف ولا وجل وكان ذلك أمام جمع كبير من أتباع وتلاميذ الشيخ وقرّر أمامهم جميعا بانه هو الشخص الذي ينتظرونه بشغف وأن دليله آياته ومعجزته هي المعجزة التي يعترف بها الاسلام لمعرفة الحق فمن قلم هذا الشاب الهاشمي الذي لم يدخل المدارس تجري في ظرف ثمان وأربعين ساعة من الآيات والمناجاة ما يعادل قدر القرآن الذي أنزل على محمد رسول الله في مدة ثلاث وعشرين عاما إلا أن ذلك العالم بدلاً من أن يرحب بنبأ الظهور الجديد في هذا العصر المظلم المجحف حكم على الملاّ عليّ بالكفر وطرده من المجلس ، واتبعه في ذلك تلاميذه وأصحابه حتى الشيخية الذين كانوا يشهدون بصلاح الملاّ عليّ وبتقواه وعلمه وصدقه لم يترددوا في أن يوافقوا على ذلك الحكم الصادر ضده وفعلا ختموه . وتآزر تلاميذ الشيخ محمد حسن وتكاتفوا مع أعدائهم وقاموا جميعاً ضد الملاّ عليّ وأهانوه إهانات شديدة مما يخرج عن حد

(١) ١٨٥٠ — ٥١ م

الوصف وأخيرا أوثقوه بالاغلال وسلموه الى موظف فى الحكومة العثمانية واتهموه بانه هادم للاسلام وقادح فى الرسول ومحرك للفتنة وبانه معرّة للايمان ومستحق لعقاب الاعدام . فارسل إلى بغداد تحت الحفظ بمعرفة مأمورى الحكومة وأودع السجن بأمر حاكم تلك المدينة .

وأما الحاجى هاشم الملقب بالعطار وهو تاجر شهير متفقه فى شريعة الاسلام فقد حكى مايأتى (كنت حاضراً ذات مرة إذ أحضروا الملاّ علىّ أمام جمعية من أعيان وموظفى الحكومة فى تلك المدينة واتهموه انه كافر وناسخ لشريعة الأسلام ومرتد عن أحكامه وأصوله . ولما عدّدوا أعماله وتهمه قال له المفتى الذي هو رئيس شريعة الاسلام فى تلك المدينة (ياعدوّ الله) ولما كنت جالسا بجانبه همست فى أذنه لماذا تخاطب هذا الغريب بهذه اللهجة قبل أن تتبين أمره ألا تعلم أن مثل هذه الألفاظ تهيج العامة الملتفين حوله ومن اللائق أن لا تصدق هذه التهم الباطلة التى يكيلها هؤلاء الناس له جزافا حتى تحقق معه ثم تحكم حسب أصول العدل المقرر فى شريعة الأسلام فغضب المفتى غضباً شديدا وقام من جلسته. وطرح الملاّ علىّ ثانيا فى السجن وبعد أيام قليلة سألت عنه مؤملا نجاته فاخبرت بأنه نفى للقسطنطينية فى ذات الليلة التى سجن فيها وصرت أبحث وأفتش عن مصيره فلم أصل الى معرفة مآله ويعتقد البعض أنه أثناء الطريق إلى القسطنطينية مرض وتوفى وقيل أنه تجرع كأس الشهادة كما يعتقد البعض الآخر (١) ومهما يكن من أمر ختام حياته فهو أول من تألم وضحّى فى سبيل الله وأول من وضع حياته على مذبح التضحية.

وبعد أن أرسل الباب الملاّ علىّ فى مأموريته دعا باقى حروف الحىّ وأمر كل شخص بأمر خاص وأوكله بمهمة خاصة وودّعهم قائلا (يا أصحابى الأعزاء أنتم حاملون للواء الله فى هذا اليوم وأنكم مختارون أمناء على سرّه . فعلى كل منكم أن تظهر منه صفات الله

(١) وذكر محمد مصطفى (صحيفة ١٠٦) أن الملاّ علىّ سجن ستة أشهر فى بغداد بأمر نجيب باشا والى المدينة ثم أمر بالسفر إلى الاستانة بناء على تعليمات الحكومة الانجليزية ومر بمدينة الموصل وفيها تمكن من إيقاظ بعض النفوس للأمر الجديد ولكن أحبابه لم يتمكنوا من معرفة إن كان وصل الى مقره النهائى .

وأن تتجلى فى أقوالكم وأفعالكم علائم الصدق والقوة والعظمة حتى أن أعضاء جسمكم تشهد بنبالة مقصدكم وطهارة حياتكم وصدق أعمانكم وعلو منزلتكم لأنى أقول لكم أن هذا هو اليوم الذى تكلم عنه الله فى كتابه (١) (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون) تفكروا فى كلمات المسيح الى تلاميذه عند ما أرسلهم لتبليغ أمر الله قال لهم وهو يأمرهم بالقيام لأتمام المأمورية المكلفين بها (إنكم كالنار المشتعلة فى ظلام الليل الموقدة على ذروة الجبل. فليكن نوركم ساطعاً أمام جميع الانظار ولتكن طهارة أخلاقكم وشدة انقطاعكم على شأن يتقرب أهل الأرض بها إلى الأب السماوى منبع الطهارة والفضل ويتعرفون اليه فأنتم أبناؤه الروحانيون عليكم أن تظهروا بأعمالكم فضائله وتشهدوا بعظمته فأنتم ملح الأرض فأذا فسد الملح فبماذا يملح. يجب أن يكون انقطاعكم بحيث إنكم إذا دخلتم مدينة لتبليغ وتعليم أمر الله فلا تنتظروا مكافأة من أهلها بل إذا خرجتم منها فانفضوا الغبار من أرجلكم فكما دخلتموها طاهرين كذلك اخرجوا منها طاهرين لأنى الحق أقول لكم أن أباكم السماوى معكم وينظر اليكم فأذا كنتم أمناء لأمره فأنه يدفع لأيديكم كل ثروة العالم ويرفعكم على حكام وملوك الأرض. فياحروف الحق أقول لكم أن هذا اليوم هو أرفع وأجل من أيام الرسل السابقين بل البون والفرق شاسع بينهما فأنتم شهداء فجر يوم الله الموعود الشاربون من كأس وحيه المختوم فشمّروا عن ذيل الجد وتذكروا كلام الله الذى نزل به الوحي فى كتابه (وجاء ربك والملك صفا صفا) فاغسلوا قلوبكم عن أدران الشهوات فى هذه الدنيا واجعلوا زينتكم فضائل الملأ الأعلى واجتهدوا أن تكون أعمالكم شاهدة على صدق هذه الكلمات الآلهية واحذروا انكم إذا ترددتم أو توليتم أن يستبدلكم ربى بقوم آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم وهم الذين يأخذون منكم ملكوت الله فقد انتهت الأيام التى كانت فيها العبادة المقرونة بالكسل والفتور كافية والآن قد أتي الوقت الذى لا تصعد فيه الأعمال إلى عرشه الأعلى إلا إذا كانت طاهرة نقية ولا تكون مقبولة لديه إلا إذا كانت خالية من أثر الدنس (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح

(١) القرآن

رفعه) فأنتم المستضعفون الذين نزل فى شأنهم فى الكتاب (بل نريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فقد دعاكم ربكم إلى هذا المقام وستصلون إليه إذا وضعتم تحت أقدامكم كل رغبة وشهوة أرضية واجتهدتم أن تكونوا من الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون فانتم الحروف الأولى التى نبتت من النقطة الأولى والعيون الأولى التى انبجست من منبع الوحى فتضرعوا إلى الله أن لا تعوقكم الشؤون الأرضية ولا الشهوات الدنيوية وأن لا تعكر شؤون الخلق صفو ذلك الفضل الذى يجرى فيكم أو تقلب حلاوته بمرارة لأنى أعدكم لمجىء يوم عظيم . فابذلوا غاية الجهد حتى أمام كرسى رحمة الله فى العالم الآتي أكون أنا الذى أعلمكم وأرشدكم مبتهجاً باعمالكم ومفتخراً بما تم على أيديكم . وأما سرّ ذلك اليوم الآتى فستور لا ينكشف الآن لأن مولود ذلك اليوم الجديد يفوق أعقل وأشرف الناس فى هذا الزمان وأصغر عامى فيه يفوق فى العلم والمعرفة أعلم العلماء والفقهاء فى هذا العصر . فانتشروا فى جميع الجهات وأعدّوا الطريق لمجيئه بأقدام ثابتة وقلوب طاهرة ولا تنظروا إلى ضعفكم واستكانتكم بل اجعلوا أنظاركم دائماً متوجهة إلى القوة القاهرة من ربكم والحكم القدير . ألم يجعل إبراهيم منصوراً على جيوش نمرود رغماً عن ضعفه الظاهر . ألم يجعل موسى غالباً على فرعون وجنوده مع إنه لم يكن له رفيق سوى عصاه . ألم يؤسس المسيح عزته ومجده ورفعته فوق جميع اليهود مع أنه كان بحسب الظاهر فقيراً وحيداً . ألم يخضع محمد صلعم قبائل العرب المتوحشة الثائرة إلى النظام القدسى الذى أتى به حتى قلبهم وغير أحوالهم . إذاً قوموا على إسم الله وضعوا ثقتكم فيه وتوكلوا عليه وأيقنوا بالنصر والفوز فى النهاية)(١)

وبهذه الكلمات أحيي الباب إيمان تلاميذه وبلغهم مهمتهم وخصص لكل منهم إقليما

(١) يشير الباب إلى حروف الحى فى البيان الفارسى (الواحد الأول الباب الثانى) بقوله وجميعهم يكونون اسم الحى لأنها أقرب الأسماء إلى الله وأما غيرهم فيهتدون بهداهم وأعمالهم المدلة لأن الله قد ابتدأ بهم فى خلق البيان وإليهم يعود هذا الخلق للبيان فهم الأنوار الذين كانوا منذ القدم ساجدين وسيكونون إلى الأبد ساجدين أمام عرش السماء (البيان الفارسى جزء أول صحيفة ٢٤ — ٢٥)



(مدرسهٔ نیم آورد اصفهان)

يقوم فيه على التبليغ وأمرهم جميعاً أن يمتنعوا عن الاشارة إلى إسمه وشخصه (١) وأن ينادوا فقط بأن باب الموعود قد انفتح وأن حجته كاملة و برهانه قائم وأن كل من يؤمن به فقد آمن بجميع أنبياء الله ومن أنكره فقد أنكر أولياءه وبهذه التعاليم ودعهم وتركهم لحفظ الله وبقى معه فى شيراز أحد هؤلاء الحروف الذين تكلم معهم وهو الملاّ حسين أولهم وكذلك القدّوس آخرهم وأرسل الأربعة عشر الباقين من شيراز فى ساعة الفجر كلّ لينفّذ الخطة التى أمره بها

أما الملاّ حسين فقد خاطبه فى ساعة فراقه بهذه الكلمات (لا تحزن إنك لم تكن مختاراً لمرافقتى فى السفر والحج إلى الحجاز فانى سوف أرسلك إلى تلك المدينة التى لهامن القداسة العليا مالا تأمل الحجاز ولا شيراز أن تقاربها فيها لاشتمالها على سرّ يفوق كل قداسة وأملى أنك بعونة الله ترفع الحجب عن أعين الأشرار وتثقف عقولهم . وفى أثناء الطريق عليك أن تزور أصفهان وكاشان وطهران وخراسان ثم تسير إلى العراق وهناك تنتظر أمر ربك فهو يرعاك ويرشدك إلى حيث شاء وأراد . أما أنا فسأسافر إلى الحج مع القدوس ومع الخادم الحبشى وسأرافق ركب الحج من فارس الذى سيسافر قريباً وسأزور مكة والمدينة وهناك أتمم المأمورية التى أمرني بها الله وإن شاء الله سأعود إلى هنا بطريق الكوفة وهناك اتعشم أن أراك وأقابلك ولو جاء الأمر بخلاف ذلك فانى سأخبرك أن تقابلنى فى شيزار وكن واثقا أن جنود الملكوت ستؤيدك وتوفقك فجوهر القوة مودع الآن فيك وجنود ملائكته المختارين تحوم حولك وقوات العلىّ تحيطك وروحه الفائضة تسدّد خطاك وترشدك فمن أحبك فقد أحب الله ومن عاندك فقد عاند الله ومن تودد إليك فقد تودد الى الله ومن انكرك فقد أنكر الله .

(١) وذكر المسيو نقولاس فى مقدمته على الجزء الأول من البيان الفارسى ما يأتى (صحيفة ٣ـ٥) وقد اتفق الجميع على أنه من المستحيل نشر الدعوة بين الناس علناً بل يجب معاملتهم كما يعامل الطبيب الأطفال فانه يخفى دواء مرا فى غلاف سكرى حتى يمكن مداواة هؤلاء المرضى الصغار . وكان القوم الذين ظهر فيهم وياللاسف متعصبين بدرجة تفوق تعصب اليهود فى وقت ظهور المسيح ولم تكن عندهم عظمة المملكة الرومانية لتمنع اصطلام الجهالة الدينية من قوم ذوى حمية عظيمة فاذا كان المسيح رغما عن الهدوء الذى كان حوله لا يتكلم إلا بالأمثال فلا بدع إذا كان السيد على محمد يخفى أفكاره تحت طى الأشارات ولا يبدى من الحقائق الألهية إلا قطرة قطرة فربّى طفل الأنسانيه وهداه مجداً فى عدم تخويفه وسدد خطاه الأولى فى طريق يوصله ببطىء وكيفية حتمية ومؤكدة إلى النهاية التى أعدها له إلى الأبد وكان وحده قادرا عليها

الفصل الرابع
في رحلة الملا حسين الى طهران

وكانت الكلمات التى خاطبه بها الباب تتردد فى آذانه اثناء سياحته فأينما ذهب وفى أى مجمع كان يخاطب الجمهور بكل جرأة ويعلمهم الرسالة التى عهد بها اليه السيد المحبوب ولما وصل إلى أصفهان قطن فى مدرسة نيم آورد . والتفّ حوله تلاميذ المجتهد الحاجى سيد محمد باقر (١) الذين عرفوه منذ زيارته الاولى بأنه رسول السيّد كاظم الى ذلك المجتهد وحلّفه بعد وفاة ابنه الحاجي سيد أسد الله واستلم كرسى والده بعد أن عاد من نجف وأما الحاجى محمد ابراهيم كلباسى فاشتد مرضه واقتربت منيته . وانزعج تلاميذ الحاجى سيد محمد باقر من التعاليم الجديدة التى كان ينشرها الملاّ حسين بعد أن ظنوا أنهم تخلصوا من تعاليم سيدهم بعد وفاته فقاموا ضد الملاّ حسين وشكوه إلى الحاجى سيد أسد الله قائلين (إن الملاّ حسين سبق أن اكتسب أثناء زيارته الاخيرة تأييد ومعونة والدك العلاّمه لأمر الشيخ أحمد ولم يتجاسر أحد من تلاميذه أن يعارضه والان يدعونا بكل قوة وشجاعة لأمر جديد آخر أقوي وأثبت ويقول عن صاحبه أنه ذو كتاب سماوى يشبه فى عباراته القرآن ويباهل به أهل هذه المدينة قائلا (فاتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين) فلن يمضى وقت كبير حتى يؤمن به جميع أهالى اصفهان فكان الحاجى سيد أسد الله يجيبهم قائلا (وماذا عسانى أقول لكم ألم تعترفوا بانفسكم ان الملاّ حسين قد أسكت بقوة برهانه وفصاحته رجلا شهيرا كوالدى فكيف وأنا اقل منه علما ومقاما يمكنى أن أدحض برهانه فليفحص كل انسان دعوته

(١) وكان الناس يهرعون جماعات وزرفانا لسماع الخطيب وكان يتمثل فى جميع كراسى اصفهان وهو ما كان ممنوعا عنه فى شيزار ولم يخف أن يعلن أن ميرزا على محمد هو الامام الثانى عشر الأمام المهدى وكان يظهر كتب سيده ويقرأها ويشير الى البلاغة والمتانة ويظهر كلما هو فتى بذلك الرأى ويعدد عجائبه (من كتاب الاديان والفلسفة فى اواسط آسيا صحيفة ١٣٠ للكونت جوبينو .)

فان اقتنع فبها وإلا فليلزم السكوت ولا يعرض إسم ديننا للأهانة) ولما رأوا عجزهم عن التأثير على السيد أسد الله أحالوا الأمر على الحاجى محمد ابراهيم كلباسى وصرخوا اليه قائلين (الويل لنا لأن العدو قد قام لنقض دين الاسلام المقدس) وشرعوا يعارضون آراء الملاّ حسين بكل جرأة وجهالة فأجابهم الحاجى محمد ابراهيم قائلا (التزموا جانب السكوت فان الملاّ حسين ليس بالرجل الذى ينخدع بسهولة أو الذى يقع فريسة للباطل ولو صحّ قولكم أن الملاّ حسين يدعو الى دين جديد فأول واجب عليكم أن تفحصوا تعاليمه وان تمتنعوا عن ردّه قبل الفحص والتمعن واذا ساعدتنى صحتى وعادت الىّ قوتى فان غرضي أن أبحث الأمر لأتبين الحق بنفسى)

فلما وصلهم هذا التأنيب الشديد من الحاجى المذكور لجأوا الى حاكم المدينة منوجهر خان معتمد الدولة فامتنع هذا الحاكم العاقل العادل عن التداخل فى هذه المسائل قائلا إنها تخص العلماء ولكنه حذّرهم من التورّط فى إحداث الاضطراب والأخلال بالامن أو إساءة الرسول فبدّدت كلماته آمالهم فلم يقع الملاّ حسين فريسة لتدابير الاعداء واستمرّ فى عمله مدة بدون أى عائق

وكان أول من اعتنق الأمر فى هذه المدينة رجل يشتغل فى تنقية القمح فكان يخدم الملاّ حسين بكل إخلاص وبسبب معاشرته له أصبح مدافعا كبيرا عن الأمر الجديد فيما بعد ولما جاءت أخبار حصار قلعة الشيخ طبرسى وتفاصيلها المثيرة للأشجان وسمعها شعر بوله عظيم ورغب فى أن يكون نصيبه مع هؤلاء الأصحاب الذين قاموا للدفاع عن دينهم وحمل غربالا له معه وقام على الفور لينضم الى تلك المعمعة فسأله أصحابه اذ شاهدوه يجرى فى أسواق إصفهان بحالة انفعال عظيم وحماس قائلين (لماذا هـذا الاستعجال) فاجابهم قائلا (أريد مساعدة اخواني الأعزاء فى الدفاع عن قلعة طبرسي وبهذا الغربال الذى معى سأغربل الناس فى كل مدينة أمرّ فيها اثناء رحلتى فمن وجدته مستعدا لهذا الامر اسأله ان ينضم معي ويتعجل الى ميدان الشهادة) فهكذا كان إخلاص هذا الشاب الذى قال عنه الباب فى البيان (قد امتازت إصفهان تلك المدينة البارزة بعلم علمائها وحماس أهلها الدينى فى المذهب الشيعى ولشدة الانتظار والتربص سواء من الأعالى والأدانى

لظهور ومجيء صاحب الزمان وفي كل قسم من المدينة معاهد دينية فلما أتى الرسول الالهى أنكر رسالته من ادّعوا أنهم مخازن العلم ومكامن أسرار دين الله ولم يؤمن بالحق من بين سكان مدينة العلم المذكورة سوى شخص واحد وهو منقي القمح وهو الذى ارتدى بخلعة الفضل الالهى (١)

ولم يعترف بالأمر من بين أشراف إصفهان سوى القليل كميرزا محمد على النهرى الذى اقترنت إبنته أخيرا بالغصن الأعظم (٢) وكذلك ميرزا هادى أخ ميرزا محمد على وميرزا محمد رضا پاقالى. أما ملاّ صادق خراسانى الذى كان يلقب بالمقدّس والذى سماه بهاء الله باسم الله الاصدق فأقام في إصفهان مدة خمس سنوات باحثا عن مجيء الأمر الجديد بناء على تعاليم السيد كاظم وكان من المؤمنين الاولين الذين صدّقوا بالباب (٣) لانه لما علم بمجيء الملاّ حسين أسرع اليه وقابله فى منزل الملاّ علىّ النهرى وحكى الرواية الآتية قال (سألت الملاّ حسين أن يخبرنى باسم الموعود فأجاب بأن الاستفهام عن اسمه والافضاء به كلاهما ممنوعان. فسألته هل لى أن أعتكف كحروف الحيّ وأسأل الله فى صلواتي أن يبينه لى برحمته فأجابنى (بأن باب رحمته لن يغلق أبداً أمام وجه من يجاهد فيه) وبناء على ذلك سأل مضيفه أن يفرد لى غرفة للخلوة وفى أثناء مناجاتي تذكرت وجه ذلك الغلام الذى رأيته مراراً فى كربلاء وهو واقف يصلّي فى مسجد الامام الحسين والدموع تكسو وجهه فتمثل ذلك الوجه أمام عينيّ وشاهدته يبتسم بسرور لا يمكن وصفه فذهبت نحوه لأرتمى على قدميه ولكننى وجدته قد اختفى من أمامى . فذهبت إلى الملاّ حسين وأخبرته بالرؤيا وأنا مستبشر فأعلمنى بأنى قد وصلت فى آخر الأمر إلى محبوبى وأمرنى بكتم الرؤيا لأن الوقت لم يحن بعد

(١) وانظر الى أرض الصاد التى هى فى هذا العالم الظاهر أعظم الأراضى فيوجد فى كل ركن منها عبيد عديدون اتصفوا واكتسوا بأسم العلماء والمجادلون فى الوقت الذى انتخب فيه الخلق اكتسى مغربل القمح بحلة الأولية . وهنا يظهر سرّ كلمة الأئمة فى موضوع المظهر (حتى يكون أعلاكم أسفلكم . وأسفلكم أعلاكم) (من البيان الفارسى جزء ٤ صحيفة ١١٣)

(٢) اشارة الى زواج عبد البهاء بمنيرة خانم .

(٣) ذكر جوبينو (صحيفة ١٢٩) أن الملا محمد تقى الهراتى من مشاهير العلماء كان من أوائل المؤمنين بالامر الجديد

للافضاء بها ، وقال لى قد جنيت ثمرة انتظارك فى اصفهان فعليك الآن أن تذهب الى كرمان وتبلغ الدعوة للحاجى ميرزا كريم خان ومن هناك تسافر إلى شيراز وتسعى فى تنبيه سكان تلك المدينة من غفلتهم وأتعشم أنى أقابلك فى شيراز وأقاسمك نعمة الاجتماع المبهج مع محبوبنا (١)

وسافر الملاّ حسين من اصفهان الى كاشان وكان أول من آمن هناك حاجى ميرزا جانى الملقب پاريا (٢) وكان من بين أصحاب الملاّ حسين عالم شهير يدعى السيد عبد الباقى من سكان كاشان وأحد الشيخية بها ومع انه كان من أعز أصحاب الملاّ حسين مدة وجوده فى نجف وكربلاء فان ذلك السيد لم يقبل أن يضحي مركزه ولا رياسته لأجل الدعوة التى أتي بها صديقه .

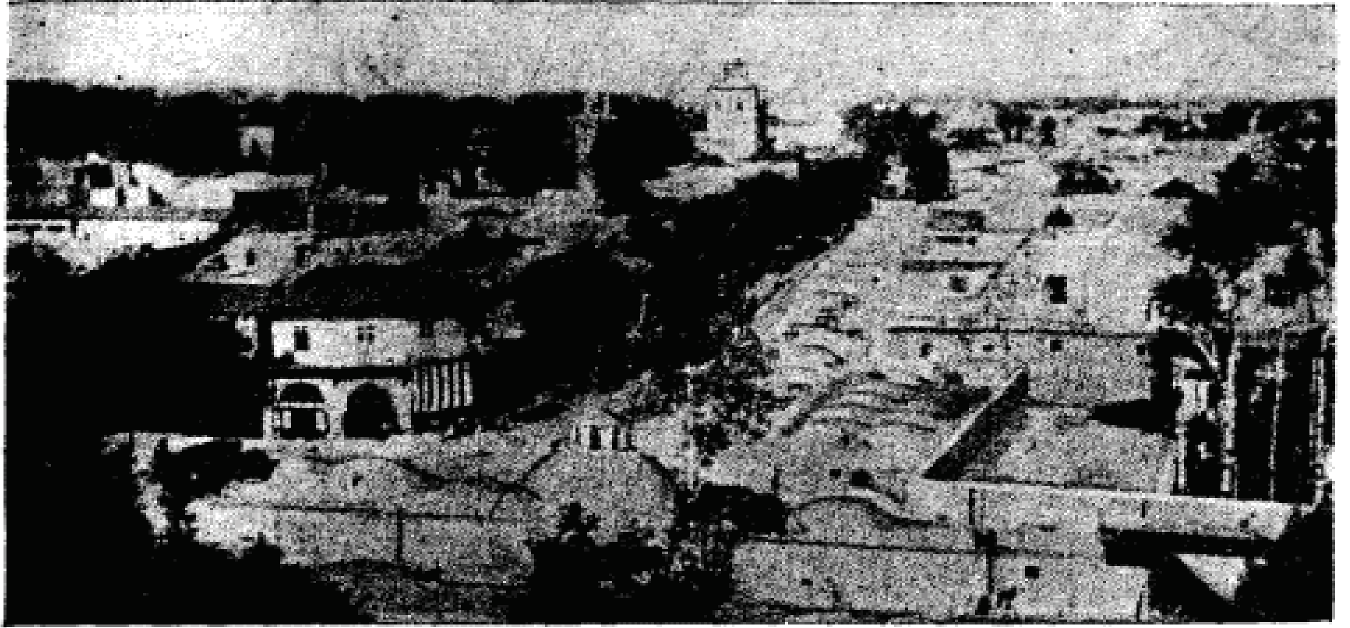
ولما وصل الى بلدة قم وجد أهلها غير مستعدين لندائه ولم ينبت البذر الذى نذره فيها إلا بعد نفى بهاء الله إلى بغداد . ففى تلك الأيام آمن حاجى ميرزا موسى أحد سكان قم وسافر إلى بغداد وهناك قابل بهاء الله وأخيراً تجرع كأس الشهادة فى سبيله .

ومن بلدة قم ذهب الملاّ حسين الى طهران ونزل فى إحدى غرف مدرسة ميرزا صالح التى تسمى بمدرسة پاى منار وفيها بلّغ الدعوة للحاجي ميرزا محمّدى خراسانى المعلم فى تلك المدرسة وهو رئيس الشيخية ولكنه أبى أن يلبى الدعوة وقال للملاّ حسين (نحن كنا نظن أنك بعد وفاة السيد كاظم ستجتهد فى ترقية أمور الشيخية وتخلصها من الشبهات التى وقعت فيها ولكنك يظهر عليك أنك قد تركتها فضيعت أعظم آمالنا فاذا صممت

(١) وكانت رحلة بشروئى فى اصفهان نصراً للباب وآمن العديدون من المشاهير ولكن في الوقت نفسه جلب ضغينة العلماء الرسميين حتى انه اضطر إلى مغادرة المدينة وكان إيمان الملا محمد تقي الهراتى وهو عالم من الطبقة الأولى قد أشعل غضبهم للنهاية خصوصا وأن هذا الأخير كان ممتلئاً من الحماس وكان فى كل يوم يصعد المنبر ويخاطب الناس بدون ستر عن عظمة الباب الذى كان أعطاه رتبة النائب الخاص عن الامام الثانى عشر (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٠٥)

(٢) وذكر فى كشف الغطاء صحيفة ٤٢ — ٤٥) أن الحاجى ميرزا جانى كان معروفا عند أهل كاشان باسم الحاجى مرزا جانى بزرك لتميزه من آخر سمى له كان تاجرا فى كاشان باسم حاجى مرزا جانى ترك أو الصغير وكان للأول ثلاثة أخوة وأكبرهم يدعى حاجي محمد اسماعيل الذبيح والثانى الحاجى ميرزا أحمد والثالث الحاجى على اكبر .

على أنك تذيع هذه العقائد الباطلة فانك تمحو آخر بقايا الشيخية فى هذه المدينة فطمّنه الملاّ حسين بأنه لم يقصد الحط من تعاليم السيد أحمد ولا السيد كاظم وانه لا يود أن يطيل إقامته فى طهران (١)





(مناظر طهران)

(١) وكان يمضى بعض الايام فى تخت المملكة ولكنه ما كان يظهر أمام الجمهور علنا وكان يقتنع أن يحادث الذين يحضرون عنده لمقابلته سراً . ولم يأل جهداً فى مقابلة العديدين واخبارهم بعجائب الامر وكان كل شخص يحب رؤيته ومقابلته . كذلك محمد شاه ووزيره حاجى ميرزا آقاسي لم يفتهما أن يدعواه للزيارة . وأظهر لهما التعاليم وأعطاهما كتبا من كتب مولاه

(الكونت دى جوبينو الأديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٣١)

وكانت عادة الملاّ حسين مدة اقامته فى طهران أن يترك غرفته فى الصباح مبكراً ليعود إليها بعد الغروب بساعة . ويدخل غرفته بسكون ويغلق بابها على نفسه ويبقى فيها إلى اليوم التالى (١) ومما رواه ميرزا موسى أقاى كليم أخ بهاء الله ما يأتى (سمعت الملاّ محمّد المعلم أحد سكان نور فى إقليم مازندران ومن المعجبين بتعاليم الشيخ أحمد والسيد كاظم يقول « كنت من تلاميذ الحاج ميرزا محمد المعدودين وقاطنا فى نفس المدرسة التى يعلم فيها وكانت غرفتى ملاصقة لغرفته وكنت دائم المعاشرة معه وذات يوم حضرت محادثة ملاّ حسين معه من الأولى للآخر . وكنت متأثراً من سلاسة وقوة تعاليم ذلك



(آقاى كليم أخ بهاء الله)

الشاب الغريب وأتعجب من محاولات الحاج ميرزا محمد معه فى الأجوبة ومن تكبره ومن تحقيره له فأحسست إذ ذاك بانجذابى من تأثير ذلك الشاب واستهجنت سلوك معلمى نحوه ولكنى أخفيت احساساتى وأدعيت أنى متجاهل مادار بينهما من المجادلات

(١) وذكر سمندر فى كتابه الخطى (صحيفة ٢) أن الملا حسين كان يحمل فى طريقه من شيراز الى طهران لوحا الى محمد شاه من الباب سنة ١٢٦٠ هجرية .

وصممت على مقابلة الملاّحسين على انفراد وذهبت فى نصف الليل على غير انتظار وطرقت الباب ووجدته منتبها وجالساً بجوار مصباحه فقابلني بشوق زائد وتكلم معي بكل لطف







(مناظر منزل بهاء الله فى طهران)

وأدب فتركت قلبي أمامه وخاطبته والدموع تجرى من عيني فقال لى (إنى الآن عرفت لماذا اخترت هذا المكان للسكنى لأنه ولو كان معلمك قد رفض قبول الدعوة واحتقر مؤسسها

ولكن الأمل فى أن تلميذه يعترف بها على عكس معلمه فما هو اسمك وموطنك) فاجبته بان اسمى ملاّ محمد ولقبي المعلم وموطنى نور فى مازندران فسألنى قائلا أخبرنى هل يوجد اليوم من بين أفراد عائلة المرحوم ميرزا بزرك نورى الذى اشتهر بأخلاقه وآدابه وعلومه من قام مقامه فى حفظ هذا البيت الشهير فأجبته نعم يوجد بين انجاله الآن من امتاز بسمو الاخلاق التى اشتهر بها والده . وقد برهن بطهارة حياته وعلو كعبه ومحبته وشفقته وحريته بانه السليل الشريف لذلك الوالد النبيل فسألنى عن صناعته فاجبته انه يواسى الفقير ويطعم الجائع وسألنى عن رتبته ومقامه فأجبته ليس له لقب سوى أنه صاحب المسكين والغريب وأما اسمه فحسين علىّ ومن جملة كتابات والده أتقن كتابة « النسخ تعليق » وهو خط الشكستة ويجول فى الغابات ويبتهج بجمال الطبيعة (١) وعمره ثمان وعشرون سنة وكانت هذه المعلومات أجوبة على أسئلة الملاّ حسين التى كان يسألها بلهف وكنت متعجباً من حالة السرور التى كانت تبدو عليه وقت أن كان يسمع الاجابة عن كل سؤال ثم إنه التفت إلىّ بوجه مفعم بالسرور والاطمئنان وقال لى (أظن أنك قابلته كثيراً) فاجبته قائلا (نعم كثيرا مازرته فى منزله) فقال (هل لك أن توصّل اليه وديعة منى) فاجبته (نعماً ومرحبا) فاعطانى ملفا فى قطعة قماش وأمرنى أن اسلمها له باكرا عند الفجر وزاد قائلا (إذا تكرم بالاجابة فاعلمنى برده) فاخذت منه الملف وعند طلوع الشمس ذهبت لتنفيذ رغبته فلما ذهبت إلى منزل بهاء الله وجدت أخاه ميرزا موسي واقفا بجوار الباب وما كدت أعلمه بمهمتي حتى ذهب داخل المنزل وعاد

(١) وحكى الدكتور اسلمنت فى كتابه قال (وفي ذات يوم حكي عبدالبهاء أكبر أنجال بهاء الله لمؤلف هذا الكتاب التفاصيل الآتية بخصوص أوائل أيام حياة والده قال (كان منذ طفولته كريما للغاية وشفوقا ومحبا للعيشة خارج المنزل وكان يقضى أغلب أوقاته فى الحديقة أو المزارع وكانت له قوة جاذبة يشعر بها الجميع وكان الناس دائما يلتفون حوله وكذلك الاطفال كانوا يحبونه وكذلك جميع وزراء الدولة وكبار رجالها يودون مقابلته . وفى سن الثالثة عشر أو الرابعة عشر اشتهر بالعلوم .. ولما بلغ الاثنين والعشرين توفى والده وأرادت الحكومة أن تسند اليه وظيفة والده فى الوزارة كما هو الحال فى ايران ولكن بهاء الله لم يقبل ذلك وعندئذ قال رئيس الوزارة أتركوه لنفسه فان هذا المنصب لايليق له فان له غرضا أسمى تحت نظره لا أقدر أن أفهمه ولكنى مقتنع بأنه متهيء لأمر عال فان أفكاره ليست كأفكارنا (صحيفة ٣١ — ٣٢ بهاء الله والعصر الجديد)

مرحبًا بي . فدخلت الى حضوره وقدمت الملف الى ميرزا موسي الذي وضعه أمام بهاء الله فأمرني بالجلوس وفتح الملف ونظر في محتوياته وابتدأ يقرأ بعض عباراته بصوت مرتفع وجلست مفتونا من استماعي لحلاوة صوته ونغماته وبعد أن أتم قراءة صحيفة من الملف التفت الى أخيه وقال له ياموسى (ماذا تقول أليس كل من يعتقد في القرآن ويعترف بمنبعه السماوي لا يسعه أن يتردد ولو لحظة في أن هذه الكلمات قد تجلت بنفس القوة المحيية للأرواح وإلا فأنه يخطىء في حكمه ويضل عن صراط العدل .) ولم يزد على ذلك إلا أنه أمرني بأن آخذ معي الى الملاّ حسين هدية منه قمعاً من السكر الروسي وعلبة من الشاي وأن أبلغه تقديره ومحبته (١)

فقمت مملوءا بالفرح ورجعت الى ملاّ حسين وسلمته الهدية وأبلغته الرسالة فما كان أشد فرحه واغتباطه إذ ذاك فلا تقدر الكلمات أن تعبر عن شدة تأثره فقام عند إبلاغه الرسالة على قدميه وأحنى رأسه وأخذ الهدية من يدي وقبّلها بلهف شديد ثم عانقني وقبّلني قائلا (إيها الحبيب العزيز أني أدعو الله كما فرّحت قلبي أن يهبك السعادة الابدية ويملأ قلبك بفرح لا مزيد عليه) . وقد كنت متعجبا من سلوك الملاّ حسين وقلت في نفسي ماذا عسى أن تكون الصلة التي جمعت هذين الروحين وما الذي أشعل مثل هذه الصحبة الحارة في قلبيهما ولماذا ظهر من الملاّ حسين مثل هذا السرور عند نظره لمثل هذه الهدية البسيطة من طرف بهاء الله مع أن أبهة الملك والعزّ لا أهمية لها في نظره وكنت متحيراً في فكري ولم أتمكن من حلّ ذلك اللغز

ولم تمض إلا أيام قلائل حتى سافر الملاّ حسين إلى خراسان وعند الوداع قال لي لا تخبر أحداً بما سمعت وشاهدت فاجعل ذلك سرّاً مكتوما في صدرك ولا تفش إسمه لان الذين يحسدونه على مقامه سيقومون للاضرار به واطلب من الله القدير في مناجاتك أن يحفظه فبواسطته يرفع المستضعفون ويغني الفقراء ويعز المساكين وسيبقى سرّ الأمر محجوبا الآن عن أنظارنا فعلينا أن نرفع نداء هذا اليوم الجديد وندعوا جميع الامم والأقوام إلى هذه الرسالة الربانية وسوف يفدي الكثيرون في هذه المدينة أرواحهم في هذا السبيل . ومن هذه الدماء ترتوي شجرة الله وتنمو حتى تستظل في ظلها جميع الخلائق »

(١) وكان الشاي وذلك النوع من السكر نادرين في ذلك الوقت في ايران وكان يهادى بهما العظماء

الفصل الخامس

في رحلة بهاء الله إلى مازندران

كان أول ما قام به بهاء الله من الرحلات لنشر تعاليم الباب فى موطنه الأصلى نور فى اقليم مازندران . فانتقل إلى تاكور محل وجود أملاك والده وحيث يوجد له فيها قصر كبير مفروش بالاثاث الفاخر وكان من حظى أن سمعت بهاء الله نفسه يوما يذكر مايأتى : كان لابى الوزير المرحوم منزلة يحسده عليها اقرانه فكانت ثروته الواسعة وسلالته العريقة فى النسب واعماله الفنية وكرامته التى لا تدانى ورتبته العاليـة موضع اعجاب كل من عرفه . ولمدة عشرين سنة فأكثر لم يصب أى فرد من أفراد أسرة نور التى انتشرت فى اقليم نور وطهران أى ضرر أو ضيق أو مرض وكانوا يتمتعون لمدة طويلة بدون انقطاع بما كان يحل عليهم من البركات المتنوعة ولكن الحال تغير فجأة وتبدلت تلك السعادة والرفاهية بالمصائب التى هزت أركان راحتهم المادية فأول خسارة وقعت لهم تسببت عن فيضان عظيم ارتفع فى جبال مازندران وطغى بشدة على قرية تاكور وهدم نصف القصر المملوك للوزير المبنى فوق القلعة واقتلع السيل الجارف أحسن شقّى المنزل رغم انه كان متين الأساس فهلكت أمتعته الثمينة وهدمت زينته الفاخرة وتبع ذلك ضياع الوظائف الحكومية التى كان الوزير قد تقلدها وحصلت من أخصامه وحساده هجمات متواليـة ورغما عن كل هذه النكبات استمر الوزير على سكونه ووقاره المعهود وعلى أعمال البر والاحسان واستمر يعامل أقرانه من عديمى الوفاء بنفس الشفقـة والاحترام الظاهرين فى معاملته لجميع مواطنيه والى آخر نسمة من حياته تحمل بكل ثبات جميع البلايا التى داهمته .

وكان بهاء الله قبل إعلان دعوة الباب قد زار اقليم النور فى الوقت الذي بلغ فيـه المجتهـد الشهير مرزا محمد تقى النورى أوج شهرته وقوته التى وصلت إلى درجة أن الذين يجلسون عند اقدامه كانوا يعتبرون أنفسهم أنهم من مفسرى الشرع ومعلمى الاسلام. وبينما كان المجتهد يشرح الدرس لنحو مائتين من أتباعه ومريديه ويتكلم عن حـديث غامض من أحاديث الأئمة إذ حضر بهاء الله ومعه عدّة من اصحابه ومكثوا يستمعون لمحاضريه

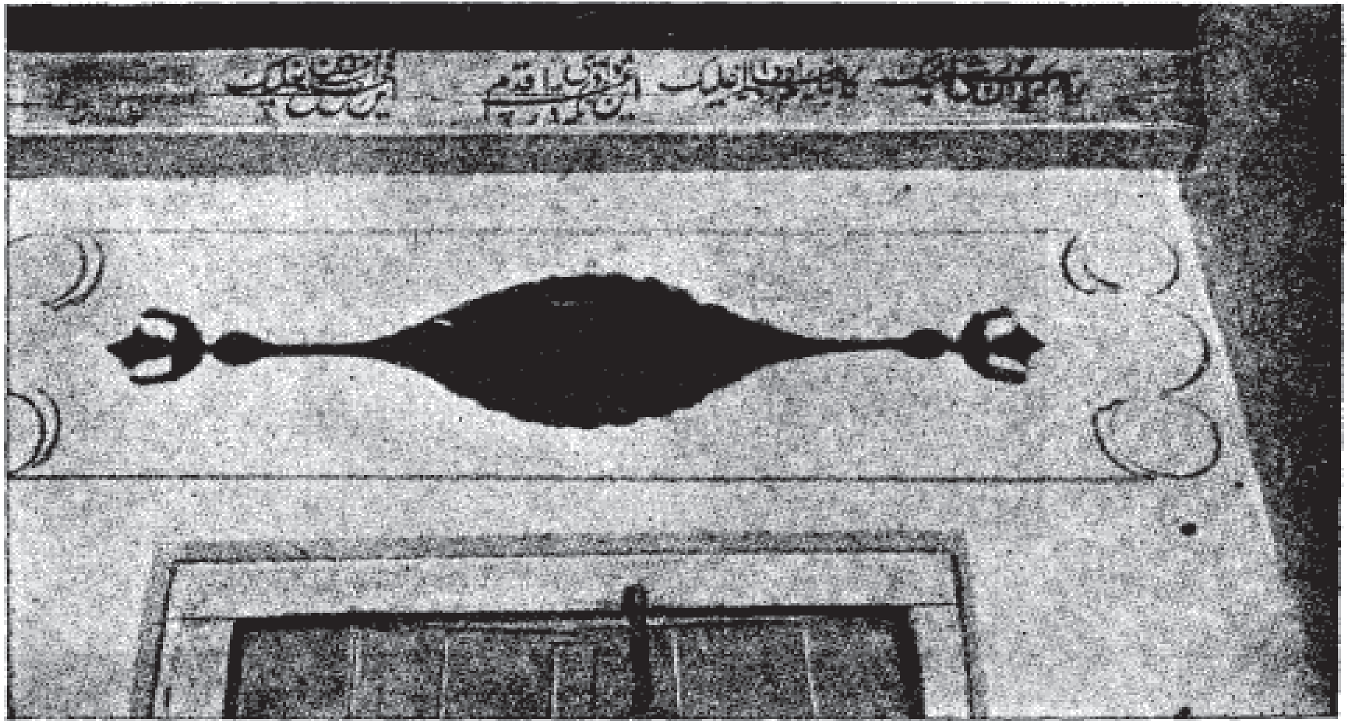


بالقرب من



آثار منزل بهاء الله الاصلي في تاكور مازندران

فسأل المجتهد تلاميذه أن يشرحوا نظرية غامضة من الوجهة الباطنية من التعاليم الاسلامية فلما عجزوا عن الجواب تحرك بهاء الله وبيّن تلك النظرية بلغة مقنعة وبيان سهل فتكدر المجتهد من عجز تلاميذه وقال غاضبا (علمتكم عدة سنين واردت أن اثبت فى نفوسكم الحقائق الغامضة والأصول العالية من الدين ومع ذلك فقد أظهر ذلك الشاب الذى يلبس الكلاة (قلنسوة) تفوقه عليكم بعد كل هذه السنين الطويلة مع انه لم يتعلم فى مدرسة ولم يكن له اطلاع على دروسكم وعلومكم)



(الكتابة التى نقشها الوزير مرزا بزرك على مدخل باب منزله فى تاكور)

ولما سافر بهاء الله من هناك أخبر ذلك المجتهد تلاميذه فيما بعد عن رؤيتين رآهما كان لهما فى نظره اهمية كبيرة قال عن الأولى « (كنت كأنى واقف فى وسط مجمع من الناس يشيرون »
« الى منزل يقولون ان صاحب الزمان يسكنه فأسرعت وأنا مستبشر بذلك للوصول »
« الى حضرته . ولما وصلت الى المنزل منعت لفرط تعجبى عن الدخول وقيل لى أن »
« القائم مشغول فى المحادثة مع شخص آخر ولا يمكن الوصول اليه فذلك ممنوع بتاتا »
« واستنتجت من هيئة الحراس الذين رأيتهم بجوار باب المنزل إن ذلك الشخص هو بهاء الله) »
« وأما فى الثانية وجدت نفسى كأنى فى محل وحولى صناديق عديدة قيل لى انها »
« تعلق ببهاء الله ولما فتحتها وجدتها مملوءة كتبا وكانت الكتابة والحروف تلمع بجواهر »

« غالية وضوءها يأخذ بالابصار وقد ادهشنى لمعانها على شأن أيقظنى من النوم فجأة »

ولما زار بهاء الله إقليم نور سنة ٦٠ وجد أن المجتهد الشهير الذى كانت له سطوة زائدة قد توفى . ونقص عدد مريديه العظيم إلى شرذمة ضئيلة من الأتباع اجتهدت فى تتبع أحاديث معلمهم السابق تحت رئاسة الملاّ محمد خليفته وتبدّل الحماس الذى كان يحوم حول مجىء بهاء الله السابق إلى خمول خيّم الآن على بقية هؤلاء الجماعة وحضر لمقابلته جم غفير من الموظفين والأعيان فى تلك الناحية ورحّبوا به الترحيب اللائق وكانوا جميعاً مشتاقين لأن يعلموا منه شيئاً عن حياة الشاه وأعمال الوزراء وأمور المملكة نظراً للمركز الاجتماعى الذى كان يشغله فلم يظهر لهم بهاء الله اهتماماً خاصاً بهذه الأحوال ولكنه دعاهم إلى الأمر الجديد بكل فصاحة ونطق بليغ وإقناع ولفت أنظارهم إلى المنافع العديدة التى تنالها المملكة من ذلك[1] وكان الذين يستمعون إليه يندهشون من عظيم إهتمام رجل فى مقامه ومركزه وعمره للأمور التى هى من خصائص علماء الدين وكانوا يجدون أنفسهم مضطرين للاعتراف برجحان أدلته وغير قادرين على التقليل من أهمية ذلك الأمر الذى كان يبينه بقدرة فائقة . وكانوا يعجبون بعلو كعبه فى العلوم وحماسه ومتانة أفكاره ويتأثرون للغاية من شدة انقطاعه وتبتله

ولم يقدر أن يعارضه أحد فى آرائه سوى عمّه عزيز الذى تجرأ على مقاومته والطعن عليه وكان الحاضرون فى مجلسه يرغبون فى إسكات مقاومه والأضرار به ولكن بهاء الله كان يتوسط له وينصحهم أن يتركوه لأيدى الله فلما انزعج عمه من ذلك طلب المساعدة من مجتهد نور وهو الملاّ محمد وقال له (يا خليفة رسول الله أنظر ماذا داهم الدين فان شاباً من غير العلماء مرتديا خلعة النبالة والأمارة حضر إلى نور وغزى معاقل الايمان ومزق دين الأسلام فقم فى وجهه وأوقف تهجمه لأن كل من يحضر أمامه يقع فى حبائل سحره وينجذب بقوة منطقه ولست أدرى هل هو ساحر أوهو يمزج الشاى الذى يسقيه للناس بما يجعلهم فريسة لسحره .)

وكان المجتهد على قلة بضاعته فى العلم والفهم يعلم بطلان إدعاآت ذلك العمّ فكان يسأله مازحاً (وهل شربت من الشاى الذي يعمله أو سمعته يتكلم مع أتباعه) فأجابه (نعم ولكنى لم يؤثر فىّ قوة سحره فقد حفظتنى حماية حبك) وكان المجتهد يعلم أنه غير قادر على إثارة العامة ضد بهاء الله أو أن يقاوم الآراء التى ينشرها شخص مقتدر مثله بغير

(١) وكانت عباراته (بهاء الله) كالسيل المتدفق وأوجبت سلاسة عباراته ووضوح بياناته أن يجلس أعظم العلماء تحت أقدامه (من كتاب الدكتور جيني اتفاق الأمم والأديان صحيفة ١٢٠)

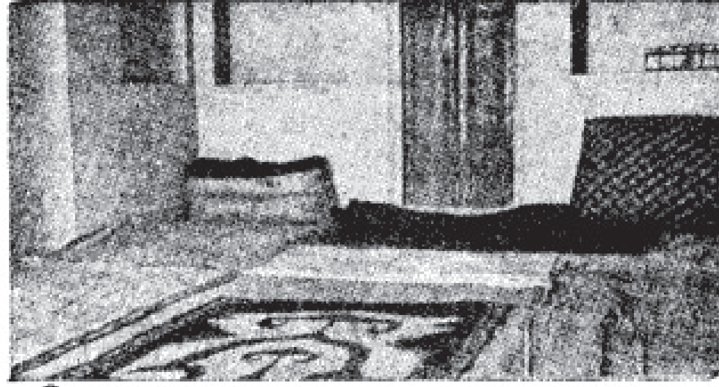
خوف ولا وجل واكتفى بكتابة عبارة إلى عمّه عزيز قائلاً (يا عزيز لا تخف فلن يقدر أحد أن يلحق بك ضرراً) وكانت العبارة مكتوبة بخطأ نحوى جعل معناها غير مفهوم حتى إن كل من قرأها من أعيان تاكور عاب الكاتب والمكتوب له .

وكان كل من يتشرف بحضور بهاء الله أو يسمع منه نبأ دعوة الباب ورسالته يتأثر وينجذب من بيانه على شأن يقوم على نشر وإذاعة الكلمة بين أهل نور وإعلان فضائل المعلم الشهير . واجتهد تلاميذ الملاّ محمد فى هذه الأثناء أن يقنعوه بأن يذهب إلى تاكور ويزور بهاء الله ويتحقق منه أمر هـذا الدين الجديد ويفهّم أتباعه مقصده ومأربه ولكن المجتهد كان يتهرب فى الجواب رغماً عن الألحاح الشديد فلم يقبل منه تلاميذه ما كان يعتذر به وقالوا له أن أول واجب على رجل فى مقامك أزاء هذا الأمر أن يحافظ على سلامة المذهب الشيعى الاسلامى وأن يبحث فى كيان كل حركة لها مساس بالدين وأخيراً صمّم ملاّ محمد أن يرسل إثنين من مشاهير أتباعه وهما الملاّ عباس وميرزا أبو القاسم وكلاهما أصهار المجتهد السابق ميرزا محمد تقى ومن أخص تلاميذه وطلب منهما مقابلة بهاء الله والبحث معه فى حقيقة الرسالة التى أتى بها وأوجب على نفسه الأعتراف بأى نتيجة يصلان إليها بدون أي تحفظ وقال إنها ستكون فصل الخطاب . ولما وصل الرسولان إلى تاكور علما أن بهاء الله تركها إلى مشتاه فذهبا إليه هناك ووجداه مشغولا بتفسير سورة الفاتحة من القرآن وإذ سمعا كلامه ومتانة بياناته وفصاحة عباراته واقناع حججه وبرهانه تأثرا للغاية وقام الملاّ عباس من مكانه مدفوعا بقوة لايقدر على ردّها ووقف بجوار الباب فى حالة خضوع وخشوع وانجذب بحلاوة البيان الذى كان يصغى اليه وقال لزميله وهو يرتعد ويبكى لقد رأيت حالى فانا غير قادر على سؤال بهاء الله فجميع الاسئلة التى أعددتها قد زالت فجأة من مخيلتى وأنت حرّ إما أن تتم بحثك أو تعود إلى معلمك وحدك وتخبره بالحالة التى صرت اليها واخبره عن لسانى وقل له إن عباس لايقدر أن يرجع اليك أو يترك هذه العتبة. واتبعه فى ذلك زميله ميرزا أبو القاسم حيث أجابه قائلا (انى من الآن لن أعرف معلمي ففى هذا الوقت نذرت لله أن أخصص بقية حياتى لخدمة بهاء الله الذى هو مولاى الوحيد الحق)

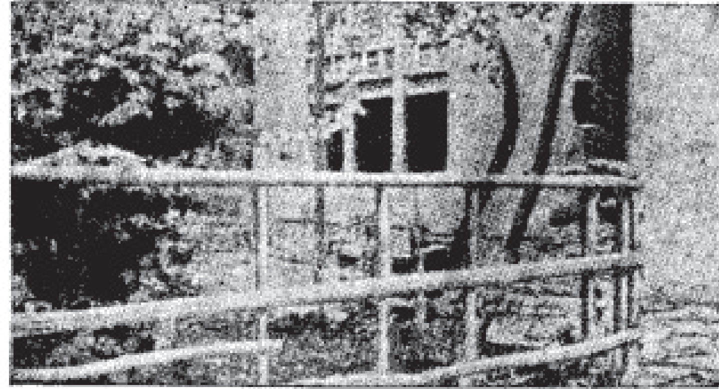
وانتشرت أخبار إيمان الرسولين فى نور بسرعة مدهشة وهرع الجميع من موظفين



(المنظر الخارجي للغرفة التي كان يقطنها بهاء الله في تاكور مازندران)



(غرفة بهاء الله من الداخل محفوظة بشكلها الأصلي)



(المنظر الخارجي للغرفة التي كان يقطنها عبد البهاء في تاكور مازندران)



(داخل الغرفة التي كان يقطنها عبد البهاء)

ومزارعين وعلماء إلى مسكن بهاء الله وانتبهوا من غفلتهم وآمن الكثيرون بالأمر الذى كان يدعو اليه ومن بين العظماء العديدين الذين أعجبوا به من قال (اننا نرى أهل نور قد التفوا حولك ونرى ابتهاجهم ظاهرا فى كل الجهات فاذا انضم لهم الملاّ محمد فان نصر هذا الدين يكون مؤكدا) فأجابهم بهاء الله إنى جئت إلى نور لاظهار أمر الله واعلان دعوته ولا أبغى مقصداً آخر فاذا قيل لى إن طالبا على بعد ماية غلوة يبحث عن الحق وغير قادر على الحضور لمقابلتى فانى بكل سرور وبدون تعويق أسرع إلى مسكنه وأطعمه. وان الملاّ محمد يقطن فى سعادت آباد وهى قرية ليست ببعيدة عن هذا المحل فسأزوره وأعلمه بالدعوة الالهية

وذهب بهاء الله ومعه بعض أصحابه إلى تلك القرية وقابلهم ملاّ محمد بكل ترحيب وقال له بهاء الله (إنى لم أحضر إلى هنا لازورك زيارة رسمية فان غرضى هو تنويرك فيما يختص بالدعوة الجديدة العجيبة الموحى بها من الله والتى بها يتم الوعد المذكور فى الاسلام . وكل من يصغى لهذه الرسالة يشعر بقوة تأثيرها ويحصل عنده تغيير من قوة أمرها فاخبرني عن كل مايخالج ضميرك من جهتها أو ما يمنعك من تصديق الحق) فقال له الملاّ محمد باستخفاف (إني لا أقدر أن أبت فى أمر إلا بعد أن أستخير القرآن وأطلب دائما معونة الله بان أفتح القرآن كتابه المقدس وأتبع نص أول آية من الصحيفة التى تقع عينى عليها . ومن هذه الآية يمكنى أن أحكم على الطريق الذى أتّبعه .ولما رأي المجتهد أن بهاء الله لم يمانع فى طريقة الاستخارة طلب المصحف وفتحه ثم طواه ولم يقبل أن يفصح عن الآية التى وقعت عينه عليها أمام الحاضرين وقال إنى استخرت الكتاب وأرى أنه لم يكن من المستحسن لى أن أبحث فى هذا الموضوع فوافقه البعض وعرف الآخرون ما ساوره من الخوف فى هذا الصدد ولم يرتضى بهاء الله أن يزيد فى حيرته وارتباكه بل قام واستأذن وودّعه وداعا حبيا.

وذات يوم أثناء سياحة بهاء الله فى المملكة مع البعض من أصحابه رأي شابا جالساً وحده بجانب الطريق أشعث الشعر لابساً لباس الدراويش وهو يشعل النار ويطبخ بجانب جدول وإذ اقترب منه سأله بهاء الله بلطف (أخبرنى ماذا تفعل أيها الدرويش)

فأجابه بخشونة (أنا مشغول فى أكل الرّب وطبخه وحرقه) فأعجب بهاء الله ببساطة الشاب وعدم تصنعه وسلامة طويته وصراحة اجابته وابتسم من هذه الاجابة وأخذ يتحدث معه بكل لطف وحرية وفى قليل من الوقت تمكن بهاء الله من تغييره بالكلية . وإذ ابتهج بمعرفة طبيعة الله الحق وخلّص عقله من أوهام قومه اعترف حالا بالنور الذى جاءه به ذلك الشخص الغريب. وتعشق ذلك الدرويش المدعو مصطفى تعاليمه على شأن ترك أدوات طبخه وراءه وأخذ فى اتّباع بهاء الله . وكان يسير وراء جواده وهو يتغنى بأشعار كان ينشدها بداهة فى محبته التى اشتعلت نارها فى قلبه . وكان يقول إنك نجم صبح الهداية وأنت ضياء الحق اكشف نفسك للناس يا مظهر الحق ومع أن هذا الشعر قد انتشر فى قومه واشتهر بأن درويشا يسمى المجذوب واسمه مصطفى بيجى سنندجى أنشأه على البداهة فى مدح المحبوب فان الناس لم يفهموا وقتها من هو الذى كان يعنيه فى شعره ولم يشك أحد أن ذلك الدرويش عرف مقام بهاء الله واكتشف بهاءه فى وقت كان فيه محجوبا عن جميع الأنظار .

وكانت زيارة بهاء الله لنور ذات نتائج باهرة ومكنت الأمر الجديد النشأة من الانتشار الزائد وكسب قلوب أهل نور . وحرك أرواحهم وأدخلهم تحت لواء الدين الجديد بطهارة حياته وفصاحته الجذابة ووقار هيئته ومنطقية براهينه وعلائم محبته وهكذا كان تأثير كلماته وأفعاله وأقواله وهو يدعو إلى الأمر الجديد ويظهر مجده لمواطنيه فى نور حتى كأن الشجر والحجر فى بلاد نور يحيي من أمواج القوة الروحانية التى كانت تصدر من شخصه وكأن جميع الأشياء قد استمدت قوة واكتسبت حياة جديدة وكأنها بلسان حالها تنادي بأعلى النداء (انظروا إلى جمال الله وبهائه فقد ظهر وجاء بكل مجده) واستمر أهالى نور بعد فراق بهاء الله لهم فى نشر الأمر وتثبيت أسسه وتحمّل كثير منهم أشد أنواع الاضطهاد لأجله . وشرب البعض الآخر كأس الشهادة بكل سرور فى سبيله. واشتهرت بلاد مازندران وخاصة بلاد نور بأنها كانت أول بلاد قبلت الرسالة الالهية من بين جميع الأقاليم فى إيران وكانت بلاد النور التى هى مغطاة بجبال مازندران أول أرض سطعت عليها أشعة شمس الحقيقة التى ارتفعت فى شيراز فبينما كانت جميع بلاد إيران محجوبة فى وادى الغفلة كان

إقليم النور أول البلدان التى أعلنت نبأ ارتفاع وظهور نجم الهداية الربانية أخيرا ليضيء ويشرق بنوره على الأرض جميعها .

ولما كان بهاء الله طفلا رأى والده الوزير فى الرؤيا كأن بهاء الله يسبح فى محيط لاحد له وكأن جسمه يلمع على المياه بضياء أنار البحر وكانت ترى شعراته السوداء الحالكة المتدلية حول رأسه فوق المياه تسبح على الأمواج وحامت حوله جملة أسماك تعلق كل منها بطرف شعرة من شعراته بكل ثبات وجميعها قد بهرها ضياء وجهه فكانت تتبعه أينما توجه ومع وفرة عددها وشدة تعلقها بشعره لم تنفصل منه شعرة واحدة ولم يحصل لجسمه أى ضرر بل كان يتحرك فوق المياه بغير مشقة وبدون عائق والجميع يتبعونه .

وإذ تأثر الوزير من هذه الرؤيا استدعى معبرا اشتهر فى تلك الأرجاء ليفسره له فقال هذا الرجل الذي كأنه أوحى اليه بجلال حياة بهاء الله المستقبلة (أيها الوزير إن البحر المحيط الذى رأيته انما هو عالم الوجود وان إبنك سيعلو عليه وحيداً فريداً ولا يعوقه عائق عن أى جهة يريد التوجه اليها ولا يقدر أحد أن يقف فى سبيل تقدمه وأما الأسماك العديدة هى عبارة عن الاضطراب الذى سيحدث بين الأمم والأقوام الذين سيجتمعون حوله ويتعلقون به وبقدرة حماية الله القدير لا يناله أذًى من هذا الاضطراب بل يبقى سالما عالياً بمفرده على بحر الحياة .

وبعد التعبير أوصلوا المعبر الى بهاء الله فلما نظر الى وجهه وتقاطيعه سحر من جمال طلعته وبهر من حسن سيماه وكانت كل لمحة من لمحات وجهه تنبيء عن بهاء باطنه وكان عظيم اعجابه وشدة اطرائه لبهاء الله بدرجة ان الوزير أصبح من ذلك التاريخ أشد تعلقا بنجله وكان ماتكلم به ذلك المعبر قد أنعش آماله فيه وقوى ثقته به . وأصبح كيعقوب لا يرى إلا سعادة إبنه يوسف يكتنفه بحماية محبته .

وكان الحاجى ميرزا أقاسى رئيس وزراء محمد شاه يظهر احتراماً شديداً لبهاء الله ولو أنه كان متباعدا عن والده . وكانت شدة احترام رئيس الوزراء لبهاء الله قد أثارت الحسد فى قلب ميرزا أقاخان النورى اعتماد الدولة الذى خلف حاجى مرزا اقاسى فى منصبه فكان يحقد على رئاسة بهاء الله وهو صبيّ وتأصل الحقد فى قلبه من ذلك الحين لأنه قال فى نفسه إذا كان مثل هذا الاحترام يعطى من رئيس الوزراء لصبي مثله ووالده لا يزال على قيد الحياة فما بالك لو خلف والده فى كرسيه .

واستمر الرئيس حاجى مرزا اقاسى فى احترامه لبهاء الله حتى بعد وفاة والده الوزير وكان يزوره فى

منزله ويخاطبه كما يخاطب والد ولده . وذات مرة كان يمر بجهة قرية كوش حصار وهي من أملاك بهاء الله وقد أعجبه جمال ذلك المحل ووفرة الماء فيه حتى إنه أحب أن يتملكه فطلب من بهاء الله شراءه ولكنه أجابه (لوكانت هذه الأملاك تخصني وحدي لتصرفت فيها طبقا لارادتك فان هذه الدنيا فانية بجميع مشتملاتها الخسيسة وليس لها أى اعتبار فى نظري فكيف بهذه القرية الحقيرة . ولكن لما كان يشاركني فيها الكثيرون من الاغنياء والفقراء وبعضهم قاصر والبعض بالغ فانى أطلب اليك أن ترجع اليهم وتطلب رضاهم وقبولهم) فلم يعجب الرئيس هذا الرد وأخذ فى تدبير الحيلة ودس الدسائس للحصول على مرغوبه . ولما علم بهاء الله بمقاصده باع الضيعة إلى أخت الشاه مع قبول باقى الشركاء لانها كثيرا ما ألحت بطلب شرائها فتغيظ الرئيس من ذلك وأمر بالاستيلاء عليها بالقوة مدعيا أنه اشتراها من مالكها الاول ولكن نواب أخت الشاه وبخوا وكلاء الرئيس وأمروهم بأن يخطروا سيدهم بعزمها على تثبيت حقوقها فذهب الحاجي المذكور وعرض الأمر على الشاه مشتكيا أخته له . وكانت أخته سبق لها في نفس الليلة أن شكت له قائلة (ان جلالتك طالما طلبت مني بيع مصاغي وجواهري لأشترى به ضيعة وقد نجحت الآن وأتممت مرغوبك ولكن الحاجي مرزا آقاسي عزم على الاستيلاء عليها بالقوة) فطمن الشاه أخته وأمر الحاجي آقاسي أن يتنازل عن ادعائه ولما يئس المذكور من تنفيذ رغبته دعا بهاء الله الى مقابلته واجتهد فى الادعاء عليه بكل حيلة للحط من شأنه فكان بهاء الله يجيب بشهامة عن كل تهمة يريد الرئيس أن يلصقها به وأخيرا صاح الرئيس غاضباً (ولماذا إذاً كل هذه الولائم والموائد التى تعدّها وتسرّ بها وإني بصفتي رئيس وزراء شاهنشاه إيران لا أقبل أن يحوم حول مائدتك فى كل ليلة مثل هذا الجمع الحاشد من الاضياف المتنوعين ولماذا كل هذا الاسراف والتبذير ولا بد وأنك تريد عمل مكيدة ضدى) فأجابه بهاء الله بقوله (لاسمح الله فهل الرجل الذى يشارك مواطنيه خبزه يتهم بتدبير مؤامرة جنائية) فارتبك حاجي مرزا آقاسي ولم يجب بشيء ومع انه كان مؤيدا بجميع القوى فى إيران من مدنية وشرعية ودينية إلا انه وجد نفسه أخيرا عاجزا تماما كلما حاول الصاق تهمة ببهاء الله . وقد ظهرت رئاسة بهاء الله على معانديه فى كثير من الحوادث واصبحت رئاسته من

القضايا المسلم بها وأوجبت انتصاراته لهصيتا ومقاما وأشهرته فى جميع الجهات ودهش الناس على اختلاف مقاماتهم من نجاحه الباهر فى الخروج سالما من اعظم المخاطر. وفكروا أن العناية الربانية لابد وأن تكون هى التى أوجبت سلامته فى جميع هذه الحوادث ولم يخضع بهاء الله ولا مرة واحدة إلى طمع وغرور وخيانة الذين حوله مع أنه كان محاطا بأعظم المخاطر وفى اثناء معاشرته لكبار رجال الدولة والدين لم يخضع الى آرائهم ولم يوافقهم على مشاربهم فكان فى مجامعهم يقوم على إشهار أمر الحق ومساعدته بدون وجل ويحافظ على حقوق المظلومين ويدافع عن الضعفاء ويحامى عن الابرياء

الفصل السادس

في سفر الملا حسين الى خراسان

وفى وقت توديع الباب لحروف الحي أمرهم فرداً فرداً أن يدونوا فى قائمة اسم كل مؤمن اعتنق الامر وسار حسب تعاليمه وأن يضع كل منهم قائمته فى خطابات مغلوقة مختومة ويرسلوها الى خاله حاجى ميرزا سيد على فى شيراز ليبعث بها اليه وقال لهم (سوف أبوب هذه الاسماء الى ثمانية عشر باب وأجعل كل باب يحتوى على أسماء تسعة عشر شخص فيكون كل باب فى مجموعه واحداً (١) فاذا أضيفت هذه الاسماء فى أبوابها الثمانية عشر الى الواحد الاول الذى تكون من اسمى وأسماء الحروف الثمانية عشر التى هى حروف الحى فانها تكون عدد كل شىء (٢) وسأذكر أسماء جميع المؤمنين فى لوح الله حتى أن محبوب قلوبنا ينزل عليهم بركاته التى لا تحصى فى اليوم الذى يستقر فيه على عرش مجده ويعدهم من سكان جنته)

وطلب من الملاّ حسين أن يبعث اليه بتقرير عن حالة الاعمال والمجهودات الخاصة بانتشار الامر فى اصفهان وطهران وخراسان وألح عليه أن يخطره بأسماء الذين أقروا وآمنوا وكذلك الذين كفروا واعترضوا وقال له « إني لن أبارح هذه البلاد للحج حتى يصلنى خطابك »

وبعد مقابلة الملاّ حسين لحضرة بهاء الله وانتعاشه من محادثته قام بالسفر الى خراسان وفى أثناء زيارته لهذا الاقليم ظهرت منه آثار القوة التى أحياه بها الباب أثناء توديعه(٣)

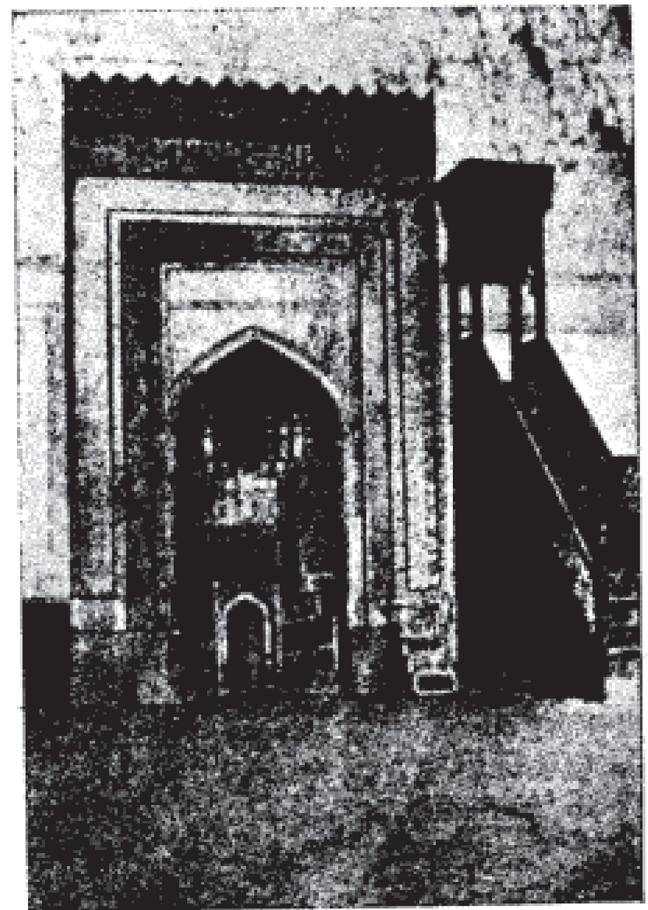
(١) وعدد واحد هو ١٩ بالحساب الابجدى

(٢) عدد كل شىء هو ٣٦١ يعى ١٩ فى ١٩ بالحساب الابجدى

(٣) وكان الزائر يزيد فى مدة إقامته كلما أراد واحتاج لعمل المحادثات والمقابلات فى المدن والبلاد والقرى والجدال مع الملاّوات وإظهار كتب الباب وتبليغ الدعوة . وكان الناس فى كل مكان يستمعون له بفروغ صبر . ويبحثون عنه متعجبين ويستمعون له بلهف ويقبلون الدعوة بسهولة وخاصة فى نيسابور حيث قبل الدعوة اثنان من مشاهير العلماء وهما الملاّ عبد الخالق من يزد والملا على الصغير وكان أولهما







مناظر مسجد جوهر شاد فى مشهد ومن بينها المنبر الذى كان الملا حسين يبشر الناس بالدعوة الجديدة منه

وكان أول من آمن فى خراسان ميرزا احمد أزغندى وهو أشهر وأعلم علماء عصره فى ذلك الاقليم وكان مدرها مفوها إذا حضر أي جمية من العلماء قل عددهم أو كثر كان هو المتكلم دونهم وكانت أخلاقه السامية وشدة تقواه قد زادت فى شهرته التى اكتسبها ببراعته وقدرته وحكمته وتبعه فى الايمان من الشيخية فى خراسان الملاّ احمد المعلم الذى كان معلما لأنجال السيد كاظم فى كربلاء وآمن بعده شيخ على الذي سماه الباب بالعظيم ثم الملاّ ميرزا محمد فروغى الذى فاق علمه على الجميع عدا ميرزا احمد . ولم يكن أحد من علماء خراسان الباقين بقادر على معارضة حجج الملاّ حسين أوعنده من العلم مايكفى لمجادلته

وآمن من بعدهم ميرزا محمد باقر قائنى الذى صرف بقية حياته فى الاقامة فى مشهد واشتعلت محبة الباب فى قلبه على شأن لم يقدر أحد على معارضتها أو التقليل من أهميتها لديه ولما كان عليه من الشهامة والقوة والخضوع التام والصدق فى جميع أطوار حياته أصبح مهيباً من أعدائه ومنبع قوة روحى لأحبائه وقد أعد منزله لخدمة الملاّ حسين ورتب له عدة مجالس لمقابلة ومناظرة العلماء فى مشهد واجتهد للسعى بكل قوته لازالة كل عقبة فى سبيل انتشار الأمر وكان يبذل مجهودات قوية لايتطرق اليه فيها الملل ولا الكلل وهو على استقامة لاتنثنى ونشاط لايفنى واستمر على عمله بدون عائق فى سبيل الأمر المحبوب الى آخر نسمة من حياته حتى وقع شهيداً فى قلعة الشيخ طبرسى وفى أواخر أيامه أمر بأن يستلم قيادة المدافعين الأبطال بعد وفاة الملاّ حسين المحزنة وقام بهذه المأمورية بكل شهامة وكان منزله فى بالاخيابان فى مدينة مشهد معروفا حتى الآن باسم البابية وكل من دخله يتهم بأنه بابي طيب الله ثراه وتغمده برحمته الكبرى .

من تلاميذ الشيخ احمد الاحسائى وكان عالما متضلعا فى العلوم وله تأثير على الناس وذا فصاحة فى المنطق وكان الثاني شيخيا أيضا وذا أخلاق صلبة وله اعتبار عظيم ويشغل وظيفة المجتهد الاول فى المدينة وأصبح الاثنان بابين . وكانا من منابر المساجد يصيحان بتنبؤات قاسية على الاسلام وفى مدة الاسابيع الأولى ظن العموم أن الدين القديم قد زحزح نهائيا . أما العلماء الذين تذمروا من تخلية رئيسهم خشوا من الخطابة العامة التى ما كانوا يقومون بها إلا نادراً فلم يشاؤوا أن يظهروا وولوا الأدبار . ولما وصل الملاّ حسين بشروئى الى مشهد وجد الأهالى منقسمين قسمين فى أمره ووجد العلماء متهيجين وقد عيل صبرهم وعزموا على إجراء مقاومة قوية للحملة التى وجهت اليهم (من كتاب الأديان والفلسفة فى أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة ١٣٩ — ١٤٠)

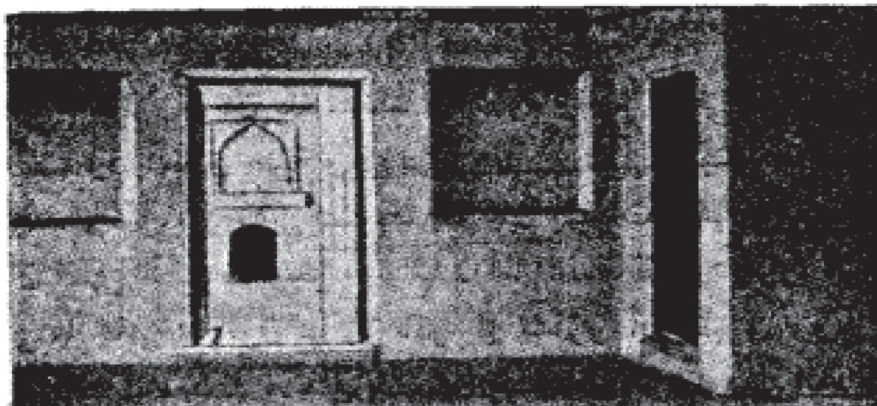


(منظر البابية فى مشهد)

ولما تمكن من ضم هؤلاء المؤمنين الاشداء الى الأمر عزم على كتابة التقرير الى الباب عن أعماله ووصف رحلته فى اصفهان وكاشان ووصف مارآه من بهاء الله ورحلته الى مازندران وذكر حوادث نور وحدث فيه عن النجاح الذى صادفه فى خراسان وأرفق مع التقرير كشفا ببيان أسماء الأحباء الذين أجابوا النداء واطمأن إلى ثباتهم واستقامتهم . وأرسل خطابه بطريق يزد بواسطة شركاء خال الباب الذى كان إذ ذاك قاطناً فى طاباس ووصل الخطاب إلى الباب فى الليلة التى سبقت اليوم السابع والعشرين من رمضان(١) وهى المشهورة عند المسلمين بليلة القدر وهى التى وصفت فى القرآن بأنها خير ألف شهر(٢) ولم يكن مع الباب فى تلك الليلة عند

(١) يوافق ليلة ١٠ أكتوبر سنة ١٨٤٤ ميلادية

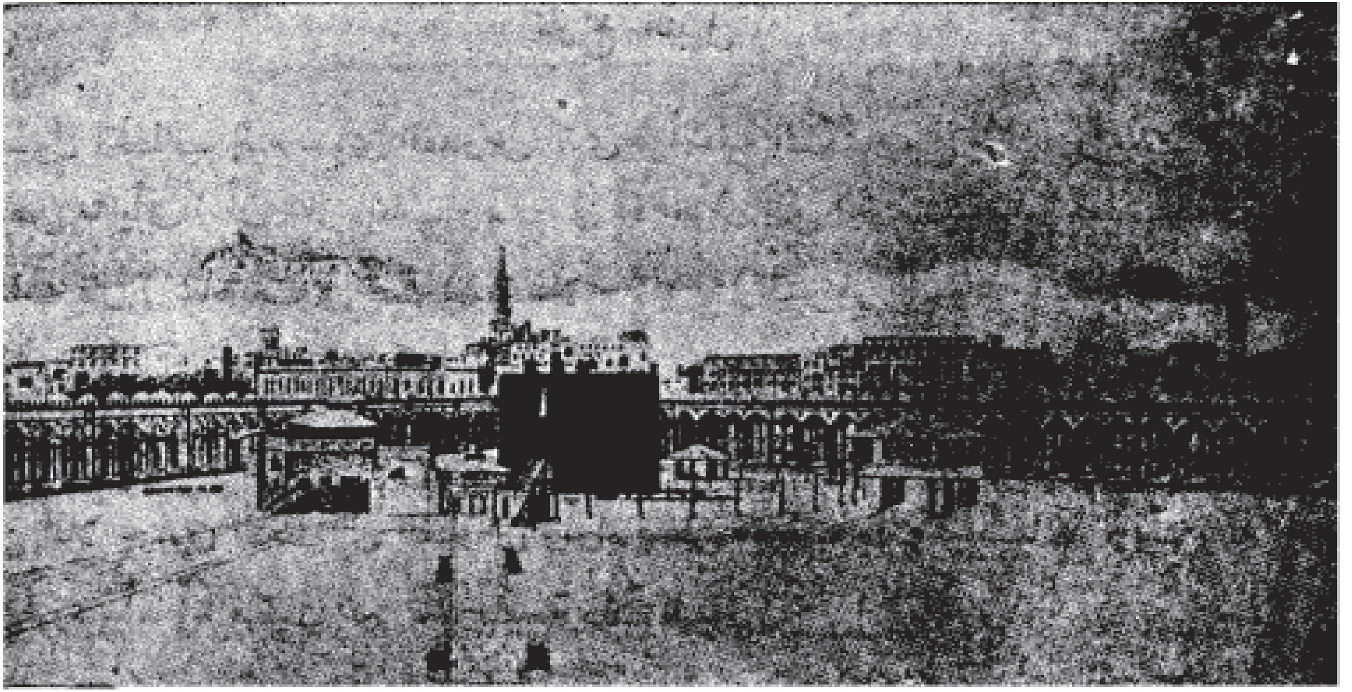
(٢) وهى إحدي الليالي العشر الأخيرة من رمضان ومعناها ليلة القوة وهى على الأرجح الليلة السابعة اذا حسبت بالتراجع (أى ليلة ٢٣ ، ٢٤ من رمضان)



(منظر البابية فى مشهد)

وصول الخطاب إليه سوى القدوس الذى قرأ عليه الكثير من فقراته وسمعت ميرزا أحمد يقص ما يأتى (أن خال الباب وصف لى الأحوال التى اقترنت بتسليم خطاب الملاّ حسين للباب قال (شاهدت فى تلك الليلة علائم الفرح والسرور على وجه الباب والقدوس بما لا أقدر أن أصفه . وكثيراً ما سمعت الباب فى تلك الأيام يكرر تلك الكلمات بانشراح (العجب كل العجب فيما وقع بين جمادى ورجب) وبينما كان يقرأ الخطاب المرسل إليه من الملاّ حسين التفت إلى القدوس وأراه بعض فقرات ذلك الخطاب وبيّن له سبب سروره وأما أنا فبقيت غير عالم بطبيعة ذلك البيان .

وكان المرزا أحمد الذى تأثر من سماع هذه القصة تأثراً بالغاً قدعزم على استكشاف سرها وقال لى (إنى لم أتمكن من الوقوف على حقيقة أمرها ولم يطمئن قلبى إلا بعد مقابلتى للملاّ حسين فى شيراز لأنى لما قصصت عليه ما ذكره لى خال الباب تبسم وقال أنه يتذكر جيداً أنه فيما بين جمادى ورجب كان مقيما فى طهران ولم يذكر شيئاً عن التفاصيل وفقط لمّح لى واكتفى بهذه الاشارة وكان ذلك كافياً لاقناعى أنه يوجد فى طهران سرّ إذا انكشف للعالم فانه يجلب الفرح والسرور على قلب الباب والقدوس وكانت إشارات الملاّ حسين إلى التصديق الفورى من بهاء الله للرسالة الربانية وإجابته لها بدون تردد وقيامه على التبليغ فى نور بكل شهامة وما لقيه من النجاح العظيم الذى كلّل مجهوداته قد أبهج قلب الباب وقوى إيمانه فى غلبة أمره النهائى واطمأن على أنه لو وقع تحت مخالب ظلم الأعداء وفارق هذا العالم فأن الأمر الذى قام على ترويجه سيعيش وينمو ويثمر بأشراف وإدارة بهاء الله الرئيسية وأنه سيدير دفتها بحكمته الفائقة وأن محبته الغالبة ستؤثر فى قلوب الناس وامتلأ قلبه بهذا اليقين والأمل وقويت به روحه ومنذ ذلك الوقت تبدد منه الخوف من حلول المخاطر ، وقبل بكل فرح نيران الاضطهاد وابتهج بحرارة اشتعالها ولمعان ضيائها كما تبتهج بذلك العنقاء



منظر مكة

الفصل السابع

في حج الباب إلى مكة والمدينة

وبعد وصول خطاب الملاّ حسين عزم الباب على الحج إلى الحجاز وترك زوجته في حماية والدته . وأوصى بهما خاله ليكونا تحت حمايته وانضم إلى جماعة الحجاج المسافرين من فارس الذين كانوا على أهبة الاستعداد للسفر للمدينة ومكة (١) وكان القدوس هو الرفيق الوحيد له خلاف الخادم الحبشي وذهب أولا إلى بوشير تلك المدينة التي كان فيها محل تجارة خاله وهي التي كانت مشتركة أصلا بينهما وكان يشتغل فيها إذ ذاك كتاجر بسيط وبعد أن عمل الترتيبات لهذا السفر الطويل الشاق استقل مركبا سارت به مدة شهرين سيرا بطيئا واهتاج البحر بالعواصف حتى رست السفينة على شواطىء الأراضى المقدسة (٢) ولم

(١) وفي تاريخ معين السلطنة (صحيفة ٧٢) قام الباب للحج إلى مكة والمدينة في شهر شوال سنة ١٢٦٠ هجرية (أكتوبر سنة ١٨٤٤ ميلادية)

(٢) وحصل له تعب من هذا السفر وكتب في كتاب بيان الحرمين (اعلم أن الطريق في البحر متعب ولا نحبه لاحبائنا مع وجود السفر بالطرق البرية) وكتب كذلك في البيان تفصيلا عن هذا الموضوع . ولم يكن الأمر تاما فان الروح التي اقتادت الباب إلى مفاجع البحر أكثر سموا ونبالة فقد دهش من نفسية الحجاج وأنانيتهم والتي زادتها متاعب وأخطار البحر ومن الحالة القذرة التي يضطر المسافرون أن يكونوا عليها على سطح المركب فاراد لذلك أن يتجنب الناس عوائدهم الخشنة ويتخلصوا

تمنعه مشاق السفر ولا تلاطم الأمواج ولا انعدام وسائل الراحة من الاستمرار على الصلاة بانتظام وعلى المناجاة ودوام الابتهال والتضرع واشتغل الباب بإملاء القدوس بالمناجاة والألواح التى كان يوحى بها اليه غير ملتفت إلى العواصف الهائجة حوله ولا مهتما بما أصاب الحجاج من مرض السفر .

وسمعت الحاجى أبو الحسن الشيرازى الذى كان مسافرا فى نفس السفينة مع الباب يصف تلك الرحلة الشهيرة قال (كنت أثناء الشهرين اللذين سارت فيهما السفينة من وقت أن مخرت من بوشير إلى أن رست فى جدّه التى هي ميناء الحجاز أشاهد الباب منهمكا فى العمل والاشتغال الدائم مع القدوس كلما سنحت الفرصة فى مقابلتهما وكان الباب يملي والقدوس يكتب مايتفوه به الباب وكانا يشتغلان باطمئنان وهدوء حتى فى الوقت الذي كانت فيه السفينة مضطربة والركاب مذعورين من الرياح العاصفة فلم يلفتهما ذلك عن العمل ولم تتغير بشاشة وجهها من هياج الركاب واضطرابهم ولا من اشتداد العواصف وانقلاب البحر وهياجه

وأشار الباب فى البيان الفارسي (١) إلى هذه المشاق التى وقعت أثناء السفر قال

منها ولذلك كان الرسول يعلمهم الآداب والاحترام نحو بعضهم البعض فى أحوالهم الاجتماعية فقال (لاتغضبوا أحدا لأى سبب) ورأى فى هذا الحج صخب الكثيرين وقسوتهم عندما يقابلوا المصاعب. فقال فى البيان جزء ٤ صحيفة ١٦ ان أحزن ما رأيته فى حجى إلى مكة النزاع المتوالى الواقع بين الحجاج والمشاجرات التى تمحو أجر الحج ومنافعه الأدبية)

ووصل إلى مسقط واستراح فيها بضعة أيام وأراد تبليغ الأهالى ولكنه لم يوفق لذلك وكان خطابه موجها إلى أحد العلماء من رتبة عالية حتى إذا آمن يؤمن بواسطته مواطنوه على غالب ظنى ولكن لم يذكر تفصيل هذه الأمور ومن الطبيعي أنه لايدعو أول من يقابله بدون أن يكون له تأثير على المواطنين ومسألة كونه دعا أحدا للايمان ولم يقبل مسألة لاشك فيها وأقرها بنفسه قال (ان ذكر الله الحق نزل على أرض مسقط ووصل بامر الله إلى أحد من أهالى تلك الجهة وكان يمكنه أن يفهم آياتنا ويكون من المهتدين قل أنه اتبع هواه بعد أن سمع آياتنا بالحق وحسب فى الكتاب من المعتدين . قل لم نر فى مسقط من أهل الكتاب من يؤمن ألا إنهم من الجهلاء الهالكين . كذلك كان من على السفينة إلا واحد من بينهم آمن بآياتنا وكان ممن يخشون ربهم

(من كتاب السيد على محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة ٢٠٧ — ٢٠٨)

(١) وقد رأيت بنفسى شخصا فى سفرى إلى الحج إلى مكة يصرف مبالغ كبيرة ولكنه امتنع عن اعطاء كوبة ماء إلى زميل له فى السفر ومقيم معه وحصل هذا على الباخرة وكان الماء فيها قليلا

(ولم نتمكن من الحصول على الماء جملة أيام إلا بصعوبة وكنا نكتفى بعصير الليمون الحلو. ولذلك ناجينا القدير أن يسهل سبيل السفر فى هـذا الاقيانوس ويقلل مشاق السفر ويمحو أخطاره فلم يمض وقت قصير حتى استجيب الدعاء وظهرت علائم التحسين فى سبيل المواصلات البحرية وأصبح الخليج الفارسى بعد ان لم يكن فيه سوى سفينة واحـدة بخارية ممتلئا باسطول من السفن العظيمة التى تقدر أن تنقل جميع الحجاج من أهالى فارس بالراحة التامة إلى الحجاز فى بضعة أيام)

أما الأمم الغربية الذين ظهر فيهم الانقلاب الصناعى فجأة فلم يدركوا المنبع الذى ظهرت منه تلك القوة العظيمة التى غيرت جميع مرافق الحياة فان تاريخهم نفسه يشهد بانه فى سنة الظهور الأعظم ظهرت فيهم فجأة بوادر الانقلاب الصناعى والاقتصادى على شأن أقروا بانفسهم بانه لم يحصل لها مثيل فى تاريخ العالم الانسـانى . ولشدة إنهماكهم فى تفاصيل هذه القوات المحركة الجـديدة تناسوا مصدرها تدريجيـا وعموا عن الغرض الذى من أجله أعطاهم ذو القدرة هذه القوة العجيبة . فلم يستعملوها فيما خلقت لاجله بل استعملوها لزيادة وسائل التدمير والحروب بدلا عن نعمة السلام والسرور

ولما وصل الباب الى جدة ارتدى لباس الاحرام وركب جملا وشرع فى سيره الى مكة وأما القدوس ففضل أن يسير مرافقا له على قدميه فى جميع الطريق من جدة الى تلك المدينة المقدسة رغما عن رغبة سيده المتكررة ان لا يفعل فكان يمسك مقود الجمل الذى كان الباب يركبه ويسير بجانبه مسرورا على هيئة الخشوع لتلبية طلبات سيـده وغير مبال بالمتاعب والمشاق الناشئة عن مثل هذا السير القاسى وكان فى كل ليلة من الغسق

بدرجة أنى لم أجد الماء أثناء سفرى من بوشير إلى مسقط ذلك السفر الذى دام اثنى عشر يوما وكنت أثناءها أكتفى بعصير الليمون الحلو (البيان الفارسى الجزء ٢ صحيفة ١٥٤)

ولا يمكن أن يتصور فى سفر البحر هذا سوى العذاب فلا يجد الانسان فيه لوازمه كالسفر براً وأما رجال البحر فمجبورون على المعيشة ولـكنهم بعملهم يتقربون إلى الله الذى يجازى على العمل الطيب سواء فى البر أو فى البحر ولـكن يضاعف أجر عبده الذى يعمل فى البحر لان عمـله مضنى (نفس الـكتاب صحيفة ١٥٥ — ١٥٧)

ورأيت أثناء الحج إلى مكة أعمالا شريرة لم تر عينى الله شراً منها وقد جعلت المبرور الطيب (وهو الحج) هباء منثوراً . وتلك هى المنازعات بين الحجاج . وعلى أى حال فمثل هـــذه المنازعات ممنوعة والحق أن بيت الله فى غنى عن أن يطوف به أمثال هؤلاء الناس (ذات الـكتاب صحيفة ١٥٥)

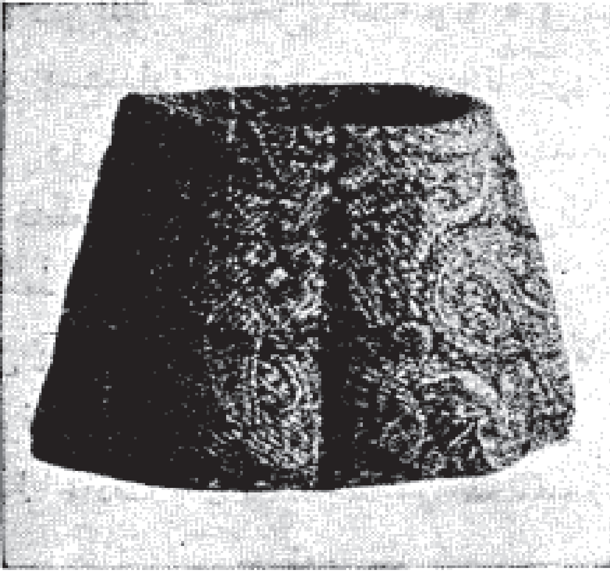
إلى دنو الفجر يضحى راحته ونومه فى سبيل المحافظة على محبوبه ويسهر بانتباه لا يعرف الملل استعداداً لتلبية احتياجاته وتأكيداً لحمايته وسلامته

وفى ذات يوم أثناء قيام الباب للصلاة قريبا من إحدى الآبار ظهر فجأة بدوى هائج واختطف الخرج الذى كان مطروحا على الارض وبه كتابات الباب وأوراقه واختفى بسرعة وسط الصحراء فقام الخادم الحبشى ليتبعه ولكن سيده منعه وأشار اليه بيده أن يكف عن إتباعه وقال له (لواذنتك فى تتبعه لادركته وعاقبته ولكن هذه الاوراق والكتابات سوف تصل بواسطة هذا البدوي الى المقر الذى لولاه لا يمكن ايصالها اليه بسهولة فلا تحزن لهذا الحادث لان ذلك هو أمر الله المقتدر . وكثيرا ما كان الباب يواسى أصحابه بمثل



القفطان الذي كان الباب يلبسه تحت الجبة

هذه الملاحظات وبأمثال هـذه العبارات تتبدل مرارة الغضب والأسف بالرضاء بأمر الله بكل سرور وابتهاج



القلنسوة التي كان الباب يلف العمامة حولها

وفى يوم عرفات اختلى الباب فى غرفته واشتغل بالصلاة والعبادة طيلة ذلك اليوم وفى اليوم التالى وهو يوم النحر بعد صلاة العيد ذهب إلى منى وهناك تبعا للعادة المتبعة اشترى ١٩ شاة من أجود الاصناف ونحر تسـعة بأسمه وسبعة باسم قدوس وثلاثة باسم خادمه الحبشى وامتنع من تناول شيء من لحومها مفضلا توزيعها على الفقراء والمساكين فى تلك الناحية .

ومع أن شهر ذي الحجة وهو شهر الحج الى مكة والمدينة فى تلك السنة صادف وقوعه فى أول الشتاء فان الحرارة كانت فى تلك الجهات مرتفعة بدرجة أن الحجاج لم يتمكنوا من عمل الطواف بملابسهم العادية فأدوا هذه المناسك بلباس الاحرام . ولكن الباب لم يرض مع ذلك أن يخلع عمامته أو عباءته التي هى علامة الاحترام وبكل هدوء وبساطة أتم المناسك والطواف حول الكعبة مرتديا ملابسه العادية

وفى آخر يوم من أيام الحج قابل الباب ميرزا محيط كرمانى عند الحجر الأسود فأخذ بيده وخاطبه بهذه الكلمات (يامحيط إنك تعتبر نفسك اكبر رجال الشيخية البارزين ومن مشاهير مفسرى تعاليم الشيخ . وتدعى فى باطنك أنك أحد وراث هذين النورين العظيمين التوأمين وأحد خلفاء هذين الكوكبين الذين أضاءا بالهداية الربانية . فالآن أنظر ترانا واقفين فى أقدس مزار وفى هذا الاقليم المبارك يقدر الانسان أن يتبين الحق من الباطل والهدى من الضلالة والآن أقول لك بانه لا يوجد أحد فى الشرق أو الغرب يقدر أنه يدعى أنه الباب الذى يوصل الانسان الى معرفة الله غيري وبرهانى هو عين البرهان الذى أتى به محمد رسول الله فاسأل منى عما تشاء الان فانى فى هذه اللحظة أجيبك بآيات تثبت صحة دعوتى. وعليك أن تختار إما أن تخضع خضوعا تاما لامري أو تعرض عنه كلية ولا ثالث



لباس الاحرام الذى ارتداه الباب فى طوافه حول الكعبة

لما فان اخترت الاعراض فلا أترك يدك حتى تعلن للعموم إعراضك عن الحق الذى ادعيته ليحيي من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ويتضح سبيل الحق لكافة الخلق.)

وواجه الباب مرزا محيط الكرمانى بهذه المباهلة فجأة حتى أنه اضطرب منها وقد بهت من دقة توجيهها وجلالتها وعظمتها وأحس أمام هذا الشاب كأنه عصفور محصور فى قبضة نسر عظيم رغما عما هوعليه من تقدم السن والقوة والعلم. فأجابه وهو ممتلىء رعباً (ياسيدى من أول يوم وقعت فيه عينى عليك فى كربلاء شعرت بأنى قد وجدت

وعرفت من هو مطلوب فؤادى ومرغوبي وإني أرفض كل من لايعترف بك بل أحتقر كل من يبق فى قلبه ذرة من الشك فى طهارتك وقدسك فأرجوك ان تعفو عن ضعفى وأن تجيب رجائى فى دهشتي . وإن شاء الله سأحلف بعين الطاعة لك فى هذا المكان المقدس وأقوم على نصرة أمرك وإن لم أك صادقا فيما ادعيت أو كان فى قلبي ما يخالف ما أقررت به بلسانى فاني أعد نفسى غير أهل لرحمة رسول الله . وأعتبر عملى مخالفا لطاعة علىّ وليـه مخالفة صريحة)

وكان الباب يستمع لـكلماته وهو عارف بضعف روحه وذلة نفسه فأجابه (حقا لقد تبين الحق من الباطل فأشهدك ياقدوس يامن آمنت بي وأشهد تربة رسول الله فى هذه الساعة فانـكما سمعتما ورأيتما مادار بينى وبينه وأنتما شاهدىّ على ذلك والله من فوقك أعظم شاهد لى وهو البصير العالم الحكيم . فيا محيط اذكر كل ما يشغل بالك وأسأل تجد لسانى بفضل الله يجيبك على كل ماتسأل ويحل لك معضلات ماأبهم عليك حتى تشهد بسمو كلامى وتتحقق من أنه لايقدر أحد خلافى أن يظهر حكمتى) .

وإطاعة لأمر الباب سأل ميرزا محيط جملة أسئلة وذكر أنه مضطر للسفر للمدينة ويرجو ان شاء الله أن يصله الرد قبل مبارحته لها فأكد له الباب الاجابة قائلا (أثناء سفرى للمدينة سأجيب على أسئلتك فاذا لم أقابلك هناك فان جوابى يصلك قبل وصولك الى كربلاء وانتظر منك الوفاء بالعدل والانصاف «من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها وإن الله لغنى عن العالمين » (١)

وقبل الافتراق جدد مرزا محيط عهده مؤكدا وقائلا (لن أترك المدينة حتى أوفى بعهدى اليك مهما يكن) وانزوى من أمام وجه الباب مرعوبا كأنه هباء أمام العاصفة وهو عاجز عن مقاومة العظمة الساحقة التى أظهرها له الباب ومكث قليلا فى المدينة ثم تركها الى كربلاء غير موف بالعهد الذى قطعه على نفسه ولا مبال بتوبيخ ضميره .

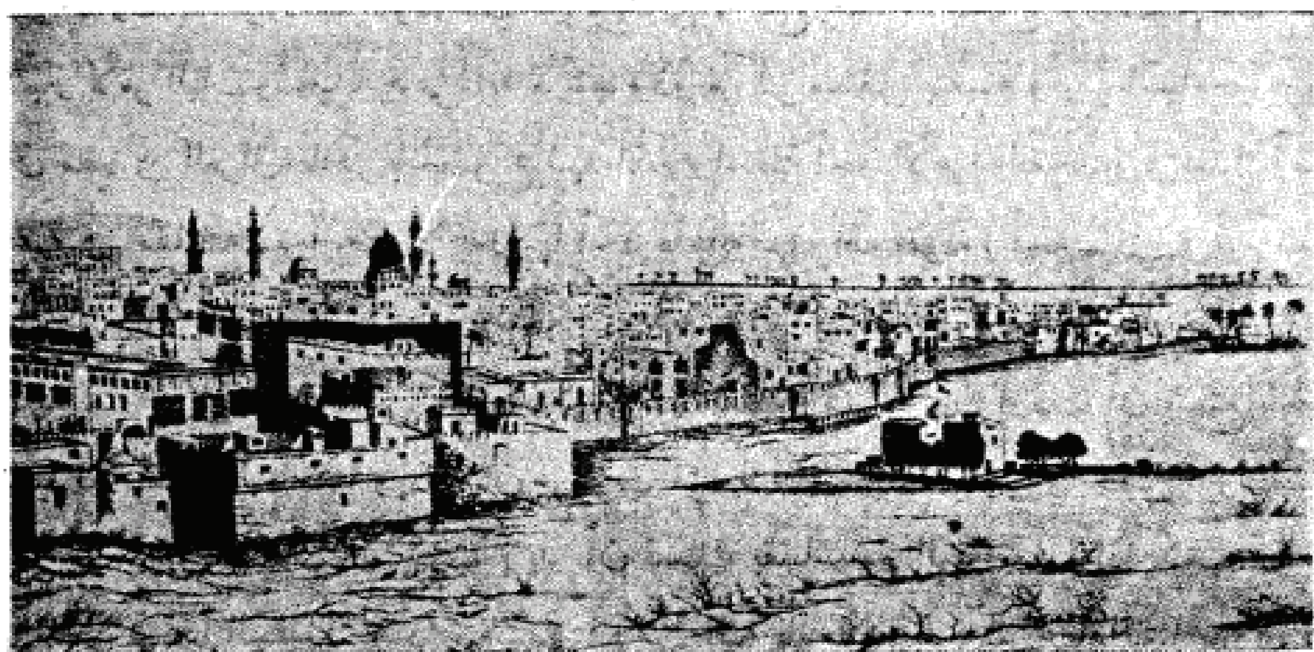
وصدق الباب فى وعده وكتب فى طريقه من مكة الى المدينة جوابا على الأسئلة التى أشكلت ذهن مرزا محيط وسماها صحيفة بيان الحرمين . أما ميرزا محيط الذى استلم الرسالة فى أوائل وصوله الى كربلاء فلم يتأثر من فحواها ولم يقبل مادون بها من الأصول فكان مركزه بالنسبة

(١) قرآن

للأمر معارضة مستورة مستمرة وكان أحيانا يدعى أنه تابع ومساعد للحاج مرزا كريم خان المعاند الشهير لأمر الباب وأحيانا يدعي أنه مرشد وذو مركز مستقل بنفسه وقرب انتهاء حياته بينما كان مقيما فى العراق تظاهر بالخضوع لبهاءالله وبواسطة أحد الأمراء القاطنين فى بغداد أظهر الرغبة فى مقابلته سراً حتى لا يعلم بها أحد فأجابه بهاء الله بقوله (أخبره بأني فى أيام كنت فيها فى جبال السليمانية كتبت رسالة بينت فيها الواجبات المفروضة على كل طالب يريد أن يسلك طريق البحث عن الحق فاذكر له هذه القطعة منها « إن أردت أن تتمتع بالحياة الدنيا فلا تقرب لساحتنا وإذا كان مرغوب فؤادك التضحية فاحضر واحضر غيرك معك فهذا هو سبيل الايمان إن كنت تريد أن تسلك بقلبك مع البهاء وأما إذا كنت ترفض أن تتخذ هذا السبيل فلماذا تتعبنا ». فاذهب اليه فانه لو يريد ليسرع لمقابلتنا بدون قيد ولا شرط وإلا فانى لاأريد أن أراه) وكان جواب بهاء الله المحكم قد أقلق بال مرزا محيط. ولما رأى نفسه غير قادر على المقاومة ولا على الطاعة سافر إلى كربلاء موطنه فى نفس اليوم الذى وصلته الرسالة ومرض هناك وتوفى بعد ثلاثة أيام.

هذا وبعد أن أتم الباب مناسك الحج فى مكة كتب رسالة إلى الشريف يبين له فيها بوضوح تام معالم رسالته. وطلب منه أن يقوم ويعتنق دعوته وأمره وسلم الباب تلك الرسالة مع بعض كتابات أخرى إلى القدوس وأمره أن يقدمها بنفسه إلى الشريف ولما كان الشريف المذكور منهمكا فى الأمور الدنيرية والمقاصد المادية لم يعل أذنه لاستماع النداء الالهى. وروي الحاج نياز البغدادى أنه فى سنة ١٢٦٧ هجرية(١) ذهب للحج وقابل الشريف وأثناء المحادثة معه أخبره قائلا (أتذكر أنى فى سنة ٦٠ حضر شاب لمقابلتى أثناء الحج وسلمنى كتاباً مختوماً فأخذته ولانشغالى وقتها لم أتمكن من تصفحه وبعد مرور أيام قابلنى الشاب نفسه وسألنى عن جواب الرسالة ولكثرة أشغالى لم أتمكن وقتها من تصفح محتويات الرسالة ولذلك لم أحرر له الجواب ولما انتهى موسم الحج وبينما كنت أفتش فى الأوراق وقع نظرى على ذلك الكتاب ووجدت فى مقدمات صفحاته مواعظ حسنة محررة بلغة شبيهة بالقرآن. وكل ما فهمته من الكتاب هو أن رجلا من سلالة فاطمة من نسل هاشم

(١) ١٨٥٠ — ٥١ ميلادية



منظر المدينـة

قام بين أقوام الفرس بدعوة جـديدة وأعلن لجميـع الأقوام ظهور القائم الموعود وبقيت غير عالم بمؤلف ذلك الكتاب ولم أطلع على الظروف التى أحاطت هذا النداء فقال له الحاج (أنه قد حصل فى تلك البلاد اضطراب عظيم فى السنوات الأخيرة فان شاباً من سلالة النبي يشتغل بالتجارة ادعى أن كلامه موحى به من الله . وكان يقول أنه فى ظرف بضعة أيام يخرج من فمه آيات تزيد فى الحجم والحسن على جملة القرآن نفسه الذى أوحى به إلى الرسول فى ظرف ثلاث وعشرين سنة. وهرع إليه جم غفيرمن الناس من الأعالى والأداني من علماء وموظفين من أهالى إيران وضحوا بأنفسهم فداء له فى سبيله واستشهد هذا الشاب فى السنة الماضية فى أواخر شهر شعبان(١) فى تبريز فى إقليم آذربايجان وأراد الذين قتلوه أن يطفئوا بقتله ذلك النور الذى أشعله فى تلك البلاد إلا أن تأثير أمره ازداد منذ حصول تلك الشهادة وانتشر بين جميـع الأمم والأفراد .) وكان الشريف يستمع إلى كلام الحاجى بسكون ودهش من قسوة الذين قتلوا الباب وقال عن ذلك صائحاً (ألا لعنة الله على هؤلاء الأشرار الذين عاملوا فى الماضى آبائنا الطاهرين بنفس هذه المعاملة) وبهـذه الـكلمات أتم الشريف محادثته معى .

وسافر البـاب من مكة إلى المدينة فى أول محرم سـنة ١٢٦١(٢) هجرية وإذ كان

(١) يوليه ١٨٥٠ ميلادية

(٢) الجمعة ١٠ يناير سنة ١٨٤٥ ميلادية

يقترب منها تذكر الحوادث المؤلمة التي خلدت ذكرى ذلكم الذى عاش ومات بين جدرانها وتجلت أمام عينيه من خلال تلك المناظر تلك القوة المحيية التي ظهرت من ذلك الفذ الخالد بجلالها المعهود وكان يكثر من الصلاة والمناجاة كلما اقترب من ذلك الحرم المقدس الذي ضم بقايا جثمان رسول الله صلعم وكذلك تذكر أثناء سيره الشيخ أحمد الاحسائى ذلك المنادى الذى يبشر الناس بهذا الظهور الجديد ودفن فى مدفن البـاقى قريباً من المقام النبوى والحرم المقدس وهو الذى مضّي فيه بقية أيامه بعد حياة متعبة فى خدمة الأمر . وهناك أيضاً تمثلت أمامه ذكرى الذين استشهدوا لنصرة أمر الله والذين نصروه بدمائهم وكأن ترابهم المقدس قد حيّ من مرور أقدامه فظهرت له أشباحهم وتحركت من نفثاته المحيية للنفوس وكانوا كأنهم قد قاموا من مراقدهم ينظرون إليه مسرعين ورافعين أصواتهم بالترحيب كأنهم يخاطبونه وهم متضرعون (لا ترجع إلى موطنك يا محبوب قلوبنا بل أسكن بيننا لأننا هنا بعيدون عن الاضطراب الذى سيحصل من أعدائك فهم مترصدون لرجوعك أما هنا فانك تكون آمنـاً مطمئناً وإنا نخاف عليك ونخشى من مكايد أعدائك ومكرهم . ونرتعد عندما نفكر أن أعمالهم سوف تجلب على أرواحهم الدمار الأبدى) وكأن الباب يجيبهم بروحه التي لاتقهر (إنى حضرت الى هذا العالم لأشاهد جلال التضحية والفداء ، وأنتم تعلمون شوق له وشدة إخلاصى . فتضرعوا إلى الله ربكم أن يسرع بساعة شهادتى وأن يقبل منى هذه التضحية فافرحوا لأنى أنا والقدوس سوف نذبح على مذبح إخلاصنا لمليك البهاء فأن الدم الذي نسفكه فى سبيله سيروي ويحيي حديقة سعادتنا الأبدية وقطرات هذا الدم التى بذرناها ستكون بذراً تنبت منه شجرة الله تلك الشجرة القوية التى سوف تجمع فى ظلها الوارف جميع أمم الأرض ومللها فلا تحزنوا إذا سافرت من هذه الأرض وأسرعت لاتمام مأموريتى .

الفصل الثامن

فى اقامة الباب فى شيراز بعد الحج

وكانت زيارة الباب للمدينة آخر مرحلة فى حجه بالحجاز ومن هناك عاد إلى جده ومنها أبحر إلى موطنه ونزل فى بوشير بعد غياب تسعة أشهر قمرية منذ سافر منها الى الحج وكان يقابل أصحابه ومعارفه الذين حضروا للترحيب به ومقابلته فى نفس الخان الذى نزل به سابقا وبينما كان مقيما فى بوشير طلب القدّوس لمقابلته وبكل شفقة أمره أن يسافر إلى شيراز وقال له (إن أيام صحبتك لى قد قاربت الانتهاء . وقد أتت ساعة الافتراق الذي لا يعقبه اجتماع إلا فى ملكوت الله فى حضور مليك البهاء . ففى هذا العالم الترابى لم يكن لك حظ الاجتماع بى سوى تسعة أشهر فانية وهناك على شواطىء بحر العمق الاكبر فى عالم الأبدية ينتظرنا الاجتماع الأبدى بالفرح والسرور وسوف تغمسك يد القضاء فى بحر من البلاء لوجه الله وسأتبعك وأنغمس معك فى أعماقه فابتهج بسرور وفرح عظيم لأنك انتخبت للملكوت حاملا لواء تلك الطائفة التى سوف تحل بها الرزايا والفجائع وستكون فى طليعة ذلك الجيش النبيل الذى سيتجرع كأس الشهادة لاسمه وفى شوارع شيراز سوف تنزل عليك كل الاهانات والشدائد ويصيب جسمك أشد أنواع الأذى ولكنك سوف تتغلب على نكبات الأعداء ويطول عمرك إلى أن تحضر بين يدى من هو مقصود محبتنا وعبادتنا وستنسى فى محضره كل ألم وأذى أصابك وتؤيدك جنود الغيب وتعلن شجاعتك وعظمتك لكل العالم . وسيكون نصيبك الابتهاج الذى لا يوصف عند تجرعك كأس الشهادة لأجله وسوف أسير أنا أيضا فى طريق الشهادة هنا وأجتمع بك فى الملكوت الأبدى . ثم أعطاه الباب مكتوبا إلى الحاجى ميرزا سيّد علىّ خاله يخبره فيه بسلامة وصوله ورجوعه إلى بوشير وكذلك سلّمه نسخة من (الخصائل السبعة) وهى رسالة ذكر فيها الشروط الأساسية التى يجب على الذين آمنوا بالأمر الجديد واعترفوا بدعوته أن تسيروا بمقتضاها وفى وقت توديعه للقدّوس سأله أن يسلم على كل الأحباء فى شيراز .

وسافر القدوس من بوشير وهو عازم عزماً أكيداً على تنفيذ رغبات سيّده . ولما وصل الى شيراز قابله الحاجى ميرزا سيّد علىّ بكل محبة وأضافه فى منزله وسأله بشغف عن صحة ابن أخته وأعماله ولما وجده القدّوس مستعداً لسماع النداء أخبره بالدعوة الجديدة التى جاء بها هذا الشاب والتى سبق لها أن أشعلت روحه . فكان خال الباب أول من آمن واعتنق الأمر فى شيراز بدعوة القدّوس بعد حروف الحيّ . ولما كانت عظمة الأمر مستورة لم يكن لديه اطلاع كاف بمغزاها ومدى سطوتها . ولكن محادثته مع قدّوس كشفت الغطاء عن كل ذلك وأصبح منذذلك الوقت مستقيما على الأمر وزادت محبته للباب حتى أنه خصص باق حياته لخدمته ، وبذل أقصى جهده للدفاع عن الأمر وحماية شخص الباب ولم يعبأ بالمتاعب فى أعماله المتواصلة ورغماعن أنه كان من أصحاب الأعمال فى تلك المدينة فانه لم يقبل أن يجعل للأمور المادية أى تأثير على ما أخذه على عاتقه من المسؤولية الروحية لحفظ شخص الباب قريبه وإعلاء كلمته وواظب على عمله الى آخر نسمة من حياته حيث انضم الى الشهداء السبع فى طهران وضحّى حياته لأجله بشجاعة نادرة لا مثيل لها .

أما الشخص الثانى الذى قابله القدوس فى شيراز فكان اسم الله الأقدس ملاّ صادق خراسانى وهو الذى أعطاه رسالة الخصائل السبعة وأمره بضرورة إجراء كل محتوياتها وكان من ضمن الأمر المؤكد لكل مؤمن مخلص أن يضيف على الأذان (وأشهد أن عليّا قبل محمد (١) هو عبد بقية الله (٢) وكان الملاّ صادق يخطب فى تلك الأيام من المنبر على الجماهير عن فضائل أئمة الدين وانجذب من فحوى ولغة الرسالة ولم يتردد فى تنفيذ ما جاء بها . وذات يوم بينما كان يؤم الناس فى الصلاة فى مسجد نو أعلن الجملة الأضافية التى أمر بها الباب فى الأذان وهو مسوق بتلك القوة القاهرة المكنونة فى اللوح . فصعق الجمهور الذين سمعوه وحصل بينهم الهرج والمرج وصاح العلماء الذين كانوا فى الصف الاول من المصلين والذين اشتهروا بالورع والتقوى قائلين : الويل

(١) إشارة الى الباب
(٢) إشارة الى بهاء الله

لنا نحن حماة الدين ألا فانظروا كيف أن هذا الرجل قد رفع علم الكفر فليسقط هذا الخائن المارق الذى نطق بالكفر . أقبضوا عليه فانه خزى وعار على الدين فمن ذا الذي يتجاسر أن يخرج بهذه الكيفية عن قواعد الاسلام المقررة ومن ذا الذى يدّعى أنه يصل إلى هذا المقام الرفيع فردّد الغوغاء احتجاجات هؤلاء العلماء وقاموا بضوضاء وجلبة وماجت المدينة بأسرها . واضطرب حبل الامن واختل النظام فتداخل حسين خان إيروانى حاكم فارس الملقب أجودان باشى ومعروف فى تلك الأيام (بصاحب اختيار) (١)





(صور مسجد نو)

وأخذ يبحث عن سبب هذا الهيجان الفجائي فأخبروه بأن تلميذا من تلامذة السيّد الباب الذى رجع توآً من الحجاز من حجه فى مكة والمدينة والذى هو قاطن الآن فى بوشير قد وصل إلى شيراز وقام على تنفيذ تعاليم سيّده وهذا التلميذ يدعى أن سيّده أتي بشرع جديد موحى به من الله وقد اتبعه الملاّ صادق الخراسانى وهو يدعو الناس جهاراً بدون أدنى خوف الى قبول الرسالة ويعلمهم أن أول واجب على كل مؤمن شيعي تقى أن يقبلها

(١) وهو أيضا يدعى طبقا للتاريخ الجديد (صحيفة ٢٠٤) نظام الدولة

فأمر حسين خان بالقبض على كل من القدّوس والملاّ صادق وأمر الشرطة أن يحضروهما أمامه فأحضروهما وأحضروا معهما أيضا كتاب قيّوم الأسماء الذى كان الملاّ صادق يتلوه بصوت جهورى على الجمهور المتهيج وخاطب حسين خان الملاّ صادق إذ رآه أكبرهما سناً متجاهلا القدّوس أولا لصغر سنه ولهيئة ملابسه الغير العادية قائلا : « أخبرني هل علمت بما تضمنه افتتاح كتاب قيّوم الأسماء عند ما يخاطب السيّد الباب حكام وملوك الارض ويقول (يامعشر الملوك وأبناء الملوك انصرفوا عن ملك الله) وكذلك (ياوزير الملك خف عن الله الذى لا إله إلا هو الحق العادل واعزل نفسك عن الملك وانا نحن نرث الأرض ومن عليها باذن الله الحكيم وإنه قد كان بالحق عليك وعلى الملك شهيدا » فاذا صدق هذا القول فهل يسرى ذلك على مليكى محمد شاه من عائلة القاجار (١) الذى أنا أمثله هنا كحاكم على هذه المدينة فهل يجب على محمد شاه أن يتنازل عن تاج ملكه ويترك السلطنة وهل علىّ أن أترك عملى وأتنازل عن سلطتى فأجابه الملاّ صادق بلا تردد « إذا تقرر صدق الرسالة التى أتى بها صاحب هذا الكلام وثبت صحتها يثبت صحة كل ما نزل من قلمه وما صدر من فمه فاذا كانت هذه هى كلمات الله فلا يهم تنازل محمد شاه وأمثاله فذلك لا يبدل شيئا من أمر الله أو يحجبه ولا يغيّر سلطنة الملك الأزلى القدير (٢)

فغضب ذلك الحاكم القاسى الفاسق غضباً شديداً من هذه الأجابة وأخذ فى سبّه وشتمه وأمر أتباعه أن يخلعوا ملابسه ويضربوه ألف جلدة . وأمر أن يحرقوا لحى كل من قدّوس وملاّ صادق وأن يثقب أنفهما ويخزما ويربطا بحبل يدخل فيهما ويطاف بهما على هذه الحالة مقيدين فى جميع أنحاء المدينة (٣) وقال حسين خان « إن ذلك يكون

(١) والقاجار إحدى قبائل توران وهى عائلة تركية ظهرت أولا فى إيران ضمن الجيش الفاتح الذى غزاها تحت أمرة جنكيس خان (لمحة عن تاريخ ايران صحيفة ٣٣٩ لماركهام)

(٢) وتبعا للمسيو ا . ل . م . نقولاس فى كتابة السيد على محمد الباب فى الهامش ن ١٧٥ صحيفة ٢٢٥ حصل هذا الاجتماع فى ٦ أغسطس سنة ١٨٤٥ م

(٣) وتبعا لمقالة سائح (صحيفة ٥) حصل نفس هذا الاضطهاد لشخص ثالث كان معهما وهو الملا على أكبر أردستانى

درسا قاسيا حيّا لجميع أهالى شيراز ليعلموا منه عقاب الكفر . وكان الملاّ صادق يمشى وهو ساكن رافع عينيه إلى السماء يتلو قوله « ربّنا أنا سمعنا مناديا ينادى للأيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار» وسلّم الأثنان أمرهما للقضاء وهما على ثبات عظيم وقام المأمورون بأيقاع العقاب وتنفيذه بكل نشاط وقوة ولم يتداخل لمصلحة هذين المعذبين أحد ولا للدفاع عنهما وبعد ذلك بقليل نفيا من شيراز وقبل نفيهما حذّرا أنهما لو اجتهدا فى العودة إلى هذه المدينة فأنه يصلبهما ويعذبهما ، وبتعذيبهما حازا قصب السبق فى ميدان الأضطهاد الواقع فى أرض إيران لأجل الأمر فأن الملاّ علىّ البسطامى ولو أنه كان أول شهيد بيد العدو القاسى إلا أنه أصابه الأضطهاد فى أرض العراق التى هى خارج حدود إيران ولم تكن الاضطهادات التى وقعت عليه بدرجة القسوة الوحشية والشناعة التى حصلت للقدّوس والملاّ صادق

وقد حكى شاهد رؤيا لهذه الفاجعة ولم يكن مؤمنا قال (كنت حاضراً إذ كانوا يجلدون الملاّ صادق . وكنت أرى كيف كان مضطهدوه يتناوبون الجلد على كتفيه الداميتين واستمر جلده حتى انتهكت قواه ولم يكن أحد يصدق أن الملاّ صادق وهو طاعن فى السن وضعيف البنية يقدر أن يتحمل أكثر من خمسين جلدة من هذا الجلد الوحشى وكنا نعجب من رباطة جأشه إذ علمنا أن عدد الجلد قد زاد على التسماية ومع ذلك كان ثابت الأركان رابط الجأش ولم تتغير بشاشة وجهه . وكانت تلوح على وجهه ابتسامة وهو واضع يده على فمه وهو يظهر عدم المبالاة بالضربات التى كانت تمطر عليه وقد اجتهدت حتى وصلت اليه بعد نفيه من المدينة وسألته لماذا كان يضع يده على فمه وأظهرت له تعجبى من أنه كان يبتسم فأكّد لى قائلا « كنت شديد التألم فى السبع جلدات الأولى وأما باقى الجلدات فلم أحسّ بها وكنت أتعجب هل الجلد كان ينزل على جسمى أم لا فقد أحاط روحى إحساس فرح وانشراح لا مزيد عليه وكنت أجتهد أن أخفى إحساسى وأمنع ضحكى وهكذا علمت أن ربنا المنجى القدير يغير الألم بالراحة والحزن بالسرور فى أقل من لمح البصر تعالت قدرته فوق إدراكات خلقه الفانين » فلما قابلت الملاّ صادق بعد مرور عدة سنين وسألته عن ذلك وافق على كل ما بلغنى عن هذه

الحادثة المؤثرة) ولم يكتف حسين خان بأن يشفى غليله بأيقاع العقوبة الوحشية القاسية بل أن حماقته الوحشية تحولت نحو شخص الباب (١) للتعدى عليه . فأرسل إلى بوشير خيالة من حرسه الخاص وأعطاهم أوامر مشددة للقبض على الباب وتكبيله بالحديد واحضاره أمامه فى شيراز وكان رئيس هؤلاء الحرس من النصيرية المعروفين بعلى اللهين وقد حكى ما يأتى (عندما فرغنا من المرحلة الثالثة فى سفرنا إلى بوشير وجدنا فى البرية شابا يتمنطق بحزام أخضر وعمامة صغيرة كما يلبس عادة الاشراف الذين يحترفون التجارة وكان ممتطيا جواده وخلفه حبشى يحرس أمتعته . وعندما قاربناه سلم علينا وسألنا عن وجهتنا وكنت أريد أن أخفى عنه مأموريتنا فقلت له إن حاكم فارس أمرنا بمهمة فى تلك الجهة فتبسم قائلا « ان الحاكم ارسلكم للقبض على فها انذا اعملوا معى كما تريدون وحضرت لقابلتكم كى أوفر عليكم السير وسهلت لكم المأمورية فى البحث عنى » فدهشت من إجابته وأعجبت من صراحته وإستقامته ولم أقدر أن أفهم سبب استعداده لتقديم نفسه من تلقاء ذاته إلى تعذيب موظفى الحكومة وتحمل الخطر على حياته وسلامته واجتهدت أن اتجاهله وأظهرت استعدادى لتركه والارتحال بعيد عنه ولكنه اقترب منى وقال « قسماً بالحق الذى خلق الانسان وميزه وفضله على جميع خلقه وجعل قلبه مقر سلطته ومعرفته إنى فى جميع أدوار حياتى لم أتكلم الا بالحق ولم يكن لى قصد سوى تقدم أبناء جنسى تاركا راحتى ولم أكن سببا فى حزن أو أذى أحد وإنى أعلم أنكم تبحثون عنى لذلك فضلت أن أقدم نفسى لكم بدلا من أن تتعرضوا للمسؤلية أو تتحملوا مشقة غير لازمة » فحركت هذه الكلمات أعماق قلبى ونزلت حالا عن جوادى وقبلت

(١) وكانت هذه المدينة مسرحا لمجادلات عنيفة أقلقت الامن العام فكان الحجاج والاراذل قد اجتمعوا فيها لاجل إحداث القلاقل سواء بالموافقة أو بالمخالفة وسواء مادحين أو قادحين للسيد الباب وحدث هياج عمومى وانزعج الملاوات لازدياد عدد المؤمنين بالامر الجديد ونقص الموارد التى كانت تدر عليهم فأعلنوا بأن التسامح فى هذا الأمر يخلى المساجد من أتباعهم . وإذا لم يدافعوا عن الاسلام فانهم يكونون مغلوبين من جهة أخرى خشى حسين خان نظام الدولة حاكم شيراز انه لو ترك الحبل على الغارب فان الحالة قد تصل إلى درجة لا يمكن معها قمع الهياج فيما بعد . وفى ذلك مضيعة لما رسمه من العقاب .

ولم يقنع الباب باظهار الدعوة بل دعا اليه الرجال الأتقياء قائلا (إن الذى يعرف كلمة الله ولم يأت للمساعدة فى وقت الخطر فقد فر من مساعدة الحسين ابن على وقت شهادته فى كربلاء وكان من الكافرين (كتاب بيان الحرمين) فاجتمعت المصالح المدنية والمصالح السماوية أى اتفق نظام الدولة مع الشيخ أبو تراب إمام الجمعة وأرادا مواجهة الداعى الجديد بما يكون سببا لسقوطه فى أعين مواطنيه وبذلك ربما تمكنا من تهدئة الخواطر (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٢٩ — ٢٣٠) .

ركابه وقلت له يا نور عين رسول الله اقسمت لك بالذى خلقك وأعطاك القوة والمقام الاعلى بأن تقبل رجائى وتجيب تضرعى وتهرب من هذا المكان وتتجنب الحضور أمام وجه حسين خان ذلك الحاكم القاسى السافل فانى اخاف عليك من مكره ولا أرضى أن يقع رجل مثلك من سلالة الرسول تحت تأثير دسائسه الخبيثة أما جميع أعوانى فرجال أشراف وتجمعهم كلمة واحدة وهم يتعهدون أن لايفشوا سر هربك فأتوسل اليك أن تحتمى فى مدينة مشهد فى خراسان وتتجنب الوقوع فريسة لوحشية هذا الذئب الفاتك فأجاب على توسلاتى قائلا جازاك الله عنى كل خير لنبالة وعظمة مقصدك ولكن لايوجد أحد يعلم أمرى أو يطلع على خافيته فلن أحوّل وجهى أبدا عن أمر الله وقضائه فهو كهفى ووليّي وملجئي والى أن تأتى ساعتى الأخيرة لايقدر أحد أن يضرّنى ولا أن يعطل حكم الله القادر واذا أتت ساعتى فما أعظم سرورى بتجرع كأس الشهادة لأجل اسمه فها أناذا سلّمنى ليد سيّدك ولا تخف لأنه لن يلومك فى ذلك أحد . فقال رئيس الحرس (إنى لذلك خضعت لارادته ونفّذت أمره)

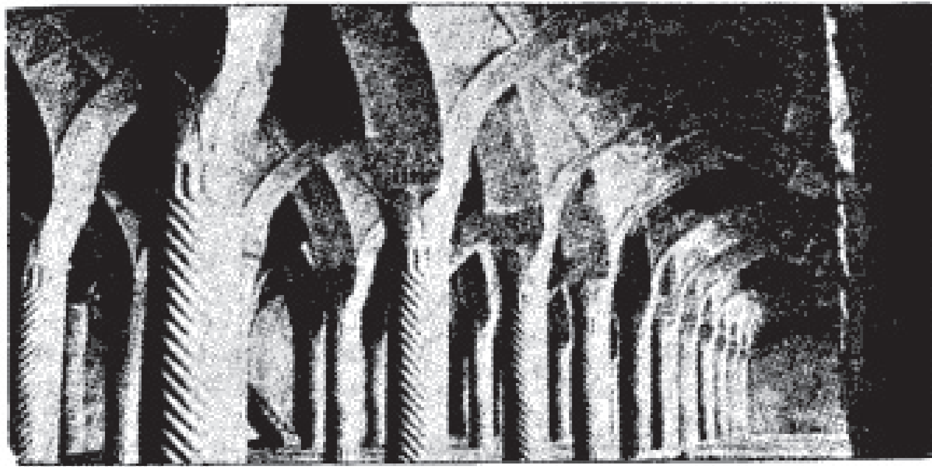
واستمر الباب فى سفره إلى شيراز وكان يسير أمام الحرس بدون قيد وهم يتبعونه بكل إجلال واحترام وأمكن بتأثير سحر كلامه أن يبعد من قلوب الحرس كل عداء وأن يقلب كبريائهم إلى الخضوع والمحبة ولماوصلوا إلى المدينة ذهبوا توا إلى مقرّ الحكومة وكان كل من رأى موكب الفرسان وهو يسير فى المدينة لا يسعه الا الاعجاب بذلك المنظر الغير المألوف .

وبمجرد أن أخبر حسين خان بوصول الباب ناداه إلى حضوره وقابله بكل قحة وأمره أن يجلس على كرسى فى وسط الغرفة ووبّخه أمام العموم ولامه على سلوكه بالفاظ بذيئة واحتج عليه غاضبا بقوله (الا تعلم ما جلبه عملك من المفاسد وبأنك صرت لعنة على دين الاسلام المقدّس وعظمة شخص مليكنا . ألست ذلك الرجل الذى تدعى انك مبتدع أمرا جديدا يلغى أوامر القرآن المقدّسة)فأجاب الباب بسكون (إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة وتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (١) فأثارت هذه الكلمات

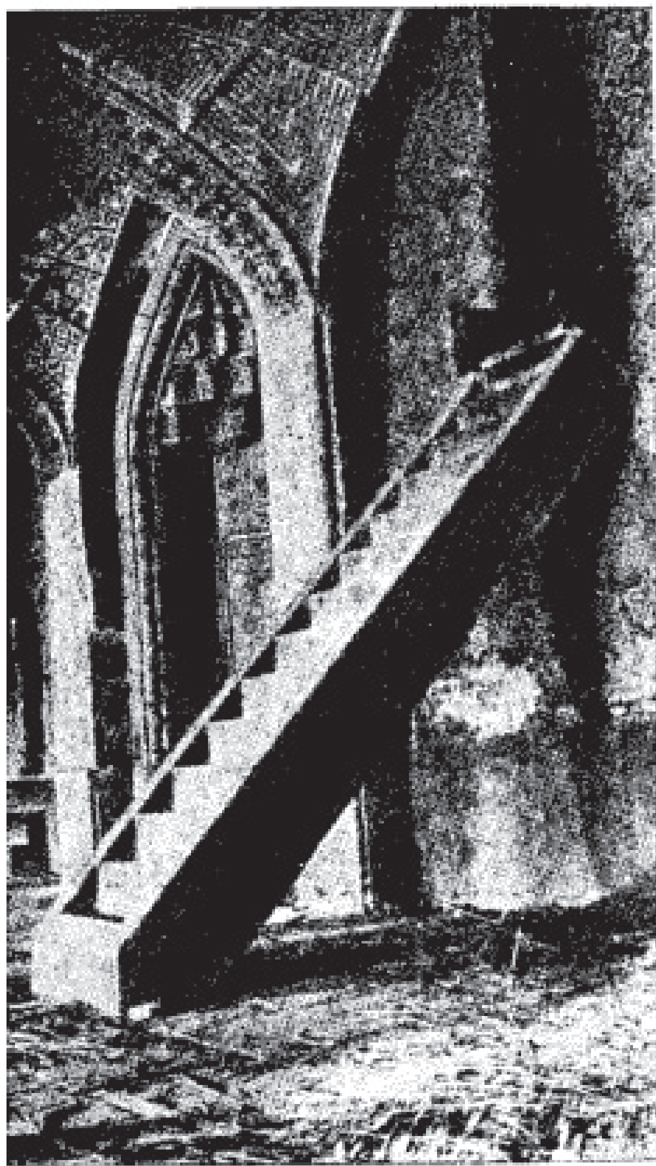
(١) قرآن ٤٩ — ٦

التي نطق بها الباب غضب حسين خان وصاح قائلا (ماذا تقول؟ هل يجوز أن تنسب الينا الجهل وعدم التبصر ؟) وأمر تابعه أن يصفع الباب على وجهه فكانت اللطمة شديدة بدرجة أن عمامته وقعت على الارض ولكن الشيخ أبو تراب إمام الجمعة فى شيراز الذى كان حاضرا فى ذلك الاجتماع انتقد عمل حسين خان هذا وأمر باعادة عمامة الباب وطلب منه أن يجلس بجانبه والتفت الى الحاكم وفسّر له معنى الآية القرآنية التي تلفظ بها وأراد بهذه الوسيلة أن يهدّى ثورة غضبه وقال له (إن هذه الآية التى ذكرها هذا الشاب قد أثّرت عندى تأثيرا بليغا وأرى أن الطريق القويم هو البحث فى هذا الموضوع بكل اعتناء وتدقيق ثم الحكم فى هذه المسألة بمقتضى أحكام الكتاب) فوافق حسين خان على ذلك وأخذ بعد ذلك شيخ أبو تراب يسأل الباب بخصوص الأمر الجديد . فأنكر الباب انه وكيل القائم الموعود أو الواسطة بينه وبين المؤمنين فأجاب إمام الجمعة (نحن قد اقتنعنا ونطلب منك أن تظهر للناس يوم الجمعة فى مسجد الوكيل وتعلن هذا الانكار أمام العموم) وإذ تأهب شيخ أبو تراب للخروج لعمل الترتيب اللازم تداخل حسين خان قائلا (يلزمنا أن نأخذ الضمان الكافى من شخص محترم وأن تكون الضمانة كتابية حتى إذا همّ فى المستقبل أن يوقع الاضرار بالدين الاسلامى أو بحكومة البلاد فانه يحضره فى الحال لنا ويكون مسؤولا فى كل الاحوال عن سلوكه)فقبل الحاجى ميرزا سيّد على خال الباب الذى كان حاضرا فى ذلك الاجتماع أن يكون كفيلا لابن اخته وكتب بخطه صورة الضمانة وختم عليها بخاتمه وأيدها بامضاء شهود عديدين وسلمها للحاكم وبناء على ذلك أمر حسين خان أن يسلم الى حفظ وكفالة خاله بشرط أن يسلّمه فى أى وقت عند طلبه بمعرفة الحاكم

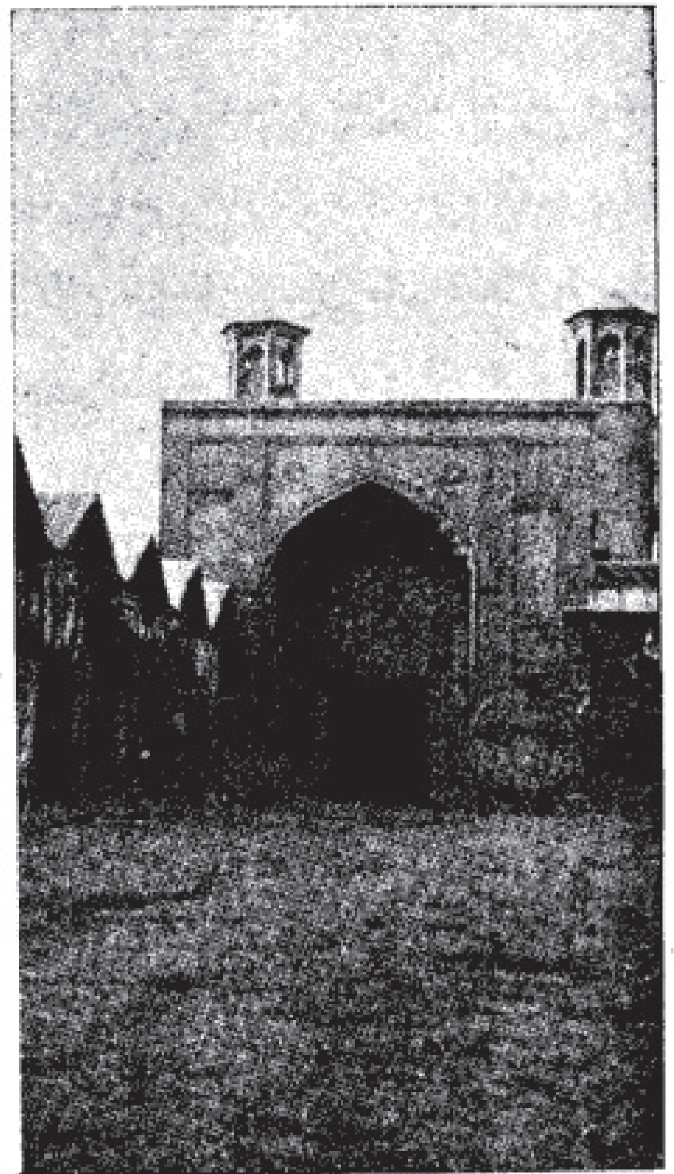
وقد امتلأ قلب الحاجى ميرزا سيّد علىّ بالشكر لله وأخذ الباب الى منزله وسلّمه الى حفظ والدته العزيزة وابتهج من هذا الاجتماع العائلى وشكر الله على خلاص قريبه من يد ذلك الطاغية الظالم وكان الباب أمضى وقتا فى عزلة تامة فى منزله ولم يكن لأحد أى اتصال به سوى زوجته ووالدته وأخواله . وفى تلك الاثناء كان أهل السوء يلحون على الشيخ أبو تراب لدعوة الباب لمسجد الوكيل ليوفى بوعده وكان الشيخ أبو تراب معروفا بالمروّة ويوافق فى عوائده واخلاقه المرحوم ميرزا أبو القاسم إمام الجمعه فى طهران فكان



قطعة من الداخـــل



المنبر الذى اعتلاه الباب مخاطبا الجمهور منه



مدخل باب المسجد

مناظر مسجد الوكيل

يتردد جدا فى معاملة الاشخاص ذوى الحيثية بالأهانة وخاصة إذا كانوا من أهالى شيراز ويرى بالفطرة أن ذلك من واجبه حتى إن اهالى تلك المدينة يجلّونه ويحترمونه لهذا السبب فكان يسوّف المسألة جملة مرار ويجيب بأجوبة غير صريحة حتى بذلك يخفف من غلواء الجمهور ولكنه وجد بأن المفسدين تشبثوا بكل وسيلة لتحريك إحساس وإشعال هياج الجمهور وأخيرا اضطر لارسال رسالة سرّية الى الحاجي ميرزا سيّد علىّ يطلب منه أن يحضر الباب يوم الجمعة الى مسجد الوكيل حتى يوف بالوعد والتعهد الذى أعطاه وقال له (أرجو أن تكون أقوال ابن أختك بعون الله عاملة على تسكين الهياج وتهدئة الخواطر حتى بذلك ترتاح ونرتاح معك .)

ووصل الباب الى المسجد مع الحاجى سيّد علىّ فى الوقت الذى صعد فيه إمام الجمعة على المنبر وبمجرد أن وقعت عينيه على الباب طلب منه بكل ترحيب أن يصعد المنبر ويخطب الناس فتقدم الباب إجابة لطلبه ووقف على الدرجة الأولى من المنبر وخطب فى الناس الحاضرين فطلب منه إمام الجمعة أن يصعد المنبر فصعد درجتين أخريين طبقا لارادته بحيث كان وهو واقف يحجب برأسه صدر الشيخ أبو تراب الذى كان على آخر درجة من المنبر وابتدأ اقراره بمقدمة وما كاد ينطق بقوله(الحمد لله الذى خلق السموات والارض بالحق) حتى اعترضه سيّد يحمل عصى إمام الجمعة وصاح قائلا (كفى هذا الكلام الفارغ اسرع وقرر الشىء الذى تريد أن تقوله) فغضب إمام الجمعة غضبا شديدا من وقاحة هذا السيّد ووبّخه قائلا (اسكت ياهذا واخجل من وقاحتك) ثم التفت الى الباب وسأله أن يختصر فى القول حتى يسكن هياج العامة فواجه الباب الجمع المحتشد وقال (ان غضب الله على كل من يعتبرنى وكيلا عن الامام أو الباب إليه وان غضب الله على كل من ينسب الىّ إنكار وحدانية الله أو انى أنكر نبوة محمد خاتم النبيين أو رسالة أى رسول من رسل الله أو وصاية علىّ أمير المؤمنين أو أى أحد من الأئمة الذين خلفوه ثم صعد إلى ذروة المنبر وعانقه إمام الجمعة وقال له اذهب إلى منزلك وأدى الصلاة هناك لأن أسرتك تنتظرك بشوق زائد وتريد أن تطمئن على سلامتك من أذى يصيبك وهذا أفضل لك فى نظر الله كذلك أمر إمام الجمعة حاجى ميرزا سيّد على أن يرافقه إلى المنزل وكان هذا التدبير من إمام الجمعة خوفا من إعتداء بعض الحمقى للاضرار بشخص الباب

أو ايقاع حياته فى خطر بعد الصلاة ولولا حكمة إمام الجمعة ومحبته ورعايته التى أظهرها فى جملة مواقع لكان الجمهور الهائج قد انقض على الباب ليتشفى منه بوحشيته ولارتكب معه أفظع اعتداء فكان ذلك الامام كآلة ليد الغيب تعمل لحفظ شخص الباب وتحفظ رسالته (١) وأمضي الباب ردحا من الزمن فى منزله بعيشة هادئة مع أسرته وأقربائه ، وفى تلك الاثناء قام باشهار أول عيد للنوروز بعد إعلان الرسالة وكان قد وقع فى اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦١ هجرية (٢)

وكان البعض ممن حضروا هذه الحادثة فى مسجد الوكيل وسمعوا أقوال الباب أعجبوا بالطريقة الحكيمة التى بها نجح هذا الشاب فى اسكات مقاوميه المتيدين بدون أن يساعده أحد فى ذلك . فلم تمض على تلك الحادثة وقت كبير حتى عرف الجميع حقيقة رسالة الباب وجلالها وكان من بينهم الشيخ على ميرزا ابن أخت إمام الجمعة وهو شاب وصل إلى سن البلوغ وأينعت الحبة التى زرعت فى قلبه ونمت حتى انه فى سنة ١٢٦٧ هـ تشرف بمقابلة بهاء الله فى العراق وامتلأ من تلك المقابلة حماساً وفرحا وإذ رجع إلى موطنه ضاعف الجهد فى أعماله لأعلاء أمر الله ومن ذلك الوقت إلى هذا الحين لايزال مواظبا على أعماله . وقد امتاز باستقامته وأخلاقه وإخلاصه المتناهى للحكومة والبلاد ووصل منه حديثا خطاب إلى بهاء الله فى الارض المقدسة يبشر بانتشار الامر فى ايران وكتب يقول (اني بكل إعجاب وسكون أشاهد علائم قوة الله التى لاتغلب تظهر بين أبناء قومى . ففى الارض التى قاومت الامر واضطهدته بكل قسوة ووحشية جملة سنوات اضطر اثنان من كبار رجال الدولة وهما الطاغية ظل السلطان ابن الشاه ذلك الظالم وعدوّ أمر الله وميرزا فتح على خان صاحب الديوان بأن يحكّما فى نزاع بينهما شخصا بابياً معروفا فى جميع أنحاء إيران بشدة تعلقه للأمر كان معتنقا له مدة أربعين سنة واتفقا أن يقبلا حكم هذا البابى بصفته محكّما بينهما وأن ينفذا ما يحكم به فى منازعتهما فوراً)

(١) وكانت نتيجة هذا الاجتماع الذى رتبه الملاوات بحماقتهم انجذاب العديدين من المؤمنين وزاد الامر فى جميع مدن ايران وازداد الشغب وكانت المحاورة قد أخذت شأنا عظيما اضطرت محمد شاه أن يرسل رجلا الى شيراز ممن وضع فيه ثقته ليكتب له تقريرا بما يراه ويعلمه وكان هذا الرسول هو السيد يحي الدارابي من كتاب (نقولاس السيد على محمد الباب صحيفة ٢٣٢ — ٢٣٣)

(٢) مارس سنة ١٨٤٥ ميلادية

وكان ممن انجذب من سلوك الباب البديع في تلك الحادثة أثناء صلاة الجمعة شخص يدعى محمد كريم . واعتنق أمره بسبب ماشاهده ورآه في ذلك اليوم واضطره الاضطهاد للسفر خارج حدود ايران إلى العراق . وهناك في حضور بهاء الله ازداد ايقانا وايمانا ورجع فيما بعد الى شيراز حيث أمره بهاء الله أن يبذل الجهد في نشر الامر ومكث هناك الى آخر أيام حياته مشتغلا بالامر وكذلك انجذب شخص آخر يدعى اقاى ركاب ساز من الباب على شأن لم يؤثر عليه أي اضطهاد فلم يتزعزع في ايمانه وأشرقت أنوار محبته وتشرف أيضا بلقاء بهاء الله في العراق وأرسل له بهاء الله لوحا باسمه ردا على سؤال عن الحروف المقطعة في أوائل السور في القرآن وتفسيرا لسورة النور واستشهد أخيرا في سبيل الامر .

وكان من الذين انجذبوا في ذلك اليوم ميرزا رحيم خباز الذى امتاز بجرأته وحماسه ولم يتوان فى مجهوداته حتى ساعة منيته وكذلك كان من بينهم حاجى أبو الحسن البزاز الذي حج في نفس السنة التي حج فيها الباب ولم يكن إذ ذاك مطلعا على عظمة الامر الا قليلا . ففي ذلك اليوم تغير تغيرا كلياً وحصل له جذبة شديدة وأظهر للباب محبة فائقة على شأن كانت تذرف دموعه من عينيه باستمرار وكان كل من عرفه يعجب من استقامته ويمدح حسن أخلاقه وسلامة طويّته وأظهر باعماله تمسكه هو وانجاله بالامر وحازوا رضاء إخوانهم من المؤمنين . ومن جملة من افتتنوا بالباب في ذلك اليوم أيضا الحاجى محمد بساط وهو رجل متفقه فى تعاليم الاسلام الباطنية ومن المعجبين بالشيخ أحمد والسيد كاظم وكان شفيقا مطبوعا على الظرف ومحبوبا من إمام الجمعة ومواظباً على أداء صلاة الجمعة وملازما لصحبة إمام الجمعة المذكور .

وكان نوروز تلك السنة طافحا بأنباء التصديق بالأمر الجديد ومبشرا بقرب ظهور ربيع روحانى جديد ظهرت بوادره ومرت نسائمه في أنحاء البلاد وخرج الكثيرون من أشهر الرجال والعلماء من جمود وبرودة الغفلة واستنشقوا طيب أنفاس الأمر الجديد ونضجت البذور التي غرستها يد القدرة في القلوب وأزهرت بأجمل الأزهار وأحسنها وانتشرت

روائحها الزكية (١) وذاع عرف شذاها العطرى فى جميع الجهات من مرور نسيم محبته

(١) ومهما يكن من الأمر فان الهياج ازداد فى شيراز وهرع جميع المتعلمين الى ملاقاة على محمد الباب وما كاد يظهر فى المسجد حتى التفوا حوله وما كاد يجلس على كرسى المنبر حتي أنصتوا ليستمعوا له ولم تكن خطابته بقادحة فى أصول الاسلام بل انه احترم كثيرا من التقاليد ولذلك ساد التكتم ومع ذلك كانت الخطابة جريئة ولم يكن فيها مداراة من العلماء بل كان يقرعهم بزواجر وعظه وبيان سوء أعمالهم وأشار بوجه عام إلى حالة العالم السيئة المحزنة . وفى الخطابة اشارات وتلميحات هيجت أهواء البعض بينما أعجب بها الآخرون وامتدحوها وزادوا فى وصف حسنها وملاحتها كما هو دأب العامة الذين يزيدون الاقاويل والاشاعات حتى ابتدأ الناس فى جميع أنحاء إيران يتكلمون عن على محمد ولم يكن ملاوات شيراز غير ملتفتين لهذه الاشاعات حتى يجتمعوا لدحض ما شنع عليهم به . ومنذ ظهوره للناس يخطبهم أرسلوا اليه أمهرهم للمجادلة معه وللقيام ضده ليأخذوه وكانت هذه المجادلات العلنية سواء فى المساجد أو المدارس تعقد بحضور الحاكم العام ورؤساء الحربية والعلماء وعامة الناس فبدلا من أن تفيد العلماء زادت فى شهرة المتحمس على حسابهم . وكان يدحض مزاعم أخصامه ويحكم عليهم وذلك أمر ميسور له حيث كان القرآن فى يده . ولم يكن بأسهل عليه من الظهور أمام الجمهور الذين كانوا يعلمون حق العلم بأن سلوكهم مناقض لاحترام الكتاب ومناف له منافاة صريحة فى حين انهم لا يقدرون أن يرفضوا الكتاب ولذلك أمكنه أن يفضح أعدائه ومقاوميه بكل جرأة وحماس وأظهر ما هم عليه من المفاسد بدون أدنى مداراة وبغير اهتمام . فبعد أن أظهر لهم أنهم لم يكونوا أوفياء لدينهم أبان عن مثالب وعيوب حياتهم ودهاهم بداهية عظيمة حتى دهش له السامعون. وكانت عظاته منيرة للمواطن لأقصى درجة حتي ان الذين حضروها لم ينسوا ما دار فيها بل كانت خطبته تذكارا لهم فلم يقدروا على التكلم إلا بخوف واتفق الجميع على أن فصاحة علي محمد لا يدانيها فصاحة ولا يقدر أن يتصورها العقل. وكان لا يظهر فى مكان إلا محاطا بجمهور غفير من الأتباع والمؤمنين وامتلأ منزله من الزوار فلم يكن تعليمه قاصراً على المساجد والمدارس بل كان أيضا يجتمع عنده كل ليلة كثيرون من الخواص المعجبين به ليبين لهم الأحكام وكان فى بدء الأمر جدليا أكثر منه تشريعيا وفى اجتماعاته السرية يكشف عن معضلات المسائل وهى فى كل يوم تزداد حتى خشى أن تؤول إلى قلب الاسلام قلبا تاما وتكون بمثابة مقدمة للايمان الجديد واشتغلت الهيئة الدينية الجديدة واستعدت بجرأة لمكافحة كل شىء وضحت الأنفس والنفائس بغيرة وحمية فى سبيل الامر الجديد (من كتاب الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة ١٢٠ — ١٢٢).

وابتدأ الباب يجمع حوله جماعة من المتحمسين . واشتهر بالبساطة الكلية فى أخلاقه ولطافته وحسن منظره وصباحة محياه . وكان الناس يتأثرون من سعة علمه وفصاحة منطقه ومن كتاباته التى ولو كانت فى نظر جوبينو غير جلية إلا أن الايرانيين كانوا أشد الناس اعجابا بها لبداعة أسلوبها وجمالها وكان لها تأثير عظيم فى شيراز وبمجرد دخوله الجامع يمتلىء وبمجرد تكلمه ينصتون (من كتاب السير فرانسس يونغ هازبند ص ١٩٤ المسمى بالنور The Glean).

وكانت الآداب التى يحث عليها شاب فى السن الذى تغلى فيه الاهواء والشهوات قد أثرت على السامعين من المتدينين المتتبعين لمطابقة أقواله لافعاله فلم يشك أحد فى ورعه فكان دائم التذكر وكثيرا ما يهرب من الجموع الذين كانوا يطلبونه من كل جهة (الجريدة الآسيوية جزء ٧ صحيفة ٣٤١ سنة ١٨٦٦) وكان السيد بسلوكه مثالا أعلى للملتفين حوله يستمعون له فى وعظه عن المفاسد الشائعة فى جميع الطبقات فيحفظون أقواله ويلقونها على غيرهم ويصفونه بأنه معلم صادق يسلمون اليه مقاليدهم بدون أى احتراز (من نفس الجريدة).

ورأفته بل جاوز طيب رائحتها حدود إيران ووصل الى كربلاء وانتعشت منها أرواح الذين كانوا هنالك منتظرين رجوع الباب وبعد النوروز بقليل وصل اليهم لوح بطريق البصرة أخبرهم فيه الباب بعدوله عن العودة بطريق كربلاء بعد الرجوع من الحجاز وعدم امكان إيفاء ذلك الوعد وأمرهم أن يذهبوا إلى اصفهان وينتظروا هناك حتى تصلهم تعليمات وزاد بقوله (وربما أمرناكم بالتوجه إلى شيراز إذا رأينا ذلك موافقا وإلا فانتظروا فى اصفهان إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا) .

فحرّك ذلك الخطاب الذى وصلهم بغتة شوق جميع المنتظرين لرجوع الباب الى كربلاء وأهاج أفكارهم وامتحن طاعتهم وقال بعض المتمردين (وماذا عسى أن يكون من أمر وعده لنا فهل يقول إن خلف هـذا الوعد كان بأمر من الله) وأما الثابتون فاشتد تعلّقهم بالأمر أكثر من ذى قبل وأطاعوا الأمر وهم خاضعون لمولاهم متناسين كل نقد واحتجاج صدر من المترددين . وسافروا إلى أصفهان عازمين على تنفيذ أمر مولاهم المحبوب. واجتمع بهم بعض الأصحاب ممن كانوا يكتمون إيمانهم الذى حرّك أعماق قلوبهم . وكان من بين أهالى اصفهان ممن دخل فى زمرة هؤلاء الجماعة ميرزا محمد على النهرى الذى تزوجت كريمته بالغصن الأعظم وميرزا هادى أخ ميرزا محمد على الذين لم تحجبهما وساوس المفسدين عن النظر إلى عظمة الأمر ورفعته . كذلك ميرزا محمد حناساب من أهالى اصفهان وهو الآن يخدم فى منزل بهاء الله واشترك الكثيرون من هؤلاء الأتباع الأبسال فى ملحمة الشيخ طبرسى وكانت نجاتهم من نصيب اخوانهم من الشهادة المفجمة أعجوبة.

وفى طريقهم الى اصفهان قابلوا فى مدينة كنجاوار الملاّ حسين مع أخيه وابن عمه الذين رافقاه فى زيارته الأولى لشيراز وكانا سائرين إلى كربلاء وسرّوا بهذه المقابلة التى لم تكن منتظرة وسألوا الملاّ حسين أن يطيل مكثه فى كنجاوار فأجابهم لذلك. وكان الملاّ حسين يؤم أصحاب الباب فى صلاة الجمعة ويجله ويحترمه الجميع لدرجة أن حسده على ذلك البعض وآل الأمر بهم إلى الانكار فيما بعد ومن بين هؤلاء المفكرين الملاّ جواد البارفاني والملاّ عبد العلىّ هراتى وكان كل منهما يؤمّل التوصل للرئاسة بالايمان ويجتهدان سراً فى تقويض المقام العظيم الذى وصل اليه الملاّ حسين والذى كان محسوداً عليه . واستمرا

دائبين على دس الدسائس والملاحظات لاساءة سمعته والحطّ من سلطته وسمعت من ميرزا أحمد الكاتب المعروف فى تلك الأوقات بملاّ عبد الكريم والذى صاحب فى سفره الملاّ جواد من قزوين يقول (كان الملاّ جواد كثير الاشارة فى حديثه للملاّ حسين وكثيراً ماقطعت مرافقته بسبب ملاحظات الاستهزاء على الملاّ حسين التى كان يكررها ويذكرها بعبارة مخبوثة فى عبارات مكيرة . وكلما أردت هجره يعنى الملاّ حسين ولما وقف على قصدى نصحنى أن أعامله بالتسامح . فكانت مصاحبة الملاّ حسين لاتباع الباب المخلصين تزيد فى حميتهم واشتعالهم وتهذب أخلاقهم باقتفاء آثارة ومثاله وهم معجبون بصفاته العالية واستنارة عقله وقلبه حتى أنه أصبح ممتازا بين الأقران

وعزم الملاّ حسين على السفر مع جملة الأصحاب إلى اصفهان وتقدمهم منفرداً على بعد فرسخ وعند الغروب يستريح للصلاة فيلحقه أصحابه ويكمل صلاته معهم ثم يتقدمهم فى السير منفرداً وعند الفجر يلحقونه عندما يشرع فى الصلاة . ولا يصلى معهم صلاة الجماعة إلا إذا ألح عليه أصحابه وفى مثل هذه الأحوال كان يأتمّ بأحد من الأصحاب . وكان الاخلاص الذى أشعله فى قلوبهم عظيما بدرجة أن الكثيرين منهم كانوا ينزلون من ركائبهم ويسلمونها للذين كانوا منهم مسافرين مشياً على الأقدام ويتعقبونه مترجلين وذاهلين عن متاعب ومشاق السفر

ولما قاربوا ضواحى اصفهان نصح الأصحاب أن يتفرقوا ولا يدخلوا أبواب المدينة إلا متفرقين وجماعات صغيرة غير ظاهرين خوفا من أن دخول جمهور كثير دفعة واحدة يثير شبهة واستغراب الأهالى .وبعد بضعة أيام من وصولهم جاءتهم الأخبار بحصول هيجان شديد فى شيراز وأن الاختلاط مع الباب أصبح ممنوعا وأن زيارتهم القادمة لتلك المدينة ربما حفّت باعظم الأخطار . ولكن الملاّ حسين لم يحفل بهذه الأخبار المزعجة وعزم على المسير إلى شيراز وأفضى بعزمه هذا إلى القليلين من أصحابه وخلع القفطان والعمامة ولبس الجبة والكلاة وهو لباس أهل خراسان وواصل السير إلى مدينة محبوبه ووصل فى ساعة غير منتظرة مختفياً بهيئة خيالة الهزارى والقوشان ومصحوبا بابن عمه وأخيه ولما اقترب إلى باب المدينة أرسل أخاه فى جنح الليل إلى منزل خال الباب وطلب منه أن يخبر الباب بوصوله

فأتاه الخبر فى ثانى يوم بان الحاجى ميرزا سيّد علىّ ينتظره بالترحيب بعد الغروب بساعة خارج باب المدينة . وقابله الملاّ حسين فى الساعة المعينة ورافقه إلى منزله وكثيراً ما كان الباب يشرّف ليلا ذلك المنزل ويستمرّ مع الملاّ حسين إلى طلوع الفجر ولم تمض أيام كثيرة حتى أذن لاصحابه الذين اجتمعوا فى اصفهان فى الحضور تدريجياً إلى شيراز وهناك ينتظرون الفرصة الملائمة للتشرف بالباب وحذّرهم وطلب منهم استعمال منتهى الحكمة وأمرهم أن لايدخلوا باب المدينة إلا جماعات ضئيلة وأن يتفرقوا بمجرد وصولهم فى الجهات التى ينزل فيها المسافرون وأن يشتغلوا بأى عمل يجدونه وكان أول فوج وصل إلى المدينة وقابل الباب بعد وصول الملاّ حسين بقليل مكونا من مرزا محمد علىّ النهرى ومرزا هادى أخوه والملاّ عبد الكريم القزوينى والملاّ جواد البراغانى والملاّ عبد العلى الهراتى ومرزا ابراهيم شيرازى وفى أثناء اجتماعهم به أظهر الثلاثة الأخيرون ما تكنّ قلوبهم من حقد وعمًى وما فى أخلاقهم من انحطاط وتدهور . وكانت اشارات الباب العديدة إلى عطفه المتزايد على الملاّ حسين أهاجت غضبهم وأضرمت وميض نيران حسدهم وبسبب احتدام غضبهم وعجزهم تذرعوا بالغيبة والنميمة الذميمة وكانوا فى أول الأمر عاجزين عن إعلان عداوتهم للملاّ حسين وطفقوا يبحثون عن كل مكيدة لتسميم الأذهان وتبريد محبة المعجبين به وكان هذا السلوك المعوجّ من جانبهم سبباً فى ابعاد عطف المؤمنين عليهم وإخراجهم من زمرتهم . وإذ طردوا بأعمالهم من وسط المؤمنين تسلّحوا مع أعداء الأمر وجاهروا برفض مبادئه وأصوله وأشعلوا فتنة كبيرة بين سكان تلك المدينة وأخيراً طردتهم السلطة المحلية لأنها خشيت من فتنتهم . وكان الباب قد بالغ فى ذكر حيلهم وأعمالهم السيئة فى إحدى الألواح وشبّههم بالعجل السامرى الذى لم يكن له روح بل كان عملا مرفوضا وموضوع عبادة شعب ضال . ومما كتبه خاصا بالملاّ جواد والملاّ عبد العلىّ (اللهم ألعن الجبت والطاغوت (١) التوأمين المعبودين من هذا الشعب الضال) وسافر الثلاثة إلى كرمان حيث انضموا إلى الحاجى ميرزا محمد كريم خان وساعدوه فى خطته العدائية نحو الأمر وشدّوا أزره فى تهديداته وتوعداته

وكان الباب ذات ليلة يزور منزل الحاجى ميرزا سيّد علىّ بعد طرد هؤلاء الثلاثة

(١) قرآن ٤ ــ ٥٠

من شيراز فطلب إحضـــار محمد على النهرى وميرزا هادى والملاّ عبد الكريم القزوينى ليمتثلوا أمامه فلما حضروا التفت الباب إلى الملاّ عبد الكريم وقال له (يا عبد الكريم هل تبحث عن المظهر) فكان لهذه العبارة التى نطق بها الباب بكل هدوء ولطف تأثير بليغ عليه حصل له منها دهشة واصفرّ لونه من هذا الاستفهام الفجائى وأجهش بالبكاء وارتمى على قدم الباب بحالة اضطراب عميق . فأخذه البـاب باللطف بين ذراعيه وقبّـل جبهته وطلب منه أن يجلس بجانبه وهدأ روعه بكلمات المحبة اللينة .

ولما عادوا إلى منزلهم سأل الميرزا محمد علىّ وأخوه من الملاّ عبد الكريم عن سبب أنزعاجه المفاجىء فأجابهم بقوله (إسمعوا لانى سأحكى لكم واقعة غريبة وقصة لم أذكرها لأحد للآن . عند ما وصلت إلى سنّ البلوغ شعرت وأنا قاطن فى قزوين بميل شديد لكشف السرّ الألهى ولمعرفة طبيعة قدّيسيه وأنبيائه .فلم أر وسيلة سوى تحصيل العلوم لأتمكن من بلوغ هذا المرام فنجحت فى الحصول على قبول والدى وأعمامى أن أترك الشغل وأتفرغ بالكلية للبحث والطلب والدراسة فقطنت فى غرفة فى إحدى مدارس قزوين وأفرغت وسعى فى تحصيل كل أنواع العلوم وكثيرا ما كنت أباحث أقرانى فى المعارف التى أحصلها معهم ورأيت فى ذلك الوسيلة لأكمال تجاربى وفى الليل أعود إلى المنزل واعتزل فى مكتبى وأخصص جملة ساعات للدراسة الهادئة وكنت مستغرقا فى أعمالى إلى درجة ذهلت فيها عن الاكل والنوم . وفى ظرف سنتين وصلت إلى حل مشكلات ومعضلات الفقه والاصول وكنت ملازما لدرس الملاّ عبد الكريم الأيراوانى الذى كان معدوداً فى تلك الأيام من أعاظم علماء قزوين وكنت أعجب بسعة اطلاعه وفضله وصلاحه وأخصص بعض الوقت كل ليلة مدة التلمذة لكتابة رسالة قدمتها له ولما راجعها بعناية واهتمام أظهر سروره من اجتهادى وامتدح مجهوداتي المظيمـة ويوما قال لى أمام جمع من تلاميذه إن العلاّمة الفهّامة الملاّ عبد الكريم قد أعدّ نفسه لبيان وتفسير كتب الأسلام المقدّسة فهو فى غنى عن حضور درسي أو درس أقرانى وإن شاء الله سوف أحتفل بارتقائه إلى درجة مجتهد فى صباح الجمعة الآتى وأسلمه الشهادة بعد صلاة الجمعة .

وبعد أن تكلم الملاّ عبد الكريم الأيراوانى بذلك وبعد أن تركنا جاء التلاميذ وهنأونى من قلبهم على إتمام الدراسة فرجعت إلى منزلى مغتبطا وبوصولى وجدت والدى

وعمى الاكبر الحاجى حسين على وهما ممن لهم اعتبار عظيم فى كل قزوين يهيئان احتفالا لأجل إعلان ذلك فطلبت منهما أن يؤجلا الاحتفال الذى دعوا له أعيان قزوين حتى أخبرهم وقبلوا ذلك بسرور لعلمهم بان شوق لمثل هـذا الاحتفال لا يدع مجالا لتأجيله بعيدا وفى تلك الليلة ذهبت إلى مخدعى وأنا أردّد الأفكار الآتية فى قلبى وقلت لنفسى (الا تعلم بطريق المحبة بانه لا أمل فى الوصول الى بيان وتفسير الكتب الاسلامية المقدسة الا لذوى الارواح الطاهرة ؟ الم يكن اعتقادك أن الذى يصل إلى هذه المرتبة يكون معصوما من الخطأ ؟ ألم تكن الآن معدودا من تلك الطبقة ألم يعدك أكبر عالم فى قزوين بأنك تكون كذلك والآن كن منصفا ـ هل تعتقد فى قلبك إنك وصلت إلى هـذه الدرجة من القـداسة والطهارة والانقطاع الصرف وهى الشروط التى كنت تعدّها فى الايام الحاليـة لازمة وضرورية لمن يروم الوصول الى تلك المنزلة الشريفة الرفيعة وهل تعلم من نفسك انك خلصت من كل شائبة نفسية ؟ وبينما أنا جالس افكرّ إذ غلب علىّ احساس تدريجى بعدم استحقاق لتلك الرتبة ورأيت نفسى أسير المتاعب والهموم والتجارب والشكوك وساورنى القلق من ناحيـة كيفية رئاستى وإلقاء الدرس وإمامة الجمعة وتنفيذ احكام الدين وكنت دائم الفكر مشتغل البال فى كيفية تأدية واجبى وضمان سمو ترتيباتى على ترتيبات من تقدمنى. فكان يغلب علىّ شعور الضعة والحاجة الى طلب المغفرة من الله فكنت أقول لنفسى انك كنت تقصد من طلبك العلم كشف السرّ الالهى والوصول الى رتبة الايقان فكن منصفا هل أنت متأكد من صحة تفسيرك للقرآن ومن أن الاحكام التى تنفذها وتروجها هى التى تعبر عن ارادة الله وبغتة ساورنى قلق من خطأ الفكر وعلمت لأول مرة أن صدأ التعلم قد غشىّ روحى وانهكها وحجب بصيرتى فحزنت على ماضىّ وتأسفت على ضياع جهودى وعلمت أن الناس الذين هم من رتبتى هم مثلى خاضعون لنفس هذه الآلام فبمجرد أن يحوزوا العلوم الظاهرة يظنون انهم أصبحوا قادرين على بيان قواعد الاسلام ويدّعون لانفسهم حق الامتياز التام فى تفسير احكامه وبقيت مستغرقا فى أفكارى إلى الفجر فلم أتناول فى تلك الليلة طعاما ولا أخذنى النوم وأحيانا كنت أناجى الله قائلا « ترى يا إلهى وتعلم

بغيتي وأني لا أقصد سوى إرادتك ورضائك وقد أخذتني الدهشة عندما أفكر في الفرق العديدة التي وقع فيها دينك المقدس وتحيرت اذ رأيت أن المذاهب قد مزقت الاديان المقدسة القديمة . فهل ترشدني يا الهي في حيرتي وتخلصني من شكوكي وهل أجد يا الهي التعزية وأصل الى الهداية » ثم بكيت بحرقة في تلك الليلة حتى اني ظننت أن صوابي قد ضاع وفجأة رأيت في الرؤيا جمعية كبيرة وعلى وجوههم نور بهرني وجلس على منبر شخص جليل بلباس سيد وأخذ يفسر الآية (إن الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فانجذبت من النظر في وجهه وقمت وتقدمت اليه وشرعت في الوقوع تحت قدمه ولكن ذلك المنظر اختفى فجأة من أمامي فابتهج قلبي وامتلأ بالنور واشتد فرحي بدرجة لا توصف وعزمت أن أستشير الحاجي الله وردي والد محمد جواد فارهادي وهو الرجل المعروف في جميع أنحاء قزوين بالعلم اللدني والمعرفة الروحانية الباطنية فلما قصصت عليه الرؤيا تبسم ووصف لي ذلك السيد الذي رأيته بكل دقة وبين لي مميزاته ثم قال لي (إن ذلك الشخص الجليل لم يكن سوى الحاجي سيد كاظم الرشتي الذي هو الآن في كربلاء والذي هو في كل يوم يفسر لتلاميذه تعاليم الاسلام المقدسة . والذين يستمعون لدروسه ينتعشون ويتهذبون من كلماته ولا أقدر أن أصف التأثير الذي يحدثه على سامعيه) فقمت مسروراً من عنده وأظهرت له شكري العميق ورجعت الى منزلي ثم سافرت منه تواً الى كربلاء وجاء أقراني وطلبوا مني أن أقابل الملاّ عبد الكريم لأنه طلب المقابلة إما بحضوري عنده أو حضوره لمنزلي فقلت إني أشعر بضرورة زيارتي لمقام الحسين في كربلاء وأقسمت إني سأذهب تواً لتلك الزيارة وإني غير قادر على إرجائها وإن أمكن فاني أزوره بضعة دقائق قبل مبارحتي المدينة وإلا فاني أرجوه أن يسامحني وأن يدعو لي الله أن يهديني في صراطه المستقيم . وأعلمت أهلي وأقاربي سراً بالرؤيا وبالتفسير وأخبرتهم بعزمي على زيارة كربلاء . وكانت كلماتي لهم في ذلك اليوم قد زرعت حب السيد كاظم في قلوبهم وشعروا بانجذاب الى الحاج الله وردي واجتمعوا به وصاروا من أنصاره وكان أخي عبد الحميد الذي تجرع فيما بعد كأس الشهادة في طهران قد رافقني في سفري الى كربلاء وهناك قابلت السيد كاظم على الهيئة التي رأيته بها في الرؤيا ودهشت عند ما رأيته يفسر نفس الآية

التى كان يفسّرها فى الرؤيا ولما جلست وأنصت له انجذبت كلية من قوة بيانه وسعة اطلاعه ثم قابلنى بكل ترحاب وأظهر لى كل محبة ورأفة وشعرت أنا وأخى بسرور باطنى لم نذقه قط من قبل وكنا فى ساعة الفجر نهرع الى منزله ونرافقه لزيارة الامام الحسين وصرفت كل أيام الشتاء فى مصاحبته وأثناء هذه المدة كنت مواظبا على درسه وفى كل مرة كنت أصغى لأقواله وسمعته يصف ناحية خاصة من نواحى مظهر القائم الموعود وكان هذا موضوع بحثه فى أحاديثه فأى آية أو حديث يتصادف له تفسيره ينتهى بتفسير خاص بظهور الموعود فكان يكرر قوله بصراحة « أن الموعود يعيش وسط هؤلاء القوم وأن ميعاد ظهوره قد قرب فهيئوا الطريق اليه وطهّروا نفوسكم حتى تروا جماله ولا يظهر لكم جماله إلا بعد أن أفارق هذا العالم فعليكم بعد فراق أن تقوموا على طلبه ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه » وبعد الاحتفال بالنوروز أمرني السيد كاظم بالخروج من كربلاء وعند ما كنت أودّعه قال لى (تأكد ياعبد الكريم إنك فى يوم ظهوره ستكون من الذين يقومون لنصرة أمره وأتمشم انك تذكرنى فى ذلك اليوم المبارك) فتضرعت اليه أن يسمح لى بالبقاء فى كربلاء لأن عودتى الى قزوين تثير عداوة الملاّوات فى تلك المدينة فكان جوابه لى « ليكن اعتمادك على الله وتجاهل قطعيا وشايتهم واشتغل بالتجارة وتأكد أن احتجاجاتهم لن تضرك فى شىء » فاتبعت نصيحته وسافرت مع أخى الى قزوين وبمجرد وصولى أخذت فى تنفيذ نصيحة السّيد كاظم وتمكنت باتباع نصائحه من إسكات كل معارض مبغض وكنت اشتغل دائما فى عملى وفى الليل أعود الى منزلى وأخصص وقتاً فى هدوء غرفتى للتأمل والصلاة وكنت أناجى الله بأعين باكية وأتضرع اليه قائلا « إنك يا إلهى وعدتنى على لسان عبدك الصدّيق انى سوف أرى يومك وأنظر وحيك وأمرك وقد أكدت لى بواسطته إنى سأكون ضمن الذين يقومون لنصرة أمرك فالى كم تؤخّر عنّى وعدك ومتى تفتح لى باب فضلك بيد كرمك ومحبتك ومتى تمنحنى نعمتك الخالدة وفى كل ليلة أكررّ هذا النداء واستمرّ فى المناجاة الى طلوع الفجر . وفى ذات ليلة أى فى مساء يوم

عرفة سنة ١٢٥٥ هجرية (١) كنت مستغرقا فى الصلاة فأخذتنى سنة من النوم رأيت فيه أمامى طائرا أبيض كالثلج يحوم حول رأسى ثم وقف على فرع شجرة بجانبى وبنغمات شجيّة لا توصف قال (هل أنت تطلب المظهر ياعبد الكريم هاهو ذا يظهر سنة ٦٠) ولم يلبث الطائر إلا أن طار واختفى. فهيجنى سرّ هذه الكلمات وتذكرت جمال ذلك المنظر الذى يتردد كثيرا فى عقلى حتى كأنى ذقت جميع ملاذ الجنة فكان سرورى به لا يقهر. ونفذت الى أعماق روحى تلك الرسالة السرّية من ذلك الطائر وكانت دائما على شفتى وكنت أرددها فى عقلى. ولم أذكرها لأحد خوفا من أن تفارقنى حلاوتها وبعد بضع سنين وصل الى سمعى النداء من شيراز فأسرعت فى الحال الى تلك المدينة وأثناء الطريق قابلت فى طهران ملاّ محمد معلم الذى عرّفنى بالأمر وبالمظهر وأخبرنى أن الذين آمنوا به قد اجتمعوا فى كربلاء منتظرين عودة إمامهم من الحجاز ولذلك سافرت توّاً الى تلك المدينة ومن همدان رافقنى لسوء حظى الملاّ جواد البرغانى الى كربلاء وفيها كان لى الشرف بمقابلتكم مع باقى الأحباء وكنت على الدوام أخفى فى نفسى تلك الرسالة العجيبة التى كلّمنى بها الطائر فلما قابلت الباب أخيراً وسمعت من شفتيه نفس العبارة وبنفس النغمة واللغة التى سمعتها من الطائر عرفت المقصود وأخذنى جذب قوّتها وجمالها حتى أنى بدون شعور وقعت على قدميه ومجدت اسمه.)

وفى أوائل سنة ١٢٦٥ (٢) هجرية قمت فى سن الثامنة عشر من بلدتى زرند الى قم وهناك تصادف مقابلتى للسيد اسماعيل الزوارى الملقب بالذبيح والذى بذل روحه فيما بعد للشهادة فى سبيل بهاء الله فى بغداد وهو الذى بلّغنى الأمر الجديد. وكان على وشك السفر الى مازندران وعزم على الانضمام لجماعة المدافعين الأبطال فى قلعة الشيخ طبرسى وعزم على أن يأخذنى معه بصحبة ميرزا فتح الله حكاك وهو شاب من سنى كان مقيما فى قم ولما كانت الاحوال تحول دون تنفيذ خطته وعدنا أن يقابلنا فى طهران قبل سفره وطلب منا اللحاق به وأثناء مباحثته مع مرزا فتح الله حكى لنا واقعة الملاّ عبد الكريم

(١) الليلة السابقة على ١٣ فبراير سنة ١٨٤٠ ميلادية.

(٢) ١٨٤٨ ميلادية.

فاشتقت جداً لمقابلة هذا الاخير ولما سافرت الى طهران فيما بعد قابلت السيد اسماعيل فى مدرسة دار الشفا مسجد شاه وهذا عرّفني بالملاّ عبد الكريم الذى كان مقيما فى تلك المدرسة وفى تلك الاثناء علمنا أن الملحمة التي قامت فى جهة الشيخ طبرسى انتهت وأن أصحاب الباب الذين اجتمعوا فى طهران والذين كانوا يفكرون فى اللحاق باخوانهم قد رجعوا كل منهم الى بلده بدون أن يتمكنوا من اتمام مقصدهم . وبقى الملاّ عبد الكريم فى طهران وكان يخصص وقته فى استنساخ البيان الفارسي وكان دوام الاتصال به قد ساعدنى على توثيق عرى المحبة والاعجاب به ولا أزال أشعر بعد مضى ٣٨ عاماً منذ أول مقابلة معه فى طهران بتلك الحرارة الحبيّة وباشتعال إيمانه وإحساسى بالمحبة الفائقة له جعلنى أذكر بالتفصيل وقائع أحوال أوائل أيامه حيث انتهت بما يعتبر فصل الخطاب فى جميع أدواره ولعلها تنفع فى إيقاظ وتنبيه القارىء إلى عظمة هذا الامر الالهى المعظم

الفصل التاسع

في إقامة الباب في شيراز بعد الحج

تابع ما قبله

وبمجرد وصول الملاّ حسين إلى شيراز قام الناس مرة أخرى احتجاجاً عليه وزاد خوف العامة واضطرابهم لعلمهم باتصاله الوثيق بالباب. فكانوا يتذمرون قائلين انه عاد إلى مدينتنا ليرفع علم العصيان ويدبر مع سيده حملة شديدة على أحكامنا وشرائعنا العتيدة. وأصبح مركز الباب من الخطورة والشدّة بمكان حتى انه أمر الملاّ حسين بالعودة بطريق يزد إلى موطنه في اقليم خراسان وكذلك صرف باقي أصحابه الذين اجتمعوا في شيراز وأمرهم بالرجوع إلى اصفهان وأبقى الملاّ عبد الكريم وحده وأمره بنسخ كتاباته.

وهذه الاحتياطات التي رأى الباب من الحكمة اتخاذها خلّصته من خطر هجوم أهل شيراز عليه نظراً لما هم عليه من الحنق والاضطراب وساعدت على إيجاد قوة دافعة لترويج الايمان خارج حدود المدينة فلما انتشر التلاميذ في أنحاء البلاد أعلنوا بدون خوف ولا وجل لجمهور مواطنيهم تلك القوة المحيية للدين الحديث الولادة وانتشر وذاع صيت الباب في الأطراف (١) ووصل إلى آذان الذين تبوءوا أعلا مركز السلطة سواء في العاصمة أو في الأرياف واشتد البحث والتحري من الرؤساء والمرؤسين وأخذت الدهشة والحيرة كل الذين سمعوا من أفواه رسل الباب تلك العلامات والدلائل التي بشّرت بظهوره وكان عظماء الدولة ورؤساء الديانة دائبين على البحث والتحري بأنفسهم ويوفدون من يثقون بهم من القادرين للبحث والتنقيب عن حقيقة وصفة هذه الحركة العظيمة.

وتحرك محمد شاه (٢) أيضا للتحقق من هذه الأخبار والبحث في صفتها فأوفد

(١) كان للبابية أتباع عديدون في كل فرع من فروع الحياة ولكثير منهم أهمية خاصة فمنهم الأكابر ومنهم أعضاء في الهيئة الدينية ومنهم ضباط في العسكرية وتجار (من الجريدة الآسيوية سنة ١٨٦٦ الجزء الثامن صحيفة ٢٥١).

(٢) انظر النسبة للدولة القاجارية في أول الكتاب.

السيّد يحيي الدارابي (١) أشهر علماء العصر وأفصحهم وأكثرهم أثراً فى الرعايا لمقابلة الباب ولكتابة تقرير عن حقيقة الحال ونتيجة بحثه . وكان للشاه ثقة تامة فى إنصافه وعدم تحيزّه وكفاءته ونورانية باطنه . وكانت له مكانة بين كبار رجالات فارس حتى انه فى أى مجمع يحضره يكون هو المتكلم فيهم ومهما حضر فى المجمع من الرؤساء الدينيين لا يجسر أحد منهم أن يذكر رأيه فى حضوره وجميعهم يكونون صامتين أمامه بكل احترام ومقرين ومذعنين برجحان عقله وغزارة علمه وحكمته البالغة .

وكان السيد يحيي فى تلك الأيام يقطن فى طهران فى منزل لطف على رئيس تشريفاتي

(١) وكتب عبد البهاء عنه ما يأتى :

وكان هذا الرجل الشهير وهذه الروح الغالية يحفظ على ظهر قلبه أكثر من ٣٠٠٠٠ حديث وكان محبوبا من جميع طبقات الشعب وأصبحت له شهرة عامة فى جميع أنحاء إيران ويعترف له الكل بالقوة والسلطة والمهارة (من كتاب خطى خاص بشهداء إيران) .

وكان هذا الشخص كما يدل عليه اسمه مولودا فى داراب قريبا من شيراز ووالده سيد محمد الملقب بالكشفى وهو من أكبر وأشهر العلماء فى زمانه وكان لعلو كعبه فى الآداب والأخلاق الفاضلة قد استحق مدحا واحتراما عاما ولقب بالكشفى بسبب اتساع علومه ومعارفه ولأنه اكتشف المعارف الالهية والباطنية . ولم يتأخر نجله عن أن يساويه فى الرتبة من جميع الوجوه وكان له نفس الاحترام الذى كان لوالده فى طهران وزادت شهرته وكبرصيته وأصبح مؤاكلا للبرنس طاهماسب ميرزا مؤيد الدولة حفيد فتح على شاه من أبيه محمد على ميرزا . وكانت الحكومة تعتبره لعلمه وكان يستشار فى الأمور الخطيرة . ولما أرادوا البحث عن رسول يرسلونه فى هذه المهمة لم يجد حاجى ميرزا أقاسى أحداً سواه لأن صدقه لا شك فيه مطلقا (من كتاب السيد على محمد الباب صحيفة ٢٣٣ للمسيو نقولاس)

وبينما كانت هذه الحوادث تقع فى شمال إيران كانت الاقطار الجنوبية والوسطى ملتهبة من انذارات وتكريز الدين الجديد وكان الشعب على ما هو عليه من السذاجة والجهل والطيش والوهم قد اندهش من سماعه المعجزات التي تروى له فى كل وقت وكان الملاوات المهوفين قد شعروا بتخوف وارتعدوا من إيمان أتباعهم واستعدادهم لتركهم فزادوا فى شتم وسب الأمر الجديد والافتراء عليه ونشروا عنه روايات مختلفة تستلزم الانتقام من شعب متردد بين الاعجاب والتشنيع وبين الاستحسان والاستهجان.. وكان السيد جعفر بعيدا عن معتقدات الشيخية والملا صدرا ومع ذلك فان حماسه المتوقد وأفكاره المستنيرة قد أخرجته من مأزق الشيعة الضيق فكان يفسر الأحاديث بطريقة تخالف طريقة أقرانه ويدعى أنه اخترق السبعين بعنى من المعانى الباطنية للقرآن... وكان نجله الذى على أثره اجتاز هذه الصعوبات قد بلغ من العمر ٢٥ سنة تقريبا وأتم دروسه وجاء ليستقر فى طهران وفيها اتصل قلبه بكل من اعتقد فيه العظمة والامتياز وهو الذى اختير من الشاه وأمر أن يذهب إلى شيراز وأن يتصل بالباب ويستعلم بقدر ما يستطيع ليعلم السلطة المحلية بالنتائج السياسية التي يمكن استنتاجها من الاصلاح الذى يظهر عليه انه سيقلب وجه المملكة (من كتاب السيد على الباب النقولاس صحيفة ٣٨٧ — ٣٨٨)

الشاه كضيف معزز لجلالة الملك . فأسرّ الشاه إلى ميرزا لطف على رغبته فى أن يقوم السّيد يحيى بفحص هذا الموضوع شخصيا وقال له (وأخبره عنا لثقتنا العالية فى صدقه وإعجابنا بآرائه الحكيمة العلمية والأدبية ولاعتبارنا له أنه أليق عالم فى قطرنا فاننا ننتظر منه أن يقوم بنفسه إلى شيراز ويفحص أمر السيد الباب ويخبرنا بالنتيجة البحتة حتى ننظر فى الاجراءات التى يجدر بنا اتخاذها نحوه) وكان السيد يحيى بنفسه أيضا راغبا فى الحصول على أدق المعلومات الخاصة بدعوة الباب ولكنه لم يكن يتمكن من السفر إلى فارس نظراً للأحوال الغير الملائمة فاضطره أمر محمد شاه أن ينفذ عزمه الذى طالما كان يتمناه وبعد أن أكد للشاه استعداده لتنفيذ رغبته سافر إلى شيراز .

وأثناء الطريق فكرّ فى الأسئلة المختلفة التى يلقيها على الباب لأن صحة الرسالة تتوقف حسب رأيه على الاجابة على هذه الأسئلة وإذ وصل إلى شيراز قابل الملاّ شيخ على الملقب بالعظيم وهو الذى كان يعاشره فى خراسان بصداقة متينة وسأله هل هو مسرور من مقابلته للباب فأجابه العظيم « عليك أن تقابله ثم تبحث بنفسك بدون تداخل أحد حتى تطّلع بنفسك على أمره . وكصاحب لك أنصحك أن تسدى اليه منتهى الاحترام أثناء المحادثات لئلا تندم آخر الأمر على أى جفاء يصدر منك نحوه »

وكانت مقابلة السيد يحيى فى منزل الحاجى ميرزا سيّد على وأظهر له الاحترام والاجلال أثناء المحادثة كما أوصاه عظيم ومكث زهاء ساعتين يلفت نظر الباب الى المسائل العويصة المشكلة المستعصية والايات المتشابهة فى القرآن ونبوّات أئمة الدين وكان الباب ينصت أولا إلى إشاراته العلمية عن الشريعة والنبوات الاسلامية ويستوعب كل أسئلته ثم يشرع فى بيان الجواب المقنع المختصر لكل سؤال وكانت سلاسة أجوبته واختصارها مما أثار إعجاب ودهشة السيّد يحيى الذى رأى نفسه مغلوبا وأحسّ فى نفسه بشعور أزال صلفه وكبرياءه ومحا منه محبة الرئاسة ولما عزم على الاستئذان من الباب خاطبه قائلا (إن شاء الله فى المقابلة الآتية أعرض لكم بقية أسئلتى وبها أنتهى من بحثى) وبعد الافتراق اجتمع بعظيم وأخبره بكل ما جرى . وقال له (إننى أسهبت فى حضرته بدون جدوى فى إظهار معارفى ولكنه بكلمات قليلة أجاب على كل أسئلتى . وحل لى ما أشكل على وشعرت أمامه بتذلل وخضوع جعلنى أسرع وأطلب الانصراف من أمامه)

وفى المقابلة الثانية وجد السيد يحي لفرط دهشته أنه نسي جميع الأسئلة التى كان قد عزم على القائها على الباب . وجعل يعالج مواضيع لاعلاقة لها ببحثه ورأى مع ذلك أن الباب كان يجيب عليها بنفس السلاسة والاختصار الذى رآه فى إجاباته السابقة وأجابه أيضاً على الأسئلة التى نسيها وقتيا فكان يذكّره بها. ووصف السيّد يحي ذلك قال « كنت أشعر إذ ذاك أنى أنام نوما عميقا وكانت كلماته وإجاباته على المسائل التى نسيت أن أسألها توقظنى من سباتى وكان يتردد فى أذنى وفى سرّى قول قائل (هل يمكن أن يكون ذلك كله من باب المصادفات) فاضطربت نفسى من تراكم وتزاحم أفكارى وطلبت ثانيا الاذن بالانصراف وقابلنى عظيم فيما بعد وقال لى فى غير مبالاة وهو مقطب الوجه (ياليت كانت هذه المدارس التى تعلمنا فيها مغلقة وليتنا لم ندخلها فمن قصر عقولنا وغرورنا احتجبنا عن فضل الله الذى هو مخلصنا وكنا سبباً لمتاعب منبع الفضل . ألا يحسن بك أن تتضرع لله فى هذه الدفعة ليهبك فى حضوره شرف الانقطاع والخشوع ليخلصك بلطفه ورحمته من ألم الشك والحيرة .) فصممت فى المقابلة الثالثة أن أطلب منه فى سرّسرّى تفسيراً لسورة الكوثر (١) . وعزمت أن لا أذكر هذا الطلب له شفاها .فاذا أتى بالتفسير من تلقاء نفسه وبكيفية تخالف بحسب رأيى التفاسير المعهودة اقتنعت إذ ذاك بصحة رسالته السماوية واعتنقت أمره وإلا فلا أعترف به وبمجردتشريفى شعرت بخوف لم أكن أعلم سببه وكنت أرتجف وأنا أنظر إلى وجهه ومع أنى حضرت جملة مرات أمامه ما كان يحصل لى فيها أى اضطراب مع تشككى إلا أنى فى هذه الدفعة كنت غير قادر على الوقوف على قدمى ولما شاهد الباب حالتى قام من مقعده وأخذ بيدى وأجلسنى بجانبه وقال (أطلب منى كل ماترومه قلبك أذكره توآلك) فبقيت متعجبا وبدون حراك كطفل لايقدر أن يفهم أو يتكلم فتبسم وهو ينظر إلى وقال (إذا فسرت لك سورة الكوثر هل تعترف أن كلامى هو من روح الله وأنه لا علاقة له بالسحر) فلما سمعته يذكر ذلك أجهشت بالبكاء وماقدرت أن أتكلم بشىء سوى الآية القرآنية (ربنا انا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين) وكان قبل العصر إذ طلب الباب حاجى مرزا سيّد علىّ أن يأتيه بدواة وقرطاس ثم ابتدأ تفسيره على سورة الكوثر وكيف

(١) قرآن ١٠٨

أقدر أن أصف جلال ذلك المنظر المهيب فكانت الآيات تتموج من قلمه بسرعة مدهشة لاتكاد تصدق (١) وكانت لطافته وظرافة صوته وتغنياته وقوة بيانه المهيب أدهشتني وحيرتني واستمر على هذ المنوال لغاية الغروب ولم يقف حتى أتم تفسير السورة ثم وضع القلم وطلب الشاي وبعد ذلك ابتدأ يقرؤها بصوت جهوري أمامنا فكان قلبي يخفق وصرت كالمجنون من شدة تأثري وأنا أصغي إلى نغمات قراءته الشجية التي لا توصف بالعبارة وتفسيره الرفيع الهادي لتلك الكنوز المحجوبة (٢) وسحرني جمالها على شأن كنت على وشك الاغماء ثلاث مرات فكان ينعش قوتي الهابطة برش بعض نقط من ماء الورد على وجهي فأستعيد بعدها قوتي وأتمكن من متابعة القراءة للنهاية .

وبعد أن أتم التلاوة قام وانصرف وأوصى بها خاله قائلا (ليكن في ضيافتك إلى أن يتم مع الملاّ عبد الكريم استنساخ ما نزل حديثا من التفسير ويقابله بالدقة على الأصل وصرف الملاّ عبد الكريم معي ثلاث أيام بلياليها في ذلك وكنا نقرأ لأنفسنا بالتناوب

(١) وذكر في كشف الغطا أن الباب نطق بما لا يقل عن ألفين آية في تلك المرة وكانت سرعة نزول الوحي مدهشة في نظر السيد يحيي كما كان جمال الآيات وما أفعمت به من المعاني الدقيقة (فقد ذكر في البيان الفارسي الجزء الأول ص ٤٣) انه في مسافة خمس ساعات ظهر منه ألفا بيت (آية) بسرعة لاتكفي إلا للاملاء وبقدر ما يكتب الكاتب ومن ذلك يمكن الحكم (إذا أمكن العد) كم من الكتب أنزلت وانتشرت بين الناس منذ ابتداء الدعوة للآن (وفي الجزء الثاني من البيان صحيفة ١٣٢) يقول ولقد أعطاه الله من القدرة وقوة البيان والبلاغة ما إذا كتب الكاتب البديع بكل سرعته يحصل على ما يوازي القرآن في ظرف يومين وليلتين مما ينزل من معدن هذه الكلمات (وفي الواحد الثاني من الباب الأول من البيان يقول) وإذا تفكر أحد في ظهور سدرة الباب ليعتقد بدون تردد في علو وسمو دين الله لأنه من شخص مر من حياته أربع وعشرون عاما وهو خال من العلوم التي تفقه فيها الكثيرون وتنزل عليه الآيات بدون أي فكر أو تردد وفي ظرف خمس ساعات يكتب ألف آية من المناجاة بدون توقف القلم ويصدر من التفاسير والرسائل العلمية ومن الحكمة العالية والتفهم للتوحيد الالهي مما يعجز عن فهم مضامينه العلماء والفلاسفة . فلا شك أنها صادرة جميعها من الله (مقالة سائح ترجمة انجليزية حاشية من صحيفة ٢١٩)

(٢) والحق يقال أن كتابة تفسير جديد على سورة عويصة بدون توقف قلم أدهش السيد يحيى ولكن الذي زاد في دهشته انه وجد في نفس التفسير ما كان يعتقده بنفسه واكتشفه بتأملاته في الثلاث آيات وبذلك اتفق مع المصلح في تفسير كان يظن انه وحده المكتشف له وان غيره لم يطلع عليه (من كتاب السيد علي محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٣٤)

بصوت جهورى أجزاء متتابعة من التفسير حتى أتم استنساخها . وتحققنا من الاحاديث الواردة فى الأصل ووجدناها على غاية من الدقة ووصل إيمانى بعظمة الأمر إذ ذاك إلى درجة لو اجتمعت جميع قوات الأرض وتحزبت ضدى فلا تقدر أن تقلل شيئا منه (١) وبينما كنت قاطنا فى منزل حسين خان حاكم فارس منذ ورودى فى شيراز شعرت بان تغيبى المستطيل من منزله ربما أوجب له الشكوك أو الغضب فعزمت على الاستئذان من حاجى ميرزا سيد علىّ ومن الملاّ عبد الكريم لأعود إلى مقر الحاكم وبمجرد وصولى وجدت أن حسين خان الذى كان يبحث عنى فى تلك الأثناء مشتاق ليعلم إذا كنت وقعت فريسة لتأثير الباب السحرى فأجبته قائلاً (لا يقلب قلب السيد يحيى إلا الله وحده فهو مقلب القلوب والذى يقدر على أسر قلبه هو من الله . وكلمته بلا شك من صوت الحق) وكان جوابى قد أسكت الحاكم . وأثناء محادثتى مع آخرين فيما بعد علمت أنه ذكر لهم انى وقعت فريسة لسحر ذلك الشاب وانه قطع الرجاء فىّ فضلا عن انه كتب إلى محمد شاه يعلمه انه فى مدة إقامتى فى شيراز امتنعت عن الاتصال بعلماء تلك المدينة وكتب أيضا (ولو انه فى الظاهر ضيف إلا أنه كان متغيبا جملة أيام وليالى متتابعة عن منزلى ولست أشك مطلقا انه أصبح بابياً وقلبه أسيرا لارادة السيد الباب)

وقيل ان محمد شاه ذات مرة قال للحاجى ميرزا أقاسى (٢) بلغنا أخيراً ان السيد يحيى الدارابى صار بابياً فاذا صح ذلك فالأليق بنا أن لا نقلل من أهمية أمر ذلك السيد الباب.

ووصل إلى حسين خان الأمر الشاهانى الآتى (ممنوع لاى أحد من الرعية أن يتفوه بأى كلمة يشم منها انتقاص لرتبة السيد يحيى الرفيعة فهو من سلالة الاشراف وذو علم واسع وفضل تام كامل ولا يستمع بأى حال لأمر ما الا إذا اعتقد أنه يؤول إلى تقدم

(١) ومن أعجب الأمور أن يكون من بين الذين صدقوا دعوة الباب الكثيرون من كبار العلماء والمجتهدين الذين لهم مركز عظيم فى الأحكام الدينية فى الاسلام وكثير من هؤلاء ختم ايمانه بدمه (من كتاب لمحات فى حياة وعوائد الفرس صحيفة ١٧٨ — ١٧٩ للادى شيل)

(٢) وذكر فى مقالة سائح (صحيفة ٨) ان السيد يحيى كتب تفصيلات الحادثة من غير تخوف ولا تردد إلى مرزا لطفعلى التشريفاتى ليعرضها على الخاقان المغفور له أما هو فساح بنفسه إلى أطراف إيران ودعا الناس فى كل مدينة وقرية إلى الأمر الجديد من رؤوس المنابر بدرجة أوجبت أن حكم عليه العلماء بالجنون وظنوا أنه مسحور .

مصالح ممالكنا وعزة دين الاسلام) ولما وصل هذا الأمر الشاهانى إلى حسين خان أصبح غير قادر على مقاومتى جهراً وكان يجتهد فى تقويض سلطتى سراً ولكن خاب سعيه فى إيذائي أو توهين سمعتى نظراً لما كان يظهره الشاه نحوى من الاكرام والعطف البين

وأمرنى الباب فيما بعد أن أسافر إلى بروجرد وهناك أبلغ والدى (١) بالأمر الجديد وحثنى على أن أعامله بكل أدب ووقار فأطعت الأمر ومن محادثاتى مع والدى سراً علمت أنه لايميل إلى إنكار الرسالة ولكنه أحب منى أن أتركه وشأنه فى طريقه الخاص .

وممن فحص الأمر بدقة من العلماء الاعلام واعتنقه أخيراً الملاّ محمد علىّ من أهالى زنجان (٢) وهو الذى سماه الباب بالحجة الزنجانى . وكان ذا فكر مستقل ومشهوراً بالذكاء التام والتخلص من كل القيود التقليدية . وعاب كل درجة من درجات نظام الرياسة الدينية الموجودة فى المملكة من أول الأبواب الأربعة (٣) إلى أصغر ملاّ واحتقر أخلاقهم وتأسف على انحطاطهم وأطنب فى ذكر مساويهم . واشتهر قبل إيمانه بعدم اعتباره للشيخ أحمد الاحسائي ولا السيّد كاظم الرشتى (٤) وكان حانقا على حصول الحوادث التى لطخت تاريخ الشيعة فى الاسلام حتى أن كل من ينتمى إلى هذه الطائفة كان فى نظره غير جدير بالاحترام مهما كان عالى القدر . وتكررت منه حوادث الجدل العنيف مع علماء زنجان ولولا تداخل الشاه بنفسه لأدى الأمر إلى اضطراب الأمن وسفك الدماء وأخيراً استدعاه الشاه إلى العاصمة وطلب منه أن يثبت إدعاءه أمام جمع غفير من رؤساء الدين سواء فى طهران أو فى الاطراف . وفاز على مناظريه مع أنه كان وحيداً وأفحمهم حتى اضطروا للاعتراف ظاهرا بسلطته وتأييد رأيه ولو أنهم باطنا كانوا يخالفونه ويعيبون مسلكه وبمجرد أن وصل نداء الأمر الجديد إلى سمعه من شيراز أرسل الملا اسكندر وكان يثق به ثقته التامة ليبحث الموضوع بحذافيره ويرسل له تقريراً بنتيجة

(١) وكان اسمه السيد جعفر الكشفي لأنه بمهارته كشف عن معاني القرآن وله رؤيات متعددة رآها بنفسه .

(٢) وكان اسمه حجة الاسلام .

(٣) والأبواب الأربعة كل منهم ادعى انه الواسطة بين الامام الغائب وبين أتباعه .

(٤) كان من فرقة الاخبارية وقد ورد ذكرهم فى كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة ٢٣ وما بعدها للكونت جوبينو .

التحريات ولما كان لايعبأ بمدح أو قدح مواطنيه من العلماء الذين يحتقر آرائهم ويشك فى صدقهم أرسل مندوبه إلى شيراز وأفهمه بعمل تحقيق مستقل دقيق. وتوصل الملاّ اسكندر إلى مقابلة البـاب وفى الحال شعر بقوة تأثيره المحيية. ومكث أربعين يوما فى شيراز وفى أثنائها تذوّق مبادىء الايمان على حسب قوته وعرف عظمة الأمر. وبأذن من الباب رجع إلى زنجان ووصل فى وقت كان العلماء مجتمعين أمام الحجة. ولم يكد يحظى بالمثول حتى سأله الحجة إذا كان قد آمن بالأمر الجديد أم لم يؤمن فقدم الملا اسكندر الأوراق المشتملة على كتابات الباب التى أحضرها معه وقال أنه يطيع كل مايأمره به فصاح الحجة عليه غاضبا وقال (كيف يكون ذلك فلولا حضور هؤلاء الجماعة الأعلام لكنت أوقعت بك تعذيراً. بل كيف تجرأ أن تجعل مسائل المعتقد متعلقة على قبول أو رفض أى شخص آخر) وإذ استلم من يد المندوب نسخة من كتاب قيوم الأسماء وبمجـرد أن قرأ صحيفة من ذلك الكتاب خرّ ساجداً وصاح قائلا (أشهد أن هذا الكلام الذى قرأته صدر من نفس المنبع الذى أظهر القرآن ومن عرف الحق فيه يشهد بصدق هـذا الكلام وأنه من منبع ربانى وعليه أن يخضع إلى الأحكام التى يفرضها صاحبه وإنى أشهدكم أيها الحاضرون فى هذا المجلس بأنى أجعل طاعته واجبة حتى لو حكم على الليل حكم النهار أو على الشمس حكم الظل لأطعت حكمه بدون أى تردد لأن حكمه صوت الحق وكل من أنكره فانى أعتبره أنه أنكر الله نفسه) وبهذه الكلمات انتهى المجلس (١)

وسبق لنا فى الصحائف السالفة أن أشرنا إلى طرد القدّوس وملاّ صادق من شيراز وبيّنا على قدر المستطاع العقوبة التى أوقعها عليهما ذلك الطاغية المفترس حسين خان والآن نذكر طرفا من أعمالهما التى وقعت بعد طردهما من تلك المدينة فانهما استمرا بضعة أيام بشيراز معاً ثم افترقا وذهب القدّوس إلى كرمان لأجل المباحثة مع حاجى كريم خان واتجه الملاّ صادق إلى يزد بقصد الاستمرار فى التبليغ ودعوة العلماء فى تلك الجهة بالطريقة التى

(١) يقول مرزا جانى (إنى قابلته اى ملا محمد فى طهران فى منزل محمد خان كالانتر و كان محبوسا فيه لاعتقاده فى أمر الباب و كان يقول (إنى كنت أحد الملاوات فخوراً بنفسى ومدعيا الرياسة حتى إنى كنت لا أخضع لأى أحد حق ولا للمرحوم حاجى سيد باقر الرشتى الذى هو معتبر بأنه حجة الاسلام وأعلم العلماء الأعلام. و كانت آرائي كفرقة الاخبارية و كنت أخالف جمهور العلماء فى بعض المسائل

اتبّعها فى فارس ولم يتركها إلا مرغما ولما وصل القدّوس الى كرمان استقبله فى منزله السيّد جواد الكرمانى المعروف فى كربلاء والذى اشتهر بين جميع أهالى كرمان بالعلم والمهارة والبراعة وفى جميع المجالس التى التأمت فى منزله كان يبدى لضيفه الشاب مايليق به من الاحترام ويعامله بغاية الاجلال والتعظيم وكان من شأن هذا التبجيل والاحترام لهذا الشاب وهو شخص عادى حسب الظاهر أن أشعل نيران الحسد فى قلوب تلاميذ الحاج مزرا كريم خان حتى شكوا اليه مايظهره السيّد من الرعاية والاحترام للقدّوس وكان غرضهم من ذلك إشعال عداوة رئيسهم فهمسوا فى أذنه قائلين (إن أقرب المقربين للباب ومعتمده الأكبر من بين أصحابه هو الآن ضيف معزز مكرم عند أقوى وأقدر شخص قاطن فى كرمان . فاذا سمح له بان يعيش بصحبة الحاجى سيدجواد فانه بلا شك ينفث سمومه فى روحه ويهيئه ليكون آلة لنجاح مقصده فى إزالة سلطتك وإطفاء صيتك) وإذا رتعب الحاجى مرزا كريم خان من هذه الهمزات ذهب توآ إلى الوالى وأقنعه إن يحضر الحاجى سيّد جواد ويطلب منه الامتناع عن مصاحبة القدّوس نظراً للخطر الذي ينشأ منها فلما خاطبه الوالى فى ذلك اهتاج الحاج سيّد جواد وأجابه محتداً بقوله (كم نصحتك أن لاتصغي لفتنة هذا النمام الذى تشجع بما يراه من تسامحى فاحذر أن يتعدى حدوده . فهل يريد أن يغتصب مقامى ؟ ألم يقابل فى بيته الآفا من أرذل وأحط النـاس ويتملقهم بأحط التملقات . ألم يجتهد مراراً فى إعلاء شأن الأشقياء وإسكات وإذلال الأبرياء ؟ وفى كل عام يعاشر الأشرار ويقوى أيديهم ويساعدهم ويجتهد فى مصاحبتهم إرضاء لشهواته أليس هذا الرجل الذى يصر الى هذا اليوم على التفوه بتجديفاته وتقولاته ضـد كل ماهو طاهر ونقى فى الاسلام ويظن أن سكوتى جعله يزيد فى وقاحته وتهوره فهو يجنز

وكان الناس يشكونى لمحمد شاه الذى دعانى إلى طهران ولما وصلت وقرأ كتبي وفهمها سألته أن يطلب السيد باقر الرشتى حتي تتجادل معاً فعزم فى أول الأمر على تنفيذ ذلك ثم عدل عنه خوفا من تفاقم الأمر واتساع الخرق . وبالاختصار رغما عن كل هـذا الاعتماد على النفس بمجرد أن وصلتنى كتابات مولاى وقرأت صحيفة واحدة من آيات نقطة الفرقان أحسست كأني واقف بجانبه وبدون تردد وبكل جوارحى اعتنقت دعوته وصرت عبده المخلص كأنى شاهدت فيه أعظم معجزات الرسول ولو كنت رفضتها لكنت فى الوقت نفسه قد رفضت دين الاسلام (تاريخ مرزا جانى تعليق ٢ على التاريخ الجديد صحيفة ٣٤٩ ـــ ٣٥٠)

لنفسه الحرية التامة فى ارتكاب أشنع الموبقات ولا يرضى أن يتركنى أكرم فى منزلى من هو مثال الصدق والعلم والشرف فليحذر بعد ذلك الآن وإن لم يمتنع عن هذه الفعال فان أراذل المدينة سوف يطردونه من كرمان بناء على أول إشارة منى . فلما سمع الحاكم هذا التهديد الشديد اعتذر عن قوله . وقبل افتراقه أكد للحاج سيّد جواد بأن لايخشى أمراً وأنه سيجتهد فى تنبيه الحاج مرزا كريم خان الى سوء سلوكه ويطلب منه الاعتذار عما فرط منه . وكانت رسالة السيد قد لسعت الحاج ميرزا كريم خان وشعر بخيبة الأمل فى الحصول على رياسة أهل كرمان بدون منازع . وكانت هذه المباهلة المكشوفة بمثابة دق ناقوس المنية لأطماعه الزائدة .

واستمع الحاج سيد جواد فى منزله لجميع تفاصيل مجهودات القدّوس من يوم تركه كربلاء لغاية عودته الى كرمان وقصّ عليه كيفية إيمانه وحجّته بعد ذلك مع الباب وحركت روايته إحساس مضيفه وأشعلت فى قلبه حرارة الايمان ولكنه رأى أن يخفى إيمانه أملا فى أن يكون أكثر اقتدار على حراسة شؤون الأمر الجديد فأكّد له القدوس محبته قائلا (إن عزمك النبيل سيكون مقبولا كخدمة عظيمة لأمر الله وسيساعدك ويؤيدك الله ويجعلك فى كل الأحوال غالبا على أعدائك) وحكى لى هذه الرواية مرزا عبد الله الخواجه الذى سمعها فى كرمان من نفس الحاج سيد جواد وقد ظهر صدق نيّة السيد فى الطريقة البديعة التى نجح بها فى مقاومة تعديات الحاج مرزا كريم خان الماكر الذى لو ترك وشأنه لكان يلحق بالأمر أضراراً جسيمة

ومن كرمان سافر القدوس الى يزد ومن هناك الى أردكان ونايين وأردستان وأصفهان وكاشان وقم وطهران وفى كل هذه المدن نجح فى غرس المبادىء الجديدة فى قلوب سامعيه وقام بكل شجاعة على ترويجها . وسمعت آقا كليم أخ بهاء الله يصف مقابلته مع قدوس فى طهران قال (إن جمال طلعته ومحبته العظيمة وكمال هيئته ظاهر للجميع حتى للذين لايهتمون بالأمور الدينية فكل من يعاشره يأخذه العجب من قوة جاذبية شبابه وذات يوم لاحظناه وهو يتوضأ وأعجبنا من السماحة التى ميزته عن عامة المصلين فى أداء هذه الفريضة فقد ظهر لأعيننا بأنه كان هيكل الطهارة والوداعه .)

وفى طهران تشرف بمقابلة بهاء الله ثم رحل الى مازندران حيث أقام فى منزل والده فى بارفروش مدة سنتين وكان فى أثنائها محاطا بأهله وأسرته ومحفوفا بمحبتهم وكان والده قد تزوج بعد وفاة زوجته الاولى بأخرى كانت تعامل قدّوس بكل شفقة ومحبة وعناية لاتنقص شيئا عن عناية أى والدة وكانت تتمنى أن تراه يتزوج وتقول أنها تخشى أن تذهب إلى القبر بغير أن تتمتع بهذا الفرح العظيم وكان قدوس يجيبها بقوله إن يوم





(صور منزل والد القدوس فى بار فروش)

عرسى لم يحن بعد وإن ذلك اليوم سيكون بلا شك مهيباً ولا يكون العرس داخل المنزل بل فى العراء وتحت قبة السماء فى وسط سبز ميدان وأمام نظر جميع الجموع هناك يكون عرسى وهناك أشاهد بغية آمالى . وبعد مضى ثلاثة سنوات عند ما أعلمت تلك السيدة بتفاصيل استشهاده فى سبز ميدان تذكرت تلك النبوّة وفهمت فحوى عباراتها (١)

(١) وقد ذكر ذلك فى كشف الغطاء صحيفة ٢٢٧ ويقول المؤلف أنه سمع مثل ذلك من كثير من سكان اقليم مازندران .

ومكث القدوس فى بار فروش حتى تقابل مع الملا حسين بعد رجوع الأخير من زيارته للباب فى قلعة ما كو ومن بار فروش ذهبا معا إلى خراسان وكانت سياحته ملأى بالمجهودات المجيدة التى لا يبلغ شأوها أحد من قومه. وأما الملا صادق فبمجرد وصوله إلى يزد سأل أحد أصدقائه الموثوق بهم من أهالى خراسان عن تقدم الأمر فى تلك الجهات وكان مشتاقا على الأخص لمعرفة مجهودات الميرزا أحمد أزغندى وتعجب من احتجابه مع أنه أظهر حماساً قوياً ظاهراً لأعداد الناس لقبول الأمر الجديد فى ابتداء نشأته وقبل كشف سره ولكنه علم أن مرزا أزغندى اعتزل فى منزله مدة وعنى باخراج كتاب كبير جمع فيه الأحاديث الاسلامية والتنبوءات الخاصة بهذا الظهور الموعود وجمع فيه ما يزيد على ١٢ ألف حديث من الأحاديث الواضحة الصحيحة والمسلم بها من العموم وعزم على اتخاذ جميع الوسائل لنشر واستنساخ هذا الكتاب وشجع تلاميذه على الاقتباس منه وتلاوة بعض اقتباسات منه فى المجالس والمحافل حتى بذلك يمكنه أن يزيل تلك العوايق التى توجد فى سبيل تقدم الأمر .

ولما وصل إلى يزد استقبله بكل ترحاب خاله السيد حسين أزغندى أول مجتهد فى تلك المدينة وكان قبل وصوله ببضعة أيام سبق أرسل اليه بطلب الحضور الى يزد ليخلص من فتنة حاجى كريم خان الذى يعتبره عدوا خطراً للاسلام ولو أنه لا يتظاهر بالعداوة وكان ذلك المجتهد قد طلب من مرزا أحمد أن يحارب بكل قوته سطوة الحاجى مرزا كريم خان الضارة . ورغب اليه أن يجعل إقامته الدائمة فى تلك المدينة حتى يتمكن بنصائحه وارشاداته المتكررة من تنوير عقول الشعب بخصوص حقيقة مقاصد وأغراض ذلك العدو السىء .

وكان الميرزا أحمد قد أخفى عن خاله رغبته الأصلية فى السفر إلى شيراز فأطال الاقامة فى يزد وأظهر له كتابه الذي جمعه وكان يشارك كثيرا من العلماء فى محتوياته من الذين كانوا يهرعون من كل جانب من المدينة لملاقاته وهم معجبون بذلك العمل المجيد والمهارة والحمية التى أظهرها فى ذلك المجموع القيم .

وكان من بين الذين حضروا لملاقاة الميرزا أحمد شخص يدعى ميرزا تقى وهو رجل طماع وشرير ومتكبر وكان عائداً من النجف حديثا حيث أتم دراسته وتحصل على درجة

مجتهد وفى أثناء الحديث مع ميرزا أحمد أظهر رغبته فى قراءة ذلك الكتاب وأن يسمح له بابقائه طرفه بضعة أيام لاكمال اطلاعه فوافقه السيد حسين وابن أخته على ذلك الطلب ولكن الميرزا تقى لم يف بوعده فى ارجاع الكتاب ولما شك الميرزا أحمد فى مقصد الميرزا تقى أخذ يلح على خاله أن يذكر ذلك المستعير بوعده وأرسل له رسولا لاعادة الكتاب ولكن المستعير أجابه بوقاحة (إخبر سيدك انى بعد أن اطلعت على مقاصد الكتاب السيئة عزمت على محوه وفى الليلة الماضية رميته فى البركة وبذلك زال أثر الكتابة بالكلية) فتأثر السيد حسين من هذا الجواب الماكر الوقح ومن شدة غضبه عزم على إنزال نقمته عليه ولكن المرزا أحمد نجح بنصائحه الرشيدة فى تهدئة روع خاله المتهيج وفى تحويله عن المضى فى السبيل الذى عزم على سلوكه وقال له (إن ذلك العقاب الذى يريد إيقاعه عليه سيكون سبباً فى تهييج العامة وينتج عنه ضرر بليغ ويتعارض مع الرغبة فى هدم صولة الحاجي ميرزا كريم خان . لأنه بلا شك ينتهز هذه الفرصة لاتهامك بالبابية ويجعلنى مسئولا عن تغيير دينك فيتمكن بهذه الوسيلة من هدم سلطتك فضلا عما يجنيه من احترام العامة له وامتنانهم منه فلنتركه لأمر الله . وفرح الملاّ صادق إذ علم من هذه الحادثة أن المرزا أحمد موجود فى يزد وإنه لايوجد أى عائق فى سبيل مقابلته ولذلك ذهب توا إلى المسجد الذى كان يصلى فيه السيد حسين إماماً والذى يخطب فيه المرزا أحمد ودخل الجامع والتحق فى الصلاة بالصف الأول وبعد إتمامها ذهب توا إلى السيد حسين وعانقه علنا وبدون إذن صعد إلى المنبر وابتدأ يخطب فى جماعة المؤمنين ومع أن السيد حسين ارتاع أولا من هذه الجرأة إلا أنه فضل عدم معارضته حتى يعلم الدافع له على هذا العمل . ويتحقق من شخصية هذا الزائر المفاجىء فأشار إلى ابن أخته بعدم التعرض له .

وشرع الملا صادق يتلو خطبة من أحسن خطب الباب ثم خاطب الجمهور قائلاً (اشكروا الله أيها العلماء لأنه قد فتح باب العلم الالهى الذى تقولون عنه أنه أغلق وفاضت مياه بحر الحياة الأبدية من مدينة شيراز واهبة لأهل هذه البلاد نعما فائقة . والذى يشرب نقطة من معين محيط الفضل الآلهى يرى فى نفسه قوة لحل الأسرار العويصة وتفسير أصعب المسائل فى الحكمة القديمة مهما كان أميا أو خاملا . وأما الذى اختار أن يتكل

على علمه وقدرته وأنكر رسالة الله فقد حكم على نفسه بالضياع والذلة الأبدية مهما يكن من أكبر علماء الاسلام

فوقع الجميع فى دهشة الاستغراب والذهول بينما كان الملا صادق يتفوه بهذه الانذارات الشديدة وامتلاء المسجد بأصوات الاستنكار والتجديف الصادرة من شعب متهيج ضد الخطيب وارتفع صياح السيد حسين وسط الضوضاء قائلا (انزل من المنبر) وطلب من الملا صادق أن يسكت وينسحب . وما كاد ينزل إلى ساحة المسجد حتى التف حوله جمهور المصلين وأوسعوه ضربا . وتداخل السيد حسين فى الحال وفرق الجموع المحتشدة حوله وأمسك بيده وجذبه بقوة إلى ناحية وخاطب الجمهور قائلاً (ارفعوا أيديكم عنه واتركوه لى وسأخذه إلى منزلى وأبحث الموضوع مليّا إذ ربما قد تكون قد غشته نوبة جنون على حين فجأة وأجبرته على التفوه بهذه العبارات. وسأبحث بنفسى وإذا وجدته متعمداً أو معتقداً فيها فانى بيدى أوقع عليه العقاب الذى يستوجبه الشرع)

وبهذه التأكيدات نجا الملاّ صادق من هجوم القوم وافتراسهم فتركوه إلى رجال الملاّ السيّد حسين بعد أن جردوه من عباءه وعمامته ومداسه وعصاه وأوسعوه ضربا وأثخنوه جراحا وتهشيما واخترق رجال السيد حسين به الصفوف حتى أوصلوه إلى منزل سيدهم

وكذلك أصاب الملاّ يوسف أردبيلى فى تلك الأيام اضطهاد أقصى وأشد مما أصاب الملاّ صادق من هجوم الغوغاء عليه من أهالى يزد عليه ولولا تداخل مرزا أحمد وخاله لوقع فريسة لغضب العدو المفترس

ولما وصل الملاّ صادق والملاّ يوسف الأردبيلى إلى كرمان حصل لهما أيضاً مثل هذا الاضطهاد والأذى من يد الحاج ميرزا كريم خان وأعوانه (١) وأخيراً خلصهما الحاج سيد جواد من قبضة يد مضطهديهما بمساعيه المتكررة ومكنهما من النزوح إلى خراسان .

(١) وحصل نزاع كبير بين المقدس وكريم خان الذى تبوأ مركز رئيس الشيخية بعد وفاة السيد كاظم وحصلت المناقشة أمام جم غفير حيث طلب كريم خان خصمه ليدلل على صدق دعوة الباب وقال له (اذا أمكنك البرهان على ذلك فانى أول من يؤمن ويتبعنى فى ذلك تلاميذى ولكن اذا لم تقدر فانى سوف أصيح فى الأسواق وأقول هذا الذى أوقع أحكام الاسلام الى الحضيض) فاجاب

ولم تكن تلك المعاملة الوحشية ولا الاضطهاد والزجر بمانع لتلاميذ الباب وأعوانهم من إتمام مقاصدهم بل استمروا ثابتين فى إيمانهم بلا ملل يحاربون جنود الظلام الذين هجموا عليهم فى كل مقام فى طريقهم وباخلاصهم الذى لا تشوبه شائبة وثباتهم المنقطع النظير تمكنوا من أن يظهروا لمواطنيهم تأثير ذلك الايمان الشريف الذى قاموا على ترويجه

ولما كان وحيد (١) مقيما فى شيراز وصل السيد جواد الكربلائى (٢) وتشرف بمقابلة الباب بواسطة الحاج ميرزا سيد على وفى أحد الألواح التى كتبها للوحيد والحاج سيد جواد أثنى الباب على ايمانهما الثابت وعلى اخلاصهما الذى لم يتغير وكان هذا الأخير قد عرف الباب وقابله قبل اظهار أمره وأعجب بجميع أطوار حياته وأخلاقه التى امتاز بها منذ نعومة أظفاره وقابل فيما بعد بهاء الله فى بغداد وكان محل عنايته الخاصة. ولما نفى بهاء الله بعد بضع سنوات إلى أدرنه كان قد وصل إلى سن الشيخوخة فرجع إلى إيران ومكث قليلا فى العراق ثم توجه إلى خراسان. ولدماثة أخلاقه ولطافة وداعته وشدة تقواه سمى بسيد النور.

وذات يوم بينما الحاج سيد جواد يمر فى الطريق فى طهران إذ رأى الشاه بغتة ممتطياً جوادا فتقدم إلى مليكه وحياه بهدوء وبدون أن يضطرب فسر الشاه من

المقدس انى أعلم من أنت يا كريم. ألا تعلم من سيدك السيد كاظم ما قاله (يا كلب ألا ترضى أن أموت وبعد موتى يظهر الحق المطلق) والآن فى هذا اليوم قد اتبعت هواك بغناك وغرك فاحكم اليوم بنفسك على نفسك) وحيث انتهى المجلس بهذه الكيفية المختصرة استل بعض تلاميذ كريم خان سكينا وطعنوا بها الذى سب رئيسهم ولكن حاكم المدينة تداخل وقبض على المقدس وقاده الى منزله. وأبقاه عنده بعضا من الزمن حتى هدأت الخواطر وأرسله بعد ذلك ومعه عشرة من الخيالة الى مسافة بعض محطات خارج المدينة (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٢٨ـ٢٢٩)

(١) الوحيد هو لقب أعطى للسيد يحيى الدارابى من الباب.

(٢) وذكر فى كشف الغطاء الاحوال العجيبة التى آمن الحاجى سيد جواد الكربلائي بها (صحيفة ٧٠ — ٧٦) وأشار إلى لوح صدر له من بهاء الله (صحيفة ٦٣) وفيه أهمية الكتاب الأقدس وأخذ الحيطة فى تنفيذ أحكامه بالحكمة والاعتدال. ونقل نص اللوح فى الكتاب (صحيفة ٦٤ـ٧٠)

وذكر فى الدلائل السبع اشارة إيمان الآقا سيد جواد الكربلائى قال: إن السيد جواد الكربلائى ذكر أن هنديا كتب له اسم الداعى الذى سيظهر وذلك قبل اظهار الدعوة (كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة ٥)


صورة السيد جواد الكربلائى

هيكله المحترم وحسن منظره ورد عليه التحية وعزم عليه أن يحضر لمقابلته فاخذ الحسد حاشية الشاه وقالوا له (هل يعلم جلالة الشاه أن هذا الحاج سيد جواد اعترف بأنه بابى حتى قبل ظهور الباب وجعل طاعته رهن أشارته) فلما أطلع الشاه على نواياهم السيئة حزن ووبخهم على قلة عقلهم وطيشهم فتعجب منهم قائلا (ياعجبا كلما رأينا شخصاً مستقيما فى سيره ومبجلا فى هيئته اتهمه قومى بأنه بابى واعتبروه مستحقاً للعقاب) فصرف الحاج سيد جواد بقية عمره فى كرمان وبقى حتى آخر ساعة من حياته أكبر مساعد للأمر ولم يتردد فى اعتقاده أو يتهاون فى نشره.

وكان ضمن الذين قابلوا الباب فى شيراز الشيخ سلطان كربلائى الذى كان والده وأجداده من أشهر علماء كربلاء وكان هو بنفسه من أخصاء السيد كاظم الرشتى وصاحبه الحميم. وهو الذى ذهب فيما بعد إلى السليمانية للبحث عن بهاء الله وزوّج ابنته باقا آى كليم. ولما وصل إلى شيراز صحبه الشيخ حسن الزنوزى الذى أشرنا اليه فيما سبق من هذا الكتاب. وكان الباب قد عهد اليه أن ينسخ بمساعدة الملاّ عبد الكريم الألواح التى نزلت أخيراً. وإذ كان الشيخ سلطان مريضاً وقت وصوله لم يتمكن من ملاقاة الباب وذات ليلة وصلته رسالة وهو طريح الفراش من محبوبه يخبره فيها بأنه سوف يزوره بنفسه بعد ساعتين من غروب الشمس فصدرت الأوامر اللازمة إلى الخادم الحبشى الذى كان يحمل مصباحه أن يمشى على بعد مبتعداً عنه حتى لايلفت اليه الأنظار وأن يطفىء السراج بمجرد وصوله إلى المكان المقصود.

وسمعت الشيخ سلطان يصف تلك الزيارة الليلية قال (وكان الباب قد أمرني أن أطفىء النور قبل حضوره . وإذ دخل مخدعي أمسكت بذيل ردائه في ذلك الظلام الحالك وتضرعت اليه قائلا (يامحبوب قلبي أجب ندائي واسمح لى أن استشهد في سبيلك لأنه ليس أحد خلافك يقدر أن يمنحني هذه العطية) فأجاب الباب (ياشيخ إني أيضاً أتمنى أن أقدم نفسي قربانا على مذبح التضحية وعلينا نحن الاثنين أن نتشبث برداء أحسن المحبوب ونطلب منه السرور والفرح بالشهادة في سبيله وتأكد باني أدعو لك ربي القدير أن يمكنك أن تتشرف بلقائه فاذكرني في ذلك اليوم الذى لم ير العالم شبهه من قبل) وإذ جاءت ساعة فراقه وضع هدية في يدي فاجتهدت أولا أن أردها اليه ولكنه رجاني أن أصرفها في شؤوني وأن أقبلها . وأخيرا وافقته على مراده ثم قام وتركني .

وأدهشتني الاشارة إلى أحسن المحبوب . وكنت فيما غبر من أيامي أعتقد أن أحسن المحبوب هو جناب الطاهرة ثم ظننت أنه سيدى علوّ وصرت في حيرة من الأمر ولم أعلم كيف أحل هذا اللغز ولما وصلت إلى كربلاء وتشرفت بلقاء حضرة بهاء الله تيقنت أنه هو وحده الذى يشير اليه الباب بمحبته وانه هو وحده الجدير بهذا الابتهال وليس أحد غيره .

وفي النوروز التالي لدعوة الباب ٢١ ربيع أول سنة ١٢٦٢ (١) هجرية كان الباب في شيراز متمتعا بالراحة والسكون مع أسرته وأهله واحتفل بهدوء بعيد النيروز في منزله وحسب عادته أسدى إلى زوجته ووالدته علائم المحبة والفضل . وبحكمة نصائحه ولطف محبته فرّح قلوبهما ونفى همومهما وأوصى بجميع أملاكهما وسجلها باسمهما وكتب وصيته بأن منزله ومنقولاته وباقي أملاكه تكون ملكاً لوالدته وزوجته وعند وفاة الأولى يرجع نصيبها إلى زوجته .

ولم تفهم والدة الباب أهمية رسالته وبقيت مدة غير عالمة بعظمة القوة المودعة في الأمر الجديد ولما قاربت أواخر أيام حياتها علمت قدر تلك الامانة المنقطعة النظير . وكان بهاء الله هو الذى مكنها من اكتشاف ذلك الكنز المكنون الذي بقى مدة مستطيلة محجوبا عن أنظارها . وكانت تعيش في العراق . وطمعت أن تصرف بقية أيام حياتها فيه . وأمر

(١) الموافق سنة ١٨٤٦ ميلادية .

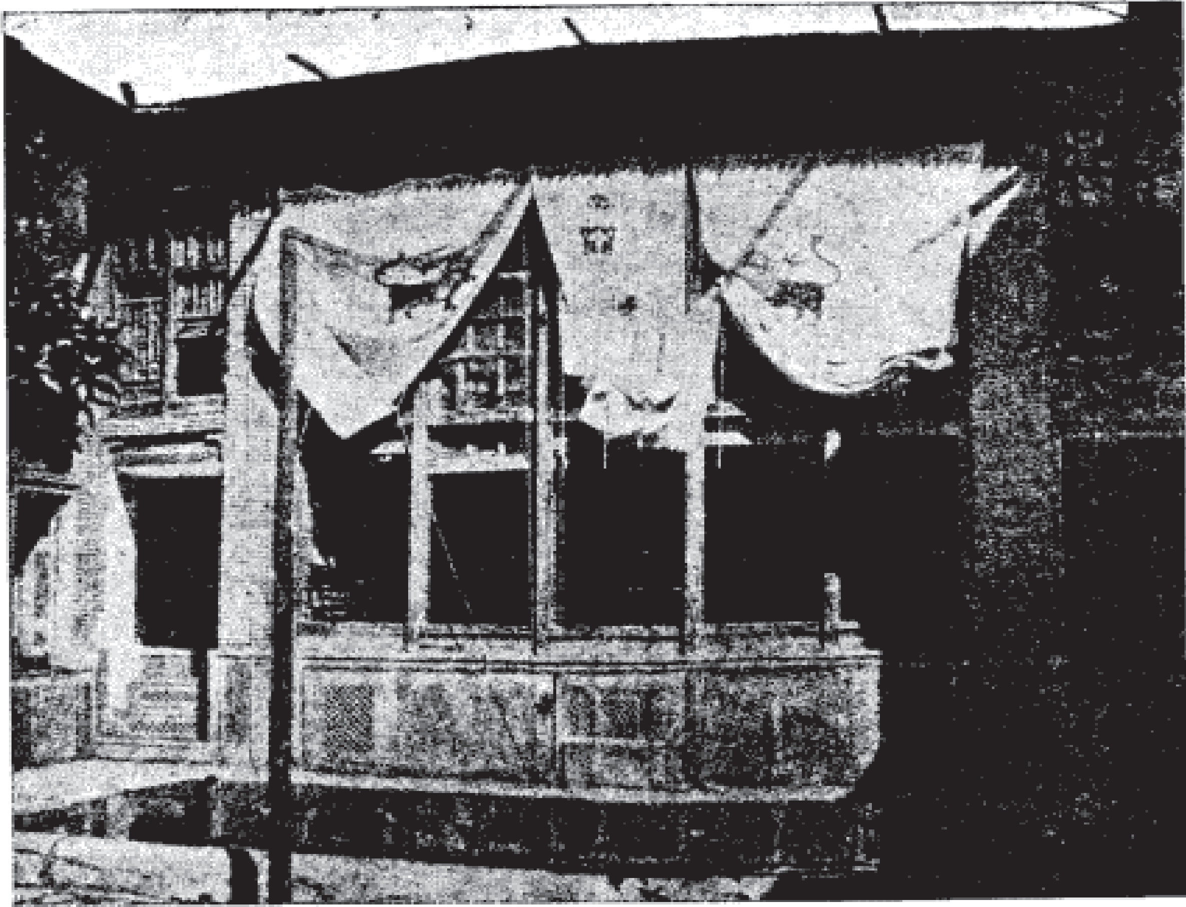
بهاء الله اثنين من أخلص أحبائه وهما الحاجي سيد جواد كربلائي وزوجة الحاج عبدالمجيد شيرازى وهما من أخص معارفها أن يعلماها أصول الايمان فاعترفت بالأمر وعاشت لغاية أواخر القرن الثالث عشر الهجرى (١) وتوفيت وهى عالمة تماماً بالفضل والموهبة التى منحها لها رب العزة أما زوجة الباب فكانت خلافا لوالدته قد اطلعت على جلال الأمر فى أوائل إشراقه وشعرت من المبدأ بغزارة قوته . ولم يفق عليها أحد من جيلها فى قوة العبادة ولا فى قوة الايمان سوى الطاهرة . وقد أعلمها الباب بمستقبل آلامه وكشف أمام أعينها أهمية تلك الحوادث التى ستحصل فى ذلك اليوم وأمرها أن لا تذيع هذا السر إلى والدته ونصحها أن تصبر وتمتثل لارادة الله . وأوصاها بدعاء خاص كتبه بنفسه لها وأكد لها أن تلاوته تزيل منها جميع آلامها وتخفف متاعبها . وقال لها (فى وقت اضطرابك اقرئي هذا الدعاء قبل أن تنامى فسأظهر لك وأنزع عنك همومك) وكان صادقا فى نصحه فكلما اتجهت له فى صلواتها لم يلبث نور هدايته إلا أن يضىء لها الطريق ويحل لها معضلاتها (٢)


منزل حاجى ميرزا على فى شيراز من الداخل

وبعد أن أنهى الباب شؤون منزله ورتب معاش والدته وزوجته انتقل إلى منزل الحاج ميرزا سيد علي وهناك دقت ساعة آلامه المنتظرة . وعرف أن المصائب المخزونة له لا يمكن أن تتأخر وأنه سوف يؤخذ وسط عاصفة البغض والاضطهاد ويحمل منها سريعاً إلى ميدان الشهادة التى هى تاج فخر حياته وأمر من أقام فى شيراز من أحبائه أن يرحلوا إلى اصفهان ومنهم الملاّ عبد الكريم والشيخ حسن الزنوزى وأن

(١) وكان آخر القرن الثالث عشر الهجرى اكتوبر سنة ١٨٨٢ ميلادية .

(٢) وعاشت أرملة الباب لغاية سنة ١٣٠٠ هجرية وكانت أخت جد صاحبي لأمه وسمعت ذلك من سيدة كبيرة فى الأسرة ولذلك كان كلامها حجة (مجلة الجمعية الآسيوية الملوكية سنة ١٨٨٩ صحيفة ٩٩٣)



(منزل مرزا سيدعلى فى شيراز وهو خال الباب)

ينتظروا هناك أوامره و كذلك صدر الأمر للسيد حسين يزدى أحد حروف الحى وكان قد حضر إلى شيراز قبل ذلك أن يسافر أيضاً إلى اصفهان ويجتمع هناك مع أقرانه فى تلك المدينة .

وفى هذه الاثناء كان حسين خان حاكم فارس يعمل كل جهده لايقاع الباب فى المشاكل ليحط منزلته فى نظر الناس وكانت نيران عداوته الخامدة قد عادت للاشتعال إذ علم أن الباب لايزال يواصل مجهوداته بدون حصول أى تعرض له وأنه لم يزل يقابل الكثيرين من أصحابه وانه يواصل الصحبة والاختلاط مع أسرته وذويه بدون أى مانع (١) وتمكن الحاكم المذكور أن يعلم ويقف بواسطة معاونيه على جميع تفاصيل الحركة التى اسّسها الباب فكان يراقب أعماله سرا ويتحقق من درجة الحماس والشعور الذي كان يثيره .

(١) ومع ذلك فقد استمر الشجار والنزاع والمجادلات العنيفة فى شيراز واذ ضجر الحاجى ميرزا آقاسى من كل هذه الضوضاء اصدر امره سرا إلى حسين خان نظام الدولة أن ينتهى مع المصلح ويقتله سرا (كتاب السيد على محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة ٢٣٥)

ويدقق ويبحث فى العوامل وفى عدد الذين اعتنقوا الامر وجاءه فى احدى الليالى رئيس جواسيسه ومعه تقرير بأن عدد الذين اجتمعوا لرؤية الباب زاد لدرجة تستلزم عملا سريعا من جانب الذين يهمهم حفظ الأمن فى المدينة . ومما قاله له (ان الجمهور المتعطش الذى يجتمع كل ليلة لرؤية الباب يفوق فى العدد جمهور الناس الذين يحضرون باب حكومتك. ومن بينهم يشاهد رجال اشتهروا بعلو المقام والعلم الواسع (١) وان مرؤسيك لا يرضوا أن يعلموك بحقيقة الحال لان الخاله احسان عليهم وانك لو تأمرنى فانى مع نفر من مرؤسيك أهجم على الباب فى ساعة متأخرة من الليل واحضر لك بعضا من خواص اتباعه مغلولى الايدى . وهم يخبرونك بكل أعماله ويصادقونى على قولى) فلم يقبل منه حسين خان ذلك وأجابه (انى أعرف المصلحة التى تتطلبها الحكومة أحسن منك فراقبنى عن كثب فسأعرف كيف أعالج هذا الموضوع) وفى تلك اللحظة دعا الحاكم عبد الحميد خان رئيس الشرطة فى المدينة وأمره قائلا (اذهب توا الى منزل الحاجى ميرزا سيد علىّ وبكل سكون وبدون أن يشعر بك أحد تسلق الحائط وأصعد الى السطح ومنه ادخل فجأة المنزل واقبض على السيد الباب فى الحال واحضره الى هنا ومعه كل من تجد من الزائرين واضبط جميع الاوراق والكتب التى تجدها فى ذلك المنزل أما ميرزا سيد على فسأوقع عليه العقاب

(١) وكان الملاوات فى فارس قد ضجروا وملوا ورأوا انهم عاجزون عن ايقاف تيار الحركة التى هددتهم ولكنهم لم يكونوا هم وحدهم المخبرون بل أن السلطات المحلية فى المدينة والاقاليم أيضا علموا أن الاهالى الذين كانوا دائما يشقون عصا الطاعة قد اصبحوا خارجين عن قبضة يدهم لان أهالى شيراز هوائيون مستهزئون مهرجون محبون للثورة والهياج ووقحون للغاية ولم يكونوا فى وقت ماسلسى الانقياد للدولة القاجارية وكانوا دائما مصدر تعب للحكام فاذا يكون الحال بالنسبة لهؤلاء الحكام اذا كان الرئيس الحقيقى للمدينة والبلاد والحكم النافذ على الجميع ومعبود الكل شاب صغير . البته لا يخضع له أحد منهم فلا تبادل للمنفعة بينه وبينهم بل انه يعمل لاستقلاله ولا يخشى أن يتهجم فى كل يوم على ماهو معروف وثابت من الاصول والاوضاع المحترمة والقوية فى المدينة ومع انه فى الحقيقة والواقع لم يكن الحكام ولا ارباب السلطة مقصودين بالذات وبالتشديد عليهم من المصلح ولكن لما كان قاسيا على العلماء وأرباب الدين ولا يلين فيما يختص بتشديد النكير عليهم وزجرهم عن النهب والسلب لذلك كان من المشكوك فيه أنه فى ذات يوم ربما يوجه نظره فيما بعد للحكام والموظفين . ولا يحجم اذ ذاك أن يوبخهم أيضا كما وبخ العلماء على مالم يقدروا على ستره

(كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٢٢ — ١٢٣)

اللازم فى اليوم التالى لعدم وفائه بالوعد . وانى اقسم بتاج محمد شاه الشاهانى انى لابد قاتل السيّد الباب وأصحابه التعساء .وستكون وفاتهم المشينة مطفئة للنار التى اشعلوها وليتنبّه كل من يريد الانتماء الى هذا الأمر الى الخطر الذى يتهدد كل من يعكر صفو هذا البلد . وبذلك أكون قد محوت تلك البدعة التي لو استمرت لكانت اعظم خطر على مصلحة الحكومة . فذهب عبد الحميد خان لتنفيذ الأمر وهجم مساعدوه على منزل الحاج ميرزا سيّد على (١) ووجدوا الباب مع خاله ومع السيد كاظم الزنجانى وهو الذى استشهد اخوه السيد مرتضى ضمن الشهداء السبع فى طهران واستشهد هو ايضا فى مازندران فيما بعد. فقبض عليهم جميعا واخذ كل ما وجده من الاوراق وأمر الحاج مرزا سيّد على أن يبقى فى منزله وقاد الباقين الى مركز الحكومة . وكان الباب يردّد الآية القرآنية (إن موعدكم الصبح اليس الصبح بقريب) وهو على غاية من الثبات والشجاعة .

وما كاد لرئيس الضبطية يصل الى السوق حتى وجد لفرط دهشته أن أهالى المدينة يهرعون فى كل مكان وهم ذاهلون كانما دهمتهم مصيبة كبرى وانزعج اذ رأى سربا من النعوش ينقل فى الشوارع ويمشى فى كل نعش جمهور كبير من الرجال والنساء وهم يصيحون من الألم والحزن ففزع وارتاع من هذه الضجة والصيحة الفجائية والعويل والوجوه العابثة الوجلة والجلبة الصادرة من الجمهور . فسأل عن سبب هذه الضجة فأخبروه أن الوباء (١) ظهر فجأة هذه الليلة بشدة وأن الناس قد انتابهم هذا الوباء بقوته المهلكة وفى ساعة نصف الليل مات به نحو ماية نفس وارتفع العويل واشتد الخوف فى كل منزل وترك الناس منازلهم وهم يجأرون الى الله أن ينجيهم (٢)

وفزع عبد الحميد خان من هذا الخبر وأسرع إلى منزل حسين خان فأخبره حارس المنزل وهو رجل عجوز بأن أهل المنزل هجروه وأن الوباء قد ضربه وضرب أفراد الاسرة وهلك بسببه جاريتان حبشيتان وخادم والباقى من الأسرة مرضى فى حالة خطرة . ولذلك

(١) الكوليرا

(٢) وقد أشار الباب الى الحادثة فى الدلائل السبعة بقوله (فارجع الى الايام الاولى من الدعوة كم من الناس ماتوا من الكوليرا فهذا أحد معجزات الظهور ولم يفهمها أحد لمدة أربع سنوات عاقب الله الشيعة بهذا البلاء ولم يعلم أحد دلالته.(من كتاب دلائل السبعة ترجمة نقولاس صحيفة ٦١-٦٢)

ترك سيده المنزل وهو يائس . حتى إنه ترك الموتى بدون دفن وهرب مع الباقين من أسرته إلى باغى تخت(١) . فعزم عبد الحميد خان إذ ذاك على أخذ الباب إلى منزله لحفظه هناك حتى تصله أوامر من الحاكم . ولما اقترب من منزله أزعجه صوت النحيب والبكاء من أفراد الأسرة وكان الوباء قد ضرب إبنه وصار على شفا الهلاك ففى حالة يأسه وقع على أقدام الباب وتضرّع اليه باكيا أن ينقذ حياة إبنه وسأله أن يغفر له سابق تعدياته وسيآته وقال للباب وهو ممسك بطرف ردائه (أتضرع اليك بالذى رفعك إلى هذا المقام أن تشفع لى وتدعو لشفاء نجلي ولا تجعله يؤخذ منى وهو فى ريعان شبابه ولا تعاقبه لأجل ذنب اقترفه والده فأني تبت عما فعلته وفى هذه الساعة استعفى من وظيفتى وأتعهد أن لا أقبل بعد اليوم مثل هذه الوظائف ولو مت جوعاً)

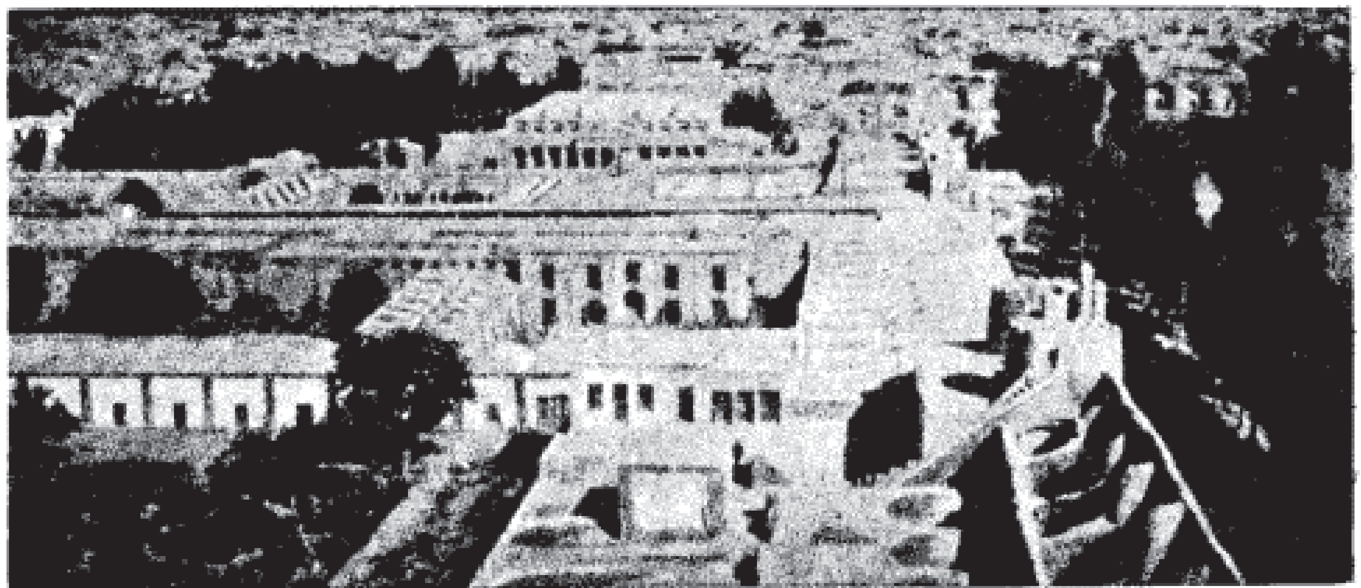
وكان الباب فى ذلك الوقت يتوضأ لصلاة الفجر فأمره أن يأخذ بعضا من الماء الذى يغسل به وجهه ويطلب من نجله أن يشربه فذلك كفيل بنجاته من الموت .

وما كاد عبد الحميد خان يشاهد هذه الآية فى شفاء نجله حتى كتب للحاكم خطابا يعلمه بالأمر ويرجوه أن يترك تهجمه على الباب وقال له أرحم نفسك والذين أولاك الله رعايتهم . فهذا الوباء لو استمر فى سيره المهلك فلا ينجو منه أحد فى آخر الأمر فأجاب حسين خان بأطلاق سراح الباب وإعطائه الحرية ليذهب حيث يشاء(٢) وبمجرد وصول هذه الأخبار لطهران ولفت نظر الشاه اليها صدر أمره بعزل حسين خان من وظيفته وأرسل الأمر بذلك إلى شيراز . ومن وقت عزله وقع ذلك الطاغية أسير المصائب المتنوعة وأصبح فى نهاية أمره غير قادر على كسب معيشته اليومية . ولم يقبل أحد أن ينقذه من ورطته وعندما نفى بهاء الله إلى بغداد أرسل له حسين خان خطابا أظهر فيه التوبة والعزم على التكفير عن سابق سيآته بشرط أن يستعيد وظيفته فلم يجبه بهاء الله إلى شىء وأخيراً وقع فى البؤس والذلة وخمد إلى أن مات .

وأثناء أقامة الباب فى منزل عبد الحميد خان أرسل سيّد كاظم إلى حاجى ميرزا سيّد علىّ أن يأتي لزيارته وأخبره بعزمه على مبارحة شيراز وأوصاه بوالدته وزوجته وأن يخبر كلا بمحبته وبتأييد الله وعونه وقال له وهو يودّعه (أينما تكونوا تحيطكم محبة الله الشاملة وحفظه وسأقابلك مرة أخري فى جبال أذربايجان ومنها أرسلك لتحصل على تاج الشهادة وسأتبعك بنفسى ومعى أحد أصحابى المخلصين ونتقابل فى عالم الأبدية .

(١) حديقة فى ضواحى شيراز

(٢) وتبعا لمقالة سائح (صحفية ١١ ترجمة انجليزية) أفرج حسين خان عن الباب على شرط أن يترك المدينة



صورة أصفهان

الفصل العاشر

في رحلة الباب إلى أصفهان

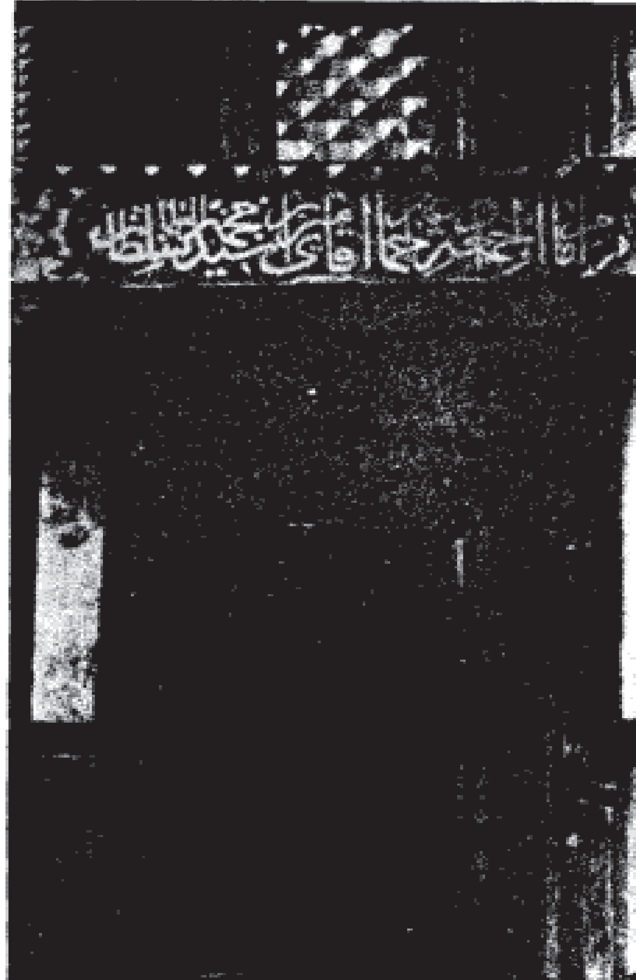
كان صيف سنة ١٢٦٢ هجرية (١) قد أذن بالرحيل إذ ودّع الباب موطنه فى شيراز وسافر إلى إصفهان ورافقه فى سفره سيد كاظم الزنجانى ولما قرب من ضواحى المدينة كتب خطابا الى منوشهرخان معتمد الدولة (٢) والى ذلك الاقليم وطلب اليـه أن يعين له مكان الاقامة . وكان الخطاب الذى تسلم إلى السيد كاظم ناطقا بالاحترام ومحررا ببلاغة جعلت المعتمد يأمر سلطان العلماء إمام الجمعة فى أصفهان (٣) وهو أكبر رجال الدين فى ذلك الاقليم بان يستقبل الباب ويضيفه فى منزله ويظهر له كل ترحاب وإكرام

(١) سنة ١٨٤٦ ميلادية

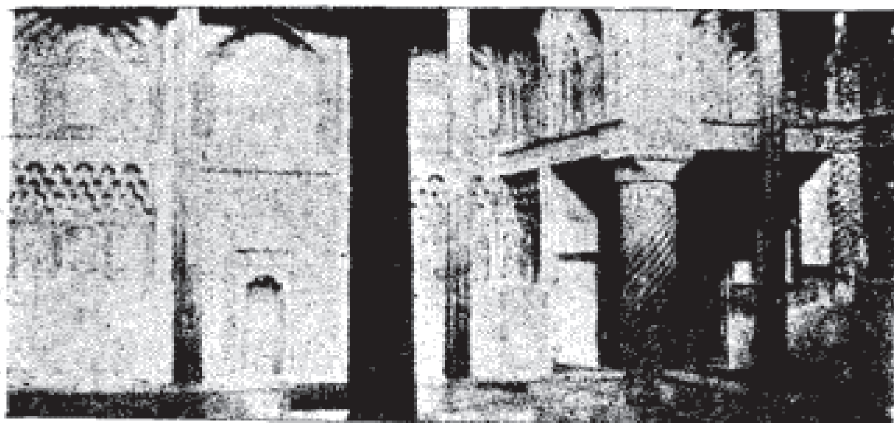
(٢) وكان منوشهرخان رجل نشاط وشجاعة وفى سـنة ١٨٤١ أتم هزيعة القبائل البختيارية التى قامت على الثورة وكانت إدارته النشيطة رغما عن قسوتها قد ضمنت لأهالىأصفهان بعض العدالة(س. ر. ماركهام . نظرة عمومية فى تاريخ إيران صحيفة ٤٨٧)

(٣) وقد ذكر مرزا أبو الفضل فى نسخة خطيه صحيفة ٦٦ أن اسم امام الجمعة كان مير سيد محمد ولقبه سلطان العلماء وأما وظيفة صدر الصدور وهو الرئيس الدينى فى الدولة الصفوية فقد الغاها نادر شاه وحل محله الآن امام الجمعة فى إصفهان فهو الرئيس الدينى لجميع إيران
(من كتاب س.ر. ماركهام . نظرة فى تاريخ ايران صحيفة ٣٦٥)

وزيادة على ذلك أرسل الحاكم لامام الجمعة الخطاب الذى أرسله له الباب . فأمر سلطان العلماء أخاه (الذى تسمى فيما بعد بالرقشاء من قلم بهاء الله نظراً للوحشية التى ظهرت منه فيما بعد) أن يذهب مع بعض رفقائه ليقابل ويحرس الزائر المنتظر إلى باب المدينة وإذ اقترب الباب ذهب إمام الجمعة بنفسه للترحيب به وأدخله منزله بكل احترام .



(المدخل)



الحوش

مناظر منزل امام الجمعة فى إصفهان

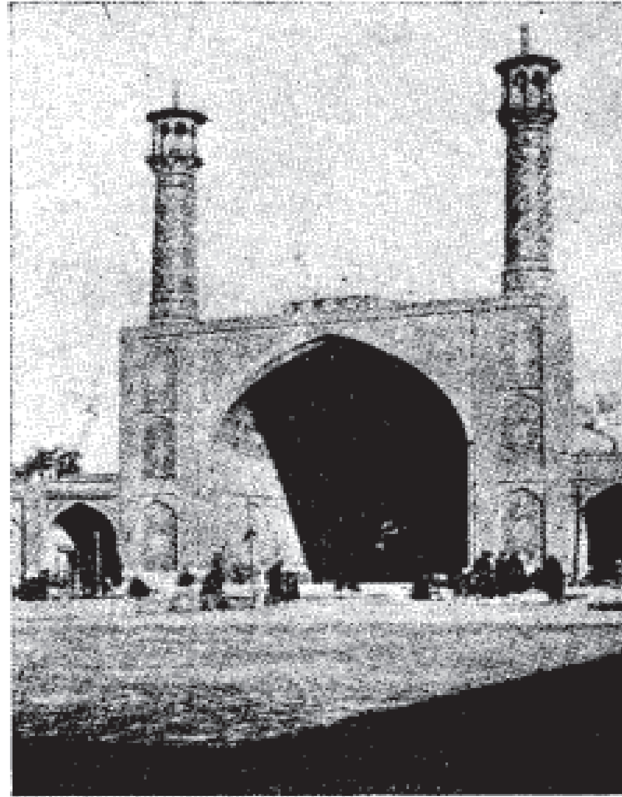
وكان يحف الباب الاحترام والاجلال من جميع الجهات حتى إنه فى يوم جمعة بينما كان راجعاً من الحمام إلى المنزل اجتمع جمهور من الناس يتشاحنون على اقتسام الماء الذى استعمله فى الوضوء وكان المعجبون به المتحمسون له يعتقدون فى طهارتها وقدرتها على شفاء أمراضهم وأسقامهم ووصلت محبة إمام الجمعة من أول ليلة إلى درجة أنه أعد نفسه لخدمة ضيفه المحبوب وقضاء حوائجه بنفسه وكان يمسك بالابريق من يد الخادم ويصب الماء بنفسه على يد الباب متناسيا بالكلية شرف مركزه

وذات ليلة بعد العشاء أخذ إمام الجمعة العجب من صفات وأخلاق ضيفه الشاب ومحاسن أحواله وطلب منه أن يفسّر له صورة والعصر (١) فطلب الباب الورق والقلم وأخذ يكتب بسرعة مدهشة وبدون أدنى تأمل ماطلبه مضيفه وحرّر أمامه تفسيراً جليلا لتلك السورة فكان قريبا من نصف الليل عند ما كان الباب يتلو عليهم المعانى المتعددة التى يدل عليها أول حرف من السورة وهو حرف الواو الذي كان الشيخ أحمد كثيرا مايلفت اليه الأنظار فى كتاباته فكان فى نظر الباب يدل على ابتداء دورة جديدة للدين الالهى وأشار اليه بهاء الله فى الكتاب الأقدس فى مواضع كثيرة كسرّ التنكيس لرمز الرئيس . وابتدأ الباب يتلو أمام مضيفه وأصحابه مناجاة جعلها مقدمة لتفسيره على السّورة . وكانت قوة بيانه قد أدهشت سامعيه الذين سحروا من صوته وقاموا حالا بما فيهم إمام الجمعة وقبلوا طرف ردائه ونطق المّلا محمد تقى الهراتى المجتهد الشهير فجأة بعبارات المدح والثناء وقال حقا إنها لكلمات فريدة لامثيل لها تلك التى صدرت من قلمه فما أظهر هذه القدرة حيث تمكن فى وقت قصير أن يجرى من فمه عدداً كبيراً من الآيات مما يعادل ربع أو ثلث القرآن ببلاغة تامة فهذا مالا يقدر أي إنسان أن يعمله من نفسه بدون تأييد الهى فلا انشقاق القمر ولا تسبيح الحصى يضاهى عظمة هذا العمل

ولما زادت شهرة الباب انتشاراً فى جميع أنحاء مدينة أصفهان حضر لزيارته جم غفير من الزوار من كل مكان بمنزل إمام الجمعة وكان بعضهم يحضر على سبيل التفرج والبعض الآخر لمعرفة الحقائق الدينية وكثيرون حضروا طلبا للشفاء من الأمراض والآلام .

(١) قرآن ١٠٣

وجاء المعتمد نفسه ذات مرة لزيارة الباب وبينما كان جالسا وسط أشهر علماء أصفهان طلب منه بيانا عن صحة النبوة الخاصة وكذلك طلب من الحاضرين أن يظهروا البراهين والحجج على صحة معتقدهم المذكور ليكون ذلك دليلا كافيا لكل من ينكره . فلم يقدر أحد من الحاضرين على إجابة هذا الطلب ولكن الباب قال له (هل تريد أن يكون الرد كتابة أم شفاها على سؤالك) فقال له (بل أريد رداً كتابياً ويكون بحيث لايقنع فقط الذين هم حاضرون فى هذا المجلس بل يكون معلما ومهذبا للأجيال الحاضرة والمستقبلة فأخذ الباب قلمه وشرع فى الكتابة وفى أقل من ساعتين ملأ اكثر من خمسين صحيفة ببحث مستفيض عن أصل وكيفية تأثير الاسلام الشامل وكانت قوة عباراته وسلاستها



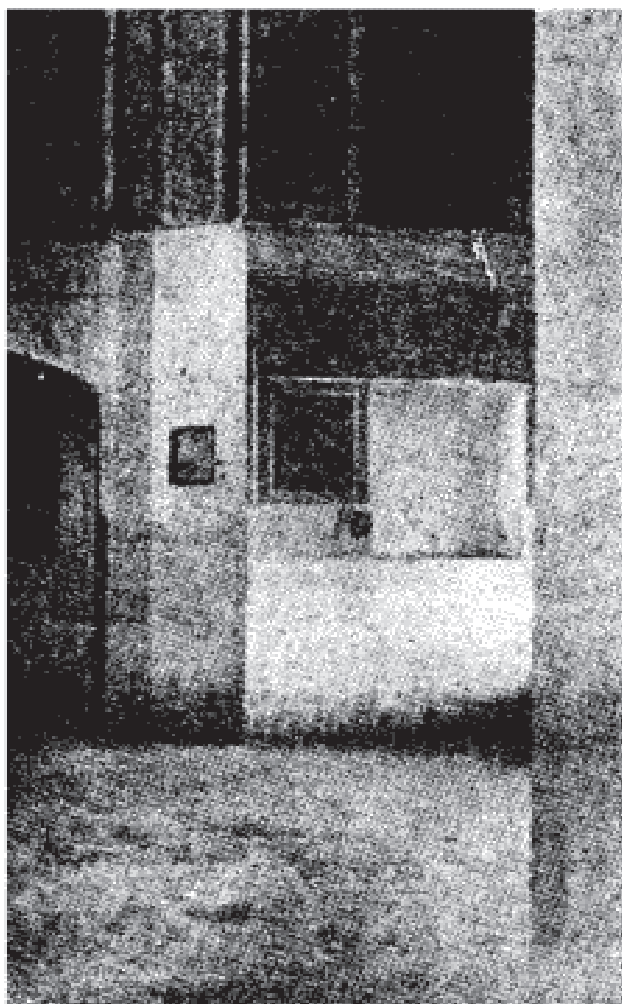


صورة مناظر مسجد الجمعة فى أصفهان والمنبر الذى صلى أمامه الباب

ومتانتها ودقة جميع تفاصيلها قدطبعت الموضوع الذى يعالجه بطابع الامتياز الذى لم يغب عن ذهن أحد من الحاضرين . وبموهبته وقدرته الفائقة ربط هذه الفكرة الرئيسية فى الفصول الأخيرة بحادثة ظهور القائم الموعود ورجعة الامام الحسين المنتظر وفى كتابته أدلى بالحجج القوية بشجاعة تامة حتى أن المستمعين لتلاوة الآيات أخذتهم الدهشة من عظمة وحيه ولم يجرأ أحد أن ينبس بأقل اعتراض فضلا عن أن يرد علينا على شىء من عباراته ولم يقدر المعتمد أن يخفى حماسه وسروره وصاح قائلا (اسمعوا إنى لم أكن الى هذا اليوم أعتقد بقلبي اعتقاداً جازماً بصحة الاسلام ولكنى الآن أعترف بأنى صرت مؤمناً حقاً بالدين الذى جاء به رسول الله وذلك من أثر بيانات هذا الشاب والحمد لله وانى أشهد بالقوة الخارجة عن طاقة البشر التى يتحلى بها هذا الشاب تلك القوة التى لايقدر أى تعليم أرضى أن يهبها لأحد) وبهذه الكلمات انتهى الاجتماع

وسبّبت شهرة الباب الآخذة فى الازدياد حقد الرؤساء الدينيين فى إصفهان فنظروا بعين الحسد والقلق إلى المقام الرفيع الذى وصل اليه شاب غير متعلم والعظمة التى حصل عليها فى أعين أتباعه تدريجا وقد تيقنوا أنهم إن لم يقوموا على صد تيار الحماس فان أساس وجودهم ينهار ورأى قليل من عقلائهم أن الأوفق هو الامتناع عن أعمال العداء لشخص الباب أو للتعاليم لأنهم شعروا أن مثل هذه الأعمال لاتفيد إلا فى إعلاء شأنه وتثبيت مقامه . وكان الاشرار يروجون الاشاعات بتقارير كاذبة عن كيفية دعوة الباب . وكانت هذه التقارير تصل الى طهران وتعرض على الحاجى ميرزا آقاسى رئيس وزراء محمد شاه وظن هذا الوزير المتعجرف المتغطرس أن من الممكن أن يميل الشاه ذات يوم الى محبة الباب وذلك يؤول طبعاً الى سقوطه وكذلك خشى الحاجى المذكور أن يرتب المعتمد مجلسا يجمع فيه الباب مع الشاه لأن المعتمد المذكور يتمتع بثقة الشاه وتيقن الحاجي بأنه لو تم هذا الاجتماع فان ذلك المذهب الجديد يأخذ بلب الشاه ويستحوذ على قلبه الرقيق بجاذبيته ومافيه من تجديد . ولما تمكنت منه هذه الهواجس أرسل الى امام الجمعة خطابا شديداً وبخه فيه على إهماله العظيم فى حراسة مصالح الاسلام . وكتب اليه قائلا (كنا ننتظر منك أن تقاوم بكل جهدك كل أمر يتعارض مع مصالح الحكومة وشعب البلاد

ولـكن يظهر أنك صاحبت بل عظمت مؤسس هـذه الحركة المظلمة المزرية) ثم كتب أيضا جملة كتابات مشجعة الى علماء اصفهان الذين كان يتجاهلهم قبل ذلك وأصـبحوا إذ ذاك موضع عنايته ومع أن امام الجمعة أبي أن ينتقص شيئا من احترامه وإجلاله للباب فانه بسبب لهجة الرسالة التي وصلته من الوزير الـكبير أصـدر الأوامر الى أقرانه بأن





مناظر منزل معتمد الدولة فى أصفهان

يبحثوا عن وسيلة لتقليل العدد المتزايد من الزوار الذين يقصـدون الاجتماع بالباب يومياً وأخذ محمد مهدى المدعو صفى العلماء ابن المرحوم الحاج كلابسى فى سبّ البـاب على المنبر بألفاظ قبيحة إرضاء لرغبة حاجي ميرزا آقاسى لينال عنده الحظوة .

ولما علم المعتمد بهذه الترتيبات أرسل الى إمام الجمعة يذكره بزيارته للباب ويطلب منه حضوره مع مضيفه لمنزله .وكذلك دعا المعتمد كلا من الحاجى أسدالله ابن المرحوم حاجى سيد محمد باقر الرشتى والحاجى محمد جعفر آبادى ومحمد مهدى ومرزاحسن نورى وغيرهم لحضور الاجتماع .أما الحاجى سيد أسد الله فقد رفض قبول الدعوة واجتهد فى منع المدعوين الآخرين من حضور هذا الاجتماع قائلا (إنى اعتذرت وأطلب منكم بالحاح أن تفعلوا مثلى وإنى لا أرى من الحـكمة أن تقابلوا السيد على محمد الباب وجهاً لوجه لأنه سوف يؤيد دعوته بالحجة ويظهر لـكم كلما تطلبونه من البراهين وبدون أدنى تأمل يتلو عليكم آيات عديدة تربو على نصف القرآن ليؤيد بها دعوته وأخيراً يباهلـكم بقوله (فأتوا بمثلها إن كنتم صادقين) فلا يمكننا والحالة هذه أن نقاومه وإذا امتنعنا عن إجابته فان ذلك يظهر عجزنا وإذا خضعنا لدعوته فاننا لانخسر فقط شهرتنا وامتيازاتنا وحقوقنا بل أيضـــاً نلتزم بقبول كل مايدعيه فى المستقبل .

فاستمع حاج محمد جعفر لهذه النصيحة وعدل عن قبول الدعوة أما محمد مهدى وميرزا حسن نورى وغيرهما فحضروا فى الموعد المعين فى منزل المعتمد واحتقروا مثل هذا النصح وفى هذا الاجتماع طلب الميرزا حسن (وهو من مشاهير الأفلاطونية) من الباب أن يفسر بعض القواعد الفلسفية المتعلقة بالعرشية للملاّ صدرا (١) والتى لا يفقه معانيها إلا القليـل فأجابه الباب بعبارة سهلة على كل سؤال (٢) بطريقة خالية عن الاصطلاحات .

(١) أنظر الحاشية ك من كتاب مقاله سائح وجوبينو صحيفة ٦٥ — ٧٣

(٢) وإذ كان الميرزا محمد حسن متشبعاً بعقيدة الملا صدرا الفلسفية سأل الباب (حسنا إذا كنت أنت محمد ففسر لنا ثلاث عجائب تـكفى للاقناع (الأولى) طى الأرض أى نقل شخص من مكان معين إلى آخر يكون غاية فى البعد والشيعة يعتقدون أن الامام الثالث جواد كان يفضل هذه الطريقة السهلة فى الأسفار فنى غمضة عين يسافر من المدينة فى بلاد العرب إلى طوس فى خراسان (الثانية) حضور شخص معين فى وقت واحد فى جلة أماكنَ مختلفة كما كان على يحضر ضيفاً على ستين شخص مختلفين

فعرف الميرزا حسن تفوق أجوبة ذلك الشاب على المعارف الأفلاطونية والارسطية ومقدار الفرق العظيم بين الاثنين ولو أنه لم يستوعب ذكر المعانى كلها فى أجوبته . أما محمد مهدى فسأل الباب بدوره عن بعض النظريات فى الفقه الاسلامى ولما لم تقنعه الاجابة ابتدأ يشاغب الباب فأسكته المعتمد وقطع الحديث وطلب من أحد أتباعه أن يشعل مصباحا ويقود محمد مهدى إلى منزله ثم أسرّ المعتمد إلى إمام الجمعة قائلا (إنى أخاف من تدابير أعداء السيد الباب وقد أمر الشاه باحضاره إلى طهران وإنى مضطر أن أعمل الترتيبات لأرساله وأرى أن يمكث فى منزلى حتى يحين الوقت لمغادرته مدينتنا فوافقه إمام الجمعة على ذلك وعاد إلى منزله منفرداً)

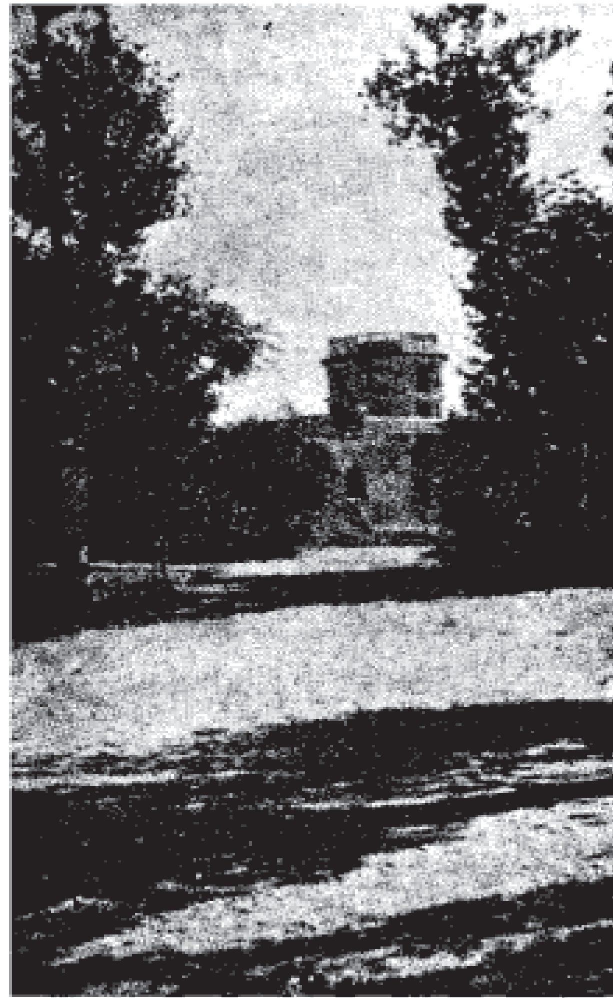
ومكث الباب أربعين يوما فى منزل إمام الجمعة . وكان فى أثنائها الملاّ محمد تقى الهراتى يترجم رسالة الباب المسماة فروع العدلية من اللغة العربية إلى الفارسية بأذن منه ولكنه حبط عمله أخيراً وانقطع عن المؤمنين واستولى عليه الخوف فجأة .

وقبل انتقال الباب إلى منزل المعتمد كان الميرزا إبراهيم وهو والد سلطان الشهداء وأخ ميرزا محمدعلى النهرى الاكبر قدعا الباب لوليمة عنده ذات ليلة فى منزله وكان الميرزا إبراهيم صديقاً حميماً لأمام الجمعة ويقوم بكل طلباته وأعماله . وكانت المائدة التى أعدت للباب فى تلك الليلة من أفخر الموائد ولم يسبق لهامثيل من جميع الموظفين ولامن الأعيان فى العظمة والفخامة وكان سلطان الشهداء وأخوه محبوب الشهداء يخدمان على المائدة وهما طفلان من سن العشرة والاحدى عشر سنة ويرعاهما الباب بعنايته . وفى تلك الليلة أثناء تناول الطعام طلب الميرزا إبراهيم من الباب قائلا : إن أخى ميرزا محمد على ليس له إبن فأرجوك أن تهبه مرغوب فؤاده : فأخذ الباب بعضاً من الطعام ووضعه بيده فى صحن وطلب منه أن يعطيه لميرزا محمد على وزوجته وأن يتقاسماه فيتم لهما مرادهما .

(الثالثة) ما ورد فى الحديث بان السماء تدور بسرعة أثناء حكم الظالم وأما أثناء حكم الأمام تدور ببطء فكيف يكون للسماء حركتان أحداهما سريعة والأخرى بطيئة وكيف كانت حركتها أيام بنى أمية والعباسيين فهذه هى الاسئلة التى وضعت أمام الباب ولا أعلق عليها كثيراً ولكنها تدل على مقدار سخافة اعتقادات علماء ايران وأن العلم عندهم كان يرتكز مدة ألف سنة على مثل هذه الأوهام ومهما يكن من الأمر فان الاجتماع فض باعلان ميعاد الغذاء واستعداد كل شخص بالرجوع إلى منزله (من كتاب نقولاس المسمى السيد على محمد الباب (صحيفه ٢٣٩ — ٢٤٠)

وحصل فعلا بسبب اقتسامهما المأكول الذى اختاره الباب أن حملت زوجة الميرزا محمد على وولدت بنتاً اقترنت فيما بعد بالغصن الأعظم (١) وكان هذا القران منتهى آمالها . وأثارت

(١) اشارة إلى زواج منيرة خانم بعبد البهاء



منظر عمارة خورشيد فى أصفهان



منظر خرائب الجانب الذى كان يسكنه الباب



منوشهر خان معتمد الدولة

منذه التبجيلات والاحترامات الموجهة نحو الباب عداوة علماء اصفهان الذين رأوا أن تأثيره النافذ قد اخترق معاقل الديانة وهدم تأسيساتهم فقرروا فيما بينهم عقد اجتماع وفيه حرروا خطابا ختموه من جميع الرؤساء الدينيين فى تلك المدينة وحكموا فيه على الباب بالاعدام (١) . ووافقوا جميعا على هذا الحكم عدا الحاج سيد أسد الله والحاج محمد جعفر أبادى فانهما رفضا أن يوقعا على هذه الفتوى الواضحة الخطأ . وأما إمام الجمعة فمع امتناعه عن امضاء حكم الاعدام فانه كتب إقرارا بخط يده على الفتوى بسبب شدة خوفه وطمعه كالآتي (أشهد انى فى مدة صحبتى مع هذا الشاب لم أجد أنه صدر منه أى عمل يناقض أحكام الأسلام وبالعكس لم أر منه إلا التقوى وانه شديد التمسك بأحكامه ولكن تغاليه فى الادعاء واحتقاره لأمور هذا العالم تجعلنى أعتقد أنه خال من العقل والحجى .)

ولما علم المعتمد بالحكم الصادر من علماء إصفهان رتب حملة لالغاء تأثير هذه الفتوى القاسية فأصدر أوامره بقيام الباب من إصفهان محروسا بخمسمائة من الخيالة ليتوجه فى غروب الشمس الى جهة طهران . ثم أصدر الأوامر المشددة على أن يعود فى كل فرسخ مائة من الخيالة الى اصفهان وأسرّ الى قائد المائة الأخيرة وهو رجل يثق به أن يعيد ٢٠ نفر من الخيالة من المائة الباقية بعد كل ميدان ومن العشرين الباقية يرسل عشرة منهم إلى أردستان لتحصيل الضرائب ثم يعود بطريق آخر غير مطروق مع العشرة الباقية من رجاله الموثوق بهم الى اصفهان خفية . ويعدلوا سيرهم بطريقة أنهم يعودون بالباب إلى اصفهان (٢) قبل الفجر فى اليوم التالى ويسلموه له

(١) وتبعاً لمرزا أبو الفضل كان عدد العلماء والاعيان الذين حكموا على الباب أنه كان مرتداً يستحق الاعدام يقرب من السبعين

(٢) وفى كتاب مقالة سائح (صحيفة ١٢) أن المعتمد أعطى أوامره السرية أنه عند وصول الباب الى مورشه خار (وهي المحطة الثانية من الطريق من اصفهان الى الشمال تبعد نحو ٣٥ ميلا) يعود الى اصفهان

وقد نفّذت فعلا هذه الطريقة . وعاد الباب فى ساعة غير منظورة الى المدينة وأوصلوه الى مخدع المعتمد الخاص المسمى بعمارة خورشيد (١) ودخل اليه من مدخل خاص به الى غرفته الخصوصية . وكان الحاكم المذكور يتولى أمر الباب بنفسه ويقوم على خدمة طعامه وما يلزم لراحته واطمئنانه (٢) .

وفى هذه الاثناء كثرت التقولات والظنون بخصوص سفر الباب الى طهران والمتاعب التى سوف يلاقيها فى طريقه اليها والحكم الذى يصدر عليه والعقاب الذى ينتظر توقيعه عليه وكانت هذه الاراجيف قد أحزنت اتباعه المقيمين فى اصفهان حزناً عميقاً . وكان المعتمد عالما بحزنهم وشوقهم وتوسط عند الباب لاجلهم ورجاه أن يسمح باحضارهم عنده فكتب الباب بعض أسطر الى ملاّ عبد الكريم قزوينى الذى كان مقيما فى مدرسة نيم آورد وطلب من المعتمد ايصالها اليه مع رسول أمين .

وبعد ساعة حضر عبد الكريم وأدخل توّاً الى الباب وعند حضوره لم يعلم أحد به سوى المعتمد نفسه . واستلم من سيده بعض مكاتيب وأمره أن ينسخها بمعونة السيد حسين يزدى والشيخ حسن الزنوزى وقفل عبد الكريم راجعا اليهم يحمل خبر الباب السار وسلامته ولم يسمح لجميع الاحباء المقيمين فى اصفهان إلا لهؤلاء الثلاثة أن يروه وذات يوم أثناء جلوس الباب فى حديقته الخاصة داخل حوش المنزل توجه المعتمد الى ضيفه وخاطبه بثقة قائلا (ان الذات العلية قد وهبتنى أموالا عظيمة (٣) ولا أعلم كيف أصرفها على أحسن وجه والآن الحمد لله قد وصلت الى معرفة حقيقة هذا الظهور ولى رغبة شديدة فى أن أخصص كل ممتلكاتى للصرف منها على شئون هذا الامر ولاعلاء صيته ولى رغبة أن أسافر باذنك الى طهران وأعمل

(١) وهذه الغرفة التى لم يكن لها أبواب ولا حدود ظاهرة هى اليوم أعلا غرف الجنان لان فيها يقطن سدرة الحق وسوف يقولون أن كل ذرات هذه الغرفة تغنى حقا إننى أنا الله لا إله الا أنا الحاكم على كل شىء وهى تغنى بذلك من أعلا غرفات الارض كلها حتى التى تزينت بالمرايا وتحلت بالذهب . فاذا قطن فى احداها سدرة الحق فجميع ذرات مراياها تغنى بهذا القول . كما غنت وتغنى ذرات مرايا قصر الصدر لانه كان فى أيام الصاد (اصفهان) يقطن فيها (من البيان الفارسى جزء أول صحيفة ١٢٨)

(٢) وفى مقالة سائح ان الباب مكث فى ذلك المنزل مدة أربعة أشهر (صحيفة ١٣)

(٣) فى ٤ مارس سنة ١٨٤٧ كتب المسيو بونيير الى وزير خارجية فرنسا بان معتمد الدولة حاكم اصفهان توفى وترك ثروة تقدر بمبلغ ٤٠ مليون فرنك (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٤٢ مذكرة ١٩٢)

جهدي حتى يعتنق محمدشاه هذا الأمر وهو شديد الثقة بي وثقته بي لا تتزعزع وإني متأكد أنه سيقبل الدعوة ويقوم على ترويجها شرقاً وغرباً . وسأجتهد أن أقنع الشاه أن يطرد الحاجي مرزا آقاسي الفاسق الذي جعل البلاد تشرف على الخراب بسوء إدارته . وسوف أجتهد أن أحصل لك على يد إحدى أخوات الشاه وانفذ مراسيم الزواج بنفسي . وفي نهاية الأمر أرجو أن أكون قادراً على أن أميل قلب حكام وملوك الأرض إلى هذا الأمر العجيب وأن أقضي على كل أثر باق من هذه الهيئات الدينيـة التي لطخت إسم الاسلام) فأجابه الباب قائلاً (جازاك الله على مقاصدك النبيلة فأن مثل هذا الغرض السامي أثمن من الفعل نفسه ولـكن أيامك وأيامي في هذه الدنيا محدودة وهي أقصر من أن تمكنني أن أشاهد أثرها أو أن تسمح لك أن تعمل على تحقيق آمالك فلا يتم الله القدير نصرة أمره بالطرق التي تتصورها ونحبها بل بواسطة المساكين والمستضعفين وبالدماء التي تسفك في سبيله يحقق القدير أمره ويحفظه ويصونه . ويضع لك الله في العالم الآتي إكليل الفخر الأبدي وينثر عليك بركاته التي لا تحصى . وقد بقي لك الآن في الحياة الدنيا ثلاثة أشهر وتسعة أيام فقط وبعدها تعود بإيمانك ويقينك إلى المسكن الأبدي) . ففرح المعتمد بهذه الـكلمات وأسلم الأمر لارادة الله وابتدأ يستعـد للفراق الذي أنبأه به الباب بوضوح تام . وكتب وصيته وأنهى أشغاله الخصوصيـة وأوصى بأمواله للباب . وبعد وفاته استولى ابن عمه جرجين خان الخائن على أمواله وتجاهل وصيته ومزقها محتقراً رغباته .

وكان المعتمـد في أيامه الأخيرة دائم الحضور مع الباب وفي ساعات اجتماعه معه كان يزداد يقيناً وعلماً بطبيعة الروح التي أحيت إيمانه . وذات يوم قال للباب (بما أن أجلي قد دنا فاني أشعر بفرح لا يوصف ولـكني أفكر فيك وأرتجف إذ أعـلم أني سأفارقك وأتركك لتقدير وارث قاس مثل جرجين خان فانه سيكشف أمر وجودك في هذا المنزل وأخاف عليك أن يؤذيك إيذاء بليغاً فاجابه الباب (لا تخف أني أسلمت أمري إلى الله وعليه توكلت ولقد منّ عليّ بقوة من عنـده بحيث لو أرغب أقلب هذه الأحجار إلى جواهر مما لا عدل لها وأثبت في قلب أشقى المجرمين أعلا أشكال الاستقامة والاخلاص لاقدر ولـكني أخترت بنفسي أن أعذب بيـد أعدائي حتى يقضي الله أمراً

كان مفعولا) وكلما مرت تلك الساعات السعيدة كان قلب المعتمد يمتلىء باخلاص خارج عن ارادته وبازدياد شعور التقرب إلى الله وزالت من نظره أبهة العالم وأذنت زينته بالزوال إذ رأى مواجهة الحقائق الأبدية المخزونة فى أمر الباب وشاهد جماله وعزته وبركاته التى لا حد لها كلها وهى تنمو بجلاء أمام عينيه كما تحقق من غرور الأطماع الأرضية وعجز القوة البشرية واستمر على تأمل هذه الأفكار فى قلبه حتى إنتابته حمى طفيفة لم تمكث سوى ليلة واحدة وانتهت بذلك حياته فجأة وطار إلى العالم الأبدى وهو مطمئن . (١)

ولما كانت حياة المعتمد قد قربت على الانتهاء دعا الباب لحضوره كلاً من السيد حسين يزدى وملاّ عبد الكريم وأخبرهما بما تنبأ به لمضيفه وأمرهما أن يخبرا به المؤمنين المجتمعين فى تلك المدينة وأن ينتشروا فى كاشان وقم وطهران وينتظروا مايقضى به الله ويختاره

وبعد قليل من وفاة المعتمد علم جورجين خان من أحد المطلعين (٢) بمقر الباب الحالى فى عمارة خورشيد وبالانعامات التى أعطاها سلفه لصديقه فى خاصة منزله وعلم ذلك من بعض من كان مطلعاً على سرّ الاحتياطات التى عملها سلفه لحماية الباب وعند ذلك أرسل رسولا إلى طهران ليسلّم الرسالة الآتية إلى محمد شاه بنفسه (كان من المعتقد فى اصفهان منذ أربعة أشهر أن معتمد الدوله سلفى قد أرسل السيّد الباب إلى مقر الحكومة الملكية بناء على طلب جلالتكم وقد ظهر أن هذا السيّد قاطن الآن فى عمارة خورشيد التى هى مقر معتمد الدولة الخاص . وأتضح أن سلفى قد أكرم السّيد الباب فى ضيافته واجتهد فى اخفاء تلك الحراسة عن الناس وعن الموظفين فى المدينة فمها يرى الآن جلالة الملك فانى أقوم حالا على تنفيذه بنفسي

ولما كان الشاه كبير الثقة فى المعتمد علم أن رغبة الحاكم الاكيدة كانت فى انتهاز الفرصة لترتيب اجتماع بينه وبين الباب وأن منيّته عاجلته وحالت دون تنفيذ ذلك فأصدر

وذكر المستر براون فى مقالة سائح ص ٢٧٧ مذكرة (ل) ان وفاته حصلت فى شهر ربيع أول سنة ١٢٦٣ هجرية (فبراير مارس سنة ١٨٤٧)

(٢) وكان ابن خال المعتمد كما ذكر فى مقالة سائح صحيفة ١٣

أمراً ملكيا بدعوة الباب الى تخت المملكة وفى خطابه الى جرجين خان أمره أن يرسل الباب فى الخفاء بصحبة حرس من الخيالة (١) تحت رياسة محمد بك شابرشي من فرقة (٢) العلى اللهين الى طهران وأن يظهرله منتهى الاعتبار أثناء سفره وأن يبقى أمر رحلته سراً مكنوماً (٣)

فذهب جورجين خان توآً الى الباب وسلم الخطاب الصادر من الشاه ودعا محمد بك وأظهر له رغبة الشاه وأمره بالاستعداد للرحيل . وحذره قائلاً (احترس لئلا يطلع أحد على شخصيته أو يشتبه فيه . ولا تجعل أحداً خلافك يعرف شخصيته حتى ولا حراسه وإذا سألك أحد عنه فقل له أنه تاجر مطلوب لتخت المملكة ولا نعلم حقيقته) . وبعد نصف الليل قام الباب بالارتحال من المدينة الى جهة طهران تبعاً للأوامر الصادرة

(١) وفى مقالة سائح صحيفة ١٤ أن الحرس كانوا من النصيرية .

(٢) شابرشي معناها صاحب البريد .

(٣) وصدر منه ذلك الأمر متناسبا أنه سبق أن أصدر أمره بقتل ذلك المصلح ونظراً لتشتت أهوائه ظهرت منه الرغبة فى رؤية ذلك الشخص الذى دارت حوله أحاديث كثيرة . ولذلك أمر جورجين خان أن يرسله الى طهران (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٤٢)



منظر كاشان

الفصل الحادي عشر

في مكث الباب في كاشان

وفى مساء اليوم الذى وصل فيه الباب الى كاشان كان الحاجى ميرزا جانى المشهور بپريا وهو من مشاهير سكان تلك المدينـة قد رأى فى رؤيا الليل كأنه واقف عصراً فى ساعة متأخرة على باب من أبواب المدينة يدعى بباب العطار إذ رأى فجأة الباب راكباً جواده وعلى رأسه كلاه (وهو قلنسوة يلبسها عادة التجار) بدلا مما عهد فيه من لبس العمامة وكان فى حراسته من الامام والخلف عدد من الخيـالة وإذ اقترب سلم عليه الباب قائلا سوف نكون ضيوفا عليك مدة ثلاث ليالى فاستعد للقائنا .

وإذا استيقظ شعر من قوة رؤياه أنها حقيقية وأنها قد جاءته على غير انتظار بمثـابة إنذار رأى من الواجب الالتفات اليه وملاحظته فأخذ توآ فى إعداد منزله لنزول ضيفه وإحضار كل مايلزم لراحته . وبعد أن أعدّ الترتيبات للوليمة التى عزم على تقديمها للباب فى تلك الليلة ذهب الحاج مرزا جاني الى باب العطار وانتظرهناك مجيء الباب فى الساعة المعينة بينما كان يمعن النظر فى الأفق عاين على بعـد هيئة خيالة حاضرة نحو باب المدينة ولما أسرع للقائهم عرف الباب وهو محاط بحرسه وهم بنفس الملابس والهيئة التى رآهم بها فى الرؤيا فاقترب منه الحاج مرزا جانى بفرح وانحنى ليقبل الركاب فمنعه الباب وقال سنكون ضيوفك مدة ثلاث ليالى . وغداً هو يوم النيروز فسنحتفل به سوياً فى منزلك وكان محمد بك رئيس الحرس ممتطياً جواده بجانب الباب فظن أنه صديق حميم له فالتفت

اليه وقال (أنا مستعد لتنفيذ كل ما يأمر به السيد الباب ولكنى أطلب منك أن تطلب من زميلي الذى يشاركنى فى الحراسة الى طهران الموافقة على ذلك) فعرض الحاج ميرزا جانى هذا الطلب على زميله ولكنه قوبل بالرفض التام وقال له الزميل (انى أمرت بكل تأكيد أن لا أدع هذا الشاب يدخل أى مدينة حتى يصل الى تخت المملكة وقد أمرت خصيصا أن أقضى الليلة خارجا من المدينة وأن أقطع السير عند غروب الشمس وأصله عند الفجر ولا أقدر أن أترك الأوامر الصادرة الىّ فى هذا الخصوص)وتسبب عن ذلك جدال انتهى



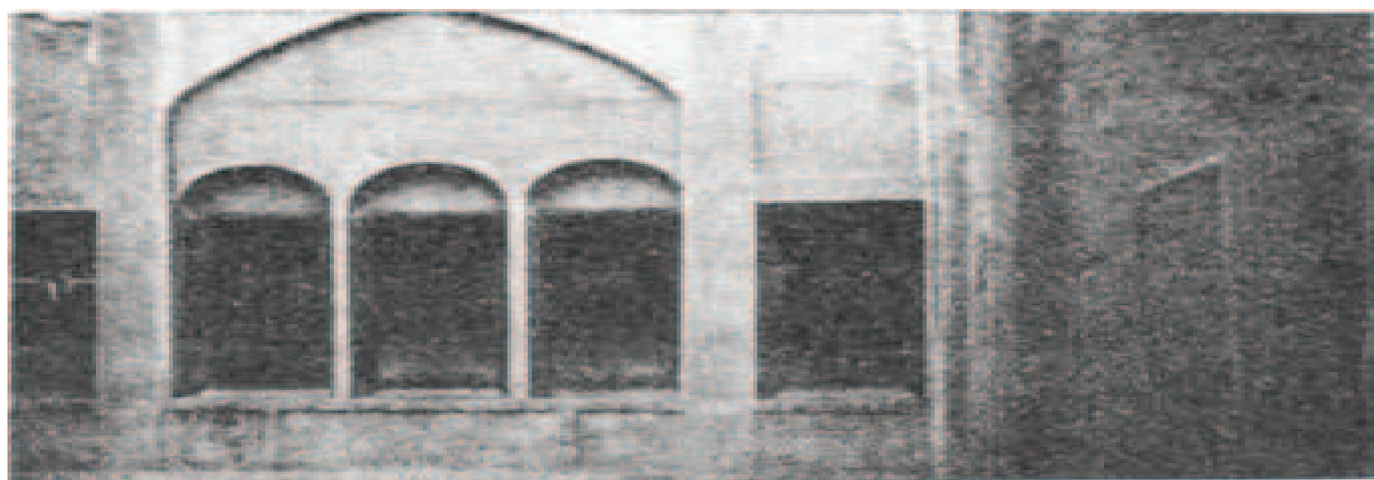

باب العطار فى كاشان

لمصلحة محمد بيك الذى نجح فى إقناع زميله فى ترك الباب لحراسة حاجى مرزا جانى وتفاهما على أنه فى اليوم الثالث صباحا يعيد ضيفه اليهم . وعزم الحاج ميرزا جانى على ضيافة جميع الحرس ولكن الباب أمره أن يترك ذلك العزم قائلا (لا يذهب معك أحد خلافى الى المنزل) فطلب الحاج جاني أن يدفع مصاريف بقاء الخيالة مدة هذه الثلاث ليالى أيام فى كاشان ولكن الباب قال له (هذا غير ضروري ولولا إرادتى ما كان يمكن إقناعهم بأن يسلمونى اليك فكل شىء موكول إلى قبضة قدرته ولا يستحيل عليه شىء فهو يزيل كل صعوبة

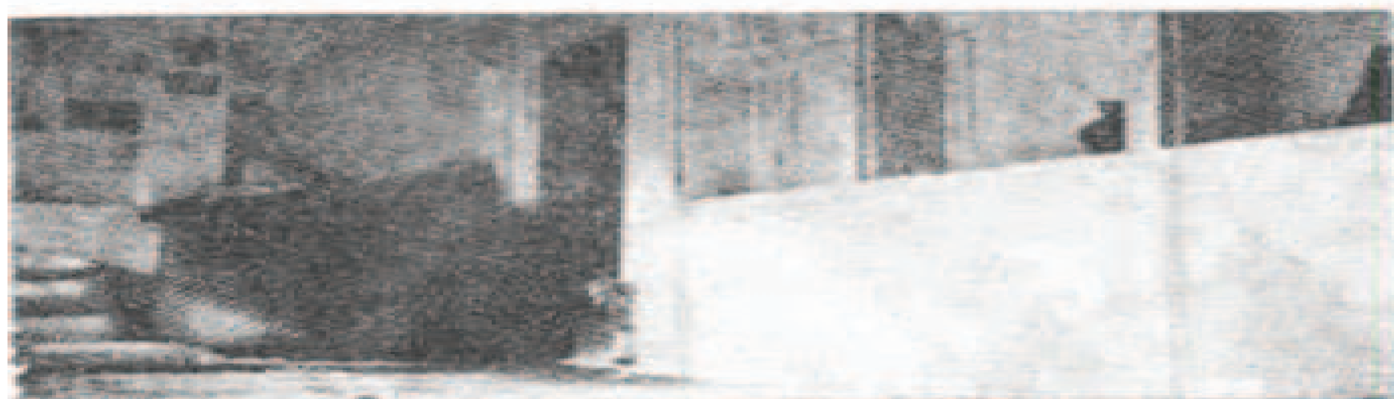
ويتغلب على كل الموانع .) وذهبت جماعة الخيالة الى خان فى جوارباب المدينة وأما محمد بيك فاتباعا لأوامر الباب رافقه حتى قربوا من منزل حاجى ميرزا جانى ثم رجع بعد أن علم بمكان المنزل واجتمع مع أقرانه وكان وصول الباب المنزل المـذكور فى مساء اليوم السابق للنيروز الثالث من وقت إعلان الدعوة وهو يوافق اليوم الثانى من شهر ربيع الثـانى سنة ١٢٦٣ هجرية) وفى تلك الليلة كان السيد حسين يزدى الذى أمره الباب بالتوجه إلى كاشان مدعوا فى منزل الحاجى مرزا جانى وتشرف بمقـابلة سيده وبينما كان الباب يمليه لوحا تشريفا لمضيفه اذ وصل شخص من أصحاب الحاج وهو السيد عبدالباقى الذى اشتهر فى كاشان بعلمه فدعاه الباب للدخول وصرح له بسماع الايات التى كان يتلوها ولـكنه لم يكشف له عن شخصيته وفى ختام اللوح الذى نزل بأسم الحاج ميرزا جانى دعا له وتضرع إلى الله القادر أن ينير قلبه بنور المعرفة الالهية وأن يطلق لسانه لخـدمة الأمر وإعلاء شأنه . ومع أن ميرزا جاني لم يتعلم فى مدرسة ولم يتضلع فى العلوم والمعارف فانه تمـكن بهذا الدعاء أن يؤثر باقواله على أعظم علماء كاشان . ووهبت له القوة على اسكات كل مدّع يجادل فى أحكام دينه . حتى إن الطاغية العاتي ملاّ جعفر نراقى كان غير قادر أن يقاوم حجته رغم فصاحته التامة واضطر للاعتراف بمزايا أمر مجادله ولو أنه فى قلبه لم يقبل أن يعتقد بصحة الدعوة .

وكان السيد عبد الباقى جالسا يستمع للباب ويلاحظ حركاته وينظر إلى هيئة وجهه وجريان كلماته بلا انقطاع ولـكنه لم يتحرك بقوتها وعظمتها وبقى محجوبا فى حجاب علمه وجموده ولم تـكن عنده قدرة على فهم معانى كلمات الباب حتى إنه لم يشأ أن يسأل عن اسم أو صفة الضيف الذى رآه ولما لم يتحرك مما سمعه ورآه خرج من عنده وهو غير عالم بالفرصة النادرة التى اضاعها بسبب جموده إلا أنه لما أدرك ذلك بعد بضعة أيام وعلم بأسم ذلك الشاب الذى قابله بعدم الاعتناء امتلأ قلبه حزنا وأسفا ولم تتح له الفرصة مرة ثانية لمقابلته ليعتذر عن سلوكه لان الباب كان قد سافر من كاشان ومن شدة حزنه على فوات الفرصة التى لاتعوض اعتزل جميع معارفه ومكث إلى آخر أيامه منقطعا عن الجميع حتى توفى

ومن بين الذين تشرفوا بمقابلة الباب فى منزل حاجى مرزا جاني شخص يدعي مهدى







مناظر منزل حاجي مرزاجاني في كاشان
ومنها الغرفة التي تزل بها الباب

وكان نصيبه فيما بعد الاستشهاد فى طهران سنة ١٢٦٨ هجريه (١) وكان معه آخرون فى ضيافة مرزا جانى مدة الثلاث ليالى وكان الميرزاجاني قد اكسبه رضاء ومدح مولاه بسبب كرمه وما أظهره من المحبة أيضا إلى أفراد حرس الباب وكانوا جميعا معجبين بكرمه ودماثة أخلاقه وفى صبيحة اليوم الثانى بعد النيروز سلمهم المسجون الذى كان أمانة فى حراسته وبقلب مملوء بالحزن والأسى ودعه الوداع الأخير المؤثر .

(١) سنة ١٨٨١ — ١٨٨٢ ميلاديه





مناظر قم وفيها يظهر حرم المعصومة

الفصل الثاني عشر

في رحلة الباب من كاشان الى تبريز

وسار الباب برفقة الحرس فى طريق قم (١) وكانت جاذبيته الساحرة الممزوجة بالكمال والوقار واللطف والرزانة قد غيّرت صفات حراسه وجعلتهم منقادين له وطرحوا كل أفكارهم وآرائهم تسليما لارادته ورضاه . ومن شدة شوقهم لخدمته قالوا له يوما (إننا ولو كنا ممنوعين قطعياً بأمر الحكومة أن نسمح لك فى أن تدخل مدينة قم

(١) قم هو ثانى الأماكن المقدسة في إيران وفيها مدافن كثيرة للملوك ومن بينهم فتح علي شاه ومحمد شاه

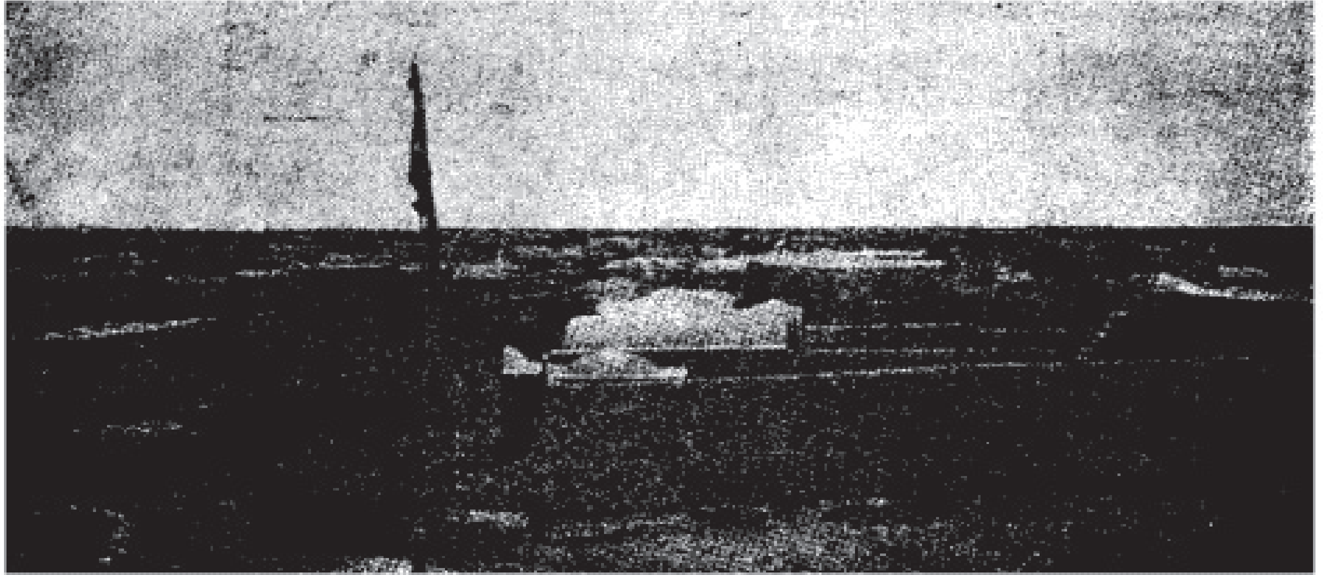
ومأموريتنا أن نسلك بك طريقا غير اعتيادى للوصول إلى طهـران وأن لا نقترب على الخصوص من حرم المعصومة (١) الذى من التجأ اليه يـكون آمنا من القبض عليه حتى ولو كان من أشهر المجرمين ولـكننا مستعدون أن نتجاهل بالـكلية لأجلك جميع الأوامر التى وصلتنا وإذا أردت فانا نمر بك من وسط شوارع مدينة قم ونمـكنك من زيارة المقام المقدس فيها) فأجاب الباب بقوله (إن قلب المؤمن عرش الرحمن والذى هو سفينة النجاة وحصن القادر الذى لا غالب له يسافر معـكم فى هذا البيداء وإنى أفضل السير فى طريق الريف عن الدخول إلى هذه المدينة الفاسقة فالمعصومة التى دفنت بقاياها فى هـذا المقام تندب هى وأخوها وآباؤها عهـد هؤلاء الأشرار لأنهم يحترمونها بأفواههم ويهينون حرمتها بأعمالهم وهم يحترمونها ويخدمون ضريحها فى الظاهر ولـكنهم يهينون شرفها فى الباطن)

وكانت هـذه الاحساسات الشريفة قد غرست الثقة فى قلوب الذين رافقوا الباب بدرجة أنه لو أراد فى أى وقت أن يرجع لحجاة أو يتركهم فلا يوجس أحد من حراسه فى نفسه خيفة ولا يرى ضرورة لمراقبته لشدة اطمئنانهم وأثناء سيرهم فى الطريق المؤدى للناحية الشمالية لمدينة قم نزلوا للاستراحة عند قرية قمرود التى يملـكها أحد أقارب محمد بيك وجميع سكانها من العلى اللهيين ومكث فيها ليلة بناء على دعوة رئيس القرية وانشرح صدرا من طاعة وشوق أهل القرية السذج وقبل مبارحتها طلب من الله القدير أن ينزل البركات عليهم وأن يفرح قلوبهم بتأكيدات محبته وتقديره

وبعد مبارحة تلك البلدة ومسير يومين وصلوا بعد ظهر اليوم الثامن بعد النيروز الى قلعة كنارجرد (٢) التى هى على بعد ٦ فراسخ من جنوب طهران . وكانوا يظنون أنهم يصلون الى العاصمة فى اليوم التالى بعـد أن يصرفوا الليل فى جوار تلك القلعة وإذا برسول وصل لحجاة من طهران ومعه أمر كتابى من حاجى ميرزا أقاسى إلى محمد بيك بأن يذهبوا

(١) ويوجد فى مدينة قم جدث أخت الامام الرضا فاطمة المعصومة وعاشت وتوفيت هناك وكانت هربت اليها من بغداد من اضطهاد الخلفاء ويقول البعض إنها مرضت وتوفيت فى قم فى طريقها لرؤية أخيها فى طوس . ويعتقد الصلحاء بانه رد جميلها بان يزورها كل جمعة من قبره فى مشهد (كتاب اللورد كرزون إيران والمسألة الايرانية الجزء الثانى صفحة ٨)

(٢) محطة على طريق إصفهان القديم يبعد نحو ٢٨ ميلا من طهران (مقالة سائح ص ٤١ مذكرة ٢)

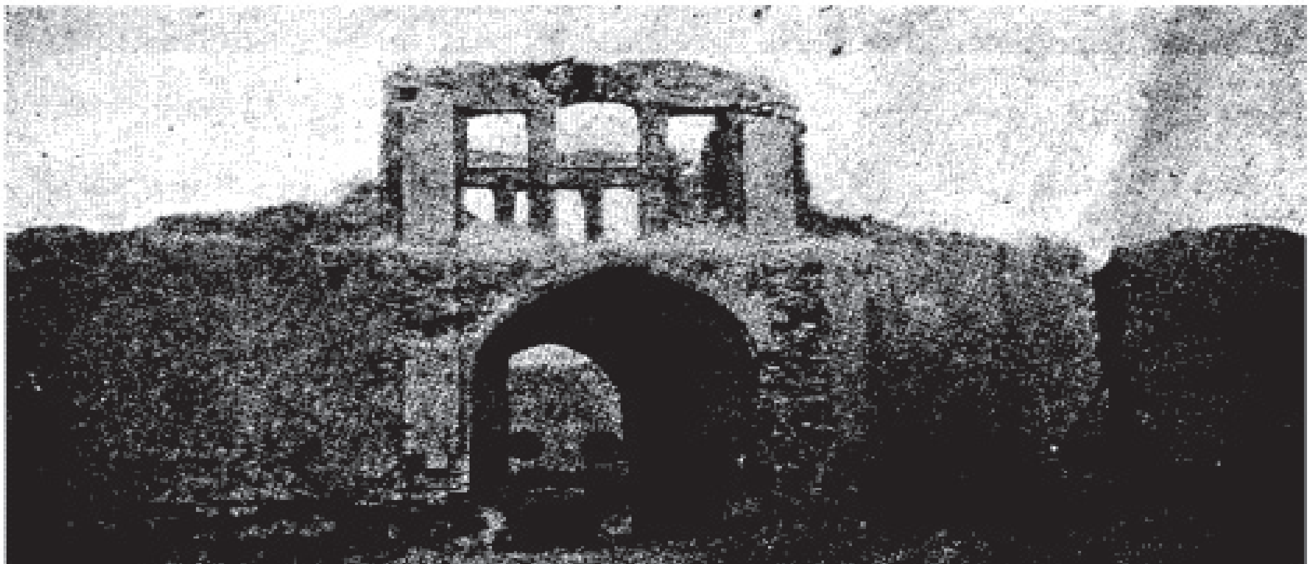


قرية قرود

توا بالباب إلى بلدة كليني (١) التي فيها دفن الشيخ كليني محمد ابن يعقوب مؤلف كتاب أصول الكافي وقد ولد في ذلك المحل ودفن فيه مع والده ويحترم الناس ضريحه في تلك النواحي . وبالنظر الى عدم صلاحية المنازل في تلك القرية أمر محمدبيك أن يضرب خيمة في جوارها لأجل الباب (٢) ويقيم عليها الحرس حتى تصله أوامر جديدة وفي صباح

(١) أنظر مقاله سائح صحيفة ١٤ حاشية ٣ (ترجمة انجليزية)

(٢) وانتشرت الاشاعة وكان من المستحيل تنفيذ أمر رئيس الوزراء حاجي ميرزا أقاسي فمن أصفهان إلى طهران كان الناس يتكلمون عن ظلم العلماء والحكومة للباب وكانوا يهمسون في كل مكان ويصرخون من الظلم (الجريدة الاسوية جزء٧ صحيفة ٣٥٥)



خرائب قلعة كنار جرد





مناظر قرية كلين

اليوم التاسع بعد النيروز وهواليوم الحادى عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٦٣هـ(١) أقيمت للباب الخيمة التى كان الحاج مرزا أقاسي ينزل بهاعند زيارته لتلك المحلةونصبت على سفح تل جميل الوضع تكتنفه الحدائق والمروج من كل الجهات وسرّ الباب من هدوء تلك الجهة ونضارة خضرتها وخرير مياه جداولها ولحق به بعد يومين السيد حسين يزدى وأخوه السيد حسن والملاّ عبد الكريم والشيخ حسن الزنوزي ودعى الجميع ليقيموا

(١) ٢٩ مارس سنة ١٨٤٧ ميلادية

فى المنازل المجاورة لخيمته ووصل الملاّ مهدى خوئى وملاّ محمد مهدى كندى من طهران فى اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثانى (١) وهو اليوم الثانى عشر بعد النيروز وكان الملاّ محمد مهدى من أصحاب بهاء الله فى طهران وهو الذى أرسله ومعه خطاب مختوم وبعض هدايا للباب وبمجرد وصولها ليده شعر بسرور غير عادى وتهلل وجهه فرحا وأغدق على الرسول عبارات الشكر والامتنان .

وأثرت هذه الرسالة التى وصلت فى ساعة الحيرة والتوقف وجددت فى الباب نشاطا وسلوا ونفت ذلك الغم الذى كان يساور قلبه ونفثت فى روعه تأكيد الفوز والنصر فتبدد ذلك الحزن الذى كان يزيده متاعب الأسر . ولم يعد يسكب دموع الأسى التى كانت تجرى من عينيه بغزارة منذ خرج من شيراز مقبوضا عليه وبعد أن كان يناجى ربه فى حزنه العميق وفى وحدته بقوله (يا محبوبى ويا مقصودي) أصبح ينطق بعبارات الشكر والمدح والأمل والنصر وبدا على وجهه فرح لم يفارقه حتى وردت عليه أخبار الفاجعة العظيمة بسقوط شجعان قلعة الشيخ طبرسى فاحتجبت من محياه تلك الابتسامة وزال من قلبه الفرح والابتهاج .

وسمعت الملاّ عبد الكريم يقص الرواية الآتية : (كنت مع أقرانى النائمين معى فى جوار خيمة الباب إذ تيقظنا على صوت وقع أقدام الخيّالة وسمعنا أن الباب غادر خيمته وأن الذين ذهبوا وراءه للبحث عنه لم يجدوه . وكان محمد بيك يوبخ الحرس ويقول لهم (لماذا تضطربون أليست عظمته وشرف نفسه بكافيين لاقناعكم بأنه لن يرضي أن يوقع غيره فى الحيرة والارتباك لأجل نجاة نفسه . ولا بد وأنه قد تنحى ناحية فى الليلة المقمرة إلى مكان هادىء ليناجي فيه ربه ولا بد وأن يعود قريبا الى خيمته لأنه لا يرضى أن يهجرنا مطلقا) وسار محمد بيك ماشيا على قدمه فى الطريق الذى يؤدى الى طهران لرغبته فى إقناع أقرانه بذلك فسرت خلفه مع باقى الأصحاب ووراءنا الحرس على ظهور الخيل ولم نقطع إلا مسافة ميدان واحد (جزء من فرسخ) حتى نظرنا على بعد من خلال نور الفجر الضئيل هيكل الباب آتيا نحونا من طريق طهران وقال لمحمد بيك وهو يقترب منه (هل اعتقدتم

(١) أول ابريل سنة ١٨٤٧ ميلادية

أبي هربت) فارتمى محمد بيك على أقدامه يقبلها ويقول (أستغفر الله أن يساورني مثل هذا الفكر) وكان جلال الباب وهيبته قد روعت محمد بيك كثيراً فلم يقدر على ابداء أى ملحوظة أخرى .

وظهرت على محيّا الباب الرزانة والجلال والثقة و كانت أقواله متشبعة بقوة فائقة فلم يقدر أحد أن يسأله عن سبب هـذا التغيير العظيم الحاصل فى أقواله وأفعاله و كذلك لم يشأ هو بنفسه أن يخبرنا أو يهدىء روعنا وتحيرنا .

وأقام الباب مدة أسبوعين (١) فى هذا المكان يتمتع بجمال الطبيعة وساد السكون والهدوء إلى أن وصل خطاب من محمد شاه نفسه الى الباب وفيه يقول (٣) (ولو أننا كنا نود

(١) وفى مقالة سائح (صحيفة ١٤) مكث الباب فى قرية كلين مدة ٢٠ يوما .

(٢) وقال جوبينو أن محمد شاه كان حاكما ذا صفات خاصة لم تكن نادرة فى آسيا ولكنها على الأقل مما لا يعرفها الأوربي . ولا يمكنه أن يفهمها فمع كونه كان حاكما فى الوقت الذي كانت فيه العوائد السياسية المحلية قاسية فانه كان لطيفا سهلا وصبورا وكان ينظر بعين هادئة إلى الاضطرابات التى تحصل داخل الحريم والتى كانت تغضبه . ووصل تركه الحبل على الغارب واتباع النفس والهوى لدرجة لم يصل اليها أحد حتى ولا فتح علي شاه . وتنطبق عليه تلك العبارة اللائقة للقرن الثامن عشر وهى (يا سيدتى لا تختبئى لأنى لا أريد أن أمنعك من الحظوظ والتمتع) وإلا أن ذلك لم يكن منه سببا عن عدم الاهتمام بل من الاعياء والملل . لأن صحته كانت دائما فى تأخير وتضعضع . فكان مصابا بالنقرس بدرجة كبيرة ويتألم من الأوجاع المستمرة فلم يكن لديه راحة من حيث صحته . وكانت أخلاقه ضعيفة من طبيعتها وذلك مما يجعله دائما حزينا . ولأنه كان يحتاج إلى المحبة التى لم يجدها فى أسرته ولا فى نسائه ولا عند أنجاله لذلك كان يحصر محبته كلها فى معلمه العجوز . فكان هو الحبيب الوحيد ورئيس وزارته الأمين . وأخيرا أصبح معبوده بغير مبالغة بل الهه الأعلا . ومن هذا الصنم استمد أفكارا مضادة ومضرة بالاسلام فكان لا يكتفى باهمال أحكام النبي بل كان يعتقد أنه هو النبي بذاته فلم يكن عنده اهتمام بالأئمة واحترامه لعلى لم يكن إلا بسبب تلك العقيدة الفارغة التى جعلت الأمة الايرانية تدمج وطنيتها فى ذلك الشخص المحترم وبالاختصار لم يكن محمد شاه مسلما ولا مسيحيا بل كان يعتقد اعتقادا جازما بأن الحقيقة الالهية تتجسم فى الحكماء بكل قوتها . وبما انه يعد الحاج مرزا أقاسي الحكيم الأول فما كان يشك انه هو الله ذاته وكثيرا ما كان يطلب منه المعجزات ويقول لضباطه بيقين تام « قد وعدنى الحاج باظهار معجزة فى هذا المساء فسوف ترونها » وما كان محمد شاه يهتم بنجاح أو تنفيذ أمر دينى إن لم يكن خاصا بالحاجى المذكور بل كان على العكس يسر من تطاحن الآراء التى تكشف له عن جهل وعمى الناس « من كتاب الفلسفة والاديان فى أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة ١٣١ — ١٣٢ »

(٣) وفى مقالة سائح صحيفة ١٤ أرسل الباب خطابا يطلب فيه من الحضرة الملكية الاجتماع واعداد مجلس ليظهر فيه أحقية أمره وقال انه سيكون لذلك نتائج مفيدة وقال جوبينو فى كتاب الفلسفة والأديان في أواسط آسيا صحيفة ١٢٤ ما يأتي :



محمد شاه

مقابلتك إلا أننا نجد أنفسنا غير قادرين على إستقبالك فى طهران بما هو لائق لك لاننا على جناح السفر من العاصمة وقد أمرنا أن ترسل إلى ما كوه وأصدرنا التعليمات اللازمة إلى على خان محافظ القلعة أن يعاملك بالاجلال والاعتبار . وأملنا وعزمنا أن نطلب

إن على محمد كتب بنفسه الى البلاط ووصل خطابه فى نفس الوقت الذى وصلت فيه خطابات أعدائه وبدون أن يتعرض للملك وبالعكس طلب منه العدل والانصاف وأظهر أن أخلاق العلماء تغيرت فى فارس من زمن بعيد وفسدت كما هو معلوم للجميع . فلم يقتصر الأمر على فساد الأخلاق بل انه بسبب خطأ الكثيرين من المفسدين أصبح الدين فى حالة حرجة وقريبا من التلاشي بالكلية بحيث يترك الناس فى ظلمات حالكة — وذكر له أن الله أمره برسالة خاصة لاصلاح هذه المفاسد وانه ابتدأ يوضح لأهالى فارس بأن الدين الحق هو الترقي الظاهر السريع وانه أخمد جميع مقاوميه حتى أصبحوا فى عجز تام أمام الجمهور وهذا لم يكن سوى مقدمة وطلب من عظمة السلطان الاذن له بالحضور للعاصمة مع تلاميذه

حضورك لدي عودتنا الى سرير السلطنة وفى ذلك الوقت نقدر أن نحكم فى مسألتك ونعتقد أننا لم نسبب لك أى انزعاج وإنك لاتتأخر أن تخبرنا عن أى حيف يصيبك ونتمنى لك أن تستمر على الدعاء والتوفيق لنا والسعادة لمملكتنا (وتاريخه ربيع الثانى سنة ١٢٦٣ هجرية) (١) ومما لاشك فيه أن الحاجى ميرزا آقاسى (٢) كان مسؤولا عن

المشهورين وأن يهيء له مجلسا للمناظرة مع العلماء ومع جميع الملاوات في المملكة وأن يكون ذلك بحضرة السلطان والكبراء والعامة وذكر انه متأكد انه سيغلبهم ويخجلهم ويبرهن له علي عدم صدقهم وأمانتهم . وأنه سوف يسكتهم كما أسكت الملاوات من الكبير والصغير من الذين قاموا ضده وانه اذا لا سمح الله لم يغلبهم فى هذه المهمة فليحكم السلطان عليه بما يشير به لأنه مستعد أن يقدم رأسه ورأس أتباعه له .

(١) تاريخ ربيع الثانى سنة ١٢٦٣ هجرية يوافق ١٩ مارس سنة ١٨٤٧ ـ ١٧ ابريل سنة ١٨٤٧ ميلادية

(٢) وقال هدايت فى مجمع الفصحاء أن اسم الحاجي مرزا أقاسى هو عباس على وكان نجل الميرزا مسلم أحد مشاهير علماء ايراوان وكان عباس على تلميذا لفخر الدين عبد الصمد الهمدانى إذ كان فى ربلاء . ومن كربلاء سافر الى همدان وزار آذر بايجان ومنها حج الى مكة ولما عاد كان فى فقر مدقع إلا أنه تمكن وهو فى آذر بايجان بعد عودته من تحسين حالته واشتغل بصفة معلم لانجال ميرزا موسى خان أخ المرحوم ميرزا أبو القاسم القائمقام وبشر محمد ميرزا باعتلائه عرش المملكة فأخلص له وعينه رئيس وزارته ولما توفى الشاه سافر الحاجي الى كربلاء وتوفى هناك فى رمضان سنة ١٢٦٥ هجرية (من مذكرات مرزا أبو الفضل)

وفى كتاب الحاجى معين السلطنة صحيفة ١٢٠ أن الحاج مرزا أقاسى ولد فى باكو حيث كان يقيم والداه بعد سفرهم من ايراوان فى القوقاس . وكان الحاج ميرزا أقاسى احد أهالى ايراوان . وكان له تأثير عظيم على سيده الضعيف العقل حيث كان قبلا معلمه وكان يتبع الطريقة الصوفية وكان رجلا عجوزاً ذا شكل مضحك وله أنف طويل ويظهر من ملامحه أنه فريد فى أخلاقه معجب بذاته (نقلا عن كتاب س . ر . ماركهام نظرة عامة فى تاريخ ايران صحيفة ٤٧٣)

وكان الحاجى مثالا فريداً من نوع خاص . ولم يعلم بالضبط ان كان يعتقد فى نفسه مايراه فيه محمد شاه وعلى العموم كان فى اعتقاده موافقا لاعتقاد محمد شاه نفسه الذى طبعه فى عقله . ولم يمنعه ذلك من أن يتمسخر وكانت مسخرته منظمة وجزءاً من أعمال حياته اليومية الاعتيادية . وهو لاينظر الى أى شيء بعين اليقين أو الجد مبتدئا بنفسه . فكان يصف نفسه قائلا (إننى لست رئيسا للوزراء وفقط شخص ملا عجوز لا استحقاق له ولا شهرة فى مولده . وإذا كنت فى المركز الذى أنا فيه فذلك بسبب إرادة الملك فقط) وكان يذكر هذه العبارة ويكررها دائما خصوصاً لمن كان يماكسه وكان يخاطب أولاده بأولاد الكلب وأولاد الفجر وبهذه التسمية يسألهم عن أحوالهم أو يرسل اليهم أوامره بواسطة ضباطه عند ما يكونون غائبين . وكانت مسرته فى استعراض الخيالة الذين يجمعهم بملابسهم الفخمة تحت قيادة الخانات الرحل فى إيران . وعند ماتجتمع هؤلاء القبائل الحربية فى الميدان يأتى الحاجى كالشخص الفقير لابساً طرطوراً بسيطا ومعوجا وحاملا سيفا فى وسط ردائه وراكبا جحشا صغيراً ثم

إرسال مثل هـذا الخطاب الى الباب والحامل على ذلك خوفه (١) لئلا تكون المقابلة مع الشاه سببا فى خلعه وسـلبه مقامه الذى يتمتع به وسلطته التامة على كافة أمور الحكومة ، ولم يكن يقصـد الاضرار بالباب إلا أنه رأى أن يحرض مليكه (٢) على نقل مثل هذا الخصم القوى الى ركن بعيد من أركان المملكة وبهذه الوسيلة يتخلص من الهم الذى كان دائما يساوره (٣) فما أعظم خطؤه وأشد ضلاله فقليلا ما كان يفقه أنه بسبب استمرار دسائسه كان يحجب الملك والمملكة من المنافع التى لاتحصى الناتجة من الأمر الالهى الذى هو وحده يقدر أن يخلص المملكة من حالة

يجمع أعوانه حوله ويعاملهم كأنهم مغفلين ويضحك على ملابسهم ويفهمهم أنهم لاينفعون لشىء ثم يعيدهم الى أماكنهم بعد أن يعطيهم هدايا ذلك لأن طبيعته الهزلية كانت مخلوطة بالكرم (من كتاب الفلسفة في أواسط آسيا صحيفة ١٣٢ـ١٣٣)

(١) ومن الحكاية الآتية يتبين الاحساس الذى كان يساور رئيس الوزراء عنـد مابيت فى أمر إرادة الشاه وكان الرئيس فرهاد مرزا وهو صغير تلميذاً للحاجى ميرزا آقاسى وحكى ماياًتى لما استشار الشاه رئيس وزارته وكتب للباب بالمكث فى ماكوه ذهبنامع مرزا آقاسى لتمضية بضعة أيام فى الحديقة التى زرعها بنفسه فى يفت عباد من ضواحى طهران وكنت أريد أن أسأل معلمى عن الحوادث الواقعية ولـكنى ما كنت أحب أن أسأله أمام الناس بل على انفراد . وفى ذات يوم بينما كنت أتمشى معه فى الحديقة وكان يظهر عليه الانشراح تجاسرت وسألته (ياحاجى لماذا ترسل الباب الى ماكوه) فأجابنى إنك للآن صغير ولا تقدر أن تفهم بعض الأمور ولـكن اعلم أنه لو حضر الى طهران لاتقدر لا أنا ولا أنت أن نتنزه أحراراً وخاليى البال تحت ظلال هـذه الاشجار الطيبة (من كتاب السـيد على محمد الباب ٢٤٣ ــ ٢٤٤)

وفى تاريخ حاجي معين السلطنة ص ١٢٩ أن الباعث الذى أملاه الحاجي مرزا آقاسى على السلطان لنفى الباب الى أذربايجان هو الخوف من إتمام حصول وعد الباب بشفاء الشاه من مرضه إذا حضر الى طهران . وكان متأكداً أنه لو تمـكن الباب من شفائه فان رئيس الوزارة يقع فى قبضة يد مسجونه فيحرمه من المنافع والامتيازات التى يتمتع بها الآن

(٢) وقال أبوالفضل أن مرزا آقاسى أقنع الشاه أنه نظرا للثورة التى قام بهـا محمد حسن خان فى خراسان وقيام آقا خان اسماعيل فى كرمان يحسن عدم احضار الباب الى طهران وأن يرسل بدلا عن ذلك الى اقليم اذربايجان البعيد .

(٣) ومع ذلك فقد جاء حساب رئيس الوزراء مخطئا فى خوفه أن حضور الباب الى طهران يحدث اضطرابات جديدة وهذا ما كان يتوقع حصوله بسبب سوء ادارته واتباع هواه فأصدر أمره للحرس وهم على بعد ٣٠ كيلو من طهران أن لايحضروا اليها وأن يسيروا به الى ماكو وهى التى ظن أن الباب لايقدر فيها على أى عمل لأن أهلها يقاومون أى اضـطراب نظراً لـما أولاهم من الحماية (المجلة الأسيوية ١٨٦٦ جزء ٧ صحيفة ٣٥٦)

الانحطاط المروعة التى وقعت فيه (١) فهذا الوزير القصير النظر لم يتسبب فقط فى منع محمد شاه من الوسيلة السامية التى بها يمكنه أن يعيد مجد المملكة المنحدرة فى هاوية السقوط بل حرمه أيضا من ذلك المركز الروحى الذى يمكنه من التسلط والترأس على جميع ملل وأمم العالم وبسبب حماقته وإسرافه وخيانته فى النصح قوض أساس المملكة وأذل كرامتها وسلبها ولاء اتباعها وأسقطهم فى هاوية الذلة والتعاسة ولم يتعظ بسيرة أسلافه متجاهلا حاجات البلاد ومحتقراً مصالح العباد وأمعن فى عمل التدبير اللازم لاعلاء شؤونه الخاصة بحماس فائق وفى الانهماك فى الفجور والتبذير وإيقاع المملكة فى الارتباك والحروب المهلكة مع جيرانها وقد وصل فى الدولة الاسلامية سعد معاذ بسبب استقامته وإخلاصه للاسلام الى المقام الرفيع ولهذا الحين يحترمه حكام وأمراء الاسلام ويشيدون بذكره ويبجلون فضائله مع أنه لم يكن من سلالة ملكية ولم تكن له شوكة قاهرة من ذى قبل وكذلك بزرجمهر كان أقدر وأعقل وزير وأقدر ادارى من بين وزراء أنوشروان العادل ورغما عن مقامه وحكمه الرفيع أصابه أخيرا نكال وطرح فى حفرة وأصبح موضع الاحتقار والسخرية من الناس فكان يندب حظه ويبكى بحرقة حتى فقد بصره . أما الوزير الحاجى أقاسى فلم يعتبر لا بالمثل الأول ولا بالثانى ولم يتعظ بنصيب الآخير ولم ينتبه الى المخاطر التى يتعرض اليها فى منصبه وأصر على أفكاره وآرائه حتى فقد مقامه ورتبته وأضاع ثروته وسقط فى خجالته وذلته (٢) وضاعت منه أملاكه العديدة التى كان قد

(١) ولم تكن حالة إيران مرضية لأن الحاج ميرزا أقاسى الذى كان حاكمها الحقيقى مدة ١٣ سنه كان جاهلاً بالسياسة وبالحرب ولم يرض من تكبره أن يتعلم أو أن يتعاون مع مستشار آخر من شدة حسده وكان وحشياً فى لغته وقبيحا فى أخلاقه وقذرا فى عوائده وجعل المالية تشرف على الخراب والافلاس واقتربت البلاد جيمها من السقوط فى هاوية الثورة وتأخرت مهايا الجيش ثلاث أو أربع سنوات وانعدم وجود الخيالة فى الجيش . وعلى هذه الصفة كانت حالة إيران فى وسط القرن التاسع عشر كما ذكرها رولنس فى كلماته القيمة (من كتاب تاريخ إيران للمستر . ب . م . سايكس الجزء الثانى صحيفة ٤٣٩ — ٤٤٠)

(٢) وكانت جميع السلطة فى قبضة يد الحاجى ميرزا اقاسى ذلك الوزير الكسول وكانت له السلطة التامة على الشاه وازدادت الأدارة سوءا فى الممالك حتى جاع الأهالى وأصبحوا يلعنون الدولة القاجارية وكانت حالة البلاد والاقاليم محزنة للغاية . وكان ينفى كل من عنده قليل من الوطنية أو التعقل وكان يجمع لنفسه الثروة فى طهران بكل جد على حساب المملكة التعيسة ويبيع مراكز مديرى الأقاليم لأكبر عطاء والذين يتعينون بهذه الطريقة كانوا يظلمون الاهالى بطرق مخيفة « من كتاب نظرة عامة فى تاريخ إيران صحيفة ٤٨٦ — ٤٨٧ لمؤلفه س . ر . ماركهام »



حاجى مرزا آقاسى

استولى عليها بالظلم من الأهالى المساكين وكذلك الأثاثات الثمينة التى كان يفرشها فى تلك المنازل وما صرفه عليها من الأموال والصنائع ذهب كل ذلك هباء منثوراً بعد سنتين من إصداره الأمر بحبس الباب فى جبال آذربايجان الموحشة وصادرت الحكومة جميع ممتلكاته وغضب عليه مليكه وطرده من طهران بالذلة والهوان ووقع فريسة للمرض والفقر وضاع منه الأمل وهبط فى الذل وخمد ذكره فى كربلاء حتى حانت منيته . (١)

(١) وكتب جوبينو عن كيفية سقوطه قال « إن الحاجى مرزا أقاسى طرد من سلطة كان قد أمضى بعضا من الوقت فى التمسخر بها وعاد الى كربلاء وفيها قضى بقية عمره فى عمل الألاعيب مع الملاوات فى أيام تذكار سيد الشهداء « كتاب الفلسفة والاديان فى أواسط اسيا صحيفة ١٦٠ » وكان هذا الرجل الماكر قد اغتصب كل سلطة الملك المتوفى حتى قيل انه كان هو السلطان الحقيق ولما توفى محمد شاه اختفى واخذ طريقه الى كربلاء التى فيها يحتمى اكبر المجرمين بحمي اكبر الائمة الا انه وقع فى ارزاء الحزن المتلف فضلا عن تويبخ ضميره وعلى هذا النحو انتهت حياته (المجلة الاسيوية ١٨٦٦ صحيفة ٣٦٧ — ٣٦٨ جزء ٧)

وقد أمر الباب فى الذهاب الى تبريز توا (١) وصحبه الحرس أنفسهم تحت امرة محمد بيك إلى أقليم آذربايجان الشمالى الغربى وتصرح له أن ينتخب رفيقا واحداً وخادما أيضاً من بين أتباعه أثناء إقامته فى ذلك الأقليم . فانتخب سيد حسن يزدى وسيد حسن أخاه . وامتنع أن يصرف على نفسه المبالغ التى قدرتها الحكومة لمصاريف الرحلة . وصرف جميع المبالغ التى أعطتها له الحكومة على المساكين والمحتاجين وخصص لنفقاته واحتياجاته الضرورية المبالغ التى ربحها فى التجارة فى بوشير وشيراز . ولما كانت الأوامر قد أعطيت لمنعه من الدخول إلى البلاد التى يمر بها فى طريقه إلى تبريز حضر فوج من أحباء قزوين ممن علموا بقرب مجيء رئيسهم المحبوب عند قرية سياه دهان (٢) وتمكنوا من مقابلته هناك

وكان أحدهم الملا اسكندر قد انتدبه الحجة لزيارة الباب فى شيراز وفحص أمره وأوفده الباب بالرسالة الآتية إلى سليمان خان افشار الذى كان من المعجبين بالمرحوم السيد كاظم (قد ظهر الآن من كان السيد المرحوم يشير اليه ودائما يمتدحه ويفخمه ويشير باستمرار إلى قرب ظهور أمره وأنى أنا هو الموعود فقم وانقذنى من يد الظالمين) ولما سلم الباب الرسالة إلى الملا اسكندر كان سليمان خان فى زنجان وكان مستعدا للسفر إلى طهران ووصلته الرسالة فى مدى ثلاثة أيام ولكنه أبي أن يلبى الدعوة

وكان أحد أصحاب الملا اسكندر قد أخبر الحجة بعد يومين بأمر الباب وكان الحجة قد حبس فى العاصمة بتحريض العلماء فى زنجان . فأمر الحجة الأحباء فى بلدته أن يستعدوا ويجمعوا قوتهم لأجل تخليص سيدهم الباب وحرضهم أن يقوموا مع الاحتراس ويجتهدوا فى انتهاز الفرصة لأخذه وارساله ألى أى جهة يشاء فاجتمع عدد من المؤمنين

(١) وتبعا لمقالة سائح (صحيفة ١٦) من الطبعة الانجليزية كتب الباب مكتوبا اثناء سفره الى رئيس الوزراء قال له فيه انك دعوتنى من اصفهان لمقابلة العلماء ولايجاد حل فاصل فى هذه المسألة فاذا حدث بعد هذا العزم العالى حتى تغير الى ماكوه وتبريز

(٢) وقال سمندر (فى نسخة خطية ص٤ — ٥) أن الباب انتظر فى قرية سياه دهان بجوار قزوين فى طريقه إلى إذربايجان وفى أثناء هذا الطريق كتب جلة خطابات إلى مشاهير العلماء فى قزوين ومن بينهم الحاجى ملا عبد الوهاب والحاجى ملا صالح والحاجى ملا تقى وحاجى سيد تقى . ووصلت هذه المكاتيب إلى أربابها بواسطة الحاج ملا أحمد ابدال . وكثير من المؤمنين ومن بينهم نجلا حاجى ملا عبد الوهاب تمكنوا من مقابلة الباب أثناء الليلة التى أمضاها فى تلك القرية وفى تلك القرية كتب الباب خطابه إلى ميرزا أقاسى

فى قزوين وطهران وذهب الجميع بناء على أمر الحجة لتنفيذ الخطة ، ووصلوا إلى مكان الحرس فى ساعة متأخرة فى نصف الليل ووجدوهم نائمين فاقتربوا من الباب ورجوه أن يهرب معهم فأجابهم برباطة جأش (إن جبال آذر بايجان أيضا لها حقوق) ونصحهم بكل محبة أن يعودوا إلى منازلهم (١) ويتركوا ما اعتزموا عليه

ولما اقترب الركب من باب تبريز وشعر محمد بك بأن ساعة الفراق من مسجونه قد دنت حضر أمامه وبأعين دامعة رجاه أن يغفر له تقصيره وتمديه وقال له (إن السفر من إصفهان كان طويلا مملا وقد قصرت فى أداء واجبى فى خدمتك كما ينبغى لذلك استسمحك وأرجوك أن تباركنى) فأجابه الباب قائلا (كن مطمئناً فأنى أعدك أحد شيعتى والذين يتبعون أمرى سوف يباركونك إلى الأبد ويعظمونك ويمجدون عملك ويرفعون اسمك (٢)) وفعل باقى الحرس كما فعل رئيسهم وتضرعوا إلى مسجونهم أن يباركهم وقبلوا أقدامه وودعوه الوداع الأخير بدموع منهمرة وأظهر الباب لكل منهم عناياته وأكد لهم دعوته لهم فى صلواته وأسلموه بعد التردد الكثير إلى يد حاكم تبريز الذى هو ولى عهد محمد شاه . وكان هؤلاء الرفقاء الذين شاهدوا بأعينهم حكمة وقوة الباب الفائقة عن حدود البشرية قد أخبروا كل من قابلهم بعجائب أحواله التى رأوها وسمعوها وساعدوا بذلك على نشر الأمر الجديد بالطريقة التى اختاروها .

وأهاجت أخبار اقتراب الباب من تبريز الأحباء فيها وخرجوا جميعاً لمقابلته واشتاقوا أن يظهروا ترحيبهم لرئيسهم المحبوب ولكن الموظفين الذين تسلموا الباب

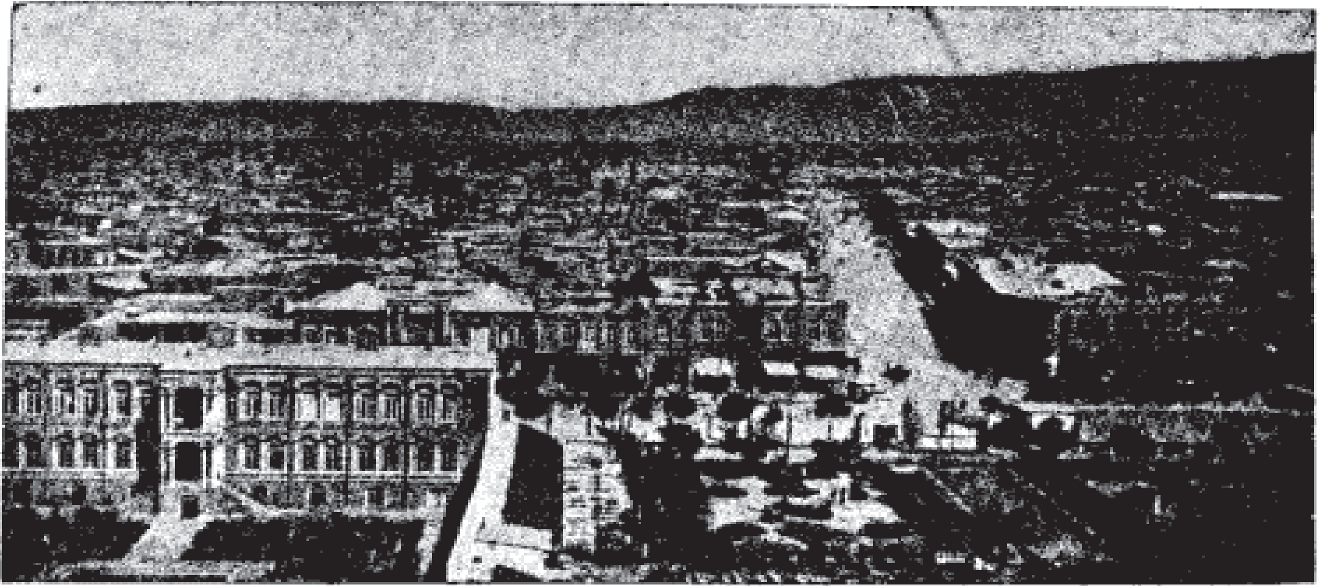
(١) وفى التاريخ الجديد أن محمد بك حكى ما يأتى للحاج ميرزا جانى (وركبنا سائرين حتى وصلنا إلى خان مبنى بالطوب على بعد فرسخين من المدينة ومن هناك سرنا إلى ميلان حيث جاء كثير من الاهالى لرؤية قداسته . وامتلأوا تعجباً من جلال وجمال رب الانسانية . وبينما كنا نستعد للرحيل فى الصباح من ميلان جاءت عجوز معها طفل أصلع الرأس ومغطى بالصبان لغاية الرقبة وطلبت منه شفاه وكان الحراس يريدون منعها ولكنه دعا باحضار الطفل ومرر منديلا على رأسه وتلفظ ببعض كلمات . وما كاد يتمها حتى شفى الطفل . وكان يوجد فى هذا المحل نحو مائتين شخص أمنوا كلهم دفعة واحدة وأصبحوا من الراسخين فى اعتقادهم) (صحيفة ٢٢٠ ــ ٢٢١)

(٢) ويقول مرزا أبو الفضل فى كتاباته أنه كان بنفسه فى طهران وقابل نجل محمد بك واسمه على بك وأسمعه العجائب التى كان والده يحكيها عن الباب أثناء رحلته معه إلى تبريز . وكان على بيك أكبر أبنائه مؤمنا صادقا فى أمر بهاء الله ومعروفا بذلك بين أحباء ايران

أبوا أن يسمحوا لهم بأن يقتربوا منه أو يلتمسوا بركته ولكن أحد الشبان لم يقدر أن يمنع نفسه وهجم وهو حافي الأقدام واخترق باب المدينة ولم يستطع عدم رؤية وجه محبوبه فجري مسافة نصف فرسخ حتى وصل إلى الخيالة الذين كانوا سائرين فى المقدمة أمام الباب ورحب بهم بكل فرح وأمسك بطرف رداء أحدهم وقبل ركابه وصاح قائلا وهو يبكى (أنتم رفقاء محبوبي وإنى أعزكم لذلك أكثر من حبة عينى) وكان هذا المسلك الغريب والحنين الزائد قد بهرهم فسمحوا له فى الحال بأجابة طلبه فى المثول بين يدى سيده وبمجرد أن وقع نظره عليه صاح بفرح زائد ووقع على وجهه باكياً بحرقة فنزل الباب من جواده وعانقه ومسح دموعه وهدأ روع قلبه ومر بين جميع المؤمنين فى تبريز لم يتمكن أحد من تقديم احترامه للباب سوى هذا الشاب فكان هو الوحيد الذى نجح فى ذلك الأمر وباركه الباب بلمس يده . ولم يتمكن الآخرون إلا من القاء نظرهم على محبوبهم من بعد . واكتفوا بذلك لشفاء عليل فؤادهم

ولما وصل الباب إلى تبريز أدخلوه إحدى المنازل التى أعدت لحبسه (١) فى تلك المدينة وكان يحرسه على مدخل الباب جوقة من النصيرية ولم يتمكن أحد من مقابلته سواءمن العامة أومن أنصاره سوى السيد حسين وأخيه وكانت الفرقة التى انتخبت للحراسة من بين السكان فى بلدة خمسة والتى منحت مزايا كثيرة هى نفس الفرقة التى انتخبت لقتل الباب باطلاق الرصاص عليه . وأثارت حادثة وصوله إلى تبريز ضجة كبيرة بين الأهالى واجتمع جم غفير لمشاهدة دخوله فى المدينة . وحضر بعضهم لمجرد الرغبة فى الاطلاع والبعض الآخر ليتحقق بنفسه من صحة الاشاعات السيئة التى كانت تحوم حوله وكثير منهم حركهم إيمانهم وإخلاصهم ليشاهدوه ويؤكدوا له خضوعهم . وبينما كان يسير فى الشوارع كان صياح الجماهير يتردد من كل الجهات وكان أغلب الجمهور الذين رأوا وجهه يحيونه بصياح (الله أكبر) وكان غيرهم يرحب به ويهلل والبعض يطلب من الله نزول البركات من القدير عليه ورؤي غيرهم يقبل التراب الذى

(١) وفى مقالة سائح (صحيفة ١٦) أن الباب مكث ٤٠ يوما فى تبريز وقال الحاجى معين السلطنة فى تاريخه الخطى (صحيفة ١٣٨) أن الباب أمضى اليوم الأول في منزل محمد بك ومن هناك انتقل إلى غرفته فى القلعة المجاورة لمسجد على شاه



منظر تبريز

تحت أقدامه باحترام وهكذا اشتدت جلبة وضوضاء الجمهور على أثر وصوله لدرجة أنهم أمروا مناديا يحذر الجمهور من الخطر الذى يحدق بهم إذا تجاسروا على الحضور أمامه ويقول (كل من يهتم فى أن يقترب من السّيد الباب أو يبحث عن لقائه تضبط وتصادر جميع أملاكه ويحكم عليه بالسجن المؤبد(١))

وفى اليوم التالى لوصول الباب تجاسر الحاج محمد تقى الميلاني وهو تاجر مشهور فى المدينة أن يقابل الباب ومعه الحاج على أصغر وقد حذّرهما الناس بأنهما بعملهما هذا لا يعرضان أملاكهما فقط للخسارة بل إن حياتهما أيضاً تكون معرضة للخطر . إلا أنهما لم يعبآ بهذا التحذير . وبمجرد أن اقتربا إلى باب المنزل الذى كان الباب محبوساً فيه وقع القبض عليهما ولكن السيّد حسن الذي كان فى ذلك الوقت خارجا من عند الباب اعترض حالا واحتج على ذلك قائلا (إنى أمرت من السيّد الباب أن أبلغكم هذه الرسّالة وهى أن لا تمنعوا الزائرين من الدخول لأنى بنفسى طلبتهما لمقابلتى) . وسمعت الحاجى على أصغر يقول (إن هذه الرسالة أسكتت المعارضين وأدخلنا تواً إلى

(١) وكان نجاح ذلك الرجل النشيط (ملا يوسف الاردبيلى) عظيما جداً وسريعاً لدرجة أن سكان قرية مأهولة خرجوا عن بكرة أبيهم وطلبوا اسم الباب وكذلك على أبواب تبريز ومما لاشك فيه أن البابيين كانوا فى المدينة عديدين فاضطرت هذه الحالة الحكومة إلى اتخاذ التدابير اللازمة لاعلام الناس أن الباب رجل مضل وأنها عاقبته وذلك لكي تبرر مركزها أمام الجمهور (المجلة الاسيوية سنة ١٨٦٦ جزء ٧ صحيفة ٣٥٧ — ٣٥٨)

حضوره فحيّانا بهذه الكلمات (إن هؤلاء الأشرار الذى أوجدتهم بأمرى للحماية من هجوم الغوغاء الذين يمرحون حول المنزل ليس لهم قدرة على منع من أريد إدخالهم ليتوصلوا إلى مقابلتى) ومكثنا معه نحواً من ساعتين فلما أذن لنا بالانصراف سلمنى فصين من العقيق وأمرنى أن أنقش عليهما الآيتين اللتين أعطاهما لى وأن أركبهما فى الخاتَين وأحضرهما له بعد أن يتما وأكد لنا أنه فى أى وقت أردنا رؤيته فلا يقدر أحد على منعنا من الدخول فى حضرته . وفى كثير من الأحايين تجاسرت على الدخول عليه للسؤال عن بعض تفصيلات خاصة بالمهمة التى أوكلها إلىّ ولم يجرأ أحد من الحراس على منعي ولا تنفس بأى كلمة جارحة ولم ينتظروا منى أية مكافأة على هذا التسامح .

وأتذكر أني أثناء اجتماعي بالملاّ حسين كنت أعجب من لباقته وقوته الخارقة وكان لى الحظ أن أرافقه فى سياحته من شيراز إلى مشهد وزرت معـه مدن يزد وطباس وبشروى وتربت وكنت أتأسف فى تلك الأيام حزنا على ما فاتنى من رؤية الباب فى





القلعة التى حبس فيها الباب فى تبريز من الداخل والخارج والعلامة (×) على الغرفة التى كان يشغلها

شيراز فأكد لى الملاّ حسين قائلا لا تحزن فان الله القدير سوف يعوضك بلا شك فى تبريز ما ضاع عنك فى شيراز ويمكنك من فرح زيارته سبع مرات بدلا عن المرة الواحدة التى فاتتك . وكنت أندهش من التأكيدات التى كان يخاطبنى بها الملاّ حسين وقد مرت الأيام إلى أن زرت الباب فى تبريز وتشرفت بحضوره جملة مرات رغم الأحوال المعاكسة وتذكرت إذ ذاك كلمات الملاّ حسين وتعجبت من صدق فراسته وزادت دهشتى عندما سمعت الباب يقول لى فى زيارتى السابعة (الحمد لله الذى مكنك من أن تكمل عدة زياراتك وشملك بحماية حبّه)



قلعة ماكوه

الفصل الثالث عشر

في حبس الباب في قلعة ماكو

ومما رواه السيد حسين يزدى قال (فى مدة العشرة أيام الأولى التى تلت حبس الباب فى تبريز لم يعلم أحد ماذا يكون مصير أمره وكثرت الاشاعات فى المدينة وذات يوم تجاسرت على سؤاله إذا كان سيستمر على البقاء فى الجهة التى وجد فيها أو أنه ينتقل إلى جهة أخرى فأجابنى فورا (هل نسيت ما أجبتك به فى إصفهان بأننا سنمكث مدة لا تقل عن تسعة أشهر محبوسين فى جبل باسط ماه كو (١) ثم ننتقل منه إلى جبل شديد (جهريق) وهذان الجبلان هما من سلسلة جبال خوى ويقعان على جانبي المدينة التى تحمل هذا الأسم . وبعد مرور خمسة أيام من هذا التنبوء صدرت الأوامر لنقله وأنا معه إلى قلعة ماه كو وأن نكون فى حراسة على خان ماه كونى .

والقلعة عبارة عن بناء صخري ذى أربع طوابق ويقع على قمة جبل وفى أسفله مدينة ماه كو والطريق الوحيد الذى يوصل اليها يمتد إلى المدينة وفى آخره باب ملاصق لمركز الحكومة وهو دائما مغلوق . وهذا الباب هو خلاف باب القلعة . ويقع على حدود الممالك العثمانية والروسية وتلك الجهة معدة للأستكشاف بسبب مركزها المشرف ومزاياها الحربية . ويلاحظ الضابط المنوط بهذه المحطة حركات العدو فى وقت الحرب ويراقب الأراضى المجاورة ويرسل التقارير بما يراه للحكومة عند الضرورة عن الأحوال التى تقع تحت إشرافه . وتحد القلعة غربا بنهر أراكس الذى هو الحد الفاصل بين ممالك روسيا وإيران وفى الجنوب تمتد الاملاك التركية وتبعد بلدة بايزيد أربعة فراسخ من جبل ماه كو . وكان أسم الضابط المنوط بالقلعة على خان . وسكان المدينة من الاكراد وهم من أهل السنة فى الأسلام (٢) وهم ألد أعداء الشيعة الذين يكونون غالبية الفرس .

(١) جبل باسط يوافق جبل ماه كو فى العدد الابجدى وكذلك جبل شديد يوافق جبل جهريق فعدد كل من الأولين ٧٢ وعدد الاخرين ٣١٨

(٢) ويقطن فى هذا الجبل أناس لا يقدرون أن ينطقوا بكلمة جنة العربية فكيف يفهمون معناها . فانظروا ماذا جرى لسيد الكائنات (البيان الفارسى جزء ٤ صحيفة ١٤)

وهؤلاء الاكراد يكرهون أشراف الشيعة أى رؤسائها الروحانيين ومن أكبر المهيجين عليهم . وكانت والدة على خان كردية ولذلك كان الابن محترماً جداً ومطاعا روحياً من جميع السكان فى ماه كو لأنهم يعتبرونه أحد أفراد جماعتهم ويضعون فيه اكبر الثقة وكان الحاجى ميرزا أقاسى قد دبر مسألة إبعاد الباب إلى تلك الجهة البعيدة فى أحدى أركان مملكة الشاه وهى فى نظره مكان خطر وخال عن الكرامة ويقصد من ذلك صد تيار تأثيره ونفوذه المتزايد وقطع كل علاقة تربطه مع جسم أتباعه فى المملكة (١) وهو واثق بأن الناس لا يرغبون إلا قليلاً فى النزوح إلى تلك البلاد الموحشة السحيقة المسكونة بالأهالى الثائرين ولذلك تهلل فرحا وظن بأن احتجاب أسيره عن مواصلة مصالح ومقاصد أتباعه يؤول إلى خنق الحركة فى بدىء ولادتها وإلى اطفائها وزوالها فى نهاية الأمر . ولكن سرعان ما علم أنه كان خاطئا وغير ملم بطبيعة أمر الباب ولم يقدر قوة تأثيره وكأنه استخف به وجهل أن آداب الباب ولطف صفاته أخضعت روح الشغب السائدة بين هولاء الناس المتمردين وألانت بتأثير محبته السامية قلوبهم . فأخضع تكبرهم وصلفهم بدماثة أخلاقه التى لا شبه لها ولانت غطرستهم وحمقهم من حكمة كلماته وكان الحماس الذى أوقده الباب فى قلوبهم على شان كانوا فى كل صباح يبدأون أعمالهم بأن يبحثوا عن مكان يقدرون أن يفوزوا فيه بنظرة لوجهه ويناجونه ويطلبون منه البركة فى عملهم اليومى . وعند حصول مشاجرة أو خصام يسرعون إلى ذلك المكان ويولون وجوههم تلقاء السجن ويحلفون بأسمه أن يقول كل منهم الصدق. وكان كثيرا ما يمنعهم على خان من هذا العمل ولكنه وجد نفسه غير قادر على منعهم من ذلك الحماس وكان بنفسه يؤدى أعماله بكل حرص ولا يأذن لأحد من تلاميذ الباب أن يقطن ولو ليلة واحدة فى بلدة ماه كوه (٢)

(١) وهى بلاد رئيس الوزراء على الحدود فى أذربايجان وقد برزت تلك المدينة من احتجابها فى مدة حكم الوزير . وكثير من أهالى ماه كو تبوأوا أعلا الوظائف فى الحكومة بفضل انتمائهم الى الرئيس الحاجى ميرزا آقاسى

(من المجلة الاسيوية ١٨٦٦ جزء ٧ صحيفة ٣٥٦ حاشية نمرة ١)

(٢) وقد أخبرنا الباب بنفسه عن كيفية حياته فى السجن الذى حبس فيه وكان يتألم منه كثيرا وكان ذلك كما هو مذكور فى البيان ناتجا من تشديد النظام اتباعا للاوامر الآتية من وقت لآخر من طهران . وجميع المؤرخين سواء من المسلمين أو البابيين متفقون أنه رغما عن الأوامر المشددة بعدم السماح

وحكى السيد حسين قال (فى الاسبوعين الاولين لم يسمح لأحد بزيارة الباب وكنت أنا وأخى الوحيدين المسموح لنا بملاقاته وكان السيد حسين فى كل يوم ينزل الى المدينة ومعه أحد الحراس لشراء اللوازم الضرورية وأما الشيخ حسن الزنوزى الذى وصل الى ماه كو فصرف الليالى فى مسجد خارج أبواب المدينة وكان يقوم كواسطة بين المؤمنين الذين كانوا يأتون للزيارة فى ماه كو وبين السيد حسن أخى الذى كان بواسطته كانت توصل العرايض من المؤمنين الى مولاهم وترسل الأجوبة بواسطته أيضا الى الشيخ حسن وفى ذات يوم أعلم الباب أخى انه سيطلب بنفسه على خان أن يغير سلوكه بخصوص الاحباء الذين يزورون ماه كوه وأن يترك استعمال الشدة وكلفه أن يخبر الشيخ حسن بذلك وانه سيأمر المحافظ باكرا أن يأتى به الى هذا المحل) فحصلت لى دهشة من هذه

للباب بالاتصال باحد كانت جموع التلاميذ والاتباع تهرع لمقابلته فى سجنه وكذلك كان يفعل غير المؤمنين وقال مؤلف كتاب المتنبئين (وكان البابيون من كل الجهات يأتون الى اذربايجان للحج عند رئيسهم).

وقد ورد فى البيان قوله (فيا اجهلك يا عبدى فقد فعلت ما فعلت ظنا منك انك ترضيني . فبالرغم عن الايات التى اظهرتها بنفسى وتلك التى تجرى بقدرتى التى مخزنها شخص الباب وبالرغم من أن الآيات لا تخرج منه الا بأذنى فانك بلا حق وضعته فى رأس جبل لا يستحق سكانه أن يذكروا . ولم يكن أحد موجودا بالقرب منه ذلك القرب الذى هو عين القرب مني إلا أحد حروف الحى من كتابى حق ولم يكن بين يديه اللتين هما يداى خادم ليسرج له المصباح ليلا . فهذا كان شأن الذى لولاه لم يخلق كل من على الارض ومن جوده هم متنعمون فلم يسمحوا له بسراج يوقدونه (الواحد الثانى من الباب الاول) ومع أن الثمرة من كل ذلك (الاسلام) هو الاعتقاد فى هذا الظهور فانهم حبسوه فى ماه كو (الواحد الثانى الباب السابع) وكل ما كان متعلقا برجل الجنة كان فى الجنة . وتلك الغرفة المنفردة التى لم يكن لها باب أنها اليوم أعظم الجنات لأن سدرة منتهي الحق غرست فيها . وتنادى فيها كل الذرات التى تتكون منها ان لا إله إلا الله وانى أنا الله لا إله أنا رب العالمين (الواحد الثانى الباب ١٦) وثمرة هذا الباب أن الناس لما رأوا أن لهم أن يعملوا كل هذا (صرف النقود) لاجل البيان الذى لم يكن الا أثرا ممن يظهره الله فانهم يحاسبون عما يعملونه لاجل من يظهره الله فى وقت ظهوره حتى لا يجرى عليه ما جرى علينا فى هذا اليوم . يعنى انه توجد عدة قرانات فى العالم مما تساوى الفا من التومانات فى حين أن الذى انزل الآيات قد وضع فى جبل وفى غرفة مبنية باللبن الذى جفف فى الشمس ومع ذلك كانت هذه الغرفة ذاتها هى العرش بنفسه (السماء التاسعة التى استقرت عليها الربوبية) وهذا بمثابة نذير للبيانيين حتى لا يعملوا معه ماعمله معنا أهل القرآن (الواحد الثالث الباب ١٩) (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٦٥ ـ ٣٦٧)

ويعتقد الكل فيه ومع ذلك فقد حبسوه فى جبل ومع انهم يفرحون بسببه ولكنهم تركوه وحيدا والذين فعلوا معه هذه الاعمال كانت نفس أعمالهم جحيما لهم وكذلك لم تكن للمؤمنين جنة اعلا من ايمانهم نفسه (البيان الفارسي جزء ١ صحيفة ١٢٦ — ١٢٧)

الرسالة وفكرت فى نفسى قائلا . (كيف يمكن اقناع على خان المتغطرس المستبد أن يخفف من غلوائه وقسوة أحكامه) وفى اليوم التالى فى وقت مبكر دهشنا لطرق الباب فجأة مع علمنا الاكيد بان الأوامر اعطيت أن لايسمح لاحد بالدخول قبل طلوع الشمس . وعرفنا صوت على خان وهو يتناقش مع الحرس وجاء أحدهم وأخبرنى بان محافظ القلعة مصمم على التصريح له بالدخول لمقابلة الباب . فاوصلت الرسالة وأمرت أن أدخله حالا واذ شرعت بالخروج من الغرفة المجاورة لغرفته وجدت على خان واقفا على العتبة بهيئة خضوع تام ويظهر على وجهه علائم الخشوع والتعجب على غير المعتاد . وظهر لى أن كبره وغطرسته قد زالتا بالكلية . وبكل خضوع وبكمال الادب رد على السلام ورجانى أن أصرح له بالدخول لمقابلة الباب . فاخذته الى الغرفة التى يقطنها الباب وكانت ركبه ترتعش وظهر فى باطنه هيجان لم يقدر على اخفائه وظهر جليا على اسارير وجهه فقام الباب من محله ورحب به فاقترب على خان وانحنى تعظيما له وارتمى على اقدامه وقال (خلصنى من حيرتي فاني استحلفك بالنبى جدك العظيم أن تقشع عنى شكوكى لان ثقلها على يقطع نياط قلبى فانى عندما اقتربت من باب المدينة وأنا ممتطى جوادى فى وقت الفجر رأيتك بعينى فجأة بجانب النهر واقفا تصلى .وكانت يداك وعيناك مرتفعتين الى السماء وانت مشتغل بالمناجاة لله. فوقفت الاحظك وانتظرت حتى اتممت الصلوة لاقترب منك وأوبخك على التجاسر لترك القلعة بدون اذنى وكنت اثناء مناجاتك مع الله منهمكا فى العبادة والابتهال ناسيا نفسك فاقتربت منك بهدوء وانت فى حالة وله لم تشعر بوجودى كلية وفجأة شعرت بخوف شديد ورجعت عن عزمى عن ايقاظك من هيامك وتركتك وذهبت الى الحرس لاوبخهم على اهمالهم ولكنى دهشت إذ وجدت الباب الخارجى والداخلى مغلقين ولم يفتحا إلا بناء على طلبى فدخلت عندك والآن وجدتك جالساً أمامى مما أوجب تعجبى وارتبت أن يكون عقلى قد فارقنى) فاجابه الباب قائلا (ان الذى رأيت هو حق لاينكر) وأنك تبخس قدرهذا الأمر وتحتقر صاحبه ولم يشأ الله برحمته أن يوقعك فى العقاب بل أراد أن يظهر الحق أمام عينيك وبتوسط الهي أوقع فى قلبك محبة وليه لتعترف بقوة الأمر التى لن تقهر)

وقلبت هذه الحادثة قلب على خان كلية . وهدأت هذه الكلمات اضطرابه وأخضعت وحشيته وأزالت عداوته . وأراد أن يكفر عن سابق سلوكه بكل جد واجتهاد وأسرع

باخبار الباب قائلا (يوجد رجل شيخ مسكين يحن للقائك وهو قاطن فى مسجد خارج باب ماه كو . أرجوك أن تأذن لى أن أحضره إلى هذا المكان لمقابلتك . وبذلك أرجو أن تغفر لى سيآتى حتى أكون قادراً على محو شوائب آثار سلوكى السىء مع أحبائك) فاذن له فى ذلك وذهب توا وأحضر الشيخ حسن الزنوزى للمثول بين يدى الباب ولم يأل على خان جهداً فى ضمن الحدود المخولة له فى عمل كل مامن شأنه تخفيف وطأة الأسر على الباب . وكان باب القلعة مغلقاً أثناء الليل وأما فى النهار فكان كل من يريد الدخول على حضرة الباب يصرح له ويتمكن من التحدث معه وأخذ التعليمات اللازمة منه

وأثناء حبسه فى القلعة خصص الباب كل وقته لكتابة البيان الفارسى (١) وهو أهم وأنور وأشهر وأجمع من كل كتبه وفيه شرع القوانين والقواعد للامر الجديد وبين وأوضح وبشر بظهور جديد يأتى بعده وحرض أتباعه للبحث عمن يظهره الله(٢) وحذرهم من أن يؤولوا الأسرار والأشارات الموجودة فى البيان بطريقة تمنع الاعتراف بامره (٣) وسمعت الشيخ حسن الزنوزى يقول الآتى (ان صوت الباب وهو يملى تعاليمه وقواعد إيمانه كان مسموعا بوضوح فى سفح الجبل الذى كان يردد هو والوادى صوته وكانت نغمة

(١) وكانت الجموع تهرع لزيارة الباب من كل مكان وكان عدد الكتابات والالواح التى صدرت من قلمه فى تلك المدةعديدة بدرجة أنها بلغت نحومابة ألف آية (كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٢٣٨) فانظروا أنه صدر مايقرب من ماية ألف سطر من مثل هذه الآيات وانتشرت بين الناس خلاف الخطب المتوالية وأجوبة المسائل العلمية والفلسفية (من البيان الفارسى حزء أول صحيفة ٤٣) وانظروا أيضاً فى مسألة نقطة البيان أن الذين اوتو العلم يعرفون رتبته قبل ظهوره ولكنه فيما بعد أظهر للآن ماينوف عن خمسمائة الف آية فى مختلف المواضيع ومع ذلك تكلموا عليه بكلمات لايرضى القلم أن يكررها (البيان الفارسى حزء ٣ صحيفة ١١٣) وان الآيات التي تدفقت من غمام الرحمة الالهية عديدة لدرجة أنه لم يقدر أحد على احصائها ويوجد منها الآن نحو من العشرين مجلد وكم منها ما لم يظهر للآن . وكم منها ما نهب ووقع فى يد الأعداء ولم يعلم مآله (من كتاب الايقان صفحة ١٨٢ — ١٨٣)

(٢) إشارة إلى بهاء الله — وقد كتب الباب لملا باقر أحد حروف الحي عليه رحمة الله وبركاته (لعلك فى السنة الثامنة تفوز برؤياه فى يوم ظهوره) (نقلاً عن لوح ابن الذئب صحيفة ١٢٩)

(٣) وعلى هذا النمط كانت كتابات الباب جميعها بعد حبسه فى سجن ماه كو فقد خاطب محمد شاه بخطاب طويل تقوم على تحليله وهو يبتدىء بحمد الله الواحد ثم يستمر فى المدح على محمد والأئمة الاثنى عشر الذين هم حجر الزاوية فى بناء البيان كما يظهر ذلك من الجزء الثانى من هذا الكتاب . وكتب ما يأتى (أقول بأن كل ما سواهم ممن فى الامكان فى هذه الدنيا عندهم عدم صرف وإذا ذكر فانما يكون

ترتيل الآيات تفيض من فه وهي تشنف الأسماع وتخترق القلوب والأرواح وتتحرك

الكل بمثابة ظل الظل . واستغفر الله من هذا التحديد الذي أصفهم به . لأن درجة المدح الذي يمدحون به هو عدم إمكان مدحهم ... ولهذا خلقني الله من طينة لم يخلق أحد من طينة مثلها . وأعطاني ربي مالا يفهمه العلماء بكل ما أوتوه من العلم وما لا يعرفه أحد إلا الذين امحوا بالكلية أمام آية من آياتي ... واعلم اني بالحق محمود الكلمة الأولى تلك الكلمة التي من عرفها عرف الله ودخل في كل الخير . والذى ما أراد أن يعرفها فقد جهل الله ودخل في كل الشر . فوربك رب الأرضين والسموات أن الذي يعيش هنا بقدر ما تسمح له طبيعته ويمضي حياته يعبد الله وفي جميع أعمال الخير حسبا يقتضيه علم الله إذا كان في قلبه عداء لي بأقل مما لا يقدر أحد على معرفته إلا الله لجميع أعماله الطيبة والصالحة ليس لها من فائدة ولا منفعة ولا ينظر اليها الله إلا للعقاب وكان معدودا من بين الأموات . فقد قدر الله كل الخير كما يعرفه خبيراً في طاعتي وقدر كل الشر في مخالفتي وفي الحقيقة أني اليوم أرى في مرتبتي أن كل ما أريد أن أقوله وجميع أهل محبتي وطاعتي في أعلا غرف الجنان . بينما أعدائي مغموسين في أسفل دركات الجحيم . أما عن وجودي فأني أقسم أنه لولا أني أجبرت على أن أقبل أن اكون حجة لله فما كنت أقدم على تحذيرك ...) وهنا يستمر الباب بكل وضوح يؤيد أقواله في كتاب بيان الحرمين . ولا يزيد عليها شيئا ولا ينقص منها شيئا . قال :—

وأني أنا النقطة التي ظهر منها كل الوجود وأني أنا وجه الله الذي لن يفنى ولا يطفى والذي يعرفني يصحبه كل الخير والذي ينكرني يأتي خلفه كل الشر . ولما سأل موسى ربه ما سأل وتجلى ربك للجبل تنور من أحد شيعة على كما يدل على ذلك الحديث (وأقسم بالله أن ذلك النور هو نوري) .ألا ترى أن عدد أسمي يساوي عدد أسم الرب ألم يقل الله في القرآن (فلما تجلى ربك للجبل) واستمر الباب في بحث النبوات المذكورة في القرآن وبعض الأحاديث وذكر حديث المفضل الشهير وهو من اكبر الأدلة على ظهوره وفي القرآن يقول في سورة ٣٢ آية ٤ (يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) وقد اختفى آخر أيام سنة ٢٦٠ هجرية وفي ذلك الوقت تم تدبير الامر الألهي وأغلق باب العلم . وقد سأل المفضل الأمام الصادق عن علامات ظهور المهدى فأجابه أنه يظهر في سنة الستين ويرتفع أمره يعني سنة ٢٦٠ وهي السنة التي كان فيها ظهور الباب ويقول الباب (قسما بالله أني لم أتلق الدرس وكان تعليمي كتعليم التجار . وفي سنة الستين امتلأ قلبي بآيات بينات وعلوم حقة وشهادة لله الحق وقد أظهرت دعوتي في تلك السنة بعينها) .

وفي تلك السنة أرسلت لك أيضا رسولا (ملا حسين بشروئي) ومعه كتاب يحمله لعل الحكومة تفعل ما تراه بالنسبة للحجة . ولكن الأرادة الألهية أقامت الحروب الأهلية التي أصمت الآذان وأعمت الأعين وأقست القلوب حتى بذلك لم يتمكن رسولي من الوصول اليكم وعارضه الذين ظنوا أنفسهم وطنيين . وللآن بعد مرور أربع سنوات لم يخبركم أحد بحقيقة الامر . والآن قد اقترب وقتي لأن عملي هو عمل آلهي وليس بشريا ولذلك كتبت اليك بالاختصار . قسما بالله لو تعلم ما نزل عليّ في هذه المدة من موظفيك ومن مأموريك فان خوف الله يمنعك من الشهيق الذي تردده الآن على شفتيك الا اذا فكرت ورتبت الدخول في طاعة الحجة واصلحت حالا ماحصل وقد كنت في شيراز ووقع علينا من ذلك الطاغية الشرير وهو حاكمها من الظلم ما لو علمت باقل قليل منه لعاقبته بالقصاص لأن شره قد جلب غضب السماء إلى يوم يبعثون على جميع أنحاء المملكة. فهذا الرجل المتكبر الحسود لم يصدر منه أي أمر ينطبق على العقل فأجبرني على مبارحة شيراز وسرت في طريقي إلى طهران لمقابلتك ولكن المرحوم معتمد الدولة كان يعلم بحقيقة الدعوة وعمل كل ما يقتضيه واجب الاحترام نحو آل الله . وابتدأ جهال المدينة يثورون وهذا ما جعلني أختبيء في قصر الصدر

لندائه قلوبنا من أعماقها (١) وكان لارخاء حبل القيود التي فرضت على البـاب الأثر الجميل فى تشجيع الـكثيرين من أتباع الباب على الحضور من الأقاليم المختلفة من إيران لزيارته فى قلعة ماه كو فكان الزوار يفدون زرافات على أبواب القلعة ويدخلونها بلطف

حتى توفى المعتمد جزاه الله عنا كل خير . ولا شك أن ماعمله معنا كان سببا فى نجاته من نار الجحيم . ثم جاء من بعده جورجين وجعلنى أسافر سبع ليال مع خمس رجال بغير أن يعطينا ما يلزمنا للسفر ومعه الف اكذوبة والف ظلم . فيا أسفا علي ما نابني وما أصابني وأخيرا أمر السلطان بذهابي إلى ماه كو بدون أن يعطيني ركوبة للسفر عليها فيا أسفي فقد أصابني ما أصابني ووصلت أخيراً إلى هذه القرية التي سكانها جهلاء غلاظ . قسما بالله لو تعلم فى أى مكان سكنت لـكنت أول من يرحمني أنه عبارة عن قلعة على قمة جبل وهذا من رعايتك أنني سكنت فى هذا المسكن ؟ . وكان عدد الساكنين فيه رجلين وأربع كلاب والآن فـكر كيف كنت أمضي وقتي . إلا إني مع ذلك شكرت لربي كما يجب أن يشكر . وأقسم بالله أن الذى حبسني هناك كان مسروراً من فعلته ولو كان يعرف الذى عمل معه ذلك حق المعرفة لزال فرحه . والآن أكشف لك عن سر وهو أن ذلك الرجل قد حبس جميع الانبياء والاولياء فى شخصي والذى أحاطه علم الله ولم يبق من تعمد لم يصبني منه الأنين ... ولما علمت بالأمر الذى أصدرتم فى حق باعتقالي فى ماه كو كتبت للصدر الاعظم وقلت له أقتلني وارسل رأسي لأى مـكان شئت ولا ترسلني حيا بدون ذنب إلى حيث يرسل المذنبون ولـكنه لم يجبني بشيء . وأني لعلى يقين أنه لم يكن عالما بحقيقة الحال لأن إغضاب قلوب المؤمنين بغير سبب أشد وأصعب من هدم بيت الله . قسما بالله أني أنا الآن بيت الله الحقيق وكل خير معلق على ما يعمله كل نحوى من الخير لأنه يـكون كمن يعمل الخير لله وملائكته وأحبائه . ولو أن الله وأحباءه قد علوا علوا كبيرا من أن يصل الى تراب عتبتهم أى خير أو شر من أى إنسان . ولـكن كل ما يصل إليّ أنه يصل إلى الله . قسما بالله أن الذى أمر بحبسي إنما حبس نفسه ولن يصيبني إلا ما أراد الله فآه آه على من يخرج من يده الشر وطوبى لمن يبذل الخير .

وفى نهاية هذه الرسالة الطويلة يقول (أما الأمر الآخر فعن هذه الدنيا الدنيه فأن المرحوم المعتمد صرف أعوانه ذات ليلة وخاصة الحاج ملا احمد ثم قال لي (إني أعـلم يقينا أن كل ما ملـكته جمعته بالغصب وهو ملك لصاحب الزمان ولذلك أسلمك جميع مالي لأنك سيد الحقيقة . وأرجو أن تجعلني فى حل من حيازته ثم خلع خاتما كان فى يده وأعطاه لى فأخذت الخـاتم ثم أعدته اليه وجعلته حائزا لـكل أملاكه . والله شاهد على ما أقول وكفى بالله شهيدا . لم أقبل من جميع أملاكه دينارا ولـكن لك أن تأمر فيها بما تشاء وبما أن الله أمر أن يكون لـكل نزاع شاهدان فمن بين جميع العلماء أطلب السيد يحيي والاخوند ملا عبد الخالق فهما يطلعانك على أمري ويوضحان لك آياتي فلا يبقى بعد هذه المقابلة إلا أمر واحد وهو إتمام حجتي . لأن أحد هذين الشاهدين عرفني قبل الظهور وأما الآخـر فعرفني بعده . ويعلم الاثنان كلاهما ذلك حق العلم . ولذلك اخترتهما .)

وينتهي الخطاب بأحاديث وبراهين عديدة حرفية على هذا النحو وكان الباب محزونا جدا فى حبسه ومكث فيه كثيرا لان الخطاب المومى اليه صدر سنة ١٢٦٤ وكانت شهادته فى ٢٧ شعبان ١٢٦٦ (٨ يولية سنة ١٨٥٠) انتهي مقتطفا من تاريخ السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٦٧ — ٣٧٣

(١) وهذا هو الدعاء الذى كان الباب يدعو به كما يذكره فى الدلائل السبع وهو مناجاته أثناء

وتساهل على خان (١) وبعد إقامة ثلاثة أيام يسمح لهم بالانصراف بأمر الباب مع التعليمات بالعودة الى خدماتهم وأعمالهم لاعلاء شأن الامر ولم يتأخر على خان نفسه فى كل يوم جمعة من اداء واجبات الاحترام للباب ليؤكد له اخلاصه وعبوديته ودائما يقدم له أندر وأحسن الفواكه الموجودة بالقرب من ماه كو ويهديه بكل مالذ وطاب منها ويكون موافقا لرغبته .

وعلى هذا النحو أمضى الباب الصيف والخريف بين حوائط تلك القلعة وتلا ذلك شتاء قارس حتى أن الأواني النحاسية تأثرت من شدة البرد ووافق ابتداء ذلك الفصل أول المحرم سنة ١٢٦٤ هجرية (٢) وكان الماء الذي يستعمله الباب فى الوضوء وصل لدرجة من البرودة الثلجية أن قطراته كانت تلمع على وجهه بما فيها من الثلج . وكان عقب كل صلاة يطلب حضور السيد حسين أمامه ويأمره أن يقرأ بصوت مرتفع قطعة من محرق القلوب وهو كتاب الشاه المرحوم حاجى ملاّ مهدى جد الحاج ميرزا كمال الدين نراق وفيه يمتدح المؤلف فضائل الامام الحسين ويندب وفاته ويذكر أحوال استشهاده وكانت قراءة مايحويه من ذكرى الآلام تثير الهياج فى قلب الباب فتستمر دموعه فى

حبسه فى قلعة ماه كو (ما ترجمته) أى رب أنزل عليه واهله وذريته وأحباءه واتباعه وأقرباءه وكل من على الارض نورا يفتح أبصارهم وسهل أمورهم ومكنهم من الطيبات فى الدنيا والآخرة إنك فعال لما تريد . أحى اللهم فى قلبه ما يقتدر به على تجديد شريعتك ويحي به ما تغير فى كتابك . واظهر له ما أردت من تعديل أوامرك حتى تتجدد شريعتك . وامنحه فى يده كتابا جديداً طاهراً نقيا لا ريب فيه فلا يشك فيه أحد ولا يقدر أن يغيره أو يعدله. فيا ألهي أنر بضيائك كل ما هو مظلم وامح بقوته الثابتة ما غير من الاحكام واهلك باعتلائه الذين لم يتبعوا طريق الحق كما تهلك به الظالمين . فامح بسيفه أعمالهم المجتثة وبعدله كل ظلم واجعل كل من عنده مطيعا لأمره . واقلب جميع الممالك بسلطنته فيا ألهي أنزل من يريد إنزاله واهلك عدوه وانكر كل من أنكره وشتت شمل كل من خالف حقه وأنكر أوامره وسعي فى إطفاء نوره وامح اسمه (عدوه)

وأضاف الباب هذه العبارات : أتلو هذه العبارات والبركات مراراً وإن لم يكن عندك وقت لتلاوتها بأجمعها فلا تنس أن تتلو الجزء الاخير منها وانتبه لظهور من يظهره الله لأن هذا الدعاء نزل لأجله من السماء حتى لا يصيبه حزن وعلمت أتباعي أن لا يحزنوا أحدا وقت الظهور لئلا يصيب شمس الحقيقة أى حزن (كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة ٦٤ — ٦٥)

(١) وقد كتب صاحب كتاب المتنبئين ما يأتى (ان البابيين يأتون من كل جهة إلى أذربايجان للحج عند رئيسهم) (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٦٥ حاشية ٢٢٧) نقلا عن كلام البرنس على قلى ميرزا اعتضاد السلطنة مؤلف كتاب المتنبئين)

(٢) ٩ ديسمبر سنة ١٨٤٧ — ٨ يناير سنة ١٨٤٨ ميلادية

الجريان وهو يستمع الى الشتائم والاهانات التى وجهت الى الامام مما لايصح التفوه به والى الألم المضنى الذى قاساه من أيدى طغاة الاعداء .

وبينما كان يستعرض حوادث تلك الحياة المحزنة كان دائما يردد فى ذهنه صورة تلك الرواية المحزنة التى ستحصل وقت مجىء الحسين الموعود. ولم تكن هذه المفاجع القديمة إلا إشارة تنبىء من الآلام القاسية التى سوف يقاسيها محبوبه الحسين بايدى مواطنيه فكان يبكى أثناء تصور هذه المصائب فى مخيلته تلك المصائب التى سوف يتعرض لها من يظهره الله وهى مما لم تحصل للامام الحسين حتى فى أشد حالات نكبته (١)

ويقرر الباب فى إحدى كتبه المنزلة سنة ١٢٦٠ هجرية مايأتى مترجما (أن تبتلى وصلواتي ونسكى كانت نتيجة رؤيا رأيتها قبل إعلان أمري بسنة واحدة . وهى أنى رأيت رأس الامام الحسين سيد الشهداء معلقة على شجرة تقطر دما بغزارة من بلعومه المقطوع فاقتربت من تلك الشجرة وأنا مبتهج أشد الابتهاج وبسطت كلتا يدى وجمعت قليلا من

(١) وكتب الباب أثناء إقامته فى ماه كو جملة كتب ومن جملتها البيان الفارسى والدلائل السبع وكلها مملوءة بالأدلة الدالة على أنها كتبت فى ذلك الوقت . وإذا صدقنا ماورد فى التاريخ الجديد استناداً على أقوال ميرزا عبد الوهاب كانت كتابات الباب المتداولة في تبريز لاتقل عن مليون آية . (مقاله سائح حاشية ل — صحيفة ٢٠٠) أما بخصوص كتاب الدلائل السبع فكتب نقولاس ما يأتى : — أن كتاب الدلائل السبع من أعظم الكتب الاستدلالية التى أملاها قلم الباب السيد على محمد (مقدمة صحيفة ١) وكان مكاتبه قد طلب منه جميع الأدلة على رسالته وكان الجواب الذى وصله فريدا فى بابه من جهة الاتقان والدقة وهو مبنى عل آيتين من القرآن (الأولى) قل لو اجتمعت الجن والانس لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (الثانية) وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم (مقدمة صحيفة ٥)

فالتدليل الذى أتي به الباب جديد فى ذاته ولم يسبق له مثيل ومن هذا نلحظ الفائدة العظمى من قراءة هذا الكتاب . ومن اتساع الكتاب لم تتح لى الفرصة لاستعراض أصول المسائل التى فيه ولو بالاختصار والتى هى قواعد ثابتة والتى يظهر عليها الجمال ومقترنة بالتصديق . وأنعشم أن أقوم بذلك فيما بعد . والآن عندى ملحوظة أقولها عن كتاب الدلائل السبع فان الباب تكلم فى نهاية الكتاب عن المعجزات التى قارنت دعوته . وهذا مايدعو الى الدهشة لأن الرسول ينكر بتاتا المعجزات المادية التى ظنوا أن محمداً أتي بها ولم يذكر له وللنبي العربى من المعجزات سوى نزول الآيات لا غيرها ولم يكن ذلك بسبب عدم امكان الاتيان بها بل لأن العجائب المادية هى أحط من العجائب الغير المادية والله يفعل مايشاء (مقدمة صحيفة ١٢ — ١٣) (نقلا عن كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس)

قطرات ذلك الدم المقدس وشربتها باخلاص ولما انتبهت شعرت بأن روح الله قداخترقت جسمي واستولت على نفسي . وابتهج قلبي بفرح الحضرة الالهية وتجلت أسرار وحيه أمام عيني بكل مجده)

وما كاد محمد شاه يحكم على الباب بالأسر فى جبال أذربايجان حتى انتابته مفاجع فجائية وتبدلت راحته بالمتاعب بدرجة لم يعهد لها مثيل من قبل واشتدت عليه الكوارث من كل الجهات وابتدأت أركان السلطنة تتزلزل وأخذت الكوارث المفجعة تنتاب القوات التى كانت تحافظ على الامن فى داخلية البلاد (١) وارتفع علم الثورة فى خراسان واستولى الذعر والرعب على المملكة بدرجة اضطرت الشاه إلى الغاء سفره إلى هرات ، وكان إهمال الحاج ميرزا أقاسى سببا فى إشعال نيران الاستياء واندلع لهيبها وسخط الجمهور واشتغلوا بالنهب والسلب وأخذ أكثر العناصر مشاغبة فى خراسان من السكان فى أقاليم كوشان وبوجنورد وشيراوان يتحدون تحت إمرة السالار ابن آصف الدولة وهو خال الشاه الأكبر والحاكم على الاقليم المذكور وخلعوا سلطة الحكومة المحلية وثاروا عليها وكلما أرسلت من جانب العاصمة قوات كان محركوا الثورة

(١) وكان هذا الاقليم معرضا للقلاقل الخطيرة ففى نهاية سنة ١٨٤٤ وابتداء سنة ١٨٤٥ كان حاكم بوجنورد قد ثار على الشاه واتحد مع التركمان على ايران فاستغاث البرنس آصف الدولة حاكم خراسان بطهران فصدر الأمر للجنرال بابا خان رئيس الجيش الايرانى بارسال عشرة آلاف رجل لاخماد الثورة ولكن فراغ الخزينة من المال عطل إرسال القوة فامتنع من إطاعة الأمر . ورتب الشاه مشروعا لارسال حملة فى الربيع وهو علي رأسها وأخذ في إعداد الاهبة لها وكمل تنظيم عشر فرق عبارة عن ألف رجل انتظروا وصول البرنس حمزة مرزا الذى تعين رئيسا للحملة وكان حاكم خراسان آصف الدولة خال الملك أحس بفزع من جراء النميمة التى وشي بها فى حقه فى طهران فحضر فجاة الى البلاط الملكي ووقع على رجل الملك وأعلن اخلاصه لشخصه وطلب معاقبة متهميه وأعدائه وخاصة ميرزا آقاسى رئيس الوزراء القوى وانتهى النزاع بهزيمة الحاكم حيث استلم الأمر بالسفر الى الحجاز مع والدة الملك الى مكة وكان ابن آصف الدولة سالار محافظا على جامع مشهد وهو رجل غنى بنفسه وقوى بمحالفته مع شيخ الاكراد جعفر قلى خان ايلخاني من قبيلة قاجار قد قام بشق عصا الطاعة واستلزم ذلك ارسال ثلاث آلاف رجل مع الأسلحة وعشرين مدفع وأعطى اقليم خراسان لحكم حمزة مرزا ولما جاءت الأخبار بأن جعفر قلى خان حضر ومعه خيالة من الكرد والتركمانية وقتل بعض فصائل من الجيش الايرانى استلزم الحال إرسال خمس كتايب من الجيش و ١٨ مدفع وبذلك تم إخماد الثورة فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٤٧ (وتسمى موقعة شاه رود (١٥ سبتمبر) وفر جعفر قلى خان والسلار (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٥٧ ــ ٢٥٨)

يهزمونها . وكان جعفر قلي خان نامدار والأمير أرسلان خان إبن سالار القائدان للثوار المحاربان للشاه قد أظهرا منتهى القسوة فى معاملة الأسرى الحكوميين وإعدامهم جميعاً

وكان الملا حسين فى ذلك الوقت مقيما فى مشهد(١) ومشغولا فى نشر الأمر الجديد رغما عن الهياج الذى أحدثه حصول الثورة . وما كاد يعلم أن السالار عزم على مقابلته للحصول منه على المعونة والمساعدة لمد نطاق الثورة حتى ترك المدينة توا لئلا يدمج نفسه فى الدسائس التى كان يعملها ذلك الرئيس الثائر . وخرج فى ظلام الليل من المدينة ومعه قمبر على خادمه سائرين على الأقدام إلى طريق طهران ومنها عزم على زيارة أذربايجان حتى هناك يقابل الباب . ولما علم الأحباب بسفره هيئوا له كل أسباب الراحة لذلك السفر الطويل المتعب وذهبوا بها ليلحقوه . ولكن الملا حسين أمتنع عن قبولها قائلا (انى أقسمت أن أسير على قدمى جميع المسافة التى تفصلنى عن المحبوب فلن أنثنى عن عزمى حتى أصل إلى مرغوبى). واجتهد أن يقنع قمبر علىّ على الرجوع إلى مشهد ولكنه أخيراً أضطر على أن يسمح له بخدمته أثناء الحج إلى أذربايجان بناء على توسله .

وكان الملا حسين فى طريقه إلى طهران يقابل الأحباء بكل ترحاب وحماس فى مختلف

(١) ومشهد هي اكبر مدينة يحج اليها في إيران وأما كربلاء فهى فى أرض تركية وفيها جدث الامام الرضاء ولا أذكر المئات من المعجزات التى تنسب الى ذلك القبر المقدس وتحصل فى كل يوم ويكفى الاشارة الى أنه فى كل سنة يحضر للحج آلاف من الحجاج لذلك القبر . ولا يرجعون الى بيوتهم حتى يصرفوا آخر قرش على مافيها من البضائع والصنائع ويجري فيها من أجل ذلك نهر من ذهب بلا انقطاع ويتناول هذه النقود الموظفون السعداء ولا يفتأون يعملون الف حيلة ليبقوا زبائنهم فى شباكهم . ولذلك وجدت هناك أعظم ادارة منظمة فى إيران . فلو فرضنا وكان هناك نصف المدينة من الزوار فان النصف الآخر يقومون على خدمتهم والانتفاع منهم فيكون منهم أصحاب حانات ونزل وفنادق وسماسرة حتى البنات اللائى لا يجدن أزواجا يلجأون اليها للتزوج . ومع انهم جميعاً قاموا ضد الرسول الذى لا يعرفونه ويجهلون أحكامه . فلا يخافون من جانبه على شىء إلا بوار تجارتهم فانهم لايأذنون بذلك . وإذا كان الرسول يقوم على محاربة الفساد فذلك جائز فيما عدا مدينة مشهد من البلاد . أما عندهم فى تلك المدينة فمن فيها من كبار وصغار نشأوا على الفساد ولا يعيشون إلا عليه . فللامام المهدى إذاً أن يظهر كيف يشاء إلا إذا كان ظهوره يضر بتجارتهم . وفى نظرهم أنه يصح له أن يجمع الناس حوله وبهم ينتصر وإن فى ذلك مشقة عليه لمواجهته ضربات قاسية ولكن الناس فى مدينتهم هادئون يكسبون عيشهم وأموالهم بدون أي مخاطرة أو تعب (صحيفة ٢٥٨ــ٢٥٩ من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس)

المدن التي مر فيها وهم يقدمون له المونة في سفره ولكنه كان يرفض قبولها وسمعت الرواية الآتية من فم آقا كليم (لما وصل الملا حسين إلى طهران ذهبت ومعي نفر كبير من الأحباء لمقابلته وكان يظهر لنا أنه هيكل الرزانة والرحمة والفضيلة . وكان يحرضنا على مكارم الأخلاق والولاء التام للأمر وهكذا كانت شدة أيمانه ومحاسن أخلاقه على شأن أعتقدنا أنه وحده وبدون أي مساعدة خارجية يقدر أن يتمم النصرة لأمر الله) وقد توصل سرا إلى المثول أمام بهاء الله وبعد التحدث معه قام إلى أذربايجان .

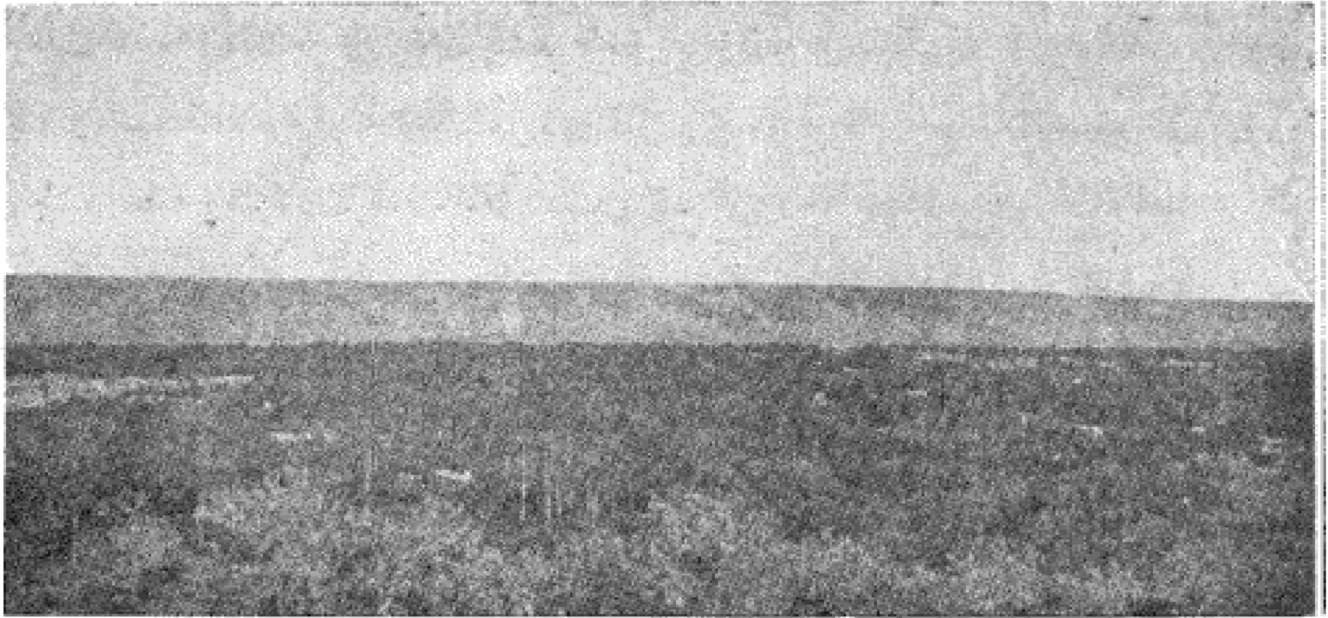
وفي الليلة السابقة على وصوله إلى ماه كو التي كانت في مساء النيروز الرابع من إعلان دعوة الباب ووافق في تلك السنة أي ١٢٦٤ هجرية(١) اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الثاني رأى علي خان رؤيا قال (رأيت كأني أخبرت فجأة بعزم محمد رسول الله على المجيء إلى ماه كو وأنه سوف يحضر إلى القلعة ليزور الباب وليهنئه بعيد النيروز فخرجت جريا لمقابلته وأنا مشتاق لأقدم خضوعي وترحيبي لزائر مقدس مثله وبفرح لايوصف اسرعت لناحية النهر ولما وصلت إلى القنطرة التي هي على بعد ميدان (جزء من فرسخ) من بلدة ماه كو رأيت اثنين قادمين نحوى وظننت أن احدهما رسول الله نفسه والاخر الذى يسير خلفه احد اصحابه الممتازين . فاسرعت الى الوقوع على اقدامه وانحنيت لاقبل طرف ردائه واذ ذاك استيقظت فجأة فانغمست في بحر من السرور وشعرت كأن الجنة بنفسها وما فيها من مسرات قد تجمعت في قلبي واذ ايقنت بصحة رؤياي قمت وتوضأت وصليت وارتديت افخر ملابسي وتعطرت وذهبت الى تلك البقعة التي نظرت فيها في الرؤيا وجه الرسول وامرت احد اتباعي أن يسرج لي ثلاث جياد من خيارها واسرعها وان يقودها الى القنطرة . وعند طلوع الشمس خرجت وحدي وبدون حرس ومررت في مدينة ماه كو في طريق النهر وما كدت اصل الى القنطرة حتى عجبت لرؤيتي الرجلين الذين شاهدتهما في الرؤيا يمشيان الواحد خلف الاخر ويسيران نحوى وبدون أي تفكر وقعت على قدم الشخص الذي اعتقدت انه الرسول وقبلته باخلاص ورجوته هو ورفيقه ان يركبا الجياد فقال (لا فاني آليت على نفسي أن اتمم رحلتي ماشيا على قدمي . وسأسير ماشيا إلى قمة الجبل وهناك ازور المسجون

(١) ١٨٤٨ ميلادية

وجعلت هذه الحادثه على خان يشعر باحترام زائد فى مسلكه نحو الباب . واصبح يقينه فى صحة الامروقوته اعظم من ذى قبل وبخشوع تام تبع ملاّ حسين الى أن وصل إلى باب القلعة وما كادت اعين الملاّ حسين تقع على وجه سيده الذى كان واقفا على العتبة حتى وقف فجأة وانحنى امامه ومكث بجانبه بدون حراك فمد الباب ذراعه وعانقه بكل شوق وسار به ويده فى يده إلى غرفته ثم دعا احبابه لمقابلته واحتفل بعيد النيروز . وقدمت اطباق الحلوى والفواكه المنتخبة امامه . وفرقها على احبابه المجتمعين واذ ناول الملاّ حسين بعضا من التفاح والسفرجل قال له (أن هذه الفواكه اللذيذة قد أتتنا من ارض الجنة وقطفت خصيصا لهذا العيد بواسطة اسم الله الفائق محمد تقى ولهذا لم يسمح لاحد من اتباع الباب سوى السيد حسين يزدى واخيه بالمكث داخل القلعة اثناء الليل ولكن فى ذلك اليوم ذهب على خان الى الباب وقال له (اذا كنت ترغب فى أن يبقى معك الملاّ حسين هذه الليلة فانى مستعد لتنفيذ رغبتك لانه ليس لى ارادة من تلقاء نفسي ومهما اردته أن يمكث معك من الوقت فانى لا امانع بل اكون رهين اشارتك) وكان اتباع الباب يفدون عليه زرافات فى ماه كو وكان يسمح لهم بالمثول امامه توا بدون اى حائل .

وذات يوم كان الباب يتأمل فى المناظر المجاورة من سطح القلعة ورأى من ناحية الغرب كيف أن نهر اراكسس ينحنى فى تعاريجه تحته فى مجراه على بعد فالتفت إلى ملاّ حسين وقال (هذا هو النهر وهذا هو الشاطىء الذى كتب عنه الشاعر حافظ يانسيم اذامررت بشاطىء نهر اراكسس فقبل الارض فى ذاك الوادي وعطر مشام انفاسك من عبير طيبها ويا منازل سلمى اليك الف تحية وثناء فما اعز صوت الحادى هناك وماحلى جلجلة اجراسه)(١) وان ايام اقامتك فى هذه البلدة اصبحت معدودة ولولا قصر مدة اقامتك لاريناك منازل سلمى كما اريناك شواطيء نهر اراكسس) وكان الباب يشير بها لمنازل سلمى التى تقع قريبا من جهريق والتى يسميها الاتراك سلماس وزاد الباب بقوله (أن

(١) وقال الحاجي معين السلطنة فى تاريخه (صحيفة ٦٧ـ٦٨) أن ميرزا حبيب شيرازى المعروف باسم القاينى وهو أحد مشاهير شعراء الفرس كان أول من أنشأ قصيدة فى مدح الباب واعلاء شأنه ومقامه وكانت النسخة الخطية المتضمنة هذه الاشعار قد اطلع عليها مؤلف التاريخ وقد كتب على رأس المديح (فى مدح ظهور السيد الباب)



منظر ميلان في اذربايجان

روح القدس هى التى تنطق على السنة الشعراء وهم فى غالب الاحيان لا يقدرون أن يعرفوا المغزي وكذلك الشعر الآتى الذى نطق به الروح الامين (شيراز فى الأضطراب وسيظهر فيها ذلك الفتى الحلو اللمى واخشى أن تهيج طيب انفاس فمه وتقلب بغداد) والان لايزال السر فى هذا البيت مخفيا وسيعلم نبؤه بعد حين) (١) ثم تلا الباب الحديث المعروف الذى يفيد أن الكنوز الالهية مخبوءة فى عرش الرحمن ومفتاحها السنة الشعراء .

ثم تنبأ للميرزا حسين عن جميع الحوادث التى ستحصل فى القريب العاجل واحدة بعد أخرى وامره أن لايخبر بها أحدا (٢) وقال له الباب سوف ينقلوننا إلى جبل آخر وقبل أن تصل إلى مقرك ستصلك اخبار انتقالنا من ماه كو وتم تنبؤ الباب سريعاً . فالاشخاص الذين كانوا يتجسسون على حركات واعمال على خان ارسلوا تقريرا مفصلا إلى حاجى مرزا اقاسى واتهموه فيه بأخلاصه للمسجون ووصفوا الوقائع التى تثبت أقوالهم

(١) الحين يوازى ٦٨ اى سنة ١٢٦٨ وهى سنة ظهور بهاء الله فى طهران إذ كان محبوسا فى سياه شال .

(٢) وفى الدلائل السبع يقول الباب أن حديث أذربايجان خاص بهذا الموضوع وهو (ان كلما يحصل فى أذر بايجان هو بلا شك لأجلنا ولا يمكن لأى أحد أن يمنع حصوله . فاذهبوا اذاً الى بيوتكم ولكن إذا سمعتم بظهور أحد فاذهبوا اليه) ويستمر الحديث (ويل للعرب من شر قد اقترب) ولو كانت هذه الأقوال الصادرة من الرسول خاصة برسالته لما كان لها أى معنى بل تكون عبثا (كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة ٤٧)

ومما كتبوه (أن محافظ ماه كو يعاشر المسجون ليل نهار بحرية تامة وأن على خان الذى رفض أن يزوج ابنته إلى ولى عهد الشاه بحجة أن هـذا العمل يثير ثائرة اقارب والدته الذين هم من اهل السنة ويعرضونه هو وبنته للقتل يطلب من الباب بالحاح تزويجها له وقد رفض البـاب ذلك الا أن على خان يصر على تضرعه ولولا رفض المسجون لتمت المراسيم الخاصة بالزواج والاحتفال به وقدم على خان طلبه وترجى الملاّ حسين أن يتوسط لدى الباب ولكنه لم يتمكن من الحصول على الاذن منه فكانت لهذه التقارير السيئة أثر سيء على الحاجى مرزا اقاسي . وأثر فيه الخوف واستولى عليه الغضب لدرجة أن هذا الوزير الاحمق اصدر امرا حتميا لنقل الباب إلى قلعة جهريق

وبعـد مرور عشرين يوما من النوروز ودّع الباب اهالى ماه كو الذين عرفوا قوة شخصيته العظيمة وسمو اخلاقه اثناء التسعة اشهر التى قضاها فى الحبس وكان الملاّ حسين الذى فارق ماه كو بامر الباب لايزال فى تبريز اذ سمع باخبار النقل إلى جهريق كما سبق وتنبأ به الباب وكان الباب وقت وداعه قال له (قد سرت على قدمك طول الطريق من موطنك إلى هذا المكان فعليك الان أن تعود ايضا سيرا على القـدم إلى أن تصل إلى المكان الذى تقصده الآن لأن الايام التى تمتطى فيها ظهور الجياد سوف تأتي فيما بعد ، فعليك أن تظهر منك الشجاعة والمهارة والشهامه التى تقصر عنها اقوى الشجعان من قديم الازمان وأن جرأتك المشهورة ستستوجب مدح واعجاب سكان الملكوت الابدى وعليك أن تزور فى طريقك احباء خوى وارومية ومراغه وميلان وتبريز وزنجان وقزوين وطهران وعليك أن تبلغ محبتى لكل منهم وشوق الحنون واجتهد أن تشعل فى قلوبهم مرة أخرى نيران محبة الجمال الالهى وتسعى فى تقوية ايمانهم فى امره وعليك أن تسير من طهران إلى مازندران وهناك ينكشف لك الكنز الالهى المستور فسوف يطلب منك أن تقوم باعمال عظيمة تقل دونها اعظم الاعمال التى وجدت منذ القدم وسوف تتضح لك طبيعة مأموريتك فى ذلك المكان وتعطى القوة والهداية حتى توفق لاسداء خدماتك لامره)

وفى صبيحة اليوم التاسع بعد النيروز قام الملاّ حسين على السياحة فى مازندران كما امر به مولاه . وقال الباب لقمبر على اثناء تودبعه أن قمبر على القديم كان يفتخر أن اسمه قد بقى حتى يشاهد اليوم الذى كان رب سيده يتأوه ليراه وكان يقول بكل شوق (واشوقاه لرؤية احبائى الذين يلقون ذلك اليوم)

الفصل الرابع عشر

فى سياحة الملا حسين فى مازندران

وطلب على خان من الملاّ حسين أن يتأخر بضعة أيام فى منزله قبل سفره من ماه كو وأظهر رغبته فى عمل كل التسهيلات اثناء سياحته الى مازندران ولكن الملاّ حسين رفض أن يؤخر سفره أو ان يقبل ماعرضه عليه على خان من التسهيلات .

وكان موفيا بالتعليمات التى اعطيت له ولذلك كان يمكث فى كل بلدة وقرية من التى أمره الباب بزيارتها ويجمع الاحباء فيها ويوصل لهم رسالة المحبة والتحيات وتأكيدات مولاه المحبوب وكان يحيى فيهم الحماس وينصحهم على أن يظلوا ثابتين على أمره وتشرف فى طهران بمقابلة بهاء الله وحصل منه على المعونة الروحية التى مكنته أن يواجه المخاطر التى اكتنفته بشدة فى أواخر أيام حياته بشجاعة وجرأة .

وواصل ملاّ حسين السير من طهران الى مازندران شوقا لمشاهدة أمر الكنز المكنون الذى وعده مولاه بظهوره له وكان قدوس فى ذلك الوقت قاطنا فى بارفروش فى المنزل الذى كان أصلا ملكا لوالده ويعاشر جميع طبقات الناس على اختلاف طبقاتهم وبسبب لطف معاشرته واتساع دائرة معارفه اكتسب محبة واعجاب سكان تلك المدينة وذهب الملاّ حسين توا الى منزل قدوس الذى اضافه بكل ترحاب . وكان يقوم بنفسه على خدمته وعمل كل مافى وسعه لراحة ضيفه . فقام على غسل رجله من ادرانها وازالة ماعلق بها من الاوضار . وكان يشرف مجلسه فى مجمع الاحباء ويقدمه بكل احترام لكل حبيب من الذين حضروا لملاقاته .

وفى ليلة وصوله وبعد رجوع الاحباء الذين حضروا العشاء المعد لاستقبال الملاّ حسين الى منازلهم التفت المضيف الى ضيفه وسأله ان يزيده معلومات بخصوص مشاهداته الدقيقة مع الباب فى قلعة ماه كو . فاجابه قائلا (ان الامور والاشياء التى سمعتها فى مدة التسعة أيام التى اجتمعت فيها معه كثيرة ومتنوعة وهو لم يرشدنى بصفة خاصة الى الطريقة التى

اتبعها لنشر الامر . ومحصل ماقاله لى (انك فى طريقك الى طهران عليك أن تزور الاحباء فى كل مدينة وقرية تمر منها . ومن طهران تسير الى مازندران وسيظهر لك هناك كنز مستور وان الكنز سوف ينير لك طبيعة العمل الذى انت مكلف به) ومن اشاراته امكننى أن افهم ولو سطحيا مجد دينه وعلائم ارتفاع أمره فى المستقبل . وفهمت من كلماته انى سوف ادعى لان أضحى فى سبيله نفسى الحقيرة لانه كان فى كل مرة يودعنى يؤكد لى فيها انى سوف أدعى مره أخرى لمقابلته أما فى هذه الدفعة عندما كان يلفظ كلمات وداعه لم يعدنى بمثل ذلك الوعد ولا اشار الى ميعاد مقابلتى له فى هذه الدنيا بل كانت آخر كلماته لى (ان ميدان التضحية سريع الاقتراب فقم وشمر عن ساعد الجد ولا تسمح لاى شىء أن يمنعك عن الوصول الى المقام الذى قدر لك فاذا وصلت اليه فاستعد عند ذلك للقائنا لاننا نحن أيضا ستتبعك)وسأله القدوس (هل أحضرت معك شيئا من كتابات سيدك) فلما أجابه سلبا أهدى القدوس ضيفه بصحائف من كتاب خطى كان فى حوزته وطلب منه أن يقرأ بعض فقرات معينة واذ قرأ صحيفة واحدة حصل فى وجهه تغيير كلى فجائى . وبدت عليه علائم الدهشة والاعجاب وأثارت فى قلبه سمو تلك العبارات وتعمقها وتأثير الكلمات وقوة نفوذها ولها شديدا وابتدأ يذكرها بمدح فائق . واذ وضع الكتاب من يده قال (انى أرى أن مؤلف هذا الكتاب قد استق وحيه من المنبع الأصلى الذى هو اعلا وأشرف من جميع المنابع التى يستق منها العلماء معارفهم . وانى أشهد بكل قلبى وجوارحى بعلو كعب هذه الكلمات ورفعتها وقبولى لكل الحق الذى تحتويه) وقد استنتج الملاّ حسين من سكوت القدوس ومن اسارير وجهه أن مضيفه هو الشخص الوحيد الذى يقدر أن يكتب هذه الكلمات فقام من مكانه توا ووقف برأس منحن على عتبة الباب وقال باحترام (ان الكنز المستور الذي تكلم عنه الباب قد انكشف الآن أمامى وبدلت أنواره ظلام الحيرة والشك ومع أن مولاى الآن مستور فى حصون جبال آذربايجان إلا أن اية بهائه ومظهر قوته يقف الآن أمامى وقد وجدت فى مازندران مرآة عظمته)

فما أعظم وأشد خطل الحاجى ميرزا آقاسى فقد ظن هذا الوزير الأحمق خطأ أنه بالحكم على الباب بالنفى والابعاد فى أحد أركان اذربايجان المحجوبة ينجح فى اطفاء النار الالهية الموقدة

التأججة بين مواطنيه . وغاب عنه أنه بعمله قد وضع المصباح الالهى على قمة الجبل فساعد بذلك على انتشار أشعته واعلاء عظمته وبسوء تدبيره وخطأ حسابه زاده علوا واشتعالا ولم يقدر على اطفاء هـذه الشعلة الالهية . ومن جهة أخرى كانت حكمة الملاّ حسين ولطفه وشجاعته المدهشة التى لايشك فيها أحد كافية للحكم بصحة هـذه الدعوة لأنه كان بدرجة لو ادعى بعد وفاة السيد كاظم فرضا أنه هو القائم الموعود فان أشهر تلاميذ السيد كانوا لا يحجمون عن تلبية دعوته بل كانوا يخضعون لسلطانه حتى أن الملاّ محمد الماما قانى ذلك العالم الشهير من تلامذة الشيخ احمد الاحسائى كان يقول بعد أن تعرف بالملاّ حسين وبعد أن أبلغه الدعوة للأمر الجديد (أشهد بالله لو كانت هـذه الدعوة التى أدعاها السيد الباب صدرت من نفس الملاّ حسين لكنت أول من يصدقها نظراً لما هو عليه من حسن الأخلاق واتساع العلم وكنت إذ ذاك أنشرها على جميع العالم ولكن مادام أنه اختار أن يخضع لشخص آخر فقد امتنعت من أن أثق فى كلماته ورفضت اجابة طلبه) كذلك السيد محمد باقر الرشتى لما سمع الملاّ حسين يحل له بمقدرة فائقة المعضلات الدينية التى أشكلت عليه شهد له بعلو كعبه قائلا (كنت أظن نفسى قادرا على اسكات وتحيير السيد كاظم الرشتى فلما قابلت وتكلمت مع من يدعى أنه أحقر تلاميذه علمت لأول مرة أنى اخطأت خطأ فاحشاً فى حكمى . فان حجة هـذا الشاب والموهبة التى منحها كانت بدرجة لو يحكم بان النهار ليل لكنت أصدق أنه يمكنه تقديم براهين كافية تثبت فى أعين علماء الدين صحة أقواله)

ورغما من مقام الملاّ حسين هذا فانه فى نفس الليلة التى التقى فيها بالباب رأى نفسه عاجزاً أمامه ورأى ما انطوت عليه الرسالة الجديدة من المنافع العديدة مع أنه كان فى ابتداء الأمر يظن أنه قادر على جحد الدعوة التى قدمها له ابن تاجر غير معروف فى شيراز ارتكانا على مايعلمه من تفوقه الذاتى . إلا أنه اعتنق أمره بكل شوق واحتقر وطرح كل مايعوقه عن تفهم حقيقة الأمر واعلاء شأنه ولما سنحت الفرصة للملاّ حسين أن ينظر فى كتابات القدوس الفائقة وأدرك سموها اعترف حالا بقيمة المواهب الخاصة التى منحت للقدوس صاحب الكلام فتضاءل اتساع علمه الذى حصله أمام قوته وصار كالمعدوم تلقاء الفضائل الالهية المحيطة التى ظهرت من روح ذلك الشاب . ومنذ ذلك

الوقت أصبح رهن اشارة القدوس الذى تجلت فى مرآة فؤاده أشعة شمس مولاه المحبوب فشعر بان أول واجباته أن يخضع كلية إلى القدوس ويتبع خطواته ويسير طبق ارادته . ويعمل على راحته وسلامته بكل ما أوتى من قوة ولآخر لحظة من حيـاته ونسمة من استشهاده كان الملاّ حسين وفيا بوعده وكان احترامه الزائد للقدوس مسيرا باعتقاد راسخ متين فى تلك المواهب الالهية التى شملته والتى هى خارجة عن حدودات البشرية وهى التى ميزته عن باقى أقرانه . ولم يكن لدى الملاّ حسين أى اعتبار آخر يجعله يخضع ويحترم من كان يعتبره أولا قرينه ومساويا له فى الرتبة . إلا أن فراسـة الملاّ حسين وشرف أرومته دفعته إلى الاعتراف بهذه الحقيقة الواضحة فاظهرها بما يليق لمقامها . وهكذا حصل التغيير فى سلوك الملاّ حسين نحو القدوس حتى أن الاحباء الذين اجتمعوا صباح اليوم التالى فى منزله دهشوا إذ رأوا أن الضيف الذي كان يحتل المقام الأول والذى كان مشمولا بالعطف والاكرام قد ترك مقامه لمضيفه ووقف فى محله على العتبة بخضوع تام وأول ماتكلم به قدوس للملاّ حسين أن قال له (عليك الآن أن تقوم فى هذه الساعة وتتسلح بعصى الحـكمة والقوة وتسكت ملأ المعتدين الذين يجتهدون أن يهينوا دين الله . فعليك أن تواجه هؤلاء الجموع وتكسر قوتهم . وتتكل على فضـل الله وان تعتبر مكائدهم كمحاولة خاسرة لاطفاء أنوار الحق . وعليك أن تجتمع بسعيد العلماء ذلك الطاغية المشهور ذى الضمير السيء وتبين له بلا خوف معالم امتياز هذا الأمر . ثم تذهب الى خراسان وفى بلدة مشهد تبنى منزلا يكفى أن يكون مسكنا لنا ويكون فيـه المعدات الـكافية لاستقبال ضيوفنا وسنسافر هناك ونسكن فى ذلك البيت وندعو اليه كل محب للاطلاع من طلاب الهداية الى معين الحياة الأبدية وسوف نعـدّهم وننصحهم أن يتكاتفوا على خدمة أمرالله)

وقام الملاّ حسين فى اليوم التالى عند طلوع الشمس لمقابلة سعيد العلماء ودخل عليه وحيداً وبدون معين وكما أمره القدوس أبلغه الرسالة عن ظهور اليوم الجـديد وبفصاحة تامة وبدون وجل أظهر أمر مولاه المحبوب فى وسط الجمع الحاشـد من تلاميذه وطلب منه أن يكسر تلك الاصنام التى نحتها لوهمه وأن يرفع على أنقاضها علم الهداية الالهية ويخلص فؤاده من قيود التقاليد الماضية ويسرع بعد فـكها والخلاص منها الى شاطىء

النجاة الأبدى وتمكن من رد كل حجة أراد هذا الساحر المغرور أن يدحض بها أمر الرسالة الالهية وأظهر بمنطقه الذى لايغلب كذب كل قضية اجتهد فى أن يقيمها وإذ تسلط على سعيد العلماء خوف انفضاض جميع التلاميذ والمريدين من حوله والتفافهم حول شخص الملاّ حسين شرع الى أحط الوسائل وتذرع بقبيح الاقوال أملا فى لم شعث مقامه فكان يقذف بالشتائم فى وجـــه الملاّ حسين . وتجاهل باحتقار قوة البراهين والأدلة التى كان يحاججه بها خصمه وقرر بلا مبرر عدم صلاحية الأمر الذى دعى لقبوله وما كاد الملاّ حسين يعلم منه عدم قدرته على تفهم أهمية الرسالة التى جاءه بها حتى قام من مجلسه وقال له (ان حجتى قصرت عن أن توقظك من نوم غفلتك . وان أعمالى فى الأيام المستقبلة ستريك وتبرهن لك قوة الرسالة التى رأيت احتقارها) وكان يتكلم بقوة وتأثير جعل سعيد العلماء يرتبك كلية ومن شدة رعبه لم يقدر على الجواب ثم التفت الملاّ حسين الى بعض الحاضرين فى ذلك المجلس ممن ظهر عليهم التأثر من كلماته وطلب منهم أن يخبروا قدوس بما وقع فى هـذه المقابلة وقال لهم (قولوا له بما انك لم تأمرنى بالمثول أمامك لذلك سأقوم بتنفيذ كل ما أمرتنى بعمله)

وقام الملاّ حسين فريدا ومنقطعا عن كل ماسوى الله وسافر الى مشهد ولم يكن معه أثناء سيره الى خراسان سوى الرغبة فى اتمام أوامر القدوس وما يكن فى ضميره للوفاء بوعده الثابت فذهب تواً الى منزل محمد باقر قاينى وتمكن من أن يشترى فى جوار هـذا المنزل فى بالاخيابان قطعة أرض وابتدأ أن يشـــيد عليها منزلا حسب الأمر وأسماها (البابية) وهو اسم تدعى به الى هذا اليوم . وبعد إتمام بنائها وصل القـدوس الى مشهد وسكن فى المنزل وجاءت جموع الزوار الذين أعدّهم الملاّ حسين بهمة وحماسـة الى اعتناق الأمر ورغبوا باختيارهم الانضمام تحت رايته وكانت يقظة الملاّ حسين وانتباهه للعمـل على نشر المعارف التى جاء بها الأمر الجديد والطريقة المثلى التى قام بها القدوس على تهذيب أتباعه قد أحدثت موجة شديده من الحماس عمت جميع مدينة مشهد وسرعان ما انتشر تأثيرها خارجا من حدود خراسان وأصبح منزل البابية مركزا يلم شـعث جميع المخلصين الذين عزموا عزماً أكيداً متشبثين بكل ما أوتوا من قوة لاظهار القوى الباطنية العظيمة التى يكنها إيمانهم بالامر .

الفصل الخامس عشر

في سفر الطاهرة من كربلاء الى خراسان

واذ اقتربت الساعة التى فيها يأمر الله أخذت الحجب المانعة من ظهور الدين الالهى في خراسان تتلاشى واشتعلت النار الالهية فى قلوب أهل خراسان حتى أذابت وأحرقت أعظم الموانع والعقبات فى طريق الاعتراف النهائي بالأمر . (١) فزادت النار المشتعلة فى القلوب بدرجة أن شمر الجميع حتى فى الأقاليم النائية فى إيران بقوة إحيائها للنفوس. فامحى كل أثر للشكوك والهواجس من قلوب الاحباء تلك التى كانت تمنعهم عن تفهم عظمة الأمر، ودنت الساعة التى فيها زالت جميع الموانع التى حجبت تقدير جمال الأمر حق التقدير . وخاب ظن العدو الذى أمر بابعاد صاحب الأمر مظهر الجمال الالهى وفصله عن أتباعه رغبة منه فى أن يتمكن بهذه الوسيلة من اطفاء شعلة محبته الموقدة فى القلوب ولكن يد القدرة كانت تعمل بجد على إخماد مقاصد الأعداء واحباط أعمالهم فأوقد البارى بيد القدوس ناراً ربانية مشتعلة فى صدور أهل خراسان فى أقصى مدن إيران شرقا و كذلك فى كربلاء خارج الحدود الغربية أشعل نور الطاهرة الذى أضاء جميع ايران . وارتفع النداء الغيبي من شرق وغرب المملكة آمراً هذين النورين أن يسرعا إلى أرض الطاء (طهران) فجر المجد وموطن بهاء الله وأن يتمثلا أمامه ويطيعا أمره ويطوفا حول كوكب هدايته ويشدا أزره ويهيئا الطريق لاعلان وحيه .

واتباعاً للامر الالهى نزل لوح من قلم الباب فى تلك الأيام التى كان القدوس لا يزال فيها قاطناً فى مشهد وفى ذلك اللوح يأمر جميع الأحباء فى إيران بالاسراع الى أرض

(١) وكتب كليمانت هوارت فى كتابه (ديانة الباب صحيفة ١٨—١٩) : ولا يندهش انسان بان الأمر الجديد انتشر فى خراسان أكثر من أى اقليم آخر بسرعة عظيمة . فقد كان لخراسان امتياز كونها مسرحا للافكار والآراء الجديدة حيث تجد فيها مرتعا خصيبا وخرجت من هذا الأقليم معظم الثورات التى غيرت سير الأمور فى الشرق الاسلامى ويكفى أن فكرة التجديد الايرانى بعد الفتح العربى نشأت فى خراسان حيث كان الناس يناقشونها وفيها تكون الجيش تحت إمرة ابو مسلم حيث قلب الدولة الأموية وأجلس مكانهم العباسيين وقضى على الارستقراطية المكية انتهى

الحاء من أقليم خراسان (١) وانتشر هذا الأمر بسرعة البرق وأهاج حماسا عاما ووصل الى سمع الطاهرة التى كانت إذ ذاك مقيمة فى كربلاء وتعمل جهدها لاتساع نطاق الأمر الذى اعتنقته . وكانت تركت (٢) موطنها قزوين ووصلت بعد وفاة السيد كاظم الى تلك المدينة المقدسة انتظاراً لمشاهدة العلائم التى أخبر بها السيد الراحل . وبينّا فى الصحائف السابقة كيف اكتشفت بوجدانها حقيقة الامر واعترفت بصحته طوعا فرأت فى نفسها أن فجر يوم الله الموعود قد طلع من مدينة شيراز بدون أن يعلمها أحد و يدعوها . وحررت رسالة لمنبع هذا النور تعرض فيه إخلاصها وخضوعها

وكان رد الباب السريع على قبولها اعتناق الامر بدون مقابلته قد احيي فيها الحماس وزاد كثيرا فى شجاعتها فقامت على نشر تعاليمه بكل قوتها وانتقدت بشدة فساد اخلاق جيلها وعملت بكل شجاعة على احداث انقلاب فكرى لتغيير عادات واخلاق الاهالى (٣) وكانت نار محبة الباب اشعلت روحها التى لاتقهر وزاد شرف ما كشفته من البركات الفائضة المكنونة فى امره وزادت شجاعتها الباطنية وقوة خلقها اضعافا مضاعفة بسبب اعتقادها اليقينى فى نصرة الامر النهائية وضاعف مجهودها الذى لاحد له

(١) وذكر الليتو كولونيل ب . م . سيكس فى كتابه (تاريخ ايران جزء ٢ صحيفة ٤٥) ان الشيعة يعتقدون أن الامام الثانى عشر لم يتوف وانه فى سنة ٢٦٠ (٨٧٣ ميلادية) اختفى فى مخبأ سرى وانه سوف يظهر فى يوم القيامة فى مسجد جوهر شاد فى مشهد ويتبعه الناس على إنه الامام المهدى وهو الذى يملأ الأرض عدلا

(٢) وقرر محمد مصطفى (صحيفة ١٠٨) ان الطاهرة وصلت الى كربلاء فى سنة ١٢٦٣ هجرية وانها زارت الكوفة والجهات المجاورة واشتغلت بنشر تعاليم الباب وكانت تقرأ مع الذين تقابلهم كتابات الباب وخاصة تفسيره على سورة الكوثر

(٣) وسمعت بنداء الباب ودعوته فى شيراز لأول مرة فى منزلها بين أسرتها وعلمت القواعد والأحكام التى يبنى عليها دعوته ولم تستقص كل التفاسير ولكنها أعجبت بها وأخذت فى مكاتبة الباب واعتنقت دعوته وهي لم تكتف بالميل المجرد ولكنها أعلنت علنا صحة دعوة سيدها وقامت على مكافحة تعدد الزواج وحاربت عادة الحجاب وكانت تظهر فى الاماكن العامة سافرة وهذا ما أخاف المسلمين عامة لاعتبارهم ذلك من الفسوق على عكس الذين اعتنقوا الدعوة بحماس فكانوا مبتهجين واتسعت جمعيتهم يوما فيوم وكان عمها طبيباً ووالدها مجتهدا واجتهد زوجها بكل ما فى وسعه أن يردعها او يلجئها الى سير معتدل وتستر فلم تقبل وعارضتهم جميعا وما فتئت تظهر لهم البراهين على صحة دينها (من كتاب الأديان والفلسفة فى أواسط آسيا للكونت جوبينو صحيفة ١٣٧ — ١٣٨)

عرفانها مقدار فضل هذا الامر الذى قامت على ترويجه فكان كل من يقابلها فى كربلاء ينجذب من فصاحتها وسحر بيانها ويشعر بالخضوع من أثر كلماتها ولا يقدر أحد أن يقاوم تأثير لطفها ، أو يفلت من الانضمام الى لوائها وكان الكل يشهد بكمال أخلاقها وسموها ويعجبون بشخصيتها المدهشة ويقتنعون بصدق يقينها

وتمكنت من أن تبلغ أرملة السيد كاظم التى ولدت فى شيراز وكانت أولى المؤمنات بين نساء كربلاء اللائى اعتنقن الأمر وسمعت الشيخ سلطان يصف اخلاصها للطاهرة واعتبارها والدتها الروحية وصديقتها الحميمة . وقدكان من أكبر المعجبين بأخلاق أرملة السيد وكثيراً ما كان يشهد بسمو أخلاقها وكثيراً ما كان الشيخ سلطان يقول (ان تعلقها بالطاهرة اشتد لدرجة أنها كانت لا تسمح لضيفتها العظيمة أن تغيب عنها ولو ساعة واحدة . فكان عظيم تعلقها بها مما يثير إعجاب صويحباتها ويقوى يقينهن وإيمانهن عرباً كن أم عجما ممن كن يفدن عليها للزيارة فى منزلها وفى السنة الأولى من اعتناقها للأمر وقعت مريضة وبعد ثلاثة أيام فارقت الحياة كما حدث للسيد كاظم نفسه .

ومن بين الذين أقبلوا الى الأمر بتبليغ الطاهرة الشيخ صالح وهو عربى قاطن فى تلك المدينة فكان أول من استشهد فى هذا الأمر فى طهران وكان مدحها له عظيما لدرجة أن البعض ظن أنه يكون مساويا فى الرتبة للقدوس وكان الشيخ سلطان أيضا من الذين آمنوا على يدها ووقعوا فى أسر تأثيرها . واذ رجع من شيراز اعتنق الأمر بكل جسارة وقوة وتأثير على إعلاء شأنه وبذل جهده فى تنفيذ أوامرها ورغباتها وكان الشيخ محمد الشبل أيضا من المعجبين بها وهو والد محمد مصطفى وعربي من سكان بغداد وله مقام كبير بين علماء المدينة . وبمساعدة هذه الفئة المنتخبة من الأتباع القادرين والمخلصين اشعلت الطاهرة قلوب العديدين من العرب والعجم من سكان العراق وأدخلتهم تحت لوائها وقادت أغلبهم للانضمام الى اخوانهم فى إيران من الذين دعوا لنصرة أمر الله باعمالهم وما قدر لهم من سفك دمائهم وتضحية حياتهم .

وكان نداء الباب الموجه أصلا إلى أتباعه فى ايران قد وصل أيضا إلى المؤمنين فى العراق وأجابت الطاهرة النداء فى الحال وبكل فرح واجلال واقتفى أثرها جم غفير من

المخلصين المعجبين بها من الذين أظهروا رغبتهم واستعدادهم للسفر توآ الى خراسان . وكان علماء كربلاء قد اجتهدوا فى أن يثنوا عزمها عن السفر . واذ كانت عالمة بالداعى الذى حركهم لنصحها على هذا المنوال ومتيقنة من تدبيرهم السيء حررت لكل من هؤلاء السفسطائين رسالة مطولة أظهرت فيها الأسباب التى دعتها الى السفر وأبانت لهم مكرهم (١) ودهائهم وسوء نياتهم وسارت من كربلاء الى بغداد (٢) وقابلها مندوبون من أقدر الرؤساء لجميع الهيئات الدينية فى المدينة من شيعة وأهل سنة ونصارى ويهود وأرادوا اقناعها بالعدول عن السفر لعدم فائدته فتمكنت من اسكاتهم ودحض حججهم فتركوها وهم متحيرون مرتبكون عالمون بعجزهم (٣) وفى كرمانشاه قابلها العلماء بالاحترام وأظهروا لها عظيم تقديرهم

(١) وقال سمندر فى كتابه الخطى (ص ٩) ان السبب الحقيقى لهيجان أهل كربلاء واتهامهم للطاهرة أمام حاكم بغداد بعدم اعتنائها بمأتم الحسين الذى يعمل كل سنة فى أوائل شهر محرم فى منزل المرحوم السيد كاظم فى كربلاء واشهارها بدلا عنه يوم ميلاد الباب الذى يقع فى أول يوم من ذلك الشهر . ويقال انها طلبت من أختها وأقاربها أن يخلعوا ثوب الحزن ويلبسوا بدلا عنه ثوب الفرح مخالفين فى ذلك علنا تقاليد الناس .

(٢) وتبعا لمحمد مصطفى (صحيفة ١٠٨ — ١٠٩) كان بصحبة الطاهرة عند ورودها إلى بغداد من التلاميذ والأصحاب الملا ابراهيم المحلاتى والشيخ صالح الكريمى والسيد احمد يزدى والد السيد حسين (كاتب الباب) والسيد محمد بايجانى والشيخ سلطان الكربلائى ووالدة ملاحسين وابنتها وزوجة ميرزا هادى النهرى ووالدته .

وفى كشف الغطاء (صحيفة ٩٤) أن أخت الملا حسين ووالدته كانتا من ضمن التلاميذ والسيدات اللائى صحبن الطاهرة فى سفرها من كربلاء إلى بغداد حيث أقاموا فى منزل الشيخ محمد بن شبل العراقي ثم نقلوا بأمر حاكم بغداد إلى منزل المفتى السيد محمود الألوسى صاحب التفسير المشهور المسمي روح المعانى وبقيت فيه انتظاراً لحضور تعليمات من الاستانة

وزاد فى كشف الغطاء بقوله (صحيفة ٩٦) أن فى روح المعانى إشارات الى الحادثات التى وقعت فيما بين المفتى وبين الطاهرة ويقال أنه قال لها ياقرة العين أقسم بالله انى أشاركك فى اعتقادك ولكنى أعلم ماهنالك من سيوف آل عثمان انتهى . وكانت قد ذهبت الى منزل المفتي "ودافعت أمامه عن عقيدتها وسلوكها بغاية المقدرة. وأما مسألة تركها تدعوالى الدين فقدعرض الامر على الوالى الذى استأذن القسطنطينية التى أمرت أنها تترك الاراضى التركية حالا (من كتاب مقالة سائح حاشية ق صحيفة ٢١٤—٢١٥)

(٣) وقال محمد مصطفى (صحيفة ١١١) ان الذين رافقوا الطاهرة من خانقين (على الحدود الايرانية) الي كرمانشاه الشيخ صالح الكرمانى والشيخ محمد شبل والشيخ سلطان كربلائى والسيد احمد يزدى وسيد محمد بايجانى وسيد محسن كاظمى وملا براهيم محلاتى ونحو ثلاثين عربيا مؤمنا . ومكثوا ثلاثة أيام فى بلدة كرند وكانت الطاهرة تعلم الدين الجديد فيها بكل شجاعة ونجحت فى إيقاظ الهمم من جميع الطبقات لأمر الباب وقد قبل دعوتها على ماقيل ماير بو على الف ومائتى شخص وتطوعوا لتنفيذ رغباتها

واعجابهم (١) وفى همدان (٢) كان الرؤساء الروحانيون فى المدينة منقسمين فى مسلكهم نحوها وكان القليل منهم يحرك الناس ضدها لاحتقارها لهم وكان البعض الآخر يتغنى علنا بفضائلها ويعجب بشجاعتها . وكان هؤلاء الأصحاب يتكلمون من المنابر قائلين (أنه مما يليق بنا أن نتبع مثالها الشريف ونطلب منها أن تكشف لنا عن أسرار القرآن وأن تحل لنا مشكلات الكتاب لأن كل ما وصلنا اليه لم يكن إلا كقطرة من بحر بالنسبة إلى علمها) وأثناء إقامتها فى همدان قابلها الذين أرسلهم لها والدها الحاج ملا صالح من قزوين للترحيب بها وتحريضها على زيارة موطنها وإطالة مكثها بينهم (٣) فقبلت ذلك بعد تردد وقبل ذهابها أمرت الذين رافقوها من العراق أن يذهبوا إلى موطنهم ومن بينهم الشيخ سلطان والشيخ محمد الشبل وابنه الصغير محمد مصطفى عابد وابنه ناصر الذى تسمى فيما بعد بحاجى عباس وأما رفقاؤها الذين هم من أهالى إيران مثل السيد محمد جلبايكانى الذى اسمه الكتابى الطائر والذى سمته الطاهره الفتى المليح وغيرهم فأمرتهم أن يعودوا إلى أوطانهم ولم تبق معها سوى الشيخ صالح والملا ابراهيم جلبايكانى وشرب كلاهما كأس الشهادة الأول فى طهران والثانى فى قزوين ومن أقربائها مرزا محمد على أحد حروف الحى زوج اختها وكذلك نسيبها سيد عبد الهادى الذى تزوج ابنتها وكانا مرافقين لها فى الطريق من كربلاء إلى قزوين

وإذ وصلت إلى منزل والدها أرسل ابن عمها ذلك العاتى الخبيث ملا محمد بن الملا تقى الذى ظن نفسه بعد والده وعمه أقدر مجتهدى إيران اليها بعض نسوة من منزله لاقناعها

(١) وقال محمد مصطفى (صحيفة ١١٢) أن الناس قابلوها فى كرمانشاه بحماس زائد وأسرعوا لزيارتها الأمراء والعلماء وموظفوا الحكومة وتأثروا من فصاحتها وشجاعتها واتساع علومها ومتانة أخلاقها وكانت زوجة الأمير حاكم كرمانشاه ممن سمع تفسيرها على التعاليم الدينية المقدسة لأن الطاهرة كانت تقرأ تفسير سورة الكوثر للباب علنا . وترجمها واعتنق الامير وزوجته أمر الباب وجميع عائلته معه اعترفوا بالأمر وأقروا باعجابهم ومحبتهم للطاهرة وقال محمد مصطفى (أيضاً صحيفة ١١٦) أن الطاهرة مكثت يومين فى قرية صحنه فى طريقها إلى همدان وهناك قابلها الأهالى بحماس لا يقل عن مقابلتها فى قرية كرند

وقد رجاها سكان القرية فى أن يضموا أيديهم فى أيدى أتباعها لنشر الأمر الجديد ولكنها أمرتهم أن يبقوا فى أماكنهم وباركتهم فى مجهوداتهم واستمرت فى السفر إلى همدان

(٢) وفى تذكرة الأوفياء (صحيفة ٢٧٥) أن الطاهرة مكثت شهرين فى همدان

(٣) وقال محمد مصطفى (صحيفة ١١٧) أن من بين الذين أرسلوا من قزوين كان أخوة الطاهرة





المنازل التي قطنتها الطاهرة في قزوين



مكتبة الطاهرة فى منزل والدها فى قزوين وفيها يظهر أحد أقاربها

لتنقل مسكنها من عند والدها إلى منزله فأجابتهن (قولوا لهذا القريب الأحمق المغرور لو كان قصدك حقاً أن تكون رفيقاً لى وزوجا لكنت أسرعت لمقابلتى فى كربلاء ولسرت على قدمك لحراستى وحراسة هودجى طول الطريق إلى قزوين وإذ ذاك كنت أثناء سفرى معه أقدر أن أوقظه من نوم غفلته وأظهر له طريق الحق ولكن ذلك لم يقدر له وقد مر على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له فى هذه الحياة ولا فى الحياة الآخرة أن اجتمع به فقد طرحته كلية من حياتى للأبد . وكان الجواب قاسياً شديداً بدرجة أهاج وأغضب الملاّ محمد ووالده وحكما عليها بالكفر واجتهدا ليل نهار أن ينتقصا من مقامها وأن يثلما شرفها(١) وكانت الطاهرة تدافع عن نفسها بحماس وأظهرت لهما نقائص صفاتهما وكان والدها العاقل الساكن يتأسف لهذا النزاع المرّ واجتهد فى عمل الصلح والوفاق بينهما ولكنه خاب فى مسعاه

(١) وكيف تمكنت امرأة ضعيفة مثل الطاهرة أن تجمع حولها نفرا من الاتباع المنظور اليهم بنظر الكفر مع قلة الاستعداد وخاصة فى بلدة مثل قزوين التى فيها للعلماء تأثير ونفوذ عظيم . وبسبب كثرة عددهم وأهميتهم كانت الحكومة والاهالى تهتم بهم . وهذا مما استوقف نظر المؤرخ الايرانى سپهر فهذا مما لا نظير له فى جميع الأوقات السالفة (المجلة الآسيوية سنة ١٨٦٦ الجزء ٧ صحيفة ٤٧٤)

واستمر هذا النزاع إلى أن حضر الملاّ عبد الله من سكان شيراز وهو أخلص أتباع الشيخ أحمد والسيد كاظم ووصل إلى قزوين فى أول شهر رمضان سنة ١٢٦٣ هجرية(١) وحكى الملاّ المذكور إذ كان يحاكم فى طهران أمام صاحب الديوان قال (إنى لم أكن يوما ما بابيا وإذ وصلت إلى قزوين فى طريقى إلى ماه كو بقصد زيارة الباب والتحرى عن دعوته علمت أن البلد فى هياج شديد وبينما كنت أمر فى المدينة رأيت كثيراً من الغوغاء والأوشاب خلعوا عمامة رجل وحذاءه ولفوا رقبته بالعمامة وسحبوه وسط المدينة وهم يتوعدونه بتهديداتهم ويؤذونه بضرباتهم ولعنتهم . وكانت جريمته التى لاتغتفر كما أخبرونى أنه تجاسر على مدح الشيخ أحمد والسيد كاظم وإظهار فضائلهما علنا ولذلك حكم عليه الملاّ تقى حجة الاسلام بالكفر وأمر بطرده من المدينة فذعرت من ذلك وقلت فى نفسى كيف يكون مريد الشيخين كافراً ويعامل بمثل هذه المعاملة القاسية . ورغبة فى التحقق من صدق هذه الرواية ذهبت إلى محل درس الملاّ تقى نفسه وسألته إذا كان أصدر مثل هذا الحكم عليه . فقال (إن المرحوم الشيخ أحمد البحرين «الاحسائى» يعبد آلها لايمكن أن أصدقه فيه وأنى أعتبرته واتباعه عنوان الخطأ والزلل) قال الملاّ عبدالله وكنت أريد أن أصفعه على وجهه أمام تلاميذه ولكنى تداركت نفسى وحلفت أن اقطع حلقه ولسانه بخنجرى حتى لايقدر مرة أخرى أن يتفوه بمثل هذه الشتائم فتركته تواً وذهبت إلى السوق واشتريت خنجراً ومدية من أحدّ أنواع السلاح وخبأته فى حجرى لأشفى به غليلى منه وتحينت الفرصة ودخلت ذات ليلة المسجد الذى كان يؤم الناس فيه للصلاة وانتظرت لغاية الفجر إلى أن رأيت عجوزاً دخلت المسجد ومعها سجادة فرشتها على المحراب ووجدت الملاّ تقى دخل وحده وأخذ يصلى فجئت من خلفه بسكون واحتراس وتبعته ووقفت خلفه وإذ خر على وجهه ساجداً سحبت مديتى وغرزتها فى قفاه فصاح صيحة قوية فقلبته على ظهره واستللت خنجرى وغرزته عميقاً فى حلقه ثم طعنته جملة طعنات فى صدره وجوانبه وتركته يدمى فى المحراب

ثم صعدت إلى سطح المسجد وراقبت صياح واضطراب الجمهور فهرع الناس اليه ووضعوه على نقالة ونقلوه إلى منزله . ولما لم يعلم القاتل انتهز الناس الفرصة للتشفى والانتقام من بعضهم البعض أمام الحاكم . ولما رأيت أن عدداً غفيراً من الناس أوذي أذى بليغاً

(١) يوافق ١٣ أغسطس سنة ١٨٤٧ لغاية ١٢ سبتمبر سنة ١٨٤٧ .

وطرحوا فى السجن نادانى صوت الضمير أن أعترف بعملى . فطلبت المثول بين يدى الحاكم وقلت له « إذا أتيتك بالقاتل فهل تعدنى أن تطلق سراح المظلومين الذين يعذبون مكانه » ولما أكد لى ذلك اعترفت بما عملته ولم يكن فى بادىء الأمر يميل إلى تصديقى وبناء على اعترافى أحضر العجوز التى فرشت السجادة ولكن لم يقتنع بالشهادة التى أدتها واخذونى الى سرير الملا تقى الذى كان مشرفا على الموت وبمجرد ان رآنى عرفنى وفى اضطرابه اشار باصبعه علىّ للدلالة على أنى أنا القاتل وأظهر رغبته فى أن يبعدونى عنه وبعد برهة توفى ثم قبضوا علىّ واودعونى السجن . ولكن الحاكم لم يف بالوعد ولم يقبل اطلاق سراح باقى المتهمين)

وكانت سلامة طوية الملاّ عبد الله وصدقه قد اعجبت صاحب الديوان فاعطى أوامر سرية لخدامه أن يسهلوا له هربه من السجن . وفى نصف الليل التجأ السجين إلى منزل رضا خان السردار الذى كان مقترنا باخت السباه سالار وبقى مختبئا فى ذلك المنزل إلى أن حصلت حادثة العراك العظيم عند قلعة الشيخ طبرسى حيث عزم على الاشتراك مع المدافعين الأبطال فى تلك القلعة وفيها شرب كأس الشهادة مع رضا خان الذى تبعه إلى مازندران وكانت حادثة القتل هذه قد أهاجت غضب ورثة الملا تقى وعزموا على أن ينزلوا انتقامهم بسببها على الطاهرة . ونجحوا فى حبسها فى منزل والدها وجعلوا عليها نسوة حراساً وأمرن أن لا يسمحن لها بمغادرة الغرفة إلا للتوضؤ فقط . واتهموها فعلا بالتحريض على القتل وقالوا (لا نتهم غيرك أحدا بقتل والدنا لأنك أصدرت أمرا بقتله) وأرسل الذين قبض عليهم فى هذه الحادثة إلى طهران وفيها حبسوا فى منزل الكدخدا فى العاصمة وانتشر أصحاب وورثة الملا تقى فى جميع الجهات يتهمون المحبوسين بأنهم انشقوا عن الأسلام وطلبوا إعدامهم حالا

وعلم بهاء الله الذى كان قاطنا اذ ذاك فى طهران بحال ومصير هؤلاء المسجونين الذين كانوا مساعدين ومعاونين للطاهرة . وعزم على زيارتهم فى منزل الكدخدا الذى كان من أصحابه وأراد أن يتداخل فى أمرهم ولكن هذا الموظف الخاتل الطماع كان يعلم حق العلم بجود وكرم بهاء الله فأراد أن يتخذ من هذه الحادثة وسيلة للحصول على منافع مالية لنفسه فأخذ يبالغ فى وصف المصائب التى حلت على المحبوسين التعساء ويقول (إنهم محرومون من ضروريات الحياة جياع وملابسهم رثة) فأرسل بهاء الله مساعدة مالية حالا لأنقاذهم وطلب من الكدخدا تخفيف وطأة الحبس عليهم . فأطلق المذكور سراح البعض ممن كانوا غير قادرين على

تحمل ثقل السلاسل والقيود . وعمل جهده فى تخفيف حبس الباقين وإذ حركته الاطماع أخبر رؤساءه بالامر وأن بهاء الله يعد هؤلاء المحبوسين بالمال اللازم وبالطعام

فابتدأ هؤلاء الموظفون أيضا بدورهم فى السعى للحصول على كل مايمكن الحصول عليه من المنافع من كرم بهاء الله وجوده . فطلبوه أمامهم واحتجوا على عمله واتهموه بالاشتراك مع هؤلاء المحبوسين فى جريمتهم فاجاب بهاء الله (ان الكدخدا أظهر لى شدة احتياجهم وآلامهم وشهد أمامى ببراءتهم وطلب منى مساعدتهم والآن تتهموننى بجريمة أنا برىء منها جزاء على المساعدة التى أسديتها بناء على طلبه) ولكنهم لم يقبلوا أن يصرحوا لبهاء الله أن يعود إلى منزله مؤملين أن يخيفوه بالعقاب فكان حبسه أول ضير أصابه فى سبيل أمر الله وأول حبس قضاه فى سبيل احبائه ومكث على هذه الحالة بضعة أيام إلى أن تمكن جعفر قلى خان أخ ميرزا اقاخان النورى الذى تعين فيما بعد رئيس وزراء الشاه وآخرون من أخوانه من إخلاء سبيل بهاء الله . وكان الذين حبسوه يأملون الحصول على مبلغ ألف تومان مقابل الأفراج عنه ولكنهم وجدوا أنفسهم مضطرين لأجابة رغبات جعفر قلى خان بدون أن يحصلوا منه او من بهاء الله على أقل مكافئة . وسلموه المحبوس بعد ابداء اعتذاراتهم المتكررة وتأسفهم العظيم

وكان ورثة الملاّ تقى فى هذه الاثناء يبذلون جهدهم للانتقام لدم قريبهم الشهير وإذ لم يقتنعوا بما سبق لهم انجازه تقدموا بالطلب إلى محمد شاه نفسه وسعوا فى أن يكسبوا عطفه على قضيتهم وقيل أن الشاه اجابهم بالآتى (ان والدكم الملا تقى لايمكن أن يبلغ رتبة أعلى من رتبة الأمام على أمير المؤمنين الذى لما علم اتباعه أنه وقع ضحية لسيف ابن ملجم لم يعدموا أحدا سواه فلماذا لا يكون القصاص فى قتل أبيكم على هذا النحو فلا يعدم سوى القاتل وحده فاحضروا لى القاتل وأنا أصدر الأوامر أن يسلموه لأيديكم لتوقعوا عليه الجزاء الذى ترون أنه يستحقه .

ولما كان مسلك الشاه غير مطابق لرغباتهم تركوا الآمال التى كانوا يتعلقون بها وادعوا أن القاتل لوالدهم هو الشيخ صالح وحصلوا على أمر بالقبض عليه ورضوا لأنفسهم قتله ظلما فكان أول من سفك دمه فى أرض إيران فى سبيل أمر الله وهو أول الجماعة

الذين سجلوا بدمائهم المسفوكة نصرة دين الله المقــدس . وبينما كان يقاد إلى محل الشهادة كان وجهه يلمع بالفرح والحماس وأسرع إلى مكان التنفيذ وقابل الجلاد كأنه يقابل صاحبا عزيزا وصديقا حميما وكانت تتساقط من فمه كلمات الأمل والنصر بدون انقطاع وصاح بفرح عند دنو أجله (أنى تركت آمال واعتقاد القوم منذ عرفتك يا من أنت أملي ويقيني) ودفنت بقاياه فى حوش ضريح الأمام زاده زيد فى طهران

وأخذ ورثة الملاّ الذين لم يكتفوا باستشهاد الشيخ صالح يبحثون عن طرق جديدة لأشباع نهمهم بسبب الضغينة الشديدة التى حركتهم ولكن صاحب الديوان أفلح فى أعلام الحاج ميرزا آقاسى بأن ورثة المــلا تقى ذووا قصد سيء ولذلك لم يلتفت إلى طلبهم إلا أن ذلك لم يمنعهم من أن يتقدموا بشكواهم إلى الصدر الاردبيلى وهو رجل مشهور بين رؤساء إيران الدينيين بالغرور والكبر فكتبوا اليه قائلين (أنظر إلى هذا الأزدراء الذى وقع على أرباب الدين وكل اليهم فى مهمتهم الرئيسية حفظ وصيانة أمر الشريعة . فكيف تسمح وأنت رئيسها ومبين أحكامها أن تبقى مثل هذه الجريمة والجرأة المتناهية دون عقاب فهل لا تقدر على الأنتقام لدم النائب عن رسول الله واعلم أنك لو سمحت بوقوع أمثال هذه الجريمة الشنيعة فأن فيضان التعدى يعم الذين هم مخازن التعاليم والأصول الدينية . واعلم أن سكوتك يجعل أعداء الأسلام يتجرأون لنقض ذلك البنيان الذى أقمته بيديك وتكون حياتك أنت أيضا آخر الأمر فى خطر .

فارتعب الصدر الاردبيلى على شأن اجتهد فى أن يحتال على مليكه وقدم له الطلب الآتى : أنى أتضرع لجلالتك أن تسمح للمحبوسين أن يعودوا إلى قزوين بصحبة ورثة ذلك الرئيس المقتول حتى يتمكنوا (الورثة) من تلقاء أنفسهم أن يسامحوهم علنا عن أعمالهم ويمكنوهم من استرداد حريتهم ومثل هذا العمل يرفع شأنهم ويجعلهم محترمين فى أعين مواطنيهم) ولما كان الشاه غافلا عن الترتيبات وحيل ذلك الدساس المحتال قبل هذا الرجاء بشرط أن يصله إخطار كتابى عن حالة المحبوسين بمجرد وصولهم إلى قزوين وأن لا يصيبهم أذى فى المستقبل .

وما كاد هؤلاء الأشرار يستلمون المحبوسين حتى أخذوا يشفون غليلهم ويصوبون عليهم جام انتقامهم . وفى أول ليلة تسلموا المحبوسين أعدموا الحاج أسد الله أخ الحاج الله وردى

عم محمد هادى ومحمد جواد فارهادى وكان تاجراً فى قزوين أشتهر بالصلاح والتقوى بدرجة عظيمة لا تقل عن تقوى أخيه الشهير ولعلهم بعدم إمكانهم توقيع العقاب عليه فى بلدته كما أرادوا عزموا على قتله فى طهران بطريقة تبعد عنهم شبهة اقتراف جريمة القتل. فنى نصف الليل ارتكبوا فعلهم الشنيع وفى صباح اليوم التالى ادعوا أنه توفى بمرض ألم به . وأما معارفه وأصحابه الذين هم من قزوين فلم يتمكنوا من كشف الجريمة التى قضت على حياة مثل هذا الشخص العظيم فدفنوه بالأحترام اللائق به .

أما باقى الرفقاء فقد أعدموا بمجرد وصولهم إلى قزوين بحالة وحشية . وكان من بينهم الملاّ طاهر الشيرازى والملاّ ابراهيم المحلاتى وكلاهما مشهور بعلمه وأخلاقه فأن الأهالى الذين سبق تحريضهم من قبل بخديعة هاجوا وماجوا وهجموا عليهم لأعدامهم وحضرت طائفة من الرعاع الأوشاب وتسلحوا بالنشاب والسكاكين والبلط والمطاوى وقطعوهم إربا إربا وبدرجة من الوحشية بحيث لم يبق من أشلائهم جزء يصلح للدفن

فيالله كيف يقع فى بلدة مثل قزوين هذه الافعال بوحشية لا تكاد تصدق ومع أن هذه البلدة تفخر بأنها تجمع داخل أبوابها ما لا يقل عن ماية عالم من رؤساء الدين فى الأسلام . الم يوجد فيها من يرفع صوته احتجاجا على هؤلاء القتله السفاكين ولا من يسألهم كيف جاز لهم اقتراف مثل هذه الأعمال الظالمة المخجلة . ولا من يقدر مقــــدار الفرق العظيم بين هذه الاعمال الوحشية التى يقترفها من يدعون أنهم مخازن أسرار الاسلام وبين أعمال السلف الصالح الذين ظهر نورهم فى جميع العالم فلم يوجد من يصيح ويقول : (أيها الجيل الفاسق الشرير كيف وقعتم فى هاوية العار والشنار فى أعمالكم المفجعـة التى هى أردأ من أخس الاعمال الصادرة من أرذل الناس . ألم تدركوا أن وحوش الفلاة أو أى مخلوق على وجه البسيطه لا ينحط فى وحشيته ليرتكب أمثال أعمالكم فألى متى تتيهون ولا تنتبهون . ألم يكن من أساس اعتقادكم أن صلاة الجماعة لا تصح إلا بصداقة وأمانة أمامها . ألم تقرروا مرارا وتكراراً أن هذه الصلاة لاتقبل أمام الله إلا إذا كان قلب الامام طاهراً من كل أثر من آثار الشرور ومع ذلك تعتبرون القوم الذين حرضوا وساهموا فى ارتكاب مثل هذه الفظائع أنهم رؤساء حقيقيون جديرون بالرئاسة الدينية وأنهم عنوان اللطف والعدل . ألم تسلموهم زمام أمور الدين وتعتبروهم متصرفين فى أموركم ومستقبلكم)

ووصلت أخبار هذه الفاجعة الى طهران وانتشرت فيها بسرعة البرق وأصبح الحاج

ميرزا آقاسي متحيرا واحتج بشدة قائلا (بأي آية في القرآن أو بأي حديث من الأحاديث النبوية يصح قتل أشخاص عديدين انتقاما لدم رجل واحد) وكذلك غضب محمد شاه من خيانة الصدر الاردبيلي وأعوانه وسخط من جبنه ونفاه من العاصمة وحكم بنفيه إلى بلدة قم وسر الوزير الكبير من طرده من الوظيفة وكان دائم السعي من قبل بدون جدوى في إسقاطه فلما نفي الصدر من طهران تخلص الوزير من الافكار المقلقة التي كانت تساوره بخصوص اتساع سلطة الصدر ولم يكن سخطه على حادثة القتل التي وقعت في قزوين ناشئا عن عطفه على الضحايا المظلومين بل عن الرغبة في التشفي من الصدر الاردبيلي وسقوطه بما أوجب احتقاره أخيرا في أعين مليكه .

ولما عجز الشاه وحكومته عن إيقاع العقاب على المتدين أزدادوا جرأة وأخذوا يبحثون عن وسائل جديدة لصب كأس انتقامهم وإشباع أحقادهم التي لا تتوانى وظمأهم لسفك دماء أخصامهم فالتفتوا إلى الطاهرة نفسها وعزموا على أن يذيقوها نفس الكأس التي شربها أقرانها فلما علمت الطاهرة بقصدهم وهي في حبسها كتبت الرسالة الآتية إلى الملا محمد الذي ورث مقام أبيه وأصبح إمام الجمعة المعروف في قزوين وقالت له (أنهم عبثا يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون(١) فأذا كان الأمر الذي أتبعه هو الحق وكان الرب الذي أعبده هو الأله الواحد الحق فأنه قبل مرور تسعة أيام يخلصني من ظلمكم وإن لم يفعل تكونون أحرارا في أن تعملوا في ما تشاؤون وتكونون أثبتم فساد اعتقادي) واختار الملا محمد أن يتجاهل هذه المباهلة لأنه لا يقدر أن يقبلها وسعى في الاحتيال بكل وسيلة وخداع أن يتمم مقصوده

وقبل الساعة التي عينتها الطاهرة رغب بهاء الله في خلاصها من حبسها وإحضارها إلى طهران وأن تظهر لأعدائها صدق كلامها وتهدم بناء التدبيرات التي أعدها أعداؤها لقتلها فدعى محمد هادي فرهادي وأوكل اليه أمر نقلها إلى منزله في طهران ودفع اليه خطابا مختوما ليسلمه إلى الطاهرة بواسطة زوجته خاتون جان. وأمره أن يطلب منها أن ترتدي لباس سائلة لتدخل في المنزل الذي حبست فيه الطاهرة وتدفع لها الخطاب وأن ينتظر هو على باب المنزل حتى تأتي اليه ويحضرها عنده وقال بهاء الله للرسول (بمجرد أن تأتي اليك

(١) قرآن ٩ — ٣٢

الطاهرة قم توا إلى طهران . وفى نفس الليلة سوف أرسل إلى باب قزوين رسولا ومعه ثلاث جياد فتستلمها وتودعها مكانا أمينا خارج السور ثم تأخذ الطاهرة إلى هذا المكان وتركبوا معاً الجياد وتسيروا فى طريق غيرمطروق وتجتهدوا أن تصلوا قبل طلوع النهار إلى ضواحى العاصمة . وبمجرد فتح الأبواب تدخلون المدينـة وتتقدمون إلى منزلى . واحترس جداً لئلا ينـكشف أمركم . والله يهديـكم ويسدد خطاكم ويحفظكم فى كنف حفظه وحمايته التى لا تضام) .

وقام محمد هادى على تنفيذ تعليمات بهاء الله مطمئنا بتأكيداته فلم يعترضه فى طريقه أى مانع وأدى الخدمة المطلوبة على أتم وجه وتمكن من إنقاذ الطاهرة سالمة فى الساعة المعينة إلى منزل مولاه . وقد أثر نقلها الفجائى الخفى من قزوين دهشة فيما بين الاحبـاء والأعداء على السواء . وأخذوا يبحثون عنها طول الليل فى جميع المنـــازل وخابوا فى سعيهم ويئسوا من وجودها . وكان إتمام الوعد الذى نطقت به قد حير جميع مقـاوميها حتى أشدهم تعصبا وقليل منهم من أدرك قوة الأمر الخارجة عن الطاقة البشرية. فاعترفوا حالا بصحة الدعوة واعتنقوا أمرها واعترف الميرزا عبد الوهاب أخوها بصدق الرسالة فى نفس اليوم ولـكنه فيما بعد لم يظهر منه ما يثبت صدق اعتقاده (١)

وفى الساعة المعينة بمعرفة الطاهرة لخلاصها أصبحت فى حفظ بهاء الله. وقد عرفت يقينا من هو الذى ذهبت لمقابلته . وكانت عالمة بقداسة وفضل الذى أنقذها بعطفه ورحمته (٢)

(١) وقال فى كشف الغطاء (صحيفة ١١٠) أن جعفر واعظ قزوين قال أن الملا حسين قابل الطـاهرة فى قزوين في منزل آقا هادى الذى ربمـا كان محمد هادى فرهادى الذى أرسـله بهاء الله إلى طهران لنقل الطاهرة . ويقال أن المقابلة كانت قبل قتل الملا تقى

(٢) وحكى عبد البهاء فى تذكرة الأوفياء (صحيفة ٣٠٦) حوادث زيارة وحيد للطـاهرة بينما كانت الاخيرة فى منزل بهاء الله فى طهران قال : كانت الطاهرة تستمع من وراء ستار كلمات وأقوال وحيد حيث كان يتكلم عن آيات وعلامات الظهور بكل فصاحة . وكنت إذ ذاك طفلا وجالسـا فى حجرها بينما كانت تستمع إلى الدلائل التى كانت تتدفق من شفتيه بدون انقطاع واتذكر كيف أنها قاطعته فجأة ورفعت صوتها قائلة (يايحيى إن الوقت وقت الأعمال لا الأقوال فأت بعمـل إن كنت ذا عمل رشيد فلتجعل الأعمال شاهدة على صحة الامر واترك الاقوال والأحاديث الماضية فالآن هو الوقت الذى تظهر فيه آيات الله وتخرق حجبـات الأوهام لأعلاء شأن كلمة الله والتضحية فى سبيله . فليكن زينتنا وفخرنا فى الاعمال لا الأقوال)

وكما قبلت أمر الباب من تلقاء نفسها وبدون دعوة من أحد واعترفت بصحته فكذلك أدركت بفراستها مجد بهاء الله المقبل . فكانت فى سنة ٦٠ موجودة فى كربلاء عندما خصصت أشعارها للاعتراف بالحق الذى سوف يظهره . وقرأت بنفسى فى طهران فى منزل السيد محمد الذى كانت الطاهرة تسميه بالفتى المليح تلك الأشعار التى نظمتها ونسختها بخط يدها. ويشهد كل حرف منها بإيمانها ويقينها بعلو الرسالة التى جاء بها الباب وبهاء الله. ومن تلك القصيدة ما يأتي (مترجما من الفارسية الى العربية) «قد خرقت أنوار الجمال الابهى حجاب الظلام ورقصت أرواح محبيه فى النور المشرق من وجهه كما ترقص ذرات الهباء فى الضياء الخارق للظلام » وكان يقينها فى قوة بهاء الله التى لا تقهر مما حداها لأن تنطق بنبوتها بكل ثقة واطمئنان وأن تباهل بها أعداءها بكل شجاعة . فكانت الثقة فى تلك القوة الثابتة المتينة التى لا تتزعزع توحى اليها فى أظلم ساعات حبسها أن تقرر بكل شجاعة ما قررته من تأكيد فوزها وخلاصها القريب

فلم تمض إلا بضعة أيام على وصول الطاهرة إلى طهران حتى عزم بهاء الله على أن يرسلها إلى خراسان بصحبة الأحباء الذين استعدوا للرحيل لتلك المدينة وكذلك عزم هو أيضا على الرحيل من العاصمة إلى تلك الناحية بعد بضعة أيام . ولذلك دعا أخاه آقا كليم وأمره أن يستعد لنقل الطاهرة مع خادمتها قانته إلى محل خارج أبواب العاصمة ليرحلوا منه الى خراسان . وأمره أن يحترس لئلا يلحظ الحراس الموجودين على أبواب المدينة والذين لا يصرحون بمرور السيدات بدون رخصة حتى يتعرفوا شخصيتها فيمنعوا سفرها

وسمعت آقا كليم يقص الآتى (سرنا متكلين على الله أنا والطاهرة وخادمتها الى مكان فى جوار العاصمة ولم يعترض أحد من الحراس الواقفين على باب شميران بأدنى اعتراض ولم يسألونا عن الجهة التى نقصدها . وعلى مسافة فرسخين من العاصمة نزلنا وسط حديقة تنساب فيها مياه غزيرة وواقعة على سفح الجبل وفى وسطها منزل مهجور ولما دخلت سألت عن صاحبه وقابلت رجلا هرما كان مشتغلا فى أرواء الاشجار فأجابنى قائلا : حصل نزاع فيما بين المالك والمستأجرين ونتج عن ذلك أن القاطنين فى المنزل هجروه وقد طلب منى المالك حراسة المكان حتى ينتهى النزاع : فسررت جدا

من هذه المعلومات وسألته أن يسمح أن يتناول الغذاء معنا ولما عزمت على العودة في عصر ذلك اليوم إلى طهران وجدته راغباً في المحافظة على الطاهرة وخادمتها فتركتهما لحراسته وأكدت له أني سأعود بنفسي في المساء أو أرسل أميناً وأني سوف أتبعه ثاني يوم بكل معدات السفر إلى خراســـان).

ولما وصلت إلى طهران أرسلت ملاّ باقر أحد حروف الحي ومعه خادم ليصــل إلى الطاهرة وأخبرت بهاء الله بخروجها سالمة من العاصمة فسر لهذا الخبر وسمى تلك الحديقة (باغ الجنة) (١) وقال (إن هذا المنزل قد أعدّته لكم يد القدرة الألهية لاستقبالكم حتى ترحب فيه بضيافة أحباء الله)

ومكثت الطاهرة في تلك البقعة سبعة أيام وبعد ذلك سافرت الى جهة خراسان ومعها محمد حسن قزويني المسمى بالفتى وغيره وأمرني بهــاء الله أن أعد لرحيلهــا كل ما يلزم لسفرها .

(١) حديقة الجنة

الفصل السادس عشر

في مؤتمر بدشت

وبعد قيام الطاهرة لرحلتها أمر بهاء الله الآقا كليم ليجهز ما يلزم لسفره الى خراسان وأوصاه بأسرته وسأله أن يسهل لها كل ما يلزم لراحتها وسلامتها

ولما وصل الى شاه رود قابله قدّوس الذى ترك مشهد مقر إقامته وحضر للترحيب به لمجرد أن سمع بقدومه . وكان جميع أقليم خراسان فى تلك الأيام يتمخض بالأضطراب الشديد وكانت المساعى التى قام بها الملا حسين والقدّوس مع الحماس الذى ظهر منهما وارتفاع ندائهما قد أيقظ الأهالى من نومهم وأشعل فى قلوب البعض منهم خالص الأيمان والاخلاص كما أثار فى صدور الآخرين غرائز عديدة من التعصب والشرور وجاء للبحث جمهور كبير من جميع نواحى مشهد إلى منزل الملا حسين الذى كان يقدمهم إلى القدّوس .

وزاد عدد الوافدين الى درجة أزعجت السلطات. وكان رئيس الشرطة ينظر بالاهتمام والقلق الى جموع الناس المتحمسة الذين كانوا يموجون فى كل ناحية من نواحى المدينة المقدسة . ولرغبته فى تدعيم سلطته وتخويف الملا حسين حتى يضيق نطاق أعماله أمر بالقبض على خادمه الخصوصى وكان أسمه حسن وبمعاملته بالقسوة والسخرية نخزموا أنفه ومرروا حبلا فيه وسحبوه بهذه الكيفية فى شوارع المدينة

وكان الملاّ حسين ماثلا بين يدى القدوس إذ أتته أخبار الحادثة المحزنة التى وقعت على خادمه . وخوفا من أن هذا الخبر يحزن قلب رئيسه المحبوب قام وتركه مستأذنا واجتمع حوله الاصحاب وأظهروا دهشتهم من حصول هذا التعذيب والهجوم القاسى الذى أصاب هذا المؤمن البرىء وألحوا عليه بوجوب الأنتقام فهدأ الملاّ حسين روعهم وقال لهم لا تضطربوا من حصول الأهانة لحسن فأن الحسين لا يزال معكم وسيرجع لكم الحسن سليما لأيديكم باكرا .

فلم يشأ الأحباب أن يتكلموا بكلمة بعد هذا التأكيد ولكن قلوبهم كانت

تحترق بالرغبة فى أخذ ثار هذه الأهانة . واجتمع فريق منهم وساروا فى شوارع المدينة هاتفين (يا صاحب الزمان) بأعلا النداء احتجاجا على التهجم الحاصل . وكان هذا النداء أول نداء من نوعه ارتفع فى خراسان بأسم أمر الله وتردد صداه فى كل جهات المدينة وترددت الهتافات حتى وصلت إلى الاقاليم المجاورة وأهاجت شعوراً عميقا فى القلوب وكانت إشارة إلى وقوع الحوادث العظيمة التى كانت عتيدة أن تظهر فى المستقبل .

وفى وسط الاضطراب الذى تلا ذلك قتل جميع الذين كانوا يقودون حسن بالحبل فى وسط شوارع المدينة وأخذ أصحاب الملا حسين أسيرهم إلى حضرة رئيسهم وأخبروه بما أصاب ظالميه فأجابهم الملاّ حسين (أنكم لم تسمحوا بالأمتحان الذى أصاب حسن فكيف يمكنكم أن ترضوا وتوافقوا على استشهاد الحسين)

وكانت مدينة مشهد التى ابتدأت تهدأ من ثورة السالار قد عادت ثانية إلى الاضطراب واستعد البرنس حمزه ميرزا بعساكره وذخيرته على بعد أربعة فراسخ من المدينة لمواجهة الطوارىء التى تحصل من جراء الاضطرابات الحديثة التى وصلته أخبارها . وأرسل فرقة إلى المدينة ومعها تعليمات بالقبض على الملاّ حسين بمعونة حاكم المدينة وإحضاره عنده وتداخل عبد العلى خان المراغى رئيس المدفعية عند البرنس قائلا (أنى أعتبر نفسى أحد محبى الملا حسين والمعجبين به فأذا أردتم إيقاع أى ضرر به فأرجوكم أن تعدمونى قبل أن تنفذوا غرضكم لأني لا أسمح وأنا على قيد الحياة بتوجيه أى إهانة نحوه)

ودهش البرنس وارتبك من هذا التصريح الصادر من الضابط الذى هو دائما فى احتياج لمساعدته . ولكن البرنس اجتهد أن يزيل ما علق بذهنه فقال له (وأنا أيضا قابلت الملاّ حسين وأشعر بميل نحوه بالمحبة والاخلاص وإذا طلبته إلى معسكرى فأنى أريد فقط أن أمحو ذلك الهياج الذى أشتعل فى المدينة ولكنى سأحافظ على شخصه)

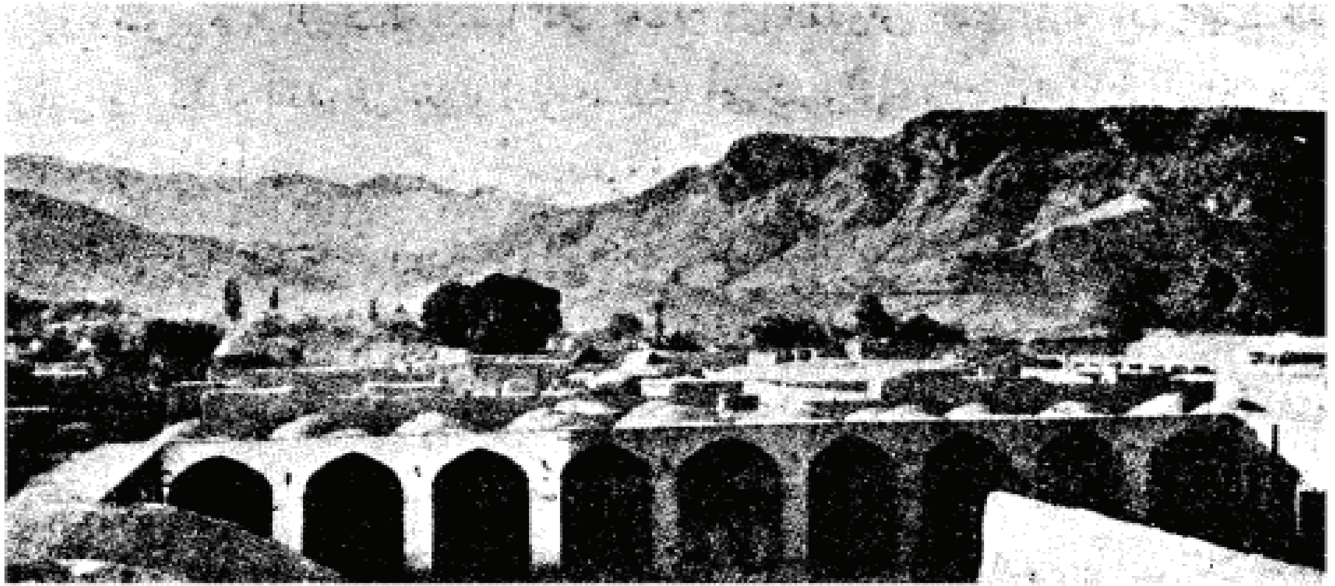
ثم كتب البرنس خطابا بخط يده إلى الملا حسين ألح فيه بالرغبة الشديدة فى أن ينقل مسكنه بضعة أيام فقط الى معسكره وأكد له رغبته فى أن يحميه من هجوم أعدائه الهائجين . وأعطى الأوامر أن تخصص خيمته المزركشة لاستقبال ضيفه المنتظر وأن تنصب بجوار المعسكر .

وبوصول هذه الرسالة قدمها الملاّ حسين إلى القدوس الذى أمره أن يجيب طلب البرنس وأكد له القدوس بقوله (لن يصيبك أى ضرر من ذلك أما أنا فسأسافر هذه الليلة ومعى ميرزا محمد على قزوينى أحد حروف الحى الى مازندران وستكون ان شاء الله فى المستقبل على رأس جماعة كبيرة من المؤمنين تتقدمكم الرايات السود وتغادر مشهد وتجتمع معى . ويكون اجتماعنا فى المكان الذى يعينه لنا القدير

فاطاع الملاّ حسين أمره بكل فرح وطرح نفسه على رجل القدوس وأكد له عزمه على تنفيذ الأوامر والواجبات المفروضة عليه فاخذه قدوس بكل محبة بين ذراعيه وقبله فى عينيه وجبهته واسلمه إلى حفظ الله القدير وفى عصر ذلك اليوم ركب الملاّ حسين وسار بالهدوء والعزة إلى معسكر حمزة ميرزا وقابله عبد العلى خان الذى عينه البرنس مع جماعة من الضباط للترحيب به وأوصلوه إلى الخيمة التى أعدت خصيصاً له

وفى تلك الليلة أحضر القدوس ميرزا محمد باقر قاينى وهو الذى بنى البابية مع جماعة من أشهر اتباعه وأمرهم أن يظهروا الطاعة التامة للملاّ حسين وأن يأتمروا بكل مايطلب منهم عمله . وقال لهم (سوف تنتابنا قريبا عواصف وزعازع شديدة وتحمل فى طياتها امتحانات قوية فتمسكوا به فان طاعة أوامره تكون سببا لنجاتكم)

وبهذه الكلمات ودع قدوس أصحابه وارتحل مع ميرزا محمد على القزوينى من مشهد وبعد مرور بضعة أيام تقابل مع ميرزا سليمان النورى الذى اخبره بخلاص الطاهرة من حبسها فى قزوين وبرحلتها إلى خراسان وبانتقال بهاء الله من العاصمة بعد ذلك . وكان ميرزا سليمان وميرزا محمد على فى صحبة القدوس حين وصلوا إلى بدشت . وكان وصولهم إلى تلك القرية فى ساعة الفجر ووجدوا هناك جماعة كثيرة عرفوا أنهم من الاحباء . ومع ذلك عزموا على السفر إلى شاه رود فلما اقتربوا من هذه القرية قابل ميرزا سليمان الذى كان سائرا على مسافة خلفهم محمد حناساب الذى كان حاضرا فى طريقه أيضا إلى بدشت . فلما سأله القدوس عن القصد من ذلك الاجتماع أخبره بان بهاء الله والطاهرة قد قاما برحلتهما إلى هذا المكان وانهما تركا فعلا شاه رود منذ بضعة أيام لهذا الغرض . وأن جموعا كثيرة حضرت من اصفهان وقزوين وغيرها من بلاد ايران وهم جميعا منتظرون ورود بهاء الله فى رحلته إلى خرسان . فقال له ميرزا سليمان (اخبر ملاّ أحمد



قرية شاهرود

ابدال الذى هو فى بدشت انه فى نفس هذا الصباح قد أشرق عليك نور لم تقدر ان تعرفه) (١).

وما كاد بهاء الله يعلم من محمد حناساب بوصول القدوس إلى شاه رود حتى عزم على اللحاق به وقام فى مساء ذلك اليوم إلى تلك القرية ممتطيا جواده ومعه الملاّ محمد معلم النورى ثم عاد مع قدوس إلى بدشت فى صبيحة اليوم الثانى فى ساعة الشروق

وكان الصيف قد ابتدأو بوصول بهـاء الله استأجر ثلاث حدايق واحدة للقدوس وأخـرى للطاهرة واتباعها والثالثة لنفسـه وكان عدد المجتمعين فى بدشت ٨١ نفر ومن وقت حضورهم إلى يوم تفرقهم كانوا ضيوفا على بهاء الله وفى كل يوم يعطى ميرزا سليمان النورى لوحا يقرأه بترتيل فى مجمع الاحباء الحـاضرين . وكان يسمى كل فرد منهم باسم جديد . وتسمى هو أيضا بالبهاء وسمى آخر حروف الحى بالقدوس . وسمى قرة العين بالطاهرة وصدر لوح من الباب لـكل من اجتمع فى بدشت وصدر بالاسم الذى تسمى به أخيرا وكان بعض اتباع الطاهرة من المحافظين على التقاليد القديمة قد اشتكوها فيما بعد للباب مدعين عليها بالخروج على التقاليـد القديمة فاجابهم الباب على ذلك بقوله (ما الذى أقوله عمن أسماها لسان العظمة بالطاهرة)

وفى كل يوم من أيام ذلك الاجتماع المشهود كان يلغى تقليد من التقاليـد المعروفة وبذلك أخرقت الحجب الناشئة من تقديس الأحكام الشرعية وأزيلت الاصنام التى كان

(١) اشارة الى القدوس

يعبدها الناس عبادة عمياء. ولم يكن أحد يعرف مصدر هذا التجديد الجريء أو يعين الشخص الذى كان يدير دفة الأمور بكل مهارة ذلك الذى منح كل شخص من المجتمعين فى تلك القرية إسماً جديداً. وكان كل فرد يعتقد فى واحد حسبما يظن ولم يدرك منهم إلا القليل بأن بهاء هو الله الذى كان مصدر جميع هذه التغييرات ذات الأثر البعيد وأنه هو الذى حددها بدون خوف ولا وجل.

وكان الشيخ أبو تراب ممن اطلع على ماجريات الأحوال فى بدشت وحكى ذات يوم الرواية الاتية (كان بهاء الله قد لزم الفراش ذات يوم لمرض ألم به فأسرع لزيارته القدوس فلما أدخل جلس على يمين بهاء الله وسمح لباقى الاحباب بالحضور تدريجياً وما كادوا يجتمعون حوله حتى دخل فجأة محمد حسن قزوينى رسول الطاهرة وهو الذى تسمي حديثاً بالفتى القزوينى وأعلم القدوس بضرورة حضوره حالا عند الطاهرة لزيارتها فى الحديقة. فأجابه (أنى قطعت نفسى منها قطعياً ولا أقبل أن أقابلها) (١) فعاد الرسول ثم حضر ثانياً وأعاد الرسالة وتضرع اليه أن يلبى نداءها المستعجل وقال (أنها مصممة على الزيارة وإذا كنت تصمم على الرفض فانها لابد حاضرة) ولما شاهد امتناعه عن القبول استل سيفه ووضعه تحت قدم القدوس وقال (أنا لاأرضي أن أذهب بغيرك فاختر أحد أمرين إما أن تصحبنى إليها أو تقطع رقبتى بهذا السيف). فأجاب القدوس غاضباً (إني قررت أن لا أزور الطاهرة وسأنفذ لك غرضك الآخر لأنك أوكلته إلىّ).

وبينما كان محمد حسن قد ركع أمام القدوس تحت قدمه ماداً رأسه لتنفيذ الضربة فيها وإذا بالطاهرة حضرت فجأة مزينة وبدون قناع أمام أعين جميع الحاضرين (٢) فاخذت

(١) وقال فى كشف الغطاء انه حصل اتفاق بين القدوس والطاهرة على أن الاخيرة تقوم بتفهيم الحاضرين على أن الامر الجديد مستقل بذاته عن القديم ويتكلم عن نسخ الأحكام فى الشريعة القديمة وأن يعارضها القدوس فى ادعائها ويرفض ادعاءها وكان هذا الاتفاق يلزمها لتخفيف وطأة الأمر بالتجديد واتقاء المخاطر التى يتعرضون إليها من جراء مباغتة جماعة المؤمنين واطلاعهم على مقاصد الدين الجديد (صحفة ٢١١)
وكان بهاء الله على مايظهر متخذا خطة الحياد فى هذا النزاع ولو أنه كان هو المحرك الاول وصاحب النفوذ الحقيقى فى جميع أطوار هذه الحوادث.

(٢) وكان التأثير مدهشا مخيفا. فخبأ البعض وجوههم بأيديهم ووضع آخرون رؤوسهم تحت عباءاتهم حتى لاينظروا وجه الطاهرة فانه إذا كان النظر الى وجه اجنبية محرما فكيف النظر الى وجه الطاهرة الصديقة ... وانتهى الاحتفال بهياج لايوصف ووقعت الشتائم على خطابة امرأة لاحياء عندها لتظهر فى الجمع عارية الوجه وظن البعض أنها جنت وقال آخرون أنها لوقاحة ولم يوافق على عملها سوى القليل. (من كتاب السيد علي محمد الباب لنيقولاس صحيفة ٢٨٣ — ٢٨٤)

الناس الدهشة ووقف الكل حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر . وكانوا يظنون أن رؤيتها غير محجبة من أكبر المحال وبأن النظر إلى خيالها وظلها غير جائز لأنهم يعتبرونها مظهر فاطمة الزهراء ورمزاً لعصمة الطهارة فى نظرهم (١)

فتقدمت الطاهرة بسكون ووقار تام نحو القدوس وجلست عن يمينه . وكان اطمئنانها وسكونها يقابله ما بدا من الخوف على وجوه الذين ينظرون اليها فاضطربت أركانهم واستولى على أرواحهم الرعب والغضب والدهشة . وهزم هذا الظهور الفجائى بدرجة أن أحدهم المدعو عبد الخالق الأصفهانى قطع حنجرته بيده وفر هاربا من وجه الطاهرة مغطى بدمه وهو يصرخ بهيجان وفعل غيره من أقرانهم مثله وتركوا اعتقادهم ونكصوا على أعقابهم . وبقى عدد كبير واقفا أمامها بدون حراك متحيرين فى أمرهم وبقى القدوس فى مكانه قابضا على سيفه المسلول وعلى وجهه علائم الغضب الشديد وكأنه ينتظر فرصة ليضرب الطاهرة الضربة القاضية .

فلم يحركها منظره المهدد بل كان يعلو وجهها الكرامة والثقة التى ظهرت بها عند ابتداء دخولها أمام الجمع المحتشد من الأحباء وأضاء وجهها بشعور الفرح والغبطة والنصر ووقفت مكانها وخاطبت الباقين من هذا الجمع غير وجلة ولا مهتمة بما حصل فى قلوب أصحابها على البداهة وبدون سابقة تفكير وبلسان له شبه كبير بلغة القرآن القت خطابتها ببلاغة ليس لها مثيل وحماس شديد وختمته بهذه الآية القرآنية (إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)وكانت أثناء تلاوة هذه الآية تنظرخلسة إلى بهاء الله وقدوس مما بحيث لا يقدر الحاضرون على تعيين من منهما كانت الطاهرة تعنى

(١) يعنى فاطمة بنت الرسول زوجة الامام على



قرية بدشت

بهذا القول ثم قالت (إني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي تفر منها نقباء الأرض ونجباؤها)

ثم التفتت إلى القدوس ولامته لأنه لم يصنع فى خراسان الامور التى رأت أنها أساسية لمصلحة الأمر فأجابها (انى حر أن أتبع ما يمليه علىّ ضميرى ولست مقيداً بآراء وإرادة أصحابى) ثم التفتت الطاهرة إلى جموع الحاضرين وطلبت منهم أن يحتفلوا بهذه الفرصة السعيدة بما يليق بها وقالت إن هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذى فيه تفك قيود الماضى . فليقم كل من يشترك فى هذا المجد ويعانق صاحبه وكان ذلك اليوم التاريخى والايام التى تلته قد أثرت فى أخلاق وعوائد وحياة المؤمنين المجتمعين أعظم التغييرات الثورية فتغيرت طريقة العبادة تغييراً فجائيا كليا وطرحت العبادات القديمة التى كان المتعبدون المخلصون يتبعون نظامها طرحا أبديا . وحصل اضطراب عظيم بين الذين قاموا على نشر هذا الاصلاح بكل جهدهم . وكان بعضهم لا يوافق على حصول مثل هذا التغيير الاساسى وظنوا أنه عين الكفر وامتنعوا أن ينسخوا ما يعتبرونه أعظم أحكام الاسلام التى لا تنسخ وطائفة اعتبرت أن قول الطاهرة هو الفصل فى مثل هذه الاحوال وأن طاعتها واجبة على جميع المؤمنين وتمسك البعض ممن امتعضوا من تصرفها مع القدوس واعتبروه أنه هو الممثل والنائب عن الباب والوحيد الذى يحق له أن يحكم فى مثل هذه الامور الخطيرة ونظر فريق غير هؤلاء إلى الحادثة بأجمعها أنها عبارة عن امتحان إلهى لفصل الصادقين من الكاذبين والمؤمنين عن الكافرين

وكانت الطاهرة فى كثير من الاحيان ترفض اطاعة القدوس وتقول (إنى أعتبر القدوس تلميذا أرسله الىّ الباب لتعليمه وتهذيبه ولا أنظر اليه بنظر آخر) ولم يمتنع القدوس أن يتهم الطاهرة أنها صاحبة هذه الفتنة وادعى أن الذين يدعون إلى رأيها وقعوا فريسة للخطأ . واستمرت حالة المشادة بين الاثنين بضعة أيام إلى أن توسط بهاء الله وبطريقته المثلى وفق بينهما تماما ولم شعثهما ولأم الجرح الذى سببه هذا الهياج والنزاع الحاد وبذلك وجه همة كل منهما إلى طريق الخدمة المنتجة (١)

(١) وكانت هذه الجسارة التى وقعت من قرة العين هى التى زعزعت أسس الاحكام الاسلامية فى إيران يضاف إلى ذلك أن ثمرة تعليم قرة العين الاولى لا تقل عن تعليم القدوس من حيث الشجاعة وأن استنارتها الباطنية ربما أخذتها من بهاء الله وطبعا أن افتراض غضب أغلب واكبر أصحابها من عملها وعزمهم على توبيخها إنما كان من قبيل المباسطة اللطيفة (كتاب اتحاد الاديان والاقوام للدكتور جين صحيفة ١٠٣ — ١٠٤)

وحصل المقصود من هذا الاجتماع (١) المشهود، لان النداء بالنظام الجديد كان بمثابة النفخ في الصور فمسحت التقاليد العقيمة المجمع عليها والتي كانت تقيد ضمائر الناس ومحيت بكل جسارة وبغير وجل . فتهيأت الطريق لاعلان الاحكام والقواعد الجديدة التي جاء بها الأمر الجديد وعزم بقية الجمع المحتشد في بدشت على الرحيل إلى مازندران . ورحل القدّوس مع الطاهرة في هودج واحد اعدّه لسفرهما بهاء الله . وفي طريقهما كانت الطاهرة تنظم قصيدة وتأمر الأصحاب أن ينشدوها اثناء سيرهم خلف الهودج وكانت الجبال والاودية تردد أصوات وأناشيد ذلك الجمع المتحمس اثناء سفرهم ايذانا بمحو القديم وبعث اليوم الجديد

واستمرت رحلة بهاء الله في بدشت اثنين وعشرين يوما واثناء سفرهم إلى مازندران أراد بعض الاتباع أن يسيئوا استعمال الحرية التي نتجت عن نسخ الشرائع القديمة وظنوا أن في طرح الطاهرة للحجاب اشارة منها للتجاوز عن حدود الاداب واشباع الاغراض النفسية .وسبّب هذا التعدى الواقع من هؤلاء البعض غضب المولى وأوجب تفريقهم وتشتيتهم ففي قرية نيالا امتحنوا امتحانا شديدا واصيبوا باضرار جسيمة من يد اعدائهم

(١) وقيل ان الغرض من هذا الاجتماع تخليص الباب ونقله إلى مكان آمن ولكن الرأى المعول عليه أنه كان لوضع حد بين الأسلام والامر الجديد وهو ما ينطبق على المعقول (كتاب اتحاد الاديان والاقوام صحيفة ٨٠) . وكان الغرض من المؤتمر تصحيح خطأ شائع فكان الكثيرون يعتقدون أن القائم الجديد إنما جاء ليتمم الاحكام الأسلامية فكانوا يظنون أن مهمة محمد هي لأجل إصلاح العالم بالعدل والأمن وأن ذلك لا يتم إلا بسفك الدماء والاعتماد على مساعدة الاحكام الالهية . وأما الباب فكان على العكس من ذلك يتحرك مع تلامذته في طريق الاقناع الأدبي فكان سلاحه سيف الروح وهو كلمة الله . وأنه إذا ظهر القائم تتجدد جميع الاشياء . ولكن القائم كان على وشك الظهور وكان لابد من تهيئة الامور لظهوره ولا يصح أن يكون هناك فارق بين الاجناس والاقوام المختلفة . ولا بين الرجل والمرأة . وأن لا يكون الحجاب عنوان انحطاط المرأة . ولقد أوجدت تلك المرأة ذات المواهب الجليلة حلالشؤون المرأة .. وقد قيل في إحدى الروايات أنها (أى قرة العين) بنفسها حضرت المؤتمر لابسة القناع وإذا كان الامر كذلك فأنها ما لبثت أن صاحت في الجمع الحاشد (إنى أنا صوت الصافور والنداء الذي ينفخ في الصور أن انتبهوا أيها النائمون الخ) وقيل أن بهاء الله أتبع خطاب هذه المرأة الشجيعة بتلاوة سورة القيامة (٧٥) . فلمثل هذه التلاوات تأثير قوى شديد . والمعنى المقصود من كل ذلك أن العالم ابتدأ يدخل في دورة جديدة دنيوية وكان من الضرورى لها وجود قوانين وأحكام وقواعد جديدة

(من كتاب اتحاد الاديان والاقوام للدكتور جنين صحيفة ١٠١ — ١٠٣)

وكان هذا التشتيت جزآ وفاقا لذلك الافراط الذى ظهر من هذا النفر القليل من غير المسئولين من بين الاتباع المؤمنين وحفظ الأمر طاهرا نقيا معززا فى شرفه

وسمعت بهاء الله نفسه يصف الموقف قال (كنا مجتمعين فى بلدة نيالا ونزلنا للاستراحة فى سفح الجبل وفى الصباح فى الفجر استيقظنا على صوت قذف الأحجار التى رشقنا بها المجاورون وكانوا يرموننا بها من أعلا الجبل واشتد هجومهم علينا حتى التجأ أصحابنا إلى الهرب مرعوبين مذعورين فألبست القدوس ملابسى وأرسلته الى محل آمن وعزمت على اللحاق به ولما وصلت اليه وجدته قد ارتحل منه . ولم يبق أحد فى نيالا سوى الطاهرة وشاب من شيراز يدعى ميرزا عبدالله واشتد الهجوم وخربت الخيام. ولم أجد أحدا أسلم له الطاهرة سوى ذلك الشاب الذى أظهر فى ذلك شهامة وعزما يفوق الوصف إذ أنه أمسك سيفه بيده غير هياب ولا وجل من هجوم السكان الوحشى لنهب امتعتنا ومنعهم من ذلك ومع انه جرح فى مواضيع كثيرة من جسمه أبي الا أن يخاطر بحياته لصيانة أموالنا رغم انى أمرته بالكف عن ذلك . فلما هدأت الحالة تقدمت إلى بعض من السكان واقنعتهم بقسوة وفظاعة عملهم ونجحت فى اعادة جزء من الاموال المنهوبة .

وعاد بهاء الله مصحوبا بالطاهرة وخادمتها إلى نور وعيّن الشيخ أبو تراب لملاحظتها

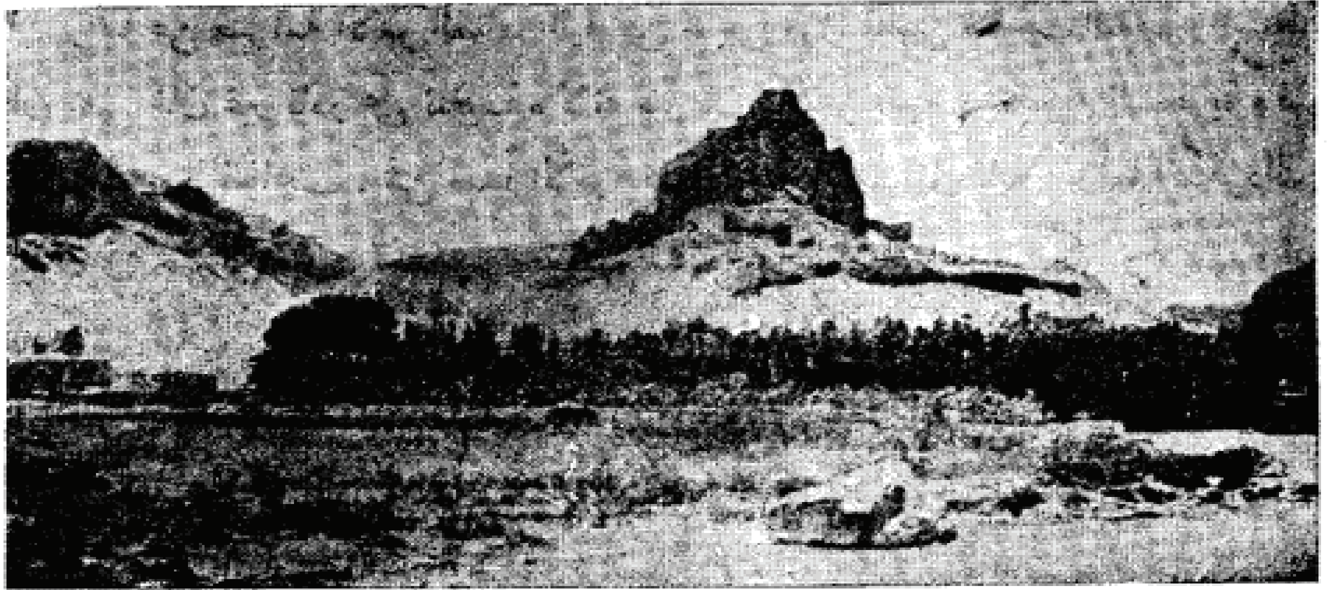


الهودج الفارسى

وحراستها وسلامتها وكان الاعداء فى تلك الاثناء يسعون فى اشعال غضب محمد شاه ضد بهاء الله . وادعوا عليه بانه اكبر مهيج لجميع الاضطرابات التى وقعت فى شاه رود وفى مازندران ونجحوا أخيراً فى حمل الشاه على إصدار الأمر بالقبض عليه . ويحكى أن الشاه قال ذات مرة غاضبا (انى للآن امتنعت أن أصدق ما كان يقال فى حقه اعترافا منى بالخدمات التى اسداها والده لمملكتى ولكن الآن فى هذه الدفعة عزمت على اعدامه)

وبناء على ذلك أمر أحد ضباطه فى طهران أن يخبر نجله المقيم فى مازندران أن يقبض على بهاء الله ويرسله الى العاصمة . ووصل هذا الأمر لنجل هذا الضابط فى اليوم السابق على اليوم الذى أعده للاحتفال ببهاء الله لانه كان من اخص محبيه . فاستاء من ذلك ولكنه لم يفض بالسر لأحد . وشاهد بهاء الله فى وجهه آثار الحزن فنصحه أن يوكل الامر الى الله وفى اليوم التالى بينما كان يصحب صديقه الى منزله وإذا بفارس آت من طهران وبمجرد أن قابله ذلك النجل صاح بلهجة مازندران قائلا (أن محمد شاه توفى) فتحدث معه هنيهة ثم أظهر له الامر الملكى فزال اثر الأمر السالف الذكر وصرف ذلك الحبيب ليلته فى صحبة ضيفه فى جو من الهدوء والفرح

ووقع القدوس فى الاثناء فى يد أعدائه وحبس فى ساري موطن ميرزا محمد تقى رئيس المجتهدين فى البلدة . أما باقى رفاقه فتفرقوا بعد حادثة نيالا فى جميع الجهات ومع كل منهم أخبار الحوادث العظيمة التى وقعت فى بدشت ليخبر بها أقرانه من المؤمنين .



قلعة جهريق

الفصل السابع عشر

في حبس الباب في قلعة جهريق

وكان وقوع حادثة نيالا في وسط شهر شعبان سنة ١٢٦٤ هجرية (١) في نهاية ذلك الشهر نقل الباب إلى تبريز وفيها تحمل من يد ظالميه إهانة وسخرية . وصادف حصول هذا النقل المقصود منه الحط منه كرامته نفس الوقت الذى حصل فيه هجوم الاهالى فى بلدة نيالا على بهاء الله واتباعه . ففى الوقت الذي هوجم فيه بهاء الله وأصحابه من جهال الغوغاء ضرب الباب جلداً من يد عدو قاس خائن .

ونعود الآن لسرد الحوادث التى أدت للاهانة الشديدة التى إختارها أعداء الباب ومضطهدوه للايقاع به . فانه نقل بناء على أمر حاجي مرزا آقاسى إلى قلعة جهريق (٢) وسلم لحراسة يحيي خان الكردى الذى كان محمد شاه متزوجا بأخته وهى والدة نائب السلطنة وكان الوزير قد أصدر التعليمات المشددة الصريحة إلى يحيى خان يأمره فيها أن لايصرح لأحد أن يقابل المسجون ونبه عليه خصيصا أن لايقتفى أثر على خان ماه كونى الذى تدرج فى مخالفة الاوامر التى تسلمها .

(١) ٣ يوليه سنة ١٨٤٨ أول أغسطس سنة ١٨٤٨

(٢) وفى مقاله سائح (صحيفة ١٠٨) أن الباب مكث ثلاثة أشهر فى قلعة جهريق قبل نقله إلى تبريز لمحاكمته

ورغماً عن صرامة الامر الصادر اليه من حاجي مرزا اقاسي صاحب النفوذ والسلطان كان يحيي خان غير قادر على تنفيـذه لانه سرعان ماشعر بقوة مسجونه السحرية ونسي ما كان عليه من الواجب . فمن مبدأ الأمر نفذت محبة الباب إلى قلبه . وأما الكردالذين يقطنون فى جهريق فيزيد تعصبهم وبغضهم للشيعة عن اكراد أهل ماه كو وجميعهم وقعوا تحت تأثير الباب . ووصلت المحبة التى أشعلها الباب فى قلوبهم لدرجة أنهم كانوا فى كل صباح قبل أن يبتدئوا أعمالهم اليومية يولون بوجوههم شطر السجن الذى حبس فيه(١) وينظرون من بعد إلى القلعة التى يقطنها ثم يتضرعون باسمه ويستنزلون البركات منه ويسجدون على التراب طالبين إحياء أرواحهم بنفحاته ويخبرون بعضهم بعضا بالعجائب التى شاهدوها من قوته ومجده . . ويقصون رواياتهم التى تشهد بقوة تأثير خلاقيته . ولم يرفض يحيي خان دخول أي شخص الى القلعة ولما كانت جهريق تضيق مساكنها عن أن تسع جميع الزوار الذين كانوا يهرعون اليها لذلك كان الاحباء يستوطنون اسكى شهر وهى جهريق القديمة وهى على مسافة ساعة من القلعة وكانت احتياجات الباب تشترى من تلك البلدة القديمة وتستحضر للباب فى سجنه(٢)

وذات يوم طلب الباب مشترى عسل له ولكن الثمن الذى طلب منه كان باهظا فلم يقبل مشتراه وقال (ان العسل الجيد يمكن مشتراه بقيمة أقل من هذه ، وأنا الذى اكون الآن مقتدا كم كنت تاجرا من قبل . فعليكم أن تقتدوا بى فى جميع معاملاتكم فلا تغشوا جيرانكم ولا تسمحوا لهم أن يغشوكم هذا هو طريق مولاكم) فلم يتمكن أمهر الناس ولا أمكرهم أن يغشه وكذلك هو لم يقبل أن يعامل أقل مخلوق واضعفه معاملة خارجة

(١) وكان الباب قد وضع فى حبس جهريق وشدد عليه فى هذا الحبس أكثر من ماه كو لذلك كان يدعو الاول بجبل شديد (عدد شديد ٣١٨ وهو يوافق فى العدد جهريق وسمى ماه كو بباسط (من كتاب مقالة سائح صحيفة ٢٧٦ حاشية ل)

(٢) وهناك كما فى كل مكان التف حوله عديدون وكتب مسيو موشين فى مذكراته عن الباب (أنه فى شهر يونيه سنة ١٨٥٠ أو سنة ١٨٤٩ على الأصح ذهبت إلى جهريق لاعمال تخص وظيفتى ورأيت البالا خانة التى كان الباب يتلو آياته على سطحها واشتد تجمع الناس حولها حتى ملأوا المكان والفناء الذى أمامه وكان أغلب المستمعين الذين لم يجدوا مكانا يقفون فى الشوارع ينصتون إلى آيات القرآن الجديد . ثم بعد قليل من الزمن نقل الباب إلى تبريز لاعدامه)
(من المجلة الاسوية سنة ١٨٦٦ جزء ٧ صحيفة ٣٧١)

عن الانصاف وأمر أن يعاد العسل الى بائعه وأن يشترى له بدله من صنف أجود فى الصنف وأقل فى الثمن

وحصلت حوادث أقلقت راحة الحكومة أثنـاء اعتقال الباب فى قلعـة جهريق واتضح أن جما غفيرا من أشهر علماء واشراف وموظفى الحكومة فى خوى اعتنقوا أمر المسجون وأصبحوا من أخص اتباعه وكان من بينهم مرزا محمد على واخوة (بويوك آقا) وكلاهما من الاشراف الممتازين من الذين قاموا لنصرة الامر وأبلغوه لمواطنيهم من جميع الاجناس والاشكال وماجت جموع المؤمنين والطـلاب نتيجـة لهـذه الحركة فيما بين خوى وجهريق .

وحدث أن أحد الموظفين المشهود لهم بالشهرة والقوة الادبية العالية واسمه ميرزا أسدالله وسماه فيما بعد الباب (بالديان) كان فى أول الأمر معاندا ومقاوما للأمر بدرجة أن المؤمنين كانوا يخافون من تبليغه رأى رؤيا لم يشأ أن يقصها على أحد واختار فى نفسه آيتين من القرآن وأرسل للباب قائلا (إنى قد رتبت فى عقلى ثلاث أمور وأسألك أن تخبرنى عنها) وكتب له مكتوبا بهذا المعنى وأرسله مع ميرزا محمد على . وبعد بضعـة أيام جاءه الجواب من قلم الباب وبخط يده وكشف له فيه عن الرؤيا وأبان له الآيتين. وتسبب عن صحة الأجابة ودقتها اعتناقه للأمر ومع أنه لم يـكن معتادا على المشى أسرع وارتقى هذا الطريق الوعر الحجرى الموصل إلى القلعة من خوى وأراد أصحابه إقناعه أن يمتطي جودا إلى جهريق فلم يقبل وفضل السير على أقدامه ولما تقابل مع الباب ثبت يقينه وأشعلت المقـابلة فيه حماساً شديدا استمر إلى آخر أيام حياته

وفى تلك السنة أمر الباب أربعين من أتباعه أن يكتب كل منهم رسالة يثبت فيها صحة الامر مستنداً على الآيات والأحاديث . فأطاعوا أمره حالا وعرضوا نتيجة عملهم لأنظاره فنالت رسالة ميرزا أسد الله إعجاب الباب وكانت أعلاها جميعاً فى تقديره فاعطاه الباب لقب ديان وأنزل له لوح الحروفات الذى قال فيه انه لو لم يكن لدى نقطة البيان (١) دليلا على صحة أمره سوى هذا اللوح الذى لن تقدر كل العلوم أن تظهر مثله لـكفى .

(١) إشارة إلى الباب وهو من ألقابه

ولما لم يفهم أهل البيان الغرض المقصود من هذا اللوح ظنوا أنه تفصيل لعلم الجفر وإذ كان بهاء الله مسجونا فى سجن عكا فى ابتداء أيام السجن طلب منه جناب المبلغ من شيراز أن يظهر أسرار هذا اللوح فنزل من قلمه تفسير له يحق للذين لم يفهموا كلمات الباب أن يتدبروه وقد بين بهاء الله البراهين الساطعة الدالة على ضرورة ظهور من يظهره الله (٢) من تفسير كلمات الباب فى ذلك اللوح وأن ظهوره يكون قبل مضى تسعة عشر سنة من إعلان دعوة الباب . وأظهر الباب فى ذلك اللوح سر المستغاث فلم يكن أحد بقادر على فهم ما كان يقصده فى بيانه حتى كشفه بهاء الله للجميع . وكان قبل ذلك حجر عثرة أمام الباحثين من ملأ البيان ومانعا لهم عن الاعتراف بالموعود وقبول دعوته الجديدة .

وأظهر ميرزا أسد الله حماسا متواصلاً حمل والده أن يلتجىء إلى الحاج ميرزا آقاسى صديقه الحميم ويخطره باعتناق أبنه للأمر الجديد وينبهه إلى إهمال الحكومة فى أداء واجباتها مطنبا فى الكلام على المجهودات التى يبذلها مثل هذا الخادم الحكومى لخدمة السيد الجديد وبما تكللت به مجهوداته من النجاح

وكان أيضاً من دواعى إزعاج الحكومة أن درويشا حضر من الهند إلى جهريق وبمجرد أن قابل الباب اعترف بصحة رسالته وجميع الذين قابلوا هذا. الدرويش الذى سماه الباب قهر الله أثناء سياحته فى أسكى شهر شعروا مثله بحرارة وحماس وتأثروا تأثرا عميقا من قوة يقينه . . وتحدث جم غفير من الناس بكمال شخصيته واعترفوا بقوة إيمانه القاهرة . وكان تأثيره عليهم لدرجة أنهم ظنوا أنه مبين للدين الالهى ولو أنه لم يدّع هذا المقام . وكان كثيرا ما يقول (فى الايام التى كنت فيها شاغلا لوظيفة نواب فى الهند ظهر لى الباب فى الرؤيا وحدق فىّ وقال لى بأمعان : تخلص من ملابسك الفخمة واسرع لمقابلتى فى آذربايجان وفى جهريق تصل إلى محبوب قلبك : فأتبعت أمره حتى وصلت إلى بغيتى .) ووصلت إلى تبريز أخبار الهياج الذى وقع بين رؤساء الاكراد فى جهريق بتأثير هذا الدرويش المسكين . وانتقلت الاخبار منها إلى طهران أيضا وما كادت تصل اليها حتى صدر الامر بنقل الباب حالا إلى تبريز وذلك بأمل تسكين الهياج الذى

(٢) إشارة إلى بهاء الله

آثاره إقامته المستمرة فى تلك الجهة وقبل وصول هذا الأمر الجديد كان الباب قد أمر (عظيم) أن يخبر قهر الله برغبته فى أن يعود إلى الهند وهناك يخصص حياته لخدمة الامر وأمره أن يعود من حيث أتى إلى وطنه وحيدا وسائراً على أقدامه بنفس الاخلاص والمحبة التى سافر بها فى مجيئه وأن لا يألو جهـدا فى نشر الأمر وكذلك أمره أن يخبر الميرزا عبد الوهاب الترشيزى الذى كان قاطنـا فى خوى أن يذهب توا إلى ارومية ليقابله هناك . وقد أمر عظيم أن يترك تبريز وهناك يخطر السيد ابراهيم الخليل عن قرب مجيئه إلى تلك المدينة . وقال له الباب (اخبره أن نار النمرود سوف تشتعل فى تبريز ولـكن رغما عن اشتعالها فلا يصيب المؤمنين منها أذى)

وما كاد قهر الله يستلم الأمر من سيده حتى قام لتنفيذ رغباته فكان يقول لـكل شخص يريد مرافقته فى الطريق (انك لن تقـدر أن تتحمل متاعب السفر وأمتحاناته فاترك العزم فى التوجه معى لانك ستهلك حتما فى الطريق كما أن البـاب قد أمرنى أن أعود وحدى إلى موطنى .) وكانت قوة اجابته الحازمة قد اسكتت الذين رجوه أن يسمح لهم بالسفر معه . ولم يقبل أن يأخذ أى نقود أو ملابس من أحد ورجع قافلا إلى وطنه فريدا سائرا على الاقدام وعصاه فى يده ولم يعلم أحد ماذا أصابه

وكان محمد على الزنوزى الملقب بانيس ضمن الذين سمعوا برسالة الباب فى تبريز وتأججت فيه نيران الشوق للاسراع إلى جهريق للقائه واشعلت فيه هـذه الـكلمات شوقا لايقهر لشرب كأس الشهادة فى سبيله . وبذل سيد على الزنوزى صهره من أعيان تبريز الجهد فى منعه عن ترك المدينة . وتمـكن فى النهاية من حبسه فى المنزل وتشديد المراقبة عليه . فرض فى الحبس إلى أن حان الوقت الذى فيـه وصل محبوبه الى تبريز وأعيد إلى سجنه فى جهريق .

وسمعت الشيخ حسن الزنوزى يروى مايأتى (فى الوقت الذى أمر فيه الباب عظيم بالارتحال أمرنى أن اجمع جميع الألواح التى نزلت اثناء الحبس فى قلعة ماكو وجهريق وأن اسلمها ليد السيد ابراهيم الخليل الذى كان وقتها موجوداً فى تبريز وأمره أن يتحفظ عليها ويخفيها بكل مهارة وحرص

واثناء اقامتى فى تلك المدينة كنت كثيرا ما اسمع السيدعلى الزنوزى ينـدب حظ ابنه المحزن لى لانى كنت من اقربائه وكثير التردد عليــه فـكان يشكو بحرقة قائلا (يظهر عليه انه فقد رشـده وانه جلب علىّ العــار بسلوكه فاجتهد فى أن تقنعه أن يخفى اعتقاده وتهدى روع قلبه) ولذلك اعتدت زيارته فى كل يوم وأرى دموعه تجرى دواما من عينيه ولما رحل البـاب من تبريز ذهبت يوما لرؤيته . فتعجبت من منظره لانى رأيت امارات الفرح بادية على وجهه وتهلل وجهه اللطيف بشرا عند لقائى وقال لى وهو يعانقنى (أن أعين المحبوب قد نظرت هذا الوجه ورأت عيناى وجهه . فدعنى أحكى لك سبب سرورى فبعد أن أرجع البـاب إلى جهريق وبينما أنا محبوس فى غرفتى وجهت قلبي اليه وناجيته قائلا : ترى يامحبوبي اسرى وعجزى وتعلم كم أحن شوقا للنظر إلى وجهك . فارفع بانوار وجهك هذه الظلمة التى تخيم على قلبي: وغلب علىّ التأثر بدرجة اني فقدت شعورى وفجأة سمعت صوت الباب يناديني ويأمرنى بالقيام ورأيت جمال وجهه ظاهرا أمامى . وكان يتبسم وهو ينظر الىّ فاندفعت نحوه وطرحت نفسى على قدميه . فقال لى (افرح فان الســاعة قادمة لان فى هذه المدينة سأعلق أمام أعين الجماهير وأقع فريسة لنار العدو وان انتخب أحدا خلافك ليشاركنى فى تجرع كأس الشهادة وتأكد أن هذا الوعد الذى أعدك به سيتحقق) وسحرت من جمال هذه الرؤيا ولما صحوت وجدت نفسي غريقا فى بحر من السرور الذى لاتحجبه جميع أحزان العالم .

ولايزال هذا الصوت يرن فى اذنى. وتتمثل هذه الرؤيا دائما أمامى ليل نهار وإن ذكرى تلك الابتسامة الفائقة الوصف انستنى عزلتى فى حبسى وأصبح اعتقادى يقينا بان الساعة التى ضمنها لى لتحقق الوعد لاتتأخر بعد ذلك.

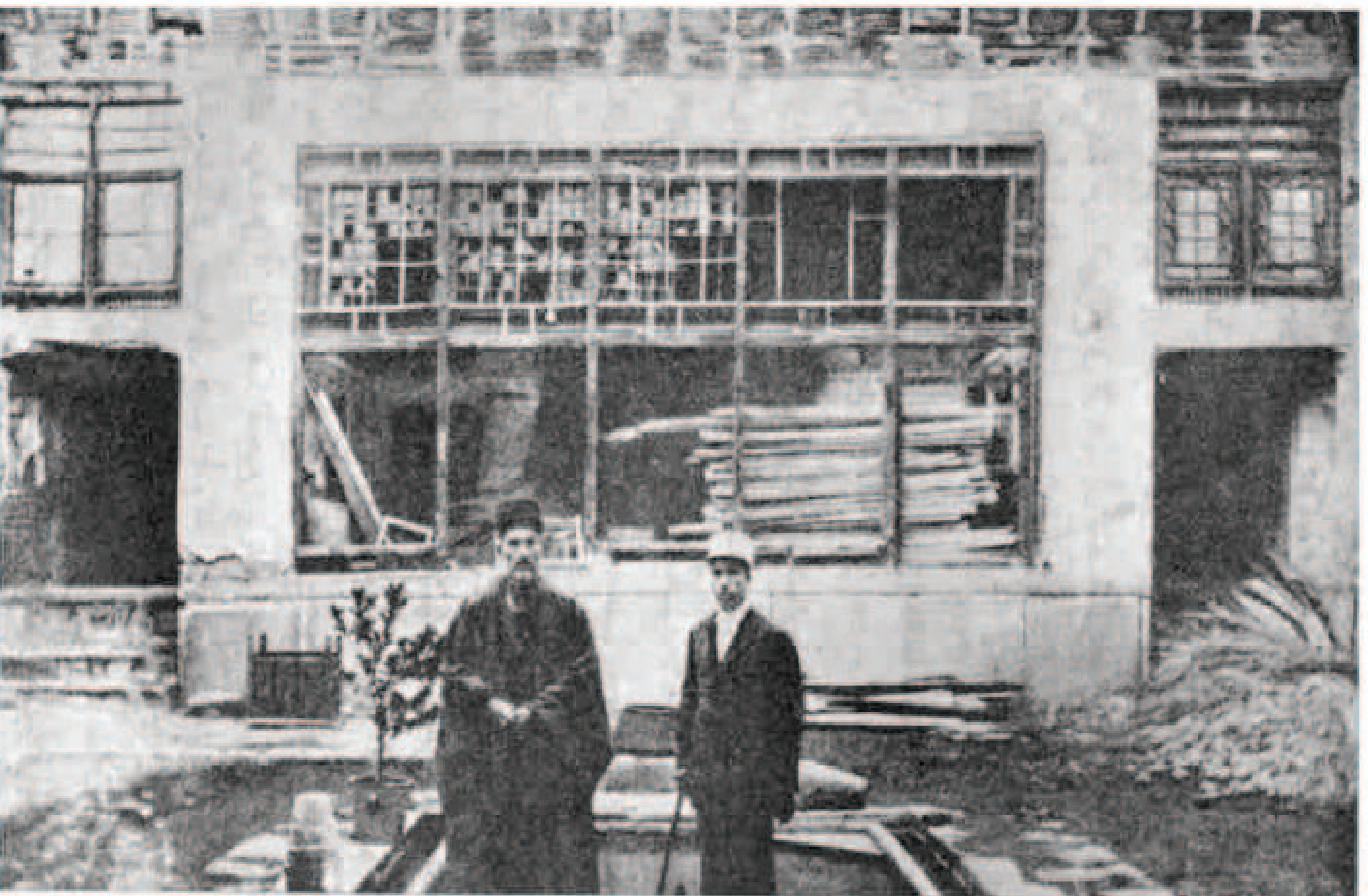
فنصحته بالصبر وأن يكتم أمره فوعدنى انه سوف لايبوح بهـذا السر وتعهد أن يسلك مع السيد علىّ بالرفق والاناة وأسرعت إلى والده وأخبرته ببرئه ونجحت فى فك أسره . واستمر هذا الشاب إلى يوم شهادته فى حالة فرح وسكون تام مع والديه واقربائه واستمر على هذا المنوال فى سلوكه نحو الاصحاب والاقارب حتى انه فى اليوم الذى ضحى فيه حياته لاجل محبوبه كان جميع أهل تبريز يندبونه ويبكونه

الفصل الثامن عشر

في محاكمة الباب في تبريز

وكان الباب عالما بدنو ساعتــه ولذلك فرق أتباعه الذين كانوا قد اجتمعوا حوله في جهريق وانتظر الأمر بدعوته إلى تبريز بسكون ورضا . ورأى الذين تسلموا حراسته أن لا يمروا به في بلدة خوى التي تقع في طريقهم إلى عاصمة أذربايجان وعزموا على الارتحال بطريق أروميّه . وبهذه الوسـيلة يتجنبون المظاهرات التي كان أهالي خوى مزمعين أن يقوموا بها احتجاجا على ظلم الحكومة . ولمـا وصل الباب إلى أروميه احتفـل به مالك قاسم مرزا وأكرم وفادته للغاية وأظهر البرنس له احتراما فائقا . ومنع أي أحد من أن يعامله بغير الاحترام .

وذات يوم بينما كان الباب ذاهباً إلى الحمـــام العمومي أراد البرنس أن يمتحن قوة ضيفه فأمر السائس أن يسرج له أصعب الجياد مراساً . ولعلم الخادم بالضرر الذي ربمـا يلحق الباب اقترب منه ونبهه سراً أن لا يقبل امتطاء الجواد لأنه يطرح أقوى وأشجع الفرسان. فكان جوابه له(لا تخف اعمل كما أمرت واتركنا لحفظ الله وحراسة المولى القدير) وعلم أهل أروميّه بغرض البرنس فاجتمعوا في الميدان العمومي أمام الحمام لرؤية ما يحصل للباب ولما قدم اليه الجواد اقترب منه بهدوء وأخذ اللجام من يد السائس ودلله بلطف ثم وضع رجـله في الركاب فوقف الجواد بدون حراك كأنه شـاعر بالقوة التي معه . فاعجب الحاضرون جميعاً بمسلك الجواد إذ شاهدوه هادئا على غير عادته. ولضعف عقولهم ظهرت لهم هذه الحادثة كاحدى المعجزات. فاسرعوا في حماسهم لتقبيل ركاب الباب ولـكن خدام البرنس منعوهم من ذلك حرصا على أن مثل هذا الهجوم ربما يحصل منه ضرر له . وكان البرنس الذى رافق الباب مشياً على قدميه إلى قرب الحمام قد أمره الباب قبل الوصول الى المدخل بالعودة وكان خدام البرنس يوسعون الطريق أمامه في طول المسافة من كثرة الازدحام الحاصـل من الذين حضروا لاختلاس نظرة منـه وعند وصوله صرف الخدم عدا الخادم الخصوصي والسيد حسن الذى مكث في غرفة مجاورة وساعده في خلع الملابس وعند عودته من الحمام امتطى نفس الجواد وهللت له الجماهير . وجاء البرنس لمقابلته أيضاً ومشى في معيته الى أن وصل إلى مقره



منزل الباب في ارومية والغرفة العليا (بالاضافة) المميزة بعلامة (X) هي في غرفته الخاصة

وما كادالباب يتم استحمامه حتى هجم أهالى اروميـه وتقاسموا الماء الذى استعمله فى اغتساله الى آخر قطرة وحصل فى المدينة هياج عظيم فلما شاهد الباب علائم هذا الحماس تذكر الحديث المشهور المنسوب للأمام على أمير المؤمنين الذى أشار إلى اذربايجان وورد فيه أن بحيرة اروميه سوف تغلى ماؤها وتطفو على الشواطىء وتفيض على المدينة ولما أخبروه بان غالبية السكان اعتنقوا أمره دفعة واحدة أجاب بهدو (أحسب الناس أن يتركوا يقولوا آمنا وهم لايفتنون(١)) وقد تأيد هذا البيان بمسلك هؤلاء السكان نحوه حين بلغهم خبر المعاملة المفجعة التى عومل بها فى تبريز . فلم يستقم على الأمر منهم إلا القليل رغم إجماعهم أولا على الأيمان بمحض رغبتهم فكان ذلك امتحانا لهم . وكان من بين الذين استقاموا على الأمر الملاّ امام وردى فلم يوجد أحد هناك أكثر إيماناً منه سوى ملاّ جلال اروى أحـد اهالى أروميه وأحد حروف الحى . وزادت شعلة إيمانه بالاضطهاد وتقوى اعتقاده باسـتقامته على الأمر الذى اعتنقه. وأخيراً حظى بلقاء بهاء الله واعترف برسالته فيما بعد . وجاهد فى نشر أمره بنفس الأمانة التى قام بها على نشر أمر الباب . وكلاهما اعترفا بخدماته المتكررة وتشرف هو وأسرته بالواح عديدة من قلم بهاء الله وفيها امتدح أعماله ودعا له بانزال البركات عليه من الله القدير وبعزم لاينثنى استمر على العمل لأعلاء شـأن الأمر حتى وصل إلى سن الثمانين حيث فارق الحياة .

أما روايات صدور العجائب من الباب فكانت تتناقلها ألسن الذين شاهـدوها من المعجبين به الذين لايدخلون تحت حصر وأوجدت حماسا انتشر بسرعة مدهشة فى جميع انحاء المملـكة . وانتقلت إلى طهران وأهاجت هناك رؤساء الدين للقيام بعمل مجهودات أخرى جديدة ضـده لأنهم ارتعبوا من سرعة نفوذ أمره وشعروا أنهم لو تركوه وشأنه لآل نصيب الاحكام التى يستندون عليها فى رياستهم إلى الزوال واندثرت بحكم ظهوره وتمـكينه خصوصا وقد رأوا دلائل الأخلاص للباب بادية من كل الجهات وعجزوا عن ايجاد مثلها لأنفسهم وكان ذلك الأيمان الجديد قد نقض ما كانوا يغزلونه بايديهم وهدم جميع تأسيساتهم ووجدوا أن جميع قوتهم وأصول احكامهم عاجزة عن اطفاء نوره .

(١) قرآن ٢٩ — ٢

وكانت تبريز على الخصوص تتمخض بافجع الاضطرابات . واهاجت اخبار قرب وصول الباب مخاوف السكان واثارت اقسى انواع العدوان فى قلوب علماء آذربايجان الدينيين وكان هؤلاء العلماء وحدهم من بين جميع سكان تبريز هم الذين لم يشتركوا فى المظاهرة الودية التى حيوا بها رجوع الباب إلى مدينتهم وكان حماس الناس لهذه الاخبار زائدا بدرجة أن الحكومة قررت أن تكون اقامة الباب خارجا عن ابواب المدينة . ولم يتشرف بلقائه الا الذين أراد هو مقابلتهم واما غيرهم فمنعوا من الحصول على هذا الشرف

وفى الليلة الثانية من وصول الباب دعا عظيم لمقابلته واثناء محادثته معه أكد له أن دعوته انما هى دعوة القائم الموعود ، فوجده مترددا فى قبول هذه الدعوة بدون قيد ولما رأى اضطرابه الباطنى قال له (انى باكرا أمام ولى العهد وفى وسط الجمع الحاشد من العلماء والاعيان سوف اظهر دعوتى . وكل من يريد أن يطلب برهانا سوى الآيات التى اتلوها فليطلبه من قائمه الموهوم)

وسمعت عظيما يقرر الآتى (كنت فى تلك الليلة فى اضطراب كبير وبقيت مستيقظا إلى ساعة طلوع الشمس وبمجرد أن صليت الصبح وجدت تغيرا عظيما فى نفسى حتى كأن بابا جديداً فتح أمام وجهى وجاءتنى الفكرة بانى لو كنت أمينا ومطيعا لدين محمد رسول الله لاعترفت برسالة الباب بدون قيد ولخضعت لكل ما يأمر به بدون خوف ولا تردد . ولكانت هذه النتيجة التى وصلت اليها قد ازالت اضطرابى . فاسرعت إلى الباب وطلبت منه العفو والمغفرة . فقال لى: ان من علائم عظمة الامر أن امثال عظيم يضطرب ويهتز من قوته واتساع نطاقه فثق أن فضل الله يمكنك أن تقوى كل ضعيف القلب وتثبت كل متزلزل . وستكون ثابتا على شأن لو يقطعك الاعداء إربا إربا رجاء أن تنقص محبتك بقدر ذرة فلا يقدرون على ذلك وستقابل فى مستقبل أيامك وجها لوجه مظهر رب العالمين وتفرح بلقائه : فكانت هذه الكلمات كالمرهم لجرحى وازالت كل همومى ومن ذلك التاريخ لم يظهر علىّ أي أثر للاضطراب ولا للخوف .)

وكان حجز الباب خارج ابواب المدينة غير كاف فى تهدئة الهيجان الذى ساد فيها وكل عمل تذرعت به السلطة وكل احتراس صدر منهم لم يزد الموقف الا شدة ولم ينذر الا بسوء العاقبة . واصدر الحاج مرزا اقاسي اوامره بدعوة الرؤساء الدينيين فى تبريز إلى سراى

حاكم اذربايجان بقصد محاكمة الباب واطفاء امره وتأثيره . وكان من بين المدعوين لهذا الاجتماع الحاج ملاّ محمود المسمى نظام‌العلماء معلم ناصر الدين مرزا ولى العهد (١) والملاّ محمد المامقانى ومرزا على اصغر شيخ الاسلام وكثيرون غيرهم من اكابر علماء الشيخية والشيعه (٢) وكان ناصر الدين مرزا حاضرا بنفسه فى هذا الاجتماع وكان نظام العلماء رئيس الاجتماع . ولما تم انتظام عقدهم أمر الرئيس بأسم الجميع احد ضباط العسكرية أن يدخل الباب . وا كتظ جم غفير بالمدخل منتظرين بفروغ صبر الوقت الذى يمكنهم فيه أن يفوزوا بنظرة الى الباب . ومن شدة الزحام اضطر العسكر لتوسيع طريق له من بين الجموع المكتظة . ولما دخل الباب وجد أن جميع المقاعد مشغولة عدا مقعد واحد كان أعد لولى العهد . فسلم على الجميع وبدون أى تردد ذهب واحتل المحل الخالى . وكانت مهابة شخصه والجلال الذى علا وجهه وروح القوة التى أشرقت من جميع هيكله قد سحقت أرواح جميع الموجودين وساد عليهم فجأة صمت عجيب عام ولم يقدر أحد منهم أن ينطق ببنت شفة وقطع نظام العلماء الصمت المخيم عليهم إذ سأل الباب (من تكون وما هو ادعاؤك وما هى الرسالة التى أتيت بها) فأجاب الباب ثلاثا (إنى أنا الموعود وأنا الذى دعوتموه مدة ألف سنة وتقومون عند سماع أسمه وكنتم تشتاقون للقائه عند مجيئه وتدعون الله بتعجيل ساعة ظهوره . الحق أقول لكم إن طاعتى واجبة على أهل الشرق والغرب) فلم يجرأ أحد على الكلام سوى الملا محمد المامقانى وهو أحد رؤساء الشيخية الذى كان تلميذا للسيد كاظم والذى كان أستاذه السيد يئن وينوح ويبكى من عدم إيمانه ويأسف لفساد أخلاقه . وروى الشيخ حسن الزنوزى الذى سمع ذلك من السيد كاظم ما يأتى (كنت أتعجب كثيراً من تعريضه بالملا محمد وكنت أشتاق أن أعرف مستقبل حياته وسلوكه لأرى إن كان حكم السيد كاظم عليه فى محله من عدمه فلما رأيت سلوكه نحو

(١) ولد فى ١٧ يوليه سنة ١٨٣١ وابتدأ حكمه فى سبتمبر سنة ١٨٤٨ وتوفى سنة ١٨٩٦ وترك هذا الرئس طهران للانتظام فى سلك الحكومة فى ٢٣ يناير سنة ١٨٤٨ لان والده توفى فى ٤ سبتمبر من نفس السنة وكانت عودته فى ١٨ منه ليكون شاهاً (من تاريخ السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٤٣ حاشيه ١٩٥)

(٢) وفى مقالة سائح (صحيفة ١٩ ترجمة انجليزية) زاد عليهم مرزا احمد امام الجمعة



ناصر الدين شاه وهو طفل ومعه ميرزا أبوالقاسم القائم مقام على يمينه وحاجي مرزا آقاسى على يساره وفي الطرف اليسارى (وعليه علامة ×) يقف مانو جهر خان معتمد الدولة

الباب عرفت صدق ما أخبر به الاستاذ عن غفلته وعماه وكبره وغروره . وكنت واقفا مع أشخاص آخرين خارج بهو القاعة التى كانوا فيها . وتمكنت من سماع المناقشة التى جرت فى الداخل . وكان الملا محمد جالساً على يسار ولى العهد . والباب جالساً فيما بينهما ولما أعلن الباب أنه هو الموعود أخذ الرعب جميع الحاضرين ونكسوا رؤوسهم مرتبكين وهم سكوت وعلت وجوههم قترة واصفرار دل على غليان قلوبهم . وكان ملاّ محمد ذلك الأعور الابيض الذقن الغادر قد قام على توبيخه بوقاحة قائلا (إنك أيها الشقى الناقص صبى شيراز قد خربت العراق والآن تريد أن تثير مثل هذا الخراب فى آزربايجان) فأجابه الباب (يا فضيلة الشيخ أنا لم أحضر هنا من تلقاء نفسى بل دعيت إلى هذا المكان) فرد عليه الملا محمد قائلاً بحماقة (أسكت يا أرذل أتباع الشيطان) فقال له الباب (يافضيلة الشيخ أكرر لك ثانيا ماسبق قلته لك) ورأى نظام العلماء أن الأحسن هو الاعتراض على رسالته علنا. فقال للباب (إن الدعوة التى تقدمها الآن هى دعوة خطيرة فيجب أن تدعمها بالدليل القاطع) فأجاب الباب(إن أقوى دليل وأقنعه على صحة دعوة رسول الله هو كلامه كما دلل على ذلك بقوله: ألم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب : ولقد آتانى الله هذا البرهان فى ظرف يومين

وليلتين أقرر أني أقدر أن أظهر آيات توازي في الحجم جميع القرآن) فقال له نظام العلماء (إن كنت صادقا صف لنا هذا الاجتماع شفاهيا بلغة تشابه آيات القرآن حتى إن ولى العهد والعلماء المجتمعين يشهدون بصحة دعوتك) فوافق الباب على طلبه وابتدأ ينطق بهذه الكلمات (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والأرض) فاعترض عليه الملا محمد المامقانى لافتا نظره لغلطة نحوية وصاح قائلا باحتقار (إن هذا القائم أظهر جهله فى أول كلامه فى أبسط القواعد النحوية) فأجابه الباب (إن القرآن نفسه لا يتفق فى كثير من الاحوال مع هذه القواعد السائدة بينكم فكلمة الله لا تقاس بالحدود التى هى عند خلقه بل أن القواعد التى أوجدها الناس قد استنتجوها من كلام الله . وقد وجد هؤلاء الناس مخالفات نحوية فى القرآن فى أكثر من ثلثماية موضع مثل الموضع الذى تنتقد عليه ولكنهم امتثلوا ولم يكن لهم بد من ذلك لأن الكلام إنما هو كلام الله (١))


ناصر الدين شاه

ثم أعاد الكلمات التى نطق بها وانتقد عليها ثانية الملا محمد . وبعد ذلك تجاسر شخص آخر على إيراد السؤال الآتى للباب (على أى صيغة من صيغ الأفعال تصرف كلمة اشترطن) وجوابا على هذا السؤال تلا الباب الآية القرآنية (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)

(١) وإذا حصل اعتراض على النحو والصرف الواقع فى الآيات فذلك لأن القواعد يجب أن تستمد من الآيات وليست الآيات مرتبة بمقتضاها فما لا شك فيه أن رب الآيات قد أنكر هذه القواعد وأنكر معرفتها لأنه قائم بذاته (البيان الفارسي الجزء الاول صحيفة ٤٥



ناصر الدين شاه

ثم قام بعد ذلك وترك مجمعهم (١)

وغضب نظام العلماء من الطريقة التى سلكها ذلك الجمع وسمع يقول (وا أسفا على سفاهة أهل تبريز . فما هى العلاقة بين هذه الأسئلة الباردة وبين النظر فى أمثال هذه الدعوة الخطيرة) . كذلك كان غيره يسفه أحلام الذين قاموا على جدال الباب بهذه الطريقة المعيبة المخجلة . وكان الملا محمد المامقاني مع ذلك مصرا على رده الفظيع وصاح فى الجمع محتدا (انى أحذركم بانكم لو صرحتم لهذا الشاب أن يستمر فى تنفيذ أعماله بدون ايقافه عند حده فسيأتى اليوم الذى فيه يدخل كل سكان تبريز فى أمره وينضمون إلى لوائه . واذا أراد فى ذلك اليوم وأنتم مقبلون اليه أن يظهر رغبته فى طرد علماء تبريز حتى ولى العهد نفسه وأن يتولى زمام السلطة الدينية والمدنية وحده فلا يقدر أحد منكم على

(١) وأما عن الروايات الاسلامية التى أمامنا فليس عليها مسحة الصدق بل يظهر أنها مزورة وكان العلماء والموظفين الذين حضروا الاجتماع عالمين بما يريدون أن يعملوه مع الباب ورغما عن أنه أظهر لهم أحسن الحجج فأنهم كانوا غير راغبين فى تدوين انهزامهم وخذلانهم .(من كتاب الدكتور جين اتحاد الأديان والاقوام صحيفة ٦٢)

ومن الصعب الحكم على صحة الرواية الاسلامية عن المحاكمة فى تبريز وقد تكون بعض الأسئلة المدونة قد وقعت فعلا على ما فيها من الفحة واللف . وقد لا يصدر من الباب جواب عليها فمن المعقول جداً كما كتب فى التاريخ الجديد أن الباب فضل الصمت الوقور كما ينسبه بعض كتاب المسلمين عن الاجابة عن الخزعبلات . وهذا يناقض ويخالف قضيتهم لأنهم اجتهدوا أن يظهروا الباب بمظهر الرجل الذى لم يكن عنده مواهب خارقة للعادة فاظهروه بمظهر الرجل الجاهل فيصعب تصديق ذلك بالكلية ومما لا شك فيه أن المحاكمة كانت مهزلة والحكم عليه كان متفقا عليه قبل المحاكمة ولم يكن لدى المجتمعين إذ ذاك أي غرض فى تعرف طبيعة دعوة الباب أو السؤال عنها . وكان جميع المجلس من أوله إلى آخره منحصرا فى التهكم والسخرية والاستهزاء والمهاترة وهذا ما يظهر لى جليا من التواريخ الاسلامية والبابية (مقالة سائح حاشية م صحيفة ٢٩٠ طبعة انجليزية)

معارضته فعلا لأن جميع سكان المدينة بل كافة سكان اذربايجان يكونون كلهم قائمين على اعانته)
وكان رد هذا الخائن المحتال قد أثر فى افكار أرباب السلطة فى تبريز وتشاور الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور معا فى الوســـائل التى يقومون على اتخاذها لمقاومة نجاح هذا الأمر فاشار البعض منهم الى دعوته مرة أخرى لمجمع آخر يوقع عليه فيــه عقاب صارم بحكم من الاعضاء لانه فى المجمع الأول جلس فى المقعد المخصص لولى العهد وترك المجلس بدون إذن رئيسه . ولـكن ناصر الدين ميرزا لم يقبل هذا الحل . وأخيرا اتفقوا على أن يحضروا الباب الى منزل ميرزا على اصغر الذى كان شيخ الاسلام فى تبريز وسيدا



مشاهير المجتهدين فى ايران

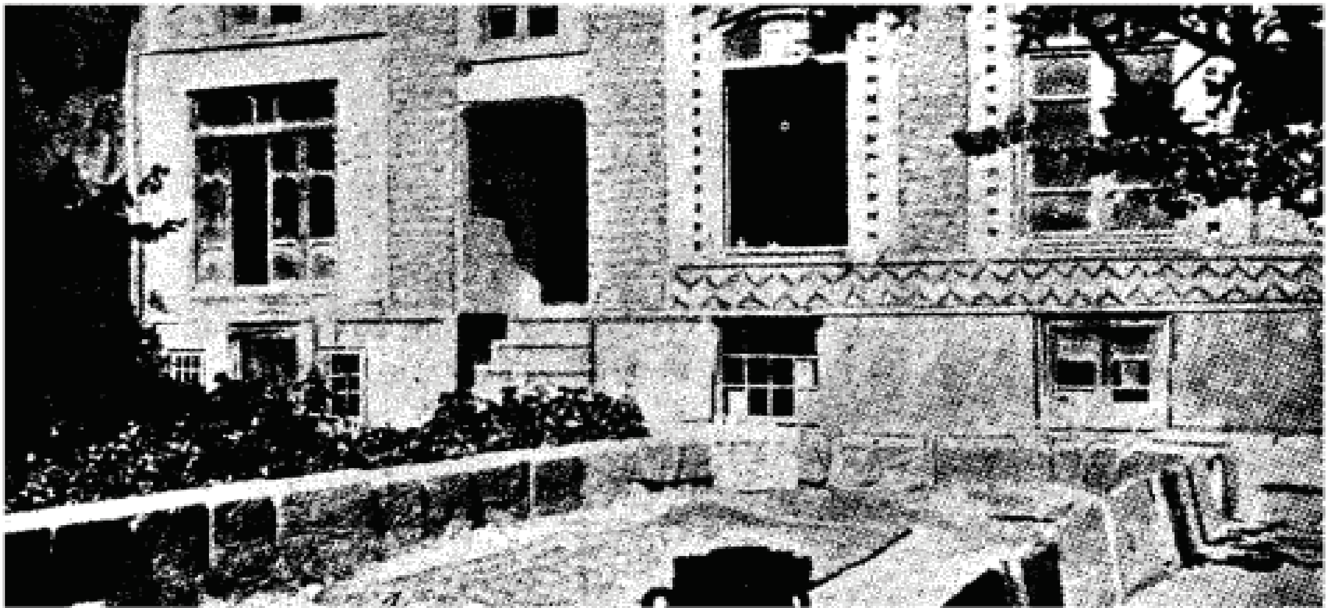
ليحكم عليه بالعقاب الذي يستحقه وينفذ الحـكم بمعرفة حراس الحاكم . ولـكن الحراس أبـوا أن يطيعوا هذا الأمر مفضلين عدم التداخل فى مثل هذا الموضوع الذى هو خاص بعلماء المدينة وحدهم . فعزم اذ ذاك شيخ الاسلام أن يوقع العقاب بنفسه وطلب الباب فى منزله وبيده ضربة بالعصى على قدميه احدى عشرة مرة (١)

(١) وهذه رواية الدكتور كورمك عن نظريته فى مرزا على محمد الباب مستخرجة من خطابات كتبت إلى القس بنيامين لاباري وكان الدكتور كورميك طبيبا انجليزيا أقام فى تبريز مــدة طويلة كان فيها موضع الاحترام . وعرضت هذه الـكتابات على البروفسور إدوارد براون من كامبردج بواسطة المستر و.ا. شيد الذى حرر خطابا خاصا بها مؤرخا أول مارس سنة ١٩١١ قال فيه : —
عزيزى الأستاذ براون — أثناء البحث فى أوراق والدى (القس ج . هـ . شيد) من الارسالية الامريكية فى أورومية وهى التى كان ملحقا فيها الدكتور بنيامين لاباري وجدت بعض أشياء ربما كان لها قيمتها من الوجهة التاريخية وليس عندى هنا كتب ولا يمكن الحصول على أى منها حتى يمكن معرفة إن كانت هذه الشهادة قد حصل الانتفاع منها من عدمه وربما ظننت العكس وانى متأكد ان أحسن

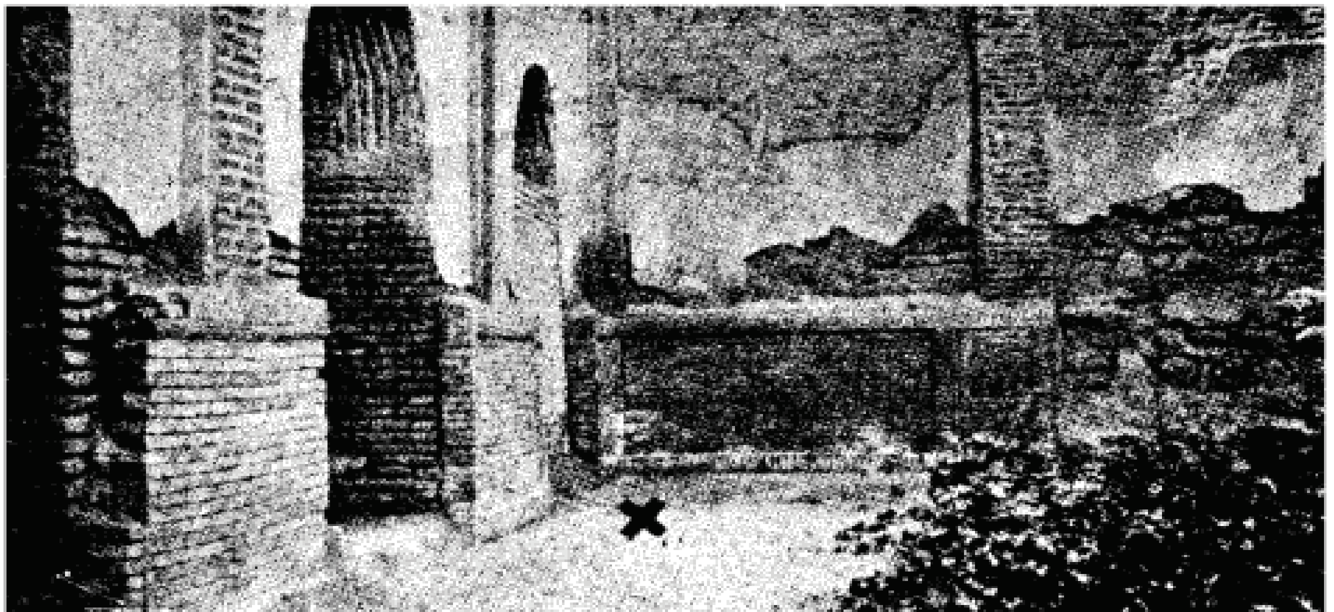
وفى نفس السنة أصيب ذلك الطاغية بالشلل وبعد أن قاسى آلاما مبرحه مات أشنع ميتة . وكان مشهوراً عند جميع أهالى تبريز بصفات الطمع والخيـانة والجشع . ولشهرته بالقسوة والخسة كان مخوفا ومحتقراً فى الوقت نفســه من الأهالى الذين كانوا يئنون من

شىء أعمله هو أن أرسلها اليك بأمل الانتفاع بها كما تشاء . أما عن صحة المعلومات التى حوتها الاوراق فليس هناك أى شك فيها انتهى وهذا نص الخطاب كما يأتى :—

وانك تسألنى عن تفاصيل مقابلتى لمؤسس هذه الفرقة المعروفة بالبابية فأقول إنه لم يحصل فى هذه المقابلة أمر مهم لأن الباب كان يعلم أنى أرسلت مع اثنين من أطباء الفرس لفحص قواه العقلية حتى يمكن الفصل



نمازخانة شيخ الاسلام فى تبريز



الركن المعلم (×) هو المكان الذى جلد فيه الباب

ظلمه ويدعون الله للخلاص منه وكانت حادثة وفاته المزرية قد فكرت الناس من الحبيب والعدو بالعقاب الذى لابد وأن يصيب الذين لايردعهم خوف الله ولا صوت الضمير من معاملة مواطنيهم بالقسوة والغدر . وبعد وفاته الغيت وظيفة شيخ الاسلام فى تبريز

واشتد الخزى الذى لحق به لدرجة أنه الصق العار بالوظيفة حتى مجتها الناس فتقرر الغاؤها . فكان مسلكه الشائن الدنى مثالا لمعاملة علماء الدين للباب فما أبعدهم وأضلهم عن طريق الحق والعدل والأنصاف فكم ازدروا بنصائح رسول الله ومواعظ أئمة الدين الذين ورد عنهم أنه إذا ظهر شاب من بنى هاشم (١) ودعا الناس إلى كتاب جديد وشرع جديد فعلى الكل أن يسرعوا اليه ويعتنقوا أمره . ومع أن هؤلاء الأئمة

فى امكان إعدامه من عدمه ولذلك كان يكره الاجابة على أسئلتنا له. وردا على كل استعلام منه كان ينظر الينا نظرة هادئة كريمة وهو يتلو مناجاة بصوت منخفض موسيقى . وكان يوجد معه اثنان من الاشراف من أعز مخلصيه وقد أعدما أيضا فيما بعد وكذلك كان يوجد عنده الكثيرون من موظفى الحكومة ولم يجبنى سوى مرة واحدة عند ما قلت له انني لست مسلما وأريد أن أعلم شيئا عن ديانته لأنى ربما اعتنقتها . فدقق النظر فى إذ ذاك وأجاب انه لا شك عنده أن جميع الأوروبيين سوف يؤمنون به . فقدمنا تقريرنا إلى الشاه وقتئذ قائلين إن طبيعته تقتضي عدم اعدامه ولكنه أعدم بأمر الأمير نظام مرزا تقى خان بعد وقت قصير . وأما بعد تقديم تقريرنا أوقعوا عليه عقوبة الجلد وفى أثناء الجلد وقعت العصى على وجهه سواء قصدا أو بدون قصد فأحدثت كدما كبيرا ولما سئل هل يرغب فى حضور طبيب فارسى فأورى أنه يرغب حضورى أنا لمعالجته . فعالجته بضعة أيام ولكنه فى هذه المقابلات لم يمكن التكلم معه سرا لأن بعض موظفى الحكومة كانوا دائما حاضرين للمراقبة بما أنه كان مسجونا وكان شاكرا جدا لعنايتى به و كان وسيم الطلعة محبوبا ذا جسم نحيف ولا يعتقد من يراه انه إيرانى لأنه ألطف وجها منه وله صوت ناعم موسيقى أثر فى كثيرا . ولما كان سيدا كان يرتدى ملابس الاشراف كعادة هذه الفئة وعلى وجه العموم كانت هيئته تجذب الانسان نحوه ولم أسمع منه شيئا خاصا بديانته ولو أنه كان معروفا أن فى دينه شبها كبيرا بالمسيحية وقد رآه كثير من النجارين الارمن الذين أرسلوا لأجل عمل بعض الاصلاحات فى السجن وهو يقرأ فى التوراة ولم يجتهد فى إخفائها بل بالعكس كان يتكلم معهم بخصوصها .

وبكل تأكيد لا يوجد فى دينه ذلك التعصب الاسلامى بالنسبة للديانة المسيحية ولا فيه ذلك الحبس النسائى انتهى و كتب المستر براون بخصوص هذا الخطاب : — ان أول هذين الخطابين مهم جداً إذ فيه وصف للباب وقت حبسه وآلامه وتأثيره على عقل أوروبى مهذب محايد . وقليل جدا من الاوروبيين تمكن من مقابلة الباب أو أتيحت له فرصة التحدث معهم ولا أعلم أحدا خلافه كتب شيئا عن ملحوظاته بالنسبة اليه (دروس فى الديانة البابية للمستر ا . ج. براون صحيفة ٢٦٠ — ٢٦٢ — ٢٦٤)

(١) هاشم هو جد النبي محمد

قد بينوا أن أكبر أعدائه العلماء فأن هؤلاء الهمج الرعاع يتبعونهم ويطيعون أوامرهم ويوافقونهم على باطلهم بل يطبعونه بطابع الحق والعدل ويسيرون على منوالهم ويظنون أنهم هم وحدهم الفرقة الناجية وأنهم المختارون الذين اختارهم إلله وأنهم هم الأمناء على الحق .

هذا وقد أعادوا الباب من تبريز إلى جهريق ووكلوا لحراسته يحيى خان وظن أعداؤه أنه سوف يترك ادعاءه من جراء تهديده فى مجلسهم إلا أن ذلك الاجتماع الذي أعدوه له وأحضروه فيه كان قد مكنه من أن يبين حقيقة مدعاه علنا وبكل جسارة أمام أكبر هيئة دينية فى عاصمة آذربايجان وأن يتغلب بكلام مختصر مفيد على كل حجج معترضيه . وكان اعلان الدعوة الخطيرة قد انتشر فى طول البلاد وعرضها وحرك مرة أخرى إحساسات المؤمنين وأهاج فيهم حماسا شديداً وقوى مركزهم وكان مقدمة للحوادث العظيمة التى سوف تجتاح البلاد .

وما كاد الباب يعود الى جهريق حتى كتب رداً على مسلك الحاجى ميرزا آقاسى وفى الفصول الافتتاحية لهذا اللوح الذى سماه بالخطبة القهرية يخاطب رئيس وزراء محمد شاه بقوله (يا من كفر بالله وأعرض بوجهه عن آياته) وهذا اللوح المطول تسلم للحجة وكان فى ذلك الوقت فى طهران وقد أمر أن يسلمه بنفسه الى حاجى ميرزا آقاسى .

وقد سمعت من فم بهاء الله بينما كان فى سجن عكا أنه قال (أن ملاّ محمد على الزنجانى بعد أن أعطي اللوح الى حاجى ميرزا آقاسى حضر وزارنى وكان بصحبتى ميرزا مسيح نورى وعدد من المؤمنين عند حضوره وحكى كيفية تسليم اللوح وكيف أنه قرأه أمامنا بأكمله وكان نحو ثلاث صحائف وقد حفظه عن ظهر قلبه) . وكانت إشارات بهاء الله الى الحجة تنبىء عن عظيم امتنانه من طهارة ونبل حياته وكم كان يعجب بشهامته وجرأته وإرادته التى لاتقهر وزهده فى الدنيا واستقامته التى لاتتزعزع

الفصل التاسع عشر

فى ملحمة مازندران

وفى شهر شعبان الذى وقعت فيه الاهانة على الباب فى تبريز وهو نفس الشهر الذى وقعت فيه المصائب على بهاء الله وأصحابه فى نيالا رجع الملاّ حسين من معسكر البرنس حمزة ميرزا إلى مشهد ومنها عزم على السفر الى كربلاء مصحوبا بمن أراد. وقد عرض عليه البرنس مبلغا من المال ليستعين به على مصاريف السفر ولكنه رفض قبوله واعاد اليه النقود طالبا منه أن يصرفها على الفقراء والمحتاجين كذلك تبرع عبد العلى خان بكافة الاحتياجات اللازمة لسفر الملاّ حسين وأظهر رغبته فى دفع مصاريف الذين يختارهم لصحبته . فلم يقبل من جميع ذلك سوى سيف وجواد أعدهما للدفاع بشجاعة ومهارة تامة ضد عدو مهاجم غادر .

وإن قلمى ليعجز عن أن يصف الاخلاص والأيمان الذى أوقده الملاّ حسين فى قلوب أهل مشهد ولا مقدار مدى تأثيره عليهم فقد كان منزله فى تلك الاوقات دائما حافلا بجموع محتشدة بقصد مصاحبته فى السفر . وكان النساء يحضرن أبناءهن والأخوات اخواتهن ويتضرعن اليه بدموع منهمرة أن يقبلهم فداء على محراب التضحية

وبينما كان الملاّ حسين فى مشهد إذ وصله رسول يحمل عمامة الباب مع لقب جديد وهو السيد علىّ وقال للرسول (قل له زين رأسك بعمامتى الخضراء علامة نسبي وانشر الراية السوداء أمامك واسرع إلى الجزيرة الخضراء وساعد حبيبي القدوس)

وبمجرد وصول هذه الرسالة قام الملاّ حسين على تنفيذ ارادة مولاه وترك مشهد لمحل يبعدعنها فرسخاً واحداً ورفع فيه الراية السوداء ووضع عمامة الباب على رأسه وجمع أصحابه وركب جواده وأمر الجميع أن يسافروا إلى الجزيرة الخضراء وتبعه أصحابه جميعاً بحماس وكانت عدتهم مايتين واثنين وكان ذلك اليوم التاريخى هو فى ١٩ شعبان سنة ١٢٦٤ هجرية. وعند نزولهم فى كل قرية وعزبة يمرون عليها ينادى الملاّ حسين وأصحابه بدون

خوف ولا وجل بظهور اليوم الجديد ويدعون الناس لاعتناق أمر الحق وينضم للسفر معهم نفر قليل من المؤمنين الذين ينتخبونهم من بين الجموع المحتشدة حولهم .

وفى مدينة نيشابور درج اسم الحاجى عبد المجيد والد بديع (١) الذى كان تاجراً مشهوراً ضمن أصحاب الملاّ حسين . ومع أن والده كان له احترام لايدانى لانه كان صاحب منجم الفيروز المشهور فى نيشابور فانه ترك هذا الجاه وهذه المنافع المادية التى درّتها عليه بلدته وقدم نفسه للملاّ حسين بخضوع تام . وفى قرية ميامای اعتنق الامرمن بين الاهالى ثلاثون نفر وانضموا الى جماعته وجميعهم استشهدوا فى قلعةالشيخ طبرسي ماعدا الملاّ عيسى (٢)

ولما وصلوا إلى جشمة على وهى محلة فى بلدة دامغان وعلى الطريق الموصل إلى مازندران عزم الملاّ حسين أن يقطع سفره وينتظر هناك بضعة أيام ونصب خيامه تحت ظل شجرة كبيرة بالقرب من نهر جارى وقال لأصحابه (نحن الآن على ملتقى

(١) بديع هو حامل لوح بهاء الله الى ناصر الدين شاه

(٢) وقد وصل الملا حسين الى ميامای وهناك اجتمع مع ثلاثين بابى وكان رئيسهم ميرزا زين العابدين تلميذ المرحوم الشيخ احمد الاحسائى . وكان شيخا وقوراً صالحا . وكان حماسه قويا لدرجة أنه كان يستصحب معه نسيبه وهو شاب عمره ١٨ عاما ولم يكن قد تزوج بابنته الا منذ بضعة أيام فقط . فقال له (إحضر معي لنقضى سويا آخر الأسفار . ولأ كون لك أبا حقيقيا وتشترك معنا فى أفراح السلام) تخرجا مشياً على الاقدام بخطوات قادته الى الشهادة (من كتاب السيد على محمد الباب صحيفة ٢٩٠ لنقولاس)



قرية نيشابور

الطرق وسننتظر الأمر بالرحيل الى الجهة التى سنتوجه اليها .) وفى آخر شوال (١) قامت عاصفة شديدة وقطعت فرعا من تلك الشجرة فلاحظ الملاّ حسين قائلا (أن شجرة سلطنة محمد شاه قد اقتلعت ووقعت على الأرض بارادة الله) وفى اليوم الثالث من تنبؤه وصل رسول من طهران الى مشهد معلنا وفاة المليك (٢) وفى اليوم التالى عزم الجماعة على الرحيل إلى مازندران ولما استعد قايدهم لذلك أشار إلى جهة مازندران قائلا (هذا هو الطريق الذى يؤدى الى كربلائنا فكل من لم يأنس فى نفسه الاستعداد للامتحانات العظيمة المتوقع حصولها لنا فليعد إلى منزله ولا يسافر معنا) وكرر هذا الانذار جملة مرات ولما اقترب من سواد كوه صرح لهم قائلا (انى عزمت مع اثنين وسبعين من أصحابى على أن أضحى حياتى لأجل محبوبى فالذى لاقدرة له على رفض الدنيا فليتركنا فى هذه اللحظة لأنه فى المستقبل لا يقدر على الفرار.) فاختار عشرون من الاتباع العودة لانهم كانوا غير قادرين على تحمل الامتحانات التى كان رئيسهم دائما يشير اليها

وازعجت أخبار اقترابهم لبلدة بارفروش سعيد العلماء وكان قيام الملاّ حسين لرحلته من مشهد ومحبته من جميع الطبقات التى زاد تجمعها حوله والعلم الاسود الذى رفعه أمامه فضلا عن كثرة عدد المؤمنين الذين معه ونظامهم وحماسهم قد اشمل كل ذلك حقد المجتهد المتكبر الظالم وأثار غيظه الذى لايشفى فأمر المنادى أن ينادى الناس ليجتمعوا فى المسجد وأعلن لهم انه سيلقى فى الجامع خطبة خطيرة وانه لا يسع أى مسلم حقيقى فى تلك الانحاء أن يتجاهلها . فماج الجامع بالجموع المحتشدة من الرجال والنساء وصعد المنبر وطرح عمامته على الأرض ومزق صدر ردائه وندب الحظ الذى وقع فيه الدين وارغد وابرق من المنبر وقال (تيقظوا لأن أعداءنا متربصون ومترصدون لالغاء ونقض كل مانعتبره مقدسا وطاهرا فى الاسلام . وإذا لم نقدر على مقاومتهم فلا يذرون أحداً يفلت من بطشهم

(١) ٣١ اغسطس — ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٤٨

(٢) وتوفى محمد شاه فى السادس من شوال ٤ سبتمبر سنة ١٨٤٨ ميلادية وكانت هناك فترة حكومية لمدة شهرين وتكونت حكومة موقته مكونة من أربع مديرين تحت رياسة أرملة الشاه المتوفى وأخيراً وبعد اضطرابات عديدة ارتقى الوارث الشرعى البرنس الصغير حاكم أذربايجان ناصر الدين ميرزا الى العرش (المجلة الأسيوية سنة ١٨٦٦ الجزء السابع صحيفة ٣٦٧)



منظر قرية ميامي



خارج المسجد



داخل المسجد الذي صلى فيه ملا حسين وأصحابه

أو قبضة يدهم وقد جاء رئيسهم إلى مجلس درسى ذات يوم فتجاهلنى واحتقرنى فى محضر تلاميذى المجتمعين . فلما لم أعطه الاحترام الذى كان يتوقعه قام غاضبا . وعزم على منازعتى فهذا الرجل لم يخش أن يهجم علىّ هجوما عنيفا فى الوقت الذى كان فيه محمد شاه متبوأ سرير السلطنة وفى أوج قوته . فما الذى ياترى يفعله الآن هـذا الثائر الذى يتقدم ومعه طائفة من المتوحشين اذ رأى أن يد محمد شاه التى كانت تحمينا قد اختفت فجأة . فيجب على سكان بارفروش رجالا ونساء وشبانا وشيوخا أن يتسلحوا ضد هؤلاء المخربين للاسلام المحتقرين وأن يقاوموا حملتهم بكل ما أوتوا من قوة وعليكم باكرا فى الصباح أن تخرجوا جميعا لاستئصال شأفتهم ومحوهم)

فلبت الجموع المحتشدة نداءه وأثرت على سكان المدينة بلاغتـه المهيجة وسلطته التى لاينازعه فيها أحد والخوف من ضيـاع الأموال والانفس واستعدوا لعمل كل ما يمكنهم لمقابلة المعركة الآتيـة فتسلحوا بكل آلة وجدوها وخرجوا فى الصباح المبكر من مدينة بارفروش عازمين على ذبح أعداء الدين ونهب ممتلـكاتهم (١)

وماكاد الملاّ حسين يعزم على السير فى الطريق المؤدى إلى مازندران حتى أمر أصحابه بعد صلاة الصبح أن يتركوا كل ماعندهم وقال لهم (اتركوا ممتلـكاتكم واكتفوا كل واحد بجواده وسـلاحه واتركوا ماعداها حتى يعلم الـكل بان هؤلاء الجماعة من

(١) وكان الوزير ميرزا تقى خان قد أرسل من تلقاء نفسه تعليمات لتعزير وتعذيب البابيين وانتهز الموظفون والحـكام الفرصة لجمع الاموال وجاب المنافع ولم يستأذن الوزير أحداً فيما أصدره من الاوامر بل بمحض استبداد رأيه وكان مشاهير العلماء يحرضون الناس من المنابر على الهجوم على البابيين هجوما عاما فاجتمعت السلطات المدنية والدينية على اهلاك واستئصال البابيين قلبا وقالبا والى ذلك الحين لم تكن هـذه الطائفة قد أطلعت على أساس وأسرار تعاليم الباب اطلاعا كافيا ولم يعلموا أحكامه فـكانت تصوراتهم وأفـكارهم موافقة للمسلك القـديم وكان سلوكهم ومشربهم مطابقا للمنهج السابق وانسد طريق الوصول الي الباب واشتعلت ثائرة الفتنة فى كل الجهـات وبمقتضى فتوى أشهر العلماء شرعت الحـكومة فضلا عن عامة الناس فى نهب وسلب هذه الطائفة ومعاقبتهم بل وتعذيبهم بالشـكنجة بنهاية القسوة وشنوا عليهم الغارة وأخذوا فى قتلهم لعل يطفئوا هذه النار ويخمدوا هؤلاء النفوس المشتعلة . ففى المدن التى كان عدد البابيين فيها محدوداً أخذوا جميعا مغلولى الايدي طعمـة للسيف بينما فى المدن التى كان عددهم فيها كبيراً قاموا للدفاع عن أنفسهم تبعا لعقائدهم السابقة حيث أنه لم يتيسر لهم السؤال عن أحكام تـكاليفهم الجديدة لان أبواب الوصول اليها كانت مسدودة (مقالة سائح صحيفة ٣٤ ـ ٣٥)

أحباء الله لايرغبون فى حفظ ممتلكاتهم فكيف بالرغبة فى أخذ ممتلكات غيرهم) فاطاعوا جميعاً الأمر وامتطوا ظهور جيادهم وتبعوه بفرح عظيم وكان والد بديع أول من طرح خرجه وكان محتويا على مقدار عظيم من الفيروز الذى أخذه معه من المنجم ملك والده . وكانت كلمة واحدة من الملاّ حسين كافية لأن يطرح أعز ممتلكاته وكنوز أمواله على جانب الطريق مفضلا عليها ارادة رئيسه .

وتقابل ملاّ حسين مع أعدائه على مسافة فرسخ من بارفروش واعترض جمهور من الناس مسلحين ومعهم الذخيرة والعدة وسدوا عليه الطريق وكانت تظهر على وجوههم غبرة الافتراس والتوحش وكذلك كانت تصدر من فمهم عظائم الشتائم وعزم الاحباء على سل سيوفهم إذ رأوا هـذا الهجوم الوحشى فامرهم رئيسهم قائلا (لم يحن الوقت لذلك فانتظروا حتى تلجئنا القوات المعادية أن نداقع عن أنفسنا فنستل إذ ذاك سيوفنا من غمدها) وما كاد ينطق بذلك حتى صوبت نيران العدو عليهم . فسقط ستة من الاحباء شهداء وصاح أحدهم قائلا (أيها الرئيس المحبوب نحن قمنا معك وتبعناك بلا قصد سوي تضحية نفوسنا فى سبيل الامر الذى اعتنقناه فاسمح لنا من فضلك ان ندافع عن أنفسنا ولا تدعنا نقع بهذه الحالة فريسة مهانة بنيران الاعداء) فاجاب الملاّ حسين (لم يحن الوقت بعد لان العدد لم يكمل) وبعد ذلك جاء مقذوف واخترق صدر أحد الاحباء وهو سيد من يزد (١) جاء ماشيا على قدمه طول الطريق من مشهد إلى ذلك المكان وكان من أقوى المساعدين للاحباء . ولما رأى الملا حسين صديقه الحميم وقع تحت أقدامه رفع عينيه إلى السماء وناجى ربه قائلا (آلهى آلهى ترى نصيب أحبائك المخلصين وتشهد ماقابل به هؤلاء القوم أحبائك وأنك تعلم أنا ما قصدنا شيئاً سوى هدايتهم إلى طريق الحق واعلامهم بظهور أمرك . وأنك أمرتنا أن ندافع عن أنفسنا ضد الهاجمين من أعدائنا . واتباعا لامرك أقوم الان مع أصحابى لصد اعتدائهم الذى واجهونا به .) (٢)

(١) وقعت القذيفة فى بطنه وخر السيد رضا صريعا . وكان وديع الاخلاق صادق الاعتقاد متحمسا واحتراماً لسيده كان دائما يمشى بجانب جواده مستعداً لخدمته عند أى إشارة (من كتاب السيد على محمد الباب تأليف نقولاس صحيفة ٢٩٤)

(٢) لاتقتل النفس من أجل الاعتقاد . لان قتل النفس محرم في دين الله . ومن يأمر بقتل النفس فا كان ولن يكون من أهل البيان فليس ذنب اكبر منه (من كتاب البيان أنظر مجلة الجمعية الاسيوية الملوكية اكتوبر سنة ١٨٨٩ بند ١٢ صحيفة ٩٢٧ـ٩٢٨)

واستل سيفه وهمز جواده فى وسط الأعداء واقتفى أثر قاتل صاحبه باقدام مدهش فخاف ذلك العدو أن يواجهه واحتمى فى شجرة ورفع بندقيته للدفاع عن نفسه فعرفه الملاّ حسين وهجم عليه وبضربة واحدة قطع كلا من جذع الشجرة وماسورة البندقية وقطعه معها إلى شطرين (١) وكانت قوة هذه الضربة المدهشة قد أربكت العدو وشلت حركته، وهرب الجميع مذعورين أمام هذه المهارة والقوة والفتوة . وكانت هذه الحادثة الاولى من نوعها وتشهد بشهامة وبطولة الملاّ حسين واكتسبت مدح الباب وكذلك أثنى القدوس على الثبات والشجاعة التى أظهرها فيها وإذسمع بها تلا الآية القرآنية الآتية (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين بلاء حسنا إن الله سميع عليم ذلكم ان الله موهن كيد الكافرين)

وكنت بنفسى فى طهران سنة ١٢٦٥ (٢) وسمعت من ميرزا أحمد بعد مرور شهر من ملحمة الشيخ طبرسى وكان يقص هذه الحادثة على مجمع من الأحباء ومن بينهم ميرزا محمد حسن حكيم كرمانى وحاجى ملاّ اسماعيل فراهانى وميرزا حبيب الله اصفهانى وسيد محمد اصفهانى ولما زرت اصفهان فيما بعد وكنت فى منزل الملاّ صادق الخراسانى فى مشهد حيث دعيت لتبليغ الأمر سألت الملاّ محمد الفروغي فى حضور عدد من الأحباء الذين كان النبيل الاكبر والدبديع من بينهم أن يصدقنى الخبر عن كيفية حصول هذه الحادثة . فأكد لى ميرزا محمد قائلا (لولا انى شاهدت الواقعة بعينى ما كنت أصدقها أبداً). وبهذه المناسبة حكى الميرزا محمد الرواية الآتية : (بعد حصول حادثة فسكس التى هزم فيهـا البرنس مهدى قلى وهرب

(١) وكان الحزن والغضب قد ضاعف قوة الملا حسين حتى ضرب عدوه ضربة واحدة فقطعه هو والشجرة والبندقية شطرين وزاد الميرزا جانى أن الضربة كانت باليد الشمال ولم ينقض هذه الرواية مؤرخوا الاسلام (من كتاب على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٩٥ حاشيه ٢١٥) .

وفى كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٤٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ان جناب باب الباب قال (الآن هم الذين ألجأونا أن ندافع عن أنفسنا فاستل سيفه وأخذ يدافع عن نفسه معترفا بما أمر به الله . ورغما عن نحافته وضعف جسمه ويده المرتعشة فقد كانت قوته وبسالته فى ذلك بدرجة أن كل منصف يرى ويعلم أن هذه الشجاعة لم تكن إلا من الله لأنها فاقت الحدود البشرية .. وقد رأيت الملا حسين يستل سيفه ويرفع وجهه نحو السماء ويصيح .. يا إلهي قد أتممت الحجة على هؤلاء القوم ولكنها لم تنفعهم . وابتدأ يهجم من اليمين والشمال وأنى أقسم بالله أنه فى ذلك اليوم شهر سيفه بطريقة تفوق القوة البشرية ولم يبق فى الميدان أمامه سوى خيالة مازندران الذين أبو أن يهربوا ولما حمى وطيس القتال لحق عسكريا التجأ إلي شجرة واحتمى ببندقيته فضربه الملا حسين قطعه هو والشجرة والبندقية إلى ست قطع .

(٢) سنة ١٨٤٨ — ١٨٤٩ ميلاديه .

حاق الاقدام من وجه أصحاب الباب وبخه الأمير نظام (١) بشدة قائلا (إنى عهدت اليك أن تخضع نفراً من التلاميذ المحتقرين ودفعت ليدك جيش الشاه ومع ذلك سمحت بمثل هذه الهزيمة المخجلة فماذا يا ترى تكون النتيجة لو كنت عهدت اليك أن تحارب حكومات الروس والترك) فاستحسن البرنس أن يرسل له مع رسول أجزاء البندقية التى قطعت نصفين بسيف الملاّ حسين وأمره أن يقدمها أمام الأمير نظام ويقول له (انظر هذه الشجاعة التى تحتقرها وهذا ما حصل من مبارز بابي فبضربة واحدة من سيفه شطر الشجرة والبندقية وحاملها إلى ستة قطع) . ولقد كانت شهادة العدو صريحة عن حصول هذه الحادثة على هذه الكيفية وأصبح الموضوع جديراً باهتمام الأمير نظام الذى عرف انه لا يمكن لرجل فى مثل وظيفته أو قوته أن يتجاهل الحادثة أو ينقص من قدرها إلا أنه عزم على أن يخضع هذه القوة التى قاومت جيشه فعمد الى الحيلة الدنيئة والغدر لأنه كان غير قادر على اخضاع الملاّ حسين وصحبه رغم وجود العدد الغفير الذى معه فأمر البرنس أن يضع ختمه على القرآن وأن يحلف بشرف عسكره انه سيمتنع عن أى عمل عدائى لسكان القلعة وبهذه الطريقة تمكن من اقناعهم بترك أسلحتهم وإذ ذاك أنزل هزيمة ساحقة غير مشرفة بهم وهم عزل من السلاح .

وكان الكثيرون ممن لم تتدنس أفكارهم بالتعصب والشرور دائما متذكرين باعجاب تلك الحادثة فلم تغب عن أذهانهم تلك المهارة والقوة التى ظهرت من هذا الشجاع والتى اثارت حماس الشعراء فى مختلف الجهات فى ايران فنظموا القصائد لاشهار مآثر صاحب هذا العمل الجرىء المجيد وساعدت أشعارهم فى نشر أخباره واخلاد ذكره . وكان من

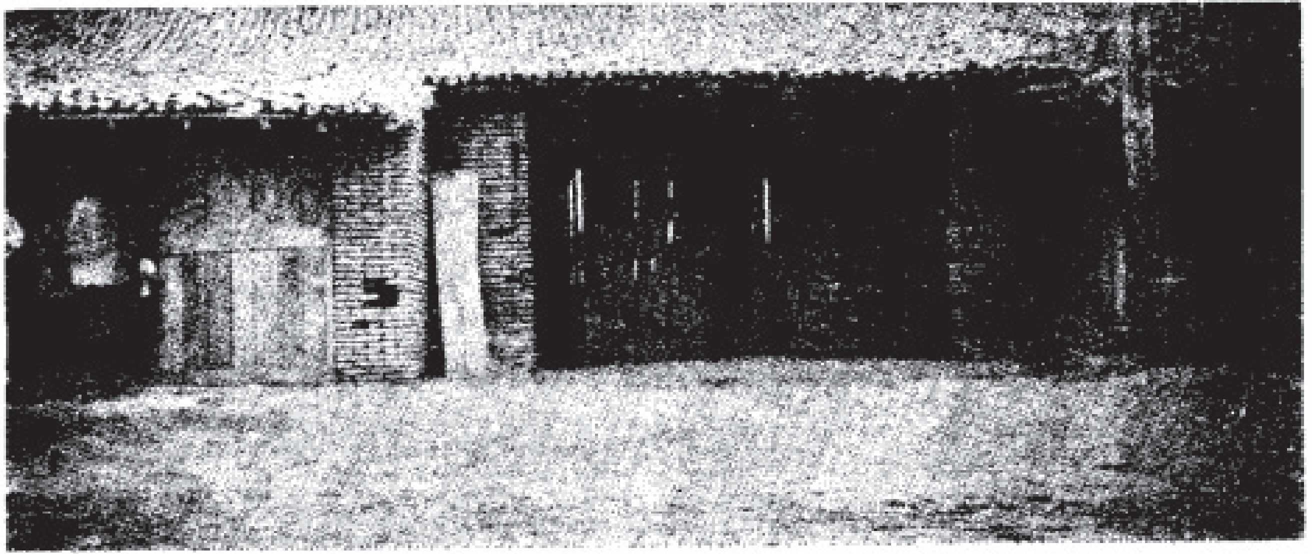
(١) كان مرزا تقى خان اعتماد الدولة رئيس الوزارة خلفا للحاجى ميرزا أقاسى واليه الاشارة فى مقالة سائح صحيفة ٣٢ — ٣٣ ما يأتى أخذ الميرزا تقى خان أمير النظام الوزير الأعظم والاتابك المعظم زمام أمور الجمهور فى قبضة يده واقتداره واستقل بها وأطلق العنان لجواد همته فى ميدان استبداده وكان هذا الوزير فاقد التجربة غير بصير فى عواقب الأمور وسفا كا مشهورا فى سفك الدماء وظن أن الحكمة فى الحكومة هي استعمال الشدة فى السياسة وان مدار ترقى السلطنة يدور على تهديد وتخويف الجمهور والتشديد والتضييق عليه . ولما كان جلالة الملك فى عنفوان الشباب لذلك خاض الوزير غمار الاوهام الغريبة وقرع طبول استبداده وأمر من تلقاء نفسه بدون استئذان الحضور الهمايونى وبدون استشارة الوزراء ذوى الآراء الثاقبة بالتعرض للبابيين وكذلك ظن انه باستعمال القوة الغشومة يقدر على استئصالهم وقمعهم وان الشدة تثمر بهذه الأثمار مع أن التعرض للامور الوجدانية هو عين تأييدها وترويجها وكلما اجتهدوا فى اطفائها تزداد اشتعالا خصوصا فى أمور الدين فيظهر سريانه وتجليه فى قلوب الناس وقوته بمجرد سفك الدماء بسببه فيؤثر ذلك فى القلوب تاثيراً شديداً .

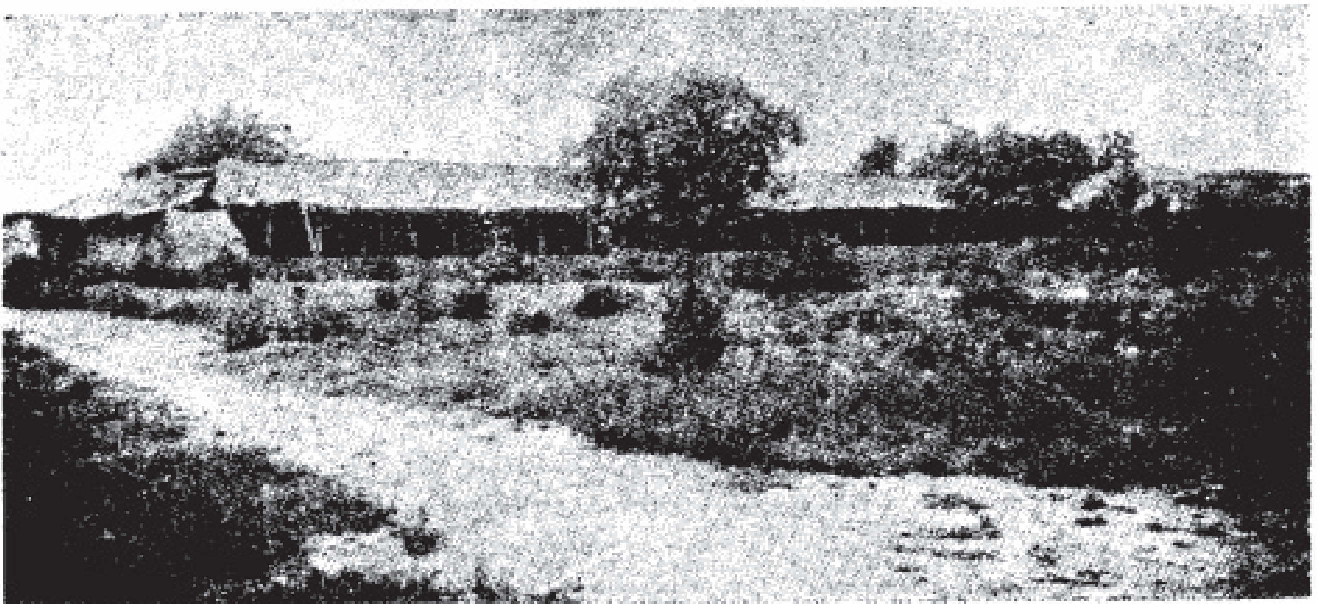

منزل سعيد العلماء فى بارفروش مازندران

يدعى رضا قلى خان لالى باشى مؤلف كتاب تاريخ الناصرى ممن امتدح شهامة الملاّ حسين وأطرى شجاعته المدهشة ومهارته الفائقة التى بها نفذ ضربته هذه

وتجاسرت أن أسأل الميرزا محمد فروغى عن رأيه فيما ذكره صاحب ناسخ التواريخ من أن الملا محمد حسين تعلم فى صغره الفروسية وأنه تدرب فى هذه الصناعة مدة مديدة فاجاب الملاّ محمد قائلا (ان ذلك محض اختلاق لانى عرفته منذ صباه وكنت اصاحبه كصديق وزميل مدة طويلة ، ولم أعلم مطلقا أنه كانت عنده أى قوة . بل كنت أظن نفسى أقوى منه جسما وكانت يده ترتعش وهو يكتب وكثيراً ما كان يظهر منه عدم القدرة على الكتابة بالسرعة والكمال الذى يرغبه وكانت تعوزه القدرة فى ذلك ويتألم من تأثير ذلك فيه إلى أن سافر إلى مازندران وفى اللحظة التى استل فيها سيفه للانتقام من تلك الضربة الوحشية حضرته قوة غيبية وغيرته فجأة وكذلك فى جميع المعارك التالية كان أول من يحرك ركابه ويهجم بجواده وسط الاعداء وبدون أى معين يحارب القوات المجتمعة من اعدائه ويحمل عليهم بنفسه وينتصر عليهم. وكنا نحن نتبعه فى المؤخرة ونكتفى أن نضرب الذين عجزوا وضعفوا من اثر ضرباته عليهم فكان اسمه وحده كافيا لان يلقى الرعب فى قلوب أعدائه . فيهربون عند ذكره ويرتعدون عند لقائه . حتى الذين كانوا من اخصائه التزموا السكوت أمامه لفرط تعجبهم . وكنا مندهشين من ظهور عجائب قوته وإرادته التى لا تقهر وبطشه وبسالته واقتنعنا جميعا انه لم يكن الملاّ حسين الذى نعرفه بل أنه سادت على قلبه روح لايقدر أحد أن يهبها له إلا الله

وحكى لى الميرزا محمد فروغى قال (ما كاد الملاّ حسين يضرب خصمه الضربة القاضية







مناظر خان سبز ميدان فى مازندران

حتى اختفى من أمامنا ولم نعلم أين ذهب ولم يتعقبه أحد سوى حارسه قنبر عليّ وأخبرنا أن سيده هجم على أعدائه وبضربة واحدة رمى كل من حاول أن يعتدي عليه . فشق طريقه وسط صفوف أعدائه وهو غير شاعر بما يطلق عليه من المقذوفات وذهب توا إلى بارفروش وتوجه إلى منزل سعيد العلماء ودار حول منزله ثلاثا وصاح قائلا فلينزل هذا الجبان الحقير الذى حرض أهالى هذه المدينة لاشهار حرب دينية علينا وخبأ نفسه بكل جبن ونذالة بين حوائط منزله فليخرج من مخبئه وليتقدم حتى يكون مثالا لغيره إذا كانت دعوته صادقة محقة . فهل نسي أن الذي يشهر حربا دينية يجب عليه أن يكون على رأس اتباعه وبأعماله يثير حماسهم واخلاصهم . وكان صوت الملاّ حسين قد أسكت أصوات الجماهير. وأخضع أهالى بارفروش فرفعوا أصواتهم منادين (الامان الامان) وما كادت أصوات الخضوع والتسليم ترتفع حتى ظهر من كل الجهات صياح اتباع الملاّ حسين الذين هرعوا نحو بارفروش . وكانت صيحة (ياصاحب الزمان) التى صدرت منهم باعلا صوت قد أحدثت ارتباكا فى قلوب الذين سمعوها . وكان اتباع الملاّ حسين الذين يئسوا من العثور عليه حيا قد دهشوا إذ رأوه ممتطياً جواده ولم يصبه أى ضرر من حملته . واقتربوا جميعهم منه وقبلوا ركابه

وفى عصر ذلك اليوم منح الملاّ حسين أهالى بارفروش الأمان الذى طلبوه وفاه بالكلمات الآتية للجموع الملتفة حوله (يا اتباع رسول الله وشيعة أئمة الدين لماذا هجمتم علينا ونحن نعتبر سفك دمنا تضحية تستحق أن نؤجر عليها من الله ولم يصدر منا مايدل على اننا رفضنا الاعتراف بدينكم فهل هذه المعاملة هى ما أمركم به الرسول وهل هى التسامح الذى أمركم به فى معاملة المؤمنين أو الكافرين. فما الذى فعلنا حتى نستحق هذا الاضطهاد. تأملوا كيف اني بمفردى قابلت الرصاص الذى صبه علينا الاهالى ولم يكن معى سوى سيفى . وقد نجوت وسط النيران التى أحاطونى بها وتخلصت أنا وجوادى سالمين من هجومكم العنيف . ولم تقدروا على احداث أى جرح فىّ سوى خدش بسيط فى وجهى وقد حفظنى ربى وأراد أن يثبت أمام عيونكم علو أمره .)

وذهب الملا حسين توا إلى خان سبز ميدان وترجل واقفا على باب الوكالة وانتظر

حتى وصل الاتباع وأضافهم هناك وأرسل ليحضر لهم خبزا وماء ولكن الرسل عادوا وأخبروه بعدم امكانهم الحصول على خبز من الفران ولا ماء من الميدان وقالوا (انك وعظتنا أن نتكل على الله وأن نجعل فيه ثقتنا (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١)

وأمر الملا حسين باغلاق الخان وجمع فيه الاتباع ورجاهم أن يستمروا معه إلى ساعة الغروب . وإذ اقترب المساء سأل إذا كان أحد منهم يفدى نفسه ويطلع على سطح الخان ويؤذن (٢) .فأجاب طلبه شاب بفرح عظيم . وما كاد هذا الشاب ينطق بالأذان ويقول (الله أكبر) حتى وافاه مقذوف نارى أوقعه قتيلا. فقال الملا حسين ليقم أحدمنكم خلافه وبنفس التضحية يكمل الأذان الذى لم يقدر الشاب على اكماله فقام شاب آخر بدله وما كاد ينطق بكلمة الأذان (أشهد أن محمداً رسول الله) حتى أصابه مقذوف من عدوه وقام ثالث بناء على طلب الرئيس لاكمال الاذان ولكنه أصابه نفس ما أصاب اخوانه وما كاد يتم الأذان بقوله (لا اله الا الله) حتى وقع صريعا من مقذوف آخر .

وكان وقوع الثالث سبباً فى أن يفتح الملاّ حسين باب الخان وأن يقوم مع أصحابه لرد هذا الهجوم الغير المنتظر من العدو الخائن . واذ امتطى جواده أعطى اشارة لضرب

(١) قرآن ٩ — ٥٢

(٢) وكان باب الباب كما يقول المؤلف فى نفس الوقت الذى يؤدى فيه خدمة دينية أراد أن يعطى مثالا على ثبات الاعتقاد فى الاتباع واحتقار الحياة وأن يظهر عدم تقوى الاعداء وعدم تدين الذين يدعون انهم مسلمون لذلك أمر أجد أتباعه أن يصعد على ربوة ويؤذن الاذان (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٩٥ — ٢٩٦)

وكتبت اللادى شيل (كنا فى مارند حيث سمعت الاذان وهو مؤثر جدا وقطعة غنائية بديعة .. وتوجه المؤذن نحو مكة وكان المؤذن قد وضع يده على رأسه وصاح بصوت عال أربع مرات الله أكبر ثم أشهد أن محمدا رسول الله مرتين ثم أشهد أن عليا أمير المؤمنين حبيب الله)

ودق الجرس وقت دفن الجثة ربما يؤثر فى النفوس بعض الهيبة كما تؤثر نفخة البوق فى الجيش لانزال الجندى إلى القبر فى الجبال والاودية وهي تنذر بان عسكريا سيلحق آبائه الا أن الاذان له تأثير مختلف فهو يوجب فى العقل تأثيرات مختلفة عن المهابة والخضوع وبالنسبة اليها يكون دق الجرس أمرا حقيرا وإنه لمن المؤثرات العجيبة أن نسمع فى اثناء الليل أصوات المؤذنين بقولهم (الله اكبر وأشهد أن لا اله الا الله) فان القديس بولس والقديس بطرس لا يقدران أن يظهرا شبيها لهذا التأثير

(من كتاب لمحات عن الحياة والعوائد فى فارس صحيفة ٨٤ — ٨٥)

المهاجين الذين اجتمعوا أمام الباب وملأوا سبز ميدان ونجح فى تشتيتهم وهو شاهر سيفه بيده . والذين نجوا من سيفه هربوا من أمامه بذعر أوعادوا طالبين الأمان متضرعين للرحمة . وعند اقتراب المساء اختفى الجمع المحتشد وأصبح السبز ميدان خاليا بعد أن كان يعوج بجماهير الأعداء المتحمسة . وسكنت ضوضاؤهم وانتشرت جثث القتلى فى الميدان وما حوله وكان المنظر مهيبا محزنا يشهد بنصر الله على أعدائه.

وكان النصر شاملا لدرجة (١) أن عددا من أعيان ورؤساء المدينة تداخلوا وطلبوا الرحمة والأمان نيابة عن مواطنيهم ، وجاءوا مشياً على الاقدام وقدموا التماسهم قائلين : (يشهد الله اننا لا نكمن أى غرض سوى تأسيس الصلح والسلام بيننا . فلا تنزل من ظهر جوادك حتى نبين لك مقصودنا) فلما شاهد الملاّ حسين صدق نواياهم ترجل وعزمهم على الدخول معه فى الخان . وقال لهم (نحن نعرف كيف نضيف الغرباء بيننا ولسنا فى هذا الصدد كسكان هذه المدينة) ثم أمر لهم بتناول الشاى . فقالوا له (ان سعيد العلماء هو المسؤول الوحيد عن اشعال نيران هـذه الفتنة ولايصح ادماج أهالى بارفروش فى الجريمة التى اقترفها فلننس الآن الماضى ونقترح لمصلحة الطرفين أن تسافروا مع الاصحاب إلى بلدة آمل باكرا لأن بارفروش تتمخض الآن باوجاع عظيمة) . فوافق الملاّ حسين على اقتراحهم ولو أنه اشار إلى عـدم وفاء الاهالى . وبناء على ذلك قام عباس

(١) وكان سعيدالعلماء رغبة منه فى انهاء الموضوع باى حال وبأي ثمن قد جمع من الناس ماامكنه جهد الاستطاعة وأعاد الحصار على المخازن واستمرت المعركة نحوا من خمسة أو سبعة أيام قبـل أن يظهر عباس قلى خان السردار اللارجانى . وفى الاثناء وعند ابتـداء العمل كان علماء بارفروش قد غضبوا من تمكن القدوس من تبليغ جموع كثيرة من أهالى المدينة (٣٠٠ نفر فى الاسبوع كما يقولون وهذا القول مما يدل على تخبط المؤرخين) فشكوا إلى حاكم الاقليم البرنس خانلار ميرزا وهـذا لم يهتم بشكواهم لانه كان مشغولا بأمور أخرى هامة . وكان لموت محمد شاه تأثير عظيم عليه أكثر من تأثير صياح الملاوات وقام فعلا بالسفر إلى طهران للتسليم على الشاه الجديد الذى أمل فى أن يشمله بالتعطفات ولـكن لما لم ينجح فى هـذا الموضوع ولوقوع حوادث جديدة كتب العلماء خطابا مشددا الى رئيس العسكر فى ذلك الاقليم المدعو عباس قلى لارجانى ولما كان المذكور لايريد أن يحضر بنفسه أو يتورط فى الامر ارسل ٣٠٠ رجل وعلى رأسهم محمد بيك ياور بقصد اعادة النظام وتسكين الهياج ، وعلى هذا النحو حاصر المسلمون الخان وابتدأت المعركه . . . واذا قتل من البابيين عشرة انفار خر ألوف من الهاجين صرعى وقتلي . ولـما طال الأمد فـكر عباس قلى خان فى الحضور ليشاهد المسألة بنفسه .

(من كتاب السيد على محمد الباب صحيفة (٢٩٦ — ٢٩٧ لنقولاس)

قلى خان لاريجاني ومعه حاجى مصطفى خان وحلفا على المصحف الذي احضراه معهما ان قصدهما لم يكن إلا أن يضيفا الاصحاب عنـدهما تلك الليلة وانهما فى اليوم التـالى سيأمران خسرو قادى كالاى (١) ومعه ماية من الخيالة أن يرافقوهم فى الطريق المؤدى الى شيركاه وقالا (ان علينا غضب الله وانبيائه فى هـذه الدنيا والآخرة إذا كنا نسمح بحصول أى تمد عليك أو على صحبك)

وما كادوا يتممون حديثهم حتى حضر أصحابهم الذين ذهبوا لاحضار الطعام للجماعة والعلف للخيول . وأمر الملاّ حسين أصحابه بتناول طعام الافطار لأنه كان فى ذلك اليوم وهو الثانى عشر من ذى القعدة (٢) لم يتناول أى طعام أو شراب منذ الفجر لاهو ولا أصحابه وازدحم الخان بالاعيان والخدم والحشم فى ذلك اليوم حتى أنه لم يتمكن هو ولا أصحابه أن يتناولوا شيئاً من الشاى الذى أعده لاضيافه

وفى تلك الليلة بعـد الغروب بنحو أربع ساعات تناول الملاّ حسين مع أحبابه طعام المشاء عند عباس قلى خان وحاجى مصطفى خان . وفى نصف الليل نادى سعيد العلماء خسرو قادى كالاني وأسر اليه رغبته فى أن يغدر بالجماعة أثناء سيره معهم ويستولى على مايملكوه وأن يقتلهم عن بكرة أبيهم عند سنوح الفرصة حتى لا يفلت منهم أحد . فأجاب خسرو قائلا (أليس هؤلاء من اتباع الاسـلام ألم يفضلوا استشهاد ثلاثة منهم على قطع الاذان الذى بدأوه فهل يليق بنا ونحن ندعى بهذا الاسم أن نرتكب معهم مثل هذه الاعمال أو نفكر فى مثل هذه التدابير) إلا أن ذلك الفاجر أمره فى غير خجل أن يتبع أوامره بكل دقة وقال له وهو يشير بيده إلى رقبته (اذبحهم ولا تخف فاني مسؤول عن عملك وأنا أجيب الله عنك إذا سئلت فى يوم القيـامة ونحن الذين نسيطر على السلطة الدينية نعلم أكثر منكم كيف نستأصل هذه البدعة)

وبمجرد طلوع الشمس طلب عباس قلى خان أن يحضر خسرو أمامه وأمره أن يظهر كل احترام للملاّ حسين وأصحابه وأن يسهل لهم السفر إلى شيركاه وأن لا يقبـل منه أى مكافأة تعرض عليه .وتظاهر خسرو باطاعة الامر وا كدله أنه هو واتباعه لن يألوا جهدا

(١) رجل من الاشرار ثائر دائما على الحـكومة .
(٢) موافق ١٠ اكتوبر سنة ١٨٤٨ ميلادية .

فى حراستهم ولا يقصروا فى تأدية الواجب نحوهم وقال (عند عودتنا سنريك خطابا منه مكتوبا للتعبير عن رضائه بالخدمات التى سنؤديها اليه)

ولما مثل خسرو ومعه رؤساء وأعيان بارفروش بواسطة عباس قلى خان وحاجى مصطفى خان أمام الملا حسين أشار الأخير اليهم قائلا (« إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن اسأتم فلها(١) » فاذا كان هذا الرجل يحسن معاملتنا فسيكون له أجر عظيم وأما إذا نوى الغدر بنا فسيكون جزاؤه شديداً إنا فوضنا أمرنا إلى الله ربنا وتوكلنا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وإذ تكلم ملاّ حسين بذلك أذن لأصحابه بالرحيل. وسمع قنبر على مرة أخرى ينادى الأصحاب بأمر مولاه بقوله (امتطوا خيولكم يافرسان الله) وكانت عادته أن ينادي بمثل هذا فى هذه المواقف فاسرع الجميع إلى خيلهم عند سماع النداء وسارت فى الأمام بعض خيالة خسرو وتبعهم خسرو وركب هو والملاّ حسين جنباً لجنب فى الوسط وركب فى المؤخرة باقى الأصحاب وعن يمينهم وشمالهم باقى الخيالة من اتباع خسرو الذين أعدهم وجهزهم بالأسلحة اللازمة ليكونوا آلة تحت أمره لتنفيذ تدابيره واتفقوا على أن يكون قيامهم من بارفروش مبكراً فى الصباح والوصول إلى شيركاه فى ظهر نفس اليوم . فقاموا من بار فروش بعد ساعتين من طلوع الشمس واتجه خسرو فى رحلته إلى طريق الغابة قصداً وكان ذلك أوفق له لتنفيذ مآربه وأغراضه .

وبمجرد ولوج الجماعة فى ذلك الطريق أعطى خسرو قادى اشارة للهجوم . فوقع رجاله على الجماعة بكل توحش وغدروا بهم واستولوا على مقتنياتهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً . وكان أخ الملاّ صادق من بين القتلى . أما الباقون فاسروهم . ولما سمع الملاّ حسين أصوات التعذيب ترجل واحتج على غدر خسرو بهم قائلا (ان ساعة الظهر قد مضت وللان لم نصل إلى مقرنا فلا أصحبك بعد هذا وأنا غير محتاج لمونتك ومستغنى عنك وعن فرقتك) والتفت إلى قنبر على وطلب منه أن يبسط له الحصير للصلاة وبينما كان يتوضأ ترجل خسرو ونادى أحد اتباعه وامره أن يخبر الملاّ حسين أنه إذا أراد أن يصل سالما إلى مقره فعليه أن يسلم سيفه وجواده فرفض الملاّ حسين وأخذ فى الصلاة . وبعد ذلك بقليل ذهب ميرزا محمد تقى جوينى سبزوارى وهو رجل مثقف وذو شجاعة

(١) قرآن ١٧ — ٧

غير هياب إلى الخادم الذى كان مشغولا بتحضير القليان (الشيشة) وطلب اليه أن يستثنيه فى توصيلها شخصيا الى خسرو فأجاب الخادم طلبه . وبينما كان الميرزا محمد تقى منحنيا لاشعال نار القليان مد يده فجأة الى بطن خسرو واستل خنجره من ملابسه وطعنه به فى أحشائه طعنة نجلاء (١) .

وبينما كان الملا حسين يؤدى الصلاة ارتفع صياح أصحابه بنداء (ياصاحب الزمان) هاجمين على أعدائهم الذين غدروا بهم وأردوهم جميعا قتلى ولم ينج منهم أحد سوى الخادم الذى كان يهيىء القليان وكان قد أخذه الرعب من الحادثة ووقع على أقدام الملا حسين وهوأعزل من السلاح وطلب حمايته فأعطاه القليان المرصع بالجواهر تعلق سيده وأمره أن يعود الى بارفروش ويحكى تفصيل ما وقع وما شاهده بنفسه الى عباس قلى خان وقال له (أخبره كيف نفذ خسرو المأمورية بالأمانة فان هذا الفاجر تصور بحمقة أن رسالتى قد انتهت وان سيفى وجوادى قد أديا مأموريتهما . ولم يعلم أن عملهما لم يكن للآن قد ابتدأ وانه لا يقدر هو أو خلافه أن ينزعهما منى قبل اتمام مهمتهما)

واذ اقترب الليل عزم الجماعة على الانتظار فى ذلك المكان الى ساعة الفجر . وعند طلوع النهار . وبعد اتمام الصلاة جمع الملا حسين أصحابه وقال لهم (اننا نقترب من كربلائنا التى هى مقرنا الأخير) وشرع فى السير متنحيا تلك الجهة وتابعه الأصحاب الا انه لما رأى ان البعض أراد أن يصحب معه أمتعته من متعلقات خسرو وأصحابه أمرهم أن يتركوا كل شىء ورائهم عدا سيوفهم وجيادهم وقال (علينا أن نصل الى تلك البقعة المقدسة بحالة تجرد تام مقدسين عن كل ما يتعلق بهذا العالم (٢)) . ولما ساروا مسافة ميدان (جزء من فرسخ) وصلوا الى ضريح الشيخ طبرسى (٣) وكان الشيخ

(١) وفى مقالة سائح (صحيفة ٣٦) كان الميرزا لطف على السكرتير هو الذى سحب الخنجر وطعن خسرو

(٢) والتفت الى أصحابه وقال لهم (لا يحق لنا أن نجعل الأموال الفانية سببا فى انقسامنا فى تلك الايام القليلة التى نقضيها فى هذا العالم. فلنكن جميعا شركة بيننا ينتفع منها الجميع فوافقوا على ذلك بسرور تام. ومن هذه التضحية العجيبة وهذا الانكار الذاتى التام يتضح السبب فى اتهام البابيين بانهم إباحيون فى الأموال والنساء وانهم أرادوا الاشتراك فيها (من كتاب السيد على محمد الباب صحيفة ٢٩٩ لنقولاس)

(٣) ويقع ضريح الشيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى على بعد خمسة عشر ميلا جنوب شرق بارفروش وزار الضريح البروفسور براون من كلية كامبردج فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٨٨ ورأى اسم الشيخ المدفون منقوشا على لوحة على شكل كلمات الزيارة . وكانت اللوحة معلقة على السور الحديدى المحيط

المذكور أحد رواة الحديث عن أئمة الدين وأما مدفنه فمزار السكان المجاورين ولما وصل الى هذا المكان تلا الآية القرآنية التالية (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين)

وكان حارس ضريح الشيخ طبرسي رأى رؤيا في الليلة التي سبقت وصولهم أن الامام الحسين سيد الشهداء وصل الى مقام الشيخ طبرسي مصحوبا بعدد من المحاربين لا يقلون عن اثنين وسبعين مقاتل وكثير من الأتباع . ورأى أنهم نزلوا في ذلك المكان واشتغلوا فيه بالمحاربة واقتحام غمار الملاحم ببسالة عظيمة وانهم كانوا منصورين في كل موقعة على الأعداء وان رسول الله بنفسه حضر ذات ليلة واجتمع بهؤلاء الأبرار . فلما جاء الملا حسين في اليوم التالي عرفه الحارس متولي الضريح توآ بأنه هو البطل الذي رآه في رؤياه فارتمي على أقدامه يقبلها بكل اخلاص ، فأخذه الملا حسين وأجلسه بجانبه وسمع منه حكايته . ثم أكد للحارس قائلا (أن كل ما رأيته سوف يتحقق وتشاهد بعينيك وقوع كل هذه الحوادث الجليلة) ، فكان نصيب هذا الحارس أنه اندمج في جماعة المدافعين في القلعة ووقع شهيداً بين جدرانها

وكان يوم وصولهم في الرابع عشر من ذي القعدة واعطى الملا حسين التعليمات الأولية لتخطيط القلعة التي أراد تشييدها للدفاع إلى ميرزا محمد باقر الذي بنى البابية في مشهد . وعند مساء اليوم نفسه وجدوا انفسهم محاطين بفرقة من الخياله خرجوا من الغابة واستعدوا لاطلاق النار عليهم وصاحوا (نحن سكان قادي كالا جئنا لأخذ ثار خسرو ولا نقنع إلا بأن نجعلكم جميعاً طعمة للسيف . فاضطر الأصحاب لسل السيوف مرة أخرى للدفاع عن انفسهم أمام هؤلاء الغوغاء المتوحشين الذين شنوا عليهم الغارة ووثبوا

بالقبر . وهو الآن عبارة عن حظيرة مسورة بسور وينبت في أرضها الحشائش وفيها الضريح وبناء آخر عند البوابة في مقابلة المنزل الذي يقيم فيه المتولي الذي يتولى شؤون الضريح ولا يوجد في المكان سوى شجرتين أو ثلاث من البرتقال وبعض مقابر عليها ألواح من الحجر يقال أنها مقابر بعض البابية أما البناء الموجود عند البوابه فهو مكون من طبقتين وفيه المدخل إلى الحظيرة ومسقف بالطوب الاحمر . أما البنايات الموجودة في الطرف الآخر من الحظيرة فهي أنظم وأفخم ويبلغ طولها نحو عشرين خطوة فهي في الشرق والغرب وأما عرضها فنحو عشر خطوات بخلاف البوابة عند المدخل فانها تحوى غرفتين ولها غطاآت خشبية على الابواب . أما القبر فيقع في وسط الغرفة الداخلية . وهو محاط باسوار خشبية ولها باب موصل للغرفة الخارجية وخرائطها ورسومها موجودة في كتاب التاريخ الجديد (كتاب سنة بين الايرانيين للمسيو ا . ج . براون صحيفة ٥٦٥)

عليهم صائحين (ياصاحب الزمان) وصدوا هجومهم إلى أن اضطروهم للفرار . وكان الصياح شديداً حتى إن الخيالة اختفت بعد ظهورها بقليل . وكان الميرزا محمد تقي جوبني قد ترأس هذه الملحمة .

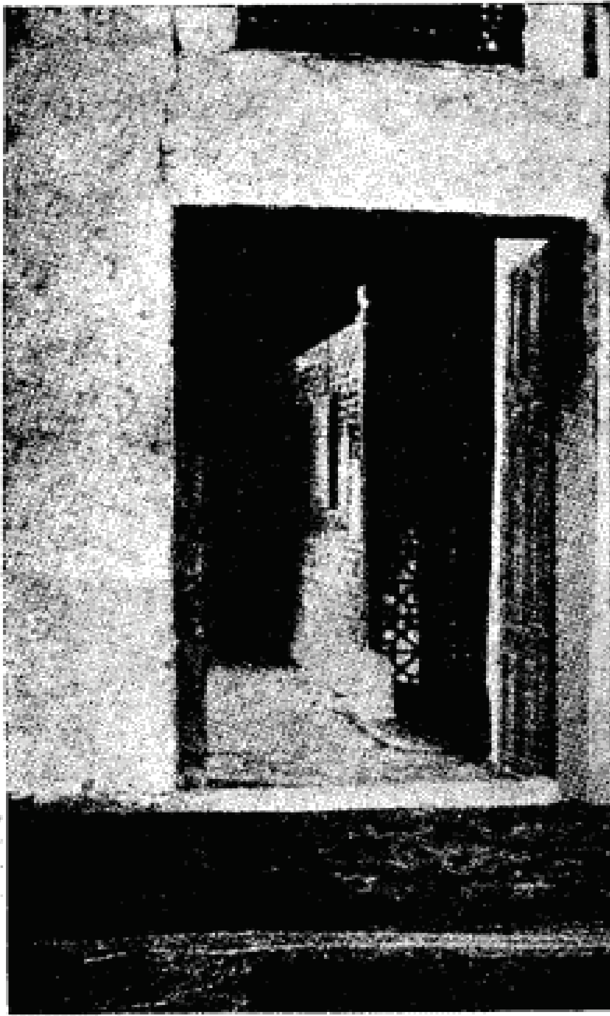
وخشية أن يعيد هؤلاء الهاجمين الكرة عليهم لجأوا إلى الذبح العام وتتبعوهم حتى وصلوا إلى قرية ظنوها انها قرية قادي كالا . فلما رآهم أهلها فروا هاربين مذعورين وأثناء ذلك قتلت والدة نظرخان صاحب القرية فى ظلام الليل بغير قصد وسط الهرج والاضطراب وصاحت النسوة بالاحتجاج على هذا التعدي قائلات أن هذه القرية لا علاقة لها بأهالى قادي كالا . فلما وصل ذلك إلى مسامع ميرزا محمد تقي أمر أصحابه أن يكفوا أيديهم حتي يتبينوا اسم القرية وسرعان ما وجدوا أن القرية هى ملك نظرخان وأن المرأة المقتولة هي والدته . وإذا كتشف هذا الخطأ الذى وقع من اصحابه اضطرب لحصوله وصاح بحزن قائلا (لم نكن نقصد إيصال الضرر لرجال هذه القرية ولا نسائها بل كان غرضنا الوحيد منع هجوم أهالى قادي كالا الذين هاجمونا وقصدوا أن يقتلونا جميعاً) واعتذر بصدق عن الكارثة التى حصلت عن يد اصحابه بدون قصد

وعلم نظرخان وهو مختبيء فى منزله بصدق تأسفات الميرزا محمد تقي ومع انه كان متألما من حادثة فقد والدته إلا انه قام للحال ودعاه للحضور فى منزله وطلب اليه أن



ضريح الشيخ طبرسى

يقدمه إلى الملا حسين وأظهر رغبة شديدة فى أن يطلع على تفاصيل الأمر الذى يشعل فى قلوب اتباعه مثل هذا الحماس



قبر الشيخ طبرسى

وفى الفجر وصل الميرزا محمد تقى مصحوبا بنظرخان إلى ضريح الشيخ طبرسى ووجد الملا حسين يؤم الاتباع فى الصلاة وكان السرور باديا على وجهه بدرجة انه شعر بدافع لا يقاوم لأن يجتمع مع المصلين ويكرر نفس الصلوة التى كانت تخرج من افواههم . وبعد اتمام الصلوة اخطروا الملا حسين بالكارثة التى وقعت على نظرخان . فأظهر عطفه بعبارات بليغة مؤثرة وتكلم عن تأثره واصحابه جميعاً فى مصابه الجسيم وأكدله قائلا (يعلم الله أن قصدنا الوحيد انما كان حماية أرواحنا لا تعكير صفو الجيران) ثم أخذ الملا حسين فى سرد الحوادث التى سببت هجوم أهالى بارفروش عليهم . وحكى تفاصيل خيانة خسرو ثم عاد وأكد له حزنه من وفاة والدته . فأجاب نظرخان فوراً (لا تكدر خاطرك فلو أن لى ماية ولد لفديتهم تحت أقدامك فداء وتضحية لصاحب الزمان) وأكد للملا حسين فى نفس اللحظة خضوعه التام له واسرع فى العودة إلى قريته ليجلب لهم ما يقدر عليه من المؤن



منظر القلعة التى تحوى الضريح

وأمر الملا حسين اتباعه بالبدء فى بناء القلعة التى اختطها وشجعهم على اتمامها .

وكان يخصص لكل جماعة جزءاً من العمل وكانوا أثناء الاشتغال بتلك المأمورية كثيراً ما يباغتهم العدو بهجوم من أهالي القرى المجاورة بتحريض من سعيد العلماء . وكان كل هجوم منهم يرد ويهزم شر هزيمة . وكان الأصحاب يقاومون هجومهم ببسالة تامة ولم تكن تلك الكرات الوحشية توقفهم عن العمل حتى نجحوا أخيراً في اخضاع جميع القوات التي احاطتهم من كل الجهات . ولما تم البناء عمل الملا حسين الترتيبات للحصار الذي أعدت القلعة لمقاومته . وأعد فيها كل ما يلزم لسلامة سكانها رغم الصعوبات التي اعترضته



(مدخل ضريح الشيخ طبرسي في مازندران)

وما كاد يتم البناء حتى وصل الشيخ أبو تراب ومعه أخبار وصول بهاء الله لقرية نظرخان وأخبر الملا حسين أنه مرسل من قبل بهاء الله لأعلامهم أنهم سيكونون جميعا ضيوفه في تلك الليلة وأنه سوف يجتمع بهم في نفس المساء وسمعت من الملا مرزا محمد فروغي يحكي الآتي (أن الاخبار التي أتي بها الشيخ أبو تراب أوجبت فرحا لا يقدر في قلب الملا حسين وأسرع توا إلى أصحابه وأمرهم أن يهيئوا أنفسهم لاستقبال بهاء الله . وانضم لهم في عملية الكنس والرش حول المقام وكان بنفسه يلاحظ كل شيء يراه

ضروريا لاستقبال ضيفه المحبوب . وبمجرد أن رآه حاضرا مع نظرخان تقدم نحوه وعانقه بكل لطف وأوصله إلى المقام الجليل الذى أعده لاستقباله وكنا فى تلك الايام نجهل مجد ذالك الذى كان قائدنا يسدى إليه مثل هذا الاحترام والاجلال وكنا عاجزين عن إدراك ماشاهده الملا حسين فيه . فما كان أعظم شوقه إذ تلقاه بين ذراعيه وما كان أعظم اغتباطه وفرح قلبه عند لقائه فكأنه كان غارقا فى بحر من الاعجاب به غير شاعر بنا جميعا . وكان يتأمل فى وجهه بدرجة أخذت بمجامع لبه حتى إننا مكثنا واقفين بجانبه مدة منتظرين صدور الاذن لنا بالجلوس ولكنه كان مشغولا عنا ولم يصدر لنا إذن بالجلوس أخيرا إلا من بهاء الله نفسه وكان سحر بيانه قد أثر فى نفوسنا رغما عن إننا ما كنا نعرف تلك القوة الفائقة التي كانت مستورة فى طي كلماته)

وأثناء زيارة بهاء الله طاف بالقلعة وأظهر امتنانه من العمل الذى تم فيها . وأثناء محادثته مع الملا حسين بين له بالتفصيل المسائل الحيوية التى تؤدي إلى سلامة وصلاح الجماعة وقال له (إن الشيء الوحيد الذى ينقص هذة القلعة هو حضور القدوس فاجتماعه بالاصحاب يجعلها تامة كاملة) وأشار على ملاحسين أن يرسل ملا مهدى خوى ومعه ستة أنفار إلى سارى ويسأل الميرزا محمدتقى أن يسلمه القدوس وأكد لملا حسين قائلا (إن خوف الله وإتقاء عقابه سيلجئانه أن يسلم أسيره بدون تردد)

وأمر بهاء الله الجميع قبل مبارحته للقلعة بالصبر والانابة إلى إرادة القدير وقال لهم (إن شاء الله سوف نزوركم مرة أخرى فى نفس المكان ونسدى إليكم مساعدتنا . فقد انتخبكم الله أن تكونوا طليعة جيشه وجنده ومؤسسى دينه . وإن جند الله هم الغالبون فمها حدث فالنصر مضمون لكم) وبهذه الكلمات ودع هؤلاء الشجعان وأوكلهم لحفظ الله ورجع إلى القرية مع نظرخان والشيخ أبوتراب ثم عاد من هناك بطريق نور إلى طهران

وكان الملا حسين قد بدأ فى تنفيذ التعليمات والارشادات التى أعطيت له وأمر الملا مهدى أن يذهب هو وستة من الرفقاء إلى سارى ليطلبوا من المجتهد أن يطلق سراح سجينه وبمجرد وصول الرسالة إلى المرزا محمد تقى سلم بما جاء فيها لان قوتها أخذت بمجامع لبه حتى أنه أكد للرسول بقوله (إنى اعتبرته ضيفا محترما بل أنه قاطن فى منزله ولايليق أن أدعى لاطلاق سراحه أو فك قيده لأنه مخير فى البقاء أو الذهاب كما يشاء وإذا فضل الذهاب فانى أرغب فى مرافقته أيضا إلى حيث يذهب)

وفى تلك الاثناء أخبر ملا حسين رفقاءه بقرب حضور القدوس وأمرهم أن يظهروا له من الاحترام مالا يقل عن احترام الباب . وقال لهم (أما أنا فاعتبروني أقل عبيده فمليكم بالطاعة له بدون تردد . وإذا ترددتم أو تأخرتم فانكم تظهرون عدم الطاعة لدينكم . ولا تتجاسروا بالحضور أمامه إلا إذا دعاكم ، وعليكم بترك جميع رغائبكم والتعلق برغبته ورضائه وأن تمتنعوا عن تقبيل يده وقدمه لأن قلبه الطاهر يكره مثل هذه العلائم الدلالة على الخلوص والمحبة وليكن سلوككم نحوه بكيفية تجعلني فخوراً بكم . فعلى الجميع حتى أصغر الاتباع أن يعترف بسلطته ومجده الذى اختص به وأما من يحود عن نصيحتى ماديا أو روحياً فسيأخذه عذاب عظيم .)

وكان حبس القدوس فى منزل ميرزا محمد تقى أعظم مجتهدى سارى ومن أقربائه قد استمر ٩٥ يوما وكان المجتهد يعامله بكل احترام رغم حبسه ويسمح له بمقابلة الاصحاب من الذين حضروا اجتماع بدشت . ولكنه لم يأذن لأحد منهم أن يقيم فى سارى وكان يأمر كل من يزوره بأن ينخرط فى سلك أصحاب الراية السوداء التى رفعها الملا حسين. وكانت هذه الراية هى التى تكلم عنها رسول الله بقوله (اذا رأيتم الرايات السود أقبلت من خراسان فأسرعوا اليها ولو حبوا على الثلج فانها بشيرة بظهور خليفة الله المهدى)

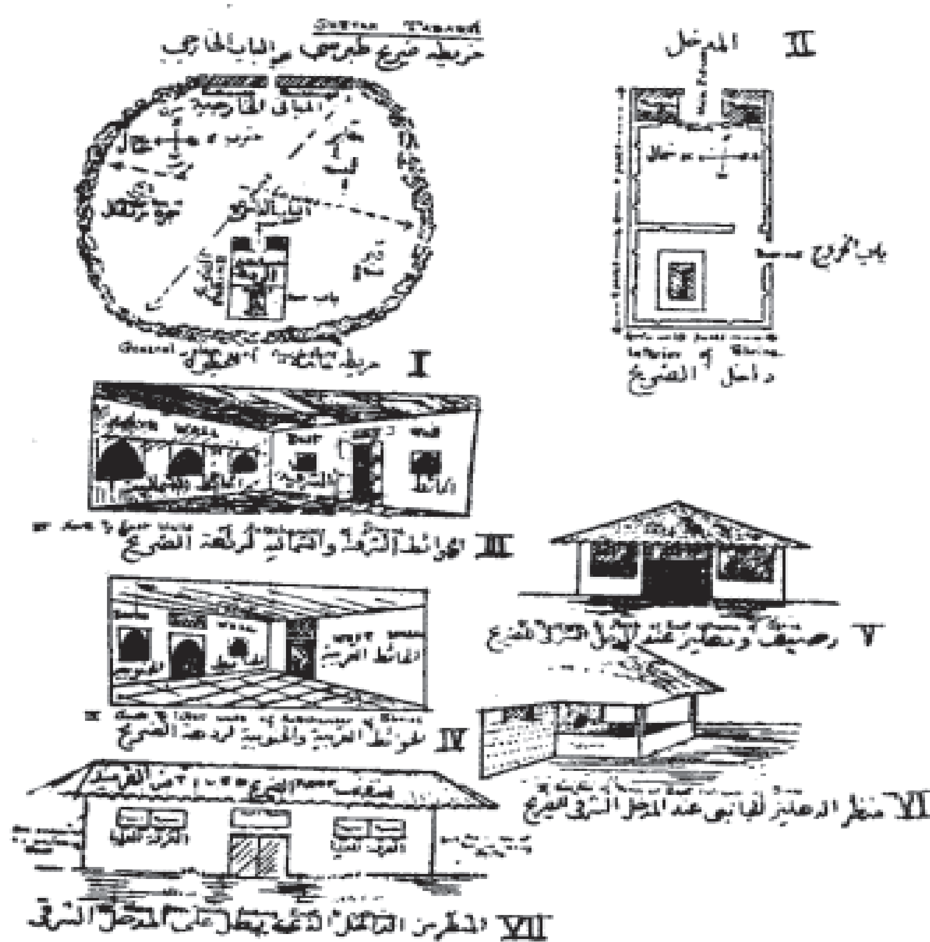
وكان رفع هذا العلم بأمر من الباب باسم القدوس وبأيدى الملا حسين . ونشر على طول الطريق من مشهد إلى ضريح الشيخ طبرسى . ولمدة إحدى عشر شهراً من أول شعبان سنة ١٢٦٤(١) هجريه إلى آخر جمادى الثانى سنة ١٢٦٥ هجريه(٢) كان هذا العلم الذى يشير إلى المملكة السماوية يتموج دائما فوق رؤوس ذلك الجمع من الفرسان وينادى الذين يشاهدوه أن يرفضوا هذا العالم وينصروا أمر الله .

وكان القدوس أثناء إقامته فى سارى يجتهد أن يقنع ميرزا محمد تقى بحقيقة الأمر الالهى ويحادثه بكل حرية فيما يختص بالأمور الجوهرية المتعلقة برسالة الباب . ويصوغ عباراته وكلامه باللطف واللين وكان كل من يسمعه لايشعر بأقل تحدى ، لأنهم يحملون إشاراته للكتاب على أنها ملاحظات يقصد بها تسلية السامعين . وكان الميرزا محمد تقى

(١) ٣ يوليه — أول اغسطس سنة ١٨٤٨ ميلادية
(٢) ٢٤ ابريل سنة ١٨٤٩ — ٢٣ مايو سنة ١٨٤٩ ميلادية

يشعر بأمر باطني يمنعه من احتقار القدوس أثناء اعتقاله فى منزله بل كان يمنع أهالى سارى من ايذائه ، وكثيراً ما كان يوبخهم على رغبتهم فى التعدى عليه وذلك رغم قسوته وشروره الذى كان يخفيه فى قلبه والذى ظهر منه أخيراً حيث أصر على رغبته فى استئصال البقية الباقية من الابطال المدافعين عن قلعة الشيخ طبرسى.

و كانت أخبار قرب حضور القدوس إلى القلعة قد حركت جميع الاحباء الموجودين ولما اقترب منها أرسل رسولا لاعلان مجيئه فأحدثت هذه الاخبار فيهم حماساً وجددت



تخطيطات ورسوم قلعة الشيـخ طبرسى

قواهم ، وقام الملاّ حسين بحماس زائد ومعـه نحو مائة من الاتباع وأسرع لمقابلة زائره المنتظر ، ووضع شمعتين فى يدى كل واحد وأوقدها بنفسه وأمرهم جميعاً بالتقدم على هذه الهيئة لملاقاة القدوس ، فاستنار الليل بالضياء الذى انبعث فى قلوبهم المبتهجة بينما كانوا يسيرون لمقابلة محبوبهم .

وابتهجت قلوبهم من ملاقاته وفى وسط غابة مازندران رأوا وجه الذى كانوا مشتاقين

لرؤياه فتقدموا نحوه بشوق زائد والتفوا حول جواده وأظهروا له طاعتهم الدائمة بكل خضوع واحترام ومحبة . وتبعوه وهم حاملوا الشموع فى أيديهم سائرين خلفه على الاقدام حتى وصلوا إلى مقرهم ، وكان وجه القدوس وهو يمر فى وسطهم يضيء كالكوكب الدرى الذى أحاطته النجوم من كل الجهات وبينما الجمع المتحمس يسير نحو القلعة كانوا ينشدون نشيد الترحيب والتمجيد والمديح . وارتفعت أصواتهم بفرح قائلين (سبوح قدوس ربنا رب الملائكة والروح) وكان الملاّ حسين يبدأ بالنداء ويردد ندائه جميع الاصحاب . وكانت غابة مازندران أيضا بدورها تردد صدى ندائهم ، وعلى هذا المنوال وصلوا إلى ضريح الشيخ طبرسى ، وكانت أول الكلمات التى تفوه بها القدوس بعد أن ترجل واستند الى الضريح (بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين(١)) وبهذه العبارة تمت نبوة محمد حيث يقول فى الحديث الآتى (وعند ظهور المهدى يسند ظهره إلى الكعبة ويخاطب أتباعه الثلثمائة والثلاثة عشر الذين يلتفون حوله ويقول بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين) ولم يقصد القدوس ببقية الله أحداً خلاف بهاء الله . وللدلالة على ذلك حكى ميرزا محمد فروغى الرواية الآتية . (كنت موجوداً عند ما ترجل القدوس وأسند ظهره ظهره إلى الضريح وسمعته يتفوه بهذه الكلمات وما كاد ينطق بها حتى ذكر اسم بهاء الله ثم التفت إلى ملاّ حسين وسأله عنه . فأخبره بانه عازم على العودة الى هذا المكان قبل أول المحرم (٢) الا أن يشاء الله غير ذلك)

وبعد قليل أعطى القدوس للملا حسين عدداً من الخطب وأمره أن يقرأها على أصحابه المجتمعين . وكانت الأولى خاصة بالباب . والثانيـــة ببهاء الله والثالثة بالطاهرة وتجاسرنا بالسؤال من الملا حسين وأظهرنا له شكوكنا من أن تكون الاشارات الواردة فى الخطبة الثانية خاصة ببهاء الله الذى كان يرتدى لباس الأعيان (٣) وأحيلت المسألة على القدوس فأكد لنا أن سر الأمر سينكشف فى الوقت المعلوم . وكنا فى ذلك الوقت لا نعلم شيئا عن رسالة بهاء الله ولا نعرف مغزى تلك الاشارات . وأخذت منا الظنون كل مأخذ بالنسبة لدلالة معانيها وبيان مراميها . وكثيراً ما كنت أسأل القدوس أثناء

(١) قرآن ١١ — ٨٥
(٢) ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ميلادية
(٣) أى انه لم يكن من طائفة الملاوات الذين لهم لباس خاص بهم

بحثي عن غوامض الأحاديث الخاصة بالقائم الموعود . ومع أنه تردد في بادىء الأمر إلا انه أخيراً أجاب طلبي . وكانت طريقة إجابته وبياناته الشافية المقنعة باعثة على ازدياد الحيثية والاحترام اللائق لمقامه فكان يمحو كل شك من أفئدتنا . واقتنعنا انه كانت له قدرة على قراءة ضمائرنا وتهدئة خواطرنا

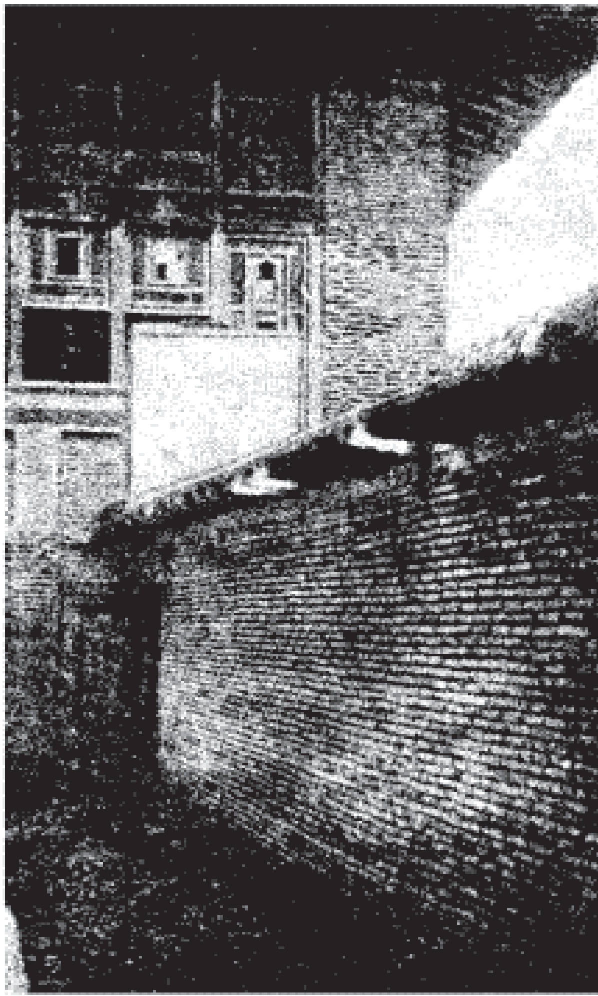
وكنت أرى الملا حسين كثيراً من الليالي يدور حول الضريح الذي ينام فيه القدوس فكم كان ينسل في جنح الليالي من غرفته ويتقدم بكل هدوء الى تلك الجهة ويناجي الضيف المحبوب بنفس العبارة التي رحبناه به عند وصوله ولن انسى تلك الليالي ولا ما كان يخالجني من الاحساس العميق عندما كان يتقدم الى في هدوء ساعات الليل التي كنت أحصصها للصلاة والمناجاة ويهمس في اذني قائلا (افرغ عقلك ياميرزا محمد من هذه الأمور المحيرة وتعالى معي مخلصا لوجه الله لنشرب كأس الشهادة لتقدر إذ ذاك أن تفهم المعنى المقصود من سنة ٨٠ (١) التي سوف تظهر فيها للعالم أحب الامور والاشياء التي هي الآن مستورة عنك) . ولما وصل القدوس الى ضريح الشيخ طبرسي طلب من الملا حسين أن يحصي عدد الاصحاب فعدهم فردا فردا فكانوا ثلثماية واثنى عشر واذ كان على وشك الدخول الى القلعة لاخبار القدوس بعددهم ظهر فجأة شاب مسرعا وقادما من جهة بارفروش سائرا على الاقدام وامسك بطرف ردائه وطلب منه أن يثبته ضمن الاصحاب وأن يسمح له أن يضع حياته في سبيل المحبوب كلما تطلب الامر ذلك فاجيب إلى ملتمسه في الحال . فلما علم القدوس بعدة المؤمنين قال (قد تم كل ماوعده رسول الله خاصا بالقائم الموعود (٢) ولكي تكون الحجة كاملة على علماء الدين الذين يظنون انفسهم انهم وحدهم المفسرون لشريعة الاسلام واحاديثه وبها يعرف الناس مدلول تلك الاحاديث (٣))

(١) اشارة الى سنة ١٢٨٠ (١٨٦٣ — ٤) وهي التي أعلن فيها بهاء الله دعوته في بغداد .

(٢) واجتماع الثلثماية والثلاثة عشر من الاصحاب في الطالقان من أعمال خراسان هو أحد العلامات التي تسبق ظهور الموعود (من كتاب تاريخ الاداب الفارسية في الازمان الحديثة للمستر براون ١٥٠٠ — ١٩٢٤ صحيفة ٣٩٩)

(٣) وكان من بينهم رضا خان بن محمد خان التركماني متحفظ الخيل لجلالة محمد شاه وكان شابا وسيما ومتحليا بكل الكمالات والفضائل لطيفا كريما شجاعاً ولأجل محبته وتقديسه لجناب الرئيس الأعظم ترك منصبه ومرتبه وأغلق عينيه عن الرتبة والشهرة وتوبيخ الاحباء وشماتة الأعداء وفي أول الأمر ترك الاعتبار والثروة والوظيفة وكل الاحترام والامتيازات التي كان يتمتع بها وصرف مبالغ طائلة على الأمر

وفى تلك الأيام كان القدوس فى كل صباح ومساء ينادى الملاّ حسين ونخبة الأصحاب ويسألهم أن يرتلوا كتابات الباب. ويجلس فى الميدان أمام القلعة يحوطه أخص الأحباب وهو يستمع لأقوال سيده وكثيرا ما كان يعلق عليها . ولم تكن تهديدات الأعداء ولا وحشية هجومهم بكافية لأن ترجعه عن حماسه أو تقطع عليه مداومة مجهوداته واخلاصه. وكان يحتقر كل خطر وشدة ويتناسى احتياجاته وطلباته واستمر على مناجاته اليومية مع محبوبه حتى فى أشد الأحوال وأجمها فكان يكتب مدائحه ويقوم على تنشيط المدافعين فى القلعة . ولم تمنعه وحشية هجوم الأعداء من أن يثابر على



منزل ميرزا محمد تقى المجتهد
فى سارى مازندران

مما لا يقل عن خمسة آلاف تومان ومراراً أظهر رغبته فى تضحية حياته وذات مرة كان مشرفا عند الحضرة القدسية الجليلة فى قرية خانليك إذ قال له امتحانا (لو أنه يوجد بعض خيالة لاتقاذى من أسر الأشرار وتخليصى من مكرهم لكان أولى) فلما سمع منه ذلك اجتهد فى اتقاذه واستعد ومعه جملة من الخيالة لهذا الغرض وتركوا كل شىء وراءهم مسرعين بالتشرف. وكان معهم ميرزا قربان على بن استراباد ورضا خان المذكور فلما مثلوا أمامه قال وهو يبتسم (ان جبال أذربايجان أيضالها نصيب منى ولها حق علىّ)وأمرهم بالرجوع . وبمجرد عودة رضا خان خصص حياته لخدمة الأحباء . وكان منزله محل اجتماعهم وكان جناب القدوس وباب الباب ضمن الذين أضافهم فى منزله مدة معينة . ولم يقصر أبدا فى هذه الخدمة في تلك الجهة . ورغما عن مركزه العالى اجتهد قلبا وقالبا فى تنفيذ رغائب الاحباء .ولما شرع جناب القدوس يدعو للامر فى مازندران وقام عليه سعيد العلماء أسرع رضا خان إلى مازندران وأخذ على عاتقه مصاحبة القدوس وحمايته فكان كلما خرج القدوس من منزله مشى بجوار جواده كالحارس حاملا سيفه علي كتفه رغما عن علو مقامه وشدة احترامه حتى أوجب ذلك ابتعاد الأشرار عنه والخوف منه. ومكث رضا خان على هذا المنوال مدة فى مازندران إلى أن رافق جناب القدوس سائراً معه إلى مشهد . ولدى عودته من هناك شهد ما سى بدشت فكان يرسل فى المهام العظيمة ويوثق به فيها . ولما تفرق الجمع من بدشت وقع مريضا وعاد إلى طهران بصحبته ميرزا سليمان قلى ابن المرحوم شاطرباشي المشهور بعلمه وفضله . ومكث

أعماله بسكون وهدوء تام. ورغما عن انه كان هدفا لقنابل الأعداء التى كانت تصب بدون انقطاع كان دائما يبتهل قائلا (ان روحى مقترنة بذكرك الذى هو سلوان حياتي وسكونها وانى أفتخر بأن أكون أول من اضطهد فى سبيلك فى شيراز وأرجو أن أكون أول من يفدى روحه فداء لائقا لأمرك)

وأحيانا كان يأمر بعض رفاقه العراقيين أن يرتلوا بعض قطع من القرآن وكان ينصت لها بكل التفات ثم يفسر معناها . ومرة أثناء التلاوة وردت الآية (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الثمرات والأنفس وبشر الصابرين) فقال القدوس (نزلت هذه الآية أصلا فى أيوب وما اصابه وفى هذه الايام تنطبق علينا . فسوف تصيبنا كل هذه الآلام . وستعم البلوى بدرجة أن من لم يتعود الصبر والثبات فلن يقدر على تحملها)

وكان علم القدوس وحكمته التى ظهرت فى هذه الاثناء واليقين الذى كان يتكلم به والمراجع التى يبينها فى تعليمه للاصحاب قد زادت فى رفعة شأنه ومكنت من سلطته فى نظر الذين كانوا يظنون أن احترام الملا حسين له استوجبته ظروف الأحوال وضرورة الموقف لا عن

مدة مريضا ولما شفى كانت أحوال قلعة طبرسى قد اشتدت فعزم إلى اللحاق بالاصحاب لمساعدتهم . ولما كان من الرجال المشهورين ذوى المكانة لم يقدر على ترك العاصمة بدون ابداء عذر مقبول، فتظاهر بالتوبة من أعماله السابقة وطلب أن يرسل ليشترك فى الحرب فى مازندران ليتدارك ما فاته . فأجابه الملك إلى ذلك وتعين لمرافقة القوة المرسلة تحت إمرة البرنس مهدى قلى ميرزا لمحاربة القلعة . وفى أثناء الطريق كان يقول للبرنس سأعمل كذا وكذا ولذلك كان أمل البرنس فيه عظيماً ووعده بالتعيين فى وظيفة كبيرة مكافأة له على اهتمامه ولغاية اليوم الذى أخفقت فيه مساعى الصلح كان يبدى اهتماما عظيما فى الجيش إلا أنه فى أول يوم من أيام المحاربة أطلق لجواده العنان وابتدأ يقفز به ولم يكن هناك أى ريبة فى عمله وبهذه الوسيلة انضم إلى اخوان الصفا . ولما اندمج بينهم قبل ركاب جناب القدوس وخضع أمامه شكرا ثم عاد إلى ميدان القتال وابتدأ بالقول للبرنس وهو يقول من منكم من يرفض أبهة وفخر هذا العالم ويضعه تحت الاقدام ويتخلص من قيود الشهوات وينضم كما فعلت الى أولياء الله. أما أنا فأكون مسروراً إذ أضع رأسى تسقط فى هذا الميدان ملطخة بالدماء والتراب ثم هجم كالأسد الغضنفر بسيفه وقتل منهم مقتلة عظيمة حتى ان الضباط الملكيين تعجبوا من بسالته وقالوا أنه أعطى من العلى بسالة فائقة لم تكن معه من الاول وان روحا أخرى لبسته فكم مرة قتل أصحاب المدافع فى الوقت الذى كانوا أرادوا اطلاقها عليه. وكم من الضباط العظام وقعوا صرعى تحت أقدامه . ولذلك اهتم باقى الضباط للانتقام منه أكثر من البابية . وفى اليوم المعين لتسليم جناب القدوس نفسه علم رضا خان ان الاعداء سوف يذبحونه ويمثلون به نظراً لعدائهم الكامن فهرب ليلا عند أحد أصحابه من الضباط من كبار السن وكان صاحبه ورفيقه وبعد ذبح باقي البابيين بحثوا عنه حتى عثروا عليه فأراد صاحبه أن يفديه بألفى تومان فلم يقبل البرنس ثم أراد زيادة المبلغ فلم يقبل أيضا وأخيرا نظراً للحقد العظيم عليه هجموا عليه وقطعوه إربا اربا (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٩٦ — ١٠١)

إحساس اختياري لشخصه الا أن مقدرته الـكتابية واستقامته قد نفتا كل شك فى إعلاء شأنه فاصبح له المقام الأول المحترم فى أعين جميع الأصحاب حتى لم يشك فيه أحد. وكان فى أيام حبسه فى بلدة ساري كتب تفسيرا لسورة قل هو الله أحـد بناء على طلب الميرزا محمد تقى. وحرر فى تفسير صاد الصمد وحدها مايقرب من ثلاثة أمثال حجم القرآن. وكان الميرزا محمد تقى قد انجذب من البيان العالى الشـامل الذى ظهر منه فى ذلك التفسير حتى انه أوجب عليه شدة احترامه له رغما عن أنه فى أواخر أمره انضم إلى سعيد العلماء فى تنفيذ خطة اعدام شهداء قلعة شيخ طبرسي. وكان قدوس أثناء حصاره فى تلك القلعة دائبا على كتابة باقى تفسيره على تلك السورة. وتمـكن بالرغم من اشتداد وطأة هجوم الاعداء من اكمال تفسير ذلك الحرف بكتابة مايوازى مقدار التفسير الاول الذي حرره فى ساري وكانت سرعة انشـائه وغزارة مادته وماتظهره كتاباته من فك الرموز واظهار الـكنوز قد جعلت الاصحـاب يعجبون به ويعتبرونه مستحقا للرياسـة. وكانوا يقرأون بشوق تلك الصحائف التى كان الملاحسين يحضرها لهم فى كل يوم والتى كان يسدى اليها نصيبا وافرا من الاجلال والاعتبار.

وكان اكمال بناء القلعة وتموينها بكل مايلزمها للدفاع قد احيى حماس أصحاب الملاحسين وأثار اندهاش الأهالى المجاورين. وكان الـكثيرون يحضرون إلى القلعة (١) ويطلبون السماح لهم بالدخول داخل أسوارها رغبة منهم إما فى الاطلاع أو لأى غرض مادى آخر أو ادعاء منهم بالخضوع وكانوا يعجبون بالسرعة الفائقة التى تم بهـا بناؤها. واذ تيقن القدوس من اتمام عدد القاطنين فيهـا أمر أن لايدخل فيها غريب. وكان كل من سبق له رؤيتها يمتدحها وانتقل المدح من فم إلى آخر حتى وصل إلى آذان سعيد العلماء فاشتعلت

(١) وذكر الـكونت جوبينو (فى كتابه الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٥٦) وصفا للقلعة التى شيدها الملا حسين قال كان المقصود من بنائها أن تكون منيعة فكان الحائط الذى تحيط بها بعلو عشرة أمتار وهو مبنى من الحجارة السميـكة وارتفعت على قواعدها أبنية مصنوعة من الاخشاب المتينة وفى خلالها كوات للرمى منها ثم حفر خندقا عميقا حولها. وعلى العموم كانت حصنا حصينا. وكان الاساس من الاحجار الـكبيرة والادوار العلوية من الخشب وذات طبقات ثلاثة تتخللها الـكوات لقذف المدافع وصنع لها جملة أبواب وخوخات للدخول والخروج بسهولة وحفر فيها آبار للماء وجعل فيها مسالك تحت الارض للالتجاء اليها وقت الخطر ورتبت فيها مخازن لتخزين الاطعمة التى جلبت اليها من القرى المجاورة أو اشتريت لاجلها ثم وضع الحراس على الابواب من الاحباء المشهود لهم بالاخلاص والحماس

فى صدره نيران الحسد والحقد . وأصدر أمره بمنع أى شخص من الاقتراب منها . وتكفير الذين كانوا سببا فى بنائها وأمر الجميع بمقاطعة الملا حسين . ورغما عن صدور أوامره المشدودة كان البعض لا يعبأون بها ويعملون كل ما فى وسعهم لمساعدة الذين أضطهدوا بغير ذنب . وحلت المصاعب والشدائد على المحصورين على شأن أنهم ما كانوا يجدون ضروريات الحياة إلا أنهم كانوا فى أشد أوقات الحاجة تأتيهم النجدة الألهية فجأة ويفتح لهم باب الخلاص على غير انتظار . وكانت العناية الآلهية تفتح لهم بابا للخلاص من الضيق والحصار . فانزعج سعيد العلماء من ذلك واشتعل غضب ذلك الطاغية العاتى المتمرد وكتب إلى ناصر الدين شاه الذى تبوأ العرش حديثا مسوقا بحقده الذى لا يطق وأسهب له فى الكلام على الاضرار التى تهدد المملكة وقال له (إن شيعة البابية الحقيرة قد رفعت علم الثورة وتجاسر هؤلاء التعساء المهيجين الغير المسئولين على تقويض أساس السلطة التى تتمتع بها جلالتكم حتى أن كثيرا من القرى المجاورة قد هرع أهلها تحت لوائها وحلفوا يمين الطاعة لدينهم وبنوا قلعة لأنفسهم وحفروا فى هذا المعقل خندقا ليكونوا على استعداد لمقاومتك ومحاربتك وعزموا بعناد لا يشق له غبار على المناداة بسلطتهم المستقلة تلك السلطة التى تذل التاج الملكى الموروث عن آبائك العظام وترديه إلى الحضيض . ولا يوجد نصر مؤكد لتثبيت حكمك غير محو هذا الدين الممقوت الذى تجاسر أن يثور فى وجهك وفى ذلك توطيد الحكم لجلالتك فى قلوب أهل المملكة وإعلاء الشأن لعظمتك واحترامك وصيتك وتكليل تاجك بالفخر الابدى . وأما إذا ترددت فى سياستك وأظهرت لهم أقل تسامح فأنى أشعر بواجبى فى تحذيرك بأنه سوف يأتى قريبا ذلك اليوم الذى فيه لا يقتصر الامر على خضوع أهل مازندران وحدهم بل إن جميع ايران من أقصاها إلى أقصاها سوف ترفض سلطتك وتخضع لأمرهم

ولما كان ناصر الدين شاه غير مدرب على أمور المملكة أحال الموضوع على الضباط ورؤساء الجيش فى مازندران الذين كانوا ماثلين أمامه (١) وأمرهم أن يتخذوا أى تدبير

(١) وهكذا اهتم الامير نظام استتبابا للأمن أن يلتفت إلى أحوال مازندران فلما حضر كبار ذلك الأقليم لمقابلة الملك أمرهم أن يتخذوا عند رجوعهم إلى بلادهم كل احتياط لمنع امتداد فتنة البابية . فوعدوه بذلك وبأنهم يقومون بكل جهدهم على هذا الامر وحصل فعلا أنه لدى عودة الرؤساء

يرونه صالحا للقضاء على هؤلاء الذين عكروا صفو المملكة . فأبدى الحاجى مصطفى خان التركمان رأيه لمليكه قائلا (إنى حضرت بنفسى من مازندران وتمكنت من معرفة عددهم وقوتهم . وأن هؤلاء الجماعة الذين يعدون على الأصابع هم من أهل العلم والدرس الضعفاء من الذين لا قوة لهم على مقاومة قوة جلالتك ولا لزوم لأرسال جيش هناك بل تكفى كتيبة صغيرة لمحوهم . وهم غير مستحقين لاهتمام مليكى أو عنايته . ولو أردتم جلالتكم إنفاذ رغبتكم فاكتب أمراً ملكيا إلى أخي عبد الله خان التركماني أن تكون له السلطة التامة لأخماد هؤلاء الجماعة وإنى متيقن أنه فى ظرف يومين يمحي أثرهم وتبيد آمالهم وتخمد ثورتهم .)

فوافق الشاه وأصدر فرمانا بذلك إلى عبد الله خان وأمره أن يجمع من أى طرف من أطراف المملكة القوة اللازمة لتنفيذ أغراضه . وأرسل مع خطابه نشانا ملكيا أنعم به عليه إشارة الى ثقته فى المقدرة على إجراء هذا العمل وكان لوصول هذا الفرمان والنشان أثره فى تحريك الخان على تنفيذ ما أمر به على الوجه الكامل . وفى مدة قصيرة جمع جيشا جراراً مكونا من أثنى عشر الف نفر من جماعات الاوسانلو والافغان والقودار . وأعطاهم المؤنة اللازمة وعسكرهم فى قرية أفرا التى هى ملك نظرخان والتى هى مشرفة على قلعة طبرسي . وما كاد المعسكر يستقر حتى شدد الحصار ومنع إرسال الخبز الذي يورد يوميا إلى أصحاب الملاّ حسين حتى أنه قطع أيضاً الماء عنهم وكان من المستحيل على المحصورين أن يخرجوا من القلعة تحت نيران الأعداء . وأمر الجيش بعمل استحكامات ومتاريس عديدة أمام القلعة وباطلاق النار على كل من يتجرأ من الأصحاب على الخروج خارج القلعة لجلب الماء . فاشتكى رسول بهنميرى قائلا (ان الاعداء منعوا عنا الخبز وماذا يصيبنا لو منعونا الماء أيضاً) وكان القدوس إذ ذاك عند غروب الشمس ينظر إلى جيش الاعداء من شرفة القلعة مع ملاّ حسين فالتفت اليه وقال (ان قلة الماء

إلى مازندران جمعوا قواتهم وحرر كل منهم مكتوبا لأهله للاسراع بالحضور . وطلب الحاجى مصطفى خان أخاه عبد الله . وكذلك عباس قلى خان لارجانى طلب محمد سلطان وعلى خان من سواد كوه . واجتمع الجميع على مهاجمة البابية فى قلعتهم قبل أن يقوموا ضدهم بهجوم . ولما رأى الضباط الملكيين حسن استعداد الرؤساء عقدوا اجتماعا عظيما وأرادوا أن يكون لهم فخر الرياسة وكذلك الميرزا اقا مستوفى مازندران أو مدير المالية ورئيس العلماء وغيرهم من الاعيان والاكابر

« كتاب الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٦٠ — ١٦١ جوبينو »

قد أزعجت اصحابنا وان شاء الله ستهطل السماء بوابل منهمر من الأمطار هذه الليلة يحيط بالأعداء ويتبعه سقوط الثلج الشديد . ويساعد ذلك فى صد هجومهم المدبر)

فى تلك الليلة أحيط جيش عبد الله خان بسيل من المطر جرف الكتائب التى كانت ملاصقة للقلعة . واتلف كثيراً من المؤنة اتلافا تاما . واجتمع داخل القلعة ماء يكفى للشرب مدة مستطيلة . وفى الليلة التالية سقط ثلج غزير مما لم يشاهد مثله فى تلك البلاد حتى ولا فى أشد ليالى الشتاء برداً فزاد ذلك فى الارتباك الذى أحدثه المطر . وفى الليلة السابقة على الخامس من محرم سنة ١٢٦٥ هجرية (١) عزم القدوس على الخروج من القلعة . وقال لرسول بهنميرى وهو يتقدم نحو الباب بسكون وهدوء تام (الحمد لله الذى أجاب دعاءنا وسبب سقوط المطر والثلج للايقاع باعدائنا وتخريب معسكرهم وانعاش قلعتنا)

فلما حانت الساعة المعدة للهجوم من ذلك الجيش الجرار رغما عن الخسائر التى أصابته كان القدوس قد عزم على شن الغارة على الاعداء وتشتيت قواهم فامتطي جواده بعد الشروق بساعتين وخرج من باب القلعة ومعه ملاّ حسين وثلاثة آخرون من المؤمنين راكبين الخيول، ويتبعهم باقى الاصحاب مترجلين وبمجرد خروجهم صاحوا قائلين (ياصاحب الزمان) فاوجبت هذه الصيحة ذعراً فى معسكر الاعداء واشتد زئيرضراغمة البابين وتردد صداه وسط غابة مازندران حتى شتت شمل الاعداء الذين كانوا رابضين فى أنحائها من الخوف فكان بريق الاسلحة يخطف أبصارهم وكان تهديدهم كافيا لهزيمتهم وصرعهم فهربوا مشتتين على هيئة مزرية وتركوا جميع ممتلكاتهم وراءهم وفى ظرف ٤٥ دقيقة ارتفع نداء النصر من جانب الاصحاب . وتمكن الملاّ حسين والقدوس من أسر بقية الجيش المهزوم . وقتل فى هذه الموقعة عبد الله خان التركماني واثنان من ضباطه وحبيب الله خان الافغانى ونور الله خان الافغاني وقتل معهم مالا يقل عن اربعمائة وثلاثين من الرجال . فرجع القدوس إلى القلعة وبينما كان الملاّ حسين مشغولا باتمام العمل الذى ابتدأه بهذه الشهامة إذ سمع نداء السيد عبد العظيم خوى يطلبه للرجوع فورا للقلعة بناء على أمر القدوس الذى قال (نحن هزمنا صفوف أعدائنا فلا داعى لان نتعقبهم لأن

(١) أول ديسمبر سنة ١٨٤٨ ميلادية .

غرضنا هو الدفاع عن أنفسنا فقط وأن نواصل السعى فى احياء النفوس ولاغرض لنا مطلقا فى الاضرار باحد وما صدر منا وعملناه يكفى للشهادة على قوة الله التى لاتغلب فنحن فئة قليلة من احبائه تمكنا بلطفه الخفى أن نغلب جيشاً مدرباً من الاعداء

ولم يفقد أحد من أتباع الباب حياته فى هذه المعركة رغم الانكسار الذى داهم العدو وفقط جرح رجل اسمه قلى جرحا بليغاً وكان يحارب أمام القدوس وصدر الامر للجميع أن لا يأخذوا شيئاً من ممتلكات ومتعلقات الاعداء سوى سيوفهم وخيولهم

ولما أوشك تجمع القوات التى كان يقودها عبد الله خان واعادوا الكرة أمر القدوس جماعة المؤمنين أن يحفروا خندقا حول القلعة لحمايتها من هجوم جديد ومضت مدة ١٩ يوم بذل فيها الجماعة جهدهم حتى أتموا الحفر واشتغلوا ليل نهار بالفرح حتى أتموا ما أمروا بعمله

ولما تم حفر الخندق أعلن أن البرنس مهدى قلى ميرزا حضر إلى القلعة على رأس جحفل عظيم وأنه عسكر فى شيركاه ثم انتقل بعد بضعة أيام إلى فسكس وعند وصوله أرسل رسولا إلى ملاّ حسين يخطره أنه حضر بناء على أمر الشاه لكى يعلم ماهو المقصود من مجهوداته ويستعلم عن الغرض الذى يتوخاه فاجاب الملاّ حسين (أخبر سيدك أننا لاغرض لنا فى قلب أسس المملكة أو فى اغتصاب ملك ناصر الدين شاه . وان أمرنا يختص بظهور القائم الموعود ولايخص سوى علماء الدين فى هذه المملكة واننا يمكننا أن نثبت حقيقة الرسالة بكل الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة) فتأثر الرسول من صدق دفاع الملاّ حسين عن الامر ومن البراهين التى دلل بها على صحة ادعائه بدرجة أنه بكى ثم قال له (ما الذى نعمله ؟) فأجابه (قل للبرنس الاولى أن يأمر علماء سارى وبار فروش أن يحضروا إلى هذا المكان ويطلبوا منا البراهين على صحة الدعوة التى جاء بها الباب. وبحيث يكون القرآن هو الحكم الفصل بيننا ثم بعد ذلك يحكم البرنس بنفسه أيضا فى أمرنا ويأمر بما يراه . فاذا لم نقدر أن نثبت له صحة الامر من الآيات والاحاديث فليحكم فينا بما يشاء) فاقتنع الرسول تماما بالجواب ووعد أنه فى ظرف ثلاثة أيام يستدعى رؤساء الدين بالكيفية المقترحة .

ولكن الوعد الذى ذكره البرنس لم ينفذ . واستمد البرنس مهدى قلى ميرزا فى

تدبير الهجوم على القلعة بكيفية لم يعهد لها مثيل . وعلى رأس ثلاث فيالق من البيادة وكثير من فيالق الفرسان وقف بجنوده على اكمة مشرفة على القلعة وأمر باطلاق النيران من تلك الناحية

وما كاد النهار يطلع حتى صدر الأمر من قدّوس للأصحاب (امتطوا خيولكم يافرسان الله) . وأمر بفتح أبواب القلعة وخرج إلى جهة وسكس وتبعه الملاّ حسين ومعه مايتان واثنان من أبطاله . ولم يمنعهم الثلج ولا الأوحال المتراكمة على طول الطريق ولا هيئة الجيوش المحيطة بهم من الهجوم فى ظلام الليل واقتحام الاستحكام الذى جعله العدو قاعدة لمجهوداته . وكان البرنس يراقب حركات الملاّ حسين ولما وجده يقترب من قاعدة استحكاماته أمر بتصويب النيران عليه ليمنعه من التقدم للأمام نحوه ولكنه رغم ذلك اقتحم أبواب الاستحكام وهجم على غرفة البرنس الخصوصية فلما رأى البرنس ان حياته فى الخطر رمى بنفسه من نافذة خلفية فى الخندق وهرب حافى القدمين (١) وحصل لعسكره جزع وخوف مما أصاب سيدهم وهربوا بانكسار تام أمام هؤلاء الجماعة القليلة التى لم تخضعهم

(١) وأخذ مهدى قلى يعدو بعيداً عن مسكنه المحترق وولج الريف تحت الثلوج فى ظلام الليل الدامس وعند الفجر أصبح فى مضيق غير معروف تائهـا فى الاماكن الموحشة ولم يبعد عن مكان المعركة إلا بنحواثنين كيلو وكان يسمع قصف المدافع من الارياح الهابة . وقابله على هذه الحالة المحزنة مازندرانى ممتطيا جوادا شديدا ولم يكن يعلم ماذا يصيبه . فعرفه المازندرانى وترجل من جواده وأركبه ودله على الطريق وقاده إلى منزل أحد المزارعين وأدخله فى الاسطبل ولم يكن مثل هذا المنزل بالحقير فى بلاد الفرس . وأثناء ما كان البرنس يأكل ويستريح امتطي المازندرانى جواده وذهب وأخبر العسكر بأن البرنس حى وفى صحة جيدة ومكان أمين ثم أحضرهم عنده جماعة جماعة حتى أصبح المازندرانى عنده جم غفير منهم . ولو كان البرنس من ذوي النفوس العالية الذين لاتزعزعهم الحوادث لاستعاد موقفه وعاد إلى معسكره ولا عتبر ان انكساره فى الليلة الماضية كان نتيجة مباغتة ومع ذلك فان البابية كانوا قد رجعوا إلى قلعتهم ولم يبق منهم أحد خارجها فكان يمكنه أن يتمكن من المقاومة ولو ظاهرا إلا أنه بسبب ضعف روحه لم يستطع الثبات وإذ رأى أن الأنظار متجهة له خرج من الاسطبل وهرع إلى قرية قاضي كالا ومنها أسرع للعودة إلى ساري وفى كل مكان كانت توجد الرؤس المقطوعة وكان هذا السلوك من ابن الشاه (شاهزاده) قد زاد فى مخاوف الاهالى منذ مباغتة وسكس فارتعب الأهالى وخرجوا من مساكنهم هم وأولادهم وهرعوا زرافات مشتتين وكانوا يسيرون إلى البرارى فى داماوندومعهم أولادهم ونساؤهم معرضين للاخطار رغما عن رداءة الطقس ونتج كل ذلك من جراء سلوك البرنس فبق دخل الرعب فى قلوب أهالى أسيا خسروا كل شىء .
(من كتاب السكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٦٩ — ١٧٠)

الجحافل الكثيرة ولا الأموال الجسيمة التي وضعتها الحكومة تحت تصرفهم (١)

وأثناء جولان المنتصرين خلال مسكن البرنس في المعسكر حاول أثنان من البرنسات (٢) الهجوم على الاصحاب ولكنهما وقعا قتيلين وأثناء البحث في غرفة البرنس الخاصة عثر المؤمنون على صناديق مملوءة بالذهب والفضة ولكنهم لم يمسوها ولم يأخذوا من كل ما وجدوه سوى صندوق من البارود وسيف للبرنس كعلامة للأنتصار وسلموه للملاّ حسين ولم يعبأ الاصحاب بالأثاث الفاخر الذي تركه صاحبه يائسا . ولما أخذوه للملاّ حسين وجدوه قد استبدل سيفه بسيف القدّوس حيث أن سيفه كان قد تعطل من مقذوف أثناء مقاتلته للعدو .



قرية أفرا

وبينما كانوا يفتحون أبواب السجن الذي كان تحت يد الأعداء سمعوا صوت الملاّ يوسف الاردبيلي الذي وقع أسيراً وهو عائد إلى القلعة . وكان قد هزل بين المسجونين . وتوسط هو بدوره بطلب الافراج عن أقرانه الذين قاسوا معه ألم السجن فأطلق سراح الجميع حالا .

(١) وحصل الهرج في جيشه وتشتت في برهة قصيرة من هجوم ثلثماية من البابيين من أصحاب الملا حسين. أفليس هذا من تأثير سيف الله وجدعون (كتاب الأديان والفلسفة في أواسط آسيا صحيفة ١٦٧)

(٢) وذكر جوبينو في كتابه السابق صحيفة ١٦٧ أنهم كانوا سلطان حسين ميرزا أبن فتح على شاه وداود ميرزا ابن ظل السلطان عم الشاه وزاد المسيو نقولاس في كتابه (السيدعلى محمد الباب صحيفة ٣٠٨) اسم المستوفى ميرزا عبد الباقى

وفى صباح ذلك اليوم الذى تم فيه هذا النصر جمع الملاّ حسين أنصاره حول القدوس فى نواحى وسكس وكان ممتطيا جواده ومنتظراً لهجوم جديد من الأعداء ، وبينما كان يلاحظ حركاتهم فوجىء بهجوم جديد من جهتين من جيش جرار فقام جميع الأصحاب وصاحوا (يا صاحب الزمان) وصدوا الهاجمين ، وهمز الملاّ حسين جواده مسرعا من ناحية وكذلك القدوس فى ناحية أخري وتبعهم الأصحاب فمالت الكتيبة التى كانت تحارب الملاّ حسين الى الناحية الأخرى وولت الأدبار منضمة الى باقى الجيش حيث أحاطوا بالقدوس وباقى الأصحاب وأطلقوا عليهم ألف رصاصة أصابت احداها القدوس فى فمه وكسرت بعض أسنانه وجرحت لسانه وحلقه وكان الصوت المرتفع الناتج من اطلاق الألف رصاصة قد دوى على بعد ١٠ فراسخ وعلم به الملاّ حسين الذى أسرع لانقاذ اخوانه . وما كاد يصل الى ناحيتهم حتى ترجل من جواده وسلمه لخادمه قنبر على وأسرع نحو القدوس فلما شاهد الدماء تقطر من فم رئيسه المحبوب بغزارة حصل له فزع كبير ورفع يديه ليضرب بها رأسه ولكن القدوس منعه فأطاعه حالا ورجاه أن يستلم منه سيفه فأخذه واستله للحال وأخذ يضرب فى الأعداء المحيطين به ويتبعه مماية وعشرة من الأصحاب . وكان قابضاً على سيف رئيسه فى يد وسيف عدوه فى اليد الأخرى هاجماً على الأعداء ودارت معركة حامية بينه وبينهم حتى انه أخيراً وفى ظرف ثلاثين دقيقة نجح فى تشتيت العدو وألجأه الى الهرب بعد أن أظهر بسالة ومقدرة فائقة .

وتمكن الملاّ حسين بعد انتصاره على عدوه واندحار جيش البرنس مهدى قلى ميرزا بالذلة أن يعود هو والجماعة الى القلعة لاصلاحها وأعادوا اليها القدوس جريحا وبحالة يؤسف عليها ولكنه كتب أمراً إلى الأحباب الذين كانوا يبكون أن يكفوا عن بكائهم وبتأثير كلماته المفرحة أزال حزنهم وكتب لهم (علينا أن نرضى بارادة الله وأن نكون ثابتين فى ساعة الامتحان فقد كسرت رباعية الرسول من حجر من يد أعدائه وكذلك وقع لى مثل ذلك من رصاص العدو . ولو ان جسمي يتألم ولكن روحي مستبشرة متنعمة بالسرور وشكرى لله لا حد له. وان كنتم تحبونى فلا تحجبوا عنى هذا السرور بمنظر التأوه والحزن.

وكان حصول هذه الحادثة فى الخامس والعشرين من شهر محرم سنة ١٢٦٥ هجرية وفى مستهل ذلك الشهر نفسه قام بهاء الله بوفاء ما وعد به للملاّ حسين وخرج من نور الى قلعة طبرسي مع عدد من أصحابه . وكان بين الذين رافقوه الميرزا جانى الكاشانى والملاّ باقر التبريزى

أحد حروف الحى وميرزا يحيى أخوه واظهر بهاء الله رغبته أن يسافروا فورا الى المقر المذكور وأن لا يسمحوا لأنفسهم بالانتظار والاستراحة أثناء السفر . وكان غرضه وعزمه الوصول الى المكان المعهود ليلا لأن الأوامر صدرت من عبد الله خان منذ أن استلم القيادة أن تكون القلعة تحت الحصار فلا يصلها أى مدد ولا تسدى اليها أى معونة وجعل حرساً شديداً على الطرق الموصلة اليها ولكن أصحاب بهاء الله أجبروه على قطع المسافة والاستراحة بضعة ساعات وأخيراً رضخ لالحاحهم الشديد مع علمه ان التأخير فيه خطر اطلاع العدو ووقوفه على أمرهم فنزلوا فى منزل منعزل على جانب الطريق. ورقد الأصحاب بعد تناول العشاء وبقى وحده متيقظاً رغم المصاعب التى تحملها وهو عالم بالمخاطر التى يتعرض لها مع



قرية شيركاه

أصحابه من ذلك التأخير وكان يرجو من مواصلة السير الاسراع فى الوصول الى القرية مبكراً.

وبينما كان مترقبـاً بجانبهم أطلع الجواسيس على أمرهم وأصدروا للحراس الأمر بالقبض عليهم وضبط جميع مامعهم وقالوا لبهاء الله الذى عرفوه بانه رئيس الجماعة (وصلتنا أوامر مشددة للقبض على كل شخص نقابله فى هـذه الجهة ونرسله إلى آمل ونسلمه ليد الحاكم . فاجاب بهاء الله (ان الامر اشتبه عليكم لانكم تجهلون أمرنا وانى أنصحكم أن لاتفعلوا ماقد تندمون عليه) وأثرت هذه النصيحة التى أسداها لهم بكل هدوء وسكينة فى رئيس الحراس حتى الجأته أن يعامل بالأدب والاحترام المقبوض عليهم وأمرهم أن يركبوا خيولهم ويسيروا معه إلى آمل . ولما اقتربوا من شواطىء احدى الأنهار أمر بهاء الله جماعته باشارة منه أن يقذفوا فيه كل مامعهم من المخطوطات وكانوا وقتئذ يسيرون بعيداً عن الحراس

ولما اقتربوا فى الصباح من المدينة ذهب رسول ممن سبق الحرس فى السير وأخبر الحاكم المنتدب بأمر وصول جماعة مقبوض عليهم وجدوا فى الطريق الموصل إلى قلعة طبرسي . أما الحاكم الاصلى فقد انضم مع حاشيته ورجاله إلى جيش البرنس مهدى قلى ميرزا ولذلك ندب أحد اقربائه للعمل مكانه مدة غيابه . وما كادت تصل الرسالة لذلك الاخير حتى ذهب إلى مسجد آمل وطلب العلماء والأسياد المشاهير للاجتماع فيه ومقابلة المقبوض عليهم . ولكن لما وقع نظره على بهاء الله حصلت له دهشة وتأسف تأسفا بالغا على صدور الامر منه . وتظاهر أنه يوبخه على العمل الذى أتاه آملا فى تهدئة الخواطر وتخفيف وطأة الذين حضروا واجتمعوا فى المسجد فقال بهاء الله (نحن برآء من التهم التى تلصقونها بنا وان براءتنا ستتضح أخيراً أمام أعينكم وانى أنصح الحاكم أن لايعمل مايجلب له الندم فيما بعد) . فطلب الحاكم من العلماء أن يسألوه فى أى أمر ارادوا فكان بهاء الله يجيبهم بكل وضوح وبيان وبينما كانوا يستجوبونه عثروا مع أحد الاصحاب على كتاب خطى من كتابات الباب فقدموه إلى رئيس العلماء وما كاد يقرأ بعض فقرات منه حتى وضعه جانبا والتفت إلى من حوله وصاح قائلا (ان هؤلاء الجماعة الذين يتغالون فى دعوتهم قد ابانوا فى الفقرة التى قرأتها عن جهلهم بابسط قواعد الهجاء . فاجاب بهاء الله (أيها العالم المحترم ان هذه العبارات التى تنتقدها ليست من كلمات الباب بل هى صادرة من الامام على أمير المؤمنين فى جوابه لكميل بن زياد الذى اختاره صاحبا له)

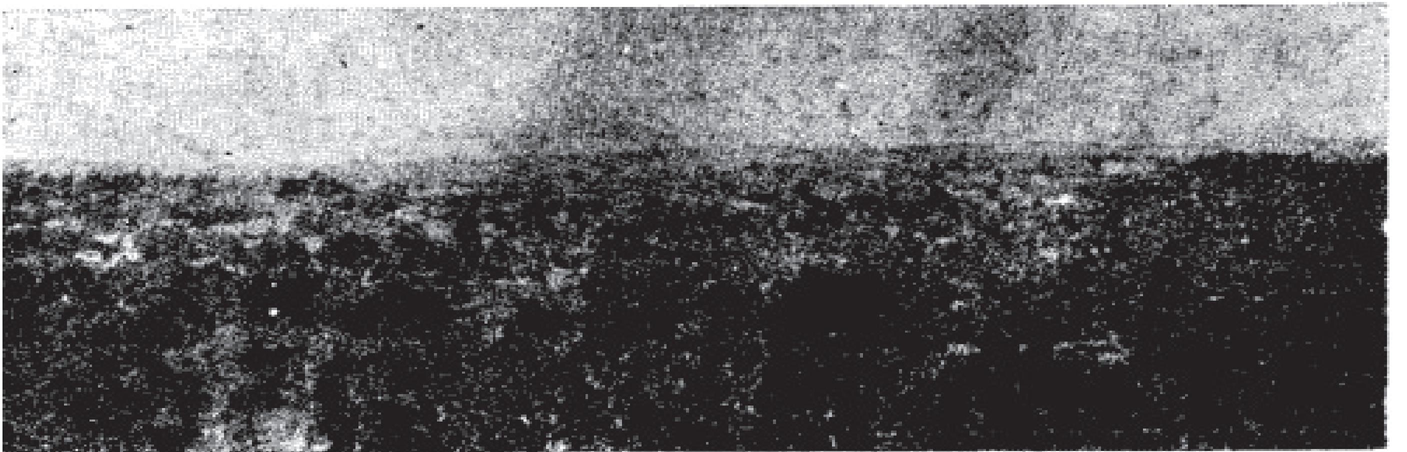
وكانت الطريقة التى وضح بها بهاء الله الموضوع وما لابسها من الظروف قد اقنعت ذلك المجتهد العاتى وعرفته جهله وحمقه ولما عجز عن الرد على جوابه السديد ظل ساكتا . فتداخل سيد من الاشراف غاضبا وقال (ان هذه العبارة تدل دلالة صريحة على أن واضعها بابى لا أقل ولا اكثر فهى صادرة من مفسري مذهبهم . وألحّ بلهجة حازمة باعدام الإصحاب وقال (ان أمثال هؤلاء أعداء الحكومة وأعداء الاسلام وعلينا على أى حال أن نمحوا هذه البدعة) وساعده فى حكمه أسياد آخرون . وإذ تشجعوا بما صدر من الشتائم فى هذا الاجتماع اصروا على أن ينفذ الحاكم بدون توان حكمهم فحصل ارتباك كبير للحاكم المنتدب ورأى أنه لو أظهر أى تسامح من جانبه فانه يكون معرضا لاخطر النتائج فيما يختص بسلامة موقفه فاجتهد ان يصد النزعات الثائرة فى صدور العلماء وأمر اتباعه أن يحضروا



قرية ريزآب



قرية فيروزكوه



قرية وسكس

الجلدة لايقاع عقاب لايق على المقبوض عليهم وقال (سنحبسهم بعـد ذلك حتى يعود الحاكم ليرسلهم إلى طهران وهناك يتوقع عليهم العقاب اللائيق بهم من يد المليك. وكان أول من ضرب بالجلدة الملاّ باقر فصاح قائلا (أنا لم أكن الا سائساً عند بهاء الله وكنت ذاهبا في طريقي إلى مشهد فقبضوا عليّ فجأة وأحضروني هنا) فتداخل بهاء الله ونجح في منع مضطهديه من ضربه وكذلك تداخل في مسألة حاجي ميرزا جاني . وقال لهم (هو تاجر كان في ضيافتنا) . وكذلك تركوا ميرزا يحيى إذ قال لهم بهاء الله انه خادمه ثم أشار إلى الحاكم المنتدب قائلا (انه لم يكن أحد من هؤلاء الرجال مقترفا لاى ذنب واذا صممت على العقاب فانى مستعد لان أتحمله وحـدى وبرضاى) فاضطر الحاكم المنتدب بعد تردد أن يصدر امره ان لايوقع العقاب الاعلى بهاء الله وحـده رغم أنه كان يقصد ايقاعه فى اصحابه دونه (١)

وتحمل بهاء الله من يد علماء آمل المجتمعين نفس الاضطهاد الذى أصاب الباب فى تبريز منذ خمس أشهر سابقة وكما كان أول حبس للباب من يد اعدائه فى منزل عبد الحميد خان رئيس الشرطة فى شيراز كذلك كان أول حبس لبهاء الله فى منزل كدخدا طهران وكما كان حبس الباب الثانى فى قلعة ماه كو كذلك كانت اقامة بهاء الله الخاصة فى منزل حاكم آمل . وكما ضرب الباب فى نماز خانة شيخ الاسلام فى تبريز كذلك ضرب بهاء الله فى نماز خانة مجتهد آمل . وكما كان حبس الباب الثالث فى جهريق كذلك حبس بهاء الله فى سياه شال(٢) من اعمال طهران . وكان الباب يقصد من سبق تحمل جميع هذه الآلام على آلام بهاء الله أولا وفى جميع الأحوال فداء محبوبه من المخاطر التى ربما تودي بحياته الغالية بينما كان بهاء الله لايرضى أن يـكون حبيبه الاعظم متحملا وحده الآلام بغير أن يشاركه فى كل كأس شربه . فلم تر العيون شبها لمثل هذا الحب المتبادل . ولم يشعر قلب بمثل هذا الاخلاص المشترك. ولو أن كل مافى العالم من شجرة اقلام وكل البحور مداد وكل

(١) ياشيخ قد ورد على هـذا المظلوم مالم يكن له شبه ولا مثيل وتحملنا كل ذلك بكمال التسليم والرضا لاجل تهذيب النفوس وارتفاع كلمة الله . ولما كنا فى السجن فى أرض الميم (مازندران) سلمونا ذات يوم ليد العلماء وبعد ذلك فان ماحصل منهم لنا مما لانقدر أن نتصوره (لوح ابن الذئب صحيفة ٥٧)

(٢) معناه الحفرة السوداء

السموات والارضين مطوية فى سجل واحد لن تقدر أن تصف ذلك الحب المزدوج بل يبقى سرا غير مكشوف ولا يصل احد إلى قرار ذلك الاخلاص المشهود

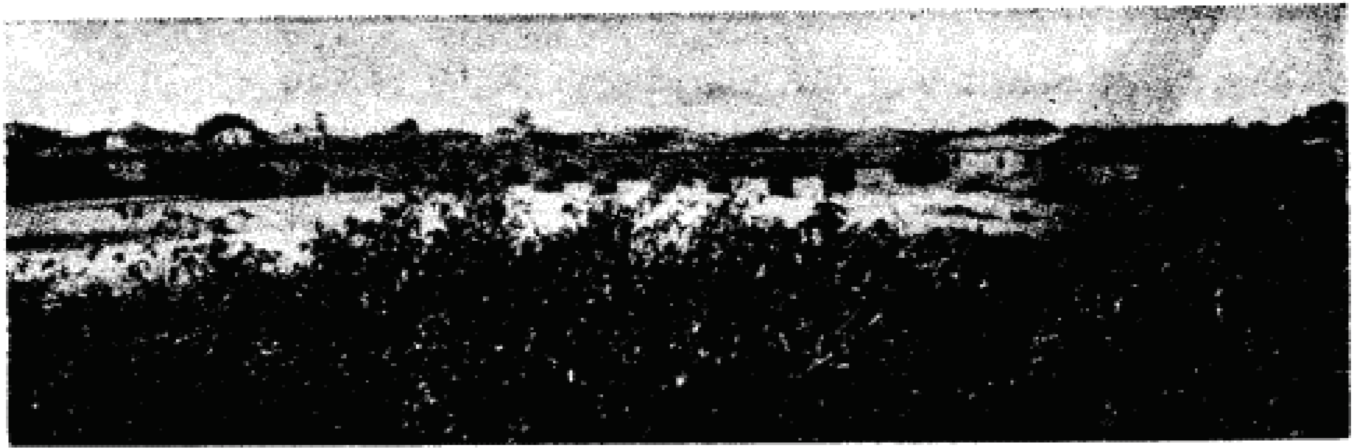
وبقى بهاء الله واصحابه محبوسين مدة فى احدى الغرف التى يتكون منها المسجد وأراد الحاكم المنتدب أن يحفظ المسجون من هجوم العدو اللدود فأمر لذلك اتباعه سراً أن يحدثوا ثغرة فى حائط الغرفة التى حبس فيها الاتباع ثم انتظره عندها وأخرجه منها. وبينما كان يقوده إلى منزله ظهر فجأة سيد من العلماء ووجه له احط أنواع الطعن ورفع عصاه ليضربه فتداخل الحاكم المنتدب فى الحال وحال بنفسه دون وقوع الضرب والتفت إلى السيد المهاجم واستحلفه برسول الله أن يقصر يده فانبري له السيد قائلا (كيف ذلك ؟ وهل تجرأ أن تخلص رجلا هو الد اعداء دين ابائنا) . وفى الاثناء اجتمع حوله لفيف من الغوغاء وزادوا صياحا وضجيجاً وسخرية واستهزاء فاشتد بذلك الهياج الذى اثاره ذلك السيد ورغما عن ازدياد الهرج والاضطراب فان اتباع الحاكم المنتدب تمكنوا من ايصال بهاء الله سالما إلى منزل سيدهم واظهروا بهذه المناسبة شجاعة ورويّة جديرين بالاعجاب .

ورغما من احتجاج الغوغاء أخذ باقى المسجونين إلى مقر الحكومة وبذلك نجوا من المهالك التى كانوا معرضين لها . واظهر الحاكم المنتدب اعتذارات عديدة لبهاء الله للقسوة التى قابله بها أهالى آمل وقال (لولا تقدير الله ما كان يمكن لاى قوة أن تخلصك من ايدى هؤلاء الطغاة . ولولا اليمين الذى اقسمته لأن اخاطر بحياتى لاجلك ما كنت أنا ايضا اقدر أن انجو من شرورهم بل كنت اقع فريسة لهم مدوسا تحت الاقدام .) وكان يشكو مرّ الشكوى من سلوك اشراف آمل العاتى وذم انحطاط اخلاقهم وصرح بأنهم يؤذونه دائما بتدابيرهم الشريرة . واستمر على خدمة بهاء الله بالاخلاص والشفقة وكثيرا ما كان يسمع منه اثناء محادثته مع بهاء الله (انا بعيد عن أن اعتبرك مسجونا فى منزلى وانى اعتقد أن هذا المنزل لم يبن الا بقصد ايوائك من تدابير اعدائك)

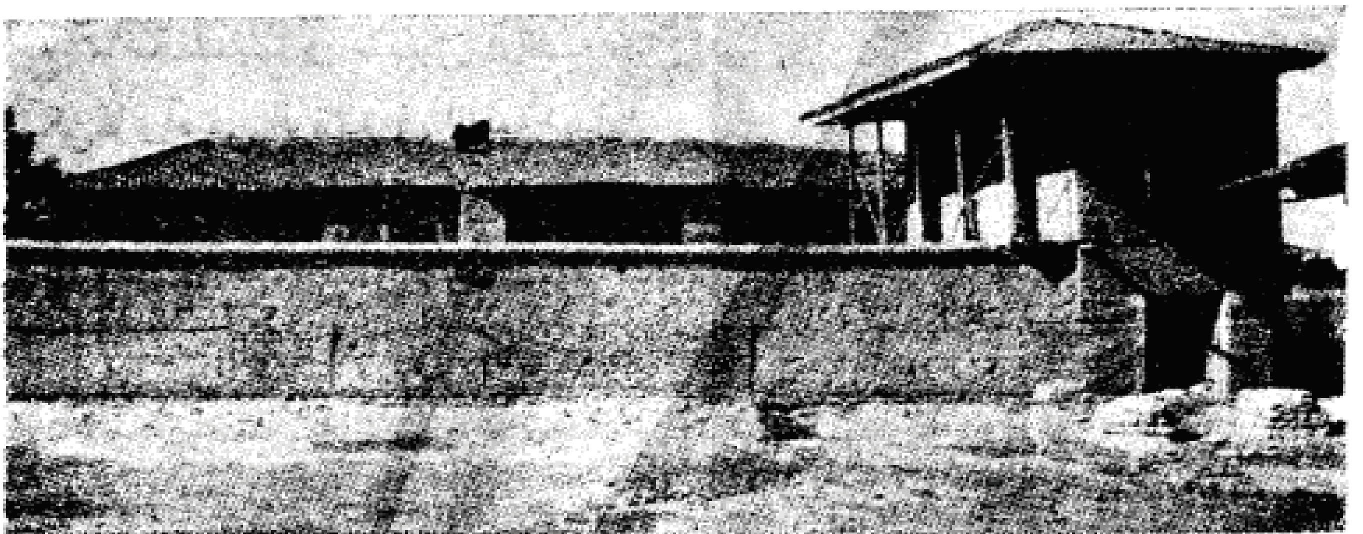
وسمعت بهاء الله نفسه يحكى ما يأتى (لم يسمح لاى مسجون غيرى بأن يعامل بالمعاملة التى لقيتها من وكيل حاكم آمل فكان يعاملنى بمنتهى اللطف والاحترام وكثيرا ما كان يحادثنى ويحرص جدا على ما يضمن راحتى وسلامتى إلا انى كنت غير قادر على مغادرة باب المنزل . وكان شديد الخوف من ايقاع الأذى بى عند عودة الحاكم (الذى هو قريب عباس قلى خان اللاريجانى) من قلعة

طبرسى فكنت أجتهـــد أن أنفى عنه هذا الوهم . وأكدت له قائلا(ان نفس القدرة الألهية التى خلصتنى من أيدي أشرار آمل والتى جعلتنى أعامل بهـذا الكرم فى منزلك هى التى تقلب قلب الحاكم وبجعله يعاملنا بالاحترام والمحبة الشبيهة بها .)

وذات ليلة استيقظنا على أصوات الذين اجتمعوا على باب المنزل . وكان أصحابنا ينتظرون هجوما جديداً فلما فتح الباب وأعلن رجوع الحاكم إلى آمل تعجب هؤلاء الاصحاب لأنهم سمعوا الحاكم يوبخ الذين اضطهدونا من أول يوم وصولنا فكان يقول لهم بصـــوت عال موبخا (لأى داع يختار هؤلاء الأشرار أن يعاملوا بالقسوة ضيفاً مغلول الأيدى لم يتمكن من الدفاع عن نفسه . وما هو المبرر الذى جعلهم يحكمون عليه



منظر آمل



منزل حاكم آمل

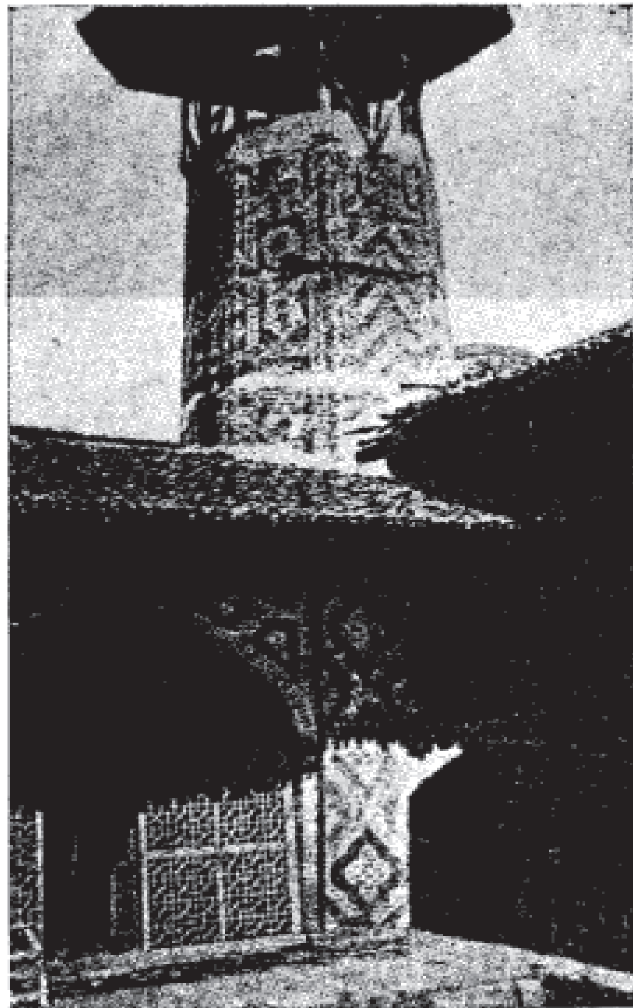
بالأعدام فوراً . فما هو الدليل الذى أتوا به لتثبيت ادعائهم . ولو كانوا صادقين فى ادعائهم بانهم حماة الأسلام والمتمسكين باحكامه فليذهبوا إلى قلعة الشيخ طبرسي وهناك يظهرون



علامة × تدل على مكان الثغرة التي عملت في حائط المسجد

قوتهم في حماية الدين الذي يدعون الدفاع عنه .)

وكان قلب وعقل حاكم آمل قد تغيرا مما شاهده من شجاعة المدافعين في القلعة ولذلك رجع مملوءا بالاعجاب للأمر الذي كان يحتقره أولا والذي كان يمانع ممانعة شديدة في سبيل ترقيه . ولكن ما رآه من الوقائع في القلعة أبدل غضبه وأذل كبرياءه . فذهب إلى بهاء الله بغاية الخشوع والاحترام واعتذر عن القسوة والشدة التي تحملها من سكان هذه البلدة . وكان يخدمه بكل خضوع متجاهلا مقام نفسه ووظيفته وكان يمتدح الملاّ حسين مدحاً فائقاً ويسهب في ذكر مواهبه ومهارته وبسالته وكرامة نفسه . وبعد بضعة أيام عمل ترتيبا لنقل بهاء الله وأصحابه لطهران .



مناظر مسجد آمل

وعلى هذا النحو لم تتحقق رغبة بهاء الله فى الانضمام إلى المدافعين فى قلعة الشيخ طبرسى . فمع أنه كان شديد الرغبة فى اسداء كل ما يمكن من المساعدة للمحصورين فانه بتقدير إلهى خلص من النصيب المحزن الذى كان قريب الوقوع على المشتركين فى هذا النضال التاريخى ولو تمكن من الوصول الى القلعة وسمح له أن ينضم إلى أعضاء هذه الفئة من الأبطال فما كان يمكن أن يظهر بدوره فيما قدر له فى هذا الأمر العظيم وما كان يقدر أن يتم ذلك العمل الجليل الذى انجزه بهذه العظمة وأسسه بهذه المهارة . ولقد كان فى ريعان شبابه وربيع حياته اذ وصلته الدعوة من شيراز وفى سن السابع والعشرين قام وخصص حياته لخدمة الأمر وبدون خوف اشترك فى تعاليمه وامتاز بانه المثل الاعلى فى نشره . وقصرت كل همة عن همته فى ذلك وكل تضحية عن الاخلاص الذى أوحي به اليه فاطرح كل اعتبار للشهرة والثروة والمقام لأجل تنفيذ العمل الذى عزم بقلبه على احيائه . ولم يجد فى تعنيف الأصحاب ولا تهديد الأعداء ما يثنيه عن عزمه على الدفاع عن أمر يعتبره الجميع أنه خاص بفئة ضالة كافرة .

وكان أول حبس تعرض اليه نتيجة مدّ يد المساعدة الى أسراء قزوين ثم قدرته على انقاذ الطاهرة. والطريقة المثلى التى ساس بها الأمور أثناء الشغب الحاصل فى أعمال بدشت والطريقة التى انقذ بها حياة قدّوس فى نيالا والحكمة التى عالج بها المشكلة الدقيقة التى تسببت عن سورة غضب الطاهرة والاحتياط التى اتخذه فى حمايتها والنصائح التى أداها للمدافعين فى قلعة طبرسى والخطة التى عزم على تنفيذها فى الانضمام الى قوات القدوس وملاّ حسين ورفقائه والتطوع الذي قام به فى مساعدة مجهودات هؤلاء المدافعين الأبطال والعظمة التى جعلته يفدى أصحابه ويقدم نفسه للجلد والاهانات بدلا عنهم والسكوت الذى تحمل به والقسوة التى عومل بها فى حادثة الشروع فى اغتيال حياة ناصر الدين شاه والبلايا التى صبت عليه فى طريقه من لاواسان إلى معسكر الجيش الملكى ومنه إلى العاصمة وثقل الاغلال المروعة التى تحملها بينما كان فى ظلمات سجن سياه شال فى طهران كل هذه لم تكن إلا بعض أمثلة تشهد باجلى بيان عن المقام الأوحد الذى تفرد به بصفته المحرك لجميع القوي التى قلبت وجه موطنه وكان هو المحرك الذى أطلق قيود هذه القوى وأدار دفتها ونظم أحوالها ورفعها إلى مكانتها العليا فى الأمر الذى كان موكولا اليه أن يكون مظهر وحيه فيما بعد

الثامن من شهرربيع الأول(١) فقال الملاّ حسين لأصحابه وهويشاهد إتمام عملهم(سيكون اليوم عندنا ماء كاف لاستحمامنا . ونطهر من كل الأدران الأرضية ونسرع إلى مقرنا الأبدى فى ساحة القدير ومن شاء أن يشرب من كأس الشهادة فليستعد وينتظر الساعة التى يقدر أن يختم بها حياته ليسفك دمه لأجل دينه ففى هذه الليلة قبل الفجر كل من يريد أن ينضم لى فليستعد للخروج من خلف هذه الحوائط لنشتت مرة أخرى جموع الظلام التى اعترضت طريقنا ونصعد إلى مكان العز مكرمين)

وفى عصر ذلك اليوم توضأ الملاّ حسين وارتدى ملابسه الجديدة وزين رأسه بعمامة الباب واستعد للقتال الآتى وكان وجهه يضىء بفرح لامزيد عليه وكأنما يشير الى ساعة فراقه واستمر لآخر لحظة يحرض أصحابه ويذكى فيهم الحماس . واختلى مع قدّوس الذى ذكّره بمحبوبه وشجّعه وأفضى اليه وهو جالس تحت أقدامه وفى أواخر ساعات حياته بكل ما أوتيه من كشف روحى وبعد انقضاء معظم الليل واقتراب ظهور نجمة الصباح التى بشرته بنور فجر الاجتماع الأبدى بمحبوبه نشط على قدميه وامتطى جواده وأعطى الاشارة لفتح باب القلعة وركب خارجاً هو وثلثماية وثلاثة عشر من أصحابه للقاء عدوه وصاحوا جميعاً (ياصاحب الزمان) فكانت الصيحة شديدة وقوية وسط الغابة والقلعة تردد صداها برنين عظيم وهجم الملاّ حسين على الاستحكام الأول الذى كان يدافع عنه زكريا قادى كالائي أحد فرسان الأعداء من الضباط . فاخترقه فى وقت قصير وقتل صاحبه وشتت شمل رجاله . وهكذا هجم على الثانى والثالث واخترقهما بسرعة وبسالة وكلما تقدم وقع الرعب بين صفوف الاعداء وحل فيهم اليأس والذعر وأخذتهم الدهشة فلم يعقه ما انصبّ عليه وعلى أصحابه من وابل الرصاص واستمروا حتى اخترقوا باقى الاستحكامات ودمروها . وفى وسط المعمعة التى تلت ذلك تسلق عباس قلى خان لارجانى شجرة وأخفى نفسه بين أغصانها وانتظر مختبئا مجيء منازليه . واذ احتمى فى الظلام الذى أحاط به تمكن من مراقبة حركات الملاّ حسين وأصحابه الذين كانوا معرضين لضوء المشاعل التى اشعلوها . وكان جواد الملاّ حسين قد عثر فى حبل مربوط فى احدى الخيام المجاورة وقبل ان

(١) أول فبراير سنة ١٨٤٩ ميلادية



الشجرة التى أصيب منها الملا حسين بمقذوف

يتمكن من تخليصه اصابته رصاصة فى صدره من عدوه الخائن . ومع أن الضربة كانت صائبة إلا أن عباس قلى خان كان غير عالم بالفارس الذى اصابه وترجل من جواده ملاّ حسين حيث كان جراحه يدمى كثيرا وتقدم بضعة خطوات ثم وقع على الارض منهوك القوى (١) وجاء لنجدته اثنان من أصحابه الشبان من أهالى خراسان وهما قلى وحسن وحملاه الى القلعة .

وسمعت الرواية الآتية من ملا صادق وملاّ ميرزا محمد فروغى قالا (كنا ضمن الذين بقوا فى القلعة مع القدوس وبمجرد دخول الملاّ حسين أمرنا بالخروج لأن الملاّ كان قد أغمى عليه وقال القدّوس (اتركوني معه وحدي) وأمر مرزا محمد باقر أن يغلق الباب ولا يسمح بدخول أحد وقال له (ان هناك أموراً سرية أريد أن أعلمه وحده بها) فدهشنا ومكثنا لحظة قصيرة ثم سمعنا صوت الملا حسين يجيب على أسئلة القدوس وتحادثا معا مدة ساعتين . ثم أخذنا العجب إذ رأينا مرزا محمد باقر متهيجا . ثم قال لنا فيما بعد (انى كنت الاحظ القدوس من ثقب الباب وبمجرد أن سمع اسمه رأيت الملاّ حسين قام وجلس حسب عادته راكعا بجانبه وكانت رأسه منحنية وعيناه تتجهان للاسفل وهو يستمع لكل كلمة تخرج من فم القدوس ويجيب على اسئلته وسمعت قدّوس يقول له (لقد أسرعت ساعة فراقك وتركتنى لرحمة أعدائى فلا يمضى وقت كبير حتى ان شاء الله ألحقك واجتمع بك واتذوق حلاوة النعم الالهية التى تفوق

(١) ولما جرح رئيس البابية لم يأل جهدا فى اصدار الاوامر للهجوم حتى اذا علم بان المقصود تم أمرهم بالعودة وبقى هو فى المؤخرة (الكونت جوبينو كتاب الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صفحة ١٧٤)

الوصف) وتمكنت من سماع رد الملاّ حسين بقوله (افديك بحياتى هل أنت راض عنى)

ومضى وقت غير قصير قبل أن أمر قدّوس ميرزا باقر بأن يفتح الباب ويدخل الاصحاب فقال قدّوس (لقد ودعته الوداع الاخير وشاركته فى الامور التى لم يكن مصرحا بالنطق بها من قبل) ووجدنا الملا حسين قدتوفى وكانت تبدو على وجهه ابتسامة لطيفة وكان السلام سائدا على وجهه حتى كأنه كان نائما . وحضر قدوس دفنه ولفه فى قميصه وأمر بوضعه فى الجهة الجنوبية الملاصقة لضريح الشيخ طبرسى (١) وبينما كان يقبله فى وجهه وعينيه قال (طوبى لك بما ثبتّ على ميثاق الله وعهده لآخر لحظة من حياتك. أرجو الله أن لايجعل بينى وبينك حائلا أبدا) وكان يتكلم بحرقة حتى ان السبعة أصحاب الذين كانوا حوله بكوا بكاء مرّاً وودوا لو كانوا فدوه بأرواحهم بدلا منه . ووضع قدّوس الجسد فى القبر بيده . وأمر الذين كانوا بالقرب منه أن يكتموا محل دفنه ويخفوه حتى عن الأصحاب . وحذرهم من كشفه ثم أمرهم فيما بعد بدفن الستة وثلاثين شهيداً الذين وقعوا فى تلك المعركة فى الجهة البحرية من الضريح فى قبر واحد وبينما كان يضع جثثهم فى القبر كان يقول (ليعتبر أحباء الله بمثال هؤلاء الشهداء فى ديننا فليكونوا فى حياتهم متحدين كاتحاد هؤلاء فى مماتهم)

وكان عدد الجرحى لايقل عن تسعين من الأصحاب فى تلك الليلة . فمن وقت حضورهم من بارفروش ومن أول يوم هوجموا فيه فى بادىء الأمر وهو الواقع فى ١٢ ذى القعدة سنة ١٢٦٤ هجرية (٢) الى يوم وفاة الملاّ حسين فى التاسع من ربيع الأول سنة ١٢٦٥ هجرية ساعة الفجر (٣) كان عدد الشهداء حسب تعداد ميرزا محمد باقر قد بلغ اثنين وسبعين وكان عدد الأيام من يوم أن هوجم الملاّ حسين من أعدائه ليوم استشهاده ماية وستة عشر يوما وهى مدة مفعمة بالوقائع والأعمال التى بلغت فيها الشجاعة إلى حد أن اعدى الأعداء اضطروا للاعتراف بها وللدهشة من قوتها. وفى أربع

(١) وكانت رفات الملا حسين مدفونة فى الغرفة الداخلية من ضريح الشيخ طبرسى ووضعت هناك بمعرفة وأمر الملا محمد على بارفروشى بأيدى أقرانه الحزانى بكل اجلال فى مستهل سنة ١٨٤٩ ميلادية (مقالة سائح حاشية فى صحيفة ٢٤٥)

(٢) ١٠ اكتوبر سنة ١٨٤٨ ميلادية

(٣) ٢ فبراير سنة ١٨٤٩ ميلادية

مرات بلغ الملاّ حسين أقصى ذروة الشجاعة والبسالة التى لا يبلغها مثله إلا قليل وكانت أول معركة وقعت فى ١٢ ذى القعـدة فى جوار بارفروش(١) . والثانية فى جوار قلعة الشيخ طبرسى فى الخامس من محرم(٢) ضد قوات عبد الله خان التركمانى والثالثة فى وسكس فى الخامس والعشرين من محرم(٣) وكانت ضد جيش البرنس مهدي قلى ميرزا وآخرهاوأهمها كانت ضد قوات عباس قلى خان والبرنس مهدى قلى ميرزا وسليمان خان افشار مجتمعين ويساعدهم ٤٥ ضابطامدربين بمهارة ومقدرة تامة. وكان الملاّ حسين يخرج من جميع هذه المواقع الحامية الوطيس ظافراً رغم احتشاد القوات والجحافل العظيمة المنظمة ضده وكان فى كل معركة يظهر من الشجاعة والبسالة والمهارة والقوة أنواعا وأشكالا تكفى كل واحدة منها لاثبات طبيعة الدين الفائق الذى قام لحمايته وجاهد لأجله بمثل هذه البسالة الى أن استشهد فى سبيله بعزة تامة . وكانت علائم النجابة وحسن الخلق بادية عليه منذ صباه مع اتساع دائرة علمه وتمسكه بالدين وفروسيته واخلاصه فى مقاصده وعلو كعبه فى الانصاف وثباته فى يقينه . فهذه الصفات ميزته وجعلت له شخصية بارزة بين الذين شهـــدوا لعظمة وقوة الدين الجديد بتضحية أرواحهم . وكان عمره ستة وثلاثين عاما وقت أن شرب كأس الشهادة وكان له من العمر ثمانية عشر سنة وقت أن تعرف فى كربلاء بالسيد كاظم الرشتى وجلس تحت أقدامه مدة تسع سنوات يتلقى عليه من الدروس ما أهـّله للاستعداد لقبول رسالة الباب وصرف باقى سنى حياته التسع وسط معمعان المجهودات الواقعة فى الملاحم الحماسية التى أوصلته أخيراً الى ميدان الشهادة بظروف وحوادث لا تبلى بهجتها ولا تنقص أنوار اشراقها على مرور الأيام فى تاريخ بلاده (٤).

(١) ١٠ اكتوبر سنة ١٨٤٨

(٢) أول ديسمبر سنة ١٨٤٨

(٣) ٢١ ديسمبر سنة ١٨٤٨ ميلادية

(٤) وكان من بينهم الملا حسين الذى كان محل اشراق شمس الظهور ولولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته وما استقر على كرسى صمدانيته (إيقان صحيفة ١٨٨)

وكان نحيفا فى الجسم عسكريا باسلا ومحبا لله حبا خالصا جمع بين الصفات والخصائص التى قلما توجد متحـدة فى شخص واحد من الارستقراطية الروحانية (الدكتور شين اتحاد الأمم والاديان صحيفة ٨٣)

وكان انهزام العدو تاما واندحاره مخجلا بدرجة شلت حركاته ولم يتمكن من جمع قواته المشتتة وتجديد هجومه إلا بعد مضى خمس وأربعين يوما وأثناء هـذه الفترة التى انتهت

وأخيراً توفى وفقدت الديانة الجديدة أول شهدائها وهو رجل قويم الخلق وكان بأخلاقه الـكريمة أكبر مساعد لها لو طال أجله . وكان المسلمون بطبيعة الحال يرتعبون لتذكار حياته . أما البابيون فاسدوا له احتراما فائقا . وكلا الطرفين مصيب فى وجهة نظره . فما لاريب فيه أن الملا حسين بشروئى كان أول مؤمن فى البابية فى جميع المملكة الايرانية .ولا يمكن لأى هيئة دينية أوسياسية أن تؤثر فى الرأى العام إلا بعد ظهور عمل مجيد من أعمال البطولة الحربيـة (من كتاب الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا للكونت لجوبينو صحيفة ١٧٦) وكتب المرحوم حاجى ميرزا جانى:— وقابلته بنفسى (ميرزا محمـد حسن الذى هو الاخ الاصغر للملا حسين) فى الوقت الذى أحضر فيه والدته واخته من كربلاء إلى قزوين ثم إلى طهران . وكانت أخته متزوجة بالشيخ أبو تراب القزوينى فيلسوف وهوعالم قل أن يوجد مثله ومؤمن مخلص طاهر محب لسيده الباب(أرواح من سواه فداه) لدرجة أنه كان يذرف الدمع مدرارا إذا ذكر أحد اسم سيده ورأيته كثيراً عند ما كان يقرأ كتابات المقدسة وهو ممتلىء بالفرح والغبطة . ومما حكاه عن زوجته قال (تزوجتها من ثلاث سنين فى كربلاء وكانت أولا تلميذة تتعلم الفارسية لاتهتم بشىء ولـكنها الآن قادرة على تفسير الآيات القرآنية وحل معضلات أكبر مسائل التوحيد بدرجة لم أجد مثيلا لها فى الرجال . وحصلت لها هذه المواهب ببركة سيدها الباب المقدس ومن المحادثة مع جناب الطاهرة قرة العين . فرأيت منها اخلاصا وصبرا مما يندر وجوده فى الرجال حتى الذين ضحوا أنفسهم ففى مدة الثلاث سنوات لم أرسل لها اية نقود ومع أنها كانت تعيش فى شدة الضيق والضنك لم تفتح فمها بكلمة واحدة . ولما حضرت لطهران لم تشأ أن تتكلم بكلمة واحدة مطلقا عن الزمن الماضى. ولما أرادت السفر إلى خراسان كطلب جناب باب الباب لم يكن لديها سوى رداء واحد ولم تطلب ملبوساً خلافه ولا مصاريف السفر . وهي دائما تتذرع بالاسباب التي تجعلنى في راحـة تامة وحتى لاتكون سببا فى خجلتى أما طهارتها وعفتها وفضائلها فلا توصف وفى طوال هذه المدة لم يسمع أحد من العامة صوتها وكانت الوالدة تفوق كريمتها فى أخلاقها الفاضلة وكانت لها مواهب نادرة وأنشأت جملة مراثى لاولادها ومع أن جناب باب الباب أخبرها بقرب استشهاده وبالمصائب اللاحقة فانها كانت مع ذلك مستبشرة وفرحة بان الله قد قبل شهادة أولادها ودائما تتضرع إلى الله أن لايحرمها من هذا الشرف العظيم .

ومن موجبات العجب والدهشة التفكر فى حالة هذه الاسرة المعروفة المقدسة وفى اخلاص الانجال وتضحيتهم وفى صبر الوالدة والاخت وتوكلهما على الله . ففى الوقت الذى قابلت (أنا الميرزا جانى) فيه ميرزا محمد حسن كان يبلغ من العمر سبعة عشر عاما فقط ولاحظت فيه من الوقار والسكون والثبوت ماحيرنى وبعـد وفاة جناب باب الباب أعطاه حضرة القدوس سيف الشهيد وعمامته وجعله رئيساً على المحاربين فى سبيل الملك الحق . واختلفت الاقوال بالنسبة لاستشهاده هل كان وقت تناوله طعام الافطار فى المعسكر وذبحه إذ ذاك أو أن استشهاده كان مع جناب القدوس فى ميدان بارفروش (كتاب التاريخ الجديد (صحيفة ٩٣ — ٩٥) وكان لقب أخت الملا حسين ورقة الفردوس وكانت مصاحبة وحبيبة لقرة العين فى كربلاء (من تذكرة الاوفياء صحيفة ٢٧٠)

بيوم النيروز كانت شدة البرد قد الجأتهم إلى تأجيل عزمهم على مقاومة خصم ملأهم خجلا ورعبا . ومع أن هجومهم أوقف مدة إلا أن الضباط الذين كانوا محافظين على البقية الباقية من الجيش الملكى أصدروا الاوامر الشديدة بمنع وصول أى نجدة للقلعة . ولما كادت المؤنة تفرغ من القلعة أمر القدّوس أن يفرق الميرزا محمد باقر جميع الأرز الذى كان الملاّ حسين خزنه لوقت الحاجة على الاصحاب ولما استلم كل حصته منه طلبهم القدوس وقال لهم (كل من يشعر فى نفسه بالقوة على ملاقاة الصعاب التى سوف تنزل علينا فليمكث معنا فى القلعة والذى يجد فى نفسه أقل خوف أو تردد فعليه أن يترك هذا المكان وليتركه سريعاً قبل أن يجمع العدو جموعه ويهجم علينا . فسوف يغلق الطريق أمامنا ونلاق أشد الصعاب ونكون فريسة لآلام مبرحة)

وفى نفس الليلة التى كان قدّوس ينذر فيها أصحابه قام سيد من قم يدعي ميرزا حسين متولى وخان بقية الاصحاب فى القلعة وكتب إلى عباس قلى خان لاريجانى (لماذا تركتم عملكم الذى ابتدأتموه وقد سبق لكم أن قضيتم على حياة عدوّ رهيب بموت ملاّ حسين الذى كان القوة المحركة داخل القلعة وقد هدمتم العماد الذى عليه ترتكز قوتها . ولو صبرتم يوما واحدا آخر لكنتم احرزتم النصر التام لانفسكم . وانى أشهدكم انكم لاتحتاجون الآن إلا إلى ماية محارب وهؤلاء يمكنهم فى ظرف يومين أن يستولوا على القلعة ويحصلوا على اخضاع سكانها بلا قيد ولا شرط فقد ضربت فيهم المجاعة وهم الآن فى مشقة عظيمة) ودفع الخطاب المختوم إلى سيد على زارجار الذى هرب من القلعة فى نصف الليل وأخذ معه نصيبه من الارز الذى أخذه من قدّوس وأوصل الخطاب إلى عباس قلى خان الذي كانت له به سابقة معرفة ووصلته الرسالة فى وقت كان فيه ملتجأ فى قرية على بعد ٤ فراسخ من القلعة وكان عباس المذكور مترددا بين أن يرجع إلى العاصمة ويتقدم بنفسه إلى مليكه بعد هذه الهزيمة المخجلة أو يعود إلى موطنه فى لاريجان وفيها ينتظر أن يقابله أهله ومعارفه بالتوبيخ

ولما استيقظ فى الصباح جاءه السيّد بالخطاب ولما علم منه وفاة الملاّ حسين تحرك بعزم جديد . وخوفا من انتشار الخبر عن وفاة المبارز العظيم من الرسول قتله فوراً وأبعد تهمة

القتل عن نفسه بحيلة عجيبة. ورغبة منه فى انتهاز الفرصة وللضيق الحاصل للمحصورين فى القلعة وعملا على القضاء على قوتهم أخذ فى اعداد الاهبة للعودة للهجوم وقبل النوروز بعشرة أيام عسكر على مسافة نصف فرسخ من القلعة وتحقق من صدق الرسالة التى أرسلها له ذلك السيد الخائن وأملا فى الحصول لنفسه على قصب السبق فى اخضاع اخصامه امتنع من أن يبوح بالمعلومات التى تلقاها حتى لاخص ضباطه

وما كاد النهار يلوح حتى رفع العلم (١) وتقدم وحاصر القلعة على رأس كتيبتين من

(١) وبلغ الخوف أشده فى ذلك الاقليم من هياج الاهالي من جراء الانكسارات المتتالية الواقعة على المسلمين وابتدأو يميلون إلى الدين الجديد وشعر رؤساء الحربية بتزعزع مركزهم وفقد الرشد وضياع الامل من الرؤساء الدينيين حيث طفح الكيل وبحركة قليلة كادت مازندران تقع كلها فى قبضة المصالح (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولا س صحيفة ٣١٥)

ولما اخبروا سعيد العلماء بذلك اخذه الرعب والخوف من دخول البابية فى بارفروش والاقتصاص منه وكتب جملة خطابات إلى عباس قلى يشجعه ويستحثه ومما قاله له (امتنكم على شجاعتكم وهمتكم ولكن الذى يؤسف له انكم بعد أن تجشمتم كل هذه المشقات وبعد أن ضاع كل هذا الجم الغفير من الرجال لم تتابعوا العمل بعد أن أخذت الجماهير طعمة للسيف ولم يبق سوى العجائز منكم وانكم ويا للاسف بعد كل هذه المكافحات لم تستعدوا لاعادة الكرة لاسر هذه البقية الباقية من هؤلاء المساكين كى تحوزوا قصب السبق والفخر بالانتصار النهائى وحدكم وتستولوا على أموال المغلوبين فعليك انت والحالة هذه أن تجعل اقصى همتك الرجوع إلى القلعة للحصول بنفسك علي النصر النهائى وتكمل ما ابتدأت به منه لان حكومة إقليم مثل مازندران ليست بالامر الهين) ثم كتب بعد ذلك إلى علماء آمل ليبذلوا الهمة فى قيام عباس قلى خان بلا توان . فكانوا يذكرونه دائما بواجبه فى الرحيل بكل سرعة إلي القلعة . وكان هذا الحاكم يعلم أن ما كتبه له سعيد العلماء محض اختلاق لا أساس له إلا أنه فكر فى امكان الرجوع للقلعة حتى يخلص من العار الذى لحقه فى نظر النساء اللارجانية اللائى فقدن رجالهن فى هذه الحرب وكذلك فى نظر الحكومة إلا أنه كان فى باطنه يحترق خوفا ويرتعد فرقا لئلا يفشل كما فشل فى المرات الاولى . وكان اغلب رجاله جرحى والكثيرون هربوا مختبئين فى القرى المجاورة على بعد ٤ فراسخ أو خمسة من المدينة . ولذلك كتب الى علماء آمل قائلا (إذا كانت هذه الحرب دينية فعليكم أن تتأهبوا أنتم أيضا للحرب والقيادة لان الناس ينظرون اليكم بانكم مثلهم الاعلى المتحمسون للدين فتحركوا أولا حتى تكونوا قدوة لغيركم من الناس أنفسهم) فاضطروا لاعلان الحرب الدينية ولم يعتذروا واجتمع جمهور كبير من الغوغاء والتجار مع التلاميذ والفقهاء متظاهرين لاجراء الحرب وهم فى الحقيقة لايبتغون سوى النهب والسلب وذهب الكثيرون الى بارفروش وهناك اجتمعوا بمقدمة جيش البرنس مهدى قلى مرزا الذى بمجرد وصوله إلى حصن يبعد فرسخا عن القلعة ارسل البعض من الجواسيس لاستكشاف حركات الحراس البابيين وجمع الانصار (كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٧٢ — ٧٣)

البيادة والخيالة وامر رجاله أن يطلقوا النار على الحراس الواقفين على منارة البرج . واسرع ميرزا محمد باقر باخبار القدوس بخرج المركز فقال له القدوس (ان الخائن اعلن وفاة ملاّ حسين لعباس قلى خان فلما تشجع بصعوده عزم على فتح معقلنا ليفوز بشرف النصر علينا دون غيره ، فاهجم عليه ومعك ثمانية عشر رجلا بجانبك وانزل به ورهطه عقابا لائقا . وليعلم انه ولو أن الملاّ حسين غير موجود إلا أن قوة الله التى لاتغلب تمد اصحابه على الدوام وتمكنهم من احرازالنصر على اعدائهم)

وبمجرد أن انتخب الميرزا محمد باقر اصحابه امر بفتح باب القلعة وامتطى هو واصحابه الجياد وصاحوا (ياصاحب الزمان) واخترقوا الصفوف فى معسكر العدو . فهرب الجيش باجمعه بارتباك عظيم امام هـذه الهجمة العنيفة ولم يبق منهم الا القليل ممن وصل إلى بار فروش خائر العزم محملا بالخجل واشتد ذعر عباس قلى خان حتى انه سقط من جواده وهرب تاركا احدى نعليه معلقا فى الركاب وقصد إلى الجهة التى هرب فيها جيشه وهو منتعل فى احدى قدميه وقدمه الاخرى عارية . واسرع الى البرنس واعترف بالانكسار الذى وقع وهو ممتلىء رعبا (١) وعاد ميرزا محمد باقر سالما إلى القلعة ومعه اصحابه

(١) وكان العلماء وتلاميذهم الذين حضروا للاشتراك في الجهاد الديني غير قادرين على النوم خوفا وفرقا مع أنهم عسكروا على بعد فرسخين من القلعة . وكانوا دائما فى أحاديثهم يسبون البرنس وعباس قلى خان وسعيد العلماء قائلين (أنهم أخرجونا من ديارنا وأبعدوناعن دروسنا بلا سبب وأجبرونا على ترك معاشنا وأحضرونا لاقتحام هذا الخطر الدائم لأن الذين نحاربهم نبذوا الدنيا وجعلوا أرواحهم فى أيديهم فداء لأمرهم) وكان هؤلاء الجوع يتسلون الآية (ولاتلقوا بايديكم إلى التهلكة) . وقال أحدهم أنه توجد جملة أسباب تعفيه من التجنيد وذكر آخر أنه لديه ثلاثين عذراً وأنه معاف شرعا وسيعود إلى موطنه وقال ثالث (عندى أطفال لاعائل لهم غيرى فاذا أعمل) وقال رابع (إنى لم أترك نفقة لزوجتى وسأعود إن اضطر الأمر) وقال خامس (إنى اريد أن أصف حسابى مع شركائى وإذا وقعت شهيداً تضيع ثروتى وتفتقر عيالى والدين لا يرضى بهذا الظلم والاجحاف) وقال السادس (إنى لم أوف ديون الناس وإذا وقعت شهيدا فلن أجتاز الصراط يوم القيامة) وقال السابع . (إنى حضرت بدون علم والدتى ورغم إرادتها وكانت قالت لى (إذا خرجت يكون اللبن الذى رضعته حراما عليك وأخاف أن اكون عاقا لوالدتى.) وقال الثامن وهو يبكى (إنى نذرت أن أزور كربلاء هذه السنة والطواف حول قبر سيد الشهداء يوازي أجر ألف شهيد وألف حج حول مكة وأخاف أن لا أوف بهذا النذر فيحصل لى من هذا ضرر بليغ) : وقال غيرهم (إننا لم نر فى هؤلاء القوم ما يدل على أنهم كفار لأنهم أيضا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلى حبيب الله وفقط يدعون أن المهدي ظهر فليكن ذلك فهم لا يكونون ألعن من أهل السنة الذين رفضوا الاعتراف بالأئمة الأثنى عشر والاربعة عشر المعصومين ويعتبرون شخصا مثل عمر خليفة الرسول . ويفضلون

الثمانية عشرة وفى يده العلم الذى تركه العدو الهارب ودخل القلعة بفرح عظيم وسلم الراية لرئيسه الذى أحيي فيه روح الشهامة التى أدت به للانتصار مرة اخرى بقوة الايمان الموهوبة لهم وكان انهزام العدو التام أحدث فرجا عند الاصحاب وقوى رابطتهم وذكرهم مرة أخرى بكفاية القوة التى منحها لهم ايمانهم . ولما نفد الطعام من عندهم أكلوا لحوم الخيل التى غنموها من معسكر العدو وتحملوا بكل شجاعة وثبات جميع المصاعب التى احاطتهم . وكانت همتهم متوجهة لتنفيذ رغبات القدوس فلم يهتموا بما عداها . ولم تثنيهم وطأة الحصار ولا تهديدات الاعداء المتواصلة قيد شعرة عن السبيل الذى سلكه أصحابهم السابقون بكل استقامة وشجاعة. نعم عثر وأرتد البعض من ضعاف القلوب فى أظلم ساعات البلاء ولكنهم تلاشوا وبقيت عظمة أولئك الابطال أصحاب القلوب الثابتة القوية الذين أشرق نورهم وضياؤهم فى ساعة القضاء وتحت ظلام غدر هؤلاء الخائنين .

وكان البرنس مهدى قلى الذي عسكر فى سارى قد ابتهج من أخبار الاندحار الذى أصاب جيش زميله عباس قلى خان . ورغما عن رغبته فى محو هذه الفئة التى تحصنت داخل القلعة فرح لعدم نجاح زميله باحراز النصر الذى كان يطمع هو فيه وحده (١) فكتب توا إلى طهران مستنجدا وطالبا إرسال المدافع والهجانة مع جميع المعدات بدون تأخير لحصار القلعة وعزم فى هذه الدفعة على اخضاع القلعة إخضاعا تاما

وبينما كان الاعداء يستعدون لهجوم أقوى على القلعة كان أصحاب القدوس غير مبالين بالمصاعب الطاحنة التى انتابتهم وكانوا يهيئون مايلزم من الترتيبات لاستقبال

عثمان على على بن أبى طالب ويعتبرون أبا بكر خليفة أيضا فلماذا يتركهم علماؤنا ويحاربون الذين لا يعلمون صدقهم من كذبهم على وجه اليقين) . وارتفعت الشكوى من صفوفهم واحتج كل شخص بحجة وانتظر الجيش فرصة ليولوا الادبار ويهربوا من ميدان القتال . ولما رأى عباس قلى هذه الروح فاشية فيهم خاف من سريانها فى معسكره فقبل أعذارهم وخرجوا من الميدان متهللين فرحين بعودتهم الي وطنهم داعين للرئيس بالنصر (من التاريخ الجديد صحيفة ٧٤ — ٧٦)

(١) وفوجىء مهدى قلى ميرزا بما لم يكن ينتظره . وعلى وجه العموم أدرك أن السر دار قد هرب مثل ما هرب هو من قبل لذلك انشرحت نفسه وزادته هذه الفكرة تعزية نفسية فلن يفتخر أحد من الرؤساء أنه انفرد بالاستيلاء على قلعة البابية وكذلك لم يعد هو المنهزم وحده بل أصبح له شريك وتعشم أن يتحمل نتيجة الانهزامين. فلما ابتهج من هذا الخبر جمع الرؤساء كبارا وصغارا واعلمهم به وأظهر التأسف على ما أصاب السردار . وأقسم أن ذلك الجندى الباسل سوف ينجح مرة أخرى (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٧٩ طبعة فرنساوية)

النوروز بالفرح والابتهاج . وفى اثناء الاحتفال بذلك العيد اطلقوا العنان لشعورهم بالشكر والامتنان للبركات العديدة التى انعم بها القدير عليهم. ومع انهم كانوا فى شدة من الجوع فانهم كانوا يترنمون بالاناشيد والافراح متناسين بالكلية الاخطار التى تهددهم . فكانت القلعة تدوى بعبارات الثناء التى تتصاعد منها آناء الليل واطراف النهار سيما عبارة (سبّوح قدّوس ربّنا رب الملائكة والروح) التي كانت تتقاطر من أفواههم بدون انقطاع وكانت تشعل فيهم الحماس وتحيي فيهم روح الشجاعة

وكان مابقى عندهم من المواشي التى أتوا بها من المعركة بقرة كان الحاجى ناصر الدين قزوينى أفردها ليأخذ لبنها ويعمله حساء يقدمه كل يوم للقدوس وكان القدوس لا يضن على أصحابه الجائعين أن يشاركوه فى ذلك الطعام فكان بعد أن يتناول بضع ملاعق يوزع الباقى عليهم ويقول (منذ افتراق من الملاّ حسين لا أستلذ أى لحم أوشراب مما يقدم لى . لان قلبي يحترق إذ أرى أصحابي يتضورون جوعا وهم منهوكوا القوى حولى) ورغما عن هذه الظروف القاسية استمر على تفسير صاد الصمدية وعلى نصح الأحباب على الثبات للنهاية فى جهودهم وشجاعتهم وكان الميرزا محمد باقر يقرأ صباحا ومساء فى محضر الاحباء المجتمعين بعض قطع من التفسير وكانت تلاوتها تشعل فيهم الحماس وتنعش فيهم الآمال

وسمعت الملا ميرزا محمد الفروغى يقرر الآتى (الله يعلم اننا صرنا لانفكر فى الجوع ولم تتجه افكارنا فيما بعد لامر طعامنا اليومى. نخلب لبنّا سحر ترتيل الآيات على شأن لو تركنا كذلك سنين عدة ما كان يظهر علينا آثار الملل أو التعب أو يؤثر ذلك فى اخماد حماسنا أو تكدير صفونا . وكلما كانت قلة الطعام تبتدىء أن تعمل فى خور عزائمنا واضعاف قوتنا كان الميرزا محمد باقر يسرع للقدّوس ويعلمه بالحالة فما يكاد يمر فى وسطنا حتى تبدل طلعة وجهه وسحر كلماته قنوطنا بالحبور وترحنا بالسرور . فنشعر بقوة وقدرة على شأن نعتقد أنه لو ظهرت جموع الاعداء لنا فجأة لهزمناهم توّا)

وفى يوم النوروز الذى وقع فى الرابع والعشرين من ربيع الثانى ١٢٦٥ هجرية(١) أشار القدّوس فى رسالة مكتوبة للأصحاب بقرب مجىء امتحانات تجلب فى أثرها استشهاد

(١) سنة ١٨١٩ ميلادية

جماعة كثيرة من الأحباب . وبعد مرور بضعة أيام عسكرت بالقرب من القلعة فيالق عظيمة (١) تحت إمرة مهدى قلى مرزا (٢) وأيدهم سليمان خان افشار وعباس قلى خان لارجاني وجعفرقلى خان بجيوشهم وقواتهم وساعدهم أربعون ضابطاً وابتدأوا فى عمل جملة حواجز ومتاريس وخنادق فى الأراضى المجاورة (٣) وفى اليوم التاسع من شهر البهاء (٤) أعطى رئيس الحملة أوامره للطوبجية باطلاق المدافع على المحصورين وبينما كان الضرب مستمراً خرج قدوس من غرفته وتمشى وسط القلعة. وكان يعلو وجهه ابتسامات ويظهر على هيئته كمال السكون وبينما كان يخطو إذ وقعت قنبلة مدفع فجأة أمامه . فقال بهدوء وهو يدحرج القنبلة بقدمه (ما أجهل هؤلاء الطغاة بقوة غضب الله . ألم يعلموا

(١) ووزع البرنس المراكز التى يحرسها كل واحد فى المحاصرة وأدخر عسكر الحاجى خان نورى وميرزا عبدالله النوى وعين رؤساء العسكر السردار عباس قلى خان لارجانى الذى تحمس منذ انكساره الأول ثم عين نصر الله خان بنديي رئيس القبيلة ومصطفى خان الأشرف الذى جعله رئيسا على جماعة التفنجشية الشجعان من هذه المدينة وكذلك السورتيس وعين رؤساء آخرين أقل من هؤلاء على الدودنكه والبالارستق وبعض الرحل من الترك والكرد الذين لم يحسبوا فى فرق الرؤساء العظام وكان هؤلاء الرحل من الترك والاكراد مكلفين بمراقبة العدو وابتدأوا بعد التجارب العديدة فى تنظيم الجيوش أحسن من المرات الأولى وكان الترك والكرد مكلفين بالمراقبة والحراسة ليل نهار ويخبرون عن كل مفاجأة من ناحية العدو (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطي صحيفة ١٨٠ — ١٨١)

(٢) وكان مهدى قلى ميرزا أراد أن يضيف على الوسائط القديمة بعض الأختراعات الحديثة حتى لا يفوته شيء فأخذ من طهران مدفعين وقطعتين من الطوبجية مع المؤن اللازمة واستمد المعونة أيضامن شخص من هرات كان يعرف سر مادة مفرقعة إذا قذفت تلتهب على بعد سبعمائه متر بعد اشتعالها وتحرق كل ما تصادفه فعمل التجارب بها وأدت إلى نتائج طيبة فقذفت هذه المادة على القلعة فأحرقت المساكن الخشبية والقصب والتبن . وهى المساكن التى بناها البابيون من الداخل سواء فى الحوش أو على السور وبينما كانت هذه المساكن تحترق كانت قذائف المدافع قد أثرت فى التخريب الكثير الحاصل فى بناء عال بناه الذين لم يكونوا مهندسين ولا معماريين وما كانوا يظنون أن قوة المدافع تقدر أن تخربه . وفى قليل من الزمن أصبحت قوة الدفاع فى القلعة مزعزعة من وقوع الأخشاب والبراطيم من فعل النار ومن دخان احتراق الأخشاب وتكديس الأحجار المنقلبة (كتاب جوبينو صحيفة ١٨١—١٨٢)

(٣) وحفروا خنادق ووضعوا فيها تفنجشية تصلهم أوامر بالتنشين على من يظهر من البابيين وكذلك أقاموا قلاعا كبيرة بارتفاع أعلا من البنايات الموجودة داخل القلعة . وتوالى قذف النيران عطل الشاغلين للقلعة من التجول فى أنحائها وهذا احتياط نافع إلا أن البابيين فى دجى الليل رفعوا استحكاماتهم بطريقة جعلت الضرب من الخارج عديم الجدوى (نفس الكتاب صحيفة ١٨١)

(٤) اليوم التاسع بعد النيروز

أن مخلوقا ضعيفاً كالبعوضة تمكن من قتل أقوى نمرود . ألم يعلموا أن ريحا صرصرا أهلكت قوم عاد وثمود وأعدمت قواهم فكيف يسعون فى تخويف جند الله الذين لا يعتبرون أبهة الملك الا كظل زائل) . والتفت إلى أصحابه وقال أنتم هؤلاء الأصحاب الذين تكلم عنهم محمد رسول الله قائلا «واشوقاه لرؤية وجوه أحبائى الذين سيظهرون فى اليوم الآخير بارك الله فيهم كما بارك لنا بل هم أعظم بركة منا » فاحذروا لئلا يفسد مقامكم الجليل باتباع النفس والهوى فلا تخافوا من تهديد الأشرار ولا تخشوا من سطوة الكفار . ولكل منكم ساعة معلومة وأجل مسمى فاذا جاء الأجل فلن يؤثر هجوم الأعداء أو جهود الأحباء فى أن يستقدم الأجل أو يستأخر . بل إذا اجتمعت قوات الأرض ضدكم لن يقدروا قبل مجيء الساعة أن ينقصوا من حياتكم دقيقة واحدة وأما لو سمحتم لأنفسكم أن تضطرب قلوبكم ولو لحظة واحدة من إطلاق هذه المدافع التى ستستمر أن تصب قنابلها بشدة على هذه القلعة فانكم تطرحون أنفسكم خارج معقل الحماية الربانية)

وقد نفثت مثل هذه النصيحة روح الاطمئنان والثقة فى قلوب الذين سمعوها عدا القليل ممن ظهر على وجههم التذبذب والخوف فأخذوا يأتمرون مع بعضهم فى زاوية مستورة من القلعة ناظرين إلى الحماس الذى أنشط إخوانهم بعين الحنق والدهشة (١)

(١) وذات مرة خرج بعضهم طالبا لقليل من الشاى والسكر لجناب القدوس . وكان أعظمهم الملا سعيد من زركناد وكان رجلا متضلعا من العلوم والمعارف حتى أن بعض العلماء من أسرة الملا محمد تقى من نور سأل جناب القدوس كتابة بعض أسئلة خاصة بعلوم الجفر والتنجيم فاحال الخطاب على سعيد هذا وطلب منه أن يكتب له عجالة مختصرة فى الجواب حتى لا ينتظر الرسول طويلا وفيما بعد يكتب له بنفسه جوابا مفصلا فرغما عن اشتداد الحصار وقلق الرسول كتب الملا سعيد جوابا بليغا أورد فى ضمنه مائة حديث صحيح للدلالة على الظهور الجديد وهى تدل على ملحمة طبرسى واستشهاد الذين آمنوا بالرب فدهش علماء نور من هذه المهارة الفائقة التى كتبت بها العجالة وقالوا (ان من الانصاف الاعتراف أن مثل هذه الامور معجزة كبيرة وان ما ثبت فى العجالة من المهارة والبلاغة فوق مقدرة الملا سعيد التى نعرفها فلا بد اذاً أنه صدر بوحى الهى وكان هو واسطة لالقائه الينا) . وحدث أن الملا سعيد كان وقتئذ خارج القلعة فأسره العسكر الملكى وأحضروه هو ومن كان معه امام البرنس الذى اجتهد أن يستقى المعلومات منهم عن حالة الحرس البابيين وعددهم وما عندهم من الذخيرة ولكنهم امتنعوا عن الادلاء باى معلومات ولما عرف ان الملا سعيد من رجال العلم قال له (تب وأنا أعفيك من الذبح) فاجابه الملا سعيد (لا يمكن لأى انسان أن يتوب عن الطاعة لأوامر الله فلماذا اذن تأمرنى أن أتوب والاولى لك أن تتوب أنت لانك تعمل على خلاف رضاه وشر مما عمله السابقون للآن) وتكلم كثيرا بهذه الكيفية ولذلك أرسلوه الى سارى مقيداً بالسلاسل وهناك ذبحوه بحالة وحشية وباقسى ما يمكن هو وأقرانه الذين كانوا على ما يظهر خمسة أشخاص (كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٧٩ - ٨٠)

وكان جيش البرنس مهدي قلي قد استمر بضعة أيام يطلق النيران على القلعة . ودهشوا من ان نيران مدافعهم لم تنجح فى خفض أصوات الصلاة والابتهاج التى كان المحصورون يرفعونها رداً على تهديداتهم . وبدلا من تسليم القلعة تسليما تاما كما كانوا ينتظرون فان اذان المؤذن وتلاوة الآيات القرآنية ونغمات الأفراح والمناجاة بالشكر والامتنان كانت تصل الى آذانهم بدون انقطاع .

وكانت شواهد هذا الحماس التى لا تنقطع قد أغضبت جعفر قلي خان الذى كان قلبه يغلى حنقاً ورغبة فى محو هذا الحماس الذى اشتعل فى قلوب أعدائه . فقام ببناء برج ووضع عليه مدفعاً (١) ومن ذلك البرج العالى أخذ يقذف نيران المدفع على قلب القلعة ودعا القدوس ميرزا محمد باقر وأمره أن يخرج مرة أخرى ويوقع العقاب على هذا الدخيل المتكبر واذلاله بشدة لا تقل عما سبق ايقاعها بعباس قلي خان وقال له (عليك أن تفهمه أن أبطال الله الذين تشجعت قلوبهم هم كالأسود اذا اضطروا ودفعهم الجوع يظهر منهم من الشجاعة والشهامة مالا يقوى مخلوق على مثله . وأفهمه أنه كلما اشتد جوعهم كلما زادت نخوتهم واتسعت دائرة غضبهم) .

فأمر ميرزا محمد باقر ثمانية عشر من أصحابه أن يركبوا الخيل فوراً ويتبعوه وفتحت أبواب القلعة وارتفع منهم نداء (يا صاحب الزمان) بشدة ورنة أكبر من ذى قبل فوقع الرعب والوجل فى صفوف الأعداء ووقع جعفر قلي خان وثلاثون من أصحابه صرعى تحت سيوفهم وكذلك هجموا على البرج واستولوا على المدافع وأسقطوها وطرحوها أرضاً وحطموا

(٢) وكان هذا الأخير قد شيد أربعة أبراج على جوانب القلعة الأربعة على ارتفاع عظيم يمكنه من السيطرة على ما بداخل الحصن وامكان ضربه بالمدافع وجعل الحراس هدفا لمقذوفاتها . ولما رأى المؤمنون ذلك حفروا خنادق للالتجاء اليها . ولما كانت أرض مازندران قريبة من المياه كانت الخنادق مرطوبة وزادت على رطوبتها الأمطار الغزيرة التى هطلت على الدوام فزادت فى الأضرار حتى ان هؤلاء المنكوبين المساكين كانوا يعيشون فى الأوحال والمياه حتى بليت ملابسهم ورثت من الرطوبة . وكلما شرب أحدهم كأس الشهادة أمام أعينهم كان باقى الأصحاب يبتهجون بدلا من أن يحزنوا . فمثلا وقعت قنبلة على سقف عشة واحترقت منها فلما ذهب الشيخ صالح الشيرازى لاطفائها أصابه مقذوف فى رأسه ومزق جمجمته إربا وإذ كان الأصحاب ينقلون جثته أصيبت من مقذوف آخر يد الاقا ميرزا محمد على بن السيد احمد الذى هو والد آقا سيد حسين « المحبوب » وكذلك قتل آقا سيد حسين «المحبوب» وعمره عشر سنوات أمام أعين والده وتدحرجت جثته فى الأوحال وأعضاؤه ترتجف وتهتز كما يرقص الطير المذبوح (التاريخ الجديد ٨١ — ٨٣)

بعضا من الحواجز والمتاريس . ولولا دخول ظلام الليل لكانوا أتوا على البقية الباقية من ذلك الجيش .

وعادوا الى القلعة ظافرين غانمين ولم يصابوا بأذى وأخذوا معهم عدداً من فحول الجياد التي تركها العدو ومضت أيام عديدة لم يظهر فيها علامة على عودة الهجوم . وبسبب حصول انفجار فجائي في إحدى مستودعات الذخيرة عند العدو وقتل جملة من ضباط الطوبجية وكثير من العسكر اضطروا لايقاف الهجوم على القلعة مدة شهر (١) وكان هذا السكوت سببا في تمكين الكثيرين من الأحباب من الخروج خارج القلعة أحياناً لجمع الحشائش التي يجدونها في المزارع المجاورة ليسدوا بها رمقهم . وكانت لحوم الخيل قد نفدت واضطروا لأكل الجلود المنزوعة من السروج من شدة الجوع . وكانوا يغلون الحشائش ويلتهمونها بشراهة تستوجب الشفقة (٢) ولما خارت قواهم ونحلت أجسامهم داخل القلعة كان القدوس يزورهم ويجتهد بكلماته أن يبهجهم وينعش آمالهم لتخفيف وطأة ألمهم .

(١) ومضى على هذه الحالة أربعة أشهر حتى قلق الشاه . وكان نجاح البابيين يشعل غضب الشاه فكان يقول كما رواه المؤرخ الفارسي (كنا نظن أن جيشنا يقتحم النيران كما يدخل في الماء وانه يناضل السباع بلا وجل كأن يداعب الحسان . وأرسلناه ليحارب جماعة قليلة من الناس الضعفاء الذين لاحول لهم ولا قوة . ورغما عن ذلك لم يعمل شيئا . فهل يظن عظماء مازندران أن هذا يرضينا . وهل يصح لكم أن تتركوهم ليزيدوا النار اشتعالا ويزدادوا نجاحا . ولكني سوف أعمل على ابادة أهل مازندران قاطبة حتى يصبحوا كأن الله لم يخلقهم (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٢٢)

واستمر الحصار مدة أربعة أشهر ومع ذلك لم يحصل فوز ولا انتصار يذكر ولم ينجحوا إلا في هدم الاستحكامات القديمة ولكن البابيين اشتغلوا ليل نهار في إصلاحها وترميمها وزادوا عليها استحكامات جديدة عوض السابقة . ولم يعلم المآل ولم تكن مازندران هي البقعة الوحيدة التي أظهر فيها البابيون مهارتهم وشجاعتهم وشدة إخلاصهم وإيمانهم بل إنه في جميع أنحاء إيران ظهر منهم مثل ذلك كما سنبينه . وقلق الشاه ورئيس وزرائه من هذه الحالة وصبوا جام غضبهم على الرؤساء الذين أرسلوهم ولم يكتفوا بتوبيخهم بالعبارات القارصة فقط بل هددوهم هم وجميع أهالي الاقليم بان يعاملوهم معاملة البابيين اذا لم ينته الحصار في أقرب فرصة . وفي هذه الاثناء رفعت القيادة من مهدي قلي ميرزا وأعطيت الى افشار سليمان خان وهو رجل ذو ثبات مشهور وتأثير عظيم ليس فقط على قبيلته التي هي إحدى القبائل الشريفة في ايران بل هو أيضا صاحب نفوذ على جميع المحاربين وله احترام عظيم بينهم ، فاصدر التعليمات المشددة لهم (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة في أسيا الوسطى صحيفة ١٨٣ — ١٨٤)

(٢) وأشار عبد البهاء في تذكرة صحيفة الاوفياء (١٦ — ١٧) الى المصائب والآلام التي تحملها المدافعون الابطال في قلعة الشيخ طبرسي وأطرى فيهم الثبوت والحمية والشجاعة ومدحهم عليها مدحا

وفى ابتداء شهر الجمادى الثانى (١) سمعت طوبجية العدو تصوب قذائفها نحو القلعة . وهجمت فى الوقت نفسه فيالق متعددة من الفرسان والبيادة مع عدد من الضباط لأجل الاستيلاء عليها عنوة . واضطر القدّوس إذ سمع أصوات اقترابهم أن ينادى ميرزا باقر ويأمره أن يخرج مع ستة وثلاثين من الاصحاب ويرد هذا الهجوم . وقال له (منذ أن قطنا فى هذه القلعة لم نقبل بأى حال أن نسعى فى التعدى على أعدائنا ولم نقم للدفاع عن حياتنا حتى بدأونا بالهجوم علينا . ولو كان غرضنا الطمع فى إعلان حرب دينية عليهم أو كان عندنا أقل قصد فى الحصول على السيادة بقوة أسلحتنا على الكفار ما كنا نبقى محصورين داخل جدران هذه القلعة إلى هذا اليوم . ولكانت قوة أسلحتنا قد غلبت الأمم كما كان الحال مع أصحاب محمد فى الايام السالفة وكنا أجبرناهم على قبول الدعوة . ومنذ التجأنا إلى القلعة كان قصدنا الوحيد الذى لم يتغير هو إثبات سمو الدعوة بأعمالنا واستعدادنا للتضحية وسفك دمائنا فى سبيل ديننا وأن الساعة لآتية قريبا عندما تكمل أعمالنا)

فامتطى ميرزا باقر مرة أخرى جواده ومعه ستة وثلاثون ممن انتخبهم من الاصحاب

فائقا وخاصة الملا صادق المقدس فقال (انه لمدة ثمانية عشر يوما مكثوا بدون طعام فعاشوا على جلود النعال . ولما نفدت ولم يبق عندهم الاالماء كانوا يشربون فى كل صباح حفنة ماء . ومكثوا فى القلعة منهوكين حائرين أما إذا هوجموا قاموا على أرجلهم حالا وأظهروا فى وجه عدوهم شجاعة باهرة ومقاومة مدهشة وفى مثل هذه الظروف يكون الثبات على الايمان الذى لايتزعزع والصبر على غاية من المضض وتحمل هذه الآلام من الظواهر النادرة

وكان الذين ثبتوا فى القلعة قد التهموا آخر ماعندهم من الزاد ثم أخذوا يأكلون بعض الحشائش التي يجمعونها من داخل الحصن وكذلك قشور الاشجار ولم يبق عندهم سوى أحذيتهم الجلدية وأغمدة سيوفهم وعمدوا بعد ذلك إلى الطريقة التي اتبعها سفير اسبانيا مع المتعصبين المحصورين فى باريس فانهم سحقوا عظام الموتى وعملوا منها نوعا من الدقيق وأخيراً إذ طفح الكيل عمدوا إلى الرفات . وكان جواد الملا حسين قتل من الجراح أثناء المعركه التي وقعت بالليل والتى قتل فيها سيده . واحتراما للسيد دفنوا جواده تذكارا لمقدسهم وافتخارا به ولشيء من الاحترام العميق الذى يوجبه ولكنهم حاموا حول قبر الجواد واجتمع مجلس حربى للبحث فيما إذا كانت الضرورة الملحة تسمح لهم باستخراج الجواد واعداده بصفة طعام فقرروا مع الحزن الشديد بأن الضرورة تبيح هذا المحظور فاستخرجوه من مقبرته واقتسموا أعضاءه وطبخوه مع دقيق العظام وأكلوه ثم عمدوا إلى أسلحتهم (كتاب الكونت جوبينو صحيفة ١٨٦ — ١٨٧ الاديان والفلسفة فى اواسط آسيا)

(١) ٢٤ ابريل سنة ١٨٤٩ م .

وشتت شمل الأعداء وعاد للقلعة ظافراً ومعه الراية التي تركها العدو مذعورا بمجرد أن رن في آذانهم نداء (يا صاحب الزمان) . واستشهد في تلك الملحمة خمسة من الاصحاب فحملوهم في العودة ودفنوهم بجانب أخوانهم

وكان البرنس مهدي قلي قد أخذته الحيرة مما شاهد من قوة خصومه التي لا حد لها وعقد مجلس شورى مع رؤساء عسكره وحرضهم على أن يحتالوا بأى وسيلة تمكنهم من انهاء هذه المأموريه . وأخذ في البحث والمشاورة مدة ثلاث أيام وانتهى أخيرا إلى أن أحسن وسيلة لذلك هي إيقاف كل أنواع الاعتداء بضعة أيام أملا في أن المحصورين يسلمون قلعتهم بدون قيد ولا شرط لاشتداد وطأة الجوع فيهم واستيلاء اليأس عليهم . وبينما البرنس كان ينتظر إتمام ما عزم عليه إذ وصله رسول من طهران يحمل فرمانا من مليكه وكان الرسول من سكان قرية كند وهو محل لا يبعد كثيرا عن العاصمة . ونجح في الحصول على إذن من البرنس لدخول القلعة ليجتهد في إقناع إثنين من سكانها وهما ملا مهدي وأخوه ملاّ باقر الكندي على أن يهربا من الخطر المحدق بحياتهم وإذ اقترب من أبواب القلعة أخبر الحراس أن يطلبوا من ملا مهدي الكندي أن صاحبا له حضر ويريد رؤيته . فاعلم الملاّ مهدي القدّوس بالأمر فصرح له بالمقابلة

وسمعت آقاي كليم يروى الخبر الآتي كما أخبره به الرسول عندما قابله في طهران وقال له « رأيت الملاّ مهدي يظهر لي فوق حائط القلعة وكان يلوح على وجهه العبوس تقطيب يفوق الوصف وكان يحدق بشدة كالأسد وسيفه معلق على قميص أبيض طويل كهيئة العرب وفي يده منديل أبيض . وسألني توآ (ما الذى تطلبه منى تكلم بسرعة لأنى أخشى أن ينادينى سيدى فيجدنى غائبا) . وكان العزم الظاهر على محياه والقوة المتلألئة من بين عينيه قد حيرتني فصعقت من نظراته وهيئته وجال بخاطرى فجأة أن أوقظ في قلبه شعوراً خفيا ففكرته بأبنه الطفل رحمن الذى تركه في القرية حين اشتاق للأنضمام لراية الملا حسين . ومن شدة حبه للطفل كان قد عمل شعراً يترنم به وهو يهز مهده ليحمله على النوم . وقلت له (إن إبنك رحمن الذى كنت تحنو عليه هو وحيد ومتروك ويحن أن يراك فكان جوابه حالا (أخبره أن محبة الرحمن الحقيق التي تفوق جميع المحبات الأرضية قد ملأت قلبي فلم تجد مكانا لغيرها) وكانت اجابته وكلماته قد

أذرفت الدمع من عيني . وصحت فى دهشة (ملعون كل من يعتبرك أنت وأصحابك ضالين عن طريق الحق) وسألته (ما الذى يحصل لو تجاسرت ودخلت القلعة وانضممت اليك) فأجابنى بهدوء (إذا كان غرضك أن تبحث عن الحق وتجاهد فيه فبكل سرور أرشدك إلى الطريق وإذا أردت زيارتي لأنك صاحب قديم عاشرتنى طول حياتك فأنى أرحب بك كما قال رسول الله (أكرموا ضيوفكم ولو كانوا كفارا) وأنى أقدم لك للضيافة كل ما أستطيعه وهو طعام الحشائش المغلية والعظام المطبوخة . ولكن إذا كان قصدك إيذائى فأنى أحذرك بأنى سأدافع عن نفسي وأرمى بك من أعلا هذه الحوائط) . وكان ثباته الذى لا يتزعزع أقنعنى بضياع مجهودى . وكنت أشعر أنه اشتعل بحماس لو اجتمع علماء الأرض أن يحولوه عن طريقه لامكنه بمفرده أن يمحق مجهوداتهم . واقتنعت أنه لو اجتمعت قوات الأرض بأسرها على أن يزحزحوه عن مرغوب قلبه المحبوب لن يقدروا فقلت له (هنيئا لك على الشرب من الكأس التى جلبت عليك بمذاقها كل هذه البركات وإن البرنس قد أقسم أن كل من يخرج من القلعة يكون آمنا من الخطر ويمكنه أن يمر بسلام باذنه ويعطيه مصاريف عودته إلى مقره) وإذ ذاك وعد أن يوصل خبر البرنس إلى أقرانه ثم قال (هل عندك أمر آخر تريد أعلامى به فانى أريد العودة إلى سيدى حالا ولاصبر لى معك أكثر من ذلك) فاجابه قائلا (أيدك الله على اتمام مقصدك) فابتهج قائلا (حقا قد أيدنى الله والا فكيف تمكنت من التخلص من سجن منزلى فى كند والوصول إلى هذا المعقل السامى) وما كاد يتم التفوه بهذه الكلمات حتى اختفى من أمامى . »

وبمجرد اجتماع الملا مهدى باصحابه بلغهم رسالة البرنس فخرج السيد ميرزا حسين المتولى مصحوبا بخادمه فى عصر ذلك اليوم وترك القلعة وذهب إلى معسكر البرنس للانضمام اليه . وفى ثانى يوم خرج رسول بهنميرى وعدد قليل معه إذ لم يقدروا على تحمل مشقة المجاعة وانفصلوا من اخوانهم بحزن وتردد متشجعين بوعد البرنس وتأكيداته الصريحة وما كادوا يخرجون من القلعة حتى ذبحوا فورا بامر عباس قلى خان لارجاني .

وفى الايام القليلة التالية لهذه الحوادث امتنع العدو المرابط بجوار القلعة عن أعمال

الاعتداء على القدوس وأصحابه وفى صبيحة الاربعاء السادس عشر من جمادى الثانى (١) وصل رسول من البرنس وطلب أن ينتدب اثنان من طرف المحصورين للمفاوضة السرية معهما بأمل الوصول إلى حل سلمى للمسائل المتعلقة بين الطرفين (٢)

فعين القدوس الملاّ يوسف اردبيلي وسيد رضا الخراساني بصفة مندوبين وأمرهما أن يخبرا البرنس أنه مستعد لاجابة طلبه. فاحسن مهدي قلى ميرزا استقبالهما وطلب منهما تناول الشاي الذى أعدّه لهما فلم يقبلا قائلين (أننا نشعر بان ذلك يكون عملا منافيا للطاعة إذا تناولنا طعاما أو شرابا بينما رئيسنا المحبوب يتضور جوعا فى القلعة) فقال البرنس إن العداء بيننا قد استمر طويلا بلاموجب. وقد تحارب الطرفان مدة وانتهكت قواهما ومن رغبتى الاكيدة الوصول إلى حل سلمى لفض الخلافات التى بيننا) ثم تناول المصحف الذى كان بجواره وكتب على هامش الفاتحة الكلمات الآتية للقدوس تأييداً لدعوته (أحلف بهذا الكتاب الاقدس وبحق من أنزله وبالرسالة التى جاءت بهذه الآيات أنه لاقصد لى سوى توطيد السلام والمحبة بيننا فاخرجوا من معقلكم وتأكدوا أنه لن تمتد لأيذائكم أى يد وأنكم ستكونون أنتم واصحابكم فى حفظ الله ومحمد رسوله وناصر الدين شاه مليكنا. وأقسم لكم بشرفى أنه لن يعتدى عليكم أى شخص سواء فى الجيش أو الجهات المجاورة وإذا كان لى غرض آخر أضمره فى نفسى خلاف ما بينت فعلى غضب الله المنتقم الجبار) ثم ختم الكتابة بختمه وأعطى المصحف وفيه الاقرار إلى الملا يوسف وسأله أن يسلمه إلى الرئيس مع تحياته. وزاد بقوله (وسأرسل فى عصر هذا اليوم تنفيذا لهذا الأقرار بعض الجياد لنقله ونقل أتباعه إلى المعسكر فى خيمة خاصة أعدت لهذا الغرض وسيكونون فى ضيافتى إلى حين عمل الترتيب لنقلهم على مصاريفى إلى موطنهم) واستلم القدوس القرآن من يد الرسول وقبله باحترام وقال (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) (٣) ثم أمر باق

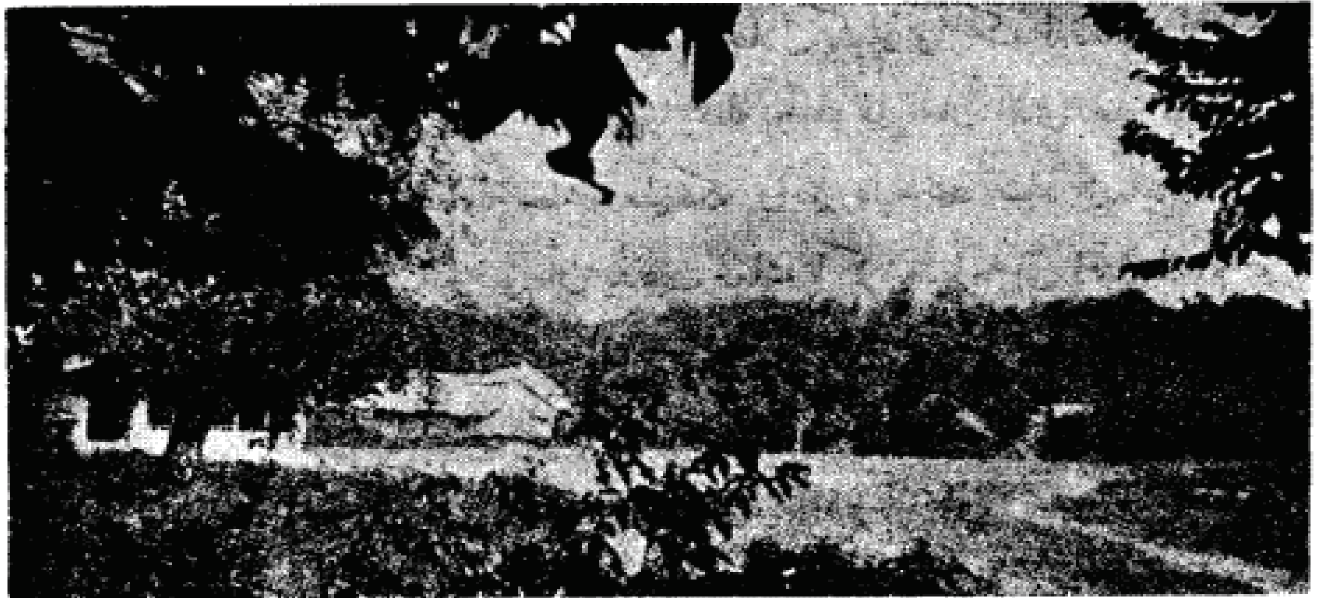
(١) ٩ مايو سنة ١٨٤٩ ميلادية

(٢) وكانت هذه الشجاعة الفائقة والحماس الذى لا مثيل له والهمة التى لا تقاوم قد جعلت رؤساء الجيش الملكي كثيري التفكير. ولما يأسوا من فتح المعاقل التى كانت تصدهم عمدوا إلى طريق الحيلة واستبدل الشاه البرنس بسليمان خان إفشار فقبض على ناصية الحالة وشدد الحصار بكل قوته ظنا منه أنه كلما طال الأمد فان حياته وأمواله تكون جميعها معرضة للخطر (كتاب السيد على محمد الباب صحيفة ٣٢٥)

(٣) قرآن ٧ — ٨٨

أتباعه توا أن يستعدوا لمبارحة القلعة قائلا (اننا باجابتنا لطلبهم نعطيهم الفرصة أن يوفوا بصدق ماعاهدوا الله عليه) .

ولما حانت ساعة الرحيل لبس القدوس العمامة الخضراء التى أرسلها له الباب فى الوقت الذى أرسل فيه العمامة الأخرى التى لبسها الملا حسين يوم شهادته وامتطوا الجياد التى أعدت لهم عند باب القلعة وامتطى القدوس الجواد المخصوص الذى بعثه البرنس له وسار خلفه باقى أصحابه وأغلبهم من الأشراف والعلماء . وتبعهم الباقون مترجلين ومعهم كل ما كان عندهم من الاسلحة والمنقولات وبلغت عدتهم مائتى نفر واثنين . ولما وصلوا إلى الخيمة التى أعدها البرنس للقدوس فى جوار حمام عام فى قرية ديزوا المشرفة على معسكر العدو نزلوا للاستراحة فى أماكنهم المخصصة لهم بجوار هذه الخيمة.



منظر قرية دزوا

وبعد وصولهم بقليل خرج القدوس من خيمته وجمع حوله الأصحاب ونصحهم قائلا (عليكم أن تظهروا الانقطاع الكلى وتكونوا مثالا لغيركم وبذلك يرتفع صيت الأمر ويعلو مجده وما يقع مخالفا لهذا الانقطاع إنما يساعد على تلويث سمعته ويحجب بهاء دعوته وانى أسأل القدير أن يمنحكم ذلك ويساعدكم إلى آخر ساعة من حياتكم على أن تكملوا نصيبكم فى ارتفاع أمر دينه)

وبعد مرور بضعة ساعات من الغروب أحضروا لهم طعام العشاء من المعسكر وكان

الطعام قد أعد فى صوان متعددة وتخصصت كل واحدة لثلاثين نفر ولـكن الطعام كان نذراً غير كاف لهم وروى البعض ممن كانوا مع القدوس قال(ان القدوس طلب تسعة أصحاب منا لمشاركته فى الطعام المقدم اليه فى خيمته فلما امتنع عن تناول الطعام امتنعنا نحن أيضا مثله وفرح الخدم بذلك والتهموا الطعام الذى أبينا أن نمسه وأكلوه بشراهة) وسمع بعض الأصحاب ممن كان يتناول الطعام خارج الخيمة يتجادلون مع بعض خدام البرنس بصدد شراء ما يريدون من الخبز باي ثمن باهظ . ولـكن القدوس تكدر من سلوكهم بهـذه الـكيفية ووبخهم على هذا الطلب الذى قدموه ولولا تداخل ميرزا محمد باقر لأوقع بهم عقابا لعدم اطاعتهم لنصائحه المؤكدة .

وفى الصباح جاء رسول وطلب الميرزا محمد باقر لمقـــابلة البرنس فاجاب الطلب بعد استئذان القدوس وعاد بعد ساعة وأخبر سيده أن البرنس أعاد الـكرّة وأكد تعهداته فى حضور سليمان خان أفشار وعاملنى بحفاوة واجلال كبير وأكد لهقائلا (ان اليمين التى حلفتها مقدسة ولن أحنث فيها) واستشهد بحالة جعفر قلى خان الذى بعد ثورة السالار وقتل الآلاف من عسكر الدولة سامحه مليكه وانعم عليه محمد شاه بانعامات جديدة وزاد محمد باقر بقوله (ينوى البرنس أن يذهب معك باكرا صباحا إلى الحمام العام ثم يعود إلى خيمتك وينقل الجماعة على الخيول إلى سنك سر ومن هناك يتفرق الاصحاب ويعود بعضهم الى العراق والبعض الآخر الى خراسان ولـكن بناء على طلب سليمان خان الذى قرر أن وجود مثل هذا العدد الغفير فى بلدة حصينة مثل سنك سر يكون محفوفا بالأخطار ـ أمر البرنس أن يكون تفرق الاصحاب فى فيروزكوه بدلا عنها . وانى أظن أن كل ما يقوله البرنس بلسانه لا يصادق عليه بقلبه أبداً .) فوافق القدوس على أقوال ميرزا باقر وأمر أصحابه أن يتفرقوا فى نفس الليلة وقال لهم أنه بنفسه سيذهب الى بار فروش. فتضرعوا إليه أن لايفارقهم وطلبوا اليه أن يسمح لهم ببركة استمرار مرافقته . فنصحهم على السكون والهدوء وأن يتجملوا بالصبر والأناة وأكدّ لهم أنهم سوف يلقونه مرة أخرى مهما خبأ لهم المستقبل من المصائب. وفى كلمات وداعه قال لهم (لاتبكوا فان الاجتماع الذى سوف يعقب هذا الافتراق سيكون اجتماعا أبديا فقد وكلنا أمرنا لله ومهما كانت ارادته وأمره فاننا نتقبله بكل سرور ورضا) .

أما البرنس فلم يوف بوعده وبدلا من الذهاب إلى خيمة القدوس دعاه مع الكثيرين من الاصحاب الى الحضور إلى المسكر . وبمجرد وصولهم الى خيمة الفراش باشى اعلمه أنه سوف يطلبه عند الظهر . وبعد برهـــة ذهب بعض خدام البرنس وأخبروا باقى الاصحاب أن القدوس يأذن لهم فى الانضمام إلى المعسكر . وانخدع الكثيرون من هذا القول ووقعوا أسرى فى أيديهم وفيما بعد باعوهم كعبيد وكان هؤلاء الأسارى التعساء هم البقية الباقية من المعركة العنيفة التى وقعت فى قلعـة الشيخ طبرسى وكانت نجاتهم سببا لان ينشروا بين مواطنيهم رواية الآلام والامتحانات القاسية التى وقعوا فيها فى تلك القلعة

وبعد مضى قليل من الزمن أمر حاشية البرنس الملاّ يوسف بالحاح أن يخطر زملاءه بان رغبة القدّوس هى أن يتجردوا من السلاح حالا. فغادر المعسكر واثناء مسيره لحقوا به وسألوه ما الذى عزم على اتّباعه . فاجابهم بكل جسارة (سوف احذرهم أن لا يصدقوا أى رسالة تصدر منكم على لسان الرئيس لانها تكون كاذبة باطلة.) وما كادت هذه الكلمات تصدر من فمه حتى قتلوه بلا رحمة .

وبعـد هذا العمل الوحشى قاموا إلى القلعة ونهبوا كل ما وجدوه فيها وهدموها نهائيا (١) ثم احاطوا بباقى الاصحاب واطلقوا عليهم الرصاص والذى نجا من المقذوفات قتل بسيوف الضباط وحراب رجاله وفى سكرات الموت كان يسمع من افواههم (سبّوح قدّوس ربنارب الملائكة والروح) وهو نفس النداء الذى كانوا يذكرونه بحماس وقت افراحهم وهو الذى رددوه فى آخر ساعات حياتهم بحماس لايقل عنه . وتوج شهادتهم بأكاليل فخر أبدى . (٢)

(١) وهدموا جميع الابنيـة التى أقامها البابيون وسووا بها الأرض حتى لا يكون لها أى أثر وتنمحى كل علامة للدفاع المجيد الباسل الذى فدى فيه الابطال البواسل حياتهم لأجل الدين . وظنوا أنهم بعملهم هذا يطمسون معالم التاريخ المجيد (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٢٧)

(٢) وقد جعلوهم صفوفا وابتدأوا يتفكهون ببقر بطونهم وكلما أخرجوا الأمعاء من أحدهم بهذه الكيفية كانوا يضحكون وخاصة عند بروز الحشائش والأعشاب من أمعائهم بدون هضم وفى ذلك بلاء كبير يدل على مقدار ما تحملوه وعلى درجة رفعة وعظمة الايمان الذى جعلهم يتحملون مثل ذلك التعذيب ولم يفلت منهم إلا القليل ممن هرب إلى الغابة

وبينما كانت هذه الفظائع ترتكب مع الاصحاب أمر البرنس أن يحضروا امامه الأسرى واحدا بعد آخر ومن كان منهم ذا ثروة أمر أن يفدى نفسه بمبلغ كبير على قدر ثروته بعدعودته إلى طهران. فمن هؤلاء الملاميرزا محمدفروغى ووالد بديع (١) والحاجى ناصر القزوينى (٢) وأمر اتباعه وجلاديه باعدام الباقين فورا. فقطع البعض بالسيوف (٣) والبعض ربط فى الشجر ومزق بالرصاص والبعض ضرب بالمدافع.

ولما تمت هذه المجزرة الفظيعة (٤) أحضروا أمام البرنس ثلاثة من اصحاب القدوس كانوا

(١) الحاجى عبد المجيد النيسابورى الذى استشهد أخيراً فى خراسان

(٢) وقال ميرزا جانى بأن علماء الاسلام قد أعطوا العالم منظراً مخجلا. فأراد المنتصرون الافتخار بسكر انتصارهم فوضعوا القدوس فى السلاسل وميرزا محمد حسن خان أخ باب الباب والآخوند الملا محمد صادق خراسانى ومرزا محمد صادق خراسانى وحاجى ميرزا حسن خراسانى وشيخ نعمت الله الآملى والحاجى ناصر القزوينى والملا يوسف الاردبيلى والاقا سيد عبد العظيم خوئى وكثيرين غيرهم فى وسط موكب مع دق الطنبور والموسيقى وفى كل جهة يمرون فيها فى مكان مأهول بالسكان يقومون على إيذائهم وضربهم (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٢٧ — ٣٢٨)

ولم تنته الوحشية إلى هذا الحد فقط فاذا سلم أحد من الموت بطريق الفداء بيع كالعبيد وسيق غيرهم إلى ميدان الشهادة ومن الذين وجدوا من يفديهم من الاصحاب الاخوند ملا محمد صادق الخراسانى وملا محمد محولاتى دوغ أبادى والآقا سيد عظيم الخوئى والحاجى ناصر قزوينى والحاجى عبد المجيد البنسابورى وميرزا حسين متولى القمى واستشهد أربع من البابيين فى بارفروش وأرسل اثنان إلى آمل وكان أحدهما ملا نعمت الله الآملى والثانى ميرزا محمد باقر خراسانى قاينى ابن عم المصنف البابى وكان القاينى يعيش قبل ذلك فى مشهد فى شارع خيابان بالا وكان منزله المسمى بالبابية محل اجتماع الاتباع وكذلك محل نزول سواح الاحباء. وهناك كان نزول قدوس وباب الباب أثناء رحلتهم فى خراسان. وكان القاينى فضلا عن علومه الدينية ماهرا فى الصناعة اليدوية واليه تعزى إقامة التحصينات فى الشيخ طبرسى (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٢٩)

(٣) وأما الباقون فطرحوهم أرضا جنبا لجنب وبقروا بطونهم واحداً بعد الآخر ووجدت أمعاء الكثيرين ممتلئة من الأعشاب النيئة ولما انتهوا منهم لم يبق عليهم غير إعدام باقى الملتجئين من النساء والأطفال بعد أن صدر أمر العفو عنهم فقتلوهم جميعا ذبحا ولم يتركوا منهم أحداً

(الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ١٨٩)

ولما وصل الملا نعمت الله إلى آمل عذبوه بقسوة زائدة وأهاج هذا المنظر غضب القاينى للغاية وعندما اقترب منه السياف ليضربه هجم عليه وقطع رباطه وأخذ السيف من يده وضربه على أم ناصيته بشدة حتى أن رأسه طاحت ودارت خمسة عشر دورة فاكتظ الناس عليه ولكنه كان يرمى تحت أرجله كل من يقترب منه فاضطروا إذ ذاك إلى قتله بالأعيرة النارية على بعد وبعد قتله وجدوا فى جيبه قطعة من لحوم الخيل مشوية تذكارا للحوادث والمصائب التى تحملوها لأجل الدين (نفس الكتاب ٣٢٩ — ٣٣٠)

(٤) وتحير جميع العالم من فداء أنفسهم وأرواحهم ...... على شأن تاهت العقول من أفعالهم وتحيرت النفوس من اصطبارهم وما حملت أجسادهم .. ولمدة ثمانية عشر سنة نزلت على هؤلاء الانوار

قاطنين في سنكسر وكان أحدهما السيد احمد بن مير محمد على احد تلامذة الشيخ احمد الاحسائى ومن أشد المنتمين اليه ومن اكابر العلماء البارزين. وسافر الى كربلاء فى السنة التى سبقت ظهور الباب ومعه إبناه السيد أحمد المذكور وأخوه مير أبو القاسم الذى لقى حتفه فى نفس الليلة التى قتل فيها الملاّ حسين . وقصد المير محمد على من ذلك السفر تقديمها الى السيد كاظم وتصادف أن كان السيد كاظم قد فارق الحياة قبل وصوله فاستعد أن يذهب توّاً الى النجف . وبينما هو فى تلك المدينة رأى محمد فى الرؤيا ذات ليلة وهو يأمر الامام على أمير المؤمنين أن يخبره أن نجليه سيد احمد ومير أبو القاسم سيلتقيان بالقائم الموعود ويستشهدان فى سبيله وبمجرد أن استيقظ نادى نجله السيد أحمد وأوصاه بما أراد وفى اليوم السابع من تلك الرؤيا توفى

وكان يوجد أيضاً فى سنكسر إخوان آخران وهما كربلائى أبو محمد وكربلائى علىّ وهما مشهوران بالتقوي والعلم اللدنى وكانا يجتهدان فى إعداد الناس لقبول أمر الدين الجديد الذي كانا ينتظران قرب ظهوره . ففى سنة ١٢٦١ هجرية أعلنا لعموم الناس أن فى تلك السنة سيظهر رجل اسمه السيد على ويسير مع الراية السوداء من خراسان إلى مازندران ومعه نخبة من الأصحاب وحرّضا كل تابع أمين للاسلام أن يقوم ويعد يده بكل ما أمكن من المساعدة . وقررا أن الراية التى يرفعها هى راية القائم الموعود والذى ينشرها هو أكبر أصحابه وأعظم مروّج لأمره . وسينجو الذين يتبعونها وسيكون الذين يديرون وجوههم عنها من الهالكين . وكان كربلائى أبو محمد يحرض نجليه أبو القاسم ومحمد على أن يقوما على نصرة الأمر الجديد وأن يضحيا كل مصلحة مادية للوصول إلى هذه الغاية وتوفى كل من كربلائى أبو محمد وكربلائي علىّ فى ربيع السنة ذاتها

وكان نجلا الكربلائى أبو محمد هما اللذان أدخلا أمام البرنس مع السيد احمد السابق

المقدسة جميع البلايا من كل الجهات كالمطر . فما أعظم المحبة والود والعشق والذوق الذى به انفقوا أرواحهم فى سبيل السبحان كما هو مبرهن وواضح للجميع فكيف مع ذلك يقللون من أهمية هذا الامر . فلم يظهر فى أى عصر مثل هذا الامر الخطير وإذا لم يكونوا هؤلاء هم المجاهدون فى الله فمن يمكن اعتباره غيرهم مجاهداً فهل كانوا ينشدون العزة والثروة والجاه أم كان لهم قصد خلاف رضا الحق ولو فرض وكان جميع هؤلاء الاصحاب كاذبين رغما عن هذه الآثار العجيبة والاطوار الغريبة التى ظهرت منهم فمن ذا الذى يليق إذا أن يكون من دعاة الحق تالله أن أفعالهم حجة كافية ودليل مقنع علي جميع أهل الارض لو كان الناس فى أسرار الامر يتفكرون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .
(من كتاب الايقان صحيفة ١٨٩ — ٩١ طبعة انجليزية)

الذكر لأن ملاّ زين العابدين الشاه ميرزادى أحد العلماء وأحد مستشارى الحكومة الموثوق بهم كان قد أعلم البرنس بأمرهما ومساعي وجهود أبيهما. وشرع البرنس يسأل السيّد احمد بقوله (لماذا اخترت السير فى هذا الطريق الذى جلب عليك وعلى مواطنيك أسوأ العواقب وأشنعها . ألا تكتفى بالعدد الغفير من العلماء والفقهاء المشهورين الموجودين فى هذه البلاد وفى العراق) فكان جوابه بلا وجل (أن إعانى بهذا الأمر لم يكن موروثا من تقليد أعمى بل بناء على فحص الأمر واقتناعى بصحته . ولما كنت فى النجف تجاسرت على أن أطلب من المجتهد الشهير الموجود فى تلك المدينة وهو الشيخ محمد حسن النجفى حل بعض المسائل الثانوية فى التعاليم الاسلامية فامتنع من إجابة الطلب وأعدت الكرة عليه ولكنه وبخنى غاضبا واستمر على امتناعه فكيف مع ذلك يمكننى أن أستنير بخصوص مسائل الاسلام الغامضة من عالم شهير يرفض أن يجيب على أسئلة بسيطة فى الأمور العادية ويظهر تعجبه من أني أضع له هذه الأسئلة) فسأله البرنس (وما هو اعتقادك فى الحاجى محمد على) فأجابه (نحن نعتقد أن الملاّ حسين حامل اللواء الذى تكلم عنه محمد رسول الله بقوله (إذا رأيتم الرايات السود مقبلة من خراسان فاسرعوا اليها ولو حبوا على الثلج) ولذلك تركنا الدنيا وما فيها وأسرعنا اليها وهي لم تكن سوى رمز على ديننا فاذا أردت أن تعمل معى معروفا فأمر جلادك لينهى حياتى ويمكنى من الالتحاق بجماعة الرفقاء الخالدين لان الدنيا بجميع ملاذها لايمكن أن تغرنى واني أود أن أفارق هذه الحياة وأرجع الى ربى) وكان البرنس مترددآ أن يقتل سيدآ ورفض تنفيذ ذلك . ولكنه أعدم رفقاءه الاثنين فى الحال . وسلمه هو وأخوه سيد أبو طالب ليد ملاّ زين العابدين الذى أمر أن يرسلهما إلى سنكسر .

وفى هذه الأثناء كان الميرزا محمدتقى قد خرج من تلك البلدة مع سبعة من علماء سارى ليشتركوا فى إيقاع عقاب الاعدام على أصحاب القدوس لينالوا بذلك أجرآ ولما وجدأنهم أعدموا قبل وصوله ألح على البرنس أن يعيد النظر فى حكمه وأن يأمر باعدام السيد احمد مدعيا أن وصوله الى سارى سوف يكون سببآ فى إعادة الاضطراب أكثر من السابق فرضخ البرنس أخيرآ إلى طلب الملاّ واشترط أن يبقى السيد احمد ضيفآ عنده لحين وروده فى سارى وهناك يتخذ معه من الاجراءات مايكون كفيلا فى عدم اضطراب الامن فى

تلك الجهات . وما كاد الميرزا محمد تقى يسير فى طريقه إلى سارى حتى ابتدأ يسب ويشتم السيد احمد ووالده فقال له مسجونه (لماذا تسيء إلى ضيفك الذى عهد به البرنس اليك ولماذا تتجاهل حكم النبى القائل (أكرموا الضيف ولو كان كافراً) فحمى غضب الميرزا محمد تقى هو والسبعة من رفقاه وسحبوا سيوفهم وقطعوه إربا . وكان آخر نفس تلفظ به السيد احمد هو نداؤه لصاحب الزمان . أما أخوه السيد أبو طالب فرحلوه إلى سنكسر بواسطة الملاّ زين العابدين وهو موجود للآن وقاطن مع أخيه السيد محمد رضا فى مازندران ويشتغل الأثنان فى خدمة أمر الله وهما معدودان من أكبر دعاته

ولما أكمل البرنس عمله رجع إلى بارفروش مصحوبا بالقدوس ووصلها يوم الجمعة بعد الظهر فى الثامن عشر من جمادى الثانى(١) وخرج سعيد العلماء مع بقية العلماء فى المدينة للترحيب بالبرنس ولأسداء تهانيهم لعودته منصوراً وهرع الأهالى للاحتفال بالنصر وأشعلوا المشاعل التى أضاءت فى الليل لاستقبال البرنس بفرح كعلامة من السكان الأوفياء لتحية قدومه . وبعد مرور ثلاث أيام من الاحتفال لم تظهر رغبة البرنس فيما يختص بالقدّوس بل كان متردداً فى سياسته نحوه ومانع فى إيصال أي أذى اليه . فأولا منع الأهالى من إشباع شهوتهم الجامحة وإحساس بغضهم العظيم فمنعهم من التعدى وإثارة غضبهم . وكان أصلا يؤمل إيفاده إلى طهران لتسليمه ليد مليكه ليتخلص من المسئولية الملقاة على عاتقه .

أما عداوة سعيد العلماء التى لا تخبو نارها فكان لها أثرها فى هذا الخصوص وأشعلت نيران حقده للقدوس وأمره وازداد لهيبها وسعيرها إذ رأى ميل البرنس متجها نحو إفلات مثل هذا الخصم القوى من قبضة يده فسعى لديه ليل نهار وبكل حيلة اخترعها عقله الماكر لأن يقنع البرنس للعدول عن رأيه وعن السياسة التى يريد إتباعها فى شأنه واعتبرها مخيفة وصادرة عن جبن . ومن شدة حنقه أهاج احساس الجمهور وأثار أحط شعور الانتقام فى صدورهم وأشعل نيران التعصب فى قلوبهم فهاجت جميع أهالى بارفروش من مقاله وتمكن بمهارته الشيطانية من تأليب الجماهير واثارتهم لمساعدته . واحتج بكل وقاحة قائلا (قد حلفت أن لا أتناول طعاما ولا أنام حتى اتمكن من انهاء حياة

(١) ١١ مايو سنة ١٨٤٩ ميلادية

الحاجى محمد على) وساعدت تهديدات الغوغاء على تدبيره وإثارة خاطر البرنس وخوفا على حياته من الخطر دعا جميع علماء بارفروش بالحضور للتشاور فيما يتخذ من الأجراءات لتخفيف وطأة الضوضاء الحادثة عن الهياج العام فاجابوا الدعوة جميعاً عدا الملاّ محمد حمزه الذى اعتذر عن حضور الاجتماع وكان قبل ذلك فى مواقف كثيرة يقنع الأهالى أثناء حصار القلعة بعدم الأقدام على أعمال القسوة . وكان القدوس قبل مبارحته للقلعة سلم له بواسطة أحد أصحابه من مازندران من الموثوق بهم خرجه المختوم الذى يحتوى على تفسيره لصاد الصمد وغيرها من الكتابات والأوراق التى كانت تحت يده والتى لم يعلم نصيبها للآن .

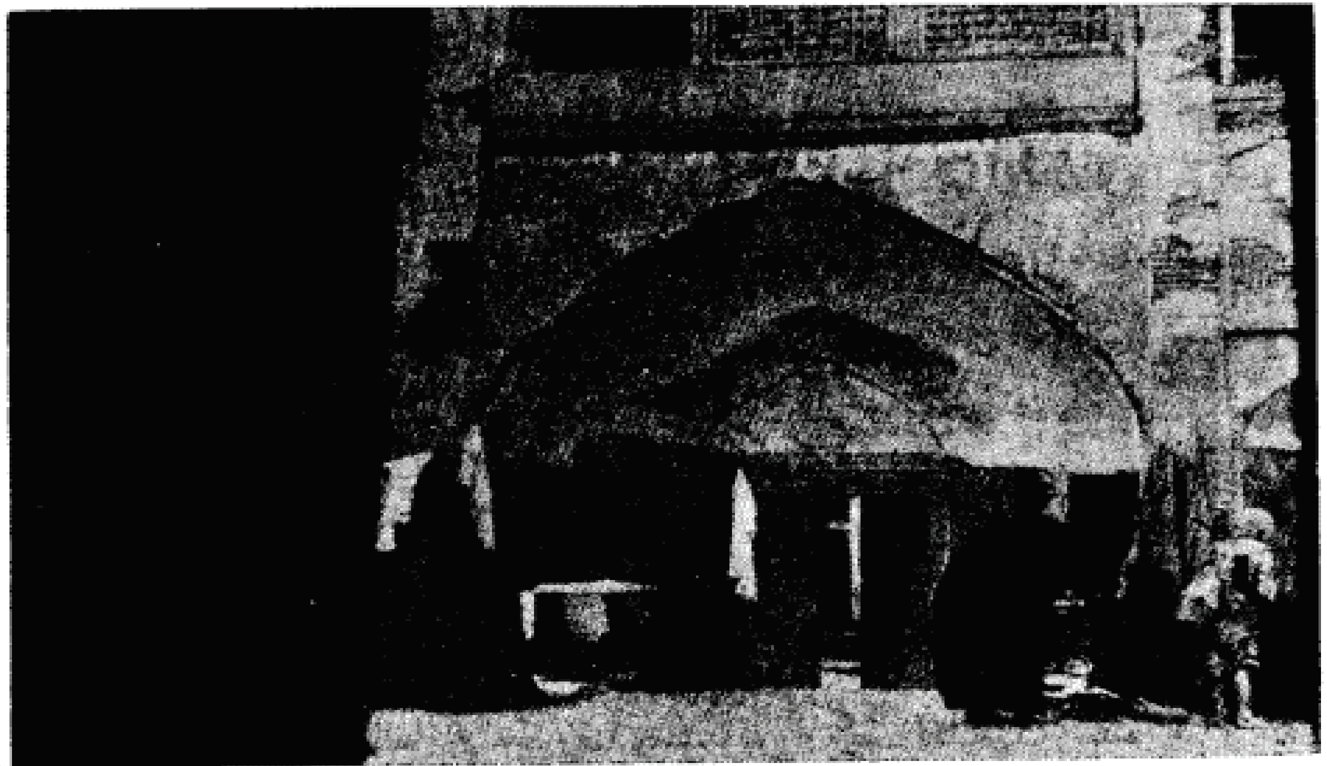
وما كاد العلماء يجتمعون حتى أمر البرنس أن يحضر القدّوس ولم يكن قد حضر أمامه منذ تسليم القلعة إذ كان فى عهدة فراش باشى . وبمجرد وصوله قام البرنس وطلب منه الجلوس بجانبه . والتفت الى سعيد العلماء وطلب منه مناقشته بهدوء وتعقل . وقال له (ان مباحثاتك يجب أن تكون مستندة على آيات القرآن وأحاديث الرسول وبهما وحدهما يمكنك أن تثبت صدق أو كذب احتجاجك) فرد سعيد العلماء بوقاحة قائلا (هل بوضعك العمامة الخضراء على رأسك أنتحلت مقاما لا يدعيه الا من كان من سلالة الرسول ألا تعلم أن من يزدرى بهذا الحديث يستحق غضب الله) فأجابه القدوس بهدوء (وهل كان السيد المرتضي الذى يحترمه ويجله جميع العلماء المشهورين من سلالة الرسول من طريق أبيه أو من طريق والدته) فأجاب أحد الحاضرين (إنه كان سيداً شريفا من طريق والدته) فرد القدّوس قائلا (فلماذا تعترض إذا علىّ ووالدتى معروفة لجميع سكان هذه المدينة بأنها من نسل الامام حسن ألم تك محترمة من الجميع بسبب شرف هذه النسبة)

فلم يقدر أحد على الاعتراض عليه . وحمي غضب سعيد العلماء (١) وزاد يأسه وقام غاضباً ودفع بعمامته على الأرض وترك المجلس وهو يرعد قائلا (إنّ هذا الرجل تمكن أن

(١) وشاهد البابيون أمراً عجيبا وهو أن سعيد العلماء بعد مرور بعض الزمن أصيب بمرض غريب فأنه رغما عن كساء الفرو الذى كان ملتفا به والنار الموقدة على الدوام فى غرفته كان يرتعد من شدة إحساسه بالبرودة فضلا عن أن النار الباطنية التى كانت تلتهم جسمه كانت على شأن لم تمكنه من إطفاء ظمأه المتواصل حتى توفى وترك منزله الجميل وهجره الناس فيما بعد حتى تهدم تدريجيا وأصبح محل طرح القمامة والاقذار . وبقيت هذه الحقائق ماثلة فى أفئدة أهل مازندران حتى أنهم إذا تشاتموا كانوا يقولون إن شاء الله يخرب بيتك مثل ما خرب بيت سعيد العلماء ويلقى مثل ما لاقاه
(من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٣٠)

يبرهن لكم أنه من سلالة الإمام حسن ولا يمض إلا وقت قليل حتى يثبت لكم انه فم الله ومظهر ارادته) فتحرك البرنس وقرر ما يأتي (انى أغسل يدىّ من كل مسئولية





مناظر مدرسة ميرزا زكى فى بارفروش وهى مقام القدوس

لايصال الأذى بهذا الرجل فافعلوا بهما شئتم وأنتم تكونون مسئولين أمام الله عن ذلك يوم القيامة) . وبمجرد أن تكلم بذلك استدعى جواده وارتحل الى سارى مع خدامه واذ خوفته سطوة العلماء تناسى يمينه الذى حلفه وسلّم قدوس بالامتهان الى يد عدوّه القاسى وكانت هؤلاء الذئاب الخاطفة الذين يلهثون متحفزين للحظة التى ينقضّون فيها على فريستهم بكل

وحشية ليشبعوا أشد شهوات انتقـــامهم وحقـــدهم .

وما كاد البرنس يرفع يده عن حماية القدوس من أهالي بارفروش وعلمائها حتى هجموا عليه بأمر سعيد العلماء وأوقعوا على جسده من أنواع التعذيب مالا يقدر القلم على وصفه وبشهادة بهاء الله تحمل هذا الشاب الذي كان في مقتبل عمره من الآلام والتعذيب مالا يوصف وتجرع الموت بكيفية لم يلاقها أحد في ساعة أجله حتى ولا المسيح في أشد حالات آلامه . ولما رفعت الحكومة حمايتها عن القدوس تحركت أيدى الطغاة وتجلت وحشية أشرار بارفروش وساعد على ذلك شدة التعصب المشتعل في صدور أهل الشيعة والتعضيد المعنوى الذى أسداه علماء وأعيان الدولة في العاصمة لهم فضلا عن الرغبة في الانتقام من أعمال الفروسية والبطولة التي ظهرت من هؤلاء المؤمنين فاجتمعت كل هذه العوامل لتحريك عصبة الأشرار وزادت في الوحشية الشيطانية التي قضوا بها عليه وقت استشهاده .

وكان وقوع هذه الحادثة من الفظاعة بمكان حتى ان الباب في حبسه في قلعة جهريق كان غير قادر على الكتابة أو الاملاء مدة ستة أشهر لحزنه العميق الذى شعر به أوقف صوت الوحي وأسكت قلمه طوال هذه المدة . فكم كان يندب هذا الفقدان الجسيم وكم كان ضجيجه عند ما كانت تتلى عليه وتتمثل أمام عينيه قصة الحصار وما قاساه الأصحاب من الآلام المبرحة وخداع الأعداء لهم وذبح المؤمنين جملة واحدة في قلعة الشيخ طبرسى . وما كان أشد تفجعه وحزنه عند ما علم بالمعاملة الوحشية التي عومل بها محبوبه القدوس في التى الاستشهاد بيد أهالي بارفروش وكيف جردوه من ملابسه وأوقعوا من رأسه عمامته وقت أرسلها له وكيف ساروا به في الشوارع حافي الأقدام عاري الرأس مكبلا بالحديد ويتبعه جميع أهالي البلدة بالتوبيخ والتأنيب وكيف كان يشتمه ويبصق عليه الجمهور المتهيج وكيف هجموا عليه بالسنان حتى نساؤهم بالمغازف والمشاقص وكيف قطعوا جسده إربا وكيف أشعلوا النار فيه أخيراً .

وكان القدوس أثناء تألمه وتعذيبه ينطق بمسامحة أعدائه ويقول (اغفر يا إلهي لهؤلاء المعتدين وعاملهم برحمتك لأنهم ليس لهم علم بالأمر الذى آمنا به واني اجتهدت أن أظهر لهم طريق نجاتهم فانظر كيف قاموا عند ذلك على قتلي واعدامي ، فأظهر لهم يا إلهي طريق الحق وبدل جهلهم بالعلم والعرفان وكفرهم بالتصديق والايمان) . وأثناء تعذيبه كان

السيدقى الذى خانه وترك القلعة يمر بجانبه ولما رأى حالة حزنه ووحدته صفعه على وجهه قائلا بكل استهزاء ووقاحة (انك تزعم أن صوتك هو صوت الله فاذا كنت صادقا فا كسر قيودك وخلص نفسك من أيدى أعدائك .) فحدق قدّوس فى وجهه وتأوه بحرقة قائلا (جازاك الله على عملك بقدر مازدت فى آلامى) ولما اقترب من سبز ميدان صاح قائلا (ليت أمى كانت معى لتشهد بعينها بهاء عرسي) وما كاد يتم هذه الكلمات حتى انقض عليه الجمهور وقطعوا جسمه اربا ورموا أجزاءه وأعضاءه فى النار التى أشعلوها لهذا الغرض وفى منتصف الليل جمع بعض أصحابه ما تبقى من جسده (١) ودفنوه فى محل لا يبعد عن مكان استشهاده (٢)

وقد رأيت من المستحسن هنا أن أذكر أسماء هؤلاء الشهداء الأولين السابقين الذين

(١) وعلى كل حال يظهر أن أحد العلماء وهو الحاجى محمد على حزه الذى كان متبحراً فى المواهب الروحانية والتأويل ورجلا تقيا أرسل بعد استشهاد القدوس سراً أشخاصا عديدين لدفن رفات وبقايا الجسد الممزق فى المدرسة السالفة الذكر . ولم يكن هذا العالم فقط يخالف سعيد العلماء فى أعماله بل كان أيضا يلعنه ولم يقبل فى حياته أن يمضى حكم إعدام على بابى وبالعكس كان دائما يبذل جهده فى دفن الذين يذبحهم سعيد العلماء . وإذا سأله أحد بخصوص أهل القلعة يقول إنى لا أحكم عليهم ولا أتكلم بشيء ضدهم . ولهذا السبب كان نصف أهالى بارفروش على الحياد . لأنه كان فى بدء الامر يمنع الناس من شتمهم وإيذائهم ولكنه فيما بعد عند تفاقم الشر رأى الافضل له أن يبقى ساكتا وأن يغلق بابه على بيته. وكانت تقواه وزهده وعلمه وفضائله معروفة عند أهل مازندران كما كان سعيد العلماء موصوفا بالفسق والخيانة وطلب الدنيا (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٩٢)

(٢) والقدوس هو الشخص عرفه ورافقه فى الحج ومرت عليه ثمان سنين وشرفه الله عند ملائكته فى السماوات العلا بسبب الكيفية التى انفصل بها عن الجميع وبسبب أعماله التى لم توجد فيها أى عيب لدى الرضاء الالهي (البيان الفارسى جزء ٢ صحيفة ١٦٤)

وأعجب من كل ذلك الوصف الذي قرره عباس قلى خان للبرنس أحمد ميرزا ذلك الوصف المقرون بعلامات الاعجاب . فقد كتب المرحوم حاجى ميرزا جانى قال (بعد مرور سنتين على حادثة الشيخ طبرسى سمعت شخصا يروى الرواية الآتية وكان صادقا بالرغم من أنه لم يكن بابيا (كنا جلوسا إذ جاءت ذكرى الحرب الذى أثاره بعض الحاقدين على القدوس وباب الباب. وكان ضمن الحاضرين البرنس أحمد ميرزا وعباس قلى خان فسأل البرنس عن الموضوع من عباس قلى فأجابه بقوله إن حقيقة الموضوع هو أن الذى لم يشاهد ما حدث فى كربلاء ويريد رؤية ما كان فيها فلا يمكنه ذلك إلا إذا شاهد ما وقع فى طبرسى . وإذ ذاك لا يعجب من قوع أمثال وقائع كربلاء . فأذا رأى الملا حسين البشروئى أقتنع تماما أنه إنما شاهد سيد الشهداء وأن هذا الاخير قد جاء وظهر فى الارض. أما من يري أعمالى فيقول حقا أن شمر قد رجع إلى العالم ومعه سيفه وحربته وإنى أحلف بشرف جلالة سيد الكائنات المقدس أن ملا حسين لبس على رأسه عمامة خضراء والتحف بشال على كتفه وخرج من القلعة إلى العراء متكزا على رمحه فى يده وقال (أيها الناس لماذا تعاملوننا بهذه القسوة بدون بحث أوتحرى بل لمجرد

اشتركوا فى الدفاع عن قلعة طبرسي حتى أن الأجيال الآتية تذكر هؤلاء السابقين الأولين بما يليق لهم من الفخر والاطراء فقد زينوا بحياتهم ومماتهم تاريخ دين الله الأبدي وساعدوا على توسيعه وإعلائه . وقد جمعت هذه الأسماء من مصادر مختلفة خصوصاً ما تفضل به اسم الله الميم واسم الله الجواد واسم الله الأسد مما أنا مدين لهم به . والآن أشرع فى تعداد أسمائهم لتكون باقية على الألسنة فى هذا العالم بمثل ماتكون أرواحهم باقية فى العالم الآخر متمتعة بانوار المجد السرمدى . ولكى تحرك ذكراهم روح الحماس والاخلاص فى قلوب الذين تسلموا هذا الميراث المنقطع النظير . ولم أقتصر على ذكر أسماء الذين قتلوا فى ذلك الحصار التاريخى بل حصلت أيضاً على قائمة شاملة ولو أنها غير كاملة بأسماء الذين استشهدوا

الهوى النفسانى والتعصب الاعمى ولماذا تجتهدون فى سفك الدم الطاهر البرىء . ألا تخجلوا أمام خالق الكائنات وتعطونا على الاقل طريقا لنخرج به من أرضكم .) ولما رأيت العسكر قد تأثروا من كلامه أمرت بأطلاق النار وبأن يصيحوا حتى يحتجب صوته فلا يسمع بعد. ولكنى رأيته مرة أخرى يرتكز على رمحه ويصيح قائلا (أليس فيكم من ناصر ينصرنى ثلاث مرات حتى سمعه كل العسكر فصمتوا جميعاً وابتدأ البعض ينتحب وكثير من الخيالة تاثروا . وخوفا من خروج الجيش عن الطاعة أمرت مرة أخرى باطلاق النار وبالصياح . وبعد ذلك رأيت الملا حسين جرد سيفه ورفع رأسه إلى السماء وهو يصيح قائلا (يا إلهي قد أتممت الحجة على هؤلاء الخلق ونصحتهم فلم ينفعهم نصحى وابتدأ بضرب فينا باليمين والشمال وأقسم بالله أنه استعمل سيفه بطريقة تفوق قوة البشر ولم يبق فى الميدان من لم يفر من أمامه سوى خيالة مازندران الذين لم يقبلوا على أنفسهم الهرب ولما حمي الوطيس رأيت الملا حسين لحق عسكريا هاربا احتمى خلف شجرة واضعا بندقيته أمامه فضربه الملا حسين ضربة قاضية قطعته هو والشجرة والبندقية إلى ست قطع ولم ينبو سيفه فى جميع مدة الحرب فكل ضربة به كانت صائبة ومن شكل الجرحى علمت كل من طعنهم الملا حسين بسيفه لأنى أعلم أنه لن يقدر أحد أن يستعمل سيفه بهذه الكيفية سوى أمير المؤمنين ومن المحال على أى سيف آخر أن يقطع بهذه الكيفية وعلى هذا النحو ولذلك منعت كل من يعلم هذا الامر أن لا يفشي هذا السر في المعسكر حتى لا يحصل فتور بينهم . وحقا أنى لم أدرك ما الذى كان يظهر لهؤلاء القوم وماذا كانوا يشاهدونه فانهم كانوا يقتحمون الميدان بفرح لا مزيد عليه ونشاط متواصل ولم يظهر على وجوههم أى أثر للخوف أو الفكر . ومن يشاهدهم يعتقد أنهم ينظرون إلى السيف والخنجر كواسطة للحياة الأبدية . فكانت أعناقهم وبطونهم تشتاق الرماح وكانوا يكتظون حول الطاق النارى لتحيته . ومن الغريب إن أغلبهم كان من التلاميذ أو العلماء ومن المحجبين خلف جدران المدارس وضعفاء فى أجسادهم وغير معتادون على تحمل المشاق ولأصوات المدمرات وميادين القتال . وفى الثلاث أشهر الاخيرة من أشهر الحصار كانوا بلا خبز ولاماء ونحلت أجسامهم من انعدام القوت الضرورى للحياة. ومع ذلك كانوا فى ميادين القتال كأن روحا جديدة نفخت فيهم لدرجة لا يقدر معها الفكر البشرى أن يفهم شدة بأسهم وشجاعتهم فكانوا يعرضون أجسامهم إلى المدفع والنيران المتدفقة منه ليس فقط بشجاعة وبسالة بل أيضا بشوق وفرح وهم يعدون ميدان القتال كوليمة طالبين نثر أرواحهم فيها (كتاب التاريخ الجديد صحيفة ١٠٦ ـــ ١٠٩)

وأسلموا حياتهم في سبيل الله منذ سنة ٦٠ لغاية الآن وهو أواخر شهر ربيع الأول سنة ١٣٠٦ هجرية ومن عزمي أن أذكر اسم كل واحد منهم بمناسبة ذكر الحادثة الخاصة التي وقعت له. أما الذين شربوا كأس الشهادة وهم يدافعون عن أنفسهم في قلعة طبرسي فأسماؤهم كما يأتي

(١) أسبقهم وأولهم القدوس الذي سماه الباب اسم الله الأكبر وهو آخر حرف من حروف الحي واختص من بين أصحاب الباب بمصاحبته في حجه إلى مكة والمدينة وكان أول من قاسى الاضطهاد في أرض العجم لأمر الله مع الملاّ صادق والملاّ علي اكبر أردستاني وكان عمره ثمانية عشر سنة إذ ترك مدينة بارفروش لكربلاء. وجلس تحت أقدام السيد كاظم الرشتي يتلقى عنه مدة أربع سنوات. ولما بلغ إثنين وعشرين عاماً قابل وعرف الباب محبوبه في شيراز. وفي الثالث والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٦٥ هجرية أي بعد مرور خمس سنوات استشهد في سبز ميدان ووقع فريسة لأقسى وأفجر نوع من أنواع الوحشية بيد أعدائه. وكان الباب ومن بعده بهاء الله قد أنزلا ألواحا لا تحصى في ذكرى صعوده والحزن عليه وفي الثناء عليه هو وأصحابه. وكان مدح بهاء الله وتشريفه له بدرجة أنه سماه في تفسيره على آية (كلّ الطعام) بالنقطة الأخرى وهو مقام لايفوقه سوي مقام الباب نفسه

(٢) الملاّ حسين الملقب بباب الباب أول من آمن واعترف بالأمر الجديد ولما بلغ ثمان عشر سنة غادر موطنه في بشروى من أعمال خراسان لكربلاء ولمدة تسعة سنوات كان ملازما للسيد كاظم. وقبل إعلان الدعوة بأربع سنوات قابل في أصفهان العالم المجتهد السيد باقر الرشتي وفي مشهد ميرزا عسكري بناء على أمر السيد وأوصل اليهما الرسائل التي أوكله السيد بتوصيلها بكل شجاعة وإقدام وتكلم معهما بفصاحة تامة. وحركت أحوال استشهاده حزن السيد الباب حزنا عميقاً لا يوصف بالعبارة وأطلق قلمه في مدحه في ألواح ومدائح شتي يزيد حجمها على ثلاث أضعاف القرآن. وفي إحدى هذه الألواح يقرر الباب أن تراب الأرض التي دفن فيها الملاّ حسين له خاصية جلب الفرح للحزانى والبرء للمرضى. وفي كتاب الايقان يمتدح بهاء الله خصائل وفضائل الملاّ حسين ويكتب عنه (لولاه ما استوي الله على عرش رحمانيته وما استقر على كرسي صمدانيته)

(٣) الميرزا محمد حسن أخ الملاّ حسين

(٤) ميرزا محمد باقر ابن عم الملاّ حسين وهو كالميرزا محمد حسن صحب الملاّ حسين من بارفروش إلى كربلاء ومنها إلى شيراز وهناك اعتنقا أمر الباب وأدرجا ضمن

حروف الحي وكان ملازما له في جميع الأوقات لغاية استشهاده معه في قلعة طبرسي عدا فترة سياحة الملاّ حسين في قلعة ماه كو .

(٥) صهر الملاّ حسين ووالد ميرزا أبو الحسن وميرزا محمد حسين وكلاهما الآن في بشروى وكانت أخت الملاّ حسين ورقة الفردوس قد سلمت اليها وكلاهما من الثابتين المخلصين

(٦) ابن الملاّ أحمد وأخ الملاّ ميرزا محمد فروغي الأكبر . وخلافا لعمه الملاّ ميرزا محمد وقع شهيداً وكان كما وصفه هذا الاخير شابا مشهوراً بالتقوى والعلم وحسن الأخلاق وقتل شهيداً

(٧) الميرزا محمد باقر المسمى بالهراتي ولو أن أصله من سكان قائين فانه كان من أقرب أقرباء والد النبيل الاكبر وكان أول من آمن في مدينة مشهد وهو الذي بنى البابية وخدم القدوس بكل اخلاص أثناء سياحته في تلك المدينة . ولما رفع الملاّ حسين العلم الاسود انضم تحت لوائه . ومعه نجله الصغير ميرزا محمد كاظم وذهبا سويا إلى مازندران . وأخيرا نجا نجله وصار من دعاة الامر الغيورين في مشهد . وكان الميرزا محمد باقر حامل اللواء للجماعة الذين بنوا القلعة وحوائطها وابراجها والخندق الذى حولها وهو الذي خلف الملاّ حسين في تنظيم قوات أصحابه وكان يتولى قيادة الهجوم على الاعداء وهو الذى كان موضع ثقة القدوس وصاحبه الأمين لغاية الساعة التى وقع فيها شهيداً في سبيل الأمر .

(٨) ميرزا محمد تقي جوايني من سكان سبزوار اشتهر بتآليفه العلمية وكان الملا حسين كثيرا مايوكل اليه قيادة الحملة على الاعداء المهاجمين وقد رفعت رأسه ورأس ميرزا محمد باقر صاحبيه على القناة وساروا بهما في شوارع بارفروش بين ضوضاء وصياح الغوغاء من السكان .

(٩) قمبر على خادم ملاّ حسين الشجاع الذى رافقه في سفره إلى ماه كو والذى استشهد من قنابل الاعداء في نفس اللية التى استشهد فيها سيده

(١٠) حسن و (١١) قلي اللذان حملا جسد الملا حسين مع رجل يدعى اسكندر من سكان زنجان إلى القلعة ليلة استشهاده ووضعاها تحت أرجل القدوس . وحسن هذا هو الذى قيد بعقود في شوارع مدينة مشهد بأمر رئيس شرطة تلك المدينة .

(١٢) محمد حسن أخ الملا صادق وهو الذى ذبحه اتباع خسرو فى الطريق بين بارفروش وقلعة طبرسى . وكان ممتازا بثباته الذى لايتزعزع وكان أحد خدام ضريح الامام الرضا .

(١٣) السيد رضا الذى أرسله القدوس مع الملاّ يوسف اردبيلى لمقابلة البرنس وهو الذى أحضر معه نسخة من القرآن مختومة بختم البرنس كتب فيها عهده بخط يده وأقسم عليه . وكان السيد من الاشراف والسادات المعروفين فى خرسان . واشتهر بعلمه ودماثة أخلاقه .

(١٤) ملاّ ماردان على أحد مشاهر الاتباع من خراسان ومن سكان قرية ميامای وهى موقع قلعة حصين كائن بين سبزوار وشاه رود وكان معه ثلاث وثلاثون من الأتباع الذين انضموا إلى راية الملا حسين يوم دخوله فى تلك القرية . وكان فى مسجد ميامای الذى لجأ اليه الملا حسين لصلاة الجمعة وخطب الملاّ خطبته المشهورة المثيرة للارواح والتى أشار فيها الى الاحاديث الخاصة برفع العلم الاسود فى خراسان وقرر أنه هو حامل لوائه وأثر خطابه الفصيح على سامعيه حتى ان اغلب الحاضرين أتبعوه مع أن أغلبهم كان من علية القوم . ولم يبق من الثلاث والثلاثين حيا سوى ملا عيسى وأولاده الآن فى قرية ميامای وهم يشتغلون فى خدمة الامر. وأسماء هؤلاء الاصحاب الشهداء هم (١٥) ملا محمد مهدى (١٦) ملا محمد جعفر (١٧) ملا محمد بن ملا محمد (١٨) ملا رحيم (١٩) ملا محمد رضا (٢٠) ملا محمد حسين (٢١) ملا محمد (٢٢) ملا يوسف (٢٣) ملا يعقوب (٢٤) ملا على (٢٥) ملا زين العابدين (٢٦) ملا محمد بن ملا زين العابدين (٢٧) ملا باقر (٢٨) ملا عبد المحمد (٢٩) ملا عبد الحسن (٣٠) ملا اسماعيل (٣١) ملا عبد العلى (٣٢) ملا أقا بابا (٣٣) ملا عبد الجواد (٣٤) ملا محمد حسين (٣٥) ملا محمد باقر (٣٦) ملا محمد (٣٧) حاجى حسن (٣٨) كربلائى على (٣٩) ملا كربلائى على (٤٠) كربلائى نور محمد (٤١) محمد ابراهيم (٤٢) محمد صائم (٤٣) محمد هادى (٤٤) سيد مهدى (٤٥) أبو محمد

ومن بين الأصحاب الذين هم من سنكسر أصلا وهى من اقليم سمنان كان ثمانية عشر شهيدا وهم

(٤٦) سيد احمد الذى قطع اربا بواسطة الميرزا محمد تقى وسبعة من العلماء فى سارى وكان عالما مشهورا ومهابا لفصاحته وتقواه (٤٧) مير أبو القاسم وهو اخ سيد أحمد ونال فخر الشهادة فى الليلة التى استشهد فيها الملاّ حسين (٤٨) مير مهدى وهو عم السيد احمد (٤٩) مير ابراهيم وهو صهر السيد احمد (٥٠) صفر على ابن كربلائى على الذى جاهد جهاد الابطال هو وكربلائي محمد فى ايقاظ اهالى سنكسر من نوم غفلتهم وكان كلاهما غير قادر على الانضمام إلى قلعة طبرسى بسبب ما عندهما من الامراض. (٥١) محمد على ابن كربلائي ابو محمد (٥٢) ابو القاسم اخ محمد على (٥٣) كربلائى ابراهيم (٥٤) على محمد (٥٥) ملاّ على اكبر (٥٦) ملا حسين على (٥٧) عباس على (٥٨) حسين على (٥٩) ملا على اصغر (٦٠) كربلائي اسماعيل (٦١) على خان (٦٢) محمد ابراهيم (٦٣) عبد العظيم

ومن قرية شاه ميرزاد وقع اثنان فى حماية القلعة وهما: —

(٦٤) ملا ابو رحيم (٦٥) كربلائى كاظم.

ومن اتباع الأمر فى مازندران تدونت أسماء سبعة وعشرين شهيدا وهم: —

(٦٦) ملا رضاء شاه (٦٧) عظيم (٦٨) كربلائى محمد جعفر (٦٩) سيد حسين (٧٠) محمد باقر (٧١) سيد رزاق (٧٢) أستاذ ابراهم (٧٣) ملا سعيد زرى كنارى (٧٤) رضاى عرب (٧٥) رسولى بهنميرى (٧٦) محمد حسين أخ رسولى بهنميرى (٧٧) طاهر (٧٨) شافعى (٧٩) قاسم (٨٠) ملا محمد جان (٨١) مسيح أخ ملا محمد جان (٨٢) اطابابا (٨٣) يوسف (٨٤) فضل الله (٨٥) بابا (٨٦) صافى قلى (٨٧) نظام (٨٨) روح الله (٨٩) على قلى (٩٠) سلطان (٩١) جعفر (٩٢) خليل.

ومن بين المؤمنين فى سوادكوه علمت خمسة شهداء وهم: —

(٩٣) كربلائى قمبر كالش (٩٤) ملا نادد على متولى (٩٥) عبد الحق (٩٦) اتابكى شوبان (٩٧) ابن اتابكى شوبان

ومن بين اهالى اردستان استشهد الآتى: —

(٩٨) ميرزا على محمد ابن ميرزا محمد سعيد (٩٩) ميرزا عبد الواسع ابن الحاج عبد الوهاب

(١٠٠) محمد حسين ابن الحاج محمد صادق (١٠١) محمد مهدى ابن الحاج محمد ابراهيم
(١٠٢) مرزا احمد بن محسن (١٠٣) مرزا محمد بن مير محمد تقى

ومن مدينة اصفهان اشتهر ثلاثون من المؤمنين وهم : —

(١٠٤) ملا جعفر مغربل القمح الذى ذكر الباب اسمه فى البيان الفارسى (١٠٥) أستاذ آقا الملقب بزرك بنا (١٠٦) استاذ حسن بن استاذ آقا (١٠٧) استاذ محمد بن أستاذ آقا (١٠٨) محمد حسين بن أستاد آقا الذى بيع أخوه الاصغر أستاد جعفر مرارا بمعرفة الأعداء إلى أن وصل إلى بلدته التى هو قاطن فيها الآن (١٠٩) أستاذ قربان على بنا (١١٠) على اكبر ابن أستاذ على بنا (١١١) عبد الله ابن أستاذ قربان على بنا (١١٢) محمد باقر نقش خال السيد يحيى بن ميرزا محمد على النهرى. وكان عمره أربعة عشر سنة واستشهد فى الليلة التى صعد فيها الملا حسين (١١٣) ملا محمد تقى (١١٤) ملا محمد رضا وكلاهما أخواى المرحوم عبد الصالح البستانى لحديقة الرضوان فى عكا (١١٥) ملا أحمد صفار (١١٦) ملا حسين مسكار (١١٧) أحمد يزدى (١١٨) حسن شعرباف يزدى (١١٩) محمد تقى (١٢٠) محمد عطار أخ حسن شعرباف (١٢١) ملا عبد الخالق الذى قطع حنجره فى بدشت وسمته الطاهرة بالذبيح (١٢٢) حسين (١٢٣) أبو القاسم أخ حسين (١٢٤) ميرزا محمد رضا (١٢٥) ملا حيدر أخ ميرزا محمد رضا (١٢٦) ميرزا مهدى (١٢٧) محمد ابراهيم (١٢٨) محمد حسين الملقب دستمال جيرزن (١٢٩) محمد حسين شيتساز وهو صانع أقمشة معروف توصل للقاء الباب (١٣٠) محمد حسنى عطار (١٣١) استاد حاجى محمد بنا (١٣٢) محمد مقارعى وهو بائع قماش معروف وكان حديث التزوج وقابل الباب فى قلعة جهريق فأمره الباب أن يسرع الى الجزيرة الخضراء وأن يقدم مساعدته للقدوس . وبينما كان فى طهران وصله خطاب من أخيه يعلمه فيه بولادة ابن له ويطلب منه أن يسرع بالرجوع الى اصفهان لرؤيته ثم يذهب الى أى محل شاء فيما بعد فأجابه انى مشتغل جدا بمحبة هذا الأمر بدرجة انى غير قادر على تخصيص أى اهتمام لنجلى. وانى بفارغ الصبر أريد أن أنضم الى القدوس وأسير تحت لوائه (١٣٣) سيد محمد رضاى باقلعى وهو سيد مشهور وعالم من أكبر العلماء المحترمين ولما صرح بأن غرضه الانضمام لراية الملاّ حسين حصلت ضجة كبيرة بين علماء اصفهان.

ومن بين مؤمنى شيراز استشهد الآتى أسماؤهم :

(١٣٤) الملا عبدالله المعروف باسم مرزا صالح (١٣٥) الملا زين العابدين (١٣٦) المرزا محمد

ومن بين المؤمنين من بلدة يزد تدونت للآن أسماء أربعة وهم :

(١٣٧) السيد الذى سافر فى جميع الطريق من خراسان الى بارفروش وهو ماش على قدمه وفى بارفرش وقع فريسة لقنبلة العدو (١٣٨) السيد احمد والد السيد حسين عزيز كاتب الباب (١٣٩) ميرزا محمد على بن السيد احمد الذى طاحت رأسه من مقذوف مدفع بينما كان واقفاً على مدخل القلعة والذى كان بسبب صغر سنه محبوبا جداً من القدوس (١٤٠) الشيخ على بن الشيخ عبد الخالق اليزدى وموطنه مشهد وكان شابا ذا حمية ومجهود امتدحها الملاّ حسين والقدوس .

ومن أحباء قزوين استشهد الآتون :

(١٤١) مرزا محمد على عالم شهير كان والده الحاج ملاّ عبد الوهاب من أنجب المجتهدين فى قزوين وقد توصل للقاء الباب فى شيراز ورسم أحد حروف الحى (١٤٢) محمد هادى تاجر شهير ابن الحاج عبد الكريم الملقب باغبان باشى (١٤٣) السيداحمد (١٤٤) مرزا عبد الجليل عالم شهير (١٤٥) مرزا مهدى (١٤٦) رجل من قرية لاهرد اسمه الحاجى محمد على اشتد تعذيبه على أثر مقتل الملاّ تقى القزوينى .

ومن أحباء خوى استشهد الآتون :

(١٤٧) الملاّ مهدى وهو عالم شهير كان من أخص وأعلا تلاميذ السيد كاظم واشتهر بعلمه وفصاحته وشدة ثباته فى الدين (١٤٨) الملاّ محمود خوى أخ الملاّ مهدى أحد حروف الحى وعالم شهير (١٤٩) الملا يوسف اردبيلى أحد حروف الحى وذو حماس وفصاحة وكان قد أثار مخاوف الحاجى كريم خان عند وصوله الى كرمان وأوقع الرعب فى قلوب أعدائه . وكان الحاجى كريم خان يقول عنه لمريديه(ان هذا الرجل يجب أن يطرد من هذه البلدة لأنه إذا سمح له بالاقامة فيها فانه يثير فى كرمان هياجا مؤكداً مثل ما أثاره فى شيراز وتكون الخسارة التى تقع لا تعوض فان سحربيانه وفصاحته وقوة شخصيته إن لم ترد

على قوى الملا حسين فانها لا تقل عنها . وبهذه الوسيلة أمكنه أن يجبره على تقصير مدة إقامته فى كرمان ومنعه من إلقاء الخطبة من المنبر . وكان الباب قد أعطاه التعليمات الآتية : (عليك أن تزور بلاد ومدن ايران وتدعوها لاعتناق أمر الله . ففى أول يوم من شهر المحرم سنة ١٢٦٥ هجرية [١] عليك أن تكون فى مازندران وتساعد القدوس بكل ما أمكنك من قوة . وكان الملا يوسف أميناً لاتباع نصائح مولاه فلم يقبل أن يطيل إقامته فى أى بلد أو مدينة أكثر من أسبوع واحد وعند وصوله إلى مازندران أسره عسكر البرنس مهدى قلى ميرزا الذين عرفوه للحال وأصدروا الأوامر بحبسه ولكنه أطلق سراحه كما سبق لنا بيانه بواسطة أتباع الملا حسين يوم ملحمة وسكس .

(١٥٠) ملا جليل أرومى أحد حروف الحي اشتهر بعلمه وفصاحته وثباته فى دينه .
(١٥١) ملا احمد قاطن فى مراغه أحد حروف الحى وأحد تلاميذ السيد كاظم المشهورين
(١٥٢) الملا مهدى كندى أحد رفقاء بهاء الله ومعلم الأطفال فى منزله (١٥٣) الملا باقر أخ الملا مهدى والاثنان مشهوران بالعلم الغزير وشهد بهاء الله فى الايقان بعلو كعبهما فى العلم (١٥٤) السيد كاظم من سكان زنجان وأحد مشاهير التجار وقد توصل الى لقاء الباب فى شيراز ورافقه الى اصفهان وكان أخوه السيد مرتضى أحد الشهداء السبعة فى طهران (١٥٥) اسكندر من سكان زنجان الذى مع الحسن والقلى حملوا جسد الملا حسين الى القلعة (١٥٦) اسماعيل (١٥٧) كربلاى عبد العلى (١٥٨) عبد المحمد (١٥٩) حاجى عباس (١٦٠) سيد احمد والجميع سكنوا فى زنجان (١٦١) السيد حسين كلاه دوز أحد سكان بارفروش الذى نصبت رأسه على قناة وداروا بها جميع الشوارع (١٦٢) ملا حسن رشتى (١٦٣) ملا حسن بياجمندى (١٦٤) ملا نعمت الله بارفروش (١٦٥) ملا محمد تقى قراخيلى (١٦٦) استاد زين العابدين (١٦٧) استاد قاسم بن استاد زين العابدين (١٦٨) استاد على أكبر . أخ استاد زين العابدين . وكان الثلاثة الأخيرون بنائين ومن أهالى كرمان وقاطنين فى قائين من أعمال خراسان (١٦٩، ١٧٠) كانا الملا رضا شاه وشاب من بهنميرو ذبح الاثنان بعد ترك القدوس للقلعة بيومين

(١) ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٨ ميلادية .

فى سوق الخميس فى بارفروش ونجح الحاجى ملا محمد حمزه الملقب بشريعة مدار فى دفن جثتيهما فى جوار مسجد كاظم بك وفى اقناع قاتلها بالندم وطلب المغفرة . (١٧١) الملا محمد معلم نورى أحد أصحاب بهاء الله الشهيرين وكان ملازماله فى نور من أعمال طهران



محمد رضا أحد اصحاب القدوس الذى نجا من ملحمة الشيخ طبرسى

وفىمازندران . ومشهور بعلمه وذكائه . وتعرض لأقسىأنواع التعذيبالتى لم يلاقيها أحد مثله من المدافعينفى قلعة طبرسى عدا قدّوس . وكان البرنسقد وعدهأنيطلق سراحه على شرط أنه يسبّ القدّوس وأقسم بأنه إذا تاب يأخذهمعهإلى طهران ويجعله معلماًلأولاده . فأجابه (أنا لا أرضى أبداً أن أسب محبوب الله بأمر رجل مثلك ولو أعطيتنى كل ملك إيران لا الفتوجهي عن وجهرئيسى المحبوب ولولحظةواحدة .وجسمى تحت رحمتك ولكن روحى لا تقدر على إخضاعها . فعذبنى كما تريد لأقدر أن أثبت لك صحة الآية . (فتمنوا

الموت إن كنتم صادقين) (١) . وقد أغضب جوابه البرنس لدرجة أنه أمر أتباعه بتقطيع جسمه إربا وأن لا يألوا جهدا فى إيقاع أخس أنواع العقاب به
(١٧٢) حاجى محمد كرّادى الذى اشتهر منزله فى إحدى حوائز النخيل المجاورة لمدينة بغداد وهو رجل ذو شجاعة عظيمة وحارب وقاد مائة رجل فى محاربة ابراهيم باشا والى مصر وكان



مرزا أبو طالب أحد أصحاب القدوس الذى نجا من ملحمة الشيخ طبرسى

من أخص أتباع السيد كاظم وألف قصيدة طويلة فى مدح خصائل وفضائل السيد وكان قد بلغ من العمر ٧٥ سنة وقت أن آمن بالباب ومدحه بقصيدة أخرى مفصلة. وكان ممتازا بأعمال الفروسية أثناء الحصار فى القلعة وأخيرا كان فريسة قنابل الأعداء (١٧٣) سعيد جبّاوى أحد أهالى بغداد أظهر شجاعة باهرة أثناء الحصار وأصيب فى بطنه ومع أن جرحه كان

(١) قرآن ٢ — ٩٤

بليغا فأنه مشي حتى وصل إلى القدوس ووقع بفرح تحت أقدامه وفارق الحياة

وقد حكى السيد أبو طالب السنكسارى أحد الذين نجوا من الحصار التاريخي في رسالة إلى بهاء الله عن أحوال استشهاد هذين الشهيدين وفيها يروى فصلا عن حكايته وحكاية أخويه سيد احمد ومير ابو القاسم وكلاهما استشهد أثناء الدفاع عن القلعة قال: (في اليوم الذى قتل فيه خسرو كنت ضيفـــا على شخص يدعى كربلائى على جان وهو كدخدا إحدى القرى في جوار القلعة . وقد ذهب لحماية خسرو ولما عاد حكى لى كيفيـة موته وفى ذلك اليوم جاء رسول وأخبرنى أن أثنين من العرب حضرا ووصلا الى القرية وكانا مشتاقين للأنضمام لسكانها . وكانا يظهران خوفهما من أهالى قرية قاضى كالا ووعدا بمكافأة كل من يمكنه توصيلهما الى مقرهما . وكنت في ذلك الوقت تذكرت نصائح والدى مير محمد على الذى أمرني بأن أقوم على شد أزر أمر البـاب فعزمت على أن أنتهز الفرصة التى أتيحت لى وبمساعدة الكدخدا أوصلت الاعرابيين الى القلعة وقابلنا الملاّ حسين وعزمت أنا على أن أخصص باقى أيام حياتي لخدمة الأمر الذى أتبعه)

أما أسماء بعض الضباط الذين قاوموا أصحاب القدوس فهم

(١) البرنس مهدي قلي مرزا أخ المرحوم محمد شاه (٢) سليمان خان أفشار (٣) حاجى مصطفى خان سورتيج (٤) عبد الله خان أخ حاجي مصطفى خان (٥) عباس قلى خان لارجاني الذى أصاب الملا حسين (٦) نور الله خان أفغانى (٧) حبيب الله خان أفغان (٨) ذو الفقار خان قراوولى (٩) على أصغر خان دودنجى (١٠) خدا مراد خان كرد (١١) خليـل خان سواد كوهى (١٢) جعفر قلى خان سرخ كرى (١٣) سرتيب فوج كالبات (١٤) زكرياى قاضى كالا ابن عم خسرو وخليفته

وأما أسماء الأحباء الذين اشتركوا فى الدفاع عن القلعة ونجوا من القتل فلم يمكنّي حصر أسمائهم ولا عددهم ولم يمكننى سرد بقية الأسماء على الكامل على وجه التحقيق وا كتفيت بهذه القائمة ولو أنها غير شاملة لجميع أسماء الشهداء وفى اعتقادى أنه فى مستقبل الايام سيقوم من بين المبلغين من يملأ هذا الفراغ ويتمكن بسعيه من الوصول لأصلاح الخلل لهذا الوصف الغير التام لحادثة من الحوادث التى ستستمر على ممر الاحقاب من اكبر الحوادث المؤثرة

الفصل الحادي والعشرون

في شهداء طهران السبعة

ان أخبار الحوادث المفجعة التى انتابت أبطال الطبرسى قد جلبت الحزن والأسى لقلب الباب . واذ كان محبوساً فى سجنه فى قلعة جهريق منفصلا عن أصحابه القليلين المحاربين كان يراقب نجاح أعمالهم ولا يألو جهداً فى الدعاء لهم بالنصر فما كان أعظم حزنه عند ما علم فى أوائل شعبان سنة ١٢٦٥ هجرية (١) ما اعترض طريقهم من الامتحانات وما أصابهم من مصائب وآلام ومن الخداع الذى لجأ اليه أعداؤهم الحانقون والذى به انتهي دورهم الى المجزرة الفظيعة وكما قال السيد حسين عزيز : — (وكان الباب قد احترق قلبه عند وصول هذه الأخبار الغير المنتظرة وأخذه الحزن على شأن أوقف قلمه وأسكت صوته ولمدة تسع أيام رفض أن يقابل أحداً من أصحابه وما كان يسمح لى بالمقابلة أنا كاتبه وأخص الموجودين فى خدمته وكان يرفض مايقدم له من الطعام والشراب ولا يمسه وكانت الدموع تنهمر من عينيه باستمرار وتخرج من فمه عبارات الحزن والأسى بدون انقطاع . وكنت أسمعه من خلف الستار وهو يناجى محبوبه فى غرفته الخصوصية ويبث أحزانه له واجتهدت أن أدون عبارات أحزانه وهى خارجة من قلبه المجروح . واذ ارتاب فى انى مجد فى حفظ المراثى التى نطق بها أمرنى أن أمزق كل ما كتبته . فلم تبق لدى شىء من المراثي التى سمح لقلبه أن ينفس بها عن كروبه التى استولت عليه . ومكث مدة خمس أشهر وهو مضنى من الحزن وغرق فى بحر من القنوط . ولما حان وقت المحرم سنة ١٢٦٦ هجريه (٢) عاد الباب الى عمله الذى اضطر لتعطيله . وأول صحيفة كتبها بعد ذلك خصصها للملا حسين فى لوح الزيارة الذى خصصه له امتدح بعبارات مؤثرة أمانته ووفاءه للقدوس فى جميع أدوار الحصار فى قلعة الطبرسى وأطرى أخلاقه الحميدة وعدد مآثره

(١) ٢٢ يونيه — ٢١ يوليه سنة ١٨٤٩ ميلادية .

(٢) ١٧ نوفمبر سنة ١٨٤٩ ميلادية — ١٧ ديسمبر سنة ١٨٤٩ ميلادية

وأكّد له عودة اجتماعه في العالم الآتي برئيسه الذي أحبه واحترمه وكتب عن نفسه أيضاً أنه سوف يلحق هذين التوأمين الأبديين الذين زينا دين الله ببهجة أبدية سواء في محياهما أومماتهما واستمر يكتب مدة أسبوع عن فضائل القدّوس والملاّ حسين وأصحابه الذين تتوجوا بتاج الشهادة في طبرسي وما كاد يتمم نشر فضائل وتأبين الشهداء الذين خلدوا اسمهم في الدفاع عن القلعة حتى نادى في يوم عاشوراء (١) الملا أدي جزال (٢) أحد أحباء مراغه الذي كان يشتغل في خدمته مدة شهرين بدلا من السيد حسن اخ سيد حسين عزيز. وقابله بكل لطف ولقبه بالسياح وسلم اليه ألواح الزيارة التي دونها في ذكرى شهداء طبرسي وأمره أن يزور تلك البقعة وحرضه قائلا (قم وسر بانقطاع تام وفي لباس السائح الى مازندران وهناك زر بالنيابة عني المكان الذي يحوي أجساد. هؤلاء الأحباء الذين طبعوا بخاتم دمائهم لوح منيتهم لأجل أمري واذ تقترب من نواحي تلك الأرض المقدسة اخلع نعليك واركع احتراماً لذكراهم ونادهم بأسمائهم ودر حول مقامهم بخضوع. ثم أرجع لي قبضة من تلك الأرض المقدسة التي تغطي بقايا أجساد أحبائي القدّوس والملاّ حسين لتكون تذكاراً لزيارتك. واجتهد أن ترجع في يوم عيد النوروز حتى نحتفل سويا بهذا العيد وهو العيد الوحيد الذي ربما لا أحضر خلافه في هذا العالم) وقام السيّاح للزيارة في مازندران ونفذ تعليماته بالدقة. ووصل إلى المقر المعهود في أول يوم من ربيع الاول سنة ١٢٦٦ هجرية (٣) وفي اليوم التاسع من ذلك الشهر وهو يوم استشهاد الملاّ حسين (٤) قام بعمل الزيارة وأتم المأمورية التي عهد له بها ثم سافر توا إلى طهران.

وسمعت من آقاي كليم الذي قابل السيّاح في منزل بهاءالله في طهران يحكي الرواية الآتية: (كان الشتاء أتى بقضّه وقضيضه حين عاد السياح من حجه ليقابل بهاءالله. ورغما عن نزول

(١) هو اليوم العاشر من محرم وهو يوم ذكرى الامام الحسين الذي وقع في تلك السنة في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٤٩ ميلادية.

(٢) وقال في كشف الغطاء (صحيفة ٢٤١) أن اسمه الكامل ميرزا علي سياح مراغي وكان يشتغل خادما للباب في ماه كو وكان معدوداً من كبار أصحابه وفيا بعد قبل دعوة بهاء الله.

(٣) ١٥ يناير سنة ١٨٥٠ ميلادية

(٤) ٢٣ يناير سنة ١٨٥٠ ميلادية

الثلج واشتداد البرد فى شتاء قارص كان يرتدى عباء كالدراويش وثيابه رثة وحافى القدمين أشعث الشعر واشتعل قلبه من حرارة الزيارة وما كاد السيد يحي الدرابي الملقب بالوحيد الذى كان ضيفا عند بهاء الله يعلم بمجيء السيّاح من قلعة طبرسى حتى تناسي المظمة والمركز الذى يشغله رجل مثله وأسرع اليه وارتمى تحت أقدامه وأمسك بقدميه اللتين كانتا ملوثتين بالطين للركبة وحضنهما بين ذراعيه وأخذ يقبلهما بكل شوق . وكنت أندهش فى ذلك اليوم من العناية التى كان بهاء الله يظهرها لوحيد . وكانت طريقة محادثتى معه لم تدع شكا إنه فى يوم من الأيام سيمتاز وحيد بأعمال لا تقل عظمة وإجلالا عن أعمال الشهداء الخالدة فى قلعة طبرسى وكان السيّاح قد استراح بضعة أيام فى ذلك المنزل . ولم يكن يشاهد تلك القوة التى كانت مخبوءة فى مضيفه كما شاهدها وحيد . ومع أنه كان موضع عناية بهاء الله عناية فائقة ولكن لم يفقه معنى لهذه البركات التى كانت تنزل عليه وكنت سمعت منه عن أعماله وسياحته فى أفجستا ومما قاله «إن بهاء الله أغدقنى بكرمه أما وحيد فمع علو مقامه كان يفضلنى على نفسه أمام مضيفه . وفى يوم حضورى جاء وقبل قدمى ودهشت من تلك المقابلة التى أسداها الى . ولو أنى كنت غريقا فى بحر الكرم واللطف إلا أني فى تلك الأيام ما كنت أقدر ذلك المقام الذى كان بهاء الله يتمتع به ولم أتمكن من الاطلاع ولو جزئيا على طبيعة الرسالة التى كان سيضطلع بها

وقبل مبارحة السيّاح من طهران سلمه بهاء الله رسالة كتبها لمرزا يحي بأسمه . وبعد ذلك بقليل جاء خطاب من الباب بخط يده وفيه يأمر المرزا يحي (١) أن يكون فى حفظ وصيانة بهاء الله ويطلب الالتفات لتعليمه وتثقيفه . وهذا اللوح صحفه أهل البيان (٢) لأثبات دعاويهم المبالغ فيها التى قدموها فى صالح رئيسهم (٣)

(١) ولقبه صبح أزل (٢) أتباع صبح أزل

(٣) وكانت دعاوى هذا الشاب تنحصر فى خطاب تعيين وجد فى حيازة البروفسور براون وتعزز بخطاب توجد صورته باللغة الفرنسية مع المسيو نقولاس . وكان التزوير يلعب دوراً مهما فى الوثائق المكتوبة فى الشرق حتى أنى أتردد فى أن أعترف بصحة هذه الوثيقة . ويشك كثيرا فى أن مثل هذه الوثيقة تقبل من أى جماعة من الاحباء الثابتين لانه لأيمكنهم أن يتجاهلوا ما علموه شخصياً من قلة مواهب صبح أزل . . . ومن الجائز أن يكون الاتفاق قدتم على أن بهاء الله يكتف بالأعمال الخاصة ويستعمل مواهبه كمعلم بينما صبح أزل « وهو شاب مغرور » يشهر أسمه كرئيس ظاهر وخاصة بالنسبة للأجانب ولاعضاء الحكومة (الدكتور جين اتحاد الأقوام والاديان صحيفة ١١٨ — ١١٩)

ومع أن نص الخطاب خلو من كل هذه الادعاآت ومن اى اشارة إلى المقام المزعوم ولم يكن فيه إلا مدح بهاء الله فقد ظن اتباعه انه يحتوى على تأكيد السلطة التى منحوها لميرزا يحيى (١)

وإذ وصل الكلام إلى هــذا المقام من تدوين أهم الحوادث السابقة التى حصلت سنة ١٢٦٥ (٢) هجرية فأنى أذكر أعظم واقعة فى تاريخ حياتى وهى حادثة ولادتى ولادة روحانية وخلاصى من تقاليد الماضى وقبولى رسالة الأمر الجديد . وانى استسمح لطف القارىء إذا أطلت الكلام على تاريخ حياتى من ابتداء نشأتى وحكيت بالتفصيل الحوادث التى أدت إلى ايمانى . فقد كان أبي من قبيلة طاهري وكان يعيش عيشة البدو فى خراسان وكان اسمه غلام على ابن حسين العربى وتزوج بابنة كلب علىّ وكان له منها ثلاث أولاد وثلاث بنات وكنت ثاني أولاده وسميت يار محمد وكانت ولادتى فى ١٨ صفر سنة ١٢٤٧ (٣) فى بلدة زرند وكانت مهمتى راعيا وتعلمت تعليما سطحيا . وكنت أشتاق أن أخصص وقتا اكبر للمذاكرة والدرس ولكنى لم أتمكن من ذلك تبعا لمقتضيات عملى وكنت اقرأ القرآن بشوق واحفظ منه الكثير وارتله بينما أسير مع الاغنام فى الحقول . وكنت أحب الوحدة وانظر إلى النجوم ليلا بفرح وتعجب . وفى ظلام الليل كنت أتلو بعض المناجاة من أقوال الامام على أمير المؤمنين وبينما كنت اتوجه للقبلة كنت أطلب من الله أن يسدّد خطواتى ويمكنى من معرفة الحق .

وكثيرا ما كان والدى يأخذنى معه إلى قم وكنت هناك اتعلم طرق الاسلام ومذاهب رؤسائه . وكان من المؤمنين الصادقين المصاحبين لرؤساء الدين الذين يجتمعون فى تلك المدينة وكنت الاحظه وهو يصلى فى مسجد الامام حسن ويلتزم جميع الفرائض بالتقوى الزائدة والدقة المتناهية . وكنت اسمع خطب الكثيرين من الأئمة المجتهدين الذين وصلوا من نجف واحضر دروسهم واستمع لمجادلاتهم. وابتدأت أعرف بالتدريج كذب ادعاآتهم وألومهم على انحطاط اخلاقهم . وكنت مشتاقا للتثبت من صحة العقائد والاصول التى كانوا يرومون فرضها علىّ وكنت لا أرى عندى سعة من الوقت تكفى للتثبت منها ولا

(١) اقسمك بالله الفرد الواحد المقتدر القدير أن تنظر فى المكاتيب التى أرسلت باسمه للنقطة الاولى حتى تشاهد وتميز آثار الحق كالشمس فى رابعة النهار (لوح ابن الذئب صحيفة ١٢٥) انتهى مترجما

(٢) ١٨٤٨ — ١٨٤٩ ميلادية

(٣) ٢٩ يوليه سنة ١٨٣١ ميلادية

مايسهّل لى أمرها وكان دائمـا والدى يوبّخنى على تهوّرى واضطرابي ويقول (أخاف أن تجلب عداوتك للمجتهدين عليك يوما مصاعب جمة أو تجلب عليك العار والشنار .)

وتصادف انى كنت فى قرية رباط كريم لزيارة عمى إذ سمعت مصادفة فى مسجد تلك القرية فى الثـانى عشر من نوروز سنة ١٢٦٣هـ (١) حديثا دار بين اثنين وهو ماجعلنى أعرف أمر الباب. وكان احدهما يقول لصاحبه (هل سمعت أن السيد الباب قد أخذ إلى قرية كنار كرد وانه الآن فى طريقه إلى طهران) واذ وجد صاحبه جاهلا هـذا الموضوع أخذ فى سرد جميع حكاية الباب وذكر له تفاصيل دعوته والقبض عليه فى شيراز وخروجه إلى اصفهان واستقباله بمعرفة إمام الجمعة ومنوجهرخان . وذكر له العجـائب التى عملها والمعجزات وما حكم به علماء اصفهان . وكانت تفاصيل جميع هـذه الحوادث قد أثارت تعجبي وحركت فىّ اعجابا كبيراً بالرجل الذى تمكن من بسط نفوذ كبير على مواطنيه . وظهر لى أن نوره قد أفاض على روحى وشعرت كأنى صرت من أتباع أمره .

ورجعت إلى زرند من رباط كريم وكان والدى يلاحظ علىّ اضطرابى ويظهر تعجبه من سلوكى . وقد فقدت شهيتى للطعام والنوم وكنت أسعى فى اخفاء سرّ اضطرابى من والدى لئلا يتداخل لمنعى عن بلوغ أمنيتى . وبقيت على هـذه الحالة إلى أن وصل السيد حسين زوارى إلى زرند وتمكنت أن أقف منه على حقيقة الموضوع الذى كان متسلطا على حياتى . وانقلبت معـرفتى به إلى صحبة شجعتنى على أن أسامح معه مرغوب قلبي ولفرط دهشتى وجدته واقعا فى شرك الأمر الذي أردت أن افاتحه فيه . وحكى لى قائلا : (ان أحد ابناء عمى المدعو السيد اسماعيل الزواري أقنعنى بصحة الرسالة التى أتي بها الباب وأخبرني أنه قابل السيّد الباب مراراً فى منزل امام الجمعة ورآه ينزل تفسيرا على سورة والعصر (٢) أمام مضيفه إذ كانت سرعة انشائه وقوة بيانه وأصالة أسـلوبه قد أثارت اعجابه ودهشته . وكانت أكثر دهشته ناشئة من أنه كان أثناء نزول تفسيره يقدر أن يجاوب عن جميع الاسئلة التى يسأله عنها الحاضرون وبدون انقاص لسرعة تحريره . ولما قام ابن عمى على الدعوة للأمر بدون وجل ثارت عليه عداوة الـكدخداوات وأسياد زواره الذين أجبروه على العودة إلى اصفهان التى توطنها أخيراً ورحلت أنا أيضا إلى

(١) ١٨٤٧ ميلادية
(٢) قرآن ١٠٣ .

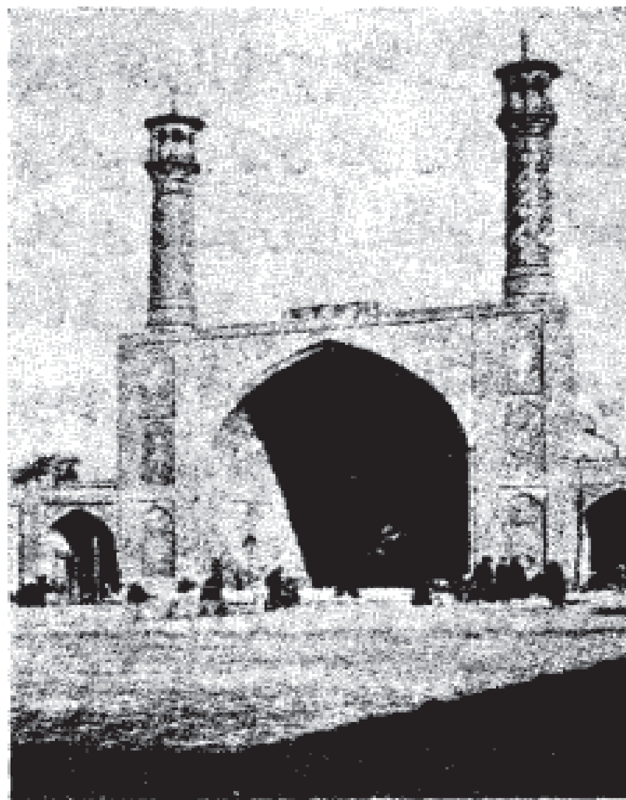
كاشان لانى لم يتيسر لى البقاء فى زواره وصرفت الشتاء فى كاشان وقابلت حاجي ميرزا جانى الذى تكلم عنه ابن عمى والذى أعطانى رسالة كتبها الباب تسمى بالرسالة العدلية وألح علىّ فى قرآتها واعادتها اليه بعد بضعة أيام وكنت قد أعجبت بالطريقة واللغة التى كتبت بها هذه الرسالة حتى انى اشتغلت توا فى نسخها بأكملها ولما أعدتها لصاحبها أخبرنى أنه قد فاتتنى وللأسف العظيم فرصة لقائي مع مؤلفها الذى كان موجوداً عنده وأخبرنى قائلا « ان السيد الباب نفسه وصل فى مساء يوم النيروز وصرف ثلاثة ليالى كضيف فى منزلى وهو الآن فى طريقه إلى طهران وأنك لو استعجلت تلحقه فى سفره » فقمت توا وسافرت ماشيا كل الطريق من كاشان إلى قلعة فى جوار كنار كرد وكنت جالسا تحت حوائطها إذ شاهدت رجلا وسيم الطلعة يخرج من القلعة وسألنى عن عن اسمى وعن الجهة التى أقصدها فقلت له « إنى سيد مسكين وغريب وعابر سبيل » فاخذنى إلى منزله وأضافنى ليلة وفى أثناء المحادثة معى قال « إني أظن أنك من أتباع السيد الباب الذى مكث فى هذه القلعة بضعة أيام ونقل منها إلى قرية كلين وتركها منذ ثلاثة أيام إلى آذربجان وإنى أعتبر نفسي أحد أتباعه واسمى حاجى زين العابدين وكنت عزمت على مرافقته ولكنه أمرنى أن أبقى فى هذا المكان وأن أوصل تحياته وأشواقه لأى شخص من أصحابه وأن أقنعه بعدم المسير خلفه وقال لى (أخبرهم أن يخصصوا حياتهم لخدمة أمرى لعل تزول الموانع التى تحجب ترقى هذا الدين ويتمكنوا أن يعبدوا الله بكل حرية واطمئنان وأن يسيروا طبقا لتعاليمه) وتركت توا الرغبة فى تتبعه وبدلا من العودة إلى قم عزمت على الحضور إلى هذا المكان وكانت هذه الرواية التى رواها لى السيد حسين زاوارى قد خففت من اضطرابى وقرأنا سويا رسالة العدلية التى أحضرها معه وقد سببت قراءتها قوة ونشاطا روحيا وكنت فى تلك الايام تلميذا لسيّد علمنى القرآن وكان عجزه عن تفسير بعض المواضع يزداد وضوحا يوما فيوما . ولما سألت السيد حسين عن بعض المعلومات نصحنى أن أقابل السيد اسماعيل الزوارى الذى كانت عادته التى لاتنقطع زيارة ضريح الامام زاده فى قم كل ربيع فطلبت من والدى الذى كان لايرغب فى مفارقتى أن يرسلنى إلى تلك المدينة لاجل تكميل تحصيل اللغة العربية وكنت اخفى عنه غرضي الحقيق خوفا من انى إذا فاتحته به ربما تحصل له ارتباكات

من قاضي وعلماء زرند ويمنعوني من الحصول على بغيتي . وأثناء اقامتي في قم جاءت أمي وأختي وأخي لزيارتي بمناسبة الاحتفال بالنيروز ومكثوا معي نحو شهر وأثناء هذه الزيارة أفهمت والدتي وأختي الأمر الجديد ونجحت في اشعال محبـــة صاحبه في قلوبهم . وبعـد مرور بضعة أيام من رجوعهم إلى زرند كان السيد اسماعيل الذي كنت انتظره بفروغ صبر قد وصل وتمكن أن يذكر لي كل ما أمكنه من التفصيل ليجذبني إلى الامر أثناء بحثي معه ونوّه بصفة خاصة إلى أبدية الوحي الالهي وأن أمر الانبياء جميعهم واحد وبيّـن ارتباط ذلك برسالة الباب . وكذلك بيّـن لي طبيعة أعمال الشيخ احمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي الذين لم أكن قد سمعت بهما من قبل . وسألته عن الواجب الذي هو مفروض على كل تابع أمين للدين فقال لي (أن الباب أمر بأن الواجب على كل من يقبل أمره أن يقوم حالا إلى مازندران ويساعد القدوس الذي هو الآن محصور بقوات العـدوّ الذي لا يرحم) . فاظهرت رغبتي في اللحاق به وكانت رغبتي كذلك السفر اليها ولكنه نصحني أن ابقى في قمّ مع الميرزا فتح الله الحكاك وهو صبي من سنّي لارشده للأمر وذلك حتى تأتيه اخبار من طهران . فلم يحضر أي خبر وانتظرت بدون جدوى وعزمت على السفر إذ ذاك للعاصمة . وتبعني أخيرا ميرزا فتح الله ولكنهم قبضوا عليه وكان نصيبه نصيب الذين قتلوا سنة ١٢٦٨ هـ (١) في حادثة الأعتداء على الشاه . واذ وصلت إلى طهران توجهت رأسا إلى مسجد الشاه الذي هو مقابل للمدرسة والذي قابلت على بابه فيما بعد سيّد اسماعيل الزواري فجأة واخبرني بانه أعدّ الخطاب وكان على وشك ارساله إلى قمّ .

وكنا نتهيء للرحيل إلى مازندران اذ وردت الأخبار بأن المدافعين في قلعة طبرسي ذبحوا غدراً وأن القلعة هدمت وسويت بالأرض . فامتلأنا أسى وحزنا عند وصول هذه الأخبار المفجعة ورثينا الذين قاموا على الدفاع عن الامر المحبوب بمثل هذه الشجاعة وذات يوم تصادف أن قابلت عمي نوروز عليّ الذي جاء خصيصا ليبحث عني . فاخبرت السيد اسماعيل فنصحني أن أعود إلى زرند وأن لا أثير ضجّة حول الرغبة في عودتي لئلا يستوجب ذلك عداوتهم وبمجرد وصولي إلى موطني تمكنت من جذب أخي إلى الأمر بعد والدتي وأختي وتمكنت من التأثير على والدي ليأذن لي في الرحيل إلى طهران .

(١) ١٨٥١ — ١٨٥٢ ميلاديه

وذهبت وسكنت فى المدرسة التى كنت قطنت فيها فى زيارتى الأولى وهناك قابلت الملاّ عبد الكريم الذى علمت فيما بعد أن بهاء الله سماه ميرزا أحمد فقابلنى بكل محبة واخبرنى أن السيّد اسماعيل أوصاه بى ورغب إلىّ أن أبقى فى صحبته لحين رجوع الأول إلى طهران ولن أنس أيام صحبتى مع ميرزا أحمد لانى وجدته مثال المحبة والاخلاص. وقد نقشت محبته على صفحات قلبى إلى الأبد من تأثيراته التى نفثها فى روعي والتى ساعدت على تثبيتى فى يقينى. وبواسطته تعرفت بتلاميذ الباب وكنت اعاشرهم وحصلت منهم على معلومات تامة خاصة بالتعاليم الأمريه. وكان الميرزا أحمد يعيش من الكتابة فى كل مساء يشتغل فى نسخ





مناظر مسجد الشاه فى طهران

البيان الفارسي وغيره من كتب الباب ويهديها لاصحابه . وكنت كثيرا ما احمل مثل هذه الهدايا إلى زوجة الملاّ مهدى كندى، الذى ترك طفله الرضيع واسرع للانضمام إلى سكان قلمة طبرسى .

وفى تلك الأيام علمت أن الطاهرة بعد انفضاض الجمع فى بدشت قطنت فى جهة نور ثم وصلت إلى طهران وحبست فى منزل محمود خان كلانتر ومع أنها كانت مسجونة وأسيرة إلا أنها كانت تعامل بالاحترام والاعتبار .

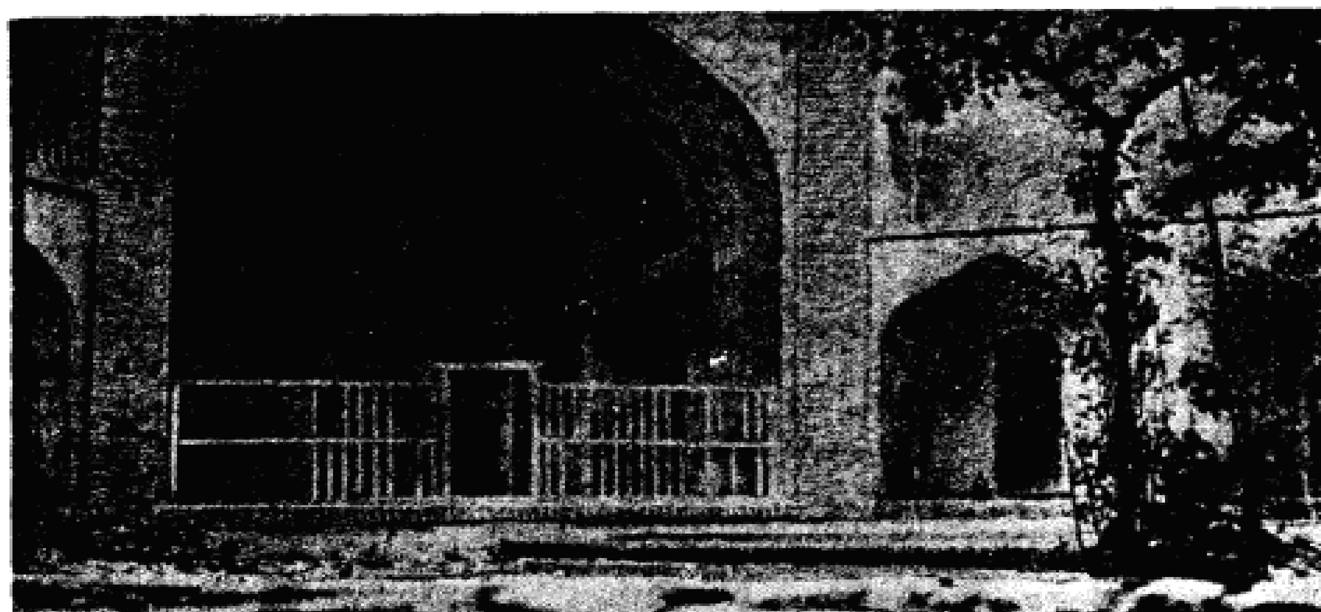
وذات مرة أوصلنى المرزا أحمد إلى منزل بهاء الله وكانت الورقة العليا زوجته والدة الغصن الأعظم (١) قد أبرأت عينى بدهن أعدته بنفسها وأرسلته لميرزا أحمد وكان ابنها المحبوب أول شخص قابلته فى المنزل وعمره إذ ذاك ستة سنوات وتبسم مرحّبا بى وهو واقف على باب الغرفة التى يعطنها بهاء الله فررت بجانبه ودخلت الغرفة المجاورة وكان فيها مرزا يحيى الذى حينما قابلته وجها لوجه دهشت إذ لاحظت هيئته وعلمت من محادثته أنه غير جدير بالمركز الذى يسند اليه .

وفى فرصة أخرى إذ كنت أروم دخول غرفة الميرزا يحيى اقترب منى آقاى كليم الذى سبق لى لقاؤه قبل ذلك وطلب منى أن أرشد الآقا (٢) إلى مدرسة ميرزا صالح لأن اسفنديار خادمهم توجّه إلى السوق ولم يعد وطلب منى أن أنوب عنه فى هذه المأمورية . فقبلت ذلك بكل سرور ولما تهيأت للذهاب رأيت الغصن الأعظم وهو شاب ذوجمال فائق يلبس الكلاه والجبة الهزارى يخرج من الغرفة التى كان والده فيها وينزل على السلم الموصل إلى باب المنزل . فتقدمت ومددت اليه يدى لحمله فقال لى « نمشى سويا » وأخذ يدى وخرجنا من المنزل . وكنا نتحادث أثناء السير إلى جهة المدرسة للى كانت تعرف إذ ذاك باسم پامنار . ولما وصلنا إلى فصله التفت إلىّ وقال « احضر عصراً وخذنى للمنزل لأن اسفنديار لايتمكن من الحضور لأن والدى يريده.» فقبلت ذلك بفرح ورجعت توا إلى منزل بهاء الله . وهناك قابلت مرزا يحيى الذى أعطانى خطابا وسألنى أن آخذه لمدرسة الصدر وأسلمه لبهاء لله الذى يقطن فى غرفة الملاّ باقر البسطامى وطلب منى أن أحضر له

(١) لقب عبد البهاء
(٢) لقب عبد البهاء ومعناه السيد

الرد حالا . فأتممت المأمورية وعدت إلى المدرسة فى الوقت لاحضار الغصن الاعظم إلى منزله

وذات يوم طلب إلىّ المرزا أحمد أن أقابل حاجى ميرزا سيّد علىّ خال الباب الذى رجع حديثا من جهريق وكان يمكث فى منزل محمد بك الجبارجى بالقرب من باب شمران وبمجرد أن رأيته سحرنى كمال هيئته وصفاء وجهه وفى زيارتى له فيما بعد أزددت اعجابا بلطف طبعه وشدة تقواه وحسن أخلاقه . واتذكر جيداً كيف إن آقا كليم ذات مرة ألح عليه فى مجلس أن يترك طهران التى كانت إذ ذاك فى غليان شديد وأن يهرب من جوّها الموبوء فاجاب بكل هدوء (ولماذا أهرب أو أخاف على نفسى فلعل نصيبى أن



منظر مدرسة ميرزا صالح بطهران

اشترك فى المأدبة التى بسطتها يد القدرة للمخلصين) . وكان محركوا الفتن والقلاقل قد سعوا جهدهم فى إثارة القلاقل فى تلك المدينة وكان سببها عمل أحد أسياد كاشان وكان قاطنا فى مدرسة دار الشفا وكان السيّد محمد المشهور قد ظنّه أهلا لأن يوصّل اليه الرسالة ويبلغه أمر الباب وكان الميرزا محمد حسين الكرمانى يقطن فى نفس المدرسة وكان عالما فى المسائل الفلسفية والباطنية فى الاسلام وكثيراً ما اجتهد فى أن يقنع السيد محمد الذى هو أحد تلاميذه فى أن يقطع علاقاته مع ذلك السيّد الذى اعتقد أنه غير أهل للثقة يمنعه عن الحضور فى مجمع الاحباء ولكن السيّد محمد لم يشأ أن يستمع إلى هذا التحذير واستمر فى صحبته معه إلى ابتداء شهر ربيع الثانى

سنة ١٢٦٦ ﻫ «١» وفيها ذهب ذلك السيّد الخائن إلى سيّد حسين أحد علماء كاشان وسلّمه في يده أسماء وعناوين نحو خمسين من الأحباء القاطنين في طهران وهذه القائمة سلّمها السيّد حسين إلى محمود خان كلانتر الذي أمر بالقبض عليهم جميعا. فقبض على اربعة عشر منهم واحضروا أمام ارباب السلطة.

وتصادف يوم القبض عليهم اني كنت مع أخي وعمي الذي حضر من زرند ونزل في خان خارج باب نوّ وفي ثاني يوم انتقلت إلى زرند وعدت إلى مدرسة دار الشفا. ووجدت في غرفتي ربطة أوراق وعليها خطاب باسمي من ميرزا أحمد. وفهمت منه أن ذلك السيد الخائن قدوشى بنا واثار ضجة في العاصمة. وكتب ميرزا أحمد قائلا (أن الربطة التي تركتها في هذه الغرفة تحوى جميع الكتابات المقدّسة التي امتلكها فاذا وصلت إلى هذا المكان فخذها إلى خان الحاجي نادعليّ فتجد في إحدى غرفها شخصا بهذا الاسم من اهالي قزوين فسلمها اليه ومعها الخطاب المرفق بها ثم تقوم مباشرة إلى مسجد الشاه وهناك يمكنني مقابلتك. واتباعا لامره سلمت الربطة إلى الحاجي ووصلت المسجد وهناك قابلت المرزا أحمد وسمعته يحكى كيف هوجم والتجأ إلى المسجد وكان آمنا في حرمه من كل هجوم آخر.

وفي تلك الاثناء أرسل بهاء الله من مدرسة الصدر رسالة إلى ميرزا أحمد يعلمه فيها بتدبير الأمير نظام الذي طلب القاء القبض عليه من إمام الجمعة ثلاث دفعات. وكذلك أعلمه أن الأمير اذ تجاهل حرم المسجد عزم على القاء القبض على كل الملتجئين فيه وحرض مرزا أحمد أن يتركه مختفيا ويذهب إلى قمّ وطلب منه أيضا أن يأمرني بالرجوع إلى منزلي في زرند.

وفي تلك الاثناء الح عليّ اقربائي الذين عرفوني في مسجد الشاه بالرجوع إلى زرند وقالوا إن أبي قد بلغه كذبا أمر القبض عليّ وأصبح في حزن شديد وأن واجبي هو الاسراع اليه وتخليصه من آلامه. وعملا بنصيحة المرزا احمد الذي عرّفني بانتهاز هذه الفرصة التي ارسلتها اليّ يد القدرة سافرت إلى زرند واحتفلت بعيد النوروز مع أسرتي وكان هذا العيد قد طابق اليوم الخامس من جمادى الأول سنة ١٢٦٦ هجرية (٢) وهو يوم عيد

(١) ١٤ فبراير — ١٥ مارس سنة ١٨٥٠ ميلادية
(٢) ١٨٥٠ ميلادية

دعوة الباب وذكر الباب هذا العيد فى كتاب (بنج شان) احد كتبه . وكتب فيه (ان النوروز السادس بعد اعلان الدعوة من نقطة البيان طابق اليوم الخامس من جمادى الأول فى السنة القمرية السابعة بعد ذلك الاعلان) (١) وفى نفس العبارة اشار الباب إلى أن نوروز تلك السنة هو آخر نوروز يشهده على الأرض .

وفى وسط الاحتفالات التى أقيمت فى زرند كان قلبى متوجها إلى طهران وحامت افكارى حول النصيب الذى ناله أصحابى فى تلك المدينة المضطربة . وكنت أشتاق أن أسمع عن سلامتهم . ومع انى كنت فى منزل والدى ومحاطا بعناية آبائي الا انى شعرت بتعب فكرى لانى انفصلت من الجماعة الصغيرة التى أعلم متاعبها والمخاطر التى يتعرضون اليها والتى



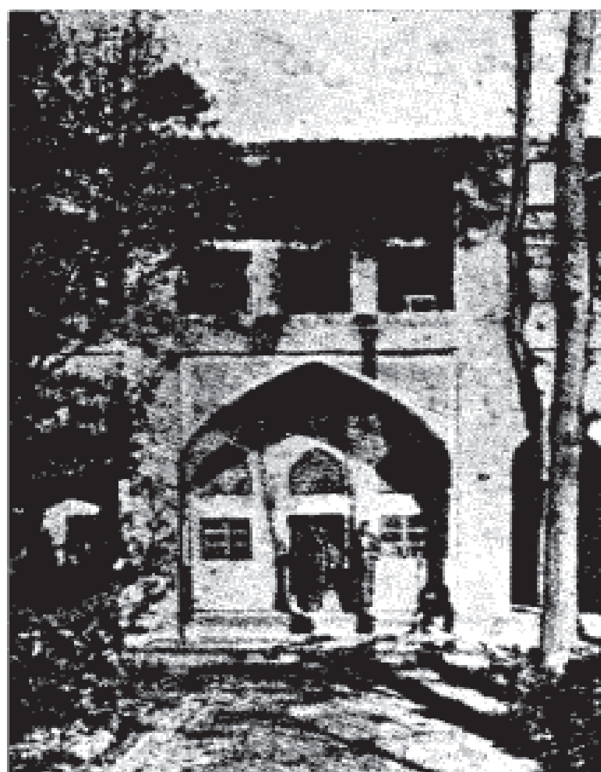
مدرسة الصدر فى طهران والعلامة (×) تدل على الغرفة التى كان بهاء الله قاطنا فيها

كنت أود أن اشاركهم فيها وفجأة حضر صادق التبريزى من طهران ونزل فى منزل والدى فقطع بحضوره حبسى المخيف هناك ومع انه خلصنى من آلام الانتظار التى كانت تثقل على قلبى لعدم وقوفى على مصير اخوانى فان اخبار الفاجعة والقسوة الوحشية التى عوملوا بها قد فطرت قلبى حزنا ورأيت أن آلام الانتظار كانت كالعدم بالنسبة الى ما انتابنى من روعة الأسى عند سماعها

وسأسرد الآن ظروف استشهاد اقرانى المقبوض عليهم فى طهران — فان الاربعة عشر تلميذا من تلامذة الباب الذين قبض عليهم استمروا محبوسين فى منزل محمود خان كلنتر من اليوم

(١) احد القاب الباب

الأول إلى اليوم الثانى والعشرين من شهر ربيع الثانى (١) وكانت الطاهرة أيضاً محبوسة فى الدور الأعلى من نفس المنزل . وكان مضطهدوهم يطلبون منهم الاعتراف الذى يرغبونه وعملوا كل حيلة لتنفيذ مطلوبهم ولكنهم لم ينجحوا وكان بين الاسرى من يدعي محمد حسين مراغى الذى امتنع أن يتفوه بأى كلمة رغم التشديد عليه . فعذبوه وعملوا جهدهم ان يحصلوا على أى اعتراف منه لخدمة مآربهم ولكن خاب سعيهم فى النهاية . ولم يفلح



مدرسة دار الشفا مسجد الشاه فى طهران

اصرار المضطهدين واستمر على الصمت حتى أنهم ظنوه أخرس . وسألوا الحاجى ملاّ اسماعيل الذى بلغه الأمر عن خرسه . فقال لهم أنه صامت وليس أخرس وهو ينطق بلا عائق وما كاد يناديه بأسمه حتى أجابه واكد له أنه لا يخالف له أمراً .

ولما تأكدوا من عجزهم عن ردهم عن إيمانهم وكلوا الأمر إلى محمود خان الذى وكل الموضوع إلى أمير نظام ميرزا تقى خان (٢) رئيس وزراء ناصر الدين شاه وكان الملك

(١) ١٤ فبراير — ١٥ مارس سنة ١٨٥٠ ميلادية

(٢) هو ابن قربان رئيس طباخين القائم مقام سلف الحاجى ميرزا آقاسى

فى تلك الايام لا تتداخل فى أمور الدولة الخاصة بالفئة المعذبة ولا يعلم بالأحكام الصادرة على أفرادها وكان لرئيس الوزراء سلطة تامة لينفذ فيهم ما شاء ولا يقدر أحد أن يراجعه فى أحكامه أو يعترض على طريقة حكمه وسلطته. فأصدر أمره مهدداً الأربعة عشر مسجونا بأعدامهم إذا لم يرجعوا عن معتقدهم . ورضخ سبعة منهم للتهديد الذي أنزل بهم وأفرج عنهم حالا واستشهد الباقون وهم شهداء طهران السبعة .

(فأولهم) الحاجى مرزا سيد على وملقب بالخال الاعظم وهو خال الباب وأحد مشاهير التجار فى شيراز وهو نفس الخال الذى كفل الباب بتعهد كتابى عند عودته من الحج للحجاز والقبض عليه بمعرفة حسين خان وهو الذى كان يعتنى به اعتناء تاما بعد وفاة والده ومنذ كان فى وصايته وخدمه بأخلاص وكان الوسيط بينه وبين جموع الاتباع الذين جاءوا لشيراز لرؤيته . وتوفى نجله الوحيد السيد جواد وهو صغير . وفى أواسط سنة ١٢٦٥ هجرية «١» كان الحاج ميرزا سيد على قد ترك شيراز وزار الباب فى قلعة جهريق . ومنها توجه رأسا الى طهران وبقى هناك غير مشتغل بعمل لغاية ظهور تلك الخيانة التى أدت أخيرا إلى استشهاده .

ومع أن أصحابه طلبوا منه أن يهرب من الاضطراب القادم فأنه امتنع أن يصغى الى نصحهم وثبت أيام الاضطهاد بأنابة تامة وسكون الى آخر ساعة من حياته وقدم له الكثير من التجار ذوى الثروة من معارفه مبلغا كفداء لخلاصه ولكنه رفض قبوله . وأخيرا أحضروه أمام الأمير نظام فقال له ذلك الوزير الكبير (أن قاضى قضاة هذه البلدة يكره أن يوقع أقل ضرر على سلالة الرسول . ومشاهير التجار فى طهران وشيراز يريدون بل يودون من صميم فؤادهم أن يدفعوا لك فداء . وتداخل ملك التجار وتوسط لأجلك. وتكفى كلمة منك بالأرتداد لأن تجعلك حراً طليقا وترجع الى مدينتك محفوفا بالأجلال وإذا قبلت فأنى اطلب اليك أن تصرف باقى أيام حياتك بالشرف والفخر فى ظل مليكك .)

(١) ١٨٤٨ — ١٨٤٩ ميلادية

فأجاب الحاجي سيد علي بكل جسارة (ياصاحب السعادة إذا كان غيري ممن شرب كأس الشهادة قبلي بفرح قد رفض قبول مثل هذا العرض فأعلم بأني لست بأقل منهم رغبة في رفضه لأني إذا ارتددت عن الحق الصريح في هذا الدين لكان ذلك بمثابة الارتداد عن جميع الاديان التي سبقته وانكاري لرسالة السيد الباب هو بعينه جحود لأيمان آبائي وإنكار لرسالة محمد الدينية ورسالة عيسى وموسى وجميع الانبياء السابقين والله يعلم أن كل ما علمته وسمعته وقرأته من أقوال وأعمال الرسل السابقين كان لي الشرف بأن أشاهده بنفسي من ذلك الشاب المحبوب — الذي هو من ذوي قرابتي — منذ حداثته لغاية بلوغه سن الثلاثين من عمره . وتذكرني صفاته بجده المظيم وبأئمة الدين الذين تدونت تواريخ حياتهم عندنا في الأحاديث المكتوبة ولا أطلب منك إلا أن اكون أول من يضع حياته فداء في سبيل قريبي المحبوب .)

وذهل الأمير من هذا الجواب وحصل له يأس وبدون أن يتكلم كلمة أشار بأن يؤخذ ويقتل . وإذ أخذوا فريستهم للقتل سمع وهو يتلو كلمات حافظ (لك الشكر يا الهي على ما اعطيتني بجودك ماطلبت منك) ونادى الجمهور الذين هجموا حوله قائلا (اسمعوا مني أيها الناس اني قد أسلمت نفسي كفداء في سبيل أمر الله . وان جميع أهالي فارس والعراق فيما وراء حدود ايران يشهدون باستقامتي وتقواي وشرف ارومتي وانتسابي للرسول. ولمدة ألف سنة دعوتم وكررتم الدعاء أن يظهر القائم الموعود . وعندذكر اسمه تصيحون من أعماق قلوبكم وتقولون عجّل اللّهم فرجه وازل كل عائق في سبيل ظهوره) والآن إذ أتى الموعود أبعدتموه في المنفى بلا معين في أقصى وأبعد ركن من أركان آذربايجان محبوساً وقمتم على قتل ومحو أصحابه وإني إذا دعوت الله عليكم لاجاب دعوتي وبغضبه ينتقم منكم ويوقع بكم العذاب ولكني لا أفضل ذلك بل إلى آخر نفس من حياتي أدعوه أن يمحو وصمة جريمتكم ويرشدكم أن تنتبهوا من رقاد غفلتكم «١»)

«١» وخلع عمامته وتوجه بوجهه إلى السماء صائحا يا الهي أنت ترى وتشاهد كيف أنهم يذبحون ابن رسولك الكريم بدون ذنب جناه ثم اتجه إلى السياف وتلى قول المولوى « إلى كم أذوع من ألم الانفصال فاقطع رأسي حتى يعطيني الحب رأساً » من كتاب المثنوى « مقالة سائح حاشية ب صحيفة ١٧٤ انجليزية »

وقد حركت هذه الكلمات الجلاد إلى أعماق قلبه حتى أنه ادعى أن السيف الذي في يده يحتاج إلى الشحذ وهرب وعزم على أن لايعود ثانيا . وكان يسمع منه وهو يشكو ويبكي مر البكاء ويقول (إني عندما تعينت لهذه المهمة كنت أظن أنهم لا يسلمون لي للقتل سوى مجرم قاتل أو قاطع طريق . والآن يأمروننى بسفك دم رجل لايقل قداسة عن الامام موسى الكاظم نفسه (١)) وسافر بعد ذلك بقليل إلى خراسان وهناك اشتغل بصفة شيال . وكان يقص رواية هذه الحادثة المحزنة للاحباء في ذلك الاقليم ويظهر ندمه على العمل الذى اضطر على اجرائه وكلما تذكر هذه الحادثة أو جاء ذكر الحاجي ميرزا سيّد على كانت دموعه تجرى من عينيه كشاهد للمحبة التى أوقدها هذا الرجل المقدس فى قلبه .

(وثانيهم) ميرزا قربان على من أهالى بار فروش من أقليم مازندران وشخصيته بارزة فى قبيلة النعمت اللهية . وكان ذا تقوى صادقة ونبالة أصيلة . وكانت طهارة حياته على شأن أن عدداً كبيرا من بين أعيان مازندران وخراسان اعترفوا له وأذعنوا له بالطاعة واعتبروه عنوان الفضيلة . وكان اعتباره بين أهل وطنه عظيما لدرجة أنه لما عزم على الحج إلى كربلاء احتشد الناس من المخلصين له والمعجبين به على جانبي الطريق ليؤدوا له التحية اللازمة . وفى همدان كما فى كرمانشاه أعجب عدد كبير من الاهالى من شخصيته وانضموا إلى جماعة أتباعه . وأينما حل كان الناس يحيّونه بالتهليل وكانت مظاهرات الحماس العامة غير مرغوبة عنده فكان يتحاشى الزحام ويتجنب أبهة الرئاسة واحتفالاتها . وفى طريقه إلى كربلاء بينما كان يمر وسط مندليج انجذب اليه شيخ ذو اعتبار عظيم لدرجة أنه ترك ميوله السابقة وترك أصحابه وتبعه لغاية اليعقوبية . ولكن المرزا قربان على اجتهد فى أن يقنعه بالرجوع إلى مندليج وأن يعود إلى العمل الذى تركه وقابل ميرزا قربان على عند عودته من الحج الملا حسين واعتنق الامر بواسطته ولمرضه لم يتمكن من الانضمام إلى المدافعين فى قلعة طبرسى ولولا عدم تمكنه من السفر لمازندران لاسرع فى الانضمام اليهم

«١» الامام السابع

«٢» وقال الحاج معين السلطنة فى تاريخه « صحيفة ١٣١ » أن ميرزا قربان على الدرويش قابل الباب فى قرية خانلق

وتعلق من بين أحباب الباب بالوحيد بعد الملا حسين . وأثناء زيارتي لطهران سمعت أنه خصص حياته لخدمة الأمر وقام بمنتهى الأخلاص لنشره فى جميع الجهات . وكان يشكو من مرضه وهو فى العاصمة وسمعته مراراً يقول (كم تأسفت على حرماني من نصيبي فى الكأس التي شربها الملا حسين وأصحابه . وكم اشتقت للأنضمام إلى الوحيد والى الدخول تحت رايته والآن اجتهد أن أصلح سابق تقصيري)

وبينما كان يريد مبارحة طهران قبض عليه فجأة . وكان لباسه البسيط يدل على مقدار زهده ، فكان يلبس قفطاناً أبيض كهيئة العرب وفوقه عباء من الصوف الخشن وفوق رأسه لباس أهل العراق ويظهر اذ يمشي فى الأسواق كأنه عنوان الانقطاع . ويحافظ على التمسك بفرائض الدين بتقوى زائدة . وكان يقول (إن الباب نفسه يلاحظ ويعمل فرائض دينه بكل دقة فكيف أهمل الأمور التي يقوم رئيسي بعملها) ولما قبض على ميرزا قربان على وأحضر أمام الامير نظام قامت ضجة كبيرة فى طهران لم تر المدينة مثلها وازدحمت الجماهير بالقرب من مقر الحكومة الرئيسي لمشاهدة ما يقع عليه . وقال له الأمير (منذ الليلة الماضية يجتمع بي ضباط الحكومة للتوسط فى مسألتك (١) ومما علمته أن المقام الذى تشغله أنت ليس أقل بكثير من مقام السيد الباب نفسه وكذلك تأثير كلماتك . فاذا ادعيت لنفسك مقام الرئاسة لكان أحسن لك من أن تصرح بتبعيتك لمن هو أقل منك علما) فأجابه بكل جسارة (إن العلم الذى تحصلت عليه هو الذى جعلني أنحني طاعة أمام من عرفت أنه ربي ومولاى . ومنذ أن بلغت سن الرجال كان العدل والانصاف رائد حياتي وقد حكمت بالأنصاف فى أمره ووصلت إلى النتيجة الآتية وهى أنه إذا كان أمر هذا

(١) كان ميرزا قربان على من مشاهير الدراويش والمتصوفين وله أصدقاء كثيرون وتلاميذ فى طهران كما كان معروفا لجميع الاعيان والكبراء حتى لوالدة الشاه . وبسبب صحبتها له والرحمة التى شعرت بها فى مسألته قالت لجلالة الملك « أنه لم يكن بابيا ولكنهم اتهموه كذبا بذلك » فأرسلوا وأحضروه وقالوا له إنك درويش ومتعلم وانك لا تمت إلى هذه الفئة الضالة بصلة وقد وصلتنا ادعاءات باطلة عليك) فأجاب « أنني أعد نفسي أحد أتباع وخدام حضرته القدسية ولا أعرف إن كان قد قبلني بهذه الصفة من عدمه » ولما أرادوا اقناعه وبمدوعده بمعاش وماهية قال « ان حياة هذه القطرات من الدماء هى تافهة ولو كانت الدنيا جيمها ملكي فأن تضحية رأسي لمحبوبي فى نظري أمر بسيط ولو كانت لى الف حياة لفديتها تحت أقدام أحبائه فاقفلوا فمكم ولا تتكلموا هذا الكلام وامتنعوا عن العذل لأن العذل لا يقبله المحبون » وأخيرا رجعوا عنه يائسين وأمروا بقتله « التاريخ الجديد صحيفة ٢٥٤ »

الشاب الذى يشهد بتأثيره الأعداء قبل الأحباء باطلا فأن كل نبي من الأول الذى لا أول له إلى هذا اليوم يكون عنوان الباطل أيضاً . وإن لى زهاء ألف من الاتباع جميعهم يخلصون لى إخلاصا لا شك فيه وأنى عاجز أن أغير قلب واحد فيهم ولكن هذا الشاب أثبت أنه قادر على تغيير أرواح أتباعه باكسير محبته . وله تأثير على ألوف مثلى ممن لم يروه ولم يحظوا بلقائه وهو وحيد لامعين له وجميعهم تركوا أهوائهم وتعلقوا به وأطاعوه وهم عالمون تماما بعدم كفاية ما قاموا به من جلائل الاعمال ويحبون أن يضحوا حياتهم لأجله أملا فى أن تكون شهادة على إخلاصهم ومستحقة لأن تذكر أمام ساحة عظمته .)

فقال الأمير نظام (إني متردد فى الحكم بالأعدام على صاحب مثل هذا المقام الرفيع سواء كان كلامه من الله أم لا .) فأجابه الاسير بحرقة (ولماذا تتردد ألا تعلم أن الأسماء تنزل من السماء ومن كان أسمه على «١» وهو الذى أضع حياتى فى سبيله من أزل الآزال سماني قربان على ضمن لوح الشهداء المنتخبين فهذا هو اليوم الذى احتفل فيه بالقربان وفيه أطبع إيمانى بأمره بدم حياتى . فلا تتوان إذا فى أمرى وتأكد إنى لا ألومك فكلما أسرعت فى قطع رأسى كلما ازددت لك ممنونية) فصاح الأمير (خذوه بعيدا عنى فأذا مرت لحظة أخرى فأن هذا الدرويش يؤثر عليّ بسحره) فأجاب قربان على (إنك محجوب ممنوع من نفوذ السحر الذى لا يؤثر إلا على أطهار القلوب . أما أنت وأمثالك فلا يمكن أن يفهموا القوة السحرية للأكسير الألهى الذى فى أقل من لمح البصر يقلب قلوب الرجال) فاهتز الأمير نظام غضبا من الجواب وقال (لا شيء يسكت هؤلاء إلا السيف) والتفت إلى الجلادين الذين حوله وقال (لا داعى أن تحضروا أمامى أحداً من هذه الطائفة الممقوتة فأن الكلام يعجز عن إقناعهم فى عنادهم المتواصل . وكل من تمكنتم من إقناعه أن يعدل عن دينه أطلقوا سراحه وإلا فاقطعوا عنقه .

ولما اقترب قربان على من مكان استشهاده وهو ثمل من نشوة الأمل بالاجتماع القريب بمحبوبه صاح بنبرات الفرح والسرور . وقال بفرح لامزيد عليه (اسرعوا بذبحي لانكم بذلك تقدمون لى كأس الحياة الأبدية . ولو أنكم الآن تطفئون هذا النفس الضئيل فأن محبوبي سيكافئني

(١) إشارة إلى الباب

بآلاف عديدة من حياة غيرها مما لا يقدر أحد على تصورها) والتفت إلى الجمهور الملتفين حوله وقال: (استمعوا لكلماتي أنتم الذين تدعون أنكم أتباع رسول الله فأن محمداً شمس الهداية الذي قام في سابق العصر في أفق الحجاز قد قام ثانية اليوم في شخص على محمد من أفق ربيع شيراز ومنه أشرقت نفس الأنوار وأضاء بذات الضياء والوردة هي وردة في أي حديقة أزهرت وفي أي وقت ظهرت وتفتحت) . ولما رأى الجموع حوله صما بكما تلقاء ندائه صاح بأعلا صوته (أيها الجيل الفاسق ما أغفلكم عن رائحة ذلك الورد التي انتشرت ولو أن روحي قد امتلأت منها بالفرح والسرور إلا أني لا أجد وللأسف قلبا يشاركني في الابتهاج بها ولا عقلا يدرك مجدها) . وإذ رأى جثة الحاجي ميرزا سيد على مقطوعة الرأس وتنزف الدم تحت أقدامه أخذ هياجه وهو منفعل يرتفع إلى أقصى حد وصاح إذ رمى نفسه على الجثة وقال (حيّ على يوم لقائنا معاً بالفرح والسرور حي على يوم اجتماعنا بالمحبوب) وقال للجلاد وهو يحتضن الجثة بين ذراعيه (اقترب وعجل بضربتك لأن زميلي لا يريد أن يتركني من حضنه ويدعوني أن أعجل معه إلى ساحة قرب المحبوب) فوقعت الضربة حالا على عنقه من الجلاد وبعد برهة فاضت روح هذا الرجل المظيم . وكانت تلك الضربة القاسية قد حركت في الحاضرين شعور الدهشة الممزوجة بالعطف وعلت اصوات النحيب والبكاء من قلوب الجماهير وزاد في الأنين والحنين الذي ذكّر الناس بأحزان يوم العاشوراء الذي ينتحب فيه الأهالي كل سنة (١)

(الثالث) ثم جاء دور الحاجي ملا اسماعيل القمي الذي كان أحد سكان فاراهان ففي صباه سافر إلى كربلاء للبحث عن الحق الذي كان يجتهد في كشفه ويعاشر جميع علماء النجف وكربلاء وجلس تحت اقدام السيد كاظم وسمع منه العلوم التي مكنته من الاعتراف بأمر الباب في شيراز بعد بضعة سنوات . وامتاز بقوة ايمانه وحماس اخلاقه . وبمجرد أن سمع أمر الباب بأن يسرع احباؤه إلى خراسان أجاب بكل نشاط وانضم إلى الأصحاب الذين اسرعوا إلى بدشت وتسمى

(١) لما أحضر عند مقعد التنفيذ وضع السياف سيفه وضربه على قفاه من الخلف ولكن الضربة أمالت رأسه فقط وأوقعت عمامة الدرويش ودارت أمامه بضعة خطوات على الارض وفي آخر نسمة من حياته أثار شعور جميع الحاضرين بتلاوة الشعر الآتي : حقا أنه لسعيد من أسكره الحب حتى لم يعلم إن كانت العمامة أم رأسه هي التي وقعت تحت أقدام المحبوب (التاريخ الجديد صحيفة ٢٥٤ — ٢٥٥)

بسر الوجود . وبينما كان في جماعتهم زادت معرفته بالامر وزادت عنده الرغبة في ترويجه وأصبح عنوان الانقطاع وزاد شعوره يوما فيوما في الرغبة في اظهار الروح التي تجلت عليه بصورة فائقة . وكان يظهر براعة وفراسة لايقدر على مثلها الا القليل في تفسير معاني الآيات القرآنية والاحاديث الاسلامية . وكانت الفصاحة التي يظهرها اثناء ذلك مما تستوجب اعجاب زملائه. وفي الأيام التي كانت فيها قلعة طبرسي تموج بجموع المؤمنين كان راقداً على فراش المرض وغير قادر على اسداء المعونة في الدفاع معهم وما كاد يشفى من مرضه حتى وجد أن الحصار التاريخي الشهير قد انتهى بقتل الاتباع فقام بعزم لتدارك ما فاته من التضحية لهذا الامر وساقه ذلك العزم اخيراً إلى ميدان الشهادة ونال تاج فخرها .

واذ سيق إلى التنفيذ وانتظار اللحظة الاخيرة التفت إلى زميليه الذين تقدماه والذين بقيا في حالة احتضان وصاح وهو يحدق بنظره إلى رأسيهما المضرجتين بالدماء . (نعم مافعلتما أيها الأخوين الحبيبين فانكما قلبتما طهران إلى جنة فوا شوقي إلى اللحاق بكما) ووضع يده في جيبه واعطى الجلاد قطعة من النقود ورجاه أن يشترى له شيئا يحلى فمه فتناول بعضها واعطى الباقي للجلاد وقال (اني قد سامحتك لفعلتك فاقترب مني واضربني لأني منذ ثلاثين سنة كنت اتمنى وأحن إلى أن اشاهد مثل هذا اليوم وكنت اخشى أن انزل القبر ولا تتحقق رغبتي) ثم صاح وهو رافع رأسه إلى السماء (اقبلني يا الهي ولو اني غير مستحق وا كتب اسمي ضمن كتاب الابرار الذين ضحوا حياتهم في مذبح الاستشهاد) وكان يتلو المناجاة حتى ضربه الجلاد كطلبه وقطعها عليه (١)

(الرابع) وما كادت روحه تفيض حتى ساقوا السيد (٢) حسين الترشيزي المجتهد إلى المذبح كان من اهالي ترشيز قرية في خراسان وكان مشهوراً بالتقوى واستقامة الخلق . وتلق

(١) والآن ابتدأوا في المذبحة وقطع الرؤوس فلما جاء دور الحاجي ملا اسماعيل لأعدامه جاءه رجل وقال له (إن بعض أصحابك يريد أن يفديك بمبلغ من المال على شرط توبتك ليوقفوا التنفيذ عليك. وإذا كان الأمر للضرورة ولأنقاذ حياتك فما هو الضرر في إنك تذكر باللسان فقط وتقول (لست بابيا) حتى يوجد أمامهم سببا لتركك فأجابه (اذا كنت أريد الرجوع فلا يقدر أحد أن يمسني حتى مع عدم دفع اى نقود) ولما الحوا عليه بشدة قام وصاح وسط الجمع المحتشد حتي يسمعوا وقال : أيها النسيم أحمل عني رسالة إلى اسماعيل الذى لم يذبح وقل له : الحب لا يسمح بالتراجع من طريق المحبوب (التاريخ الجديد صحيفة ٢٥٣ — ٢٥٤)

الدرس سنين عديدة فى النجف وارسله اخوانه المجتهدون إلى خراسان لنشر التعاليم التى تلقاها .ولما وصل إلى كاظمين قابل الحاجى محمدتقى الكرمانى أحد معارفه القدماء ومن اكابرالتجار فى كرمان وكان قدفتح فرعا لتجارته فى خراسان . وعزم على صحبته إذ كان فى طريقه إلى ايران . وكان هذا الحاجى محمد تقى صاحبا للحاجى ميرزا سيد على خال الباب وبواسطته اعتنق الامر سنة ١٢٦٤ هجريه (١) بينما كان يستعد للذهاب من شيراز للحج إلى كربلاء . واذ سمع بعزم الحاجى ميرزا سيدعلى بالرحيل الى چهريق لأجل زيارة الباب أظهر رغبة أكيدة فى مرافقته. فنصحه الحاجى ميرزا سيّد علىّ أن يواصل سعيه الأصلى ويسير الى كربلاء. وهناك ينتظر منه الخطاب ليعلمه فيه ان كان من الحكمة الحضور من عدمه. ومن جهريق صدر الامر للحاجى ميرزا سيّد علىّ أن يرحل إلى طهران بأمل أنه بعيد المكث فيها برهة قصيرة يتمكن من تجديد زيارة ابن اخته . وبينما كان فى جهريق أظهر عدم ميله الى العودة لشيراز نظراً لصلف أهلها المتزايد الذى لا يقدر على تحمله . وبمجرد أن وصل الى طهران أمر الحاجى محمد تقى أن يلحقه . ورافقه السيدحسين من بغداد الى العاصمة وبواسطته اعتنق الأمر .

ولما واجه الجمهور المحتشد حوله ليروا استشهاده قال (اسمعوا الىّ يا أتباع الاسلام ان اسمى حسين وأنا من نسل سيد الشهداء الذى كان سميّ وجميع مجتهدى المدن المقدسة فى نجف وكربلاء يشهدون بالاجماع انى حجة فى التفسير وشرائع الدين . ولم أسمع باسم السيد الباب الا حديثاً وكانت الدرجة السامية التى حصلت عليها فى تفسير مشكلات التعاليم الاسلامية قدمكنتنى أن أقدر الرسالة التى جاء بها السيدالباب واني مقتنع انى لوأنكرت الحق الذى جاء به فانى بنفس العمل أكون قد رفضت الاعتراف بكل دين سبقه . وأريد من كل واحد منكم أن يطلب من علماء ومجتهدى هذه البلدة أن يعقدوا اجتماعاً وأنا أتعهد أمامهم أن أثبت لهم حقيقة هذا الأمر . ثم بعد ذلك فليحكموا ان كنت قادراً على اثبات صحة دعوى الباب أم لا. واذا اقتنعوا بالحجج والبراهين التى ادلى لهم بها فليمتنعوا عن سفك دم الأبرياء واذا عجزت عن ذلك فليوقعوا علىّ من العقاب ما يشاؤون) وما كاد يتم هذه

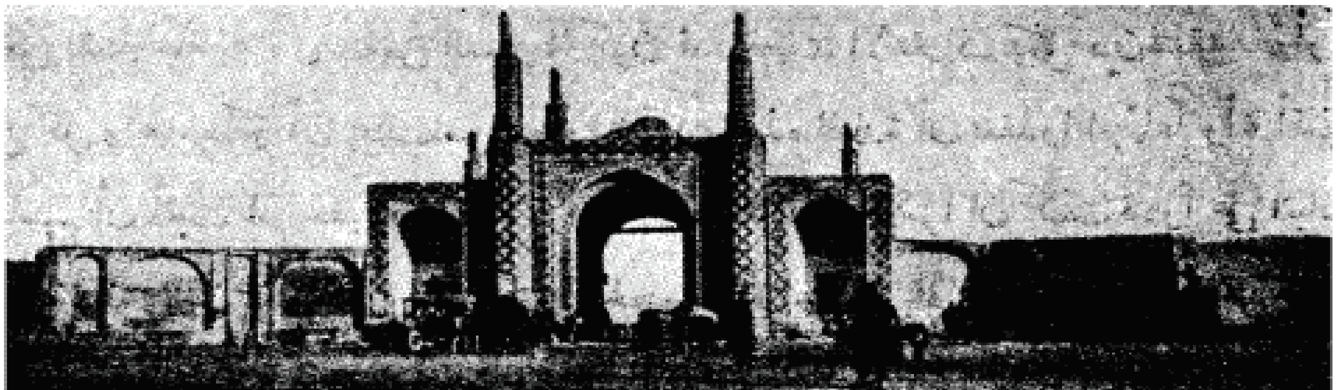
(١) ١٨٤٧ — ١٨٤٨ ميلادية



سبز ميدان الذى استشهد فيه كثير من المؤمنين

الأقوال حتى تداخل الضابط المعين من قبل الأمير نظام وقال متكبرا (انى أحمل معى حكم الاعدام عليك وهو ممضى من سبعة من كبار المجتهدين فى طهران وقرروا فيه بخطوطهم بأنك كافر . واذا سئلنا عن دمك أمام الله يوم القيامة فانا نضع المسئولية على أكتاف هؤلاء الرؤساء الذين وثقنا فيهم وطلبنا منهم الحكم والذين نضطر لاجراء حكمهم)وبهذه الكلمات استل خنجره وطعنه بقوة فوقع ميتا تحت قدمه .

(الخامس) وبعده اقتيد الحاج محمد تقى الكرمانى الى مكان التنفيذ . فراعه فظاعة المنظر الذى كان أمامه وصاح بفزع عظيم وهو ينظر الى الجلاد (تقدم أيها السفاح الطاغى السافل وأسرع فى ذبحى لأنى ليس لى صبر على أن لا أنضم الى الحسين المحبوب . فان الحياة بعده عذاب لا أقدر أن أتحمله .)



باب نو فى طهران

(السادس) وما كاد الحاج محمد تقى يتلفظ بذلك حتى أسرع السيد مرتضى الذى كان أحد مشاهير التجار فى زنجان ليحوز قصب السبق فى ميدان الاستشهاد وارتمى على الحاجى محمد تقى وقرر انه سيد من الأشراف وان قتله يكون فى نظر الله أوفق من قتل الحاجى محمد تقى . وبينما الجلاد يستل سيفه اذ تذكر السيد مرتضى أخاه الشهيد الذى دافع جنبا لجنب مع الملا حسين . وهكذا كانت اشارته اليه حتى ان المجتمعين والمشاهدين أعجبوا بقوة ايمانه التى لا تقهر .

(السابع) وفى وسط هذه الضجة التى أثارتها أقوال السيد مرتضى هجم محمد حسين المراغى ورجا أن يكون هو شهيداً قبل زملائه . وما كادت عينه تقع على جسد اسماعيل القمى الذى كان يحبه محبة فائقة حتى ارتمى عليه بدون تمهل واحتضنه قائلا (لا أسمح أبداً أن أفترق عن محبوبى العزيز الذى وضعت فيه كل ثقتى والذى طالما أغدقنى بشواهد عديدة دلالة على حبه العميق وصداقته وكان شوق الجميع فى التسابق الى ميدان الشهادة قد أدهش الجماهير الحاضرة وكانوا يتعجبون ويتساءلون من ستكون له الحظوة من الثلاثة فى الشهادة قبل غيره . فكانوا جميعا يطلبون ذلك حتى انهم قتلوا دفعة واحدة وفى لحظة واحدة .

ولم تشهد عين إلا نادراً مثل هذه القسوة الجامحة فى معاملة أهل هذا الدين العظيم . ومع أن الشهداء كانوا قليلين إلا أن حوادث استشهادهم تجبرنا على الاعتراف بالقوة القاهرة التى أوجبت مثل هذه التضحية النادرة فاذا تذكرنا المقام الرفيع الذى كان هؤلاء الشهداء يتمتعون به ولاحظنا درجة انقطاعهم وقوة ايمانهم والجهد الذى بذله أصحاب المقامات الرئيسية والمتسلطة لافلاتهم من الخطر الذى يهدد حياتهم وفوق ذلك إذا تصور تلك الروح العالية التى ازدرت بالفظائع الصادرة من أعـــداء لاقلب لهم ينحطون بها لتوقيعها عليهم فاننا نرى فى هذه الحوادث أعظم مأساة فى تاريخ هذا الأمر . (١)

(١) وبعد ذكر الحوادث السابقة أراد المؤرخ البابى أن يذكر أهمية شهادة الشهداء السبعة الفريدة فى بابها فانهم كانوا أشخاصا يمثلون طبقات مهمة فى ايران أى من العلماء والدراويش والتجار والبدالين وموظفى الحكومة فكانوا رجالا محترمين ذوى مكانة عند العموم وماتوا بلا خوف ولا وجل بل بشوق زايد رافضين أن يشتروا هذه الحياة بمجرد الانكار الشفوى تحت اسم الكتمان أو التقية التى يعترف بها الشيعة أنها جائزة فى أحوال الخطر . فلم يكونوا يائسين من أمل الرحمة كما كان الذين توفوا فى الشيخ طبرسى وزنجان وقد ختموا حياتهم بدمائهم فى الميدان العام فى عاصمة ايران التى هى مقر سفراء الدول

وفى هذه المرحلة من تاريخى كان لى الشرف أن أقدم لبهاء الله بعض قطع مما راجعت وأتممت . فكم كانت مكافأتى لاتعابى من ذلكم الذى كنت دائما اتطلع لرضاه والذى أتعبت نفسى له . فبكل لطف طلبنى للقائه وأولانى بركاته وكنت فى منزلى فى مدينة السجن فى عكا قد قطنت فى جوار منزل آقاى كليم حينما طلبني المحبوب . وكان ذلك يوم السابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٦ هجرية (١) وهو مالا انساه أبداً وأذكر هنا خلاصة كلماته لى فى تلك الفرصة الفريدة قال : —

فى لوح انزلناه البارحة فسرنا المعنى من (غضوا ابصاركم (٢)) اثناء اشارتنا للاحوال الحاصلة فى بدشت . وقد كنا نحتفل فى جملة الاصحاب من الأعيان والعظماء بعرس أحد البرنسات من العائلة المالكة فى طهران اذ ظهر فجأة على باب المنزل السيد أحمد يزدى والد سيد حسين كاتب وحى الباب ، وأشار الينا مظهراً انه يحمل رسالة مهمة يريد تبليغها حالا . وكنا غير قادرين مع ذلك على ترك الاحتفال فى تلك اللحظة واخبرناه بالانتظار . ولما انتهى الجمع أخبرنا أن الطاهرة قد حبست فى قزوين وأن حياتها أصبحت فى خطر عظيم . فنادينا محمد هادى فرهادى توا وأعطيناه التعليمات الخاصة بأنقاذها من حبسها وحراستها لغاية العاصمة . ولما استولى الاعداء على منزلنا لم نقدر على ضيافتها عندنا فى مسكننا . فبناء على ذلك عملنا ترتيبنا لنقلها من منزلنا إلى منزل وزير الحربية (٣) الذى غضب عليه مليكه ونفاه إلى

الاجنبية المرسلين إلى بلاط الشاه . وهنا صدق المؤرخ البابى حتى الذين يعيبون البابية بانها اشتراكية تهدم كل نظام واداب يظهرون الرحمة والشفقة لهؤلاء الشهداء الذين لاذنب لهم . ويمكنا أن نطبق قول جوبينو الفصيح وفكره الصائب على مأساة مماثلة حصلت بعد عامين قال (وكانت هذه الحادثة قد جعلت للباب أنصارا لبثوا غير مكشوفين وكانت الدعوة ذاتها تتمكن من ارشادهم وقد كان ذلك من التأثير الشديد الذى أحدثه على الجمهور بسالة الشهداء وثباتهم . وكثيراً ماسمعت البعض يحكي حوادث ذلك اليوم وكانوا شهود رؤيا ورجال من رجال الحكومة والبعض فى مراكز عالية وبسماعها كان الاعتقاد السائد بين الجميع أنهم كلهم بابيون حيث أنهم كانوا يظهرون اعجابهم الشديد بتذكارهم الذى لم يظهر مثله فى الاسلام . وكانوا يتكلمون بالثناء الكبير على معارف وموارد وامال وسبل نجاح هذه الطائفة (من مقالة سائح حاشية صحيفة ١٧٥ — ١٧٦)

(١) ١١ ديسمبر سنة ١٨٨٨ ميلادية

(٢) ورد فى الاحاديث الاسلامية أن فاطمة بنت الرسول ستظهر وهي تمر على الصراط فى يوم القيامة مكشوفة الوجه وعند ظهورها ينادى مناد من السماء (غضوا أبصاركم أيها الملأ)

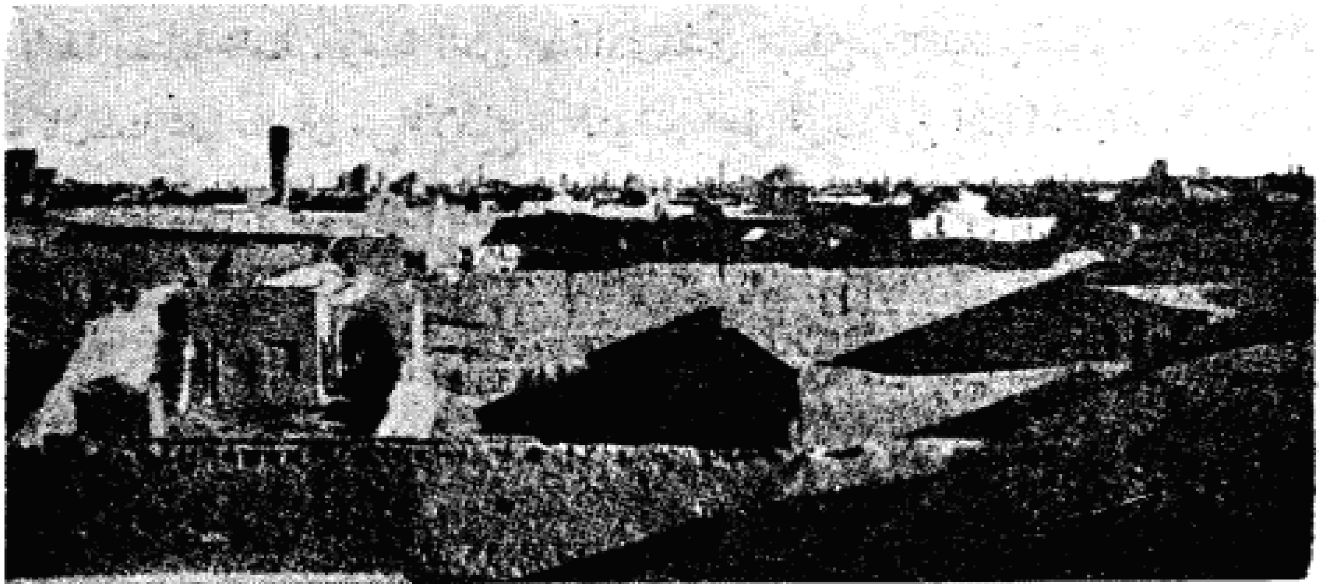
(٣) مرزا اقا خان النورى الذى خلف الامير نظام رئيس الوزراء لناصر الدين شاه

كاشان. وطلبنا من أخته التي كانت من ضمن أحبائنا أن تعتني بالطاهرة وتكون مضيفتها . وبقيت في صحبتها إلى أن جاء أمر الباب لنا بالرحيل إلى خراسان فرأينا أن تقوم الطاهرة حالا بالرحيل إلى ذلك الاقليم وأمرنا مرزا (آقاي كليم (١)) أن يوصلها إلى محل خارج باب المدينة ومنه إلى أي جهة يراها مناسبة لها في الاماكن المجاورة . فأخذت إلى حديقة وفيها منزل مهجور وبستاني عجوز حارس له ورجع ميرزا موسى وأخبرنا بأنتقالها إلى المحل الذي تهيأ لها ومدح المناظر المحيطة به وعملنا بعد ذلك على ترحيلها إلى خراسان ووعدنا باللحاق بها في ظرف بضعة أيام ولم تمض مدة حتى لحقنا بها في (بدشت) وفيها أجرنا لها بستانا خاصا . وعينا نفس محمدهادي الذي تمكن من تخليصها ليكون بصفة بواب لها وكان معنا نحو سبعين من الاتباع سكنوا في محل قريب من تلك الحديقة .

ومرضنا ذات يوم ولازمنا الفراش . وكانت الطاهرة قد أرسلت طلبا لتحضر عندنا ودهشنا لطلبها وتحيرنا كيف نجاوبها . وفجأة وجدناها على الباب ووجهها مكشوف أمامنا ونوه عن هذه الحادثة ميرزا أقاجان (٢) ببيان حسن إذ قال (أن وجه فاطمة يجب أن ينكشف يوم القيامة وتظهر أمام أعين الناس سافرة وفي تلك اللحظة ينادي منادي الغيب ويقول (غضوا أبصاركم عما رأيتم) وقد أخذت الدهشة والاضطراب يتغلبان على جميع الأصحاب في ذلك اليوم وامتلأ قلبهم من الخوف والوجل ولما لم يتحمل البعض من الأصحاب أن يرى مثل هذه المخالفة الصريحة للعوائد الاسلامية المقررة هربوا في انزعاج من أمام وجهها والتجئوا في ذهولهم إلى قصر مهجور في جوار ذلك المكان ومن الذين تزلزلوا من عملها وسلوكها وقاطعوها كلية السيد النهري (٣) وأخوه ميرزا هادي وأرسلنا لهما كلمة بأنه لم يكن من الضروري لهما هجر اخوانهما والالتجاء إلى القصر . وتفرق أخيراً الاصحاب وتركونا تحت رحمة أعدائنا . ولما ذهبنا فيما بعد لآمل كان ضجيج الناس قد ارتفع لدرجة أن أربعة آلاف نفر اجتمعوا في المسجد وتزاحموا على سقف المنازل وقام علينا رئيس الملاوات في البلدة وقاومنا بشدة وصاح قائلا بلهجة المازندراني

(١) أقا كليم أخ بهاء الله . (٢) كاتب وحي بهاء الله . (٣) ميرزا محمد على النهري .

(أنكم افسدتم دين الاسلام وثلمتم صيته . فنى الليلة السابقة رأيتكم فى الرؤيا دخلتم المسجد الذى كان يموج بالجماهير المنتظرة والمجتمعة لمشاهدة وصولكم وإذ أشتد الزحام حولكم شاهدت القائم واقفا فى ركن ووجهه فى وجهكم وهيئته تدل على فرط التعجب وانى أعتبر الرؤيا دليلا على انكم انحرفتم عن سبيل الحق .) فأكدنا له أن علامة التعجب التى شاهدها على وجهه إنما تدل على عدم موافقته على معاملة أبنـــاء بلدته لنا . فسألنا بعد ذلك عن رسالة الباب فأخبرناه بأننا وان لم نقابله وجها لوجه الا اننا نكمن له المحبة العظيمة وأكدنا له اعتقادنا الجازم بأنه بأى حال لا يعمل على خلاف مقتضى دين



منظر يزد

الاسلام) ولكن الملاّ وأتباعه أبوا أن يصدقونا ورفضوا قبول شهادتنا واعتبروها تلفيقا . وبناء على ذلك حبسونا أخيرا ومنعوا أصحابنـا من لقائنا وكان حاكم آمل المنتدب قد نجح فى اطلاق سراحنا من الحبس . وأمر أتباعه أن ينقبوا الحائط ومنه تمكنا أن نترك الغرفة وأخذنا الى منزله . وما كاد الأهالى يعلمون بذلك حتى تجمهروا وحاصروا منزل الحاكم وقذفوا علينا الأحجار وصاحوا علينا بكل طعن قبيح .

وفى الوقت الذى أرسلنا فيه الملا هادى فرهادى إلى قزوين لتخليص الطاهرة الى طهران كتب الينا الشيخ ابو تراب يقول بأن مثل هذا العمل محفوف بأعظم الاخطار وربما يسبب هياجا غير منتظر ولكنا لم نرجع عن عزمنا . وكان ذلك الشيـخ رقيق القلب وبسيطا ومتواضع الخلق ذا سيرة شريفة . وتنقصه الشجاعة والحزم وأظهر ضعفاً فى مواطن كثيرة)

ولنذكر الآن كلمة ختامية لفصول هذه المأساة التى شوهدت فيها شهامة الشهداء السبع فى طهران . فان جثثهم تركت فى سبز ميدان المجاور للقصر الملكى لمدة ثلاث أيام وثلاث ليالى معرضة لجميع الفظائع التى أوقعها عليهم عدو طاغى وآلاف من الشيعة المتحمسين تجتمع حول الجثث يركلونها بأرجلهم ويبصقون على وجوهها وكان الجمهور يرجمها ويلعنها ويسخر منها ويلقى عليها المتفرجون الأقذار ويمثل بها بأقصى أنواع التمثيل . ولم يرتفع أى صوت للاحتجاج ولم تمتد أى يد لمنع الظالمين المتوحشين . وبعد أن شفوا غليلهم دفنوهم خارج باب العاصمة فى محل يقع خارج حدود الجبانة العمومية الملاصقة للخندق بين أبواب نو وشاه عبد العظيم ووضعوا جميعا فى قبر واحد وبقوا متحدين فى أجسادهم كما كانوا متحدين فى الروح أيام حياتهم الدنيوية (١) .

وقد زادت أخبار شهادتهم فى آلام الباب الذى كان غارقا فى حزنه على نصيب أبطال طبرسى . ففى اللوح المفصل الذى نزل فى حقهم والذى تشهد كل كلمة منه على المقام الرفيع الذى كان لهم فى نظره وأشار اليهم بأنهم الأغنام السبعة الذين يمشون أمام القائم الموعود فى يوم القيامة كما ورد فى الأحاديث الاسلامية فهم يمثلون بحياتهم أعلى درجة للبطولة وأشرف مقام للشهامة ويثبتون بتضحية حياتهم رضاهم التام بأمره واستسلامهم لارادته . والمعنى فى تقدمهم عن القائم كما فسر الباب أنهم يستشهدون قبل القائم نفسه الذى هو راعيهم . فوقع فعلا ما تنبأ به الباب لأن استشهاده وقع فى تبريز بعد ذلك بأربعة أشهر . ووقعت حوادث نيريز التى انتهت بقتل وحيد فى تلك السنة الشهيرة التى وقع فيها استشهاد الباب واستشهاد سبعة من أصحابه فى طهران . وفى نهاية السنة نفسها كانت زنجان مركز زوبعة اضطربت فيها جميع البلاد المجاورة وهبت بقسوة زائدة خارجة عن الوصف وانتهت بذبح عدد غفير من أخلص وأشجع أتباع الباب . واشتهرت هذه السنة بالشهامة الفذة التى ظهرت من هؤلاء المؤمنين الأبطال فضلا عن الأحوال العجيبة التى شوهدت فى حادثة

(١) ولما أتم السيافون عملهم الدموى ارتاع المتفرجون من شجاعة وصبر هؤلاء الشهداء ثم بعد برهة سمحوا لانفسهم بتعصبهم الوحشي أن ينزلوا على بقايا الضحايا اللعن والشتم رغما عن أن أرواح هؤلاء قد صعدت وعلت عن أن يلحقوها بأذى . فكانوا يرمون الأحجار والأقذار علي الجثث الهامدة وهم يصيحون (هذا جزاء أهل العشق والذين يسيرون فى طريق الحكمة والحق) ولم يقبلوا أن يدفنوا هذه الجثث بل قذفوا بها فى حفرة خارج بوابة شاه عبد العظيم ثم ردموها (من مقالة سائح حاشية ب صحيفة ١٧٤ ــ ١٧٥)

استشهاد الباب وبجملتها كونت أبهى صحائف تاريخية خالدة فى تاريخ ذلك الدين الذى احاطت به الدماء من كل الجهات . واسود وجه الأرض بالفظائع التى ارتكبها ذلك العدو الطاغى القاسى الذى لم يكن له من رادع . وكانت المملكة من خراسان على حدود ايران الغربية لغاية تبريز مكان استشهاد الباب ومن المدن الشمالية فى زنجان وطهران إلى المدن الجنوبية التى امتدت لغاية نيريز فى اقليم فارس فى اضطراب وظلام حالك مما ينبىء بطلوع انوار الأمر الذى سيعلنه الحسين المنتظر وهو اقوى وأبهى مما أعلنه الباب نفسه (١)

(١) وبينما كانت هذه الحوادث تجرى فى شمال ايران كانت الاقاليم الوسطى والاقاليم الجنوبية مضطربة من أثار تبليغ المبلغين للدين الجديد وكان الناس على ماهم عليه من البساطة والجهل والسذاجة والطيش والوهم يقفون حائرين من سماع المعجزات المستمرة التى كانت تتلى عليهم . وزاد الملاوات المتحيرون فى السب والشتم إذ رأوا اتباعهم ابتدأوا يميلون عنهم ويتركونهم . وأخذوا زيادة عن الشتم يروجون الاكاذيب الفظيعة عنهم فانتشرت الاخبار السيئة فى جميع انحاء البلاد وبين الاهالى المتحيرين وزادت الاراجيف عن توحشهم الدموى وذاعت هذه الانباء بين عاملى الارتياع والاعجاب (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٨٧)

الفصل الثاني والعشرون

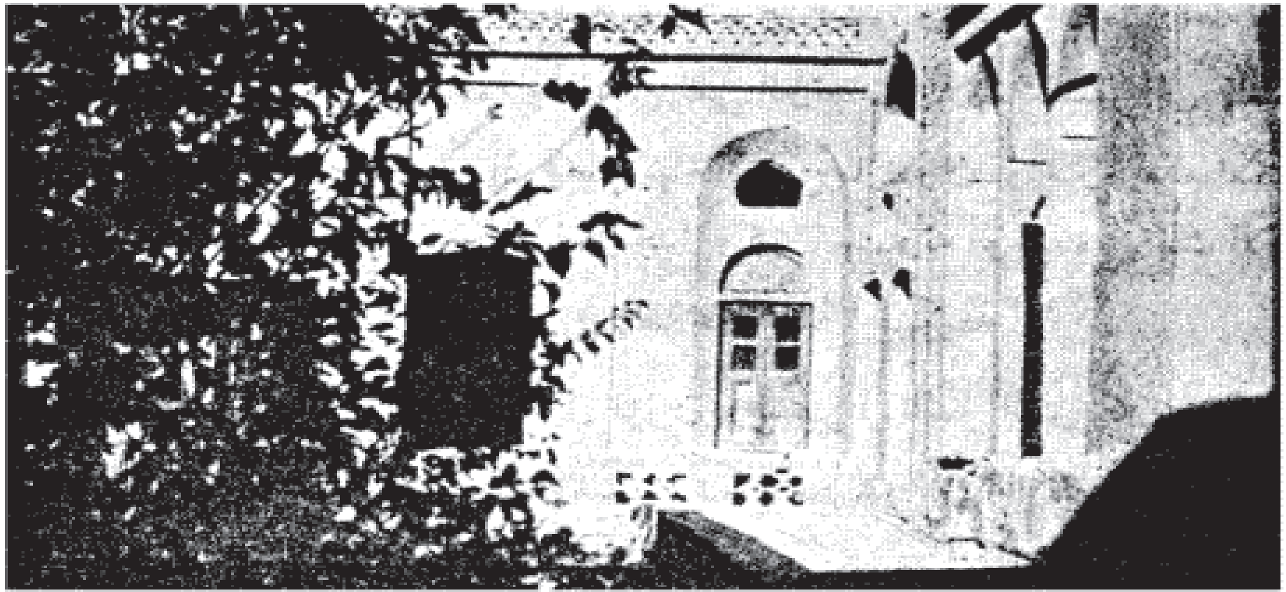
فى ملحمة نيريز

كان وحيد مشغولا فى الأيام الأولى من حصار قلعة طبرسي فى نشر التعاليم الأمرية فى بروجرد وفى أقليم كردستان أيضا . وعزم أن يجذب أغلبية سكان تلك الجهات إلى أمرالباب ومن ثم يسافر إلى فارس ويستمر فى عمله . وبمجرد أن علم برحلة ملاّ حسين لمازندران أسرع إلى العاصمة وأخذ فى عمل الترتيبات اللازمة للسفر إلى قلعة طبرسى . وبينما كان يستعد للرحيل إذ وصل بهاء الله من مازندران وأخبره بعدم امكانه الانضمام إلى إخوانه . فأحزنته هذه الاخبار جدا وكانت سلوته الوحيدة فى تلك الأيام أن يكثر من زيارة بهاء الله ويحصل منه على نصائحه الثمينة الحكيمة (١)

وعزم وحيد أخيراً على أن يذهب إلى قزوين ويستمر فى العمل الذى كان مشغولا به ثم سافر إلى قم وكاشان وفيها قابل تلاميذه وتمكن من شد أزرهم وتقوية عزائمهم . واستمر فى رحلته إلى إصفهان وأردستان وأرديكان وفى كل هذه المدن أعلن التعاليم الأساسية التى أتى بها معلمه بدون خوف ولا وجل ونجح فى تبليغ عدد غفير من الاتباع القادرين . ووصل إلى يزد فى وقت الاحتفال بالنيروز مع اخوانه الذين أظهروا سرورهم من حضوره وتشجعوا بوجوده بينهم وكان رجلا ذا شهرة واسعة ونفوذ ويملك منزلا فى يزد تسكن فيه عائلته المكونة من زوجته وأولاده الاربعة عدا منزل فى داراب كان مسكنا لاجداده وآخر فى نيريز كان مؤثثا أثاثا فاخراً ووصل إلى يزد

(١) وكتب الميرزا جانى (انه بعد مرور بعض الوقت تشرفت ثانياً بمقابلة الاقا سيد يحيى فى طهران فرأيت فى وجهه العظيم علامات القوة والمجد مما لم ألاحظه عليه وقت سفرى الأول معه إلى العاصمة ولا فى أى وقت آخر وعلمت أن هذه العلامات تدل على قرب مفارقته لهذا العالم . وكان يقول فيما بعد مرارا فى أثناء حديثه (هذا هو آخر سفرى ولن تروني بعد ذلك) وكان كثيراً ما يبدى هذه الفكرة إما صراحة أو بالاشارة وأحيانا إذ نكون مع بعضنا ويتغلغل بنا الحديث يقول (ان أولياء الله يقدرون على التنبؤ بمستقبل الحوادث وانى أقسم بذلك المحبوب الذى روحي في قبضته انى أقدر أن أقول وأعرف المكان والكيفية التى بها اذبح ومن الذى يذبحني وما أكبر وأعظم هذه التضحية أن أذبح ويسفك دمى فى سبيل ارتفاع كلمة الحق (التاريخ الجديد صحيفة ١١٥)

فى اليوم الاول من شهر جمادى الاول سنة ١٢٦٦ ه (١) وهو اليوم الخامس من اعلان دعوة الباب الذى وافق الاحتفال بالنوروز وجاء العلماء المشهورون والاعيان فى المدينة لاستقباله وتحيته . وكان نواب رضوى أرذل وأشهر معانديه حاضرا فى ذلك الوقت واعترض على الاسراف والاّبهة التى عمل بها الاحتفال باستقباله ومما قاله (ان ولمية الشاه الملكية لاتضارع المائدة التى بسطت أمامنا وإنى أشك فى أنكم تحتفلون اليوم بعيد آخر خلاف العيد الرسمى الذي نحتفل به عادة . فرد عليه وحيد رداً تهكميا قاسيا



منزل وحيد فى يزد

أوجب ضحك جميع الحاضرين . وأشار الجميع إلى خسة وشرور نواب وموافقة الردّ للصواب . ولم يكن نواب يتوقع مثل هذه السخرية الاجماعية من علية القوم بسبب الرد الذى وخزه فاشتعلت فى نفسه نار الحقد على خصمه والتهب أجيجها وعزم على أن يشفى غليله بالانتقام .

وانتهز وحيد الفرصة وأبلغ الجمع الحاضر التعاليم الاساسية للأمر وبرهن على صحتها وكان معظم الذين سمعوها لم يسبق لهم تعرّف أحوالها الا جزئيا وكانوا يجهلون أهمية الأمر ودلالته الكلية . وانجذب البعض انجذابا كليا واعتنقوا الأمر حالا ولم يقدر الباقون على مقاومته علنا بل ابغضوه فى قلوبهم وأخذوا على انفسهم أن يستأصلوه بكل قوتهم وكانت فصاحته وقوة بيانه وعدم خوفه فى اظهار أمر الحق قد اشعلت نيران

(١) ١٨٥٠ ميلادية

حقدهم وقوت عزمهم على المبادرة بهدم سلطته وفى نفس اليوم وطّدوا عزمهم على مقاومته وبذلك ابتدأت المأساة التى حوت فى طيها أنواع التعذيب والبلاء (١)

وكان مقصدهم الأولى من عملهم هو إعدام حياة وحيد. وأشاعوا فى يوم النوروز بين أعيان وأعلام المدينة سواء كانوا من العلماء الدينيين أو الحكام الاداريين بان السيد يحيى الدارابى تهور وكشف الحجاب عن جميع أحكام الباب وعزّز حججه بشواهد من القرآن والأحاديث الاسلامية ومع أن المستمعين اليه كانوا من أكابر مجتهدى المدينة فلم يوجد بينهم من يجرأ على ردّ ادعاآته فى أيمانه وكانت نتيجة سكوتهم ان انتشرت شعلة الحماس فى جميع أنحاء المدينة لمصلحته وجعلت نصف سكان المدينة فى طاعته والباقين على وشك الانضمام .

فانتشر هذا التقرير بسرعة البرق فى أنحاء يزد والجهات المحيطة بها وكان انتشاره قد أشعل من جهة نيران الحقد والغل فى بعض النفوس كما زاد من جهة أخرى عدد المؤمنين بانضمام عدد كبير إلى السابقين وكانت جموع القاصدين الذين هرعوا لمنزل وحيد ليسمعوا عن الدين الجديد تتوافد من أردكان ومنشاد وغيرها من البلاد البعيدة ومن القرى وكانوا يسألون (ماالذى نعمله وماهى الطريقة التى تنصحنا ان نسلك فيها لاظهار ايماننا بهذا الامر واخلاصنا له .) وكان وحيد من الصباح الى المساء يحل لهم مشكلاتهم ويعلمهم ويرشدهم الى سبيل الخدمه .

واستمر هذا النشاط والانجذاب مدة اربعين يوما بين المؤمنين الغيورين نساء ورجالاً وكان منزل وحيد هو المركز الامرى لجموع المؤمنين الذين كانوا يحنّون لاظهار ما تكنه نفوسهم من الروح الامرية المشتعلة فيهم . وكان الهياج الحاصل فى المدينة قد جعل فى يد نوّاب رضوى ذريعة يحتج بها عند الحاكم (٢) الذى كان شابا وقليل الاختبار فى امور الدولة

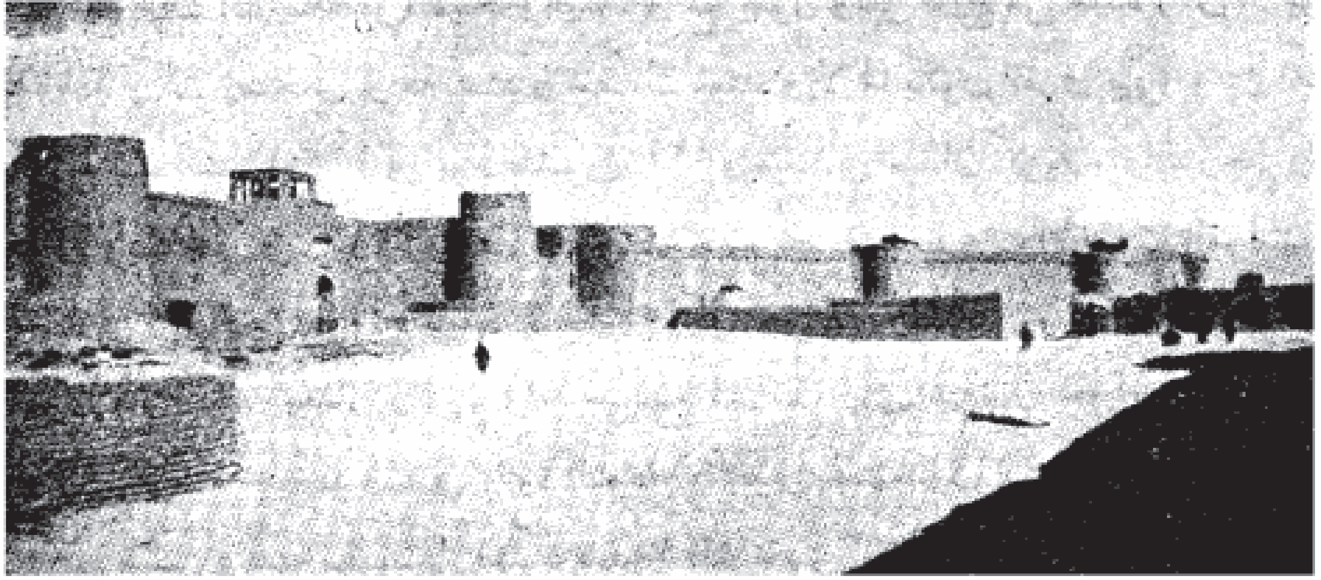
(١) وكان حماسه بالغاً حد النهاية وممتلئا بمحبة الله وأراد أن يعرف جميع إيران المجد الفريد والفرح بالحقيقة الأبدية . ويقول الشاعر (الحب والكتمان أمران لا يجتمعان) فكذلك كان هذا السيد يدعو الناس علنا فى الجوامع والشوارع والاسواق وفى المحلات العمومية وكذلك فى كل جهة يلقى فيها مستمعين وكان لهذا الحماس ثمرته وكانت الناس تدخل أفواجا فى الدين الجديد وكان الملاوات يضطربون ويشكون الى حاكم المدينة تعديه على الدين . (من كتاب السيد على محمد الباب لقولاس صحيفة ٣٩٠)

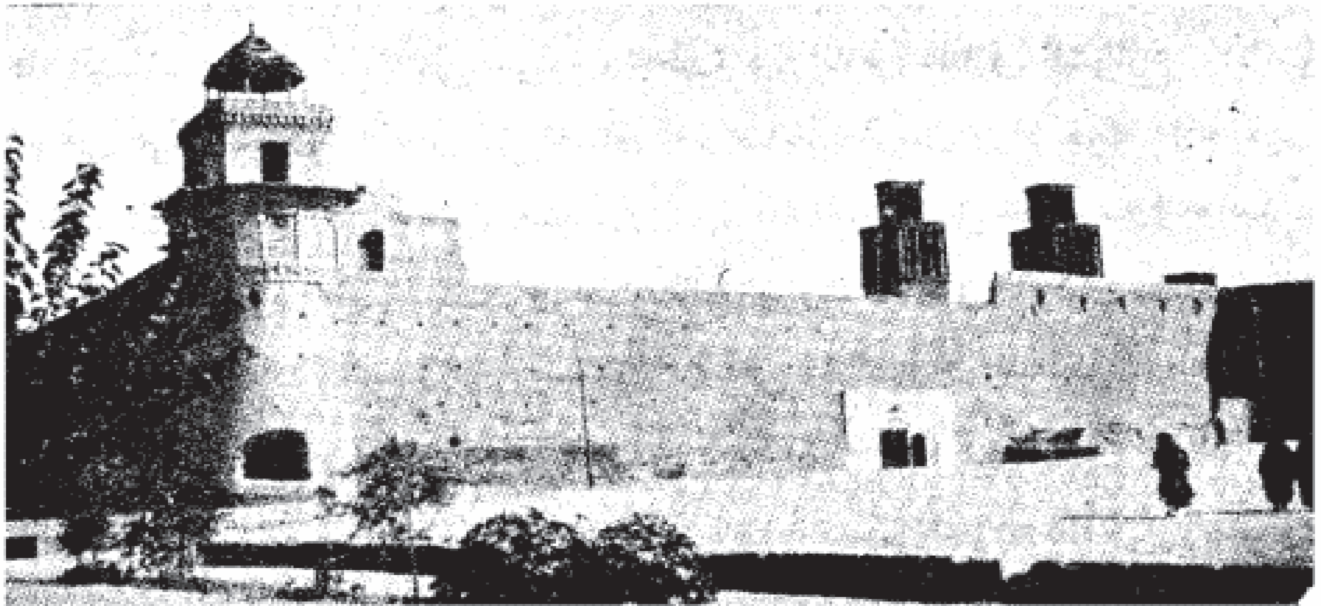
(٢) كان اسمه آقا خان

بشكاية خصمه فكانت نتيجة الوشاية والنميمة من هذا الدساس أن وقع وحيد فريسة له إذ نجح فى إقناعه أن يرسل قوة مسلحة لحصار منزل وحيد . و بينما كانت فرقة مسلحة من الجيش متوجهة الى ذلك المكان صحبها فريق من الغوغاء من السفلة والرعاع بتحريض من نوّاب وذهبوا الى نفس الجهة مهددين سكانها بقوتهم . ورغما من ان وحيد كان محاطا بالقوات المعادية من كل الجهات فانه من نافذة إحدى غرف الطابق العلوى من منزله كان يحيّي نشاط وحماس أصحابه ويفسّر لهم كل ما أستغلق فهمه عليهم. ولما رأى أصحابه ان كتيبة الجيش ومعها جحفل من الغوغاء المهرجين مستعدون للهجوم عليهم التفتوا الى وحيد وفى جزعهم طلبوا منه ان يرشدهم الى مايعملونه . فقال لهم وهو جالس فى النافذة (ان السيف الذى أمامى قد أعطاه لى القائم بنفسه والله يعلم أنه لو أمرني باشهار حرب دينية على هؤلاء الناس لكنت قد شتّت شملهم بمفردى وبدون معين ولكنى مع ذلك أمرت أن امتنع من مثل هذا العمل . وقال وهو ينظر الى الجواد الذى كان خادمه حسن قد اعده له وجلبه امام باب المنزل (ان هذا الجواد سلمنى إياه المرحوم محمد شاه لأقوم بالرسالة التى عهد بها الىّ لفحص امر السيد الباب فحصا خاليا من الغرض . وأمرنى ان أوافيه شخصياً بالنتيجة لانى كنت الوحيد من بين رؤساء طهران الدينيين الذى يعتمد عليه . فشرعت فى المأمورية وعزمت عزما اكيداً على دحض حجج وبراهين ذلك السيّد وحمله على أن يترك مثل هذه الافكار و يعترف برئاستى وا كون اذ ذاك مقتدراً على ترحيله معى الى طهران كشاهد عيان للنصر الذى احوزه . فلما حضرت تلقاء وجهه وسمعت كلماته حصل لى عكس ما كنت انتظره . فى أول مقابلة معه حصل لى ارتباك وخجل وفى آخر المقابلة الثانية شعرت بانى أمامه عاجز وأجهل من صبي وفى المقابلة الثالثة كنت أحط من التراب تحت قدميه . فلم يكن بعد ذلك فى نظرى ذلك السيد الذى كنت اظنه حقيراً بل تجلى لى كمظهر الله نفسه وعنوان روح القدس الحىّ ومنذ ذلك اليوم اشتقت أن أضحى حياتى لأجله وانى أبتهج لانى عرفت ان ذلك اليوم الذى كنت انتظاره بفارغ الصبر يأتي سريعاً)

ولما رأى الاضطراب واقعا بين الاصحاب نصحهم بالهدوء والسكينة وأن يتأكدوا أن يد الغيب المنتقم القدير سوف توقع هزيمة ساحقة على القوات التى تصطف ضد أحبائه وما كاد ينطق بذلك حتى وصلت الاخبار بأن شخصا يدعى محمد عبدالله الذى ما كان أحد

يظن أنه لايزال حيا خرج فجأة مع عدد من الاصحاب الذين اختفوا مثله عن الانظار وإذ صاحوا بصيحة (ياصاحب الزمان) شنوا الغارة على مهاجميهم وشتتوا قواتهم. وأظهر من الشجاعة ماجعل الفرقة المحاصرة تترك أسلحتها وتلوذ بالفرار مع الحاكم إلى قلعة نارين.





منظر قلعة نارين في يزد

وفي تلك الليلة طلب محمد عبد الله أن يحظى بلقاء وحيد وأكّد له اعتناقه للأمر وبيّن له الطريقة التي دبرّها لأخضاع العدّو. فقال له وحيد (ولو أن تداخلك قد دفع عن هذا المنزل أخطر مداهمة منظورة ولكن عليك أن تعلم أن عدائنا مع هؤلاء القوم لغاية الآن لم يتجاوز المجادلة حول أمر صاحب الزمان. وسوف يهيّج نوّاب ضدنا الناس

مدّعيا أنى قمت لتثبيت دعائم سلطنتى على المقاطعة بأجمعها وأني عازم على تعميمها فى جميع ايران) ونصحه وحيد أن يترك المدينة حالا ووكّل أمره لحفظ الله القدير . وأكّد له قائلا (إن العدّو لايقدر على إيصال أقل أذى الينا حتى يأتى الوقت المعلوم) ولكن محمد عبد الله فضّل مع ذلك أن يتجاهل نصيحة وحيد . وسمع يقول وهو خارج من عنده (انى أكون جبانا اذا تركت أصحابى لرحمة عدّو سفّاك ممتد وإلا فما يكون الفرق بينى وبين الذين تركوا سيّد الشهداء (١) فى يوم عاشوراء (٢) وحيداً فى ميدان كربلاء والله رحيم وهو يغفر لى ويسامحنى فى عملى) وبهذه الكلمات تقدم نحو قلعة نارين واضطرت القوات التى تجمعت فى الجهات المجاورة أن يلتجئوا داخل حوائط القلعة ونجح فى جعل الحاكم محصوراً مع أتباعه وصار يراقبهم واستعد لمنع أى مدد يأتى لهم من الخارج

وفى الأثناء نجح نوّاب فى إثارة الغوغاء وأخذوا يستعدون للهجوم على منزل وحيد إذ نادى السيد وحيد من يدعى سيّد عبد العظيم خوئى الملقب سيّد خال الدار الذى كان قد اشترك بضعة أيام فى الدفاع عن قلعة طبرسى والذى ذاعت جاذبية طلعته البهية فى أنحاء البلاد وأمره أن يمتطى جواده ويخطب فى الناس علنا فى الشوارع والاسواق ويحرض جميع السكان والأهالى على اعتناق أمر صاحب الزمان وزاد بقوله . (عرّفهم أني لا أنوى أن أثير حربا دينية عليهم فليحذروا أنهم اذا أصرّوا على حصار منزلى واستمرّوا فى أعمال الهجوم عليه منكرين حرمة مقامى وشرفى فانى أكون مضطرا للدفاع وأن أقاومهم وأشتت شملهم وإذا لم يسمعوا لنصحى وأرادوا أن يستمموا لدسائس نوّاب الماكرفانى آمر سبعة من أتباعي صدّ هجماتهم وسحق آمالهم وارجاعهم خائبين .

فقام السيد خال الدار وامتطي الجواد وسار محروسا بأربعة من اخوانه المنتخبين ومشى وسط السوق وتفوه بالانذار الذى كلّف به بجلال وعظمة ولم يقتنع بذلك بل زاد عليه من عنده بما رأى انه يزيد فى قوة الدعوة التى وجهها فكان ينادى ويقول (الويل لكم إذا احتقرتم حجتنا فاحذركم أن ارتفاع صوتى وحده كاف لأن يجعل اسوار قلاعكم تهتز وأما قوة ساعدى فتقدر أن تسقط ابوابها وكان صوته الجهورى يدوى كالرعد وأوقع الرعب فى قلوب

(١) الامام الحسين

(٢) عاشر محرم الذى قتل فيه الامام الحسين

الذين سمموه . وعزم الاهالى الخائفون بالاتفاق على ترك اسلحتهم والامتناع عن ايذاء وحيد وقالوا أنهم سيعترفون له بنسبه واحترامه .

ولما رأى نوّاب امتناع الاهالى امتناعا صريحا عن محاربة وحيد أقنعهم أن يهاجموا محمد عبد الله وأصحابه الذين كانوا قد أقاموا بجوار القلعة . ولما اصطدم الجمعان خرج الحاكم من المكان الذي كان محتميا فيه وأمر اتباعه المحصورين بالانضمام إلى القوات التى جمعها وكان محمد عبد الله قد ابتدأ فى تشتيت الغوغاء الذين جاءوا من المدينة لمحاربته اذ رأى النيران تطلق عليه من قوات . الحاكم . وجاء مقذوف أصابه فى قدمه وطرحه أرضا وجرح عدد من اصحابه فأسرع أخوه ونقله إلى مكان أمين ثم نقله من هناك إلى منزل وحيد وتبعه العدّو إلى ذلك المنزل وهو عازم على أخذه وذبحه وكان ضجيج الغوغاء حول المنزل قد أجبر وحيد أن يأمر ملاّ محمد رضاى منشادى من أكابر علماء منشاد والذى خلع العمامة وقدم نفسه بصفة بواب للمنزل أن يقوم هو وسته من اصحابه من الذين يختارهم ويشتت القوات المهاجمة وأمرهم قائلا (على كل واحد منكم أن يرفع صوته الله أكبر سبعا وفى السابعة يتقدم مع اخوانه ويصدّوا المهاجمين)

وكان الملاّ محمد رضا الذى سماه بهاء الله رضا الروح قد قام هو وأصحابه لتنفيذ الأوامر التى أمر بها وحيد . ومع أن أصحابه كانوا ضعفاء جسما ولا خبرة لهم بصناعة الحرب والطعن إلا أن أرواحهم كانت مشتعلة بايمان جعلهم رعبا لأعدائهم . وقتل فى ذلك اليوم سبعة من أشد الأعداء وهو اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الثانى (١) ومما رواه الملاّ محمد رضا (ما كدنا نشتت شمل الأعداء ونرجع إلى منزل وحيد حتى وجدنا محمد عبد الله مطروحا أمامنا وهو جريح فحملناه إلى رئيسنا وتناول معه الطعام وأخيراً أخذناه إلى مخبأ فى الدار مكث فيه حتى التأم جرحه ثم أخذه العدّو وذبحه . وفى تلك الليلة أمر وحيد أتباعه أن يتفرقوا ويبذلوا الجهد فى الحصول على الظفر بالسلامة ونصح زوجته أن تنتقل باولادها وجميع متعلقاتها إلى منزل والدها وأن تترك متعلقاته . وقال لها (أن هذ المنزل السلطاني قد بنيته ليهدم أخيراً فى سبيل الله والأثاث الفاخر الذى اشتريته كان بأمل أنى أضحيه لأجل المحبوب . وإذ ذاك يعلم الحبيب والعدوّ أن الذى يملك هذا المنزل ذو موهبة

(١) ١٠ مايو سنة ١٨٥٠ .

عظيمة مما لاعدل لها وأن ليس لأى منزل أرضى مهما كان مزينا أومفروشاً بحالة فخمة أى قيمة فى نظره وأنه لم يكن إلا ككومة من العظام البالية التى لا تلتفت اليها سوى كلاب الأرض ولعل هذه الدلائل القاطعة على روح التضحية تمكن هؤلاء القوم الأشرار من أن يفتحوا أعينهم وتوحى فى ضمائرهم الرغبة فى تتبع خطوات من ظهرت فيه هذه الروح)

وفى جنح الليلة ذاتها قام وحيد وجمع كتابات الباب التى كانت تحت يده والكتابات التى حررها وأنشأها بنفسه ووكّل بها خادمه حسن وأمره أن يأخذها الى محل أمين خارج باب البلدة عند مفترق الطريق إلى جهة مهريز وأمره أن ينتظر وصوله وحذّره من أن يخالف تعليماته لأنه لن يقدر إذ ذاك أن يقابله مرة أخرى .

وما كاد حسن يمتطى الجواد مستعداً للرحيل حتى سمع أصوات الحرس الذين كانوا واقفين على أبواب القلعة . وخوفا من أن يقبضوا عليه ويضعوا يدهم على الكنوز الثمينة التى فى حيازته عزم على أن يتجه اتجاهاً آخر فى طريق خلاف الذى أمره سيده بالسير فيه وبينما يسير بجوار القلعة عرفه الحراس وضربوا جواده وقبضوا عليه .

وفى الأثناء استعد وحيد لبارحة يزد . وترك إبنيه سيد اسماعيل وسيد على محمد فى حراسة والدتهم وأخذ معه نجليه الآخرين وهما سيد أحمد وسيد مهدى واثنين من أصحابه كانا قاطنين فى يزد وكانا قد سألاه الأذن فى مرافقته فى سفره وكان الأول اسمه غلام رضا وهو رجل شجاع مقدام والآخر غلام رضا كوجك كان ماهرا فى النشان واختار نفس الطريق الذى أخبر خادمه أن ينتظره فيه ولما وصل إلى المكان المعهود تعجب حيث لم يجده فعلم وحيد أنه لم يتخذ الطريق المذكور وأن العدوّ قبض عليه ، فتحسر على نصيبه وتذكر أيضا عمل محمد عبد الله ومخالفته أمره والنتيجة التى حصلت له . وسمعوا فى صباح اليوم أن حسن قتل من فوهة المدفع (١) وأن شخصاً اسمه ميرزا حسن كان إماما تقيا فى إحدى جهات يزد قبض عليه أيضا بعد ساعة وعومل بنفس المعاملة كرفيقه .

وأهاج رحيل وحيد من يزد حماس الأعداء للقيام بتعديات جديدة ، فهجموا على المنزل ونهبوا

(١) ولما ربطوه هو وجواده وظهره مقابل للمدفع قال لهم (أرجوكم أن تربطونى ووجهى إلى المدفع حتى أراه يطلق أمامى .) فدهش لذلك جميع الواقفين الذين كانوا ينظرونه وتعجبوا من ثباته وفرحه والحق يقال أن شخصاً يكون مبتهجاً فى ظروف مثل هذه يكون شديد الايمان والثبات . (التاريخ الجديد صحيفة ١١٧) .

مافيه ودمروه تدميراً تاماً (١) وكان قد سار فى تلك الأثناء فى الطريق المؤدى الى نيريز ومع انه كان غير معتاد على المشى فانه قطع فى تلك الليلة سبعة فراسخ وكان صاحباه يحملان أولاده فى بعض الطريق . وفى اليوم الثانى خبأ نفسه فى تجاويف الجبل المجاور ولما علم بمجيئه أخوه الذى كان قاطنا فى تلك الجهة والذى يكمن له محبة أكيدة أرسل اليه ما يحتاج من المؤنة سراً. وفى نفس اليوم وصلت الى القرية بعض خيالة من الحكومة كانت فى أثر وحيد وفتشوا منزل أخيه الذى كان يظن أنه مختبىء فيه وأن معه مبلغاً كبيراً من المال . ولما لم يجدوه هناك عادوا الى يزد .

واستمر وحيد سائراً بين الجبال حتى وصل الى بوانات فارس . وأكثر أهاليها من أتباعه المعجبين به واعتنقوا الأمر وكان من بينهم الحاجى سيد اسماعيل المعروف وهو شيخ اسلام بوانات . وكثير من هؤلاء الأتباع رافقوه فى سفره الى قرية إفسا التى امتنع أهلها أن يعتنقوا الأمر الذي دعاهم اليه وكان فى طول الطريق كلما استراح ينزل من جواده ويذهب الى المسجد المجاور وهناك يدعو الناس الى الأمر الجديد . ويطلع فوق المنبر متناسيا مشاق الطريق وبلا وجل ولا خوف يذكّر الناس بطبيعة الأمر الذى قام على ترويجه . وكان اذا نجح فى محل فى جذب بعض النفوس اليه ممن يركن اليهم فى ترويج الأمر يمكث معهم ليلة واحدة ثم يفارقهم والا فانه يستمر على سيره ولا يعاشرهم بعدها ، وكان كثيرا ما يقول (اذا مررت بقرية ولم أجد من نفوس أهلها نفحات الايمان فلا أقدر أن أتناول من طعامها ولا أشرب من مائها)

ولما وصل إلى قرية رونيز فى أواسط إقليم افسا رأى وحيد أن يستريح بضعة أيام. واجتهد فى أن يشعل نار محبة الله فى قلوب الذين وجد فيهم استعدادا لسماع النداء . ولما وصلت أخبار مجيئه إلى نيريز خرج جميع الأهالى من سكان شنارسوختة مسرعين للقائه . وكذلك خرج غيرهم من الأهالى من أقسام أخرى وكان خروج أغلب الأهالى

(١) ولما رأى اناخان هروب الثائر تنفس الصعداء وقال أن تتبع الهاربين ربما يؤدى الى بعض الصعوبات وان الأوفق والأسلم والأنفع والأقل خطرا هو تعذيب البابيين على ان يكونوا من الاغنياء الذين يبقون فى هذه المدينة فهجم علي أغنامهم وقتلهم ونهب أموالهم انتقاما للدين الذى نازعوه والذى ما كان يعتنيه كثيرا لولا ان ذلك الفعل قد ملأ خزائنه بالاموال (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٩١)

من نيريز ليلا خوفا من أن حاكمها يمنعهم ومن قسم شنارسوخته وحده خرج أكثر من مائة طالب وعلى رأسهم رئيسهم الحاجى شيخ عبد العلى نسيب وحيد وقاض مشهور فى الأقليم كله وانضم هؤلاء جميعا إلى أعيان نيريز لتحية الزائر المنتظر قبل وصوله إلى بلدتهم . وكان من بينهم الملاّ عبد الحسين وهو رجل مشهور بالعلم والتقوى وعمره ثمانون عاما والملاّ باقر إمام شنارسوخته وميرزا حسين قطب الكدخدا من قسم بازار مع أقاربه وميرزا أبو القاسم أحد أقارب الحاكم والحاجى محمد تقى الذى ذكره بهاء الله فى سورة أيوب ومعه نسيبه الميرزا نور وميرزا على رضا وكلاهما من قسم السادات (١)

وذهب جميع هؤلاء البعض ليلا والبعض نهاراً لغاية قرية رونيز ليرحبوا بزائرهم ويؤكدوا له اخلاصهم الذى لايتزعزع. ورغما من أن الباب كتب لوحا للذين اعتنقوا الأمر فى نيريز إلا أنهم بقوا غير عالمين بأحكامه وأصوله وكانت مأمورية وحيد أن ينيرهم فيما يختص بأحكام الامر الجديد ويفسر لهم مدى تعاليمه الممتازة .

وما كاد زين العابدين خان الحاكم يعلم بخروج الاهالى للترحيب بوحيد حتى أرسل رسولا خاصا ليخبر كل الذين رحلوا بعزمه على قتل كل من يصر على الطاعة له وبأنه سوف يسبي نساءه ويصادر املاكه . فلم يعبأ أحد بانذاره وبالعكس اشتد تمسكهم بوحيد وولائهم لرئيسهم . وكان احتقارهم للرسول وعزمهم الذي لاينثنى قد ملأ الحاكم رعبا وتحيرا . وخوفا من أن يثور عليه الناس نقل مسكنه إلى قرية قطره وهى التى كان فيها سكنه الاصلى وتبعد عن نيريز مسافة ٨ فراسخ . واختار هذه القرية لأن فى جانبها قلعة كبيرة

(١) وقابل أهل نيريز السيد يحيى بكل حماس ولم يمض يومان على وصوله حتى جاءت جموع كثيرة من الناس لرؤيته ليلا خوفا من الحكومة (كما ذكر فى كتاب فارس نامه) وقابلوه رغما عنها وكان كثيرون ممن يقطنون فى القرى المجاورة فى شنارسوخته قد آمنوا زرافات وهؤلاء جلبوا آخرين حتى عد طلاب شنارسوخته من البابيين فكانوا نحو مائة وكان شيخهم حاج شيخ عبدالعلى صهر السيد يحيى والمرحوم اخوند ملا عبد الحسين رجل متقدم فى العمر ومتفقه فى الدين والاخوند ملا باقر بيش نماز محلة ملا على كاتب وملا على آخر مع اخوته الاربعة والكدخدا وريش سفيد وآخرون من محلة بازار مثل المرحوم مشهدى ميرزا حسين الملقب بالقطب مع جميع أسرته ووالديه والمرحوم أبو القاسم ابن عم الحاكم والمرحوم حاج محمد تقى الملقب بأيوب وميرزا على رضا ابن مرزا حسين وابن الحاج على وغير هؤلاء . وكلهم آمنوا البعض وهم خائفون فى الظلام والاخرون بدون أى خوف وفى وضح النهار (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٩٣)

يمكنه أن يلجأ اليها فى حالة الخطر . ولانه كان متأكدا بأن الأهالى يجيدون النشان ويصح التعويل عليهم وقت الحاجة للدفاع عنه .

وكان وحيد قد ترك رونيز إلى ضريح بير مراد الذي يقع خارج مدينة اصطهبنات . ورغما عن الأمر الذى أصدره علماء تلك المدينة بمنعه من الدخول فيها فان نحو عشرين نفر من السكان خرجوا جميعا لمقابلته والترحيب به ورافقوه لغاية نيريز . ولما وصلوا بعد عصر يوم الخامس عشر من رجب (١) كان أول شيء عمله وحيد بمجرد وصوله إلى قسم شنارسوخته أن ذهب الى المسجد قبل دخوله منزله وخطب هناك فى الجموع وطلب منهم أن يعترفوا برسالة الباب ولم يصبر ليقابل الجموع بل صعد المنبر وهو بوعثاء السفر وغبار التراب وتكلم بفصاحة وبلاغة جعلت الحاضرين متكهربين من ندائه (٢)

وكانوا لايقلون عن الف نسمة وجميعهم من أهالى قسم شنارسوخته ونحو خمسمائة من باقى أقسام نيريز وجميعهم اكتظوا فى المسجد وأجابوا بصوت واحد (سمعنا وأطعنا) بحماس شديد وجاؤا اليه زرافات يؤكدون له ولاءهم وشكرهم وهم فرحون مستبشرون . وكانت الخطابة قد أثرت فى الناس تأثيراً سحريا لم يعهد مثله أهالى نيريز من قبل

وبعد أن هدأت أصوات الحاضرين وسكنت ضوضاؤهم قال لهم وحيد (إن غرضى من المجيء لنيريز هو إعلان أمر الله وإني أشكره تعالى وأمجده لأنه مكننى أن أنفث فى قلوبكم رسالته . فلا داعى لى أن أطيل سكنى بعد ذلك بينكم لأنى أخشى ان الحاكم يسيء معاملتكم من أجلى وربما طلب المدد من شيراز ويخرب بيوتكم ويسومكم سوء العذاب

(١) ٢٧ مايو سنة ١٨٥٠ ميلادية

(٢) وكان يعتلى الكرسى ويصيح قائلا (الست أنا دائما صاحبكم الذى تعدونه حافظكم وراعيكم اليس بنصحى ورأيى كنتم دائما تسيرون فى طريق السلام؟ الست أنا الذى كنتم دائما تصغون لنصائحى وكلماتى ؟ فاذا جرى الآن حتى اعتبرتمونى عدوا لدينكم ولأنفسكم فهل حرمت عليكم شيئا مباحا او حللت لكم حراما فما هو الكفر الذى أتيته ؟ وأي خطأ وجدتم فى ؟ . والآن لأنى أقول لكم الحق ولأنى أردت أن أعلمكم اذلك يظلمونى ويعذبوننى وان قلبي يحترق حباً لكم وها أنتم تريدون قتلى . ألا فاعلموا أن كل من يحزننى فأنه يحزن جدى محمد رسول الله الباهر وكل من يأتى لمساعدتى يساعده فباسم كل ما هو مقدس عندكم كل من يحب الرسول يتبعنى .) (السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٩٥)

فاجابوه بنفس واحد (اننا مستعدون وجعلنا توكلنا على الله وهو يرحمنا إذا نزلت بنا النوائب ولا نرغب فى أن نفترق منك بهذه السرعة ولما نمض معك زمنا طويلا)

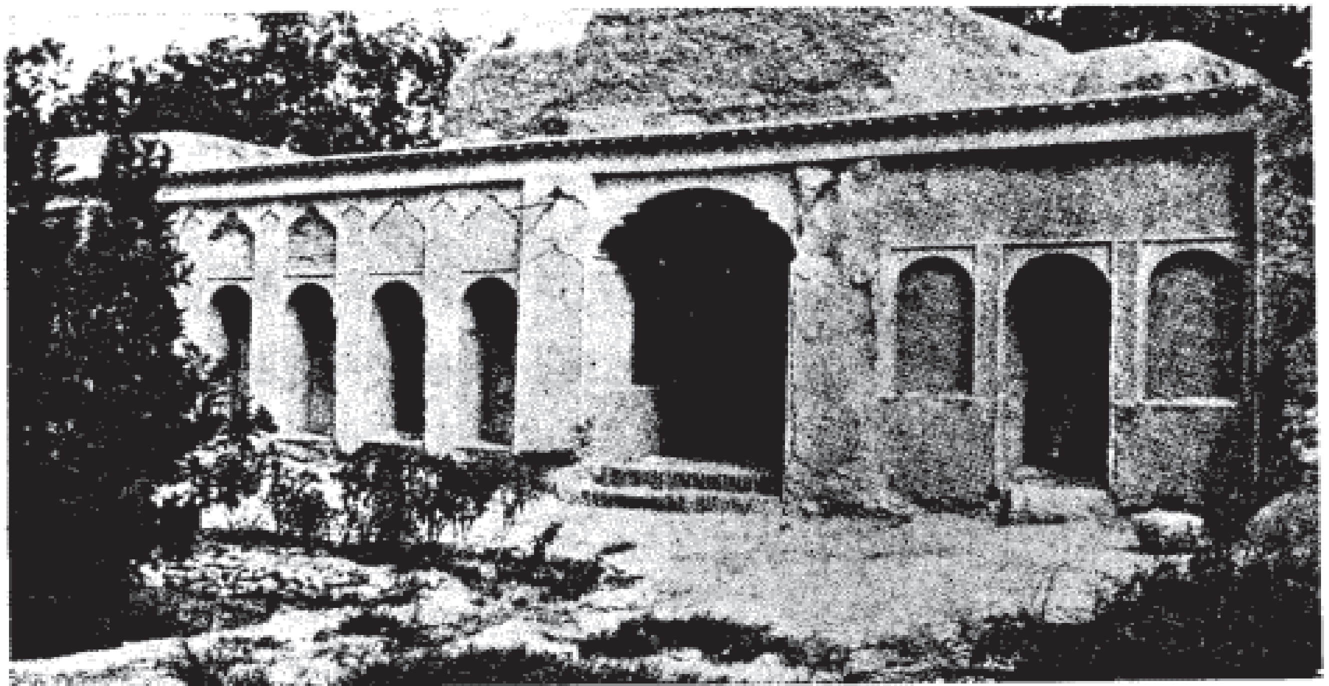
وما كادوا ينطقون بهذه الاقوال حتى تكاتف الرجال والنساء وساروا جميعاً بوحيد إلى منزله منتصرين وأخذ منهم الانجذاب كل مأخذ وساد بينهم الوله والسرور واكتظوا حوله بالتهليل والتكبير وحرسوه لغاية مدخل منزله. ومضى وحيد الايام القلائل بينهم وقبل أن يصرفها معهم فى المسجد حيث كان يعلّم الجموع كل القواعد الاصلية التى تلقاها من معلمه بكل فصاحة وبدون أى تحفظ. وفى كل يوم يزيد عدد المقبلين وينمو تأثيره العجيب ويزداد قوة وظهوراً



منظر نيريز

وما كان قبول الدعوة من الجمهور والتأثير السحرى الذى وقع وافيه بمانع من اثارة عداوة زين العابدين الكامنه فكان يلجأ الى تدابير جديدة وأمر بجمع جيش بقصد محو الأمر الذى يرى انه يقوض مركزه فنجح فى تجنيد ألف رجل من الخيالة والبياده وكلهم متدربون على فن الحرب وكان عنده مخزن كبير من المؤن. وأراد من تدبيره الهجوم الفجائي واخذ وحيد اسيراً . ولما علم وحيد بتدابير الحاكم امر عشرين من الاصحاب من الذين غادروا اسطهبنات للترحيب به والذين رافقوه لغاية نيريز أن يحتلوا قلعة خاجه التى كانت تقـــع بجوار شنارسوخته . وعين الشيخ هادى ابن الشيخ محسن كقائد للفرقة . وحرض أتبـاعه القاطنين فى القسم أن يحصنوا الأبواب والابراج وحوائط القلعة .

وكان الحاكم قد نقل مقره إلى قسم بازار مصحوبا بالقوة التى جندها وقطن فى القلعة المجاورة . وكانت أبراجها وحوائطها التى حصنها مشرفة على المدينة بأكملها . وأجبر الحاكم سيد أبو طالب الكدخدا لذلك القسم وأحد أصحاب وحيد أن يخلى منزله وحصن سقفه وجعل عليه عدداً من رجاله تحت إمرة محمد على خان وأمرهم أن يطلقوا النيران على خصمه وكان أول من أصيب من ذلك هو الملاّ عبد الله حسين الذى رغما عن كبر سنه جاء ماشيا للترحيب بوحيد . وكان يصلى على سقف منزله إذ أصابته



منزل وحيد فى نيريز

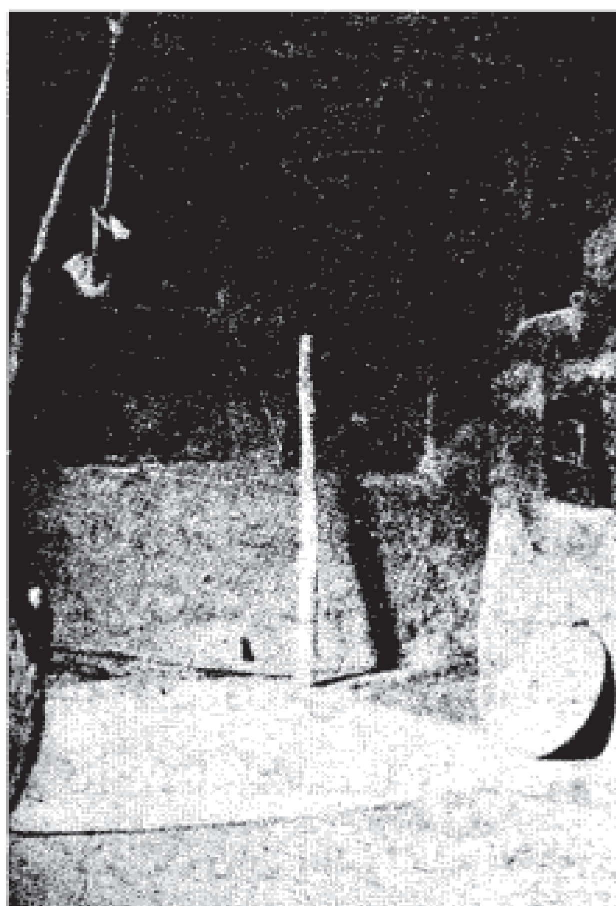
فى قدمه اليمنى فنزفت دما كثيرا . وكانت هذه الضربة القاسية قد أثارت شعور وحيد الذى تعجل بكتابة رسالة يظهر له فيها حزنه من وقوع هذه الضربة ويبشره بأنه مع كبر سنه كان أول من اختاره الله شهيداً فى سبيله .

وكانت مفاجأة الصدمة قد هالت فريقا من الاصحاب الذين كانوا قد أسرعوا فى اعتناق الأمر بدون أن يطلعوا عليه الاطلاع الكافى . فتزلزلوا وافترق البعض من الأحباء عن باقى الأخوان وخرجوا فى جنح الليل وانضموا للأعداء . وما كاد يعلم وحيد بحركتهم حتى قام فى الفجر وركب جواده ومعه عدد من الاصحاب وخرج إلى قلعة خاجه وجعلها مقره . وكان وصوله اليها إيذانا بهجوم جديد عليه فأرسل زين العابدين خان أخاه الاكبر



قلعة خاجه

المدعو على أصغر خان ومعه ألف رجل مسلحين ومتدربين على القتال وطلب اليه أن يحاصر تلك القلعة التى التجأ اليها أثنان وسبعون نفرا. وعند طلوع الشمس خرج جماعة منهم بأمر من وحيد وبسرعة فائقة شتتوا شمل المحاصرين ولم يلق حتفه فى تلك الموقعة من الأحباء سوى ثلاثة أولهم تاج الدين رجل مشهور بالشهامة يشتغل بتجارة الكلاة الصوف والثانى أسمه زاينيل ابن اسكندر وكان مزارعا والثالث ميرزا أبو القاسم وكان من الأعيان .



غرفة وحيد فى القلعة

وهذه الهزيمة التامة الفجائية أثارت أوهام ومخاوف البرنس فيروزميرزا نصرت الدولة حاكم شيراز الذى أعطى أوامره المشددة لاستئصال شأفة الذين احتلوا القلعة فأرسل زين العابدين خان أحد أتباع البرنس إلى وحيد وطلب منه بألحاح أن يترك نيريز لتوتر

العلاقات بينهما أملا فى إطفاء نيران الهياج الذى اشتعل . وكان جواب وحيد للرسول (أخبره بأن نجلىّ ومعهما إثنان من أتباعى هم كل من معى فأذا كان وجودى فى هذه المدينة هو سبب الهياج فأنى مستعد للرحيل واسأله لماذا يقوم على منع الماء عنا ومحاصرتنا والهجوم علينا بدلا من الترحيب اللايق بأحد من سلالة الرسول . فأذا أصر على إنكار حقنا فى ضروريات الحياة فأنى أحذره بأن سبعة من أصحابى ممن يعدهم أحقر الرجال سوف يوقعون بقواته المجتمعة شرّ هزيمة

ولما رأى وحيد أن زين العابدين خان تجاهل هذا التحذير أمر أتباعه أن يخرجوا من القلعة وأن يعاقبوا المهاجمين . ومع أنهم كانوا شبانا فقد نجحوا بشجاعتهم المدهشة وإيمانهم الثابت فى هزيمة الجيش المدّرب مع أنهم لم يكونوا معتادين على الحرب والقتال. وتوفى فى المعركة على أصغر خان وأسر ابناه وتقهقر زين العابدين خان بكل امتهان والذين نجوا من قواته المشتته فى مدينة قطره أخبروا البرنس بخطورة الموقف وطلبوا منه أن يرسل نجدة لهم فى الحال . وأكّدوا عليه فى طلب المدفعية الثقيلة وفيلق كبير من البيادة والخيالة .

ولما رأى وحيد عزم الاعداء على إبادتهم أمر بتقوية الدفاع فى القلعة وبأنشاء مستودع للماء داخلها وأن تنصب الخيام التى غنموها خارج الأبواب وفى ذلك اليوم توزعت الواجبات والوظائف على بعض الأصحاب فعيّن كربلائى مرزا محمد بواباً للقلعة والشيخ يوسف حارس الأموال وكربلائى محمد بن شمس الدين رئيس الحدائق الملاصقة للقلعة وحصونها ، والميرزا أحمد خال علىّ سردار ضابط برج الطاحون المعروف بأسم شنار الموجود بجوار القلعة والشيخ شيوكش جلاّداً والميرزا محمد جعفر ابن عم زين العابدين خان منشئاً وكاتب التواريخ وميرزا فضل الله مقرئاً للمدونات ومشهدى بقال سجاناً وحاجى محمد تقى صاحب السجل وغلام رضا يزدى رئيس القوات . وزيادة عن الاثنين وسبعين من الأصحاب الذين كانوا داخل القلعة والذين رافقوه من اصطهبنات الى نيريز أضاف وحيد اليهم عدداً من سكان بازار مع فريق من أقاربهم بناء على طلب السيد جعفر يزدى العالم الشهير والشيخ عبد العلىّ نسيبه .

وجدّد زين العابدين خان طلبه من البرنس لارسال نجدة كافية على عجل وأرسل مع الطلب هذه الدفعة مبلغ ٥ آلاف تومان هدية منه اليه . وأعطى الخطاب لأحد أصحابه الموثوق

بهم وهو الملاّ باقر وأمره أن يمتطى جواده الخاص ويعطى الخطاب بشخصه الى البرنس وائتمنه لصداقته وطلاقة لسانه وفصاحته . فذهب الملا باقر من طريق غير مطروق وبعد يوم من رحيله وصل الى محل يدعى هداشتاك وفى جواره قلعة ينزل فيها القبائل الرحل وينصبون فيها خيامهم .

فنزل الملا باقر عند إحدى هذه الخيام وبينما كان يتكلم مع سكانها وصل الحاجى سيد اسماعيل شيخ اسلام بوانات وكان قد استأذن من وحيد ليصل الى قريته لشغل هام والعودة توآ الى نيريز وبعد تناول العشاء وجد جواداً مطهما مربوطا باحدى الخيام ولما علم أنه مملوك لاحد أصحاب زين العابدين خان الذى حضر من نيريز وفى طريقه الى شيراز ذهب الحاج سيد اسماعيل الذى كان معروفا بالشجاعة الفذّة وامتطى الجواد وسل سيفه وتكلم مع صاحب الخيمة الذى كان يحادثه الملا باقر قائلا (اقبض على هذا النذل الذى هرب من وجه صاحب الزمان . واربط يديه وسلمه لى) . واذ خاف أصحاب الخيمة من كلام الحاجي ملا اسماعيل وهيئته اطاعوا الأمر حالا وقيدوا يديه وسلموه الحبل الذى اوثقوه به فأخذه وهمز ركابه الى ناحية نيريز يتبعه اسيره وعلى مسافة فرسخين من تلك المدينة وصل الى قرية رستاق فسلم الاسير الى الكدخدا الذى اسمه حاجى اكبر والح عليه أن يحضره امام وحيد ولما جيء به امامه سأله عن قصده فى السفر الى شيراز فصرح له عن خبره تفصيليا ومع أن وحيد كان يميل الى العفو عنه الا أن أصحابه قتلوه نظراً لسوء مسلكه

ولم يكل عزم زين العابدين فى طلب النجدة من شيراز والتجأ هذه المرة الى البرنس وشدد عليه فى الطلب ورجاه أن يضاعف مجهوداته لابادة مايعتبره أعظم خطر على سلامة ذلك الاقليم . ولما كان غير قانع بالتماسه الملحّ أرسل الى شيراز عددا من رجاله الموثوق بهم وحملهم بهدايا للبرنس أملا فى اقناعه بالاسراع فى العمل . وزيادة فى التأكد من نجاح مجهوداته أرسل خطابات الى أشهر علماء وأسياد شيراز وفيها شوّه مقاصد وحيد وأسهب فى الكلام على أعماله الثورية وحرّضهم على التوسّط لدى البرنس والتوسل اليه للأسراع بارسال النجدة

فاجاب البرنس طلبهم حالا واعطى التنبيهات لعبد الله خان شجاع الملك أن يقوم توا الى نيريز ويصحب معه فيالق الهمدانى وسيلا خورى ومعهم الضباط رؤساهم ومايلزم من المدفعية . وأرسل التعليمات الى نائبه فى نيريز بأن يجند كل الرجال القادرين من الجهات

المجاورة بما فيهاقرى اصطهبنات وابراج وينج معادن وقطره وبشنه ودى شاه ومشكان ورستاق واضاف إلى هؤلاء قبيلة وسبكلارّيه الذين امرهم أن ينضموا إلى جيش زين العابدين خان .

وفجأة حاصر القلعة جموع لاعدد لها وفيها وحيد واصحابه محصورون وابتدأ فى حفر خنادق حولها واقام المتاريس عليها . وما كاد هذا العمل يتم حتى اطلق النيران نحوهم وجاءت طلقة نارية أصابت الجواد الذى كان أحد اتباع وحيد يركبه وهو يحرس الباب وتبعتها اخري أخترقت البرج الموجود فوق الباب . واثناء التدمير أطلق أحد الاحباء طلقا ناريا على الضابط المكلف بالمدفعية فاصابه وارداه قتيلا وبذلك وقف اطلاق المدافع حالا ورجع المهاجمون واختبأوا داخل خنادقهم . وفى هذه الليلة لم يخرج أحد لا المحاصرون ولا المهاجمون من مخابئهم .

وفى الليلة الثانية نادى وحيد من يدعى غلام رضا يزدى وأمره مع أربعة عشر من الاصحاب أن يخرجوا من القلعة ويطردوا العدوّ . وكان أكثر المأمورين بذلك من المتقدمين فى السنّ ولم يكن أحد منهم يظن أنه يقدر على مثل هذه المحاربة الشديدة . وكان منهم صانع أحذية لايقل عمره عن تسعين ويظهر منه قوة وحماس لاتظهر عادة من الشبّان، وباقى الأربعة عشر كانوا شبانا لم يتعودوا مخاطر الطعان ولم يتحملوا مثل هذا الهجوم . فلم يكن العمر بالامر المهم عند هؤلاء الأبطال الذين وطّدوا العزم بإيمان لايتزعزع على إعلاء شأن الامر . وأمرهم الرئيس أن ينتشروا بمجرد تركهم جناح القلعة ويهجموا وسط الاعداء وهم يصيحون بنفس واحد (الله اكبر) وما كادت الاشارة تعطى اليهم حتى قاموا وامتطوا جيادهم وتسلحوا ببنادقهم وخرجوا من باب القلعة وهجموا وسط اعدائهم غير مبالين بقنابل المدافع ولا رصاص البنادق الذي امطر فوق رؤسهم . ودامت هذه المعركة الفجائية نحوا من ثمان ساعات وكان يظهر من هذه الفئة الباسلة شهامة ومهارة ادهشت رؤساء الجند فى صفوف الاعداء . وكانت النجدات تأتى من نيريز تباعا ومن القلاع المحيطة هاجمين على العدوّ لمساعدة الفئة القليلة التى قاومت قوات الاعداء وجيوشهم هذه المدة بكل شهامه . واذ امتد نطاق الحرب والقتال ارتفعت من جميع الجهات أصوات نساء نيريز من اعالى المنازل مهللين بالشجاعة والاقدام الذى ظهر بكل جلاء من الاحباء واختلطت هذه الاصوات المرتفعة من النسوة بزمجرة المدافع واصوات (الله اكبر) المرتفعة

من الاصحاب وسط الهياج والضجيج وزادت ولولة النسوة وصلابة الاصحاب وشدة ايمانهم فى وهن عزائم الاعداء وشلت حركاتهم حتى خلا معسكرهم وكان منظره موحشا عندما رجع المنصورون إلى القلعة ظافرين حاملين معهم الجرحى وما يربو على الستين قتيلا كان من بينهم (١) غلام رضا يزدى (وهو شخص خلاف رئيس القواد الذي اسمه كاسمه (٢) اخ غلام رضا يزدى (٣) على بن خير الله (٤) خاجه حسين قناد ابن خاجه غانى (٥) اصغر ابن ملا مهدى (٦) كربلائى عبد الكريم (٧) حسين ابن مشهدي محمد (٨) زين العابدين ابن مشهدى باقر الصباغ (٩) ملاّ جعفر المذهب. (١٠) عبد الله ابن ملاّ موسى (١١) محمد بن مشهدى رجب الحداد (١٢) كربلاى حسن ابن كربلاى شمس الدين ملكي دوز (١٣) كربلاى مرزا محمد زارع (١٤) كربلاى باقر كفش دوز (١٥) مرزا أحمد ابن مرزا حسين كاشى ساز (١٦) ملا حسن ابن ملا عبد الله (١٧) مشهدى حاجى محمد (١٨) أبو طالب ابن مير أحمد نخود بريز (١٩) اكبر بن محمد عاشور (٢٠) تقى يزدى (٢١) ملا على ابن ملا جعفر (٢٢) كربلاى مرزا حسين (٢٣) حسين خان ابن شريف (٢٤) كربلاى قربان (٢٥) خاجه كاظم بن خاجه على (٢٦) اقا بن حاجى على (٢٧) مرزا نورا ابن مرزا معينا.

وكانت تلك الهزيمة التامة قد أقنعت زين العابدين خان وأصحابه بعدم فائدة أى مجهود يبذل لأخضاع أعدائه بطريق المحاربة (١) فالتجأوا أخيرا إلى طرق أخرى كما حصل لجيش البرنس مهدى قلى مرزا الذى عجز عن اخضاع محاربيه فى الميدان فلجأ إلى الخداع والغش وهى أسلحة الجبناء التى بها غلبوا عدوهم الذى لايقهر ومع أن جميع موارد البلاد كانت تحت يد زين العابدين خان فضلا عن مساعدة وامدادحاكم فارس وأهالى البلاد جميعهم فقد عجز عن قهر الاحباء الذين كانوا فى نظره فئة ضئيلة غير متدربة على القتال ومحتقرة. وقد علم وتأكد هو وجميع المحاربين أن وراء الأكمة وخلف حوائط القلعة رجالا أبسالا اشداء لايمكن لأى قوة اخضاعهم ولا محاربتهم

(١) ومع أن الخسائر فى هذه المرة كانت متكافئة تقريبا فان العساكر الشاهانية كانت تتوجس خيفة فان الامرطال وربما عاد بالفشل على المسلمين فاضطر هؤلاء الى الركون للحيلة (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٠٣)

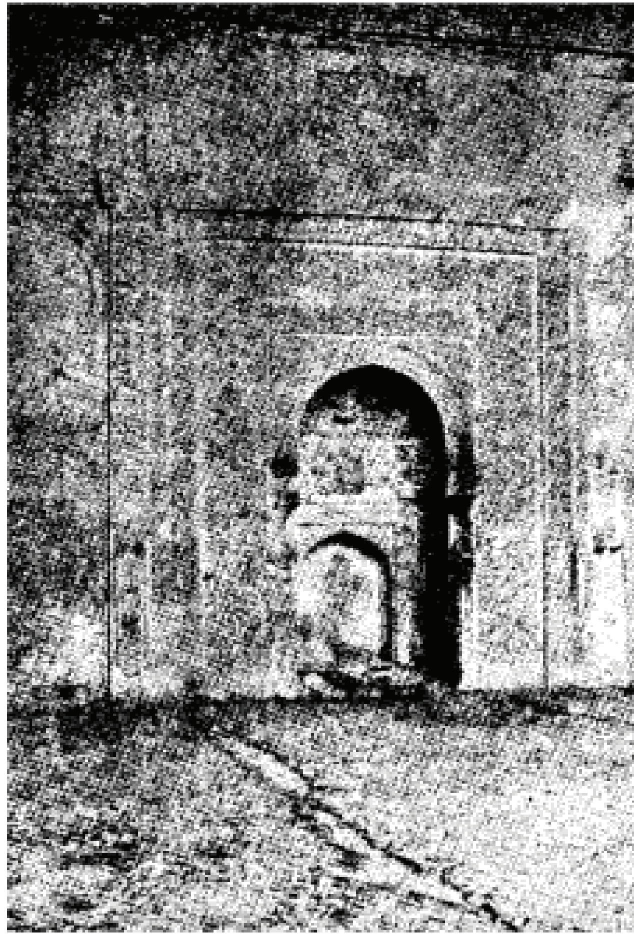
فلم يروا بدا من رفع صوت السلام ويقصدون من ذلك المكر السيء أن يخدعوا هذه القلوب الطاهرة الشريفة . فاوقفوا الهجوم والقتال بضعة أيام وأرسلوا رسالة خطيرة مكتوبة إلى المحصورين ملخصها كما يأتى (إننا كنا لغاية الآن جاهلين حقيقة إيمانكم ولذلك سمحنا للأشرار ليحملونا على أن نعتقد أن كل واحد منكم قد خرق حرمة القواعد الأسلامية . فقمنا ضدكم وأردنا ابادة دينكم وفى الأيام الأخيرة علمنا ان حركاتكم لم يقصد بها أي غرض سياسى وأنه لا يوجد بينكم من يرغب فى قلب قواعد الدولة . وقد اقتنعنا بأن تعاليمكم لا تحوى خلافا كبيراً لتعاليم الأسلام . وأن كل ما تريدون اعلانه على ما يظهر هو أن شخصا ظهر وأن كلماته موحى بها وأن أقواله صادقة وأنه يجب على جميع أتباع الأسلام أن يعترفوا به ويعضدوه ونحن لا يمكننا أن نقتنع بصدق هذه المزاعم الا إذا ركنتم إلى وضع ثقتكم فينا وأن تقبلوا أن يخرج الينا بعض مندوبين منكم خارج القلعة ويقابلونا فى هذا المعسكر حيث يمكننا فى ظرف بضعة أيام أن نتحقق من صدق دعواكم . ونحن أيضا مستعدون أن نقبلها لأننا لم نكن أعداء الحق ولا يريد أحد منا أن يرفض الحق . ونحن كنا دائما نعترف لرئيسكم أنه من اكبر وأقدر أعلام الاسلام وننظر اليه كمثال وعلم للهداية . وهذا القران الذى نختم عليه بأختامنا هو أكبر شاهد على صدق مرادنا فليحكم ذلك الكتاب المقدس إذا كانت دعواكم صادقة أم باطلة وان غضب الله ورسوله علينا إذا كنا نقصد أن نخدعكم . وان قبولكم لدعوتنا يخلص جيشنا بأجمعه من التشتيت والدمار وأما رفضكم فيجعله فى موقف الشك والتربص . ونحن نقسم لكم أنه بمجرد أن نقتنع بصدق دعوتكم فاننا سنظهر من الحماس والاخلاص ماظهر مثله منكم بهذه الكيفية العجيبة . فيكون إذ ذاك أحباؤكم أحبائنا وأعداؤكم أعداءنا و نقسم لكم ان الذى يأمر به رئيسكم فاننا نطيعه . وبالعكس إذا لم نقتنع بصحة دعوتكم فاننا نعدكم أننا لا نتداخل فى رجوعكم سالمين إلى القلعة ونعيد الكرة معكم . ونحن ندعوكم أن لا تسفكوا دما بعد ذلك قبل أن تجتهدوا فى اثبات صحة أمركم .

فاستلم وحيد القرآن بكل احترام وقبّله مليّا . وقال : (ان الساعة الموعودة لنا قد دقت وقبولنا لدعوتهم يجعلهم يشعرون بسفالة خدعتهم) وزاد على ذلك وهو يخاطب

أصحابه (ومع انى عالم تماما بخداعهم ولكنى أري من واجبى أن أجيب طلبهم وانتهز الفرصة فى أن اكشف مرة أخرى عن حقائق الامر المحبوب أمامهم) وأمرهم أن يستمروا فى أداء واجباتهم وأن لا يثقوا مطلقا بأيمان اعدائهم . وفضلا عن ذلك أمرهم أن يوقفوا القتال إلى أن يخطرهم .

وبهذه الكلمات ودّع أصحابه وخرج مع خمسة من اتباعهم منهم ملاّ على المذهّب والخائن حاجى سيد عابد إلى معسكر العدّو . وخرج زين العابدين خان مصحوبا بشجاع الملك وكل حاشيته لمقابلته والترحيب به وقابلوه بالأكرام واوصلوه إلى خيمة اعدت خصيصا له وقدموه لباقى الضباط وجلس على كرسى وباقى الجماعة واقفون أمامه عدا زين العابدين خان وشجاع الملك وضابط آخر وهم الذين أمرهم بالجلوس. وكانت العبارة التى خاطبهم بها قد اثرت فى جميع القلوب وهى تلين الصخور وأشار اليها بهاء الله بنطقه السامى فى تفسير سورة الصبر وبين مقاصدها بما جعل ذكرها خالداً وكان مما قاله وحيد (انى حضرت لكم مسلحا بالشهادة التى عهد بها إلىّ ربى ألست من سلالة رسول الله فلماذا تقومون إذاً لذبحي ولأى سبب حكمتم علىّ بالقتل ورفضتم الاعتراف بالحقوق التى يقتضيها شرف انتسابى)

وكانت فصاحة عباراته المؤثرة وكمال هيئته قد ادهشت سامعيه وبقى ضيفا عندهم ثلاث أيام وثلاث ليال أضافوه بكل اكرام واظهروا له فيها منتهى الاحترام وكانوا يأتمون به فى صلوتهم ويستمعون لنصائحه . ومع انهم كانوا يتظاهرون باطاعتهم له فانهم كانوا سراً يتآمرون على قتله ويتشاورون فى ابادة باقى أصحابه وهم كانوا يعلمون أنهم لو أرادوا أن يوقعوا عليه أقل ضرر بينما أصحابه موجودون داخل القلعة فانهم يعرضون أنفسهم لخطر أكبر من الخطر الذى يواجهونه به وكانوا يرتعدون من هياج وانتقام نسائهم كخوفهم من شجاعة ومهارة رجالهم. وقد علموا أن جميع موارد وقوات الجيوش عاجزة عن اخضاع فئة من الشبان القاصرين والشيوخ المسنين. بحيث لا يمكن احراز النصر عليهم نصرا موكدا بغير تدبير الحيلة وكان الخوف الذى ملأ القلوب منهم ناتجا من أن زين العابدين خان كان دائما يحرض أتباعه حتى لا تخبو نيران حقدهم التى اشتعلت فى صدورهم . واعتقد أن نصائح وحيد المتكررة ربما أثرت فيهم بسحرها المعهود وحولتهم لطاعة مثل هذا الخصم البليغ





مسجد الجامع فى نيريز الذى ألقى وحيد خطبته فيه على الجمهور

وكان زين العابدين خان وأصحابه قد عوّلوا أخيرا على أن يطلبوا من وحيد أن يرسل بخط يده رسالة لاصحابه المقيمين فى القلعة يخبرهم فيها بحصول الصلح على الخلاف القائم بين الفريقين وانهم مخيّرون أما أن ينضموا اليه فى المعسكر أو يرجعوا إلى منازلهم ومع أن وحيد كان مترددآ فى قبول مثل هذا الطلب إلا انه اضطر أخيرا على الموافقة وفى رسالة أخرى أرسلها سرا أخبر أصحابه أن لاينخدعوا بتدابير الاعداء وحذرهم أن يسمحوا لانفسهم بخداعهم . واعطى الخطابين إلى الحاجى سيد عابد وأمره أن يمزق الخطاب الأول ويرسل الثاني إلى أصحابه . وأمره أن يطلب من الشجعان منهم أن يخرجوا فى جنح الليل ويشتتوا شمل العدوّ

وما كاد الحاجى السيد عابد يستلم هذه التعليمات حتى سلّمها إلى زين العابدين خان فحرضه أن يسرع بتسليم الخطاب الأول إلى المقيمين فى القلعة وأن يأمرهم بالتفرق ووعده بالمكافأة العظيمة . فسلم الرّسول الخائن الخطاب الأول إلى أصحاب وحيد وأخبرهم أن الرئيس قد استطاع أن يجذب الى الأمر جميع الجيش وانه بناء على ذلك ينصحهم أن يتوجهوا إلى منازلهم . ومع انهم انزعجوا من مثل هذه الرسالة إلا انهم لم يمكنهم أن يخالفوا أمر وحيد الذى كان واضحا للغاية . فتفرقوا مترددين وتركوا كل الحامية بدون حراسة. واطاعة لأمر رئيسهم الكتابى طرح الكثيرون أسلحتهم وعادوا إلى نيريز

ولما كان زين العابدين خان واثقا من قرب اخلاء القلعة أرسل كتيبة من جنده ليمنعوا الاصحاب من دخول المدينة . وحاصرهم الجند الذين أتوا من جهة المعسكر وإذ رأوا أنفسهم محصورين جاهدوا بكل قواهم أن يصدوا الهجوم وأن يدخلوا المسجد بسرعة وبما كان مع البعض منهم من الأسلحة والبنادق وبالعصى التى كانت مع البعض الآخر وبرشق الاحجار اجتهدوا فى دخول المدينة وارتفع النداء ثانيا بقولهم (الله اكبر) وكانت هذه الدفعة أقوى وأشد من المرات السابقة . وكانت النتيجة أن استشهد البعض وتمكن الباقون من الالتجاء إلى الجامع ولو انهم كانوا مجروحين مغلوبين من جراء الهجوم عليهم من النجدات التى وصلت إلى اعدائهم .

وفى هذه الاثناء كان الملا حسن المشهور وهو ابن الملا محمد على أحد ضباط جيش زين العابدن قد سبق أخصامه وكمن لهم مختبئا فى احدى منارات الجامع انتظر

ورودهم . فلما اقترب الأصحاب المشتتين إلى الجامع اطلق عليهم الرصاص فعرفه أحد الأصحاب وهو الملا حسين وصاح (الله اكبر) وطلع إلى أعلا المنارةوصوب بندقيته على ذلك الضابط الخائن فجرح وتجندل فى الأرض . وأخذه ذووه إلى مكان آمن ليتمكن فيه من تضميد جروحه .

ولما لم يجد الاصحاب فائدة من الاحتماء فى الجامع اضطروا إلى الاختفاء فى أى مكان حصلوا عليه الى أن يتحققوا من مصير رئيسهم . وخطرلهم بعدخدعتهم هذه أن يبحثوا عنه وينفذوا ما يأمرهم به وكانوا غير ملمين بما أصابه وخشوا أن يكون الأعداء قد قتلوه

وبعد أن تشجع زين العابدين ورهطه بسبب تشتت أصحاب وحيد أخذوا يفكرون فى الطريقة التى تخلصهم من اليمين التى حلفوها وأن يشرعوا فى ذبح وحيد خصمهم اللدود وأرادوا أن يصلوا إلى غرضهم الذي طالما كانوا يتمنونه . وأثناء مداولاتهم قام رجل اسمه عباس قلى خان وهو مشهور بالقسوة والغلظة وأكد للجماعة أنه اذا كان اليمين الذى حلفوه يزعجهم فانه مستعد لتنفيذ ما لايقدرون عليه لأنه لم يشترك معهم فى هذا الحلف . وقال وهو محتد بسورة الغضب (اني أقدر أن اقبض على أى شخص يخالف شريعة البلاد وأن اقتله .) ونادى فى الحال جميع الذين قتلت أقاربهم لتنفيذ حكم القتل الذى صدر على وحيد . فكان أول من تقدم الملاّ رضا الذى قبض شيخ الاسلام فى بوانات على أخيه الملاّ باقر وتقدم آخر اسمه صفر كان اخوه المدعو شعبان قد قتل . وثالث يدعى آقا خان كان قد هلك أبوه على أصغر خان فى المعركة وهو أخ زين العابدين خان الاكبر

ورغبة فى تنفيذ الحكم الذى صدر من عباس قلى خان جاء هؤلاء الثلاثة وطرحوا العمامة من رأس وحيد ولفوها على رقبته واوثقوه بجواده وسحبوه بهذه الكيفية فى جميع الشوارع (١) . وتذكر الناس اذ رأوا وقوع هذه الاهانات على وحيد ماحصل من المأساة للأمام الحسين الذى ترك جسده للعدو الطاغى حتى ديس بجمهور من الخيالة

(١) وأخذ من يحيى حزامه الاخضر الذي هو علامة الشرف ولفه على عنقه وعقده ثم جره به على الارض . ثم جاء صفر اخ شعبان الذى قتل فى المحاربة ثم اقا خان ابن على أصغر خان اخ زين العابدين خان . وكان المسلمون قد أهاجهم المنظر فرجموا المساكين بالاحجار وضربوهم بالعصى . ثم قطعوا رأسه وسلخوا الجلد وحشوه تبنا ثم أرسلوا هذه الرفات إلى شيراز
(السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٠٦)

بدون رحمة . وكانت النسوة فى نيريز قد اجتمعن حول جسم وحيد وأخذ منهم التعصب كل مأخذ وتهيجن للنهاية من اصوات الانتصار التى كان ينادى بها العدو السفاك . وأخذن فى الرقص والفرح وسط دق الطبول والدفوف وهن يهزأن بالكلمات التى كان يتفوه بها وحيد فى شدة حزنه وهى الكلمات التى كان الامام حسين ينطق بها فى الظروف المماثلة (أنت تعلم يامحبوبى أنى تركت العالم لاجلك واتكلت عليك ولاصبر لى الا أن التحق بك لأنى رأيت وشاهدت جمال وجهك وإنك ترى وتشاهد ماعاملنى به ذلك الشرير . و إنى لن أخضع لرغبته ولن ابايعه)

وبهذه الكيفية انهى وحيد حياته الشريفة الباسلة . وكانت حياته الساطعة المفعمة بالحوادث والتى امتازت بسعة العلم (١) والشهامة الفائقة وروح التضحية النادرة المثال جديرة أن تتوج بمثل هذا القتل الذي اتم به شهادته . وكانت ختام حياته مبدأ للهجوم العام والفتك الذريع الذي وقع على كل من تعلق به واعتقد فى دينه وتخصص لهذا العمل الفظيع زيادة عن خمسة آلاف نفر كانوا يقبضون على الناس ويضعون فى أيديهم الاغلال و يعذبونهم ثم اخيراً يذبحونهم وكذلك يقبضون على النساء والاطفال ويعاملونهم بتوحش يقصر القلم عن وصفه . ويصادرون املاكهم وينهبون بيوتهم ويخربونها واحرقت قلعة خاجه وسويت بالارض وكان اغلب الرجال يرسل الى شيراز مكبلين بالحديد وهناك يقتلونهم أشنع قتل (٣) وأما الذين كان زين العابدين خان يرجو الانتفاع ماديا منهم يطرحهم فى سراديب مظلمة تحت الارض وبعد الحصول منهم على المبالغ اللازمة يسلمهم

(١) وتبعا لشهادة عبد البهاء كان يحفظ غيباما لايقل عن ثلاثين ألف حديث .(من نسخة خطية فى شهداء البهائية)

(٢) يشير اليه بهاء الله فى الايقان صحيفة ١٨٨ بقوله (كان وحيد عصره وفريد زمانه) وقال الباب فى الدلائل السبع عنه (وانظر أيضا عدد اسم الله سيد يحيى فهذا الرجل كان يعيش سا كنا طاهراً على شأن لم ينكر أحد علمه ومعرفته وتقواه من الاحباب أو الاعداء وكان الكل يجلونه ويعظمونه لعلومه وعلو كعبه فى الفلسفة فانظر فى تفسير سورة الكوثر وغيرها من الكتب التى حررت من أجله التى تشهد بارتفاع درجته وقرب منزلته عند الله (كتاب الدلائل السبع ترجمة نقولاس صحيفة ٥٤ — ٥٥)

(٣) وقد خنقوا السيد يحيى بشاله وكان الذى خنقه أخ لرجلين توفيا فى الحصار وأما باقي البابيين فقتلوا بيد الجلاد . وقد ملئت رؤوس الضحايا بالتبن ونقلوا هذه العلامات معهم للدلالة على شجاعتهم وغلظتهم ومعهم نحو من أربعين أو خمسين امرأة بابيه وشاب كأسري وبهذه الكيفية رجع

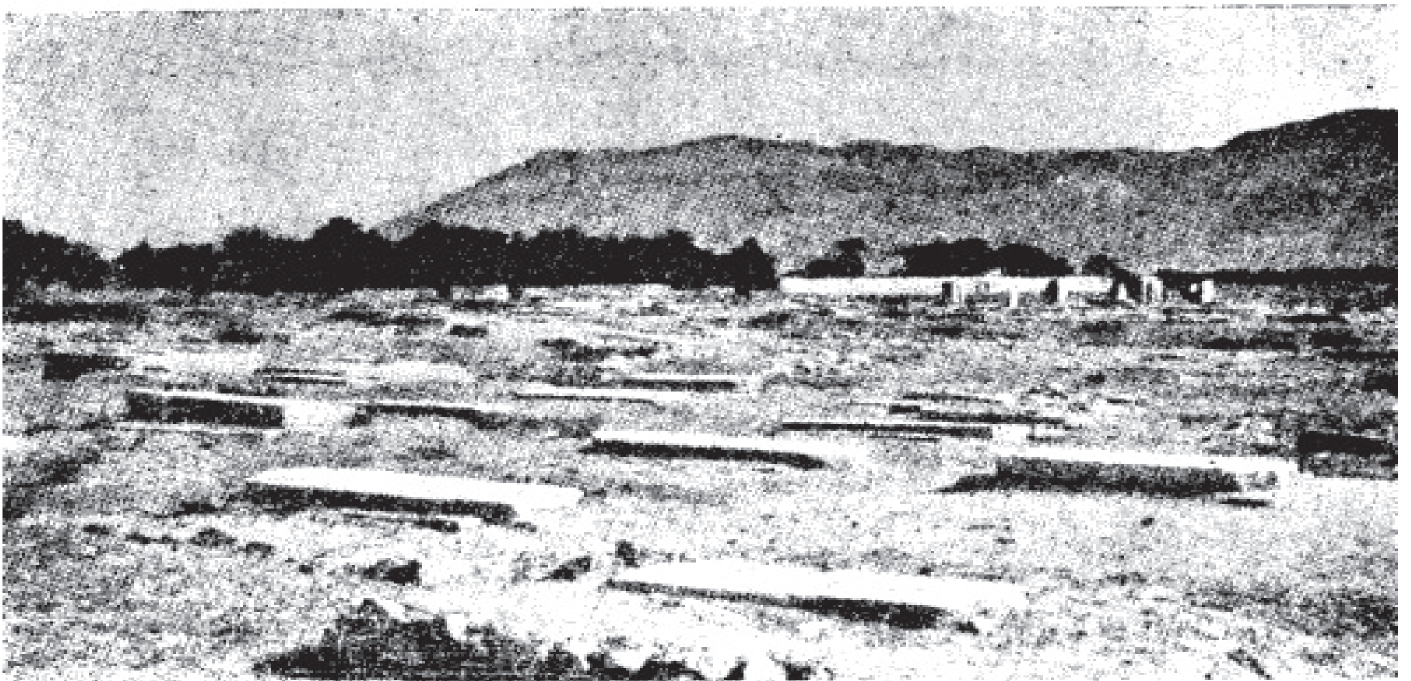
لايدى الجلادين الذين يرتكبون معهم أقسى انواع التعذيب (١) وكانوا يعرضونهم فى شوارع نيريز على هيئه موكب ثم يعذبونهم بكل ما فى الاستطاعة ليسلبوا منهم كل مالم يمكن سلبه أولا حتى اذا اشبعوا مطامعهم يقتلونهم أشنع قتل. فكانوا يكوونهم بالنار ويقلعون اظافرهم ويجلدونهم ويخزمون انوفهم ويدخلون فيها حبالا يجرونهم منها ويدقون المسامير فى ايديهم وأرجلهم بهذه الكيفية الشنيعة وسط الاسواق ليستهزىء بهم ويسخر منهم الجمهور

الجيش المنصور إلى شيراز. وكان يوم دخولهم فى تلك المدينة يوم فرح عام واصطف الاسرى فى الشوارع والاسواق ثم أحضروا أمام البرنس فيروز ميرزا الذى كان يتناول الطعام فى منزل صيفى يسمى كلافرنجى وكان معه مهرعلى خان وميرزا نعيم وتلا الضباط تفاصيل نصرتهم وهنأهم الحاضرون وأمتدحوهم لأجل ذلك وأما النسوة الاسارى فوضعوهن فى خان خارج باب اصفهان وحبسوهن فيه. وأما كيفية معاملتهن بمعرفة من قبض عليهن فنترك للتخمين (من كتاب مقالة سائح حاشية هـ صحيفة ١٩٠ طبعة انجليزية) وحكى شاهد عيان قال أن ذلك اليوم كان يوم فرح عام وسرور وكان الاهالى قد انتشروا فى المزارع المجاورة ومعهم غذاؤهم وكثير من السكارى شربوا زجاجات عديدة من الخمر سراً. وكان الجو يدوى باصوات الموسيقى والاغانى من الموسيقيين وعلت أصوات الضحك من بنات الهوى وكان السوق مزينا بالاعلام والفرح فى كل جهة وحدث فجأة سكوت عام. ورأى الناس ٣٢ جملا محملة كل واحد بمسجونة امرأة أو طفل مربوطين ومطروحين على الملح كالربطة وحولهم عساكر يحملون حرابا طويلة على كل منها رأس من رؤس البابية المقتولين فى نيريز. وكانت بشاعة المنظر قد هالت أهالى شيراز بشدة وعاد كل منهم حزينا إلى منزله. ومر الموكب البشع مخترقا الأسواق لغاية سراى الحاكم. وكان المذكور جالسا فى حديقته وقد اجتمع فى كشك المسمى كلاى فرنجى كل من كان فى شيراز من الرجال الاغنياء والمشاهير. وقد سكتت الموسيقى وتوقفت الراقصات عن رقصهن ثم ابتدأ محمد على خان وميرزا نعيم من أصاغر رؤساء قبيلة اشتركت فى الميدان يشرحان تفاصيل أعمالهم العلية وهم يسمون المساجين واحدا بعد الاخر. (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٠٧)

(١) ويظهر وياللاسف أن هذا السفك للدماء لم يكن كافيا لأشباع ضغينة المسلمين وشرهم. ولأن ميرزا زين العابدين خان كان يظن أنه مهدد بانتقام الذين قهروا فلم يترك البقية الباقية من الطائفة على راحة وتأصل حقده الذى لاينتهى إلا بموته. ولم يرسل إلى شيراز سوى الفقراء من الطائفة أما الاغنياء فقد حبسهم عنده وأعطاهم زين العابدين لشخص مكلف بتسييرهم فى شوارع المدينة وهو يضربهم وكانوا يتسلون فى نيريز بذلك ويصلبون البابيين باربع مسامير وكل شخص يأتى بدوره ويشاهد أنواع تعذيب المحكوم عليهم. ويضعون القاب المحروق تحت الاظافر ويحمون الحديد حتى يكون أحمر كالنار ويكوونهم أو يمنعونهم من الاكل والشرب ويخزمونهم فى أنوفهم ويجرونهم بالحبال كما تجر الدب (صحيفة ٤٠٨ من نفس الكتاب)

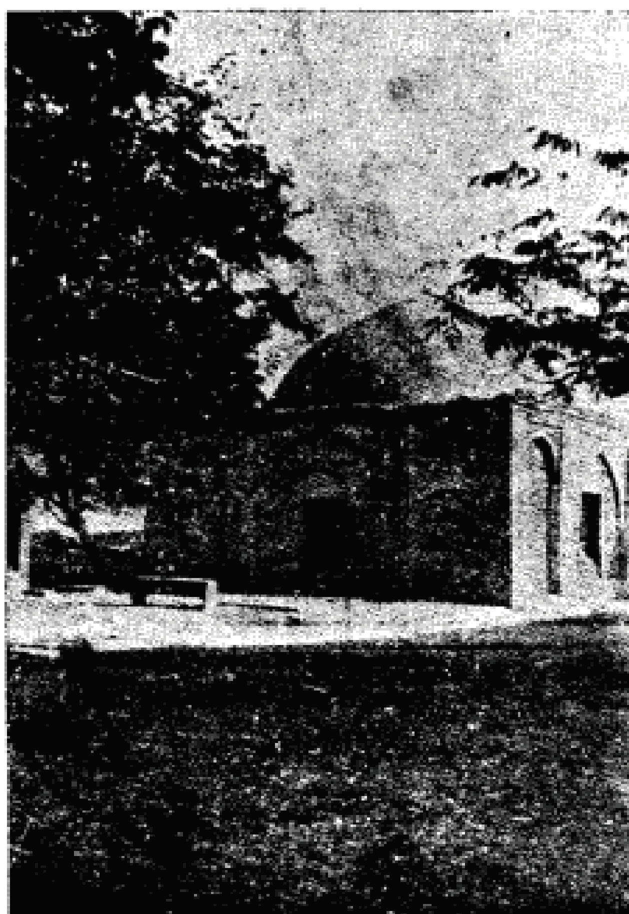


مكان استشهاد الأصحاب فی نیریز



قبور الشهداء فی نیریز

وكان من بين هؤلاء السيد جعفر اليزدى الذى كان فى الأيام السابقة ذا نفوذ كبير محترما من الجميع . وكان احترامه بالغا الحد الذى جعل زين العابدين خان يفضلة على نفسه ويعامله بالاحترام الزائد . ولكنه أمر بأن تداس عمامته وتلقى فى النار . وإذ تجرد من سيماء الشرف سيّروه فى الطريق أمام اعين الجمهور الذى مشى امامه وانهالت عليه الشتائم والأهانة والسخرية . (١)



مرقد وحيد فى نيريز

وكان الحاجى محمد تقى الذى اشتهر فى السابق بامانته وعدله فريسة أخرى لتعذيبهم حتى إن احكامه كانت تعتبر فى نظر كافة قضاة المحكمة بمثابة الكلمة النهائية والقول الفصل . وقد جردوا مثل هذا الرجل العظيم المحترم من ثيابه فى الشتاء القارس ورموه فى البركة وجلدوه بقسوة . وكذلك كان نصيب كل من السيد جعفر والشيخ عبد العلى

١) وقد رأى آقا السيدجعفر يزدى على أن الجلادين أحرقوا عمامته ثم أداروه على الابواب يطلبون نقوداً احسانا من كل بيت من الملاك (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٠٨)

وهو صهر وحيد وا كبر علماء نيريز وقاض من أشهر القضاة وكذلك السيد حسين أحد أعيان المدينة . وبينما كانوا يرتعدون من شدة البرد كان رعاع الناس قد استؤجروا ليسطوا على اجسادهم المرتجفة بأنواع العذاب . وكثير من الفقراء من الذين ذهبو ليحصلوا على أجر لمثل هذا العمل رفضوا تنفيذه لما علموا بكيفيته ورفضوا أن يستولوا على الأجر وعادوا بالسب واللعن (١) على الآخرين وكانت شهادة وحيد فى الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٢٦٦ هجريه (٢) وبعدها بعشرة ايام اطلق الرصاص على الباب فى تبريز .

(١) وكان أقا السيد ابوطالب الذى كان غنيا ـ قد أتى به مكبلا بالسلاسل وأرسله حاكم نيريز الي معدن ودس له السم بمعرفة حاجي مرزا ناصر وهو الذى فى شيراز أمر الباب بتقبيل يد الشيخ أبو تواب . وحبس أثنان من نساء البابيه ثم ذبحا على بئر . وكان بعض البابية ارادوا الانتقام من ميرزا زين العابدين خان . وذهبوا إلى طهران وشكوا إلى جلالة السلطان عن الفظائع التى ارتكبها ولما كانوا على مقربة من طهران وعلى بعد محطتين أو ثلاثة نزلوا للاستراحة إذ قابلتهم قافلة شيرازى قبضت عليهم وأوقفتهم جميعا عدا شخص يدعى زين العابدين الذى وصل إلى طهران وبعثوا بهم إلى شيراز وقتلهم البرنس هناك . وقتل من ضمنهم كربلائى أبو الحسن الفاخورى واقا شيخ هادى عم امرأة وحيد وميرزا على وأبو القاسم بن حاج زينا وا كبر بن عابد وميرزا حسن وأخوه ميرزا بابا (نفس الكتاب صحيفة ٤٠٨ — ٤٠٩)

(٢) ٢٩ يونيه سنة ١٨٥٠ ميلادية



ميرزا تقي خان الامير نظام

الفصل الثالث والعشرون

في استشهاد الباب

وانتشرت أخبار المأساة التي بها ختمت حادثة حصار النيريز في طول البلاد وعرضها وأشعلت حماسا مريعا في قلوب الذين سمعوها . وأوقعت جميع أرباب الحل والعقد في حيرة وارتباك وحركت فيهم عرق اليأس . وكان الأمير نظام رئيس وزراء ناصر الدين شاه مرعوبا من مظاهر الحماس المتكررة ومن قوة الأيمان الشديدة التي لاتتزعزع . ومع أن الجيوش الملوكية انتصرت في كل مكان وأفنت اتباع الملا حسين ووحيد وقضت عليهم قتلا وذبحا من يد الضباط ولكن مع ذلك في نظر حكام طهران الماكرين كانت اليد المحركة لهذه البسالة النادرة غير مقهورة وشوكتها لم تكسر بعد وكانت تلك الطاعة التي يسديها الأحباء المتفرقون لقائدهم المحبوس لاتزال باقية على حالها لم تمس بأذى ولم ينجح أي علاج في

تقويض تلك الطاعة أو إبادة الأمر رغما عن الخسائر الفادحة التى تحملوها . وعلى العكس بدلا من إخمادها زادت تلك الروح اشتعالا ونفذوا أكثر من ذى قبل وزاد تعلق هذه الطائفة برئيسها «١» وفضلا عن ذلك كان الذى أشعل هذه الروح وغذاها لايزال حياً ورغما عن وحدته كان قادراً على نشر نفوذه لأقصى حد .وكانت الرقابة المستمرة غيرقادرة على صد التيار الذى طغى على وجه البلاد وكان تفكير رئيس وزراء ناصر الدين شاه أن استمرار وجود الباب بمثابة القوة المحركة له فاذا اطفىء هذا النور ومنع فيضان ذلك الينبوع فأن الزوبعة التى جلبت هذا الخراب والدمار تخمد فى إبانها . هكذا كان تفكير الوزير الأكبر لناصر الدين شاه . ولذلك رأى هذا الوزير الأحمق أن أحسن وسيلة لتخليص مملكته من العار الذى لحقها هو قتل الباب (٢)

ولما عزم على إجراء ذلك دعا مستشاريه وأظهر لهم تخوفه وتمنياته وأبان لهم عن وجه الخطة التى اعتمد عليها وقال لهم (أنظروا إلى تلك الزوبعة التى أثارها السيد على محمد الباب فى قلوب أهالى البلاد فلا يمكن فى نظرى اعادة الاطمئنان والسلام الى هذه البلاد الا بقتله . فمن الذى يقدر أن يحصر الجيوش التى هلكت فى سبيل مناوشات الشيخ طبرسى ومن الذى يقدر أن يحصر المجهودات التى

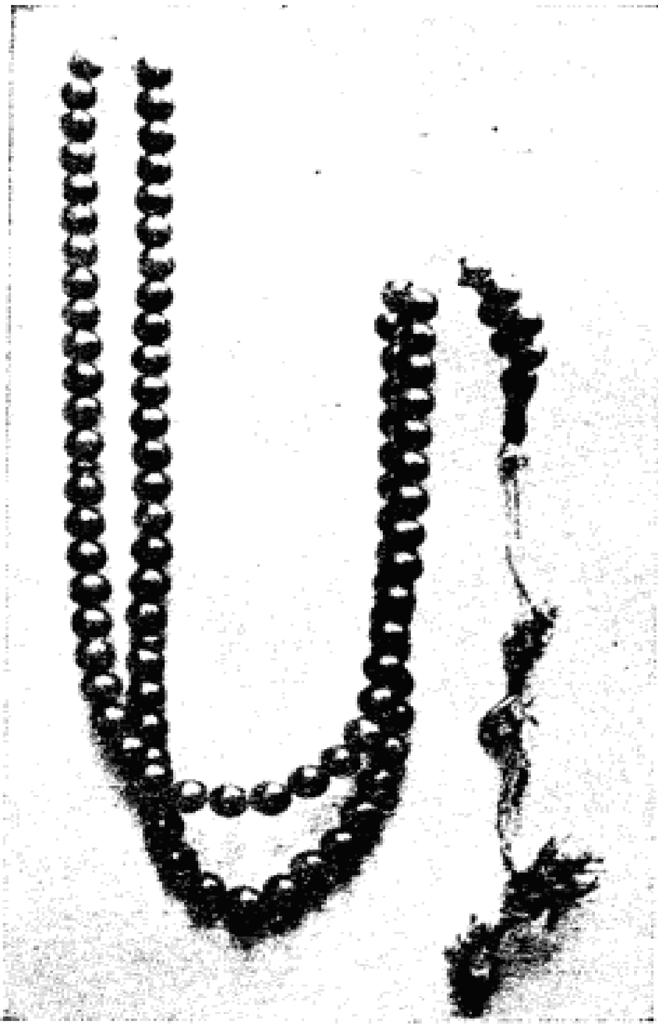
(١) وكان البابيون موجودين فى كل مكان وظاهرين وكانت ايران مملوءة منهم وكانت النفوس المضطربة من انتقال الاحوال والفلسفة التى تقتضى تغيراً والنفوس المضطربة من الظلم ومتاعب الاوقات الحالية كل ذلك يرحب بالفكرة والوعود لظهور نظام جديد أرق وأوفى ولذلك يظن بحق أن النفوس المضطربة كانت تميل إلى العمل ولو حصلت أى فاجعة وكذلك كان الذين تحملهم شجاعتهم لخوض غمار الحروب والرجال الجسورون الطاعون انضموا جميعا للصفوف وتمكنوا من تعبئة الجيوش والعسكر وكان ميرزا تقى خان يلعن ذلك اللين الذى كان سلفه الحاجى ميرزا اقاسى سائرا عليه حتى تفاقم الخطر وظن أنه لايصح بحال استمرار هذه الخطة الخاطئة وأراد أن يقطع الضرر من جذوره . واقتنع أن المنبع هو نفس الباب المحرك الاول لجميع القوانين التى اتعبت البلاد وأراد أن يقضى على هذا الاساس . (كتاب جوبينو الاديان والفلسفه فى آسيا الوسطى صحيفة ٢١٠ — ٢١١)

(٢) ومع ذلك فقد عزم حاجى ميرزا تقى أن يقطع رأس شبح البابية واقتنع أنه إذا ضرب هذه الضربة القاضية وأصبح المحرك للاضطراب بعيداً من الميدان ولا يعمل شيئا فان الاحوال تهدأ وتعود المياه لمجاريها وتسير فى سيرها الطبيعى . وفى الحال أمر ذلك الوزير بقتل المجدد وليس ذلك بغريب فى مثل تلك الحكومة الاسيوية وخصوصا من رجل مثل تقى خان الذى لايهتم باستعمال اقصى ما يمكنه من القسوة فظن أن أحسن طريق لموته هو قضاء عليه أدبيا . فأحضره من سجنه فى جهريق التى كانت آلامه فيها وقداسته وعلومه وفصاحته قد أحاطته كالهالة وجعلته يشرق منها كالشمس المضيئة . وأراد أن

بذلت فى سبيل الحصول على النصر فما كادت تخمد الفتنة التى اشتعلت فى مازندران حتى اندلعت نيران فتنة اخرى فى أقليم فارس حصل من جرائها عذاب كبير للناس . وما كدنا ننجح فى اخماد الثورة التى اجتاحت الجنوب حتى اشتعلت اخرى فى الشمال وعمت ورطتها زنجان وماحولها . فاذا كان لديكم علاج لهذا الداء عرفونى به لأن غرضي الوحيد عودة السلام والشرف لاهل بلادى)

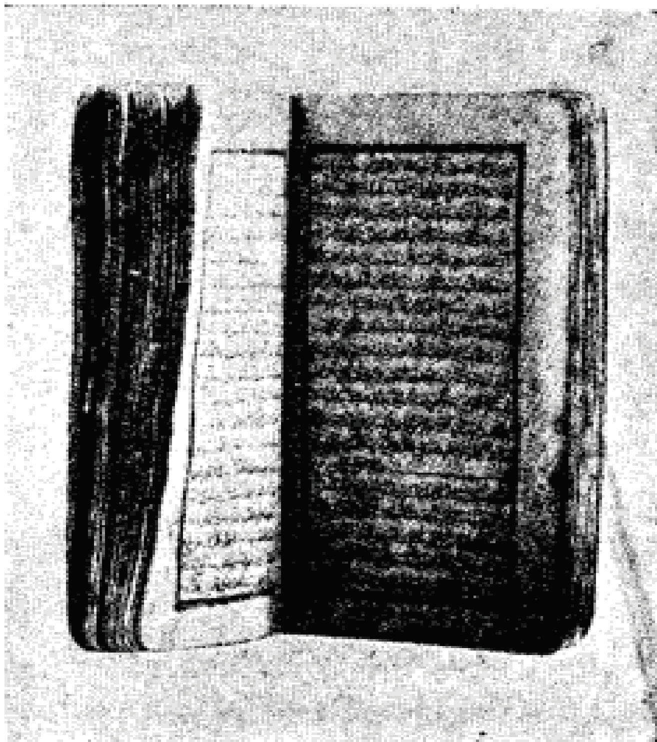
فلم ينبس الحاضرون ببنت شفة سوى ميرزا آقا خان النورى وزير الحربية الذى قال (بان قتل سيد منفى لاجل أعمال ارتكبها بعض الثائرين عمل بادى الظلم . وذكر المجلس بمثال المرحوم محمد شاه الذى كان لا يعبأ بالوشايات التى كان يهد بها اعداء هذا السيد بالاستمرار) فغضب من ذلك الامير نظام واحتج قائلا (إن مثل هذه الاعتبارات لا تتفق مع الحالة التى نواجهها فأن مصالح الحكومة فى خطر ولا نقدر أن نسمح بمثل هذه الانقلابات المستمرة . ألم تلجىء الضرورة القصوى والحرص على وحدة المملكة الى قتل الامام الحسين بيد الذين رأوه مراراً وتكراراً أنه موضع محبة جدّه العظيم بدرجة فايقة وكذلك الجأتهم الى رفض الاعتراف بالحقوق التى كانت سلالته وعزته تتمتع بها فلا يوجد

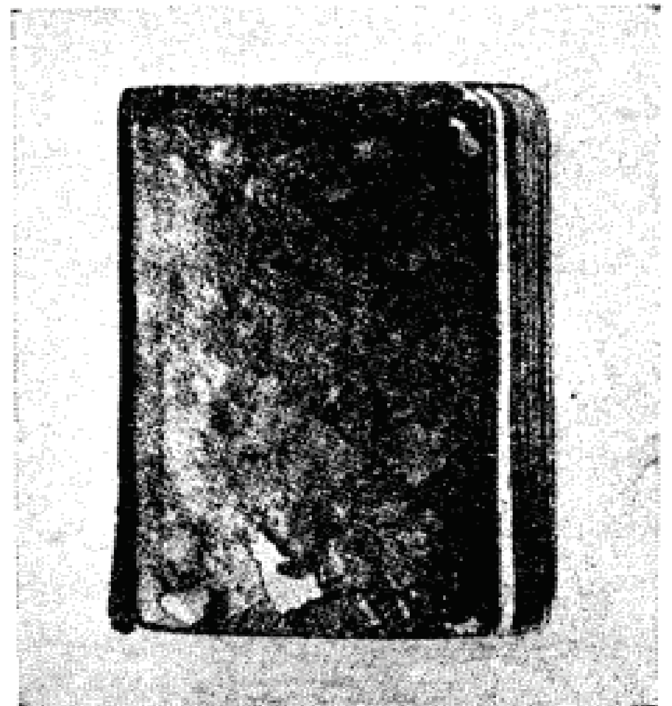
يحط من شأنه أمام الجمهور ورأى أن ذلك أحسن طريق لهدم احترامه وأراد أن يظهره بمظهر الدجال العادى أو المتنبي الضال الذى لم يكن له من الشجاعة ما يكفى لأن يفتكر فضلا عن أن يقود الأعمال الجريئة التى صدرت من دعاته الثلاثة أو يشترك فيها . وظن أنه اذا أحضر رجلا مثل هذا الى طهران ليواجه أعلم علماء الاسلام فانه يتمثر فى خجله ويتلاشى صيته بدلا من حبس جسمه بينما شبح رياسته يهيمن على الأرواح تلك الرئاسة الروحية التى لا تمحى بموته . فرتب بذلك طريقة لاحضاره لطهران مكبلا بالحديد ومذللا معرضا للعموم ويسمح بمناقشته مع جميع الملاوات فى كل مكان ويلزم بالسكوت عند ما يتجرأ بالكلام وتتألب عليه جملة محاكمات ظالمة تقهره بعد أن يكون قد انتهكت قواه فيكون كالأسد الذى يراد إضعافه فيسلسل وتكسر أنيابه وأسنانه ليرمى إلى الكلاب وهو ينظر كيف يغلبونه ومتى غلب مرة فلا يهم بعد ذلك أمره ، وهذا التدبير غير معقول ولكنه مبنى على مقدمات لا يمكن تحقيقها لأنه لا يكفى افتراض كون الباب يعد كرجل مضطرب بل يجب أن يكون فعلا كذلك . فأما مكثه فى جهريق لا يدل على ذلك فقد كان دائم العمل لا تنقصه الشجاعة ولا الثبات . وكان لطفه لا يتغير وكان الذين يقابلونه يخضعون لتأثير وجهه الساحر وطرائقه ولفته وألفاظه حتى العسكر الذين كان فى حراستهم لم يفهموا هذا الخضوع أما وفاته فكانت قدحانت لأنه كان يتكلم عن موته تكراراً ليس كفكرة عادية فقط بل كأمر مرغوب فيه . فاذا كان الأمر كذلك فتسييره فى جميع أنحاء ايران على هذا الحال لا يؤول الى انكساره لأنه ان لم يظهر عليه الغرور أو الخوف فان ذلك يزيد فى نصيبه الحاضر واذاجىء من المعارف بالمعجزات والخطابات والفصاحة واذا استمر الباب ملازما لأنصاره الأولين ورآه المحايدون وحتى الأعداء فذلك العمل يكون من الخطر العظيم المشفوع بالخسارة ولهذه الأسباب وبعد التامل الكبير عدل عن اتباع هذه الطريقة .
(الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢١١ — ٢١٣)





ختم الباب وسبحته





القرآن الذى كان يقرأ فيه الباب

أى علاج خلاف ما اقترحته لقلع هذا الفساد وإعادة السلام الذى ننتظره) واذ لم يعبأ بنصيحة مستشاره ارسل الأمير نظام الأوامر لنواب حمزة ميرزا حاكم اذربايجان بأن يرسل ويحضر الباب إلى تبريز (١) وكان نواب حمزة مشهورا بين برنسات العائلة المالكة برقة قلبه ودماثة اخلاقه الا أن الأمير نظام كان حريصا فى كتم غرضه الحقيق فى ذلك الطلب عن البرنس . ولما كان نواب قد ظن أن الغرض هو تمكين الباب من العودة إلى منزله أرسل أحد ضباطه الموثوق بهم ومعه الحرس الكاف لأحضار الباب من جهريق مقر حبسه إلى تبريز . وأسلمه إلى حراستهم ونبههم إلى اسداء أقصى حد من الاحترام اليه .

وكان الباب قبل وصول الضابط بأربعين يوم إلى جهريق قد جمع أوراقه والألواح التى معه ووضعها مع قلمه ودواته وأختامه وخواتيمه العقيقية فى صندوق وسلمها للملا باقر أحد حروف الحى وأعطاه أيضا خطابا يسلمه للميرزا أحمد كاتب وحيه وفيه وضع مفتاح الصندوق وأوصاه بأن يتحفظ على الوديعة وأكد له قداسة محتوياتها وأن يخفى الوديعة عن أى شخص خلاف ميرزا أحمد . ورحل ملا باقر توا إلى قزوين ووصل تلك المدينة بعد ثمانية عشر يوما وعلم أن ميرزا أحمد رحل منها إلى قم فتبعه اليها حالا ووصلها فى أواسط شهر شعبان (٢) وكنت فى قم مع شخص يدعى صادق التبريزى الذى أرسل اليه ميرزا احمد وطلب منه أن يحضرني من زرند . وكنت أقطن فى منزل واحد مع ميرزا أحمد الذى أجره فى قسم باغ بنبه . وكان يقطن معنا فى تلك الأيام الشيخ عظيم وسيد اسماعيل وكثير من الأصحاب فأعطى ملا باقر الأمانة إلى ميرزا أحمد وهذا فتحها كطلب شيخ عظيم أمامنا وقد عجبنا إذ رأينا من بين الأشياء التى فى الصندوق ملف ورق أزرق من أغلى أنواع النسيج وأرقها وفيه دبج الباب بخط يده البديع من نوع الشكسته وعلى هيئة مثمن بحوا من خمسماية آية جميعها عبارة عن اشتقاقات من كلمة بهاء (٣) وكان الملف بحالة صيانة تامة ونظافة فائقة يظهر عليه من أول نظرة أنه مطبوع لا مخطوط . وكانت الكتابة

(١) وكان الوزير الرئيس قد أرسل الى سليمان خان الافشار أن يأمر البرنس حمزة ميرزا الذى كان حاكما فى اذربايجان أن ينقل الباب من جهريق الى قلعة تبريز وهناك ينتظر ما يتم عليه (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢١٣)

(٢) ١٢ يونيو ــ ١١ يوليو سنة ١٨٥٠ ميلادية .

(٣) وتبعاً لمقالة سائح (صحيفة ٤٢) ذكر الباب مالا يقل عن ثلثماية وستين اشتقاقا من كلمة بهاء

بغاية الدقة وإذا نظرت من بعد يظهر عليها كأنها قطعة من الحبر على الورق . وقد أخذنا العجب من هذه القطعة المكتوبة التي لا يقدر أى كاتب أن يأتى بمثلها . فأعيد هذا الملف إلى مكانه وأعطى للميرزا أحمد وتوجه به فى نفس اليوم إلى طهران . وقبل ارتحاله أخبرنا أن كل ما يمكنه أن يبوح به هو أن الرسالة تأمر بتوصيل الأمانة إلى يد جناب البهاء فى طهران (١) أما أنا فأمرنى ميرزا أحمد أن أعود الى زرند وأقابل والدى الذى كان ينتظرنى بشوق . ونفذ ذلك الضابط الاوامر التى وصلته من نواب حمزة ميرزا وأوصل الباب إلى تبريز وعامله بمنتهى درجة الاحترام

وأمر البرنس أحد أصحابه فى إعداد منزله للباب وأمره أن يعامله بغاية الأجلال . وبعد مرور ثلاثة أيام من وصول الباب جاء أمر جديد من الوزير الكبير للبرنس أن ينفذ حكم الأعدام على المسجون يوم وصول الفرمان اليه وكذلك على أي شخص يعلن اعتقاده فيه وأصدر أمره الى القوة التى كانت تحت رياسة سام خان الأرمنى رئيس فرقة الارامنة أن تطلق عليه الرصاص فى ساحة العسكرية فى تبريز وهى الكائنة وسط المدينة .

وكان البرنس قد أظهر دهشته لحامل الفرمان ميرزا حسن خان وزير النظام وأخ الوزير الأكبر وقال له ، (كان الأجدر بالأمير أن يأمرني باجراء أعمال أهم من التى يطلبها . فالعمل الذى أوكله إلىّ عمل لايجريه إلا الأنذال . فلست أنا ابن زياد ولا ابن سعد (٢) حتى يأمرنى أن أذبح شخصاً بريئا من سلالة رسول الله .) فابلغ الميرزا حسن خان أخاه برفض البرنس فأمره أخوه أن يجرى بنفسه الفرمان بتمامه حالا وبدون توان وقال له (خلصنا من هذا الانتظار الذى ثقل على قلوبنا وانه هذه المسألة قبل حلول شهر رمضان حتى نستعد للصيام بهدوء البال وبغير اضطراب) وأراد ميرزا حسن خان أن يوصل هذه التعليمات الجديدة إلى البرنس ويعلمه بها ولكنه خاب فى مسعاه لأن البرنس

(١) وكانت أواخر أيام الباب على الأرض قداقتربت وكان يعلم بحصولها من قبل ولم يحزن لهذا الشعور. وكان قد رتب احوال منزله . أما الأمور الروحانية للطائفة البابية فقد أوكلها على غالب الظن الى حكمة بهاء الله . وهذا هو الأقرب للصواب من الفكرة القائلة بأن صبح أزل هو الذى جعل حارسا للكتابات المقدسة ومنظما لمرقد الجدث المطهر . ولعل الأزليين على غالب الظن قد جمعوا ما يؤيد ظنونهم (من كتاب الدكتور جينى اتحاد الأقوام والأديان صحيفة ٦٥ ـ ٦٦) .

(٢) وأنه من المصادفات العجيبة أن يذكر كلا الاثنين على محمد والمسيح لتلميذيهما نفس العبارة الآتية (انك ستكون معى اليوم فى الفردوس) (من كتاب الدكتور جينى اتحاد الأقوام والاديان صحيفة ١٨٥)

رفض مقابلته بالكلية مدعيا المرض . فلم يعبأ برفض البرنس وأصدر أوامره أن ينقل الباب مع حاشيته من المنزل الذى يقطنه إلى احدى غرف المعسكر . وأمر سام خان أن يرسل عشرة من رجاله ليحرسوا مدخل الغرفة التى حبس فيها ونزعت منه العمامة والحزام وهما علامتا الشرف والنسبة. واخذوه مع سيد حسين كاتب وحيه إلى غرفة اخرى أعدت لحبسه وكانت هى نذير الساعة الاخيرة التى كان دائما يتمناها. وقد ظهر فى مدينة تبريز فى ذلك اليوم هياج واضطراب شديد وجاءت الطامة الكبرى التى تظهر يوم القيامة حسب اعتقاد الناس فلم تشهد تلك المدينة مطلقا يوماً عبوساً قمطريرا أخذ فيه الاضطراب جميع الأهالى مثل ذلك اليوم الذى أحضر فيه الباب إلى مكان استشهاده واذ اقترب الباب من ساحة المعسكر ظهر فجأة شاب اخترق الزحام مقتحما كل الصعاب والمخاطر التى تواجه مثل هذا العمل وكان وجهه شاحباً وهو حافى القدمين واشعث الشعر واذ كان ينهج من التعب وهو منتهك القوى رمى نفسه على أقدام الباب وأمسك بطرف ردائه وتضرع اليه بحرقة قائلا (لاتبعدني عنك ياسيدى أينما ذهبت فاجعلنى أتبعك .) فقال له الباب يا محمد على قم وتأكد أنك ستكون معى وغداً ستشاهد مايقضي به الله . وكذلك هجم اثنان من الاتباع واكدا اليه طاعتهما وتعلقهما به فقبض على هذين الشخصين ومعهما محمد على الزنوزى ووضع الجميع فى غرفة واحدة مع الباب والسيد حسين

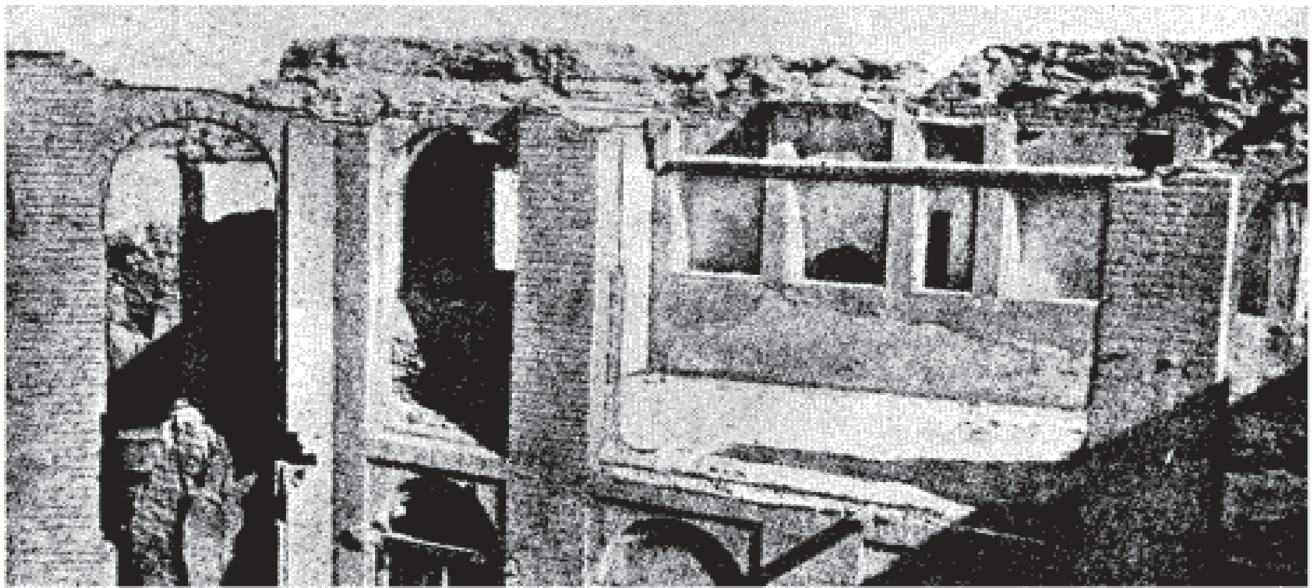
وسمعت السيد حسين يقرر الآتى (فى تلك الليلة اضاء وجه الباب فرحا وتهلل سرورا لم يشاهد عليه من قبل . وكان يتكلم معنا بالفرح والانبساط غير مبال بالعاصفة التى اثيرت حوله . واختفى الحزن الذى كان يثقل عليه ويظهر أن اثقاله قد ذابت أمام اليقين بالنصر الآتى . وقال لنا (باكر سيكون يوم استشهادى فمن منكم يقوم الآن وبيديه ينهى حياتى فانى افضل أن اذبح بيد حبيب بدلا من العدو . فانهمرت الدموع من اعيننا عندما سمعنا ذلك الطلب وكنا نجفل من فكرة انهاء حياة ثمينة مثل حياته بأيدينا وامتنعنا وبقينا ساكتين. ولكن ميرزا محمد على قام فجأة وأعلن استعداده باطاعة كل مايأمر به الباب . فقمنا وأجبرناه على الامتناع من تنفيذ ذلك فقال الباب (ان هذ الشاب الذى قام لينفذ مشيئتى سوف يحصل معى على الشهادة وهو الذى أختاره ليشاركنى فى فخر لبس تاج الشهادة)

وفى الصباح المبكر أمر مرزا حسن خان أن يأتى الفراش باشى بالباب ويحضره أمام كبار

مجتهدى المدينة ويحصل منهم على الحكم بالاعدام (١) ولما شرع الباب فى مغادرة المعسكر ساله السيد حسين ماذا يعمل . فنصحه قائلا . (لاتظهر ايمانك حتى يمكنك فى الوقت المعلوم أن تخبر الذين خصصوا لسماع الأمور التى لايعرفها أحد سواك) وكان السيد حسين مشتغلا بمحادثة سرية معه إذ جاء (الفراش باشى) لأخذه وقطع عليهم الحديث وأمسك السيدحسين من يده وسحبه جانبا وأخذ فى توبيخه فاشار الباب إلى (الفراش باشى) وحذره قائلا (إلى أن أكون قد أتممت كل ماأريد أن أقوله للسيدحسين لآخر كلمة لاتقدر أى قوة أرضية ان تمنعنى من ذلك ولو اجتمع العالم كله كجيش واحد حولى لن يقدر أن يمنعنى من اتمام ما اقصده من الاقوال إلى آخر كلمة) فدهش الفراش باشي من مثل هذا التحدى الجرىء ولم يرد الجواب بل أمر السيد حسين أن يقوم ويتبعه منصرفا ولما أدخل الميرزا محمدعلى أمام مجمع المجتهدين الحوا عليه بالنسبة لمقام نسبه للسيدعلى الزنوزى صهره أن يرتد عن ايمانه فصاح قائلا (لايمكن ابداً أن أرفض سيدى . فهو جوهر ايمانى وهو مقصود عبادتى الحقة وفيه وجدت جنتى وفى اتباع شريعته استدللت على سفينة نجاتي) فأرعد الملا محمد مامقانى قائلا له (اسكت إن مثل هذه الكلمات تدل على جنونك وإنى أغفر لك هذه الكلمات التى لست مسئولا عنها) . فأجابه قائلا (لست مجنونا ان مثل هذه التهمة أولى بها من حكم بالقتل على من لايقل قداسة عن القائم الموعود . فليس مجنونا من يتبع

(١) وفى الصباح وفى وضح النهار فتح رجال حمزة مرزا أبواب السجن وأخرجوا الباب ومعه تلميذاه وتأكدوا من أن السلاسل التى كانت على رقبته وأيديه سليمة وزادوا عليها طوقا حديديا لكل واحد وربطوا فيه حبلا طويلا يمسك طرفه أحد الفراشين لكى يتسنى لكل شخص رؤيتهم وساروا بهم فى المدينة وهم يؤذونهم . فامتلأت الشوارع بالناس وأخذوا يزحمون أكتاف بعضهم البعض لرؤية الرجل الذى كثر حوله الكلام وانتشرت البابية وأنصاف البابية من كل الجهات وأفرغوا الجهد فى اظهار شعور الاخلاص لسيدهم . وكان المحايدون والفلاسفة والشيخية والصوفية تسللوا من الموكب مشمئزين ورجعوا الى منازلهم أو وقفوا على أركان الشوارع يتأملون بتعجب وسكون وأما الغوغاء من العامة فكانوا يصيحون ويضجون ويعاملون الشهداء الثلاثة بغاية الغلظة ولكنهم كانوا مستعدين لتغيير رأيهم عند سنوح الفرصة اذا سمعوا احساسا مخالفا من بعض الناس . وأخيراً كان المسلمون ورؤساء ذلك اليوم واجترأوا على تعذيب المسجونين وكانوا يخوضون غمار نطاق الحراس ليضربوهم على وجوههم وعلى رؤوسهم واذا رمى طفل قطعة زجاج فأصابت الباب أو أحد أصحابه فى وجوههم كان الحراس والغوغاء يضحكون ويقهقهون (كتاب الأديان والفلسفة آسيا الوسطى الكويت جوبينو صحيفة ٢٢٠)

دينه ويشتاق أن يسفك دمه فى طريقه) ثم احضر الباب أمام الملامحمد المامقانى . وما كاد يعرف انه الباب حتى أعطى حكم الاعدام الذى سبق ان كتبه وسلمه لخادمه ليعطيه للفراش باشى وصـــاح قائلا (لاحاجة لاحضار السيد الباب أمامى . فان حكم الاعدام كتبته بيدى منذ أول يوم قابلته فى الاجتماع الذى كان تحت رياسة ولى العهد . فهو بكل تأكيد نفس الرجل الذى رأيته هناك ولم يتنازل منذ ذلك الوقت عن أي شيء من ادعاآته .)



خرائب منزل الملا محمد مامقانى مجتهد تبريز

ومن هناك ساروا بالباب إلى منزل ميرزا باقر بن ميرزا أحمد الذى خلفه ولما وصلوا وجدوا خادمه واقفا على الباب ومعه فى يده حكم الاعدام وقال لهم لاداعي للدخول فان سيدى قد اقتنع بالحكم الذى أصدره والده بالاعدام وهو لايقدر أن يعمل شيئاً احسن من الموافقة عليه .

واقتفى الملا قلى مرتضى أثر المجتهدين الآخرين وسبق أن كتب موافقته ولم يقبل أن يقابل الباب مواجهة . وما كاد الفراش باشى يحصل على الاحكام المذكورة حتى اسلم المسجون إلى يد سام خان وأمره أن يتقدم للتنفيذ حيث تحصل على حكم السلطات المدنية والدينية فى المملكة .

وكان السيد حسين قد مكث محبوساً فى نفس الغرفة التى صرف فيها الليلة السابقة مع الباب وكانوا قد رأوا وضع ميرزا محمد على فى نفس الغرفة فانهمرت عيونه بالبكاء وطلب

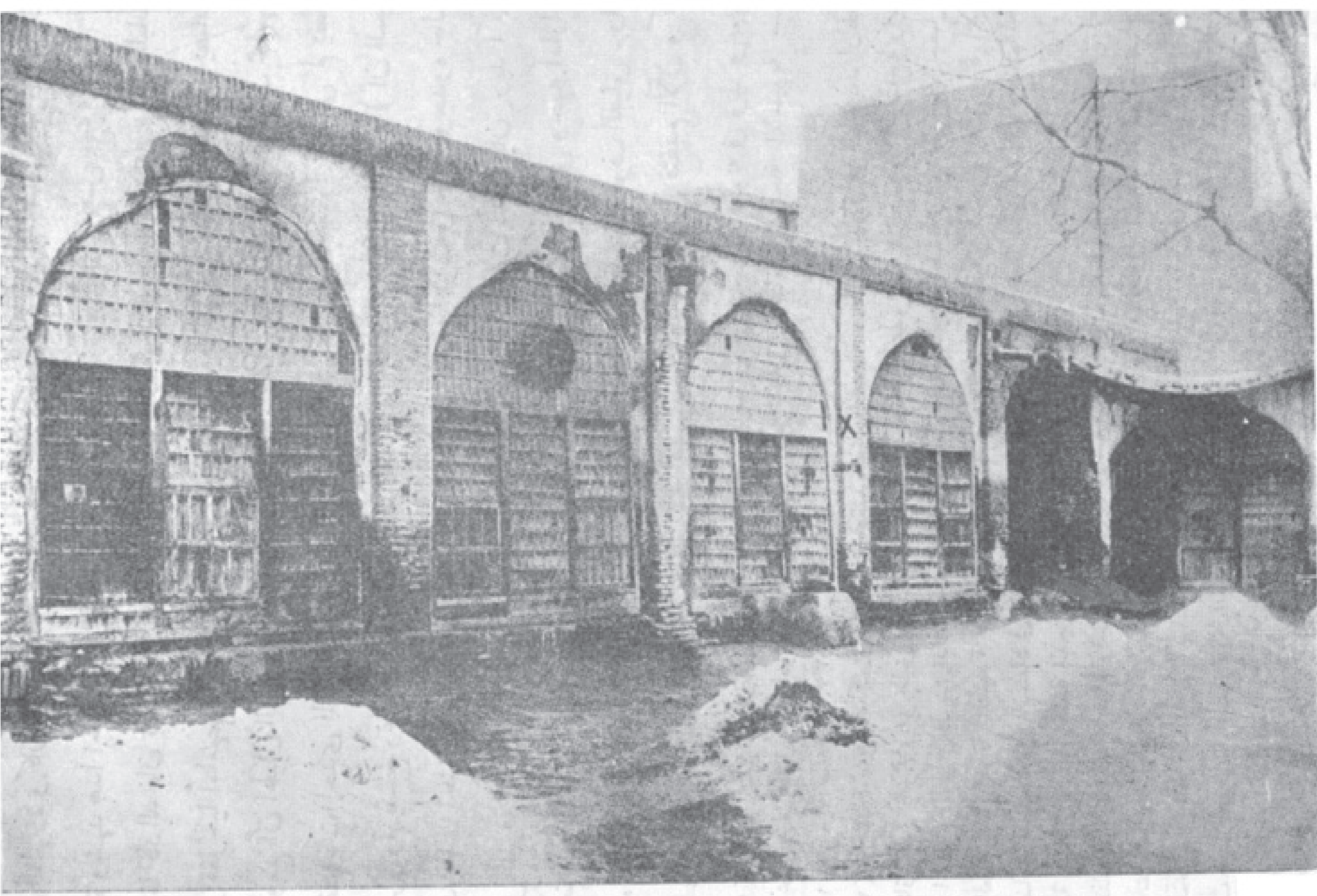
أن يبقى مع سيده فسلّموه إلى سام خان وأمروه أن ينفذ فيه الحكم أيضا إذا أصر على عدم ارتداده عن دينه .

وكان سام خان فى الاثناء قد تأثر جداً من حسن سلوك المسجون ومن المعاملة التى عومل بها . وإذ خشى أن يكون عمله جالبا لغضب الله قال للباب (انى أعتنق الديانة المسيحية ولا أحمل لك أى ضغينة فاذا كان أمرك الحق فمكنني من عدم سفك دمك وتخليص نفسى . فقال له الباب (اتبع التعليمات التى أعطيت لك وإذا كان مقصدك صادقا فان القدير يمكنك أن تتخلص من اضطرابك) .

وكان سام خان قد أمر أن يدق مسمار فى العمود الذى يفصل باب الغرفة التى يشغلها سيد حسين عن مدخل الغرفة المجاورة وأن يربط حبلان فى هذا المسمار ويعلق الباب وصاحبه كل واحد فى حبل مفترقين (١) فرجا ميرزا محمد على من سام خان أن يوضع بطريقة يكون جسمه درعا لجسم الباب (٢) . فعلق أخيراً على هذه الكيفية بحيث كانت رأسه على صدر سيده وبمجرد ربطهما اصطف الفيلق ثلاث صفوف وكل صف عبارة عن مائتين وخمسين رجلا وأمر كل صف أن يطلق الرصاص بدوره إلى أن يتم اطلاق جميع رصاص

(١) وكان الباب ملازما للسكوت وكان وجهه الجميل الباهت يعلو لحية سوداء وشاربا صغيرا وهيئته وأحواله الممتازة ويداه البيضاوتان الرقيقتان وملابسه البسيطة البالغة فى النظافة الغاية القصوى جميع ذلك اوجب فى قلوب الناظرين الرحمة والثقة (من المجلة الاسوية سنة ١٨٦٦ جزء ٧ صحيفة ٣٧٨)

(٢) والبرهان على صدق وثبات هذا الرجل الشريف ظاهر من خطاب أرسله بخط يده الشريفة الى أخيه قبل شهادته بثلاث أيام أو يومين من السجن والخطاب فى حوزة أخ المذكور المدعو ملا عبد الله من أهالى تبريز وكان ذلك ردا على خطاب الأخ المذكور الذى طلب منه فيه الرجوع عن الاخلاص لهذا الامر الذى سببه له السجن الذى هو فيه . وفى هذا الخطاب يبسط الشهيد أوجه عذره . ولما كان هو الأخ الأصغر لذلك حرر الخطاب بالاحترام اللازم وكان مضمون الخطاب كالآتى (هو الرحيم) يا من هو قبلتى أحمد الله انى لم أجد خطأ فى أمورى ولكل مجتهد نصيب . أما ما كتبت لى بأن هذا الأمر ليس له آخر فأى أمر اذا يكون له آخر وانا لم نأسف لوقوعه بل حقا انا عاجزون عن شكر هذه النعمة . وأقصى ما فى الأمر هو أن أذبح فى سبيل الله . فوافرحى لذلك وان ارادة الله نافذة فى عبيده ولن تقدر التدابير أن تمنع المقدور . فما أراده الله يكون ولا حول ولا قوة إلا بالله . فياعزيزى ان نهاية هذه الحياة الموت كل نفس ذائقة الموت . فاذا شاء الله ونفذ المقدور الذى أراده جل وعلا لأجلى فالله خليفتى على أسرتى وانك تكون وصيا عليهم وتعمل معهم بما يرضى الله . فسامحنى اذا قصرت فى واجب الاحترام أو الحقوق نحو أخ أكبر واطلب لى الغفران من جميع أهل المنزل واتركنى لحراسة الله . فهو نصيبى وهو خير الحافظين (من التاريخ الجديد صحيفة ٣٠١ ـ ٣٠٢)



ميدان العسكر فى تبريز محل اشتشهاد الباب والعمود الذى على اليمين المعلم بعلامة X هو المكان الذى علق فيه وأطلق عليه الرصاص

الفيلق (١) فارتفع دخان الرصاص من سبعمايه وخمسين بندقية وامتلأ الجو بالدخان حتى أظلمت الظهيرة وكان الناس قد اجتمعوا فى كل مكان حتى على أسقف المعسكر والمنازل المجاورة وشهد هذا الحادث المحزن المؤثر ما يقرب من عشرة آلاف نفس .

وما كاد الدخان ينقشع حتى دهش الجمهور إذ رأى لفرط تعجبه ان صاحب ورفيق الباب كان واقفا حيا أمامهم ولم يصب بأى ضرر وأما الباب فاختفى من أمامهم بغير أن يصاب بأذى ومع أن الحبال التى ربطا بها تقطعت إربا فانهما لم يصابا بأى ضرر وكانت نجاتهما من المقذوفات إحدى المعجزات (٢) وحتى الرداء الذى كان يلبسه مرزا محمد على لم يصبه أى ضرر ولم يتسخ رغم تكاثف الدخان . وصاحت الجماهير المحتشدة بانزعاج (ان السيد على محمد الباب اختفى) . وجعلوا يبحثون عنه وهم فى ذعر وكرب وأخيراً وجدوه جالسا فى نفس الغرفة التى كان فيها الليلة الماضية مشغولا باكمال الحديث الذى كان يريد اكماله والافاضة به للسيد حسين حينما قطعه عليهم الفراش باشى . وكانت تظهر على وجهه أمارات الهدوء والسكينة وكان جسمه قد بقى سليما من الرصاص الذى قذفته صفوف الفيلق . وقال الباب إذ ذاك للفراش باشى (ان حديثى مع السيد حسين قد انتهى فتقدم الآن وكمل

(١) وفى ايران عند ما ينفذ حكم الاعدام باطلاق الرصاص على شخص يربطونه فى وتد ويجعلون ظهره نحو جهة اطلاق الرصاص حتى لا يري علامة الأمر باطلاق الرصاص (المجلة الاسيوية سنة ١٨٦٦ الجزء ٧ صحيفة ٣٧٧)

(٢) فارتفعت ضوضاء كبيرة من الجموع المحتشدة فى تلك اللحظة . ذلك لأنهم رأوا الباب بعد أن خلص من الوثاق تقدم نحوهم وهو طليق فأخذ القوم دهشة عميقة لأنهم علموا أنه لم يصب ولا برصاصة واحدة مع ان الحبائل الذى ربط بها قد تقطعت فكانت هذه الحادثة معجزة حقيقية والله يعلم ماذا حصل فى نفس العسكر من الفرقة المسيحية من التأثر والصداقة . وكان العسكر لأجل اخماد ثورة الجمهور وضوضائهم قد استعدوا للاعتقاد فى صحة الدين الذى يظهر منه مثل هذه الآيات فأظهروا لهم الحبال المتقطعة للدلالة على عدم صحة المعجزة . وفى الوقت نفسه قبضوا على الباب وربطوه مرة أخرى فى الوثاق وفى هذه المرة حصل الاعدام واستعادوا للعدالة الاسلامية والقانون الديني حقوقها . ولكن العوام الذين شاهدوا هذا المنظر بأعينهم رجعوا الى بيوتهم يبكون وهم معتقدون أن الباب غير مذنب . ولم يكن خطؤه فى نظر العموم إلا بالنسبة لرجال الدين وان العالم منغمس فى جرائم لا يفهمها (من كتاب المستر هوارت المسمي ديانة الباب صحيفة ٣ — ٤) ووقعت حادثة من الغرابة بمكان وهى فريدة في تاريخ الحوادث . وهى أن الرصاص قطع الحبال الموثق بهـا ووقع الباب على قدميه بدون أن يصاب بأى خدش (من كتاب نقولاس السيد على محمد الباب صحيفة ٣٧٥) وباعجوبة خارقة للعادة لم تمس الرصاص سوى الحبال والتي كان الباب موثقـا بها فتفتتت وأصبح طليقا وكانت ضجة كبيرة وصياح من جميع الجهات وما كان يعلم أولا سببها (نفس الكتاب صحيفة ٣٧٩)

مقصدك فتردد الرجل فى تنفيذ ما سبق له الاجتهاد فى عمله ورفض أن يؤدى واجبه وفى تلك اللحظة ترك المكان واستعفى من عمله وأخبر بكل ما رآه أحد جيرانه المدعو ميرزا سيد محسن من أعيان تبريز الذى بمجرد سماعه للرواية آمن بالأمر .

وكان لى الحظ أن أقابل فيما بعد الميرزا سيد محسن هذا وقد أرشدنى إلى مكان استشهاد الباب ودلنى على الحائط التى علق عليها . وأخذني إلى الغرفة التي كان يتحدث فيها مع السيد حسين وأرانى المكان الذى كان جالساً فيه .ورأيت المسمار نفسه الذى ربط به الحبل الذى أوثق به بيد الاعداء .

وكان سام خان أيضا قد صعق من حصول الحادثة على هذه الكيفية ومن قوة الأمر المخيفة . فأمر رجاله أن يتركوا المعسكر فى الحال وامتنع أن يتداخل هو أو فيلقه فى أى عمل يحصل منه أي ضرر للباب . وحلف وهو يترك الساحة أنه لا يعود مرة أخري لهذا العمل ولو حكموا عليه بالاعدام

وما كاد سام خان يمتنع عن العمل حتى تقدم آقا جان خان خمسه ضابط الحرس الذى يسمى بالخمسه والناصرى وتطوع لتنفيذ الأمر . فعلق الباب وصاحبه مرة أخرى بنفس الكيفية السابقة وعلى نفس الحائط وأصطف الفيلق صفوفا وأستعدوا لاطلاق النار عليهما وعلى العكس من المرة الأولى التى قطعت فيها الأحبال فقط تمزق الجسدان إربا واختلطا كتلة واحدة لحماً وعظما (١) . وكانت آخر كلمات الباب للجماهير المحتشدة حينما كان الجيش على شفا إطلاق الرصاص : « أيها الجيل الملتو لو آمنتم بى لأصبح كل واحد منكم مثل هذا الشاب الذي هو فى درجة أعلى منكم يضحى بنفسه فى سبيلى . وسيأتي اليوم الذى سوف تعترفون بي فيه وفى ذلك اليوم لا أكون معكم (٢) .

(١) ورد فى مقالة سائح (صحيفة ٤٥) أن صدور الشهيدين تمزقت وتقطعت أعضاؤهما تماما عدا وجههما لم يتأثر إلا قليلا .

(٢) الحمد الله الذى أظهر النقطة « الباب » وأنشأ منها علم ماكان وما يكون ... وخلق منها بحور النور لعباده المخلصين وكرة النار للكافرين من عباده والفاسقين من خلقه . (إشراقات لبهاء الله مترجما صحيفة ٣) وفى تفسير الهاء تمنى الشهادة لنفسه قائلا « كأنما سمعت مناديا ينادى فى سرى أفدى أحب الاشياء اليك كما فدى الحسين عليه السلام نفسه فى سبيلي ولولا كنت ناظراً بذلك السر الواقع فوالذى نفسى بيده لو اجتمع ملوك الارض لن يقدروا أن ياخذوا منى حرفا فكيف العبيد الذين ليس لهم شان بذلك وأنهم مطرودون ... ليعلم الكل مقام صبري ورضائى وفدائي فى سبيل الله « كتاب الايقان صحيفة ١٩٥ طبعة انجليزية مترجما » وقد صدر من الباب الرب الاعلى روح ما سواه فداه توقيع خاص بالعلماء فى كل مدينة ذكر فيه مراتب اعراض واغماض كل منهم مفصلا فاعتبروا يا أولى الابصار (نفس الكتاب صحيفة ١٩٣) . وكان هذا الجناب المحترم قد قام بقوة زلزلت أركان وشرائع وآداب وأحوال

وفى نفس اللحظة التى أطلق فيها الرصاص جاءت زوبعة شديدة غير عادية وانتشرت فى كل أنحاء المدينة . وهبت زعازع ترابية كثيفة مخيفة وحجبت نور الشمس وحجبت

وأخلاق ورسوم إيران ومهد للشريعة والدين والدعوة الجديدة . ومع أن جميع أرباب الدولة وعموم الملة ورؤساء الدين قاموا على محوه وإعدامه فانه قام فريداً وحرك إيران بأجمعها ... وأثر تأثيراً عجيبا فى أفكار وأخلاق وأطوار وأحوال الايرانيين (مفاوضات عبد البهاء صحيفة ٣٠ طبعه فارسية) وكان المسيحيون يعتقدون إنه لو أراد أن ينزل السيد المسيح حيا من الصليب لفعل وأن موته كان برضائه وليتم النبوات . وكذلك كان الحال للباب كما يقول البابيون . فقد توفى برضائه لأن بموته نجاة الانسانية . فمن ذا الذى يحكى لنا الكلمات التى قالها الباب وسط الضوضاء ومن يعرف ذلك التذكار الذى حرك روحه الطيبة ومن الذى يعرف أسرار وفاته ... وكانت الشناعة والقباحة والشرور والاكاذيب الصادرة من علماء الدين قد أثارت روحه الطاهرة التقية فشعر بضرورة إصلاح عميق فى الاخلاق العامة . وكم من مرة استوقفه الأمل فى تلك الثورة التى حركته لأنقاذ الاحباء من نير التوحش والمشاق التى أثقلت كاهل جميع أهالى إيران لمنفعة طائفة من المترفين ... والمتمتعين مع ما وصموا به دين الرسول من العار والخزى فزاد تحيره واشتد كربه . وكان يلزمه الثلاث معادن التى تكلم عنها هوريس لاجل أن يغمس رأسه فى بحر من الاوهام والضغائن التى كان عليه أن يتحملها حتى الموت . وهذا مثال من أمثلة الشجاعة المجيدة الذى أعطاها للانسانية ليتأملوها وهذا برهان عظيم على المحبة التى جلبها هؤلاء الابطال إلى مواطنيهم . فانهم ضحوا بأنفسهم لأجل الانسانية . ولها أسلموا أجسامهم وأرواحهم وتحملوا الآلام والتعذيب والحرمان والاستشهاد . وختموا على معاهدة الاخوة العامة بدمائهم كعيسى وفدوا حياتهم لأعلان حكم الصلح والسلام والعدالة ومحبة الجميع وكانوا يعرفون أكثر من غيرهم تلك الاخطار التى هددتهم والتى تتابعت على رؤوسهم . ويعلمون يقينا بذلك الغيظ والحنق الذى يستوجبه التعصب كما هو منتظر . ولكن جميع هذه الأمور المنتظرة لم تثنهم عن السير فى الطريق الذى اعتزموا السير فيه رغما عن ذلك ولم يكن للخوف أى تأثير على قلوبهم ودخلوا فى ذلك الاتون المتقد وهم على غاية من السكون وبدون أن يلتفتوا إلى الوراء وهم متمالكون لأنفسهم (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٠٣ — ٢٠٤ ، ٣٧٦) . وإذ توفى رئيس الديانة الجديدة . وتبعا لحساب الميرزا تقى خان الرئيس الوزير استتب الأمن فى الارواح المنزعجة على الأقل ولكن الحكمة السياسية كانت فى هذه الدفعة مخطئة فبدلا من إطفاء النيران زاد اشتعالها بشدة . فاذا رجعنا إلى الاحكام التى أتى بها الباب نرى أن دوام الطائفة واستمرار وجودها لا يتوقف على وجوده بل العكس مازالت مستمرة فى طريقها وآخذة فى الزيادة ولو كان الوزير الرئيس يعلم هذه النقطة الأساسية فى دين عدوه كان من الجائز أنه لا يتعجل فى اهلاك الرجل الذى لا يهم وجوده من عدمه (كتاب الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى للكونت جوبينو صحيفة ٢٢٤ — ٢٢٥) . وكان النبى المذكور هو الباب ونحن نسميه نبيا لأننا لا نجد كلمة أصلح . لعمر الحق أقول لكم أنه نبى وأكبر من نبى . فجمعه بين الحلم والقوة والقدرة أمر نادر بين البشر فلذلك كان علينا أن نضعه فى صف الذين هم فوق البشر العادى فقد عرفنا أنه فى كثير من أوقات حياته وبينما هو فى شدة الغضب والتأثر كان يلمع من وجهه بشعاع القوة والجلالة حتى أنه

عيون الناس حتى لم تر شيئاً . وبقيت المدينة فى ظلام حالك من الظهر إلى الليل . وكان هذا الحادث العجيب الذى أعقب حادثة عجز كتيبة سام خان عن إيصال الضرر بالباب لم يحرك قلوب أهالى تبريز ليجعلهم ينتبهون أو يعتبرون لما شاهدوه بأعينهم من تلك المعجزة العجيبة وما شاهدوه من التأثير العظيم الذى حصل لسام خان من جرائه وما رأوه من انصماق الفراش باشي وتصميمه النهائى الذى لارجوع فيه . وكان يمكنهم أيضاً أن يفحصوا ذلك الرداء

لا يقدر أحد أن ينظر إلي وجهه وإلي لمحات الجلال والضياء الساطع منه . وحتي أنه لم يكن من الحوادث النادرة إن كثيراً من الذين لم يكونوا مصدقين كانوا ينحنون أمامه عند ما يرونه بينما الساكنون فى القلعة كانوا يركعون أمامه كلما رأوا وجه قداسته . ومثل هذا التغيير فى الصورة معروف عند الاولياء فكان ذلك بمثابة وضع الختم الالهى على حقيقة وطهارة وانقطاع الباب (اتحاد الاديان والاقوام لدكتور جين صحيفة ٩٠٨) . فمن ذا الذى لم يكن لينجذب من لطف وظرف روح الميرزا على محمد . فكانت حياته المملوءة بالأحزان وطهارة خلقه وشبابه الغض وشجاعته وصبره المتناهى فى المصائب والآلام وإنكاره للذات إنكاراً باتا واعتقاده بامكان تحقق نظام جديد تبعا للاقوال والاحكام التى تنبأ بها فى البيان كل ذلك يجعلنا نسجل عطفنا على نبي شيراز خصوصا ماساة وفاته أكثر من كل شيء وأستمر تأثير سحر بيانه على العقول بعد وفاته (من مقالة للبرفسور براون عنوانها البابيون فى إيران . منشورة فى المجلة الاسيوية الملوكية سنة ١٨٨٩ صحيفة ٩٣٣) وكان القليل يعتقد أن الاحكام البابية تتعطل من أثر هذه الاجراءات الدموية فهناك فى إيران حركة تجديد تحفظ طريقته فضلا عن أن أحكامه جاذبة للطبائع الايرانية وموافقة لها . وأنهم ولو كانوا قد غلبوا ومكثوا فى البلاد مختفين فانه من الموثوق به أن أحكام دين الباب فضلا عن عدم امكان محوها فانها أخذت فى الزيادة يوما فيوم (كتاب لمحات عن الحياة والاخلاق فى إيران للادى شيل صحيفة ١٨١)

ان حكاية الباب كما يسمي نفسه المرزا على محمد هي حكاية الشجاعة الروحية التي لا يصل اليها سوابهوا وروحـــه المفعمة بالحوادث قد اشتعلت بها فان شابا ليس من هيئة اجتماعية كبرى ولا هو متعلم وتنوره الباطني يخترق حقائق الأمور ويتعرف الحق ويتمسك به بثبات ويقين ثم يظهره للناس باقناع تام وبواسـطته يقنع النـاس أنه هو المسيح ويجعلهم يتبعونه حتى سـاعة الموت ان ذلك من أعجب الوقائع فى تاريخ البشرية حتى ان (سوابهاوا) كان يجب أن يتأمل فيها . فكانت صداقة الباب لا يتطرق اليها الشك لأنه سلم بروحه لأجل معتقده . ولابد وأن يكون فى دعوة أمره قد أقنع أرواح أتباعه حتي ضحى آلاف من الناس أرواحهم لأجله وتبعه الآن فى دينه الملايين منهم . واذا كان شاب تمـكن فى أثناء ستة سنوات بنبالة مقصده وجاذبية شخصيته أن يوحى الى الناس من مختلف الأوساط من فقراء وأغنياء ومتعلمين وغير متعلمين على السواء بالاعتقاد فى نفسه وفى أحكامه حتى انهم يكونون ثابتين فى دينهم رغما عن انهم مضطهدون ويحكم عليهم بالاعدام دون أى تحقيق أو اجراآت ويخنقون وينشرون ويطلق عليهم الرصاص ويضربون بالمدافع . واذا كان يتبعه عدد غفير من أرباب المناصب العالية فى ايران وتركيا ومصر وهم ثابتون على عقيدتهم فان حياته تعد من الوقائع العجيبة التي حصلت فى المائة سنة الفارطة والتى تستحق النظر والدراسة (كتاب اللمحة للسير فرانسيس ينجهاسباند صحيفة ١٨٣ ــ ١٨٤)

الذى بقى سليما رغم إطلاق مئات الرصاص عليه ولم يتلوث بأى غبار وكانوا يقدرون أن يقرأوا فى وجه الباب الذى خرج من هذه العاصفة سليما لم يصب بأقل ضرر ذلك الاطمئنان الكلى والهدوء والسكينة التى أكمل بها حديثه مع السيد حسين وبالعكس من ذلك لم يعبأ أحد منهم أن يبحث فى دلالة كل هذه العلامات والاشارات

وقد وقع استشهاد الباب فى يوم الأحد ظهراً فى الثامن والعشرين من شهر شعبان



صورة الخندق الذى أحاط تبريز والذى طرحت فيه جثة الباب

سنة ١٢٦٦ هجرية[١] وكان عمره إذ ذاك إحدى وثلاثين سنة قمرية وسبعة أشهر وسبعة وعشرين يوما من يوم ميلاده فى شيراز .

وفى مساء اليوم نفسه كانت جثتا الباب وصاحبه المختلطتان قد نقلتا من ساحة المعسكر إلى حرف الخندق خارج باب المدينة وكان يحرسهما أربع فرق كل واحدة مكونة من عشرة

وهكذا لما بلغ الثلاثين من العمر أى سنة ١٨٥٠ أتم رجل الله دوره الباسل . وأما صدق اعتقاده بانه معين من الله فان طريقة موته أعظم برهان على ذلك فانه ضحى بحياته فى سبيل الاعتقاد بانه بذلك يخلص الكثيرين من خطأ اعتقادهم الحالى . وأما قوة انجذاب الناس لدعوته واخلاص المئات بل الآلاف من الرجال الذين فدوا حياتهم لاجل أمره فاكبر برهان مقنع عليه (نفس الكتاب صحيفة ٢١٠)

وقد توفى الباب لا البابية . فلم يكن هو الاول ولا الآخر فى سلسلة شهداء أثبتوا انه فى مملكة كايران التى استولت عليها غرغرينة الفساد وانهزلت بداء عدم المبالاة والا كتراث أن دم الحياة لا يزال نباضا بالحياة فيها ولو انها لايساعدها شيء من الاشياء . (المسالة الشرقية الوسطى لوالنتين شيرول صحيفة ١٢٠)

(١) ٩ يوليه سنة ١٨٥٠ ميلادية

حراس بالتناوب وفى صبيحة اليوم التالى للاستشهاد ذهب قنصل روسيا فى تبريز ومعه رسام وعمل صورة لبقايا الجسدين الموجودة فى الخندق (١) بوضعها الطبيعى

وسمعت الحاج على أصغر يحكى الآتى : ان موظفا فى السفارة الروسية أطلعنى على الصورة فى ذات اليوم الذى أخـــذت فيه وكانت صورة حقيقية للباب تمثل هيئته تماما كما كنا ننظر اليها. ولم يصب الوجه بأى رصاصة ولا الجبهة ولا الخد ولا الشفتان . وشاهدت فى وجهه ابتسـامة كانت لاتزال باقية على وجهه أما جسمه فقـد تقطع إربا وشاهدت ذراعى ورأس صاحبه ويظهر أنه كان يحتضنه. ولما نظرت إلى هذه الصورة المشوهة ورأيت كيف أن هذه الملامح الشريفة قد تغـــيرت انقطع نياط قلبى داخلى من شدة انزعاجى ولم أتمالك النظر من شدة الحزن وعدت إلى منزلى وأغلقت على نفسى باب الغرفة ومكثت ثلاث أيام لاأشتهى الأكل ولا النوم وصرت مستغرقا فى حزنى وبلائى ومكثت اتفكر فى حياته القصيرة الممتلئة بالاوجاع والمتاعب والأحزان والنفى والتى انتهت أخيرا بذلك الاستشهاد المخيف الذى تتوج به وكانت هذه المناظر تترددفى خيالى وأمام عينى إذ كنت منطرحا على الفراش أئن من الآلام والأوجاع . وفى عصر اليوم التالى بعد استشهاد الباب وصل الحاجى سليمان خان بن يحيي خان الى باغ ميشى وهى ضاحية من ضواحى تبريز ونزل ضيفاً على كلانتر أحد أصدقائه وموضع ثقته وكان درويشا متعلقا بالطائفة الصوفية وما كاد يعـــلم بالخطر المحدق بحياة الباب حتى ترك طهران بقصـــد تخليصه . ولما أخبره مضيفه بالاحوال والحوادث التى وقعت على البـــاب والحكم عليه واستشهاده عزم حالا أن يحمل الجثتين ولو كلفه ذلك ضياع حياته . فنصحه الـكلانتر ان ينتظر

(١) يقول الحاجى ميرزا جانى أن امبراطور الروسيا أرسل الى قنصله فى تبريز يامره فيه بان يتحرى الامر ويرسل بيانا عن أحوال قداسة الباب . وبمجرد وصول هذه الاخبار أمرت السلطة الايرانية بقتل الباب فدعا قنصل الروس الاقا السيد محمد حسين كاتب وحى الباب الذى كان مسجونا فى تبريز الى حضوره وساله عن علامات وأحوال جناب الباب . ولانه كان يوجد مسلمون فى المجلس لم يتمكن الاقا سيد حسين أن يتكلم بالصراحة التامة بخصوص مولاه ولـكنه لمح باشارات عن بعض المسائل وأعطاه كتابا من كتب الباب وقد روى هذه الرواية المدعو (دورن) فى وصف كتاب من كتب الباب وهو احدى تفاسيره علي الاسماء الحسنى ويسميه (قرآن البابية) وذلك مما يعزز تلك الرواية فهو يقول فى صحيفة ٢٤٨ من الجزء الثامن من مجـلة الاكاديمية الملـكية للعـلوم فى سان بطرسـبرج أن ذلك الـكتاب أخـذ من يد سكرتير الباب الخاص الذى سلمه الى أيدى الاوروبيين . (من كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٣٩٥ ـ ٣٩٦)

ويعمل برأيه بدلا من تعريض نفسه إلى قتل محقق . وطلب منه أن ينقل اقامته إلى منزل آخر وينتظر هـذا المساء وصول الحاجي الله يار وهو يقبل أن ينفذ كل ما يطلب منه . وفى الساعة المعينة حضر الحاجي الله يار وقابله الحاجى سليمان خان ونجح الأول فى منتصف الليلة نفسها فى نقل الجثتين من طرف الخندق إلى معمل حرير ملك أحد أحباء ميلان ووضعهما ثانى يوم فى صندوق خشبي عمل خصيصا لهذا الغرض ثم نقله كطلب الحاجي سليمان خان إلى محل آمن . وفى الاثناء أشاع الحراس أن الوحوش أكلت الجثتين وهم نيام تبريراً لموقفهم «١» وكذلك رؤساؤهم اخفوا الحقيقة ليحافظوا على شرفهم ولم يقبلوا أن يظهروا الحقيقة لأرباب السلطة «٢»

وكتب الحاجي سليمان خان بالموضوع إلى بهاء الله الذى كان إذ ذاك فى طهران والذى أمر آقاى كليم أن يوفد رسولا خاصاً إلى تبريز لحمل الجثتين إلى العاصمة . وكان ذلك الأمر بناء على رغبة الباب نفسه كما فى زيارة شاه عبد العظيم وهو لوح نزل بينما كان فى جوار ذلك الضريح وسلمه الباب إلى الميرزا سليمان الكاتب الذى امره فيه أن يتوجه إلى ذلك المكان مع بعض الاحباء ويرتله داخل الضريح . وخاطب الباب ذلك الصديق المدفون هناك فى الفقرات الاخيرة من اللوح بقوله (طوبي لك بما وجدت فى مستقرك ومرقدك فى الري تحت ظلال المحبوب . فواشوق ان ادفن فى هذه الارض المقدسة) (٣)

وكنت فى طهران فى صحبة ميرزا احمد إذ وصلت الجثتان وكان بهاء الله فى هذه الأثناء

(١) أنه تبعـا للعادة المتبعـة من قديم الازمان فى الشرق كما حصـل فى بيت هول كما فى قبر سيدنا وضع حارس ينـام نوما عميقا قريبـا من المكان الذى يحرسـه (من كتاب الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطي للكونت جوبينو صحيفة ١٦٦) . ويمكننـا أن نعرف أثناء هذا التاريخ من هم الحراس الايرانيون . فينحصر عملهم فى النوم قريبا جداً من المكان الذى يقومون على حراسته (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٧٨)

(٢) ويوافق الكونت جوبينو أن مؤلفي كتاب ناسخ التواريخ وكتاب روضة الصفا ومرآة البلدان وكذلك جميع المؤرخين الرسميين قرروا أنه بعد تنفيذ الاعدام طرحت جثة الباب في خندق المدينة وأكلها الكلاب والحقيقة هى بخلاف ذلك وسنرى لماذا ذاعت هذه الاشاعة بمعرفة الموظفين فى تبريز الذين كانوا غير مبالين بتوبيخ الحكومة لهم من مشايعة الفكرة التى دفع ثمنها غاليـا وكذلك بمعرفة البـابيين أنفسهم الذين أرادوا منع الحكومة عن عمل الابحاث بخصوص مكان الجثة . وقد ثبت من الشهادات التى صدرت من نفس ممثلى الرواية حتى لم يبق هناك أى شك فى أن جسد السيد على محمد الباب قد حفظ بالايدى التقية وبحسب الاحوال التى ساحكي عنها وصل إلى مقبرة أمينة لا ثقة به (نفس الكتاب ٣٧٧)

(٣) وكانت طهران قد تزينت بقبر ومشهد شاه عبد العظيم . ويسكن الجدث المطهر تحت قبة

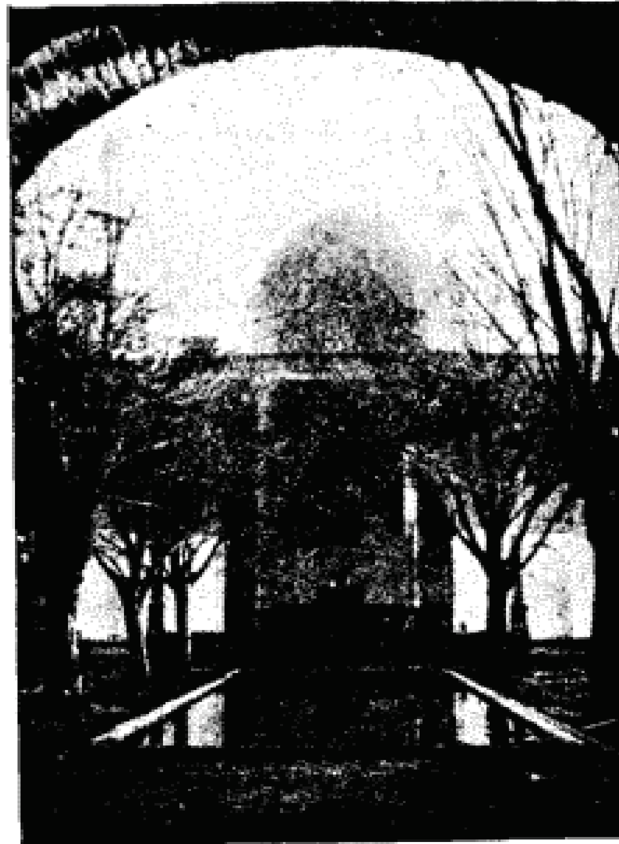
قد سافر إلى كربلاء حسب تعليمات الامير نظام .وكان الاقاى كليم وميرزا احمدقدنقلاالجثتين من إمام زاده حسن وهو (١) المكان الذى كانتا فيه إلى مكان لم يكن معلوما لأى شخص غيرهما.وبقى هذا المكان مجهولا مختفيا إلى أن انتقل بهاءالله إلى ادرنة وهناك أمر الاقا كليم أن يخبر منير أحد الاحباء بالمحل الحقيقى الذى فيه الجثتان . فبحث هـذا الاخير عنهما كثيراً ولم يجدها واخيرا عثرعليهما احدقدماءالاحباء وهوالمدعو جمال الذي كان قد كشف له عن مكانهما المستور إذ كان بهاء الله فى ادرنة . وهذه البقعة هى للآن مختفية وغير معروفة للاحباءولا يعلم المحل الذى سوف تنتقلان اليه .

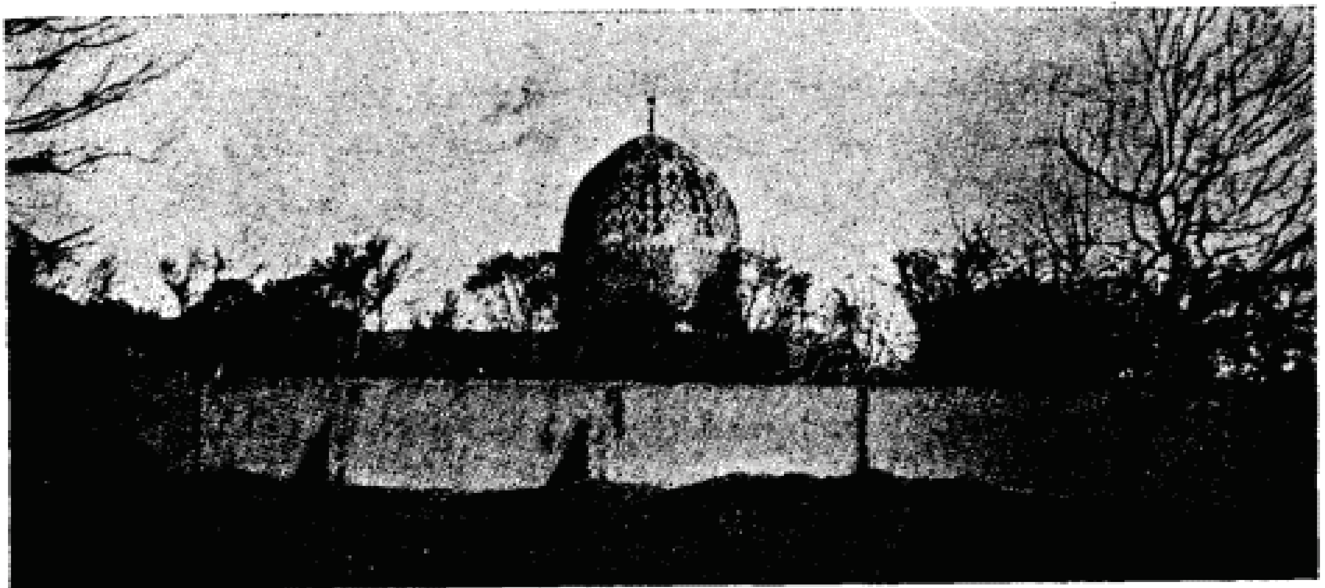
وكان الميرزا آقا خان النورى أول من سمع فى طهران باحوال الاستشهاد القاسى بعد الوزير الاكبر وكان محمد شاه قد نفاه إلى كاشان حينما كان الباب ماراً فى تلك المدينة وكان المرزا آقاخان النورى قدأ كدللحاجى ميرزاجاني الذى بلغه الامر أنه لوكانت المحبة التى يكنها لهذاالأمر تكون سببافى عودته الى وظيفته فانه يبذل جهده فى الحصول على سلامة ورفاهية الفئة المظلومة فاخبر حاجى مرزاجاني مولاه بالأمر فأمره أن يؤكد للوزير المعزول أنه سوف يدعى فى القريب العاجل إلى طهران وينعم عليه الملك بالرتبة والمقام الذى لا يفضله مقام سوى الملك نفسه وحذره من أن ينسى وعده وأن يجتهد فى تنفيذ عهده. ففرح بالرسالة وجدّد العهد الذى أخذه على نفسه. فلما جاءته أخبار استشهاد الباب كان قد ترقى وتلقب بلقب اعتماد الدولة وكان يطمح فى الترقى إلى رتبه رياسة الوزراء فاسرع لأخبار بهاءالله الذى توثقت عرى المودة بينهما بالاخبار التى وصلته واظهر اغتباطه بأن النار التى كان يخشى أن تنزل المصائب المفجعة عليه بسببها

مطلية بالذهب وقد رأيت لمعانها على بعد عند ما اقتربت إلى المدينة ويزور القبر كل سنة ما ينوف عن ٣٠٠ ألف زائر . وقد وجدت أغلب الكتاب يتوهمون بان القبر هو لولى مسلم وأن أتقياء أهل طهران يزورونه . ولكن يظهر أن هذا المكان قبل ظهور الاسلام كان مقدسا ومعروفا بانه قبر امرأة صالحة ذات قداسة عظيمة ولذلك يؤمه للآن أغلب النساء وبعد الاسلام دفن فيه أمامزاده حمزة ابن الامام السابع موسى الكاظم . وفيه هرب شخص ولى اسمه أبو القاسم عبد العظيم من الخليفة المتوكل ومكث مختفيا فى الرى الى أن حانت وفاته فى سنة ١٨٦١ ميلادية (وهذه هى الرواية التى رواها مجلسى مستنداً فيه إلى الشيخ النجاشى والبرق) ومع مرور الازمان زاد صيته على أسم سلفه . وكان الملوك وخاصة الدولة الحاكمة قد زادوا فى عمارته ووسعوها وزينوها . ومن اتساع شهرته بنيت قرية حول القبر المقدس . ومكان المسجد على بعد ٦ أميال إلى الجنوب الشرقى قريبا من خرائب الرى وعلى نهاية قمة الجبل الذى يحيط بسهل طهران فى الجهة الجنوبية الشرقية

(١) هو ضريح محلى فى طهران

قد خمدت أخيراً. فأجابه بهاء الله (ليس الأمر كما تظن بل تأكد أن الشعلة التي أوقدت سوف يزداد لهيبها ويذكو أوارها واصطلاؤها بدرجة أن جميع ساسة هذه البلاد لن يقدروا على اخمادها ولا اطفائها . وكان الميرزا آقا خان قد أدرك فيما بعد صدق هذه العبارات وما كان يظن وقت النطق بها أن الدين الذى ابتلى بمثل هذه الطعنة النجلاء سوف





منظر امام زاده حسن في طهران وهو المكان الذى حفظت فيه جثة الباب

يبق بعد موت رئيسه. وذات مرة ابرأه بهاء الله من مرض أعجز نطس الاطباء حتى انهم قطعوا كل أمل فى الشفاء .

وسأله ابنه نظام الملك ذات يوم هل يظن أن بهاء الله الذى هو من ابناء الوزير المرحوم والذى اظهر كفاءة ممتازة يقبل أن يقتفى أثر والده فى تقلد وظيفته أو إنه أضاع كل الامال التى كانت متوجهة اليه من هذه الناحية فأجابه أبوه قائلا (يابنى هل تظنه ابنا غير لائق بأبيه . الا فاعلم أن كل الامانى انما هى مؤقتة زائلة تنمحى بانتهاء هذه الحياة التى لا تخلو من موانع وعقبات تحول دون تحقيق هذه الاطماع الارضية . فلو قدر لنا النجاح فى هذه الحياة الدنيا فما يدرينا لعل اسماءنا وذكرانا تتدنس باللعنة وتنمحى أعمالنا وتصبح كأنها لم تكن وكأنها لم تغن بالأمس حتى ان الذين يكرموننا بألسنتهم وأفواههم ونحن أحياء يلعنوننا فى قلوبهم لو أننا أهملنا مصلحتهم لحظة واحدة . وليس الحال كذلك مع بهاء الله ، فهو ليس كباقى العظماء فى الأرض من أى جنس أو ملة وانما هو محبوب محترم من الجميع بما لا يقدر الوقت أن يمحوه ولا العدو أن يزيله ولا تحجب سلطته وسطوته ظلال الموت ولا يقوض أركانها لسان الحسود. وأما قوة نفوذه فبدرجة لاتدع أحداً من أحبابه يفكر لحظة واحدة حتى فى أظلم ساعات الليل بأقل رغبة فى مخالفة مراده وأمره ولو باشارة بعيدة . وأحباؤه دائما فى ازدياد . والمحبة التى يسدونها اليه لا تنقص بل تنتقل من جيل الى جيل الى أن ينتشر صيتها فى جميع العالم .)

والتدبير السىء الذى قام به العدو المتوحش للاضرار بالباب والذى أخيراً آل لانهاء حياته قد جلب فى دوره مصاعب لاتحصى على إيران وأهلها وفى وقت قصير الجمهم بها . فالذين اقترفوا هذه المظالم وقعوا فريسة للفواجع المبرحة والذين لم يرفعوا اصبعا واحداً فى الاحتجاج على الفظاعة والقسوة وقعوا فى أحن ومحن لم تقدر جميع موارد البلاد وقوة ساستها أن تخفف من ورطتها . وهبت عليهم زعازع المصائب حتى اهتزت اسس السعادة المادية . فمنذ الوقت الذى امتدت فيه يد الجور على البـاب لتضرب امره الضربة القاضية توالت على ظالميـه الآفات ومحقت ارواحهم الشريرة وجعلتهم على شفا الافلاس العام . وانتابتهم الطواعين بشدة وسحقتهم ونشرت فيهم الخراب اينما حلت مع انهـا ما كانت فى القديم تعرف بينهم الا فى غابر الازمان ولم تذكر فى الاسفـــار الا نادراً . وأحس بضربتها الأمير قبل الحقير وذل الجميع لقهرها وسطوتهـا . فاخذت عموم الناس فى قبضتها ولم

ترل فاشية فيهم ولم ترفع يدها عن وثاقهم . واستمرت هذه الآفات المفاجئه تجتاح البلاد كما انتابت أرض جيلان آفة الحمى التى ضربتها . ولم يقف الغضب الالهى على الفتك بالآدميين بهذه الآفات بل تعدى الى المزارع والحيوانات وجعل الناس يشعرون بثقل الوطئة فشعر بها كل ما يتنفس فى تلك الأرض المضروبة . وزادت المجاعة بحيث أصبحت شاملة لجميع طبقاتهم وازعجت انظارهم بمناظر الموت البطىء المؤلم . فشربوا كأس العذاب إلى نهايته بدون أن يشعروا باليد التى حركته لتعذيبهم ولا بالشخص الذي من اجله جاءتهم هذه النكبات

حتى إن حسين خان حاكم شيراز الذى كان أول من آذى الباب وعامله معاملة قاسية تسبب عنها فقد حياة آلاف من الذين كانوا تحت رعايته والذين غضوا النظر عن مساويه اصابته مصائب جمة فاجتاح إقليمه الطاعون الذى خربها وأهلك فى إقليم فارس الحرث والنسل وأفقره وجعله يبابا صفصفاً فجعله يئن من شدة وطأته وهو يستجدى الجيران ويستدعى منهم المساعدة فى هذا الخطب الجلل وشاهد حسين خان نفسه وهو بحالة حزن عميق أن جميع أعماله قد ذهبت هباء منثوراً واصبح منبوذاً فى أواخر أيامه وذهب إلى قبره مدحورا منسيا من الأحباب والأعداء على السواء

وأما الشخص الثانى الذى قام على مقاومة الباب ووقف فى سبيل تقدمه فكان الحاجى ميرزا آقاسى الذى لأغراض سافلة ولكى يحوز رضا علماء الوقت الأدنياء حال بين الباب وبين محمد شاه واجتهد فى منع حصول المقابلة بينهما وهو الذى أمر بنفيه المحزن إلى أحد أركان اذربايجان المحسورة وأمعن فى إبعاده بمراقبة كليّة وهو الذى نزل له لوح من المسجون تنبأ له فيه بمصيره وهلاكه وتعريضه للعار والخزي ولم تمض إلا سنة ونصف على وصول الباب إلى جوار طهران حتى انتاب الوزير الغضب الالهي ونزل من سلطانه وجبروته وطرد من عزّته والتجأ إلى ضريح شاه عبد العظيم طريدا من غضب الناس عليه ومن هناك طرد منفياً إلى خارج حدود وطنه انتقاما بيد القهار وانغمس فى بحر من المصائب والآلام إلى أن لقى حتفه بغاية الذلة والفقر المدقع .

أما الفرقة التى تطوعت لاعادة رمى الباب بالرصاص (رغم امتناع سام خان من ذلك لما رآه فى الحادثة من العجائب) والتى أطلقت أخيرا على جسمه الرصاص فان مائتين وخمسين منهم لقوا حتفهم فى نفس السنة ومعهم ضباطهم فى زلزلة بينما كانوا يستريحون فى يوم قيظ

تحت ظل حائط فى طريقهم بين اردبيل وتبريز وهم يمرحون ويلعبون حيث وقعت تلك الحائط عليهم فجأة ولم تترك فيهم أحداحيا . أما الخمسون الباقون فقد لقوا حتفهم بنفس الطريقة التى أتبعوها مع الباب فانهم بعد استشهاد الباب بثلاث سنوات ثاروا وضربوا جميعاً بالرصاص بأمر من ميرزا صادق خان النورى . ولم يكتف بالطلقة الأولى بل أمر باطلاق طلقة أخرى حتى يضمن أن لا يبقى منهم بقية ومزقت بعد ذلك أجسادهم بالحراب والسنان وتركت معرضة لنظر أهالى تبريز . وفى ذلك اليوم تعجب أهالى تلك المدينة من أن يكون نصيب الذين قتلوا الباب نفس ما عملوه فيه وكانوا يتساءلون قائلين (هل يمكن ان يكون الانتقام الالهى هو الذى أودى بحياة الفرقة بأكلها وأطاح بهم إلى هذه النهاية المفجعة أو أن ذلك قد حصل بطريق الصدفة ؟ فاذا كان هذا الشاب كاذبا فلماذا انتقم الله من قاتليه انتقاما شديدا .) وقد وصلت هذه الأقاويل المريبة إلى آذان وأسماع المجتهدين الذين أخذ الخوف منهم كل مأخذ وأمروا ان كل من يكون عنده هذه الهواجس يعاقب مشددا فكان البعض يضربون والآخرون يغرمون والجميع يحذرون ان يمتنعوا من الهمس بهذه الاقوال التى تحيي ذكرى خصم لدود وتعيد اشتعال الحماس لأمره

أما رئيس الوزراء الأمير نظام الذى دبر استشهاد الباب واخوه وزير النظام شريكه فى الجريمة فتوقع عليهما فى ظرف سنتين عقاب صارم انتهى بموتهما أشنع ميتة . وتلطخ حائط حمام فين (١) بدم الأمير نظام وإلى اليوم يشاهد ذلك دليلا على المظالم التى كانت يده تقترفها (٢)

(١) وكتب اللورد كرزون إن حكم ناصر الدين شاه قد تشوه بعملين وحشيين وكان أفظعهما هو اعدام رئيس وزرائه ميرزا تقى خان امير النظام . . فانه صهر الشاه وأخ زوجته وأول تابع مخلص فى المملكة وللوشاية التى سببت ضغينة البلاط وحسد المليك الصغير السن أصبح مرذولا فى عين الأعداء الذين لم يقنعوا حتى أوقعوا عدوهم فريسة وأردوه قتيلا (كتاب ايران والمسألة الايرانية الجزء الأول صحيفة ٤٠٢)

(٢) وجميع الناس كانوا يعلمون من البابيـة الذين أنبؤوهم بقرب مصرع الوزير الرئيس . وقد حصل ذلك فعلا كما يقولون طبقا لما تنبأ به الشهداء فى زنجان وهم مرزا رضا وحاجى محمد على وحاج محسن وقد أصبح الوزير مبغوضا ومغضوبا عليه من الشاه وقطعت عروقه فى بلدة فين بالقرب من كاشان كما كان يعامل المحكوم عليهم بالاعدام . وكان خلفه ميرزا أقا خان النورى من قبيلة شريفة من مازندران . وكان فى ذلك الوقت وزير الحربية . وتسمى هذا الوزير الجديد بالصدر الاعظم وهو لقب رئيس وزراء الترك . وكان ذلك سنة ١٨٥٢ (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى اسيا الوسطى صحيفة ٢٣٠)



منظر زنجان

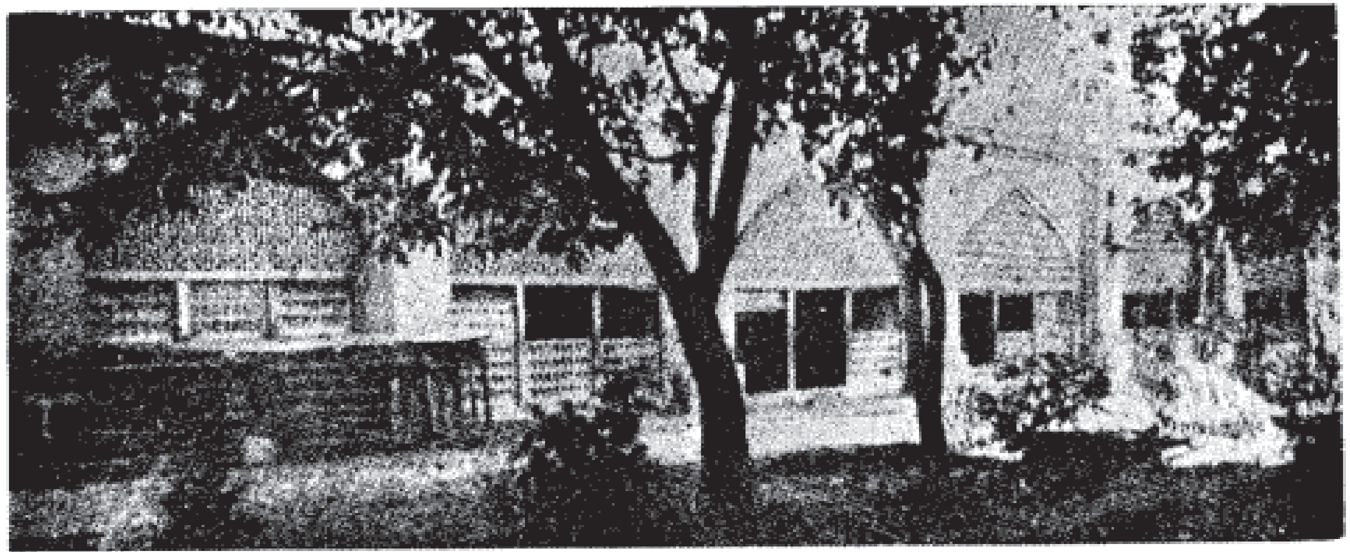
الفصل الرابع والعشرون

في ملحمة زنجان

ان العوامل التي سببت اشتعال الاضطرابات في مازندران ونيريز هي بعينها التي أشعلت زنجان أيضا (١) وما حولها في وقت استشهاد الباب في تبريز . ولم تكن أخبار وحيد وأصحابه بأقل ازعاجا له من حزنه على نصيب أبطال الشيخ طبرسي المفعم بالمصائب فأضافت تلك الحوادث ضربة جديدة على قلبه المثقل بالأوصاب المختلفة ، ولم تكن المتاعب التي انتابته في أواخر أيام حياته بقاصرة على المخاطر التي أحاطته ولا على الاهانة التي تحملها عند نقله الى تبريز ولا على اشتداد وطأة الحبس الشديد المتطاول بين جبال اذربايجان المحصورة ولا على المذابح الوحشية التي ختمت بها حوادث ملاحم مازندران ونيريز ، ولا على وحشية الذين ارتكبوا المظالم والقبائح على الشهداء في طهران السبع بل كانت أخبار حوادث زنجان وما آل اليه أمرها المحزن قد زادته حزنا على حزنه وكذلك الفواجع التي أنهكت قواه في أواخر حياته بكروب متنوعة فكم غصة تجرعها في الوقت الذي كانت مخالب الموت تريد أن

(١) هي عاصمة أقليم خمسة والخمسة أقليم صغير شرق كفلان كوه أو جبل النمر بين العراق واندنايجان. وعاصمة زنجان وهي ذات منظر بديع ومحاطة بسور دائر مزين بالقلاع كغالب المدن الفارسية . وأما السكان فاصلهم من الترك ولولا وجود الموظفين الفرس كانت اللغة الفارسية تكون قليلة الانتشار هناك . وتوجد قرى كثيرة في ضواحي المدينة وأهلها ليسوا فقراء . وتأتيهم قبائل كثيرة أشداء في زمن الربيع والصيف (كتاب الاديان والفلسفة في آسيا الوسطى صحيفة ١٩١)

تنشب أظفارها فيه . ومع ما انتاب أنصار دينه فى كل ساحة سواء فى الشمال أو الجنوب من الاضطهادات بلا ذنب وما خدعوا به من مكر وخيانه حتى ذبحوا وسلبت منهم ممتلكاتهم . فطفحت كأس الآلام والمصائب بهبوب عاصفة زنجان التى هى اشنع وأفظع من جميع ماسبقتها من النكبات(١) والآن ابتدي فى سرد أحوال تلك المأساة التى هى أشنع المآسى فى تاريخ





منظر المسجد الذى بناه الاصحاب للحجة

هـذا الأمر . وكان بطلها الحجة الزنجانى واسمه الملاّ محمد على (٢) وهو من أقدر علماء

(١) والخلاصة أنه فى سنة ألف ومائتين وستة وستين وسبعة وستين أحرقوا مساكن البابيين فى جميع أنحاء إيران وبأدني شبهة كان يقطع رأس أى شخص فى أى بلدة أو قصر . فقتل وتشتت وهلك من البابيين نحو من أربعة آلاف نفر وجم غفير من النسوة اللائى لامعين لهن وكذلك من الاطفال (مقالة سائح صحيفة ٤٧ — ٤٨)

(٢) وكان فى تلك المدينة مجتهـد يدعي ملا محمد على الزنجانى وهو من أهـالى مازندران

عصره وبلا ريب من أكبر ناصري الأمر . وكان والده الملا رحيم الزنجانى من رؤساء المجتهدين فى زنجان ومحترم لتقواه وعلمه ومتانة أخلاقه . وولد الملا محمد على فى سنة ١٢٢٧ هجرية (١) ومنذ صباه أظهر كفاءة جعلت والده يعتنى بتهـذيبه اعتناء شديدا وأرسله إلى النجف وبرز فيها بفراسته ومقدرته(٢) وتفوقه وكان أصحابه قد أعجبوا أيما اعجاب من ذكائه وحسن تدريسه بينما كانت قوة تعبيره وسمو أخلاقه جعلته مهدداً من أعدائه. ونصحه والده أن لايعود إلى زنجان لان أعداءه يتآمرون عليه . ولذلك صمم على أن يجعل اقامته فى همدان (٣) وفيها تزوج احدى قريباته وعاش هناك سنتين ونصف حتى وافته أخبار وفاة والده فصمم على ترك المدينـة والعودة إلى وطنه . وكان الاحتفاء به عند وصوله قد أشعل العداء فى صدور العلماء الذين أظهروا له كل رعاية واحترام رغم ماصمموا عليه من مقاومته (٤)

وتلقى دروسه على عالم شهير يدعى شريف العلماء واشتهر محمد على على الخصوص فى الشريعة وفى التوحيد وكان المسلمون يدعون أنه فى عمله كمجتهد وكان كثير الخبرة فلم يكن يستعص عليه أي سـؤال لم يمحصه التمحيص الكافى ولم يحله حلا نهائيا . وكانت فتاويه العديدة قد أزعجت نفوس الاصدقاء . وفى اشتياقه للتجديد لم يكن متسامحا فى مجادلاته ولا لينا فى جداله . فكان تارة يزيد فى صوم رمضان لاسباب لم يذكرها أى انسان قبله . وطورا يرتب الصلوة بترتيب لم يكن مستعملا من قبل فكان غير موافق للناس البسطاء وممقوتا من الخبيرين . ولكن والحق يقال كان له مريدون عديدون ممن كانوا يعدونه من الأولياء وكانوا يوافقونه على حماسته ويحلفون باسمه واذا حكمنا عليه حكما محايداً نرى فيه رجلا من هؤلاء الرجال المسلمين العديدين الذين يظهرون حماسا عظيما للدين وايمانا حيا ويجتهدون فى طلبه بكل شوق . ومن سوء بخته أنه كان مجتهدا يرى أنه يستعمل كل قواه فى اقلاب الأفكار والأمور التى لا توافق مشربه (من كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ١٩١ — ١٩٢)

(١) ١٨١٢ — ١٨١٣ ميلادية .

(٢) وكان من بين علماء تلك المدينة عالم يسمى اخنـد ملا عبد الرحيم اشتهر بتقواه وكان له ابن فى نجف وكربلاء يدرس على شريف العلماء المازندرانى وكانت نفس هذا الابن غير ساكنة ويشعر بانه فى حرج من تحديدات الشيعة (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٣٢)

(٣) ولما رجع من الزيارة فى الاماكن المقدسة مر بهمدان وهناك احتشدت للقائه الجماهير وطلبوا منه أن يستريح فى مدينتهم . (السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٣٦)

(٤) وجاء جميع علماء المدينة لزيارته ورجعوا وهم مهتمون ببعض الأقوال التى قالهـا لهم والتى تدل على تغيير فى النفس لم يكن معهودا من قبل . وفى الحقيقة أن سلوك ذلك الواصل الحديث كان يشعر هؤلاء الصلحاء بانهم لم يكونوا مخطئين فى تخميناتهم (نفس الكتاب والصحيفة)

ولما اجتمع الناس فى المسجد خصيصا لتشريفه خطب فى الجماهير المحتشدة ناصحا لهم بترك النفس والهوى وان يكون الاعتـدال رائدهم فى كل الاعمال (١) . وحثهم على ترك جميع انواع المفاسد وشجع الناس بسلوكه ومثاله على أن يتبعوا الاحكام المنصوص عليها فى القرآن بكل دقة . وعلم تلاميذه بكل عناية ومقدرة حتى أنهم فاقوا علماء زنجان المعروفين فى الفهم والمعرفة . واستمر على عمله المبرور سبعة عشر سنة وتمكن فى تخليص عقول وقلوب مواطنيه من كل مايكون مخالفاً لتعاليم وروح الدين(٢)

ولما وصلته الدعوة من شيراز أرسل الملا اسكندر أحد تلاميذه الموثوق بهم لأجل فحص موضوع الدعوة الجديدة وكان الطريق الذى اختاره فى بحث الأمر قد أهاج أعداءه وضاعف مجهوداتهم . وإذا كانوا عاجزين عن توهينه فى أعين الحكومة وأعين الناس عزموا على مهاجمته على اعتبار أنه مروج للبدعة الجديدة ورافض لكل ماهو مقدس فى الاسلام وهمسوا لبعضهم البعض قائلين «أما شهرته بالعدل والتقوى والعلم فما تجعلنا عاجزين عن أن نزعزع مقامه فانه لما طلبه محمد شاه إلى طهران تمكن بفصاحته السحرية أن يؤثر عليه ويجعله ضمن المعجبين به والمخلصين له . والآن مادام أنه قد اعتنق أمر السيد الباب بهذه الطريقة المكشوفة فيمكننا أن نحصل من الحكومة على امر بالقبض عليه ونفيه من مدينتنا . »

وبناء على ذلك حرروا عريضة لمحمد شـــاه وكتبوا فيها كل ماأملاه عليهم حقدهم

(١) وكان يوجد خان من زمن شاه عباس تحول بالتدريج الى صيغة خانه (محل المأذون). ولأجل عدم مخالفة الشريعة الشيعية اتخذه الملا دست محمد سكنا وكان فيه يبارك الزواج المؤقت بين الرجال الذين كانوا يحضرون من الخارج وبين المقيمات فى الخان المذكور . ولكن حجة الاسلام ـ وهذا هو اللقب الذي اتخذه بطلنا ـ اغلق المنزل . وزوج أغلب النساء وأرسل البقية إلى الاسر الشريفة . وجلد أيضا شخصا يدعى مراد بائع الخمور وهدم منزله . (نفس الكتاب صحيفة ٣٣٢ — ٣٣٣)

(٢) ولكن لم ينته إلى هذا الحد فقط . بل كان دائما مشغولا بالمسائل الدينية التى بنيت على أحاديث متناقضه . وبذلك تحيرت افئدة مريديه بالفتاوى التى كان يصـدرها والتى كانت تقلب الاراء المتبعة والمسلم بها رأسا على عقب . فايد الحديث القائل بان شهور رمضان كاملة . فأمر باتباعه حرفيا بدون مناقشة رواة الحديث إن كانوا من الموثوق بهم أم لا وحض جميع الذين سمعوه باتباعه وصوم يوم الفطر الذى هو ذنب عظيم . واجاز الركوع باسناد الرأس على قطعة من البلور . وجميع هذه الامور الجديدة جلبت اليه الانصار العديدين الذين اعجبوا بعلمه ونشاطه ولكنها اغضبت باقى العلماء الرسميين الذين لم يكن حقدهم عليه بسبب هذه المسائل التى أثارها . (نفس الكتاب ٣٣٣

وحسدهم لتلويث سمعته . وشكوه قائلين « إنه فى الوقت الذى يزعم فيه أنه أحد أتباع الاسلام استهان بسلطتنا بمساعدة تلاميذه . والآن اعتنق أمر الباب وجعل ثلثى أهالى زنجان ينتمون الى هذا الدين البغيض فما أقسى الاهانة التى يوقعها بنا . وترى الجماهير المحتشدة على بابه اكبر عدداً مما يضمه المسجد . وبلغ تأثيره على الناس أن مسجد والده الذى بنى لتشريفه جعل خصيصاً لمريديه المتزايدين ويحضرون فيه ليأتمون به فى الصلاة . ولا يمض وقت كبير حتى لاتكون زنجان فقط بل جميع القرى المجاورة من أنصاره . »

فتعجب الشاه من لهجة ولغة الخطاب الذى قصدوا به النيل من مقام الحجة وشاركه فى تعجبه الميرزا نزر على الحاكم باشى وتذكر أقوال كثيرين من زائرى الحجة الذين كانوا يتغنون بعقدرته واستقامته . وصمم الشاه على أن يطلبه هو وخصومه إلى طهران فاجتمعوا فى مجلس أعده لذلك الحاجى ميرزا آقاسى وموظفوا الحكومة المشهورون ومشاهير علماء طهران وأحضروا رؤساء زنجان الدينيين وطلبوا منهم أن يدعموا ادعاءتهم بالبراهين فاخذوا يستجوبون الحجة . وما من سؤال سألوه إلا أجاب عليه بكيفية تخلب أسماع المستمعين وتثبت للمليك يقينه فى براءته . فقرر الشاه رضاءه عن الحجة وكافأه للطريقة المجيدة التى نجح بها فى دحض مفتريات أعدائه وأمره بالرجوع إلى زنجان والعودة للقيام بالخدمات الجليلة التى يؤديها للشعب وأكد له أنه سيساعده فى كل الأحوال وسأله أن يخطره عند كل حادث(١) بما يلاقيه من أعدائه وبمجرد وصوله وعودته إلى زنجان ابتدأ هياج جديد قاس من جانب أخصامه المغلوبين . وكلما زادت عداوتهم ازدادت درجة إخلاص أصحابه وأتباعه(٢) واستمر فى

وهـذا الشخص أمكنه بواسطة آدابه وأخلاقه وجاذبية هيئته من إقناع كل شخص يتصل به حتى أنه أثر على الشاه نفسه ويحكون أنه كان موجوداً عند الشاه مع نفر من أقرانه وأخرج أحدهم ورقة من جيبه وعرضها على الشاه ليمضيها . وكان مضمونها فرمانا بيعض التعيينات فقام الحجة وطمن على العلماء الذين يستخدمون بطرف الحكومة بكل شدة وفضحهم . وأظهر من الاحاديث والقرآن ما يرذل مثل هذا النظام الذى أخذ أساسه من بنى أمية . فاستشاط الأقران غيظا منه ولكن الشاه الذى أعجبته هذه الصراحة التفت إلى بطلنا وأعطاه عصا وخاتما وأذنه فى الرجوع إلى زنجان (السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٣٣ — ٣٣٤)

(٢) وقد أتى لمقابلته من أهالى زنجان جماهير وهم يقربون البقر والخرفان والفراخ وقد لف أثنى عشر شابا مناديل حمراء على رقابهم للدلالة على أنهم مستعدون للفداء فى سبيله وكان سن كل منهم لا يزيد على اثنى عشر عاما وظهروا فى الموكب المعد لاستقباله وكان دخوله فى المدينة دخول المنتصرين (نفس الكتاب صحيفة ٣٣٤)

عمله بحماس لايتوانى . غاضاً طرفه بالكلية عن تدابيرهم (١) . وكانت قواعد التسامح التى كان يعلمها وينشرها بغير انقطاع وبلا وجل قد هدمت أساس البناء الذى اجتهد أعداؤه فى تشييده وزاد غضبهم إذ رأوا زوال سلطتهم وانهيار صرح تعاليمهم وحدث فى تلك الأيام أن رسوله الخاص مشهدى أحمد الذى كان قد بعثه برسالة سرية إلى شيراز مع عريضته وهداياه إلى الباب قد عاد إلى زنجان وسلمه وهو يخطب فى تلاميذه خطابا مختوما من محبوبه وفى اللوح الذى استلمه لقبه الباب بلقب الحجة . وحرّضه على أن يعلن من المنبر بدون تردد تعاليمه الأساسية . وما كاد يطلع على رغبة مولاه حتى أعلن عزمه على تنفيذ كل ما أمره فى هذا اللوح . وصرف فى الحال تلاميذه وأمرهم أن يتركوا كتبهم وأعلنهم بعزمه على عدم متابعة الدرس وقال : « ما الفائدة فى الدرس والبحث للذين وجدوا الحق ولماذا الجهد فى طلب العلم بعد أن ظهر المعلوم الذى هو المقصود من جميع العلوم »

وما كاد يؤم جماعة المصلين فى يوم الجمعة كما أمره بذلك الباب (٢) حتى اعترض عليه بشدة إمام الجمعة الذى كان يؤدى هذه الوظيفة حتى الوقت والساعة وقال له ان هذا الحق هو امتياز مطلق له ولآبائه من قبل وإنه أخذ الولاية بذلك من السلطان ولا يمكن لأحد مهما علت منزلته ان يغتصبه منه فأجابه الحجة (ان هذا الحق قد استبدل الان بالولاية التى منحت لى من القائم نفسه وقد أمرنى أن أؤدى هذه الوظيفة علنا ولا اسمح لأى شخص ان يعتدى على هذا الحق واذا صودرت فيه فانى آخذ العدة للدفاع عن نفسى

(١) وكان يتخذ من تلاميذه أمثلة للتقى والقناعة . وأصبح الناس منذ ذلك الحين يرتوون من كأس المعانى الدينية . وكانوا يصومون ثلاث أشهر ويزيدون فى صلوتهم باضافة صلوة الامام جعفر الطيار فى كل مكان ويتوضؤون فى كل يوم بماء القرء (الطاهر) مرة واحدة . ثم فى يوم الجمعة يلتزم الناس المساجد . (نفس الكتاب صحيفة ٣٣٤)

(٢) وأخيراً كان يقرأ صلاة الجمعة بصوت عال . وعندما يظهر الامام يكون ذلك اليوم بدلا عن جميع الايام . ثم فسر بعضا من كلمات الباب وختم الكلام بقوله (إن الغاية التى يسعى اليها العالم هى الآن بين أيدينا بدون حجاب ولا عائق . وشمس الحقيقة قد ارتفعت وانطفأت مصابيح الأوهام والتقاليد . فلتجعلوا أعينكم موجهة بالنظر إلى الباب وليس إلىّ لأنى من أقل عبيده الخاضعين . وعلمى بالنسبة إلى علمه كالشمعة المطفاة أمام شمس الضحى . فاعرفوا الله بالله والشمس بأشعتها . فى هذا اليوم ظهر صاحب الزمان وحى سلطان الامكان) واترك للمفكرين وصف التأثير العميق لمثل هذه المحاضرة على عقول المستمعين وعلى وجه التقريب كان الجميع مقتنعين ولم يتجادلوا مع بعضهم إلا فى خصوص صفة الباب الحقيقية (نفس الكتاب صحيفة ٣٣٥)

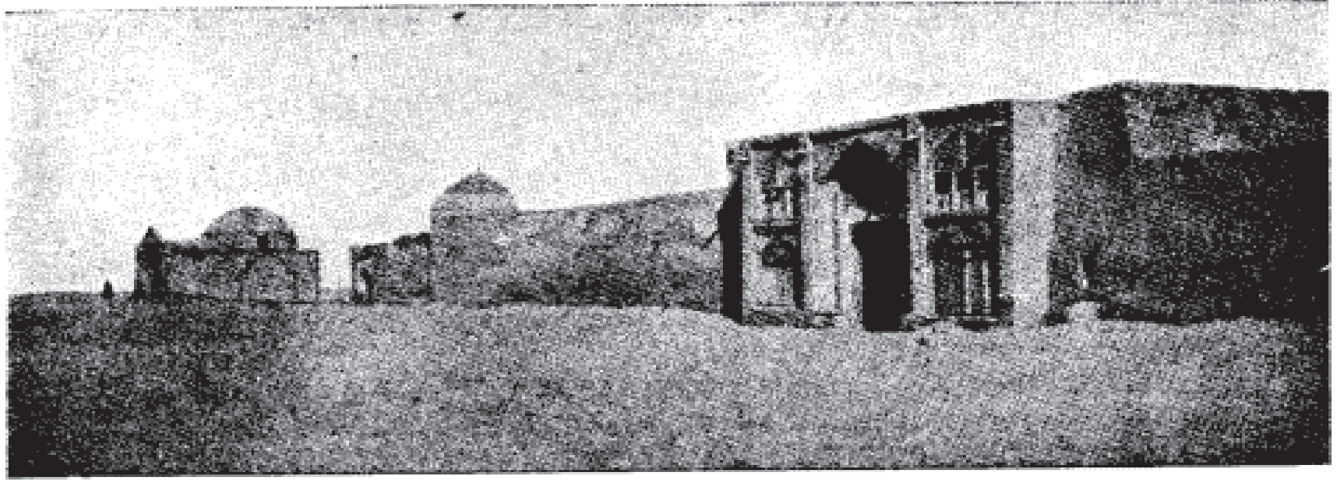
وعن حياة أصحابى و كان إصراره على إتمام المأمورية التى وكله بها الباب بدون وجل قد الجأ علماء زنجان أن يتفقوا مع إمام الجمعة (١) ويعرضوا شكواهم للحاجى ميرزا أقاسى قائلين بأن الحجة قد قاوم التقاليد المعروفة وتعدى على حقوقنا (فاما أن نهرب بأسرنا وأملاكنا ونتركه وشأنه مع الأهالى أونحصل من محمد شاه على أمر بطرده حالا من هذه المملكة لأننا نعتقد ان فى تركه والسماح له بالبقاء فى أرضها خطرا داهما) وأخيراً اضطر الحاج ميرزا أقاسى نظراً لالحاحهم أن يعرض الأمر على محمد شاه ولو انه كان فى قلبه لا يميل الى اعتقاداتهم وتقاليدهم ولا يوافق على النظام الدينى السائد فى المملكة . فأمر محمد شاه بنقل الحجة من زنجان إلى العاصمة .

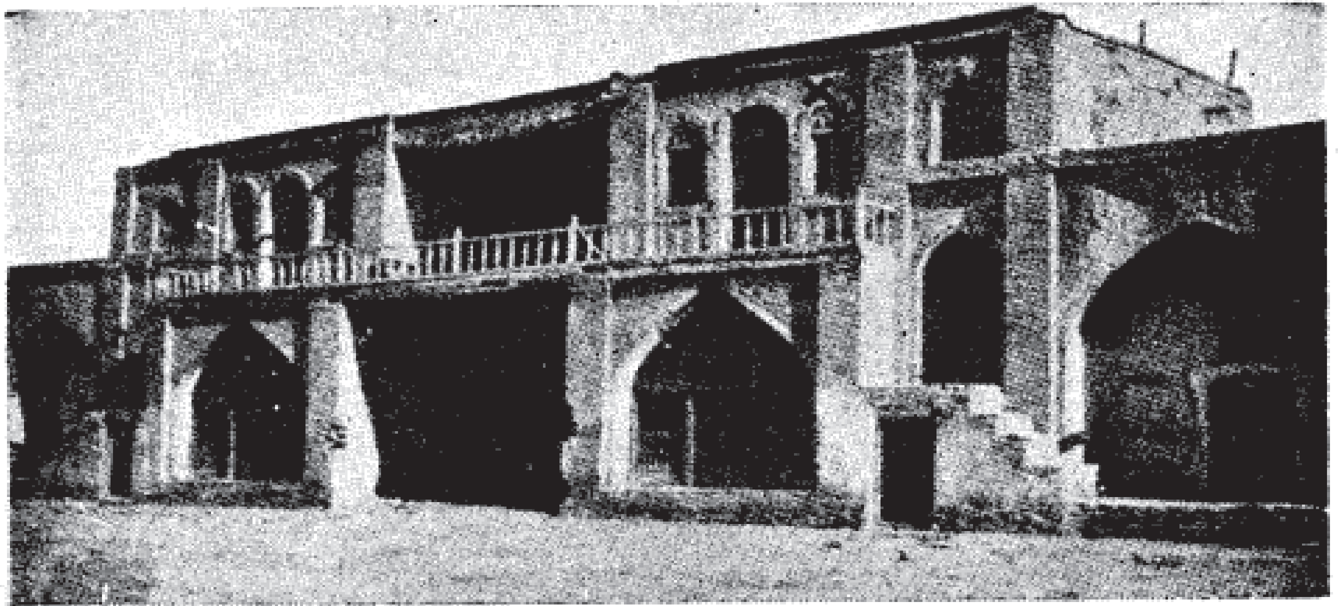
وأرسل الشاه رسولا كرديا اسمه قليج خان بهذا المعنى إلى الحجة . وفى الاثناء كان الباب قد وصل إلى قرب طهران فى طريقه إلى تبريز . وقبل وصول الرسول الملكى إلى زنجان كان الحجة قد أرسل أحد أحبائه المدعو خان محمد توبچى إلى مولاه مع عريضة يطلب فيها أن يسمح له أن يخلصه من يد الأعداء . فرد عليه الباب قائلا ان تخليصى لا يقدر عليه سوى القدير وحده وان الانسان لا يمكنه أن يفر من المكتوب أو يهرب من المقدور . وزاد بقوله (أما عن اجتماعك بى فسوف يحصل قريبا فى العالم الآخر مقام العزة الأبدية) .

وفى اليوم الذى استلم فيه هذه الرسالة وصله أمر السلطان مع قليج خان وسافر معه فعلا إلى العاصمة . و كان وصولهما هناك فى الوقت الذى رحل فيه الباب من قرية كولين التى مكث فيها بضعة أيام و كانت السلطات المحلية قد عملت ترتيبها لضمان غياب الحجة عن زنجان فى الوقت الذى يمر فيه الباب فى تلك المدينة خوفا من حصول ما لا تحمد عقباه إذا اجتمع الحجة مع الباب . أما الأصحاب الذين تبعوا الحجة فى طريقه إلى العاصمة فقد أمرهم أن يعودوا إلى المدينة لمقابلة مولاهم وأن يؤكدوا له استمدادهم لانقاذه . وإذ كانوا قافلين إلى المدينة تقابلوا مع الباب الذى أكد لهم رغبته فى أن لا يسعى أحد منهم فى انقاذه من حبسه بل أمرهم أن يخبروا أتباعه من أهالى بلدتهم أن لا يزدحموا حوله وأن يمتنعوا عن تعقبه أينما ذهب .

(١) وكان إيمان الملا محمد على وأنصاره العديدين قد أفقد صبر إمام الجمعة وشيخ الاسلام . فكتبا خطابات جنونية إلى الملك الذى أجابهما بالقبض على المجرم (نفس الكتاب صحيفة ٣٣٦)

وما كادت تصل هذه الأوامر إلى آذان الأهالى الذين خرجوا للترحيب به حتى ابتدأوا يندبون حظهم ويحزنون ولكنهم لم يقدروا على الامتناع عن مقابلته متناسين الرغبة التى أبداها .





خان ميرزا مسلم طبيب فى زنجان والعلامة × تدل على الغرفة التى نزل فيها الباب

وما كادوا يتقابلون مع الركب حتى فرقهم الحرس الذين كانوا يسيرون فى المقدمة بلا شفقة. ولما وصلوا إلى إحدى شعب الطريق حصلت مشادة مابين محمد بيك جبارجى وبين زميله الذى أرسل من طهران ليساعده فى توصيل الباب إلى تبريز وكان محمد بيك مصمما أن يأخذ المسجون إلى المدينة ويسمح له قبل مواصلة الرحيل إلى أذربايجان بالمبيت تلك الليلة فى خان ميرزا معصومى طبيب والدميرزا محمد علي طبيب أحد شهداء الأمر . وقال بأنه لو أمضى الليلة خارج المدينة فانه يعرض نفسه للخطر ويشجع أخصامه على الفتك به .

وأخيرا نجح فى اقناع زميله لترحيل الباب الى ذلك الخان واذ كانوا يمرون فى شوارع المدينة دهشوا اذ رأوا الجماهير محتشدة على سقف المنازل بشوق زائد لرؤية وجه المسجون .

وكان ميرزا معصوم مالك الخان الأصلى قد توفى حديثاً وجاء نجله الأكبر ميرزا محمد على الذى كان رئيس أطباء همدان بزنجان لاقامة مأتم والده . ومع انه لم يكن من الأحباء الا انه كان محبا للباب فأعد الخان لاستقباله بكل حفاوة . وفى تلك الليلة بقى مع الباب الى ساعة متأخرة وآمن به .

وكان يقول فيما بعد (فى الليلة التى اعتنقت فيها الأمر قمت مبكراً فى الفجر وأوقدت المصباح وأخذت الخادم وتوجهت الى الخان . وقد عرفنى الحراس الذين كانوا على الأبواب وصرحوا لى بالدخول . وكان الباب يؤدي فرائض الوضوء عند ما دخلت عنده . وتأثرت تأثراً عميقاً اذ رأيته منهمكا فى أداء تلك الفرائض . واذ وقفت أصلى خلفه ملأ الفرح جوانحى وقت وأصلحت الشاي بنفسى وقدمته له فالتفت الى وأمرنى أن أرحل الى همدان قائلا « ان هذه المدينة سوف تقع فى اضطراب عظيم وتمتلىء شوارعها بالدماء » فأظهرت رغبة فى الاستشهاد فى سبيل دعوته . فأكد لى أن ساعة شهادتى لم تأت بعد وأمرنى أن أتــكل على الله فى كل ما يأمر به وفى ساعة الشروق اذ كان يمتطى جواده استعداداً للرحيل رجوته أن يسمح لى بمرافقته ولـكنه نصحنى بالبقاء ودعا لى دعواته الحارة . فرضخت لأمره ورمقته حتى غاب عن عينى وأنا متأسف لفراقه)

ولما وصل الحجة الى طهران أحضروه أمام حاجى ميرزا آقاسى وأظهر له عن نفسه وبالنيابة عن الشاه اشمئزازه من العداء الـكبير الذى أثاره سلوكه بين علماء زنجان وقال له (ان العلماء أقلقونا بالاحتجاجات المستمرة التحريرية والشفهية ضدك وانى شخصيا لا أصدق ادعاءهم بأنك قد تركت دين آبائك ولا يميل الشاه الى تصديق ذلك . وقد أمرنى أن أدعوك الى العاصمة لدحض هذه الافتراآت فانه ليحزننى أن أسمع أن رجلا فى اعتقادى أسمى فى المعرفة والمـكانة من السيد الباب قد اختار أن ينضم اليه) فاجابه الحجة بقوله (ليس كذلك ويعلم الله انه لو أوكلنى السيد الباب الى أحط عمل فى منزله كنت أعتبر ذلك انه الشرف الذى لا يبلغ مكانه أسمى وأعلى الانعامات الملـكية) فصاح الحاجى ميرزا اقاسي غاضبا (ذلك لن يكون أبدا) فأكد له الحجة بقوله (ان ذلك السيد من شيراز هو نفس الذى تنتظره أنت وجميع من على الأرض بشوق فهو مولانا وهو المخلص الموعود)

فنقل الحاجى ميرزا اقاسى ذلك الأمر الى محمد شاه وأظهر له خوفه من أن يسمح المليك لهذا المعاند القوى والذى يعتقد فيه المليك أنه أكفأ علماء المملكة بالاستمرار على مواصلة مساعيه بغير اعاقة لأن فى ذلك خطراً مدلهما على سياسة الدولة. ولما كان الشاه غير ميال لتصديق هذه الادعاآت التى يظن انها مسببة عن الحسد والغيرة الصادرة من أعداء الحجة أمر بعقد اجتماع خاص يسأله فيه أن يدعم رأيه بالبرهان التام أمام علماء العاصمة فالتأمت لذلك جملة اجتماعات كان الحجة يظهر فيها صحة الدعوة بكل فصاحة مبطلا احتجاجاتهم . وقال لهم (أليس من الحديث المتفق عليه بين أهل السنة والشيعة تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى. ومادام أحد الشاهدين قد غاب وتولى حسب اعتقادكم فان الشاهد الآخر وهو الكتاب موجود وهو الواسطة الوحيدة بيننا للهداية . فأطلب اليكم أن تجعلوا الكتاب رائدكم وأن نعتبره المثل الأعلى وبالميزان المذكور نقيس أى دعوى من دعاوينا) فلما عجزوا عن الدفاع لم يجدوا مخرجا الا أن يتجاسروا على طلب معجزة ليثبت بها مدعاه. فصاح فيهم قائلا (أى معجزة أكبر من أنه مكننى بدون مساعدة بقوة حجتى أن أنتصر وحدي عليكم وعلى جميع المجتهدين والعلماء فى طهران)

وكانت الطريقة الفائقة التى دحض بها الحجة مزاعم أخصامه قد أكسبته ثقة مليكه الذي لم يعبأ فيما بعد بتمويهات أعدائه ورغما من أن جماعة علماء زنجان وعدداً كبيراً من علماء طهران حكموا بكفره وأمروا باعدامه فان محمد شاه استمر فى منحه الانعامات وأكد له القول بأنه يكون دائما واثقا من مساعدته .

ولما عجز الحاجى ميرزا آقاسى عن أن يخالف الرغبة الملكية الواضحة وعن أن يقاوم علنا تأثيره اجتهد أن يخفى حسده وحقده بزياراته المتكررة لمنزله وبالهدايا التى كان يقدمها اليه ذلك الوزير الخادع .

وكان الحجة فى الواقع ونفس الأمر سجينا فى طهران ، فلم يكن يقدر على مغادرة أبواب العاصمة ولم يكن يسمح له بمحادثة من يريد من أصحابه . أما المؤمنون من بين مواطنيه فى بلدته فعزموا على أن يرسلوا له رسالة ويطلبوا منه أن يصدر اليهم الأوامر فيما يختص بالتعاليم الأمرية . فأمرهم أن يتبعوا النصائح التى وصلتهم من الباب بواسطة الرسل الذين أرسلهم لفحص الأمر. وعدد لهم سلسلة أوامر كان بعضها يخالف التقاليد الاسلامية

وأكد لهم قائلا (ان السيد كاظم الزنجانى كانت له علاقة متينة بمولاى فى شيراز وفى اصفهان . وكان هو والملا اسكندر ومشهدى أحمد اللذان أرسلتهما لمقابلة الباب يقولون بأن الباب نفسه أول من يقوم على أداء الفرائض التى تقررت على المؤمنين فعلينا نحن الأنصار أن نتبع مثاله الحميد .)

وما كادت الرسائل تقرأ على الأصحاب حتى بدت منهم جميعا الرغبة الشديدة فى إجراء أوامره وابتدأوا بتنفيذ الأحكام الجديدة بكل حماس تاركين التقاليد والعوائد القديمة حتى الأطفال كانوا يتعلمون أن يتبعوا نصائح الباب . وكانوا يعلمونهم أن يقولوا (ان مولانا المحبوب كان نفسه أول من يتبعها فلماذا نحن الأتباع المتازون نتردد فى أن نجعل هذه القواعد نبراس حياتنا .)

وبينما كان الحجة مسجونا فى طهران إذ وردت الأخبار بحصار قلعة طبرسى وكان يتمنى أن يكون نصيبه مع الاقران الذين كانوا يحاربون لأجل تحرير دينهم بشهامة فائقة وكان يأسف على عجزه عن ذلك . وكانت تعزيته الوحيدة فى تلك الأيام الاتصال الدائم ببهاء الله مستمدا منه القوة التى مكنته فى مستقبل الأيام أن يمتاز بأعماله التى لم تكن أقل شهامة من أعمال هؤلاء الأصحاب فى أظلم ساعات ذلك النزاع الخطير . وكان مقيما فى طهران حينما وافت محمد شاه منيته تاركا عرشه لابنه ناصر الدين شاه (١) . وكان الأمير نظام رئيس الوزراء الجديد قد وطد العزم على أن يشدد فى حبس الحجة والبحث عن طريقة لاعدامه . ولما أخطر بالخطر الذى يهدد حياته عزم على مغادرة طهران والاجتماع بأقرانه الذين كانوا يشتاقون لرجوعه .

ولما وصل الحجة إلى موطنه أعلن من يدعى كربلائى ولى عطار إلى أصحابه خبر وصوله وأحدث فى جموع المحبين والمعجبين مظاهر الطاعة والاخلاص (٢) فهرعوا رجالا ونساء وأطفالا للترحيب به واظهار ولائهم ومحبتهم التى لا تخبو وكان حاكم زنجان

(١) وكان فى طهران إذ توفى محمد شاه وتولى مكانه ناصر الدين شاه الذى عين أحد أعمامه حاكما فى زنجان وهو الامير أرسلان خان مجد الدولة وقد كان إشق آغاسى فى السراى (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٢٣٧)

(٢) ودخل المدينة بهيئة مجللة منصورة أكثر من الدفعة التى سبقتها بنحو بضعة أشهر . وفى الحقيقة بعد أن أصبح بابيا أضاف الى أنصاره القدماء كل من اعتنق الأمر الجديد . فحضر لملاقاته جم غفير من الناس من الاغنياء والعظماء والحربيين والتجار والملاوات وقابلوه على بعد محطة أو محطتين من البلدة وأوصلوه إلى منزله لا كلاجىء ولا متوسل يريد الراحة ولا كخصم قوى يخشى منه بل كسيد محترم (كتاب جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ١٩٣) وكتب صاحب

مجد الدولة (١) عم ناصر الدين شاه قد أزعجه تطوع الجماهير لمظاهرة الحفاوة ومن شدة غضبه أمر أن يقطع لسان الكربلائي عطار في الحال ، ومع أنه كان في الباطن يكره الحجة إلا أنه تظاهر بصحبته مدعيا أنه من محبيه فكان كثيراً مايزوره ويظهر له الاحترام الزائد ومع ذلك يتآمر سراً على إعدامه وينتهز الفرصة ليضربه الضربة القاضية

واشتد اشتعال نار العداء الكامن من حادثة صغيرة وهي مشاجرة بين طفلين من زنجان أحدهما ابن أحد أنصار الحجة . فأمر الحاكم حالا أن يقبض على الطفل ويوضع في الحبس . فتقدم الأحباء للحاكم راجين أن يفرج عن المسجون الصغير بمقابل دفع مبلغ من المال جمعوه فيما بينهم . فرفض فشكوا للحجة الذي كتب للحاكم يقول (إن الطفل صغير لايدرك وليس مسئولا عن عمله وإذا كان ولا بد من العقاب فليعاقب والده بدلا عنه .)

لكن الحاكم تجاهل الطلب وجدد الحجة أحتجاجه وأعطاه لأحد أصحابه من ذوى النفوذ مير جليل والد سيد أشرف وأحد شهداء الأمر وأمره أن يقدمه بنفسه للحاكم . وكان الحراس الموكلون بالباب قد امتنعوا أولا عن الاذن له ولكنه في ثورة غضبه هددهم بان يدخل بالقوة وتمكن بسل سيفه من أن يتغلب على مقاوميه ويخطر الحاكم الغاضب بطلب الافراج عن الطفل

وأثارت موافقة الحاكم لطلبات مير جليل بدون قيد ولا شرط غضب العلماء . فاحتجوا بشدة وتأوهوا آسفين على خضوعه للتهديدات التي أراد خصومه أن يخيفوه بها.

ناسخ التواريخ أن كثيرا من أهالى زنجان وبينهم كبار موظفي المدينة جاءوا لمقابلة الهارب قبل المدينة بمسافة محطة . واستقبلوه كفاتح منتصر . وذبحوا أمامه كثيرا من الخراف تشريفا له . ولم يجسر أحد من أعدائه أن يسأله عن هربه من طهران وعودته إلى زنجان . ولكن الاسلام كان ينظر شزراً لأن الزنجاني كان يدعو الناس في كل جهة إلى الدين الجديد وقرر المؤلف المذكور أن جميع أهالى زنجان حتى ودخلوا في الشرك ولكنه ناقض نفسه إذ قرر أن الذين التفوا حوله لم يكونوا سوى الصعاليك الذين يحسدون أغنياء هذا العالم وكذلك الاشخاص الذين لا دين لهم وكانوا كثيرين وعدهم بنحو ١٥ ألف شخص إذا صدقناه والظاهر أنه مبالغ في ذلك (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٣٧ — ٣٣٨)

(١) وكان مجد الدولة حاكم المدينة رجلا قاسيا وغضب إذ رأى استقبال رجل غير مهم كالحجة فجلد محمد بيك وقطع لسان كربلائي ولى (نفس الكتاب صحيفة ٣٣٧)

وأظهروا له أن خوفه منهم يشجعهم على المطالب الأخرى التى يفرضونها عليه ويمكنهم بذلك قبل مرور وقت طويل من الاستيلاء على زمام السلطة وحرمانه من مشاركتهم فى إدارة الحكومة . وأخيرا تمكنوا أن يقنعوه بان يقبض على الحجة قولا منهم أن ذلك العمل ينفع فى صدّ تيار تأثيره

ولكن الحاكم لم يقبل ذلك لأول وهلة . وأكد العلماء أن ليس فى عمله أى خطر على الأمن والسلام فى المدينة بأى حال من الاحوال وتطوع اثنان من أنصارهم وهما بهلوان أسدالله وبهلوان صفر على وهما مشهوران بقوتهما الغشومة وتوحشهما بأن يقبضا على الحجة ويسلماه له مغلول الايدى . فوعد كلا منهم بمكافأة لعملهما . وقاما متأهبين والخوذة على رأسهما وأتبعتهما فرقة من الأوشاب من أحط طبقات الأهالى لتنفيذ غرضهما . وكان العلماء فى تلك الاثناء يحرضون الناس على مواصلة مجهوداتهم .

وما كاد الرسولان يصلان إلى القسم الذى يقيم فيه الحجة حتى قابلهما ميرصلاح أحد الأنصار الأقوياء مع سبعة من الأنصار المسلحين فقاوم هجومهما وسأل أسد الله إلى أين يريد التوجه فلما سمع منه شتما للحجة استل سيفه وصاح بقوله (ياصاحب الزمان) وضربه ضربة جرحته فى جبهته وكانت جسارة المير صلاح بالرغم من تسلح العدوّ وارتدائه لباس الحرب الثقيلة قد أخافت الجماعة المتجمهرين والجأتهم إلى الهرب فى جهات مختلفة (١) .

وكانت صيحة (ياصاحب الزمان)التى صدرت من صاحب هذا القلب القوى المدافع عن الدين قد سمعت لأول مرة فى مدينة زنجان وأحدثت رعبا انتشر فى أنحائها وارتعب الحاكم من قوتها وشدتها . وسأل عن هذه الصيحة ومعناها ومن الذى اقتدر عليها وارتعد رعبا عند ماعلم أن هذه الكلمة هى التى يطلب بواسطتها الاصحاب مساعدة القائم فى ساعة الخطر .

أما باقى الجماعة الخائفين فقابلوا الشيخ محمد توبچي ولما عرفوا انه من أخصامهم القادرين وإذ وجدوه غير مسلح ضربوه بالبلطة على رأسه وكسروها ونقلوه إلى الحاكم وما كادوا يضعون الجريح أمامه حتى قفز أحد مجتهدى زنجان الذى كان حاضرا واسمه السيد أبو القاسم وطعنه بمطواة كانت معه فى صدره . وكذلك الحاكم استل سيفه وضربه فى فمه

(١) أما المسلمون فهربوا من ذلك المنظر وأما الجرحى فكانوا يواسون بمعرفة عمه المير صلاح فى منزله (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٤١)

واقتفى اثره الحاضرون وضربوه بالاسلحة التى كانت معهم وأجهزوا على فريستهم الذى لم يتمكن من الدفاع عن نفسه وكان يسمع منه وهو يتلقى الضربات غير مكترث بآلامه (لك الحمد يا الهى بما أنعمت علىّ بتاج الشهادة) فكان أول من أسلم حياته فى سبيل الأمر من المؤمنين فى زنجان . وكانت وفاته يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ١٢٦٦ هجرية (١) قبل شهادة وحيد بمدة ٤٥ يوماً وقبل شهادة الباب بمدة ٥٥ يوماً .

وكان الدم الذى سفك فى ذلك اليوم قد أشعل نار الانتقام فى قلوب الأعداء بدلا من اطفائها وجعلهم يوالون الجهد فى ايقاع نفس العقاب على باقى الأصحاب . واذ تشجعوا بموافقة الحاكم الضمنية على أعمالهم عزموا على قتل كل من يمكنهم أن يقبضوا عليه بدون أن يستأذنوا الحكومة فى ذلك واتفقوا فيما بينهم أن لا يستريحوا حتى يطفئوا تلك النار الموقدة التى يعتبرونها كفرا شنيعا (٢) وأجبروا الحاكم على أن يطلق مناديا ينادى فى زنجان بان كل من يريد أن ينضم إلى الحجة وأصحابه فانه يجعل حياته فى خطر ويفقد أملاكه ويعرض زوجته وأولاده للذل والأهانة ومن يحب أن يضمن الراحة والشرف لنفسه ولعائلته فليتبرأ من هؤلاء الجماعة ويهجر جيرتهم ويطلب حماية السلطان.

وكان من جراء هذا الانذار أن انقسم الأهالى إلى فريقين ومعسكرين متحاربين وكان بمثابة امتحان شديد للذين كانوا مترددين فى قبول الأمر وأحدث أعظم الحوادث المؤثرة وأوجب تفريق الابناء والاخوة والاقارب عن بعضهم البعض وانفصمت عرى الاتصال والمحبة الدنيوية فى ذلك اليوم ونسيت العهود والطاعات الارضية لطاعة أقوى وأقدس . ووقعت زنجان فريسة لأعظم وأقسى هياج وارتفع الضجيج من أفراد الأسر المنقسمة إلى عنان السماء من شدة اليأس المزوج بصيحات الشتائم والسباب التى يقذف بها العدوّ فى تهديداته وتقابلها صيحات الفرح الصادرة من الذين افترقوا عن ذويهم وأقربائهم وعشائرهم وانضموا لنصرة أمر الحجة. وكان معسكر العدوّ يدوى بالاستعدادات الحامية للمعركة القادمة التى عزموا

(١) ١٦ مايو سنة ١٨٥٠ ميلادية

(٢) وكان الحاكم والعلماء قد كتبوا الى جلالته تقاريراً أظهروا فيها تخوفهم وحيرتهم وما كاد الشاه ينتهى من حرب مازندران حتى اشتعل غضبه من مشاهدة ثورة أخرى على نقطة جديدة فى امبراطوريته . واذ حرضه الصدر الأعظم والعلماء الذين أعلنوا الجهاد أصدر أمره بقتل البابيين ونهب ممتلكاتهم وكان وصول الأمر فى زنجان فى ٣ رجب (نفس الكتاب صحيفة ٣٤١ — ٣٤٢)

على خوض غمارها واتفقوا سرّا على اقتحامها وجاءتهم النجدات من القرى المجاورة بامر من الحاكم وتحريض المجتهدين والاشراف والعلماء (١)

ولم يعق الحجة ماشاهده من الهياج المتواصل بل صعد المنبر وبصوت جهورى خطب فى الجموع المحتشدة قائلا (ان يد القدرة قد فصلت فى هذا اليوم الحق من الباطل وفرقت بين نور الهداية وظلمة الضلالة ولا أريد أن تتحملوا ضررا بسببى وأن غرض الحاكم الوحيد وغرض العلماء الذين يساعدونه هو القبض علىّ واعدامى وليس لهم مطمع فى شىء آخر فليس لهم ظمأ إلا لشرب دمى ولايقصدون شيئا وراءه فكل من يبغى منكم أن يحفظ نفسه من الاخطار التى نحن معرضون لها والذى يتردد فى أن يضحى حياته لأجل الأمر فليرجع من هذا المكان إلى حيث أتي قبل أن تفوته الفرصة (٢))

وفى ذلك اليوم جند الحاكم أكثر من ثلاثة آلاف رجل من القرى المجاورة لزنجان وفى أثناء هذا شاهد المير صلاح ومعه بعض أقرانه قلق الأعداء المتزايد فطلبوا مقابلة الحجة وحرضوه على أن ينقل مقره الى قلعة على مردان خان (٣) فى جوار القسم الذى يقطنه وذلك بصفة عمل احتياطى . فوافق الحجة على ذلك وأمر بنقل النساء والأطفال

(١) وقامت ضجة شديدة سحرت المسلمين فهربوا من جميع الجهات وحضروا ومعهم نساؤهم وأولادهم وجزء من أمتعتهم فكانوا يروحون ويغدون كالمجانين والضائعين وهم يبكون على ترك مالم يقدروا على حمله . وترى العائلات تفترق والاباء يدفعون أبناءهم والزوجات أزواجهن والابناء أمهاتهم . وتركت منازل مقفرة فالضغينة هاجت واشتعلت وكان الحاكم يرسل الى القرى المجاورة ليجمع الرجال بالقوة للحرب المقدسة . (من كتاب السيد علي محمد الباب للقولاوس صحيفة ٣٤٢)

(٢) والبابيون من جهة أخرى لم يقفوا مكتوفين فرتبوا أنفسهم واستعدوا للدفاع . وكان الحجة ينصحهم أن لا يتعدوا على أحد وفقط يدافعون عن أنفسهم . وقال لهم (يا اخوانى لا تخجلوا ولا تظنوا بسبب كونكم أصحاب صاحب الزمان انكم تفتحون العالم بحد السيف فلا والله الحق انهم يقتلونكم ويحرقونكم ويحملون رؤوسكم إلى البلدان ، والنصرة الحقيقية لكم أن تبقوا دائما مستعدين للتضحية انتم ونساؤكم وأمتعتكم فان الله يريد فى كل زمان أن يجعل دم المخلصين دهنا لمصباح دينه وقد سمعتم التعذيب الذى وقع على شهداء مازندران والذبح الذي توفى به هؤلاء الاولياء . فهم يقتلونهم لانهم يؤكدون أن المهدى الموعود قد ظهر وانى أحذركم بان من لم يكن منكم مستعدا للعذاب ولا يتحمله فليذهب الى الجانب الآخر لاننا كلنا سنستشهد . أليس سيدنا ومولانا فى قبضة يدهم (نفس الكتاب صحيفة ٣٤٢ — ٣٤٣)

(٣) ويجب علينا أن نتصور حالة القرية الايرانية فالشوارع ضيقة لاتزيد عادة على أربعة أو خمسة أو ثمانية أقدام على الاكثر . وأما الأرض التى لم تكن مبلطة فهى ممتلئة بالثقوب العميقة على شأن لايمكن السير فيها بدون احتراس شديد لئلا تتكسر الأقدام . أما المنازل فهي بدون منافذ على

والمؤنة الى القلعة . ولما وجدوا القلعة مسكونة رجوا أصحابها بالانسحاب منها وأعطوهم بدلها منازلهم التي أخلوها والتي كانوا يقطنون فيها .

وكان العدوّ فى تلك الأثناء يستعد لهجوم عنيف . ولم تكد فرقة من القوات تطلق النيران على الاستحكامات حتى سأل المير رضا وهو سيد من الشجعان الافذاذ الحجة أن يسمح له بأن يقبض على الحاكم ويأتي به سجينا فى القلعة. فلم يوافق الحجة على هذا الطلب ونصحه أن لا يضحى بنفسه فى هذا السبيل .

ولكن اذ سمع الحاكم بعزم ذلك الشريف أخذ منه الخوف كل مأخذ وعزم على ترك زنجان فى الحال ولكن شريفا آخر أقنعه بالعدول عن هذا المسلك خوفا من حدوث اضطرابات جسيمة على أثر ذلك تستوجب احتقاره فى نظر رؤسائه وقرر الشريف أنه سوف يهجم بنفسه على القاطنين فى القلعة كشهادة منه على انه جادّ فى قوله . وما كاد يهجم ومعه ثلاثون من أقرانه حتى قابل فجأة اثنين من أخصامه شاهرين سيوفهما فظن انهما يريدان الهجوم عليه وعلى أقرانه وأخذه الخوف ورجع توا الى منزله ونسى العهود التى قدمها للحاكم وبقى فى منزله وأغلق عليه الغرفة بقية ذلك النهار . وأما الذين كانوا معه فتفرقوا وتركوا العزم على متابعة الهجوم وفهموا فيما بعد أن الاثنين اللذين قابلاهما لم يكونا يقصدان أى هجوم عليهما . بل كانا فى طريقهما لاتمام مأمورية كلفا بها .

ووقعت بعد تلك الحادثة المخجلة جملة مناوشات من أصحاب الحاكم انتهت كلها

الشوارع وعلى الجانبين حوائط متصلة ببعضها وتعلو خمسة عشر قدم وفوقها بلكون بدون حاجز أحيانا تشرف من هنا وهناك ويسمى بالاخانة وتدل على منزل أحد الأغنياء . وكل ذلك مبنى من الطين أو اللبن المسوى فى الشمس وقوائمها فقط مبنية بالطوب الاحمر . وهذا النوع من البناء قديم ومعروف فى مدن بين النهرين وله امتيازات عظيمة فهو صحى من جهة ورخيص فى التكاليف ويمكن عمل كوخ منه مبيض بالجير ويبنى منه القصور ويطلى فوقه بالمزيك وبالقيشانى ويطلى بالألوان الفاخرة ويذهب ولكن مقابل هذه الامتيازات فأن المنازل المذكورة سريعة العطب تحت أقل تأثير . فلا تحتاج إلى مدفع بل أن مطراً بسيطا يكفى لهدمها إن لم يؤخذ الاحتياط اللازم ومن هذا يفهم كيف أن المدن العظيمة التى كانت مشيدة على هذا الطراز لم يبق منها سوى بعض بقايا من الهياكل والقصور وأكوام من التراب فى السهول . ففي بضعة سنين تختفى أقسام بالكلية بدون ترك أى أثر إذا كانت المنازل فيها لا ترم . ولما كانت جميع مدن إيران مبنية على هذا الطراز يمكنا أن نصور زنجان بشوارعها الضيقة وسورها المحيط بها وفيه القلاع . وفى وسطها قلعة كبيرة تدعي قصر على مردان خان

(الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ١٩٧ ــ ١٩٨)

بالخيبة والأرتداد وكلما هجموا على القلعة بأمر الحجة بعضا من أصحابه الذين كان مجموع عددهم ثلثمائة أن يخرجوا من مكمنهم ويشتتوا شملهم . ولـكنه لم يفته أن ينبههم فى كل مرة أن لا يسفـكوا دماء أعدائهم بدون مقتض وأن تـكون مهمتهم الوحيدة قاصرة على الدفاع والمحافظة على عدم خرق حرمة الأطفال والنساء . فـكان يقول لهم (إننا مأمورون أن لا نثير حربا دينيا بأى حال من الأحوال على غير المؤمنين مهما كانت نياتهم نحونا)

واستمر الحال على هذا المنوال (١) إلى أن صدرت الأوامر كتابة من الأمير نظام إلى أحد قواد الجيش الملـكى المدعو صـدر الدولة الاصفهاني (٢) الذى خرج على رأس فيلقين قاصداً آذربايجان أن يلغى سفره الذى كان مزمعا أن يقوم به وينضم فى زنجان لمساعدة القوات التى جمعتها الحـكومة هناك ووصلته هذه الاوامر الـكتابية من الوزير الـكبير فى بلدة خمسه وكان مما كتبه له الأمير نظام (إنك مأمور من مليكك أن تخضع فئة المفسدين التى اجتمعت فى زنجان وما حولها . ومن موجبات الشرف لـكم أن تسحق آمالهم وتمحو قواتهم ومثل هذه الخدمة الفريدة تستوجب لك أكبر كرامة فى نظر الشاه وأعظم احترام وإجلال فى نظر الناس)

(١) وكان حاكم زنجان خوفا على نفسه قد أخذ الاهبة للمحافظة على سلطته وقدم لميرزا محمد تقى خان الامير الـكبير تقريراً كاذبا عن سير الحوادث لانه خشى أن يأتى آخر أقوى منه وينتزع السلطة من يده ويضيع احترامه ويضعف . وبناء على تقريراته أصدر الأمر الى سيد على خان رئيس الجندية فى فيروزكوه بان يتقدم مع بعض الخيالة والمشاة الى زنجان ويقبض على ملا محمد على الذى كان قد خرج مع أتباعه (نحو خمسة آلاف) الى القلعة . وبمجرد وصوله حاصر القلعة وبهذه الـكيفية اشتعلت نيران الحرب ويوما فيوما كان يزداد عدد القتلى من الجانبين الى أن انهزم هزيمة مخجلة . واضطر لطلب الامداد من طهران . فارادت الدولة أن ترسل جعفر قلى خان اخ اعتماد الدولة ولـكنه اعتذر وقال لميرزا تقى خان الامير الـكبير : انى لست ابن زياد لأشهر الحرب على طائفة من الأشراف ورجال العلم الذين لا أعلم عنهم شيئا ولو انى أكون مستعدا لمقاتلة الروس واليهود أو غيرهم من المشركين وكذلك امتنع غيره من الضباط أن يدخلوا فى هذه الحرب ومنهم الميرسيد حسين خان من فيروزكوه الذى طرده الامير إذ علم بامياله . وكذلك عسكر العلى اللهين الذين ولو انهم ذهبوا للحرب امتنعوا عند ماعلموا بالموضوع لان رئيسهم أمرهم بالامتناع عن المحاربة ولذلك هربوا . لانه مكتوب فى كتبهم انه عند حضور عسكر جوران الى العاصمة يظهر رب العصر ويدعونه (الله) وقد تمت هذه النبوة . وكذلك لديهم من الاشعار التى تدل على تاريخ الظهور وهذه أيضا انطبقت على ذلك الزمن . فـكانوا لذلك مقتنعين بان ذلك هو الحق وطلبوا أن يعفوا من الانضمام الى الحرب لانهم غير قادرين عليه . وقد قالوا للبابيين (انه عنـد ما تتم أوضاع الديانة وتتقوى سوف تساعدكم فى الحروب المقبلة) . وبالاختصار عند ما شاهد رؤساء العسكر فى اعدائهم الاخلاص والتقوى والشفقة ترددوا سرا ولم يستعملوا كل قوتهم فى الحرب (من التاريخ الجديد صحيفة ١٣٨ — ١٤٣)

(٢) وقال جوبينو صحيفة ١٩٨ انه كان حفيد الحاج محمد حسين خان اصفهانى

وكان هذا الفرمان المشجع قد أثار أطماع صدر الدولة . فقام للحال إلى زنجان على رأس الفيلقين ورتب القوات التى وضعها الحاكم تحت أمرته وعمل على هجوم مشترك على القلعة ومن فيها من المدافعين . (١)

ودامت المعركة فى جوار القلعة ثلاثة أيام وثلاث ليالى وفيها كان المحاصرون يدافعون ويقاومون هجوم أعدائهم الشديد ببسالة طبقا لاوامر الحجة . فلم تفلح كثرة عدد القوات ولا أسلحتهم المتفوقة ولا تدريبهم الكامل فى اخضاع هؤلاء الأصحاب الابطال ولا فى تسليمهم بدون قيد ولا شرط (٢) ولم يثنهم الجوع أو السهر ولا نيران الاعداء التى غمرتهم عن أن يخرجوا من القلعة ويهجموا وسط الاعداء غير مباليين بالخطر الذى ينجم عن هذا الاقدام . وفى هجومهم يردون على استهزاء الاعداء بصيحة (ياصاحب الزمان) ويتغلغلون فى قلب جموعهم بذلك التأثير السحرى الذى تلقيه فيهم تلك الصيحة ويتمكنون بذلك من تشتيتهم . وكان تعدد حصول هذه الهجمات ونجاحها

(١) وفى اليوم الرابع رأى المسلمون لفرط فرحهم أن صدر الدولة حفيد الحاج محمد حسين خان الاصفهانى دخل المدينة التى كانوا يقطنونها على رأس خيالة من قبيلة الخمسة وهو حاضر من السلطانية . وجاءت الامدادات فى الايام التالية . فجاء أولا السيد على خان وشاه بار خان وأحدهما من فيروزكوه والآخر من المراغة ومعهم مايتان من الخيالة من قبائلهم . ثم محمد على خان شاهسون ومعه مائتان من الخيالة الافشار ثم خمسون من المدفعية ومعهم مدفعان ومدفعيتان وأصبح الحاكم وقد أحاطته جميع القوى المرغوبة وبرؤساء من مشاهير العسكرية (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ١٩٨ــ ١٩٩)

وكان يوم ٥ رمضان من أشد أيام الحصار التى وردت فى يوميات الحصار . فآن مصطفى خان القاجار ومعه الاورطة الخامسة عشر من شكاغى وكذلك صدر الدولة ومعه خيالة الخمسة وسيد على خان من فيرروزكوه ومعه أورطته ومحمد آقا ومعه فرقة الناصر وهى أورطة الشاه كما قيل سابقا . ومحمد على خان ومعه خيالة الأفشار وتابى بيك ومعه خيالة قبيلته . وفرقة من أهالى زنجان وكل هؤلاء تجمعوا وهاجموا البابية وكان الدفاع مستميتا . وكان رؤساء الطائفة يقعون فى الميدان وهؤلاء ممن لا يمكن تعويضهم . فمنهم نور على القناص وبخش على النجار وخداداد وفتح الله بيك وجميعهم من رؤساء البابية . فكان البعض يقع صباحا والآخر مساء (كتاب الاديان والفلسفة للكونت جوبينو صحيفة ٢٠٠)

(٢) وقد رأيت فى زنجان خرائب ذلك اليوم المفجع وكانت أقسام بحالها قد هدمت مما لا يمكن اعادة بنائه ابدا. وكان من أصحاب هذه المأساة من أخبرنى بان البابيين كانوا يصعدون ويهبطون من البلكونات والشرفات حاملين المدافع باذرعهم. وكانت الأرضية أحيانا غير قوية لأنها من الطين المضروب فتنهدم ثم يعودون يقومونها بالبراطيم فاذا حضر العدو أداروا المدفعية بكل حماس وتمتد جميع الايدى لرفعها وعند ما يقع الحاملون تحت رشاش المدافع يتبارى المئات منهم لنيل شرف رفعها ويقينا أن ذلك من قوة الايمان . (نفس الكتاب صحيفة ٢٠٠ ــ ٢٠١)

أوهن قلوب الاعداء وأقنعهم بعبث مجهوداتهم حتى أقروا بعجزهم عن نيل النصر النهائى واعترف صدر الدولة أخيرا بانه بعد مرور تسعة اشهر فى المحاربات المستمرة لم يبق معه من رجال الفرقتين. اللتين كانتا معه سوى ثلاثين رجلا من الماطلين . وقرر فى ضعة بانه غير قادر على اخضاع هذه الروح التى يحاربه اخصامه بها . فانزل من رتبته وحصل له توبيخ شديد من مليكه . وضاعت بسبب هزيمته منه نهائيا تلك الآمال التى كان يؤملها بفروغ صبر

ووقع الرعب فى قلوب أهالى زنجان بسبب هزيمته المخجلة ولم يقبل أى أحد من الاهالى أن يخاطر بحياته فى المعارك لما حصل لهم جميعاً من اليأس . ولم يتجدد الهجوم إلا ممن أجبروا على المحاربة . ولم يرض أحد بالدخول فى معمعان القتال سوى الفرق التى ترسل تباعا من طهران لهذا الغرض . وبينما أهالى المدينة وخاصة التجار قد انتفعوا من ورود قوات كثيرة بجوارها فان أصحاب الحجة كان ينقصهم الزاد وأعوزتهم المؤونة أثناء الحصار . فنقصت مواردهم بسرعة ولم يبق لهم أمل فى الحصول على القوت إلا من بعض النسوة اللائى يقتربن من القلعة باحتجاجات مختلفة لبيع ماممهن باثمان باهظة وكن فى غالب الاحوال لايتمكنّ من ذلك .

ومع أن المحصورين كانوا فى شدة الجوع ومعرضين دائماً لهجوم فجائي قاسى فانهم ثبتوا فى الدفاع عن القلعة بعزم لاينثنى. وليقينهم بان قوات العدو لاتقدر أن تغلبهم نجحوا فى اقامة متاريس لايقل عددها عن ثمانية وعشرين ووضعوا فى كل استحكام تسعة عشر محارب وكذلك وضعوا تسعة عشر حارساً فى كل منها وكانت وظيفتهم مراقبة حركات العدو والاخبار عنها .

وكانوا كثيراً مايدهشون من صوت المنادى الذى يرسله العدوّ فى جوار القلعة لاقناع سكانها بان يهجروا الحجة وأمره . وهو يقول (ان حاكم الاقليم ورئيس الجيش مستعدان للصفح عن كل من يعزم منكم على ترك القلعة والارتداد عن دينه ويسهل له المرور والرجوع. والرجل الذى يفعل ذلك يكافئه الملك وينعم عليه برتبة شريفة فضلا عن العطايا التى يهديها له . وحلف الشاه ونائبه على ذلك بشرفهما أن لايحنثا فى يمينهما). فكان المحصورون يقابلون بالاجماع هذا النداء بالرفض والاستهزاء والاحتقار .

ومن أعظم الدلائل على روح التضحية العالية التى حركت هؤلاء الأبطال قيام قروية اختارت أن تكون بين النساء والأطفال الذين انضموا إلى المدافعين فى القلعة .

واسمها زينب وكانت تقطن فى مزرعة صغيرة فى جوار زنجان . وكانت صبيحة الوجه متأججه بنار الايمان العالى وذات شجاعة وهيبة حقيقية . وأثر فيها منظر المتاعب والآلام التى قاساها اصحابها الرجال وأثارحماسا لاتنطفى نيرانه فلبست لباس الرجال وشاركتهم فى دفع الهجمات المتوالية من الأعـداء وارتدت جبة ووضعت على رأسها قلنسوة كالرجال وقصت شعرها وتقلدت سيفا وأمسكت بندقية ودرعا ودخلت فى صفوف الأحباء . ولم يشك أحد فى رجولتها وهى تقفزلتأخذ محلها فى المتاريس وبمجردأن تسمع اطلاق الرصاص من الأعداء تستل سيفها بجسارة لاتكادتصدق وتهجم وسط الاعداء وهى تصيح (ياصاحب الزمان) غير مبالية بما أمامها من الصفوف . واندهش الحبيب والعدو كلاهما من جرأتها وبسالتها وسرعة حركتهامالم يشاهدوا له مثيلا . وكان أعداؤها يقولون أنها اللعنة التى أرسلها عليهم الغضب الالهى فكانوا يهربون من أمام وجهها وهم مرعوبون قانطون تاركوا استحكاماتهم ومتاريسهم بانهزام مخجل امامها .

وكان الحجة يراقب حركات العدو من أحد البروج إذ رأى هذه القروية وهى تهاجم الأعداء وعرفها وأعجب ببسالتها وكانت قد تتبعت الأعداء وهم هاربون فأمر رجاله أن يأمروها بالرجوع الى القلعة وأن لا تتبع الأعداء . واذ رآها لا تبالى بالنيران التى أطلقت عليها قال (لم يظهر مثل هذا الاقدام ولا الشهامة من أحد حتى ولا من الرجال) ولما سألها عن بغيتها فى هذا المسلك اندفعت فى البكاء وقالت (ان قلبى مجروح من الأسى والحزن عند ما شاهدت آلام ومشاق أقرانى فتقدمت بقوة باطنية حرضتنى على هذا العمل ولاأقدر على منعها وكنت أخشى انك لا توافق أن تهبنى هذا الامتياز فى أن يكون نصيبى مع أقرانى الرجال) فقال الحجة (لا شك انك نفس زينب التى تطوعت فى الانضمام الى سكان القلعة) فأجابت قائلة (نعم أنا هى وانى أؤكد لك انه لم يطلع أحد على حقيقتى سواك . وأنا أستحلفك بالباب أن لا تحرمنى من هذا الفخر الذى لا يدانيه فخر فان تاج الشهادة هو مرغوب حياتى وكان الحجة قد تأثر شديد التأثر من كيفية طلبها ولهجة كلامها وأراد تهدئة خاطرها وأكد لها انه دائم الدعوات لها وسماها رستم علىّ للدلالة على شجاعتها وبطولتها. وقال لها ان هذا اليوم هو يوم القيامة ويوم تنكشف الأسرار (انه على رجعه لقادر

يوم تبلى السرائر) فالله يحكم بين عباده بما كسبت قلوبهم من الاعتقادات وليس بما هم عليه من الصورة سواء كانوا رجالا أو نساء ومع انك جارية صغيرة السن ذات تجارب قليلة ولـكنك قد أظهرت من البسالة والنشاط مالا يقدر عليه الا قليل من الرجال) وأجابها للحال لطلبها وحذرها أن تتعدى الحدود التى فرضها عليها دينها وأشار اليها قائلا (علينا أن ندافع عن حياتنا ضد المهاجين الخائنين وليس لنا أن نثير حربا دينية ضدهم .)

واستمرت هذه القروية مدة لاتقل عن خمسة أشهر وهى تقاوم العدوّ بشجاعة نادرة لا مثل لها . وكانت تعمل بجد ونشاط للأمر الذى كانت تحبه ولا تبالى بالطعام أو الراحة أو النوم . فجسارتها العجيبة أحيت الشجـاعة فى قلوب البعض ممن كانوا مترددين وذكرتهم بالواجب الذى كان مفروضا على كل منهم . وكان الحسـام الذى تشهره معلقا دائما بجانبها وكانت تتوسده فى الفترات القصيرة التى تنام فيها وتغطى جسمها بالدرع . وكان كل واحد من الأصحاب موكلا بنقطة يحرسها ويدافع عنها بينما تلك السيدة الجريئة كانت حرة تتنقل حيث تشــــاء وكانت دائما فى المقدمة وفى قلب المعمعة تهجم لحماية أى نقطة تـكون مهددة من العـدو المهاجم وتحضر توّا الى الأصحـاب الذين يطلبون مساعدتها . ولما قاربت حياتهـا على الانتهـاء عرف أعداؤها أمرها واستمرت ترهبهم بتأثيرها وترعبهم بقوة هجومها رغم اطلاعهم على السر بأنها جارية لا غلام . وكان صوتها الجهورى كافيا أن يوقع الرعب فى قلوب الأعداء ويملأهم يأسا .

وذات يوم إذ رأت زينب أن أصحابها قد أحاطت بهم الأعداء أسرعت للحجة وهى فى حزن ورمت نفسها تحت أقدامه وتضرعت له وهى تبكى أن يسمح لها أن تذهب لأنقاذهم وزادت قائلة (إن حياتى قد قاربت الانتهاء وربما وقعت بنفسى تحت سيف المهاجم فاتضرع اليك أن تغفر لى ما يكون قد فرط منى وتتوسط لى عند مولاى الذى لأجـله أحن أن أفدى حياتى .)

فلم يقدر الحجة على الجواب من شدة تأثيره . واذ تشجعت بسكوته الذى أخذته أنه علامة الرضا وثبت خارجة من الباب وصاحت سبع مرات (ياصاحب الزمان) وهجمت لقطع يد الرجل الذى قتل وذبح بعضا من الأصحاب وصاحت وهى ثائرة تقول(كيف دنستم اسم

الاسلام بأعمالكم ولماذا تهربون من أمامي بهذه الذلة ان كنتم صادقين) وجرت على المتاريس التي أقامها العدوّ وقتلت الحراس وهدمت ثلاث متاريس وكانت تقاتل في الرابع اذ سقطت تحت وابل من الرصاص على الأرض وفارقت الحياة . فلم ينبس أحد من الأعداء ببنت شفة فيما يتعلق بطهارتها أو يتجاهل سموّ اعتقادها وشدة بأسها . ولم تكن هي التي عرفوها من قبل في نظرهم تلك القروية بل كانت عنوان كل الفضائل الانسانية ومثال الاخلاق ومظهراً ناطقاً للروح التي لا يقدر على خلقها سوي الدين الذي اعتنقته .

وأمر الحجة الرسل الذين يتوسطون بينه وبين الاصحاب أن يخطروا حراس الاستحكامات أن يتبعوا أمر الباب ويكرروا ١٩ مرة كل ليلة (الله أكبر. الله أعظم. الله أجمل. الله أبهى. الله أطهر) وفي نفس الليلة التي وصل لهم فيها الأمر اجتمع المدافعون عن الاستحكامات وكرروا هذه الجملة بصوت واحد . وكانت الصيحة شديدة ومرتفعة لدرجة أن الاعداء استيقظوا من نومهم وهربوا من المعسكر مرعوبين واذ أسرعوا إلى جوار مسكن الحاكم طلبوا الالتجاء والاحتماء في المنازل المجاورة . وسقط بعضهم من شدة رعبه واستولى الخوف على كثير من سكان زنجان حتى الجأهم إلى الهرب إلى القرى المجاورة وظن الكثيرون بأن هذه الصيحة إن هي الاعلامة على ظهور يوم القيامة وآخرون ظنوا أنها اشارة من الحجة بالهجوم الجديد العام بطور أشد مما كان يفعله إلى الحين .

ولما سمع الحجة بالاضطراب الذي وقع على الاعداء من جراء هذا النداء قال (فكيف يكون الحال لو كان سيدي قد صرح لي أن أشهر جهادا على هؤلاء الكفار الجبناء فقد أمرت أن أثبت في قلوب الناس أصول المحبة والأحسان السامية وأن يمتنعوا عن كل عنف لاتوجبه الضرورة . فغرضي وغرض اصحابي أن نطيع رئيسنا ومليكنا ونكون على صفاء ومودة مع عامة الشعب . ولو اتبعت مثال علماء زنجان لكنت طيلة أيام حياتي معبودا من هؤلاء العامة عبادة العبيد لأسيادهم ولكني لن أقبل أبدا أن أبدل طاعتي الداعية لامره بكنوز الأرض كلها ولابجميع أبهة الدنيا وزخارفها.)

ولم يزل الذين أصيبوا بالفزع والاضطراب تلك الليلة يتذكرونها لحوادثها دائما عالقة في أذهانهم وسمعت من شاهد عيان يبين بكلام فصيح الفرق بين الجلبة والاضطراب الحاصل في معسكر العدوّ وبين حالة الخشوع والمناجاة التي كان عليها أهل القلعة . فبينما

كان الذين فى القلعة يذكرون اسم الله ويطلبون هدايته ورحمته كان أخصامهم من الضباط والرجال منغمسين فى أعمال الشهوات السافلة . أما سكان القلعة فمع ضمور أجسامهم ونضوب مواردهم كانوا ملازمين للمناجاة يرتلون الآيات التى كان يأمرهم بتلاوتها الباب. وكان معسكر العدوّ إذ ذاك يدوي بأصوات الضحك الممزوج بألفاظ الشتم والسباب واللعن . وفى تلك الليلة على الخصوص حينما صعد صوت الترتيل قام الضباط الفجرة وهم قابضون على كؤوس الخمر فى أيديهم وهربوا حفاة حتى وقعت منهم تلك الكؤوس كأنهم صعقوا من الصيحة الجهورية التى وقعت أثناء التفافهم حول مائدة المقامرة وأصابهم الهلع وهرب بعضهم إلى البرية عاريى الرأس وانقلبت موائد المقامرة اثناء هروبهم حفاة ولم يرتدوا ملابسهم بأكملها وأسرع البعض الآخر إلى منازل العلماء وأيقظوهم من النوم. وأخذوا وهم فى سكرتهم يلعنونهم لأنهم تسببوا فى إشعال هذه الفتنة .

وبمجرد أن علم العدوّ بالغرض المقصود من الصيحة عادوا إلى مراكزهم بعد الاطمئنان مع الخجل الكبير وأمر الضباط عددا من الرجال أن يكمنوا ويطلقوا النار على الجهة التى يسمع منها الصوت مرة أخرى . وفى كل ليلة يقتلون جملة من الأصحاب على هذه الصورة ولم تعق تلك الخسائر المستمرة أصحاب الحجة عن أن يستمروا ويرفعوا أصواتهم بحماس لاينقطع بالتهليل والتكبير محتقرين جميع الاخطار التى تنتابهم بسبب تلاوة هذه المناجاة وكلما نقص عددهم زاد ارتفاع اصواتهم وتجلجلت صيحاتهم . حتى أن خطر الموت لم يعق هؤلاء الابطال المدافعين ولم يمنعهم من تأدية ما اعتقدوه أعظم وأشرف ذكرى لمحبوبهم .

وبينما كانت رحى الملاحم دائرة أرسل الحجة خطابا إلى ناصر الدين شاه يقول فيه . (ان اتباع جلالتك الشاهانية يعتبرونك الحاكم الدنيوى والحافظ الأعظم على الدين . وهم يلجئون لعدالتك وينظرون إليك بأنك الحامى الأكبر لحقوقهم . ومسألتنا أولا تخص علماء زنجان فقط ولا تتعلق مطلقا بحكومتكم ولا بالأهالى . وقد دعانى سلفكم إلى طهران وأمرنى أن أظهر دعوة دينى واقتنع المرحوم الشاه وامتدحنى وعمدت الى ترك موطنى والاقامة فى طهران ولم يكن لى من قصد سوى إخماد تلك الضجة التى أثاروها حول شخصي واطفاء النيران التى أشعلها أهل السوء . ومع أنى كنت فى حل من العودة إلى

موطني فضلت أن أبقى فى العاصمة متكلا على عدل مليكي . وفى ابتداء حكمكم اتهمني الأمير نظام بالخيانة أثناء ملحمة مازندران وعزم على قتلي ولما لم أجد أحدا فى طهران يحميني هربت لزنجان فراراً حيث عدت إلى بذل مجهوداتي لرفعة وأعلاء شأن صالح الاسلام الحق . وأثناء اشتغالي بذلك قام عليّ مجد الدولة وكثيراً ما طلبت منه العدل والأنصاف فى أمري فلم يقبل وحرضه علماء زنجان وبسبب تملقهم اليه عزم على القبض عليّ . فتداخل أصحابي واجتهدوا أن يمنعوه من ذلك ولكنه استمر على تحريك الناس ضدي حتى ادّى الحال إلى ما نحن فيه . وللآن سكتم جلالتكم عن مساعداتكم الكريمة لصالحنا نحن الابرياء الذين وقعوا فريسة لظلم فادح . واجتهد اعداؤنا أن يصوروا الأمر فى أعين جلالتكم بأنه خيانة ضد سلطتكم . مع أننا لا نضمر فى قلوبنا سوأً أو خيانة كما يعرف ذلك كل منصف بصير . ولا غرض لنا إلا تقدم مصالح حكومتكم ومصالح العباد . وإني وأصحابي مستعدون أن نحضر فى طهران أمامكم ونجتمع مع خصومنا ونثبت صحة أمرنا) ولم يكتف بخطابه هذا بل طلب أيضاً من رؤساء أصحابه أن يحرروا مثل هذا الخطاب إلى الشاه وأن يلحوا عليه فى طلب العدل والانصاف .

وما كاد الرسول الذى حمل هذه الرسائل إلى طهران أن يقوم فى طريقه حتى قبض عليه وأحضر أمام الحاكم. وإذ غضب من عمل أخصامه أمر باعدام الرسول ومزق العرايض وكتب بدلا عنها عرايض أخرى شحنها بالشتم والسب وامضاها بامضاءات مزورة للحجة وأصحابه وأرسلها الى طهران .

وغضب الشاه من تلاوة تلك العرايض وامر فى الحال بارسال فرقتين مجهزتين بالمدافع والمؤن إلى زنجان وأمر أن لا يسمح لأي صاحب من أصحاب الحجة أن يبقى على قيد الحياة وكانت أخبار استشهاد الباب قد وصلت إلى مسامع الساكنين فى القلعة من السيد حسن أخ السيد حسين كاتب وحي الباب الذى وصل إلى آذربايجان فى طريقه إلى قزوين وزاد ذلك فى غمهم وانتشر الخبر بين الأعداء وقابلوه بالترحيب وارتفعت أصواتهم بالفرح والانبساط وأخذوا فى الاستهزاء باتباعه والطعن على مجهوداتهم رصاحوا بغطرسة وتكبر قائلين (لماذا تريدون أن تضحوا أنفسكم فان الذى تريدون أن تضحوا أنفسكم لأجله قد وقع فريسة لقذائف عدوه المنتصر . وفقد جسده من بين أعدائه واحبائه . فلماذا تصرون على

العناد فى حين أن كلمة واحدة منكم تكفى لخلاصكم من جميع الآلام ولكنهم عجزوا فى النهاية أن يقنعوا أضعف شخص منهم أن يهجر القلعة أو يرتد عن دينه وضاعت جهودهم فى زعزعة المؤمنين عن إيمانهم هباء منثورا . وكان الامير نظام فى الاثناء يحرض مليكه على أن يرسل النجدة إلى زنجان . فأرسل محمد خان الأمير تومان على رأس خمس فرق معدة بكافة أنواع الأسلحة والمؤن لتدمير القلعة واهلاك سكانها . وفى أثناء العشرين يوماً التى أوقفت فيها الأعمال العدائية وصل عزيز خان مكرى المسمى صدرالكل الى زنجان أثناء سيره فى مهمة حربية الى ايراوان(١) ونجح فى مقابلة الحجة بواسطة مضيفه السيد على خان وحكى الاخير لعزيز خان احوال مقابلته المؤثرة مع الحجة وبعد أن حصل على جميع المعلومات سأل الحجة عن مقاصد وأغراض المحصورين فأخبره الحجة (انه لو امتنعت الحكومة عن اجابة طلبى فاريد أن تسمح لى بان أرحل أنا وعائلتى الى مكان خارج حدود هذه البلاد . فاذا لم تقبل حتى هذا الطلب فنحن مضطرون لان ندافع عن أنفسنا . فأكد عزيز خان للسيد على خان انه سيعمل جهده لاقناع أرباب السلطة لايجاد حل سريع لهذه المسألة وما كاد السّيد على خان يعود الى منزله حتى جاء فجأة فراش من الامير نظام الى عزيز خان خصيصاً للقبض على سيد على خان وارساله الى العاصمة . ولشدة خوفه لابعاد كل تهمة عن نفسه شرع فى سب الحجة وإنكاره أمام الفراش . وبهذه الوسيلة تمكن من أن يمنع عن نفسه الخطر الذى كان يهدد حياته .

وكان وصول الأمير تومان سببا لعودة المحاربات بكيفية لم تشهد زنجان مثلها مطلقا . فكان يقود سبعة عشر فرقة من السوارى والبيادة تحت إمرته (٢) ومعه مالا يقل عن أربعة عشر مدفعا أمر بتصويبها جميعا على القلعة .

(١) وقال جوبينو «صحيفة ٢٠٢» أن عزيز خان كان قائد الجيوش فى آذر بايجان وأول أركان حرب للملك . ومر بزنجان وهو مسافر إلى تفليس لأجل تهنئة ولى عهد الروسيا الدوق الكبير بمناسبة وصوله إلى القوقاز .

(٢) وانضم محمد خان الذى كان فى ذلك الوقت بيجلير بيجى أو ميربنج أو قائد الفرقة وأصبح الآن أمير تومان إلى العسكر الموجودين ومقيمين بالمدينة . ومعه ثلاث آلاف رجل من فرق شيكاكى وفرق الحرس ومعهم ستة مدافع ومدفعيتين . وفى نفس الوقت دخل المدينة من جانب آخر قاسم خان أتيا من حدود كارباغ وأرسلان خان الماجور ومعهم الخيالة من خيرغان وعلى أكبر كابتن خوى ومعه البيادة . وكان كل منهم قد وصله فى أقليمه الخاص أمر من الملك بالحضور (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٠١)

وكان يمرّن أيضا خمسة فرق أخري جنّدها الأمير من الجهات المجاورة. وفى نفس الليلة التى وصل فيها أمر أن تضرب الأبواق دلالة على الهجوم . وأمر الضباط الطوبجية أن يطلقوا المدافع على القلعة فى الحال . وماكاد صوت المدافع الذى يسمع على بعد أربعة عشر فرسخا يدوي حتى أمر الحجة أصحابه أن يطلقوا مدفعين صنعوهما بأنفسهم وكان أحدهما قد نقل إلى مكان عال يشرف على معسكر الأمير . فأصابت قنبلة خيمة الأمير وجرحت جواده جرحا مميتا . وكان العدوّ قد صوّب نيرانه على القلعة بحنق زائد ونجح فى قتل عدد كبير من السكان وبمرور الأيام اتضح وضوحا زائدا بأن القوات التى تحت إمرة الأمير تومان عجزت عن إحراز النصر الذى كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر وبشوق زايد رغما عن ازدياد قوتهم وتفوقهم فى العدة والتمرين والمدد. وكانت وفاة فروخ خان بن يحيى خان وأخ حاجى سليمان خان أحد قواد جيش الأعداء قد أثار دهشة الأمير نظام الذى أرسل خطابا شديداً إلى القائد العام يوبخه فيه على عجزه عن إجبار المحصورين على التسليم بلا قيد ولا شرط. وكتب اليه قائلا (إنك قد أثلمت اسم وصيت مملكتنا وأوهنت الجيش حتى ضاعت قوته المعنوية وضيعت حياة أعظم وأقدر الضباط) وأمره أن يشدد على إتّباع النظام بين مرؤسيه ويطهر المعسكر من كل رذيلة وفجور. وحرضه على أن يتشاور مع رؤساء مدينة زنجان وحذره إذا لم ينجح فى ذلك كله فأنه سوف يعزله من وظيفته . وزاد على ذلك بقوله (وإذا كانت جميع القوى المجتمعة تحت أمرك عاجزة عن إخضاعهم فأنى سأضطر للقيام بنفسى إلى زنجان وآمر بذبح جميع الأهالى بقطع النظر عن مراكزهم واعتقادهم . فان مدينة تجلب كل هذا العار على الشاه والأسى لأهل مملكته غير جديرة برحمة مليكنا .)

وفى سورة اليأس وحمو الغضب دعا الأمير تومان جميع الكدخداوات ورؤساء الناس وأظهر لهم نص الخطاب . وبتحريضه الجد تمكن من اثارتهم للعمل فى الحال وفى اليوم الثانى تجند فى جيش الأمير تومان كل رجل قادر فى زنجان وسار الى طريق القلعة جحفل عظيم منهم تحت رئاسة الكدخداوات يتقدمهم أربع فرق من الجنود النظامية تصحبهم أصوات الأبواق ودق الطبول . وصاح أصحاب الحجة دفعة واحدة بصيحه (يا صاحب الزمان) غير مبالين بضجيج الجيوش وهجموا عليهم خارج الأبواب . وكانت هذه الملحمة أشد وأقسى محاربة وقعت بين الفريقين . وقد وقع زهرة أحباء الحجة فريسة فى

هذا اليوم بمذابح وحشية فكم من ابن ذبح بقسوة مطلقة تحت نظر والدته بينما الاخوات ينظرن بالهلع والحزن رؤوس أخواتهن مرفوعة على الرماح ومشوهة بأسلحة أعدائهم. وفى وسط معمعان الحماس الهائج من أصحاب الحجة لمقايلة وحشية الأعداء وهياجهم ارتفعت أصوات النسوة اللائى كن يحاربن جنباً لجنب مع رجالهن وهن يشجعنهم ويحمسنهم . وساعد على النصرة التى حازها الأصحاب بأعجوبة ذلك التهليل والابتهاج الذى ارتفع



مقابر أشرف (١) ووالدته (٢)

من اصوات النسوة فى وجه العدو القوى وزادت أصواتهن المرتفعة فى شجاعة رجالهن وكن يختفين بملابس الرجال هاجمات للحلول محل الأخوة الذين قتلوا بينما الكثيرات يحملن قرب الماء يسقين العطشى من المحاربين ويمدن القوة للجرحى . أما معسكر العدو فدب فيه الارتباك . واختلت صفوفه وكانوا يحاربون حرب المغلوبين نظراً لقلة الماء عندهم وارتباكهم وأصبحوا عاجزين عن إحراز النصر وفى الوقت نفسه غير قادرين على التقهقر . وفى ذلك اليوم شرب كأس الشهادة ما لا يقل عن ثلثمائة من الاصحاب .

وكان أحد أصحاب الحجة وإسمه محسن ووظيفته أداء الأذان ولصوته طلاوة ورنين ليس لغيره مثله . وكان يسمع رنينه وهو يدعو الناس للصلاة من القرى المجاورة ويخترق قلوب سامعيه . وكان كثيراً ما يندهش المصلون الذين يطرق صوته أسماعهم من إلصاق تهمة الكفر الى الحجة وأصحابه . وعلا احتجاجهم حتى وصل فى زنجان الى أسماع المجتهد الأكبر ولما لم يقدر أن يسكتهم تضرع الى الأمير تومان أن يتذرع بأى وسيلة ليمحو من

قلوب الناس اعتقادهم فى تقوى واستقامة الحجة وأصحابه . وكان يشكو اليه قائلا (انني ليل نهار اجتهدت فى أن أثبت فى عقول الناس فى محادثاتى معهم بأن هذه الطائفة أعداء الرسول وأعداء دينه ولكن صوت هذا المؤذن محسن الشرير يضيع تأثير كلماتى ويفسد مجهوداتى . فاهلاك هذا النذل هو أول واجباتك)

وكان الأمير قد امتنع أولا من اجابة طلبه وأجابه على ذلك بقوله (انكم أنتم وأمثالكم مسئولون عن اثارة حرب دينية عليهم . ونحن لسنا سوى خدام الحكومة وواجباتنا إطاعة الأوامر التى تصلنا . فاذا رغبتم إذاً فى إنهاء حياته فاستعدوا للتضحية) ففهم السيد للحال مقصود الأمير وما كاد يعود الى منزله حتى أرسل الى الأمير مع رسول ماية تومان بصفة هدية . فأمر الأمير فى الحال عدداً من رجاله المشهورين بالرماية أن يكمنوا لمحسن ويطلقوا عليه النار وهو يؤذن . وفى وقت الفجر بينما كان يصيح قائلا لا اله الا الله إذ أصابته رصاصة فى فمه وقتلته للحال . ولما سمع الحجة بذلك العمل الوحشى أمر أن يصعد خلافه على البرج ويكمل الأذان الذى ابتدأه محسن . ومع انه لم يصب فى هذه الدفعة . فانه مع كثيرين من اخوانه قتلوا أخيراً بكيفية لا تقل شناعة عن قتل زميلهم .

وإذ اقتربت ساعة انتهاء الحصار أمر الحجة أن جميع الخاطبين يقومون لاشهار زفافهم واختار لكل شاب اعزب زوجة وأنفق من جيبه الخاص على قدر استطاعته مايزيد فى رفاهية وفرح المتزوجين . وباع جميع الجواهر التى كانت تملكها زوجته واشترى لكل عروسين ما يجلب لهما الراحة والسعادة فى زواجهما . واستمرت الأفراح مدة ثلاثة أشهر بهذه الكيفية وكانت ممزوجة بالمصاعب والمتاعب الناتجة عن الحصار الطويل فكم من مرة هدد ضجيج العدو القادم أفراح العروسين فى وقت مقابلتهما . ولما كان صوت (يا صاحب الزمان) يرتفع إذ ذاك لمناداة الأصحاب لرد العدو الهاجم . وإذ كانت العروس تتطلب من زوجها برفق أن يطيل مكثه معها قليلا كان يتركها ويهجم على العدوّ طلبا لتاج الشهادة ويقول لها (ليس عندى وقت بل يجب علىّ أن أحصل على تاج هذا الفخر فسنلتق مرة أخري على شواطىء الأبدية مكان النعيم وموطن الحياة الأزلية) .

وتم عقد زواج نحو مائتى شاب أثناء هذه الأيام الصاخبة . وتمكن البعض من أن يمكثوا مع أزواجهم فى أمان مدة شهر وآخرون بضعة أيام والبعض لحظات قصيرة . ولم

يتأخر أى أحد منهم عند سماع دق الطبول عن الفراق ليجيب الداعى بفرح . ويتقدم كل واحد بنفسه فداء لمحبوبه بدون تذمر وشربوا جميعا أخيراً كأس الشهادة . فلا عجب أن المكان الذى كان مشهداً لأعظم الآلام والذى كان ميداناً لمثل هذه الفروسية سماه الباب (أرض أعلى) (١) وهو لقب يبقى دائما كل الوقت مقترنا باسمه الشريف .

وكان من بين الأصحاب شخص يدعى كربلائى عبد الباق والد السبعة أبناء زوّج منهم الحجة خمسة . وما كادت حفلة الزفاف تتم حتى علت صيحة الفزع فجأة للدلالة على هجوم جديد عليهم . فقاموا عن بكرة أبيهم وتركوا زوجاتهم وهجموا للحال لرد العدوّ المهاجم . وتوفى الخمسة جميعهم فى تلك المعركة وكان أكبرهم سناً شاب مشهور بالذكاء والشجاعة النادرة أخذوه أسـيراً وأدخل أمام الأمير تومان فصاح عليه ذلك الأمير الغاضب قائلا (اطرحوه أرضاً واحرقوا صدره الذى ضم حباً عظيما مثل هذا للحجة) . فاندفع الشاب قائلا (أيها الرجل النذل لا تقدر أى نار تشعلها يد رجالك أن تحرق الحب الذى يتجلى فى قلبى) وكان مدح محبوبه قد بقى على لسانه لآخر لحظة من حياته .

وكانت أم أشرف من بين النساء اللائى امتزن بقوة ايمانهن وتزوجت حديثاً إذ وقعت عاصفة زنجان . وكانت داخل القلعة إذ ولدت أشرف . وكانت هى وأشرف ولدها من البقية الباقية من القلعة بعد ختام تلك المأساة . ولما ترعرع ابنها بعد مرور جملة سنوات صار شابا ذا مواهب طبيعية عظيمة ولما عجز أعداؤه عن أن يقنعوه أن يرتد عن دينه اجتهدوا أن يؤثروا على والدته ويقنعوها بضرورة انقاذه قبل فوات الوقت . فلما أحضروها وجهاً لوجه أمامه صاحت الأم قائلة (اني أبرأ الى الله أن تكون ولدى اذا كنت تميل قلبك الى مثل هذه الوساوس الشريرة وتمكنهم أن يصدوك عن الحق) وقابل أشرف موته بكل سكون واطمأن بأتباعه لنصيحة والدته . ومع مشاهدتها آلام وأعمال القسوة التى تقع على ابنها فانها لم تجزع ولم تدمع عينها . وأظهرت هـذه الأم العجيبة شجاعة وثباتا أدهش نفس الذين كانوا يعذبون ابنها بهذا العذاب القاسى وحين نظرت إلى جثة ابنها لآخر مرة صاحت قائلة (لم يزل يتغلغل فى قلبى ذلك القسم الذى اقسمته يوم ولادتك إذ كنت محصورة فى قلعة علىّ مردان خان وانى أبتهج الآن ان الولد الوحيد الذي اعطاني الله قد حقق امالى بالوفاء بالنذر)

(١) لقب أعطاه الباب لزنجان .

وان قلمي ليعجز عن أن يصف أو يذكر بالاحترام اللائق ذلك الحماس الملتهب الذى تجلى فى تلك القلوب الباسلة . فكانت ارياح البغضاء على اشتدادها غير قادرة على اطفاء لهيبها . وكان الرجال والنساء يشتغلون بحماس لامزيد عليه لتقوية استحكامات القلعة وبناء كل مايدمره العدوّ منها. ويصرفون أوقات الفراغ فى الصلوة وانحصر كل فكرهم وهمّهم فى ضرورة حراسة معقلهم ضد هجوم عدوّهم . ولم يكن حماس النساء فى ذلك الحصار باقل من حماس وحرارة الرجال . واشترك كل النسوة بغض النظر عن سنهن ومقامهن فى الهمّة المشتركة التى بذلنها . فكن يخطن الثياب ويخبزن العيش ويعنين بالمرضى والجرحي ويذهبن للاستحكامات لازالة ماوقع فى الساحات والشرفات من القنابل والرصاص والسهام التى كان الأعداء يقذفون بها وكن يرممن الاستحكامات وفضلا عن ذلك يبعثن فى قلوب الرجال الهمة والنشاط ويحثن المترددين على التجلد (١) والصبر على القتال وحتى الاطفال كانوا يساعدون بكل مافيهم من قوة للامر المشترك وكان يظهر فيهم حماس لايقل عن حماس الأمهات والآباء . فهكذا كانت روح التضامن التى امتازت بها أعمالهم وهكذا كانت أعمال الفروسية التى جعلت الأعداء يعتقدون أن عددهم لايقل عن عشرة آلاف شخص . وكان من الأمور المسلم بها أن المؤونة ترد للقلعة باستمرار بطريقة غير معلومة وأن النجدات كانت تصلهم فى كل مكان من نيريز وخراسان وتبريز فكانت قوة المحصورين تظهر كأنها لايمكن أن تتزعزع إلى الابد وأن مواردهم لاتفنى. واشتد حنق الأمير تومان لتوبيخ الرؤساء له واحتجاجاتهم الواردة من طهران فعزم أن يلجأ إلى اخضاع المحصورين اخضاعا كليا بوسائل الخداع الدنيئة (٢) . ومع اعتقاده اعتقاداً يقيناً

(١) وكان الدفاع المستميت الذى قام به البابيون يرجع الى شجاعتهم وبسالتهم اكثر من متانة معقلهم . وحتي النساء اشتركن فى الدفاع وسمعت من ثقة أنهن كن كنساء القرطاجنيين يقطعن شعورهن الطويلة ويربطن بها البنادق المحطمة . (كتاب سنة بين الفرس للمستر ا . ج براون صحيفة ٧٤)

(٢) ومن المحقق أن الأحوال اضطربت بين صفوف المسلمين وظهر أنهم لا يمكنهم التغلب وأن المقاومة لا حد لها وفضلا عن ذلك لم يكن هناك من فائدة فى ازدياد الأضرار وتضحية الضباط والرؤساء فضلا عن العسكر ولماذا يتعرضون إذاً إلى هذه الأنكسارات المتوالية ؟ أليس أمام الجميع مثال حادثة الشيخ الطبرسي فقالوا إن علينا أن نعمل الحيلة ونحلف لهم بجميع الايمان المغلظة ثم ندبح هؤلاء الحمق الذين يثقون بنا (كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٥٠)

بعبث المجهودات التى يقوم بها فى محاربة أخصامه عمد إلى طريق الخداع وأوقف القتال وأشاع ان الشاه عزم على ترك المحاربة كلية . واظهر مليكه بمظهر الشخص الذى كان غير ميال منذ الابتداء لمساعدة القوات التى حاربت فى مازندران ونيريز وأنه تأسف كثيراً على سفك هذه الدماء لسبب تافه مثل هـذا . فاعتقد أهالى زنجان والقرى المجاورة أن ناصر الدين شاه قد أمر الأمير تومان بالمفاوضة للصلح بينه وبين الحجة وانه عزم على انهاء الأمر والحالة الراهنة التعيسة باسرع ما يمكن .

ولما تأكد أن الناس قد خـدعوا بخطته الماكرة كتب خطابا يدعو فيه المحصورين للصلح وأكد للحجة صدق نيته للحصول على وفاق بينه وبين اصحابه وارفق بالكتاب نسخة مختومة من القرآن كشهادة على صدق نيته وقسمه . وقال (ان مليكى سامحك وانى أقسم بهذا أنك وأصحابك فى حفظ وحماية المليك . وهذا كتاب الله شاهدى على أنه إذا أراد أى أحد الخروج من القلعة فانه يكون آمنا من أى خطر)

فاستلم الحجة القرآن بالاحترام من يد الرسول وبمجرد أن قرأ الخطاب أمر الرسول أن يخبر سيده بانه سيرد الجواب باكرا . وفى تلك الليلة جمع أصحابه وخاطبهم بالشكوك التى يعتقدها فى صدق نوايا الأعداء وقال (ان خيانات مازندران ونيريز لا تزال عالقة فى الاذهان. فما فعلوه معهم يريدون أن يفعلوا مثله معنا . ولكن مع ذلك نجيبهم إلى طلبهم احتراما للقرآن ونرسل إلى معسكرهم عددا من الاصحاب حتى يظهر غدرهم وخيانتهم .)

وقد سمعت من الاستاذ مهر علاى حداد الذى نجي من مذابح زنجان مايأتى (كنت أحد السبعة من الغلمان الذين لم يزد عمر كل منهم على عشر سنوات ورافقنا البعثة التى أرسلها الحجة إلى أمير تومان وكان الباقون يزيد عمر كل منهم على ثمانين. ومنهم كربلائى مولاقلى آقا داداش . ودرويش صلاح ومحمد رحيم ومحمد . وكان درويش صلاح ذا هيبة ووقار طويل القامة أبيض الذقن وذا جمال بديع . ومحترما للغاية لأخلاقه وتقواه . وكان توسطه فى أمر هؤلاء الأصحاب المحصورين قد أكسبه احترام وعطف أصحاب السلطان. وبمجرد أن اعتنق الأمر رفض قبول جميع الانعامات التى انعموا بها عليه ومع أنه متقدم فى السن انضم مع جماعة المدافعين فى القلعة. وسار أمامنا وهو حامل القرآن المختوم حينما أدخلونا أمام الامير تومان .

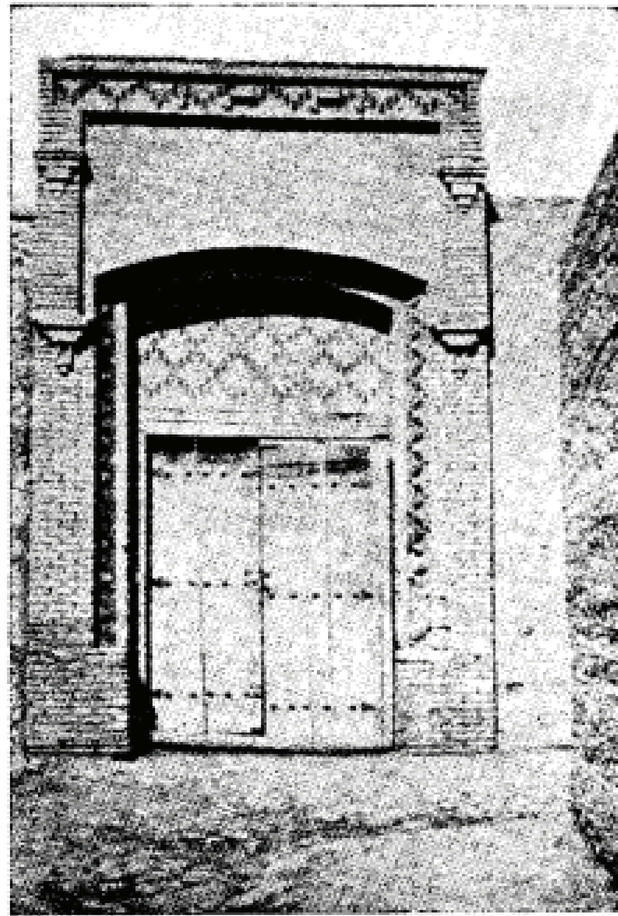
وإذ وصلنا إلى الخيمة وقفنا فى داخلها منتظرين الامر . ولم يرد على سلامنا له بشىء وعاملنا باحتقار زائد . وجعلنا ننتظره واقفين نصف ساعة قبل أن يعتنى بمخاطبتنا بلهجة التأنيب الشديد . وصاح باحتقـار وصلف (إنى لم أر طائفة أرذل ولا أحقر منكم .) وبينما هو يكيل لنا بالشتائم إذ تقدم أكبرنا سـنا واضعفنا وطلب أن يسمح له ببعض كلمات وإذ أذن له تكلم بطريقة أثارت إعجاب الجميع ولو أنه كان أميـاً ومما قاله (الله يعلم أننا أناس مسالمون لمليكنا وسنبق كذلك طائعـين ومخلصين له ولا غاية لنا سوى صلاح الدولة والملة ولـكن أولى البغضاء قاموا علينا وأظهرونا بمظهر غير مظهرنا ولم نجد أحداً من أعوان الشاه يميل إلى مساعدتنا أو يحامى عنا عنده وقد شكونا له مراراً ولكنه تجاهل شكوانا وصم آذانه عن ندائنا وتشجع أعداؤنا إذ رأوا عـدم الاهتمام من جانب السلطة الحاكمة فهجموا علينا من جميع الجهات ونهبوا أملاكنا وهتـكوا حرمة نساءنا وبناتنا وقبضوا على أطفالنا واذ رأينا أنفسنا غير محميين من حـكومتنا ومحاطين باعدائنا شعرنا بضرورة قيامنا للدفاع عن حياتنا) . فالتفت الأمير تومان إلى ياوره وسأله عما يراه فى هذه المسألة وقال (انى لا أقدر أن أجيب هذا الرجل ولو كنت فى قلبى متدينا فلن أتواني فى اعتناق دينه) فاجاب الياور (ليس لنا إلا السيف فهو الذي يخلصنا من سفاهة هذه الضلالة) فاجاب درويش صلاح (انى أحمل القرآن فى يدى وفيـه الاقرار الذى اخترتم بانفسكم كتابته. فهل مانسمعه الآن هو مكافأتنا على اجابتكم لطلبـكم). وإذ حمى غضب الأمير تومان أمر بنتف لحية درويش صلاح وأن يطرح هو ومن معه فى سرداب وفزعت أنا وباقى الغلمان الذين كانوا معى وعزمنا على الهرب وصحنا (ياصاحب الزمان) وجرينا إلى ناحية استحكاماتنا وبينما نحن نجرى أمسك الرجل الذى يتبعنى بطرف ردائى تخلصت نفسى منه ووصلت إلى الباب الذى يصل إلى مدخـل القلعة وأنا فى حالة الضنا الـكلى . فما كانت أكبر دهشتى عند ما رأيت أحد الاصحاب واسمه امام قلى يقطعه الاعداء بوحشية زائدة وحصل لى رعب شديد إذ نظرت اليه مع علمى بانه فى ذلك اليوم أعلنت الهدنة بين الطرفين باقسام مبنية على عدم اقتراف أي عمل من أعمال القسوة . وعلمت فيما بعد أن القتيل خدعه أخوه الذى احتج بأنه يريد مقابلته للتـكلم معه وأسلمه

بهذه الطريقة ليد الاعداء فاسرعت توا إلى الحجة الذى قابلنى بالمحبة وأزال الغبار عن وجهى وملابسى وأعطانى ملابس جديدة وأجلسنى بجانبه وأمرنى أن أخبره بنصيب اخوانه . فوصفت له كل ما رأيته . ففسر لى قائلا (أنها صيحة يوم القيامة تلك الصيحة التى ما شاهد العالم مثلها أبداً فهذا هو اليوم الذى يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه (١) وهذا هو اليوم الذى لا يقتنع الأنسان فيه أن يترك أخاه فحسب بل يضحى ماله ليسفك دم أقرب اقربائه وهذا هو اليوم الذى فيه تذهل كل مرضعة عن راضعها ويوم تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد (٢))

وكان الحجة جالسا وسط الميدان . اذ دعا اصحابه وقام فى وسطهم وقال لهم (انى مسرور من عزائمكم التى لاتثبط أيها الاخوان فان أعدائنا صمموا على ابادتنا . فليس لهم قصد خلاف ذلك . وكان غرضهم أن يخرجوكم بالحيلة خارج القلعة وهنالك يذبحونكم حسب مرغوب قلوبهم . واذ علموا أن عنتهم ظهر وان خديعتهم انكشفت لذلك قاموا على حبس اكبركم سناوحبس الصغار . والظاهر أنهم لن يتركوا اسلحتهم ولا ينتهوا من سفك دمائكم حتى يستولوا على هذه القلعة ويشتتوكم . وأن استمرار وجودكم فى هذه القلعة سيؤول حتما فى النهاية إلى أن العدوّ يأخذكم أسرى واذاً يذبحون ابناءكم ويهتكون حرمة نسائكم فالاحسن لكم اذاً أن تهربوا فى جنح الليل وأن تأخذوا نسائكم واطفالكم معكم وليبحث كل منكم عن محل آمن إلى أن يحين الوقت الذى فيه تأمنوا هذه المظالم . وسأبقى وحدى لمجابهة العدوّ . وحبذا لو كان قتلى يشفى غليلهم بدلا عن هلاككم باجمعكم) فتأثر الاصحاب من هذا الخطاب من أعماق قلوبهم وقرروا عزمهم على البقاء بجانبه إلى النهاية وهم يذرفون الدموع صائحين (لانقبل أبدا أن نتركك لقسوة العدوّ القاتل . وحياتنا ليست اثمن من حياتك ولاعائلاتنا أشرف سلالة من اقربائك . وانا نرحب بكل مصيبة تصيبنا معك .) فبقى الجميع عدا البعض الذين لم يتحملوا ضيق الحصار المتواصل واذ تشجعوا بنصيحة الحجة سحبوا انفسهم الى محل آمن خارج القلعة وبذلك انفصلوا عن بقية الأصحاب . وكان

(١) قرآن ٨٠ — ٣٤ (٢) قرآن ٢٢ — ٢

الأمير تومان من شدة يأسه قد أمر جميع الرجال الاشداء الذين فى زنجان أن يجتمعوا فى جوار معسكره لتنفيذ خطته فنظم قوات فرقه وعين ضباطها وزاد عليهم الجماهير الذين تجندوا حديثا فى تلك المدينـة وأمر أن تهجم على القلعة ستة عشر فرقـة مزودة بعشرة مدافع منها ثمانية تهجم قبل الظهر ثم يستبدلون بالثمانية الباقية إلى الليل . وحضر الأمير بنفسه إلى الميدان وكان يقود الفرق قبـل ظهر كل يوم ويوعـدهم بالمكافأة المنتظرة اذا أنتصروا ويتوعدهم بالعقاب الذى يوقعه عليهم مليكهم اذا خذلوا .



مدخل منزل الحجة المتهدم فى زنجان

واستمر الحصار والقتال بهذه الكيفية مدة شهر ولم يكتف العدو بالقتال نهـارا بل كان يهجم فى كثير من الاحيان ليلا وكان أشتداد هجومهم ووفرة عددهم قـد اضعفت صفوف الاصحاب وزادت فى ضيقهم . وكانت النجدات تتوالى للعـدو من كل الجهات بينما المحصورون يتضورون جوعا وتزداد آلامهم (١) . وفى هذه الاثناء عزم الامير نظام أن

(١) وكانت تهديدات البلاط وتعزيز القوات بالامدادات بسرعة عظيمة رجحت كفة المحاصرين بالنسبة لعددهم وعدتهم عن البابيين وأن النتيجة حتمية ومقضية . (الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطي صحيفة ٢٠٣)

يقوّى جيش الاميرتومان بارسال حسن علي خان كروسي على رأس فرقتين من أهل السنة الى زنجان وعلى اثر وصولها تصوبت مدفعية العدوّ على القلعة وابتدأ ضرب البناء باطلاق المدافع اطلاقا شديدا حتى تهددت القلعة بالتخريب . ولكنها مكثت بضعة أيام تقاوم رغم اشتداد اطلاق النار عليها . وظهر فى تلك الأيام من أصحاب الحجة من البسالة والمهارة مااضطر اكبر اعدائهم على الاعجاب بها وفى ذات يوم بينما كان ضرب النار مستمرا اذ أصابت طلقة ذراع الحجة اليمين وهو يؤدى فريضة الوضوء . ومع أنه أخبر خادمه ان لايخطر زوجته بالجرح الذى أصابه ولكن جزع الرجل كان شديدا حتى أنه لم يتمكن من إخفاء عواطفه وكانت دموعه المنهمرة قد اظهرت جزعه وما كاد الخبر يصل إلى زوجته حتى جرت إليه حزينة ووجدته منهمكا فى صلواته بكل سكون . ومع أن جرحه كان ينزف دما غزيرا الا أن وجهه كان يظهر عليه اطمئنان كلى وهو يقول (اغفر يا إلهى لهؤلاء القوم لانهم لايعلمون ماذا يفعلون وارحمهم يا إلهى لأن الذين أضلوهم هم وحدهم المسؤلون عن هذه الاعمال التى ارتكبتها أيدى هؤلاء)

وكان الحجة يجتهد فى أن يسكن الهياج الذى أصاب الزوجة والأقارب اذ نظروا الدماء تغطى كل جسمه فاخبرهم قائلا (افرحوا لاننى لا ازال معكم وأطلب منكم أن تتكلوا كلية على ارادة الله . فالذى ترونه الآن لم يكن الا كنقطة بالنسبة لمحيط الآلام التى سوف تنسكب علىّ فى ساعة وفاتى فعلينا أن نرضخ لحكم الله ونرضى بما قسم لنا)

وما كاد خبر جرحه يصل إلى أسماع الاصحاب حتى تركوا اسلحتهم وأسرعوا اليه . وانتهز العدوّ اذ ذاك فرصة تغيّب مقاوميهم واشتد هجومهم على القلعة وتمكنوا من الدخول فيها(١) وأسروا فى ذلك اليوم من النساء والاطفال مالايقل عن مأية ونهبوا كل ممتلكاتهم . ورغما عن اشتداد برد الشتاء كان هؤلاء الأسري متروكين بدون وقاية مدة لاتقل عن خمسة عشر يوما معرضين فى الليل للبرد القارس الذى لم تشهد زنجان مثله الا نادرا

(١) وكانت فرقة السكروس تحت قيادة رئيس القبيلة حسن علي خان (وهو الآن وزير مفوض فى باريس)هدمت قلعة على مردان خان والفرقة الرابعة تغلبت على منزل أقا عزيز وهو أحصن مكان فى المدينة وجعلته هباء منبثا وفرقة الحرس نسفت الخان الموجود قريبا من باب همدان . وفقد ضابط وكثير من العسكر أثناء الأنفجار ولكنهم تغلبوا على الموقع في النهاية . (كتاب الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٠٣)

وكانوا مرتدين ملابس رقيقة ومتروكين بدون غطاء لوقايتهم وبدون طعام ولا مأوى فى العراء ولم يكن عندهم للوقاية سوى قطع من الشاش الذى يغطى رؤوسهم والذى به كانوا يجتهدون عبثا أن يتقوا لفحة البرد القارس الثلجى الذى كان يهب عليهم بلاشفقة وتجمع فى مكان التعذيب حولهن نسوة كثيرة من اوساط أدنى من أوساطهن فى المجتمع من جهات متعددة من زنجان وأخذن فى صب كاسات الازدراء والسخرية عليهن . واذ كن يرقصن حولهن على هيئة جنونية كن يوبخنهن صائحات (لقد وجدتم الآن ربكن الذى كافأ كن مكافأة عظيمة .) وبصقن على وجوههن وأوسعنهن سبا وشتما . وكان الاستيلاء على القلعة لم يثن مع ذلك عزم اصحاب الحجة على متابعة مجهوداتهم ولو أنه اقتلع منهم أكبر وسائل الدفاع وقد نهب العدو كل ما طالته يده من الممتلكات وأخذوا أغلب النساء والاطفال أسرى وأما باق الاصحاب ومعهم النسوة والاطفال الباقون اجتمعوا جميعا فى المنازل التى هى قريبة من مسكن الحجة وقسموا أنفسهم إلى خمس فرق كل فريق تسعة عشر نفسا ومن بين هؤلاء الفرق يقوم تسعة عشر من كل فرقة ويهجموا هجمة رجل واحد صائحين (يا صاحب الزمان) ويتوسطون العدو وينجحون فى تشتيت صفوفه . وكانت اصوات هؤلاء الخمسة والتسعين نفر الهاجمين كافية فى توهين فيالق العدو وسحق ارواحهم واستمر الحال على هذا المنوال بضعة أيام جلبت عاراً وخسارة لعدو كان يظن انه قادر على نصر مؤكد فورى . وقتل الكثيرون اثناء هذه الملاحم . وهجر كثير من الضباط عملهم وترك الطوبجية مدافعهم وساءت الحال فى صفوف الجيش وانتهكت قواهم وكان الامير تومان قد انهكته الوسائل التى التجأ اليها لحفظ رجاله وللمحافظة على نشاطهم ومقدرتهم . واضطر مرة أخري أن يستشير فى الأمر بقية ضباطه للبحث عن علاج حاسم لمسألة محاطة بأكبر الاخطار على حياته أولا وعلى حياة أهالى زنجان ثانيا وقال (انى متعب من المقاومة الشنيعة من هذه الطائفة . وهم بلاشك مسوقون بروح لا يقدر ملكنا أن يبث مثلها فى رجال جيشه . ولا يوجد عند أى رجل فى جيشنا روح التضحية والاخلاص الموجودة عندهم . ولا تقدر أى قوة أن تخلص رجال جيشنا من خيبة الأمل التى وقعوا فيها . فهم يعتقدون بأنهم حكم عليهم بالهلاك الابدى سواء انتصروا أو خابوا .)

واستقر رأيهم بعد المشاورة أن يفحروا سراديب موصلة من المعسكر إلى المكان الذى يوجد به مسكن الحجة وعزموا على نسف هذه المنازل وبهذه الواسطة يلجئونهم إلى التسليم بلا قيد ولاشرط . واستمروا على العمل مدة شهر واجتهدوا أن يملؤا السراديب المذكورة بالمفرقعات ويهدموا بقسوة شيطانية ماتبق من المنازل التى لم تزل قائمة. ورغبة فى الاسراع بالهدم أمر الأمير تومان الضباط الموكلين بالمدفعية أن يصوبوا نيرانهم على مسكن الحجة لأن المنازل التى كانت حائلة بين مسكنه وبين المعسكر قد سويت بالتراب بحيث لم يبق أى عائق فى طريق الهدم النهائي .

وكان جزء من منزل الحجة قد هدم اثناء محادثته مع زوجته خديجة التى كانت تحمل طفلها هادى على ذراعيها وكان يحذرها بان اليوم سوف يأتى قريبا حينما تؤخذ هى وطفلها أسيرة وأمرها أن تستعد لذلك الوقت . وبينما كانت تظهر جزعها اذ أصابتها قنبلة من مدفع قتلتها للحال ووقع طفلها فى الموقد وتوفى بعدها بقليل من جروحه فى منزل ميرزا أبو القاسم مجتهد زنجان

ومع أن الحجة قد فجع بذلك الا إنه لم يسلم نفسه للجزع. وصاح قائلا (يا آلهى منذ اليوم الذى فيه وجدت محبوبى وعرفت فيه مظهر روحك الابدية كنت أدرك الآلام التى سوف تنتابنى . ومع أن أحزانى للان عظيمة فانها لايمكن مقارنتها بالآلام التى أنا مستعد لتلقيها لاجل اسمك . فلن تقاس حياتى الباطلة ولا فقد زوجتى وابنى ولاتضحية أصحابى واقربائي بنعمة معرفة مظهرك الذى انعمت بها علىّ . ولو أن عندى آلافا من النفوس وملىء الارض ذهبا وما فى العالم من فخر لفديت الجميع فى سبيلك بكل فرح وكان لفقد زوجة الرئيس وابنه وجرحه البليغ الذى أصابه اكبر أسى فى نفوس أصحابه الذين احترقت قلوبهم . وعزموا على بذل اقصى الجهد والقيام بآخر مجهود فى الانتقام لاخوانهم المذبوحين . ولكن الحجة نصحهم بعدم الاقدام على مثل هذا العمل وأن لايسرعوا فى اشعال نار الحرب . وامرهم أن يوكلوا الأمر لارادة الله وأن يستمروا على السكون والثبات للنهاية مهما طالت

وكان عددهم يقل كل يوم وزادت مصائبهم ونقصت مساحة الأرض التى كانوا يشمرون

انهم فى مأمن فيها. وفى صباح اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٧ هجرية (١) توفى الحجة فجأة وهو ساجد على وجهه فى الصلاة بعد أن قاسى آلاما شديدة فى جرحه مدة تسعة عشر يوما.

وكانت وفاته الفجائية صدمة قوية لاقربائه وأصحابه. وكان الأسى على فراق مثل هذا الرئيس القدير المستنير عميقا والخسارة فادحة لاتعوض. وعزم اثنان من أصحابه وهما دين محمد وزير ومير رضاى سردار ان يسرعا بدفن الجثة فى مكان لايعلمه أحد من الاقرباء ولامن الاصحاب قبل أن يعلم الاعداء بوفاته. فأخذا الجثة فى جنح الليل إلى غرفة دين محمد وزير وهناك دفناها. وهدما الغرفة حتى يضمنا سلامة البقايا من التمثيل بها وبذلا الجهد فى كتم سرّ الموضع. واجتمع ماينوف على خمسماية امرأة فى منزل الحجة بعد وفاته للعزاء فى هذه المصيبة العظمى. وأما أصحابه بالرغم من وفاة قائدهم استمروا على أن يواجهوا قوات الاعداء بكل حماس. ولم يبق من الجمع العظيم الذى انضم إلى راية الحجة سوى مائتين من الرجال الاشداء. والباقى إما توفّوا أو عجزوا من الجروح التى أصابتهم

ولما علم الاعداء بوفاة القائد العظيم تحركوا للهجوم والمقاومة وعزموا على أن يبيدوا البقية الباقية من هذه الفئة الراسخة التى لم يتمكنوا من اخضاعها. فدبروا هجوما عاما أقوى وأشد من كل هجوم سابق متشجعين بدق الطبول ونفخ الابواق ومتشددين بصيحات الفرح الصادرة من الاهالى وهجموا وسط الاصحاب بوحشية زائدة عازمين على أن لايستريحوا حتى يقضوا على باقى الجماعة. وتلقاء هذا الهجوم العنيف صاح الاصحاب بصيحة (ياصاحب الزمان) واشتبكوا معهم فى القتال مستميتين غير وجلين واستمروا فى معمعتهم حتى غلبت عليهم الجموع فوقعوا قتلى وأسرى.

وأعطى الاعداء اشارة النهب وابتدأت المذبحة على شكل لم يسبق له مثيل لا فى اتساع نطاقها ولا فى قسوتها ووحشيتها. ولولا أن الأمير تومان أعطى الاوامر أن يتركوا مابقى فى منزل الحجة وممتلكاته وأن يمتنعوا عن استعمال القسوة مع اقربائه لكان هذا الجيش السفاك

(١) ٨ يناير سنة ١٨٥١ ميلادية

قد ارتكب فظائع أشد وانكى. وكان مقصده أن يخطر السلطة فى طهران وينتظر منها الاوامر ولكنه عجز عن منع رجاله من القسوة التى سادت عليهم. وفرح علماء زنجان بالنصر الذى كلفهم هذا المجهود العظيم وفقد حياة العديدين الذين أثروا على شهرتهم وكرامتهم بدرجة ليس لها فى السابق مثيل وحرضوا الاهالى على ارتكاب كل فظاعة وتمثيل باسراهم وانتهاك حرمة نسائهم. وابتدأ النهب والسلب حتى أن العامة فى هجومهم زحزحوا الحراس الذين كانوا واقفين على منزل الحجة. وشاركوا الجند فى القضاء على الرجال الذين بقوا بعد ذلك القتال المنيف. ولم يقدر الامير تومان ولا الحاكم على اسكاتهم وابعادهم عن وحشيتهم وعن النهب والسلب الذى تملك مشاعر جميع أهالى المدينه. ولم يمكن حفظ النظام فى الاضطراب الذى لحق بالواقعة بل عملوا كل مافى وسعهم ليشفوا غليل انتقامهم وتمكن الحاكم أن يقنع الضباط أن يجمعوا الأسرى فى منزل الحاجى غلام وأن يحافظوا عليهم إلى أن تصل تعليمات جديدة بخصوصهم من طهران. وكان الجماعة الذين جمعوهم معا كالغنم فى ذلك المحل الحقير معرضين للشتاء القارص. وكانت الحظيرة التى ادخلوا فيها غير مسقوفة وبدون أى فرش ولا اثاث. ومكثوا بضعة أيام بدون طعام. ومن هناك نقلوا النسوة الى منزل مجتهد اسمه ميرزا أبو القاسم أملا فى أن يتمكن من أن يردهن عن دينهن وفى مقابل ذلك تطلق لهن الحرية. فهذا المجتهد الطماع تمكن بواسطة نسائه واخوانه وبناته من سلبهن كل مامعهن من حلى ومنقولات وأشياء ثمينة وخلافه وجردوهن من ملابسهن والبسهن أحقر لبس وبعد تحمل المشاق والصعاب سمح لهؤلاء النسوة أن يلحقن باقربائهن على شرط أن يتعهد هؤلاء بحسن سيرهن فى المستقبل ووزع الباقيات على القرى المجاورة وقابلهن الاهالى بالاحترام والتعظيم على خلاف اهالى زنجان. أما اسرة الحجة فحجزت فى زنجان حتى تصل أوامر من طهران بخصوصها. أما الجرجى فبقوا مخفورين إلى أن تأتى التعليمات من العاصمة عن كيفية التصرف فيهم. وفى الاثناء كانت شدة البرد الذى كانوا متعرضين له قد اودت بحياتهم جميعاً فى ظرف بضعة أيام وخاصة مع القسوة التى كانت تستعمل معهم.

وأما باق الاسرى فسلموا من الامير تومان الى كروس الخمسى والفرق العراقية. وساروا بهم فى موكب مصحوبين بالطبول والزمور إلى المكان الذى كان الجيش معسكراً

فيه (١) واجتمعت كل هذه الفرق لايقاع الاعمال الوحشية بهؤلاء المظلومين . فقاموا بالسيوف والسنان على الستة والسبعين رجـل الباقين من الاصحاب وقطّعوا أجسادهم أربا بوحشية قاسية فاقت أظلم أعمال الجلادين والمعذبين . وكانت روح الانتقام من هؤلاء المتوحشين قد فاقت كل حد . وكل فرقة تتسابق مع الأخرى فى عمل أكبر القبائح والتوحش التى اخترعتها عقولهم. وأثناء انقضاضهم على فريستهم وثب الحاجي محمد حسين والد أبا بصير على قدميه وصاح بالأذان فأرعب الجموع التى التفت حوله ومع أنه كان قريبا من ساعة الوفاة فاه بالأذان بقوله الله أكبر بحماس وعظمة جعلت جميع الفرقة المراقيـة تمتنع عن أعمال القسوة المخجلة . فتركوا أمكنتهم وصاحوا (ياعليّ) وجروا وهم فى فزع وهلع كبير . وكانوا يصيحون وهم يولون أدبارهم من مناظر الفظـاعة وسفك الدماء ويقولون (ملعون الأمير تومان الذى خدعنا وكان قداجتهد بشيطنته أن يقنعنا بان هذه الفئة هم أعداء الامام عليّ وأهله . فلن نقبل بعد الآن أبدا أن نشترك فى هذه الاعمال الاجرامية ولو كنا نذبح عن آخرنا)

وكان عدد من الأسرى قد اطلق عليهم المدافع والبعض تجردوا عرايا وصبّ على اجسادهم المياه المثلجة ثم جلدوا . وآخرون لطخوا بالعسل وتركوا ليهلكوا فى الثلج .

(١) وكان محمد خان بجليربيجى أمير ارسلان خان الحاكم والآخرون من الضباط قدضمنوا الحياة للبابيين ولـكنهم جموعهم أمام العسكر وضربوا الطبول والأبواق وأعطوا الأوامر أن مائة من العسكر المنتخبين من كل فرقة يحضرون الاسرى ويضعونهم صفا أمامهم ويقتلونهم بحد الحراب وقد فعلوا ما أمروا به ثم أخذوا الرئيس سليمان الجزجي وحاجي كاظم الجلتوغي ونسفوهما أمام فوهة المدفع . وهذه العادة الاسيوية التى استعملها الانجليز أيضا فى الهند بهذه الرياسة التى جلبتها النباهة والعلوم الاوربية تنحصر فى ربط المحـكوم عليه فى فم المدفع وإطلاقه فتندفع أعضاء القتيل وتتبعثر شذر مذر .ولما تمت العملية يطلق أيضا على باقى الاسرى واستاقوا ميرزا رضا قائد الملا محمد على وغيره بعض المشاهير ووضعوا فى رقابهم الاغلال وأيديهم وقادوهم الى طهران العاصمة علامة على الانتصار رغما عن منع البلاط لذلك وأما بالنسبة للباقين الذين لايهم موتهم أو حياتهم فتركوهم ورجع الجيش المنصور الى العاصمة مع هؤلاء الاسرى الذين كانوا يسيرون أمام الخيل الخاصة بالقواد المنصورين
وإذا وصلوا إلى طهران أراد الأمير نظام أن يزيد فى العقاب فأمر بقطع عروق ميرزا رضا وحاجى محمد على وحاجى محسن . فاستقبل الثلاثة هذا الخبربرباطة جأش . وفقط قرروا أن الخيانة التى استعملت ضدهم وضد أصحابهم ليست من الجرائم التى يرضي الله العلى أن يعاقب صاحبها بها بالطريق العادى ولا بد وأنه أفرد عذاباأشد لقتله هؤلاء الأولياء. وتنبأوا على الوزير الـكبير قائلين أنه سوف يهلك بنفس الطريقة التى عاقبهم بها . وقد سمعت هذه النبوة ممن لم يتأخروا لحظة عن اعتقادها . إلا أنه منذ حكيت لى الرواية إلى الوقت الذى أمر الشاه بقطع شرايين الامير نظام كان قد مر نحو أربع سنوات ولا يمكنى أن أقرر شيئا آخر إلا ما أكدوا لى بان الحادثة قد سبق تنبأ بها شهداء زنجان (الـكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٠٧ — ٢٠٩)

ورغما عن كل هذه الاهانات والقسوة والتعذيب لم يسمع ان احدا منهم رجع عن دينه أو تكلم بكلمة واحـدة ضد معذبيه ولم يخرج من شفاههم كلمة استياء ولم يظهر على وجوههم أى أثر للأسف والأسى . فلم تفلح أى مقاومة للأعداء فى اطفاء تلك الشعلة التى اضاءت انوارها فى وجوههم ولم تؤثر اى كلمة مهما كانت قبيحة فى تحريك السكون البادى على هيئتهم (١) .



الميدان الذى تركت فيه جثة الحجة معرضة ثلاث أيام

ولما انتهي هؤلاء الطغاة من عملهم ابتدأوا يبحثون عن جثة الحجة وكشف المحل الذى اخفاهافيه الأصحاب. فلم ينجح أعظم أنواع التعذيب والوحشية التى اوقعوهاباصحابه لاظهار ذلك المحل. وعجز الحاكم فى البحث والتنقيب واخيرا احضر ابن الحجة وعمره لا يزيد عن سبع سنوات واسمه حسين واجتهد أن يقنعه ليبوح بالسر (٢) . وقال له وهو يلاطفه

(١) وماكاد التنفيذ يتم حتى اقتحم الجمهور ميدان الاستشهاد بعضهم ليبحث عن جثة صاحب والبعض الآخر أملاه الحقد للتمثيل بالجثث ومما يروى أن مسلما أسمه ولى محمد جاء إلى جثة جار له يدعى آقا رضا ورأي أنه لم يمت فقال له إذا أردت أي شيء قل لى لأنى أنا جارك ولى محمد . فأشار له بأنه عطشان فذهب المسلم وأحضر حجرا كبيرا ثم جاءه وقال له افتح فمك قد أحضرت لك الماء . ولما أطاعه المسكين رماه بالحجر وسحق به رأسه . ثم فى النهاية قاد بنكليريجي فى طريقه إلى طهران ٤٤ مسجونا كان من بينهم ميرزا رضا وحاجي محمد علي وحاجي محسن الجراح . وهؤلاء استشهدوا بمجرد وصولهم وعفنت أجساد الباقيين فى السجن «كتاب علي محمد الباب لنقولاس صحيفة ٣٦٣ »

(٢) ولم يكفهم أنهم انتصروا بل أرادوا التمثيل بالجثث وكانوا يفكرون في استجواب البابيين ولكن ما الحيلة إذا التزموا السكوت. فكان الاقا محمد دين يرش الزيت الساخن علي الرؤوس ثم يعدمهم وأخيرا احضر السردار ابن الرئيس المتوفى وعمره سبع سنين ويسمى أقا حسين وهدده ووعده وأخذه بالحيلة حتي أخبرهم . (صحيفة ٣٦١)

(يابنيّ انني ممتلىء حزنا لعلمي بالمصائب التي وقعت على والديك ولست أنا المسؤول بل مجتهدوا زنجان هم المسؤولون عن القبائح التي ارتكبت . والآن اريد أن ادفن بقايا جسد والدك في مدفن لأيق به . وبذلك أكفر عن الأعمال المخجلة التي ارتكبت معه). وبهذه الطريقة ساب عقله ونجح في كشف السرّ من الغلام وأرسل رجاله معه لجلب الجثة . وما كادوا يحضرونها له ويتم له مرغوب فؤاده حتى أمر بربطها بحبل وسحبها مع دق الطبول وزمر الزمور



حاجي ايمان(×) احد البقية الباقية من معركة زنجان

في داخل شوارع مدينة زنجان . ولمدة ثلاث أيام وثلاث ليالي وقع على جسده من التمثيل والاهانة مالا يقدر الوصف عليه وكان متروكا في الميدان معرضا لأنظار العامة وروى انه في الليلة الثالثة جاء عدد من الخيالة ونجحوا في نقل الجسد الى محل آمن في قزوين وأما أقارب الحجة فقدجاءت التعليمات من طهران أن يرسلوهم الى شيراز ويسلموهم لأيدي الحاكم . وهناك ابتلوا بالفقر والامتهان . وأخذ الحاكم ما بقي معهم من الممتلكات وحكم على أسراهم أن يسكنوا في منزل خرب . وتوفي نجل الاصغر المدعو مهدي الحجه من الآلام

والمصائب التي انتابته وانتابت أسرته ودفن في وسط تلك الخرائب التي كان يأوي اليها .

وكان لي الشرف بعد مضى تسع سنين على حوادث هذا الكفاح الشهير أن ذهبت الى زنجان وشاهدت مكان هذه المجازر الفظيعة . وشاهدت بجلاء الأسي والحزن أطلال قلعة عليّ مردان خان ووطئت الأرض المشبعة بدماء المدافعين الأحياء الى الأبد وشاهدت على أبوابها وأبراجها آثار المذابح التي اقترفت عند ما استلمها العدوّ وعلى نفس الأحجار التي استعملت كمتاريس بقع الدماء التي سفكت بغزارة في تلك الأنحاء .

أما عدد الذين سقطوا في هذه المعارك فلا يوجد احصاء مضبوط عنهم للآن . وكان عدد الذين اشتركوا في هذه الملحمة كثيراً جداً واستمر الحصار زمانا طويلا حتى انني لا أقدر على أحصاء أسمائهم جميعا . وقد اجتهد اسم الله الميم واسم الله الأسد في جمع ماتيسر من أسمائهم في قائمة يحسن بالقارىء الرجوع اليها . واختلفت الروايات وتضاربت في عدد الشهداء الذين وقعوا تحت راية الحجة في زنجان وقدّرهم البعض ببضعة آلاف شهيد . والبعض الآخر بأكثر من ذلك . وسمعت أن أحد أصحاب الحجة أخذ في تدوين أسماء الشهداء وترك قائمة مكتوب فيها عدد الف وخمسماية وثماني وتسعين شخصا قبل وفاة الحجة بينما الذين استشهدوا بعد ذلك مائتان واثنان .

واني مدين أولا للمرزا محمد على الطبيب الزنجاني وأبا بصير وسيدأشرف على المعلومات الخاصة بحوادث زنجان وجميعهم من شهداء الأمر وكنت تعرفت بكل منهم معرفة أكيدة . أما باقي المعلومات فقد استقيتها من خطاب كتبه الملاّ حسين الزنجاني وأرسله لبهاء الله وفيه دوّن كافة المعلومات التي أمكنه العثور عليها من مصادر مختلفة خاصة بهذه المأساة .

أما ما حكيته خاصا بحوادث مازندران فبني على ما رواه السيد أبو طالب الشاه ميرزاده في كتاب ارسله للارض المقدسة ومن مختصر كتبه أحد الأحباء المدعو ميرزا حيدر على الاردستاني . وقد علمت كثيرا من الحقائق المتعلقة بتلك الملحمة من أشخاص اشتركوا في حوادثها كالملاّ محمد صادق المقدس والملاّ ميرزا محمد فروغي والحاجي عبد المجيد والد بديع واحد شهداء الامر .

أما الحوادث المتعلقة بحياة وأعمال وحيد فقد تحصلت على الاخبار الخاصة بها بما حصل في يزد من رضا الروح الذي كان من أخص اصحابه . وأما فيما يختص بباقي التفاصيل

وحوادث نيريز الاخيرة فارتكنت فى اخبارها على ما امكننى جمعه من الرسالة المفصلة المرسلة إلى الارض المقدسة من أحد الاحباء فى تلك المدينة واسمه الملاّ شفيع وقد بحث مليّـا فى الموضوع وأرسل تقريره بمعلوماته إلى بهاء الله وأما ما قصّـر قلمى فى تدوينه سوف تـكتبه الأجيال القادمة وتجمعه ويـكون محفوظا لاجل الخلف . وارجو السماح لوجود كثير من النقص فى هذا التاريخ وان شاءالله سوف تـكمله الأجيال القادمة الذين سوف يقومون ويجمعون تاريخا مفصلا لائقا لهـذه الحوادث المؤثرة التى لا نقدر على تفهم اشاراتها واهميتها الاعلى قدر مقدور .

الفصل الخامس والعشرون

في رحلة بهاء الله الى كربلاء

منذ بدأت بكتابة هذا التاريخ كان من عزمي الاكيد أن أضم على الاخبار التى أرويها عن بدأ هذا الأمر تلك الجواهر الغالية القيمة التى كان لى الشرف أن أسمعها من آن لآخر من فم بهاء الله والتى فاقت ماعداها . وكنت اسمع تلك العبارات أحيانا منفردا وأخرى كنت أسمعها مع اخوانى بينما نحن جلوس عنده وهى تشير الى العبر التى اجتهدت فى سردها . وكانت تعليقات بهاء الله على حوادث مؤتمر بدشت وأشاراته للهياج الذى ختم به كما ذكرته سابقا هى من الفصول التى يتزين ويتشرف بها تاريخى

ولما اكملت وصف حوادث ملحمة زنجان اذن لى بهاء الله بالدخول لمقابلته وحظيت مع غيرى من الاحباء فى الحصول على البركات التى أسداها الى على دفعتين أثناء زيارتى له فى الايام الأربعة الأخيرة التى اختار أن يمكثها فى منزل اقاى كليم ففى الليلة الثانية والرابعة من وصوله الى منزل أخيه الذى وافق اليوم السابع من شهر جمادى الاول سنة ١٣٠٦ هجرية (١) تشرفنا بلقائه مع عدد من الزائرين من ساروستان وفاران ومعنا بعض المؤمنين المقيمين هناك وبقيت الكلمات التى تكلم بها لنا منقوشة على صفحات قلوبنا وأشعر أن من واجبي أن أجمل القراء يشاركونني فى الاغتباط بحديثه

قال (الحمد لله الذى انزل ما هو لازم للمؤمنين فى هذا الأمر . فتحددت الواجبات بكل وضوح وسطر فى الكتاب بيان ما يجب عليهم عمله . وقد آن الوقت للكل أن يقوم ويفى بواجباته . فليظهروا فى أعمالهم مانصحناهم به . وليحذروا من أن محبتهم لله التى سطعت فى قلوبهم باشد اشراق تجعلهم يتعدون حدود الاعتدال أو يتخطون مارسمناه لهم منها . وكتبنا فى هذا المعنى للحاجي ميرزا موسى القمى وقلنا « ينبغى أن يكون سكونك بحيث لو نهلت من ينابيع الايمان والايقان جميع ابحر العلم والعرفان لاتسمح لشفتك أن تنبس سواء للحبيب أو الغريب ببنت شفة عن غرائب المنهل الذى ارتويت منه ، واذا اشتعل

(١) (١٩ يناير سنة ١٨٨٩)

قلبك بنار محبته فاحذر أن تطلع عين على ما يكنـه فؤادك من الهيمان ولو ان روحك تموج كالبحر العباب فلا تجعل ملامح وجهك تنم عن أى اضطراب أو تفتضح أسرار وجدك من مظهرك وسلوكك . ويعلم الله اننا ما اجتهدنا أن نخفى أنفسنا فى أقل من آن أو نخفى الأمر الذى وجب علينا إعلانه . ومع اننـا ما ارتدينا لباس أهل العلم فاننا قابلنا مراراً أكابر العلماء فى النور وفى مازندران وتباحثنا معهم وأقنعناهم بصحة الأمر . وما ونينا فى عزمنا ولا وهنّا وما ترددنا فى تلبية أى طلب أتي من أى جهة ولم يتردد أحـد ممن كلمناه فى تلك الأيام فى قبول النداء والانضمام لنا ولولا مسلك أهل البيان الذين نقضوا باعمالهم ما أتممنا عمله لـكانت مازندران ونور قـد انضمتا للأمر ولـكانتا اليوم تعدان ضمن المراكز الأمرية الرئيسية . ففى الوقت الذى كانت قوات البرنس مهدى قلى ميرزا تحاصر قلعة طبرسى عزمنا على الخروج من نور لمساعدة المدافعين الأبطال وأرسلنا عبدالوهاب أحد أصحابنا ليتقدمنا ويعلن قرب مجيئنا للمحصورين ورغما عن محاصرتنا من الأعـداء فاننا عزمنا أن نجعل نصيبنا مع نصيب هؤلاء الأصحاب الأبطال وأن لانبالى بالمخاطر التى دهمتنا . ولـكن يد القدرة لم تشأ ذلك وأخرجتنا من النصيب الذى لاقوه وأبقت لنا العمل الذى قدر لنا أن نقوم به . ولحـكمة آلـهية مكنونة أبلغ أهالى نور عزمنا على الالتحاق بالمحصورين إلى المرزا تقى حاكم آمل قبل وصولنا إلى القلعة فارسل رجاله ليحولوا دون ذلك. وبينما كنا نستريح ونتناول الشاى أحاطتنا فجأة قوة من الخيالة وقبضوا على أمتعتنا وأمسكوا بخيولنا. وسلمونى بدلا من الجواد المعدّ لركوبي جواداً آخر ضعيفا ذا ركاب حقير غير مريح أما باقى الجماعة فاخذوهم مغلولى الأيدى إلى حاكم آمل . وتمـكن المرزا تقى من تخليصنا من قبضة يد العلماء رغم معارضتهم ونجح فى إسكاننا فى منزله وأضافنا فيه بكل ترحاب وكرم. وأحيانا كان ينطوى تحت تهديد وضغط العلماء الذين كانوا يشددون عليه النكير فيشعر انه غير قادر على منعهم عن الاضرار بنا . وكنا فى منزله إذ رجع إلى آمل السردار الذى انضم إلى جيش مازندران . فلما أخبروه بالاهانات التى ارتكبت معنا أخـذ يوبخ الميرزا تقى للضعف الذى أظهره فى حمايتنا من أعدائنا . وكان يقول له(ما أهمية تهديدات هؤلاء القوم الجهلاء . ولماذا سمحت لنفسك أن تخضع لهياجهم . فـكان من الواجب أن تكتفى بمنع الجماعة من الوصول إلى المقر الذى كانوا يقصدونه وتعمل على اعادتهم محفوظين بالسرعة إلى طهران)

وبينما كنا فى سارى تعرضنا مرة أخرى لسب وشتم الأهالى . ومع أن اكثر أعيان تلك المدينة كانوا من أصحابنا وكثيراً ما قابلناهم فى طهران إلا أن الاهالى ما كادينظرونا مارين فى الشوارع مع قدّوس حتى انهالوا علينا طعنا أينما ذهبنا وهم يصيحون بقولهم (بابى بابى) . وكنا غير قادرين على الهرب من شتائمهم المرة

وفى طهران حبسنا مرتين لاننا قمنا للدفاع عن الابرياء ضد ظالم طاغ . وكان أول حبس قضيناه بعد ذبح الملا تقى القزوينى بسبب المساعدة التى اسديناها للذين عوقبوا عقابا شديدا بغير ذنب . وكان حبسنا الثانى أشد وانكى وتسبب عن حادثة الشروع فى الاعتداء على حياة الشاه من بعض الاتباع الغير المسؤلين . وكانت هذه الحادثة سببا لنفينا إلى بغداد . وبعد وصولنا بقليل انقطعنا إلى جبال كردستان وصرفنا فيها وقتا فى عزلة تامة . والتجأنا إلى قمة جبل يبعد ثلاث أيام عن أقرب مسكن للناس . ولم يكن فيه شيء من معدات الراحة . وكنا منقطمين عن جميع الأصحاب وأهالى البلاد حتى عثر علينا الشيخ اسماعيل وأحضر لنا الطعام الذي احتجنا اليه .

ولدى عودتنا إلى بغداد وجدنا لفرط دهشتنا أن أمر الباب قد أهمل اهمالا كليا وان تأثيره قد تلاشى وان اسمه قد نسى بالكلية . فقمنا على احياء أمره ونجاته من العطب والفساد . ففى الوقت الذى أخذ فيه الخوف والاضطراب جميع الأصحاب أظهرنا حقائقه بعزم وثبات ونادينا أهل الفتور أن يقوموا بحماس على نصرة الدين الذى أهملوه اهمالاً كليـا ودعونا جميع من على الارض لأن ينظروا إلى النور المشرق من أفقه . وبعد رحيلنا من أدرنة قامت ضجة فى استانبول بين مستخدمى الحكومة وتشاوروا فيما إذا كان الأوفق تغريقنا نحن وأصحابنا فى البحر . فوصلت أخبار ذلك إلى طهران وشاع هناك اننا فعلا اصبنا بهذا الخطر . فاضطرب أصحابنا فى خراسان ولما بلغ ميرزا أحمد ازغندى ذلك قال انه لايمكنه باى حال أن يصدق مثل هذا الخبر . لانه لو صح لكان دين السيد الباب بعيدا عن الصحة ولكن أخبار وصولنا سالمين إلى عكا مدينة السجن ابهجت قلوب أحبائنا وأعجب أحباء خراسان ايما إعجاب بايمان الميرزا أحمد وزادت ثقتهم فيه .

ومن سجننا الأعظم قمنا على مخاطبة الحكام العديدين وملوك العالم وأرسلنا لهم رسائل طلبنا منهم فيها أن يقوموا على نصرة أمر الله . وأرسلنا إلى شاه ايران رسولنا بديع وسلّمناه اللوح فى يده فرفعه بيده عاليا أمام جمهور الناس وطلب من مليكه أن يقرأ العبارات التى تحويها . كذلك وصلت باقى الرسائل إلى مقرها . وفى اللوح الذى أرسلناه الى امبراطور فرنسا جاءنا الرد من سفيره وأصله محفوظ عند الغصن الاعظم (١) وقلنا له فيه «يامك باريس نبىء القسيس أن لايدق النواقيس تالله الحق قد ظهر الناقوس الأفخم على هيكل الاسم الأعظم وتدقه أصابع مشيئة ربك العلى الأعلى فى جبروت البقاء باسمه الأبهى » وأما اللوح الذى أرسلناه إلى قيصر الروس فهو الوحيد الذى لم يصل إلى مقره . ولكنه وصلته ألواح أخرى وهذا اللوح سوف يصله أيضاً

فاشكر الله الذى مكنك من معرفة أمره . فكل من وصل الى نعمة الايمان لابد وأنه قبل إيمانه قد عمل أعمالا طيبة ولو أنه بنفسه ربما كان غير عالم بها لانها كانت الواسطة والوسيلة التى بسببها أراد الله أن يهتدى للحق ويقبل أمره. أما الذين منعوا من هذه النعمة فان عملهم وحده هو الذي أبعدهم عن معرفة الحق . نرجو ان شاء الله انك باتباعك لهذا النور تقوم وتعمل كل مافى وسعك لمحو ظلمة التقليد والكفر من بين الناس ولتكن اعمالك تشهد على ايمانك وتمكنك من ارشاد الضالين الى طريق النجاة الابدية فلن تنسى هذه الليلة أبدا وأرجو إن شاءالله أن يبقى ذكرها للأبد على ألسنة الجميع وأن لاتمحى على كر الدهور .)

وكان النوروز السابع بعد اعلان دعوة الباب قد وقع فى اليوم السادس عشر من شهر جمادى الاول سنة ١٢٦٧ هجرية (٢) بعد انتهاء معركة زنجان بشهر ونصف . وفى تلك السنة فى أواخر الربيع وفى أوائل أيام شهر شعبان (٣) ترك بهاء الله العاصمة الى كربلاء وكنت فى ذلك الوقت قاطناً فى كرمانشاه فى صحبة مرزا احمد كاتب الباب وكان بهاءالله قد أمره أن يجمع الكتابات المقدسة وينسخها وكانت أغلب أصولها تحت يده . وكنت فى زرند فى منزل والدى عند ما لاقى الشهداء السبع نصيبهم القاسى فى طهران. وقد نجحت

(١) لقب عبد البهاء (٢) ١٨٥١ ميلاديه (٣) أول يونيه — ٣٠ يونيه سنة ١٨٥١ ميلادية

أخيراً فى الارتحال الى قم محتجا بالرغبة فى زيارة المقامات . ولما لم أتمكن من مقابلة الميرزا أحمد تركت كاشان بناء على نصيحة الحاجى ميرزا موسى القمى الذى أخبرنى بأن عظيم هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يرشدنى عن مكان مرزا أحمد لانه كان قاطناً معه فى كاشان فرجعت معه الى قم وهناك تعرفت بالسيد أبو القاسم علاق‌بند إصفهانى الذى صحب مرزا أحمد سابقا فى سياحته فى كرمانشاه . وطلب منه عظيم أن يوصلنى الى باب المدينة وهناك يرشدنى عن المكان الذى يقطنه الميرزا أحمد ويعمل الترتيب لاجل ترحيلى الى همدان وأحالنى سيد أبوالقاسم بدوره على الميرزا محمد على طبيب الزنجانى الذى قال عنه انه يمكنه العثور عليه فى همدان وانه هوالذى يوصلنى الى المكان الذى أقابل فيه مرزا أحمد . فاتبعت أمره ووجهنى مرزا محمد لأن أقابل فى كرمانشاه تاجراً معروفا اسمه غلام حسين شسترى وهو يوصلنى الى منزل المرزا أحمد .

وبعد مرور بضعة أيام من وصولى أخبرنى المرزا أحمد انه تمكن وهو فى قم من تبليغ الامر الى أيلدرم ميرزا أخ خانلار ميرزا الذي أراد اهداءه بنسخة من كتاب الدلائل السبعة (١) ورغب الىّ أن أوصلها اليه . وكان إيلدرم ميرزا فى تلك الايام حاكم خرّم‌أباد فى اقليم لورستان ويعسكر مع جيشه فى جبال خاوى والشتر . وكنت مسروراً من اجابة طلبه وأظهرت الاستعداد أن أقوم حالا بالرحلة . واجتزت الجبال مع مرشد كردى واخترقت الغابات ومرت ستة أيام بلياليها الى أن وصلت الى معسكر الحاكم . وسلمته الامانة واحضرت معى لمرزا احمد الجواب حيث اظهر له فيه ممنونيته من الهدية وأكدّ له إخلاصه لامر صاحبه .

ولدى عودتى علمت من ميرزا أحمد الخبر السار بوصول بهاء الله إلى كرما نشاه وإذ حضرنا أمامه وجدناه فى شهر رمضان مشتغلا بقراءة القرآن واسبغت علينا نعمة الاستماع اليه وهو يتلو آيات الكتاب الحكيم . فاظهرت له رسالة ايلدرم مرزا للمرزا أحمد وبعد قراءتها قال (ان الايمان الذى يظهره أحد أعضاء عائلة القاجار لا يعوّل عليه وان اقراره غير صادق فهو ينتظر يوما من الايام إن البابيين يقتلون المليك وهو فى قلبه يبطن الرغبة والأمل فى أن يكون خليفته . وأما الحب الذى يظهره للباب فلم يكن إلا من

(١) احدى كتب الباب القيمة المعروفة

هذه الجهة) فنى ظرف بضعة أشهر علمنا صدق هذه الكلمات فان إيلدرم مرزا هذا أعطى أوامره بقتل السيد بصير الهندى (١) الذى كان من أكبر أنصار الامر .

وقد يجمل بى فى هذا الموقع أن أذكر فى سياق الحديث بالاختصار حوادث ايمان هذا الشهيد ووفاته . فنى الايام الأولى من رسالة الباب كان الشيخ سعيد الهندى ضمن تلاميذ الباب الذين أمرهم أن يتفرقوا فى البلاد ويعلموا أمره وهو أحد حروف الحى وأمره مولاه بالسفر فى أنحاء الهند لدعوة الناس الى الأمر الجديد وأثناء رحلته فى مدينة مولتان قابل السيد بصير هذا الذى عرف للحال بفطرته أهمية الرسالة التى أتاه بها الشيخ سعيد ولو انه كان ضريرا . وكانت العلوم الواسعة التى حصل عليها قد ساعدته على تفهم عظمة الأمر بدلا من أن تبعده عنه . واذ طرح خلفه زينة الرياسة وانقطع عن الأصحاب قام بعزم ثابت ليحرز نصيبا فى خدمة الأمر الذى اعتنقه . وكان أول عمل له أن حج الى شيراز بقصد ملاقاة المحبوب ولما وصل الى تلك المدينة علم مع الأسف أن الباب نقل الى جبال اذربايجان وانه يعيش هناك عيشة العزلة . فسافر فى الحال الى طهران ومنها الى نور وفيها قابل بهاء الله . وكانت هذه المقابلة قد شفت غليل قلبه وخلصته من الأسى الذى تسبب له عن عدم امكانه مقابلة مولاه. وكان يفيض على كل من قابله بعد ذلك من أى دين كان مما كسبه من المسرّات والبركات من أيدى بهاء الله ويشعرهم بشىء من القوة التى نفثتها تلك المقابلة فى روعه .

وسمعت الشيخ شهيد مازكان يروى الآتى (تشرفت بمقابلة السيد بصير فى أحر أوقات الصيف أثناء مروره فى قمسر وهى التى يلجأ اليها أعيان كاشان للتخلص من حر تلك

(١) وكان السيد بصير قد أظهر من صغره علائم النجابة والقوى التى ظهرت منه فيما بعد وكان يتمتع بنعمة البصر مدة سبع سنوات ومع انفتاح عين قلبه كف بصره . وكان من صغره طيب الأعمال حسن اللفظ والقول ثم زاد بعد ذلك تقوى وهدوءا جدّا فى الحياة . ولما وصل الى سن الواحد والعشرين قام للحج بأبهة عظيمة لأنه كان من الأغنياء ولما وصل الى ايران ابتدأ يخالط ويعاشر كل الطوائف لأنه كان مطلعا على قواعد وأصول كل منها وكان يعطى الفقراء كثيراً من الصدقة . وكان يقوم بنفسه بأداء الفرائض الدينية ويلتزمها بأوسع معانيها . ولما كان آباؤه قد أخبروه من قبل بأن الرجل الكامل سيظهر فى هذا الزمان كان دائم البحث فى هذا الخصوص وزار مكة وبعد أداء الحج عاد الى زيارة المقامات المقدسة فى كربلاء والنجف وهناك قابل المرحوم الحاج سيد كاظم وكانت له صحبة معه وثيقة ثم عاد الى الهند واذ وصل الى بومباى سمع أن شخصا يدعى الباب ظهر فى ايران وبناء عليه عاد توا الى هذا الاقليم (كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٢٤٥ـ٢٤٦)

المدينة . فكنت أراه ليل نهار يحاج العلماء الأعلام الذين اجتمعوا فى تلك الجهة هربا من حر المدينة وكان يتناقش معهم فى معضلات الدين بقوة وتفقه وكان يبين بدون خوف ولا وجل ولا تحفظ قواعد دينه الأساسية ويدحض اعتراضاتهم كلية. ولم يكن أحد منهم مهما كان عالما بقادر أن يقاوم الدلائل التى كان يبسطها لتدعيم دعوته . وقد بلغ فى علمه بقواعد الاسلام وتفقهه فى الدين وأحكامه شأواً بليغا ظنه أعداؤه أنه من قبيل السحر وخشوا أن يضر تأثيره بسلطتهم ويسلبهم مقامهم .

وسمعت أيضا من الملاّ ابراهيم الملقب بملاّ باشى الذى استشهد فى سلطان آباد يحكى مشاهداته بالنسبة للسيد بصير قال (كان السيد بصير يمر فى أواخر حياته فى سلطان آباد حينما سنحت لى الفرصة بمقابلته . وكان دائما يجتمع بأكابر العلماء ولا يقدر أحد أن يفوقه فى معرفة القرآن وفى إلمامه بالأحاديث النبوية . وقد أظهر من العلم والمعرفة ما أخاف أعداءه منه . وكثيراً ما كان المجادلون معه يشكّون فى صحة الأسانيد التى يرويها وكانوا ينكرون وجود الأحاديث التى يستند عليها فى تدعيم حجته . فكان يثبت لهم صحتها بدقة تامة ويحيلهم على النصوص الواردة فى كتاب أصول الكافى وكتاب بحار الأنوار (١) ويستخرج لهم النص المعيّن الذى يثبت صحة مدعاه . وكان لا يشق له غبار فى سلاسة عباراته وقوة بيانه الذى كان يدلى به فى استخراج البراهين والأدلة التى تثبت وتؤيد طريقته

وارتحل السيد بصير من سلطان آباد الى لورستان زار معسكر إيلدرم ميرزا وقابله هناك بالاحترام اللائق . وأثناء محادثته معه يوما أشار السيد وكان معروفاً بشجاعته الى محمد شاه بعبارات أثارت غضب إيلدريم ميرزا الشديد . فأمر أن يستل لسانه من قفاه . فتحمل السيد هذا التعذيب الوحشى بجلد مدهش ولكنه توفى متأثراً من هذا التعذيب الوحشى الذى أوقعه عليه ذلك الطاغية . وفى نفس الأسبوع عثر خانلار ميرزا أخ إيلدرم مرزا على خطاب يوجه فيه له قبائح فشكاة لمليكه وهذا أمره أن يعمل فى شأنه ما يريد ولما كان خانلار ميرزا يغلى صدره بالعداء لأخيه أمر أن يجرد من ثيابه وأن يسحب عريانا مغلولا بالسلاسل الى اردبيل وهناك سجن حتى قضي نحبه .

وصرف بهاء الله معظم شهر رمضان فى كرمنشاه، ولم يصحب معه الى كربلاء سوى

(١) مجموعات من الأحاديث الاسلامية .

شكر الله النورى أحد أقربائه وميرزا محمد المازندرانى الذى نجا من حادثة طبرسى وسمعت بهاء الله نفسه يحكى أسباب ارتحاله من طهران قال (ان الأمير نظام طلب منا ذات يوم أن نقابله وتلقانا بالاحترام وأخبرنا عن الغرض من الاستدعاء وقال فى لطف انى عالم تمام العلم بعظم مجهوداتكم ومتيقن أنه لولا المساعدة والمؤازرة التى عضدتم بها الملاّ حسين وأصحابه ما كان لا هو ولا أصحابه من العلماء الغير المدربين بقادرين أن يقاوموا قوات الحكومة الامبراطورية مدة سبعة أشهر . والمهارة والمقدرة التى شددتم بها أزورهم تفوق اعجابي . ولكنى لم أقدر أن أحصل على أى دليل مقنع لاثبات اشتراككم معهم. وأشعر أنه مما يوجب الأسف ترك رجل مثقف مثلك عاطلا لا نعطى له فرصة لخدمة وطنه ومليكه وقد حضرتنى الفكرة أن تذهب لزيارة كربلاء فى هذه الأيام التى عزم فيها الشاه على عمل سياحة فى اصفهان. وفى غرضى أن أقدر عند عودته أن أمنحك وظيفة الأمير ديوان وهى وظيفة تقوم بأعبائها بكل جدارة) فاحتججنا على هذه الادعاآت بكل قوة ورفضنا أن نقبل الوظيفة التى كان يؤمل فى تقديمها الينا . وبعد مضى بضعة أيام من هذه المقابلة رحلنا من طهران الى كربلاء .)

وقبل ارتحال بهاء الله الى كرمانشاه دعا مرزا احمد ودعانى لمقابلته وأمرنا بالارتحال الى طهران . وأمرنى أن أقابل ميرزا يحيى بمجرد وصولى وأن أصحبه الى قلعة ذى الفقار خان وهى فى جوار شاهرود وان نبقى هناك سويا الى أن يرجع بهاء الله الى العاصمة. وأمر المرزا أحمد أن يبقى فى طهران الى وقت وصوله وسلّمه صندوقا فيه بعض الحلوى وخطابا للآقا كليم الذى أمره أن يوصل الهدية الى مازندران حيث يقطن الغصن الأعظم ووالدته.

ولكن المرزا يحيى الذى سلّمت له الرسالة أبى أن يرحل من طهران وسألنى على العكس من ذلك أن أرحل إلى قزوين. وأجبرني على إطاعة أمره وأن أحمل بعض الرسائل إلى أحبائه فى تلك المدينة . وعند عودتى إلى طهران أجبرت بناء على الحاح أقاربى أن أرحل إلى زرند . وكان المرزا أحمد قد وعدني بأنه سوف يعمل الترتيب لرجوعى للعاصمة وقد وفى بوعده . ولم يمض شهران حتى كنت مقيما معه فى الخان الموجود خارج باب نوّ ومكثت الشتاء بأكمله فى معيته . وكان يمضى أوقاته فى نسخ البيان الفارسى والدلائل السبع وأتم هذه الأعمال باتقان زايد وحماس . وسلّمنى نسختين من الكتاب الاخير وسألنى أن أقدمها نيابة عنه إلى مستوفى الممالك الاشتيانى ومرزا سيد على التفرشى الملقب

مجد الاشراف . وقد انجذب الأول من قراءته بدرجة أنه آمن بالأمر. أما المرزا سيّدعلى فـكان فى رأيه على عكس الأول . وأشار فى مجلس حضرة الآقا كليم إلى مجهـودات الأحباء المستمرة بلهجة عدم الاستحسان . وقال علنا (إن هـذه الطائفة لا تزال قائمة للآن ورسلها مجدّون فى العمل وينشرون تعاليم مولاهم ومنهم شاب جاء لزيارتي فى يوم سابق وأهدانى نسخة من كتاب اعتبره كبير الخطر فأن أى رجـل من عوام الناس يقرأه لاشك أن ينخدع من عباراته) وقـد فهم الآقا كليم من إشاراته أن الميرزا أحمد أرسل اليه الـكتاب وأنى كنت رسوله اليـه . وفى نفس اليوم طلب منى الآقا كليم أن أزوره ونصحنى أن أعود الى موطنى فى زرند وان أطلب من مرزا أحمد أن يقوم الى قم لأننا نحن الأثنين معرضان لخطر كبير واتّباعا لتعليمات المرزا أحمد نجحت فى اقناع السيد أن يرجع الـكتاب الذى سلّمته اليه . وبعد زمن قصير رافقته لغاية شاه عبـد العظيم ومنها سافر الى قم ورجعت أنا الى زرند

ووصل بهاء الله الى كربلاء فى شهر شوال سنة ١٢٦٧ هجرية (١) وفى طريقه الى تلك المدينة المقدسة مكث بضعة أيام فى بغداد وهى المدينة المعدة لاستقباله مرة أخرى والتى فيها نشأ أمره وانـكشف للعالم أجمع . واذ وصل الى كربلاء وجد أن بعضا من مشاهيرها ومنهم الشيخ سلطان وحاجى سيد جواد وقعوا فريسة لضلال السيّد علوّ الذى ناصروه وتخبطوا فى الأوهام واعتقدوه أنه تجسد من الرّوح القدس . وكان الشيخ سلطان يعد نفسه أنه أكبر تلاميذه حماسة وأنه بعد سيّده سيكون أكبر رئيس بين مواطنيه . فقابله بهاء الله بالملاطفة والنصائح ونجح فى اقناعه فى جملة مقابلات بأن يطهر عقله من تلك الخزعبلات وأن يتخلص من ربقة العبودية التى وقع فيها . واستماله لأمر البـاب واشعل فى قلبه نار الحماس لنشر دعوته. واذ رأى تلاميذه تغييره العجيب الفجائى رفضوا طاعتهم القديمة وأخذوا واحدا بعد الآخر يقبلون دعوة الباب التى مال اليها زميلهم وأخيراً أذعن السيد علوّ الى سلطة وقوة بهاء الله واعترف بسموّه ورفعة مقامه بعد أن وجد نفسه منبوذاً ومتروكا من أتباعه الأولين . وزاد على اعترافه أنه ندم على عمله الأول وأقسم أن لا يعود لنشر الآراء والمسائل التى كان يحبذها ويطبقها على نفسه .

(١) ٣٠ يوليو إلى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٥١ ميلادية

وكان بهاء الله فى زيارته لكربلاء قد تقابل وهو يسير فى شوارعها مع الشيخ حسن الزنوزى الذى أوكل اليه الاطلاع على السرّ الذى سيذيعه فيما بعد فى بغداد . ووجده جادّا فى البحث عن الحسين الموعود الذى كان الباب يشير اليه بمحبة زائدة والذى وعده بمقابلته فى كربلاء . وفى فصل سابق حكينا الأحوال التى أدّت الى تلك المقابلة مع بهاء الله . ومنذ ذلك التاريخ كان الشيخ حسن قد انجذب من حلاوة وجدانه لمولاه الجديد ولولا منعه لأفشى السرّ الى أهالى كربلاء وأظهر دعوة رجعة الحسين الموعود الذى ينتظرون ظهوره .

وممن اعترف بتلك القوّة ميرزا على طبيب الزنجانى الذى غرس بهاء الله فى قلبه حبة أينعت وازهرت بيقين وإيمان لم تقدر نيران الاضطهادات على قمعه . وكان بهاء الله نفسه قد شهد له بأخلاصه وعلوّ مداركه وسمو مبدئه . وقد جرّه ذلك الايمان إلى ميدان الشهادة أخيراً . وساهم فى هذا النصيب ميرزا عبد الوهاب الشيرازى ابن الحاج عبد المجيد الذى كان يمتلك حانوتا فى كربلاء والذي ارتأى أن يترك كل ماله وممتلكاته ويتبع مولاه ولكنه نصحه أن لا يترك أعماله وأن يستمر على كسب معاشه إلى أن يحين الوقت لطلبه فى طهران . وحرّضه على أن يتجمل بالصبر وأعطاه مبلغا يستعين به على توسعة تجارته ولما كان غير قادر على أن يبذل جهده ويصرف عنايته إلى تجارته أسرع الميرزا عبد الوهاب إلى طهران وبقى هناك حتى طرح فى السرداب الذى حبس فيه مع مولاه وتجرع كأس الشهادة لأجله .

وكذلك انجذب الشيخ على ميرزاى شيرازى وبقى لآخر نفس من حياته من أكبر أنصار الأمر الذى اعتنقه وخدمه بكل نزاهة واخلاص بما يفوق كل مدح . وكان يقصّ على جميع الناس من الأصحاب والأغيار ما كان يشاهده من التأثير المدهش الذى كان لبهاء الله عليه وكان يصف بحماس تلك العجائب والآيات التى شاهدها أثناء اعتناقه للأمر وبعده .

الفصل السادس والعشرون

في الشروع في قتل الشاه ونجاته

فى النوروز الثامن من دعوة الباب الذى وقع فى اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الأول سنة ١٢٦٨ هجريه (١) كان بهاء الله فى العراق مشغولا بنشر التعاليم واظهر حماسا ومقدرة تذكرنا بالأيام الأولى للأمر فى نور و مازندران . واستمر مشتغلا بموالاة المجهودات وترتيب الامور وانهاض الهمم من اصحاب الباب المتفرقين . فكان هو الضياء الذى انبثق فى الظلام المحيط بالاصحاب لخوفهم مما شاهدوه من واقعة الاستشهاد القاسى الذى حصل لرئيسهم المحبوب من جهة ومن جهة اخرى من نصيب اصحابه المفجع وكان بهاء الله وحده ينفث فيهم روح الشجاعة اللازمة والقوة لتحمل الآلام العديدة التى غمرتهم وتمكن من إعدادهم لتحمل المشاق التى كانت وستكون من نصيبهم وتدريبهم على مقاومة العاصفة التى تهددهم .

وفى ربيع تلك السنة كان الأمير نظام مرزا (٢) تقى خان رئيس وزراء ناصر الدين شاه الذى

(١) ١٨٥٢ ميلادية

(٢) وتقع سراى (فين) على بعد أربعة أميال جنوبى غربى كاشان على سفح الجبل . واشتهرت فين بمنابعها التى جعلتها مصيفا من قديم الزمان للملوك . . وفى الازمان الحاضرة كان تذكارها مظلما لان فيها أعدم الوزير الكبير مرزا تقى خان فى سنة ١٨٥٢ بامر الشاه الحالى وكان صهرا للملك بقطع اوداجه فى الحمام ولذلك هجر هذا المكان الآن . (من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية الجزء الثانى صحيفة ١٦)

وقد جاءت امرأة من الحريم الى البرنسيسة تطلب منها أن تكف عن دموعها لان الشاه عدل عن أمره وسيعود الامير الى طهران ويذهب الى كربلاء الذى هو مأمن وحرم أى أهل ايران من الذين غضب عليهم الشاه وقالت للامير ان الخلعة حاضرة فى الطريق وستحضر بعد ساعة أو اثنين فاذهب الى الحمام واستعد لاستقبالها . وكان الاميرملازما لغرفةالبرنسيسة لحمايته فى حضرتها ولا يفارقها وكانت تخشى على سلامته من مغادرتها ولكنه إذ سمع هذه الأخبار السارة عزم على اتباع ما أشارت به المرأةوفضل الذهاب الى الحمام . ففارق البرنسيسة ولم تره بعد ذلك . ولما وصل الحمام كان الامر القاضى باعدامه حاضرا وأخبروه به فحضر الفراش باشي وأعوانه العتاة وطلبوا منه أن يختار الموتة التى يريدها . وقيل انه تحمل الموت بثبات وصبر . فقطعت أوداجه ونزفت حتى توفى (من كتاب اللادي شيل لمحات عن الحياة والاخلاق فى ايران صحيفة ٢٥١ — ٢٥٢)

ارتكب الفظائع المنكره ضــــد الباب وضد اصحابه قد اتى حتفه فى الحمام العمومى فى فين قريبا من كاشان وذلك بعد أن عجز عن ايقاف تيار تقدم الدين الذي بذل الجهد فى سحقه بكل تهور واعتساف نخابت آماله وزالت دولته وبقيت معالم الحياة التى أراد اطفاء أنوارها سالمة وأثناء الثلاث سنوات التى تعين فيها وزيرا تلوث حكمة باقسى انواع المظالم والجرما. وإذ تقدم ليمزق بيده النسيج الذى هيأه الباب أرخى لها العنان فى ارتـكاب كل موبقة وظلم واضطهاد فما اقسى الأوامر والتدابير التى اتخذها فى سورة غضبه وهو يمحو كل اثر لحياة الامر الذى كان يكرهه ويخشاه. وفى أول سنة من حكمه وجّـه جيش ناصر الدين شاه للهجوم على المحصورين فى قلعة طبرسى. وأضرم أوار الحرب بقسوة لقهر هؤلاء الابرياء انصار دين الله. ومافتىء يتذرع بكل وسيلة واحتدم وتلهب لاهلاك القدّوس والملاّ حسين والثلثمائة والثلاثة عشر نفر الذين هم من اشرف واشجع أبناء وطنه وقام بوحشية فى السنة الثانية من حكمه لمحو الامر فى العاصمة بغيظ محتدم فأمر بالقبض على المؤمنين القاطنين فى تلك المدينة ونفّـذ فى السبعة الشهداء فى طهران حكم الاعدام وذلك ماسهّـل امر الهجوم والاعتداء على وحيد واصحابه وأذكى نار حرب الانتقام التى شجعت الظلمة السفاكين وجعلتهم فى حلّ من ارتكاب الفظائع واستباحة الذمار كما وقع فى تلك المأساة التى ستبقى للأبد عنـوانا على تلك القسوة الجامحة . وفى تلك الســنة وقع اصطلام أشد وأنكى من كل ســابقة فتك على الفئة المظلومة فاجتاح جائحة أودت بحياة ذلـكم الذى كان مصدرا لجميع القوى التى حاول محقها عبثا وكانت أواخر أيام حياة ذلك الوزير مفعمة بحوادث سطوته الجامحة التى دبّـرها بعقله لاهلاك حياة الحجة واعدام مالايقل عن ألف وثمانماية من أصحابه. وهى أبرز أعمال ذلك الوزير الذى انتهى حكمه كما ابتدأ بالبغى والظلم الذى لم تر عين ايران مثله فى غابر الازمان. وخلّـفه ميرزا آقا خان النورى (١) الذى رأى فى افتتاح حكمه أن يصلح بين حكومة ايران وبين بهاء الله الذى اعتبره اكفأ تلامذة الباب . فأرسل له خطابا مصحوبا بدعوة حارة للرجوع إلى طهران وأظهر له فيه شوقه للغاية . وقبل وصول ذلك الخطاب كان بهاء الله قد صمم على الرجوع من العـراق إلى ايران . فوصل إلى العاصمة فى شهر رجب (٢) ورحّـب به جعفر قـلى خان أخ رئيس الوزراء

(١) وكان لقبه اعتماد الدولة (من كتاب اللادى شيل لمحات عن الحياة والاخلاق فى ايران صحيفة ٢٤٩)

(٢) من ٢١ ابريل سنة ١٨٥٢ الى ٢١ مايو سنة ١٨٥٢ ميلادية



قرية أفشه قريبا من طهران ويرى منزل بهاء الله بين الاشجار (من الشمال في المؤخرة)



منزل بها الله في أفشه قريبا من طهران

الذى أوفده هذا الاخير خصيصاً للترحيب به. ولمدة شهر كامل نزل ضيفا على رئيس الوزراء الذى عين أخاه كمضيف له بدلا عنه فكان الذين هرعوا لمقابلته عددا كبيرا من أعيان العاصمة ومن مشاهير رجالها حتى أنه لم يتمكن من الرجوع إلى منزله وبقى فى ذلك المنزل إلى أن رحل إلى شمران . (١)

وسمعت من آقا كليم أنه أثناء تلك الرحلة تمكن بهاء الله من مقابلة عظيم الذى كان مجداً فى طلب لقائه ورؤيته منذ أمد بعيد وفى تلك المقابلة نصحه مشددا أن يترك التدبير



مرغ محله مقر بهاء الله الصيفى فى شميران

الذي رتّبه فى فكره والذى أسخط بهاء الله . فأظهر له عدم رضائه عن العمل الذى نواه وحذّره أن مثل هذا التدبير يأتى بمصائب جمة جديدة مما لم يكن لها مثيل فى شدتها .

وواصل بهاء الله السير إلى لواسان وأقام فى قرية أفشه من أملاك رئيس الوزراء اذ أتت الاخبار بالشروع فى اغتيال ناصر الدين شاه . وكان جعفر قلى خان لايزال يقوم بمهمة مضيفه نيابة عن رئيس الوزاء وارتكبت هذه الجريمة فى نهاية شهر شوال

(١) وشميران وتدعى أحيانا شمران وأحيانا بالجمع شميرانات هو اسم يطلق على القرى الموضوعة على سفح جبل ألبرز وهو مصيف للاغنياء من سكان طهران (من مقالة سائح صحيفة ٨١ حاشية ١)

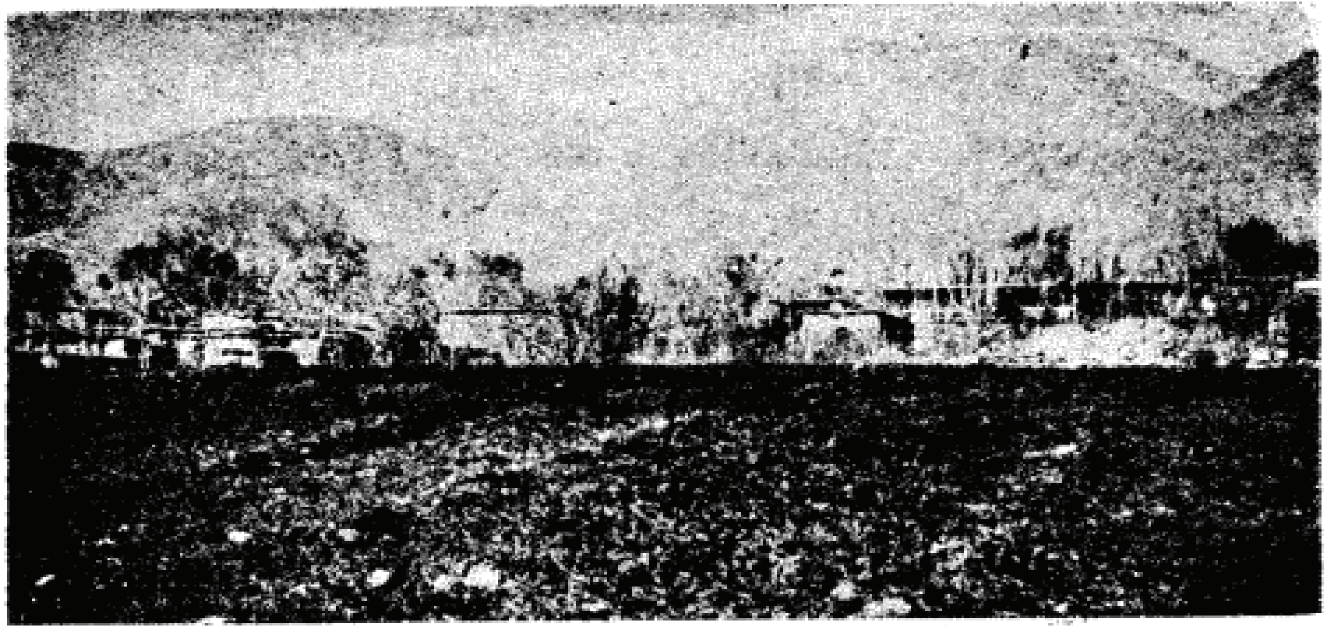
سنة ١٢٦٨ هجريه (١) من شابين طائشين اسم احدهما صادق تبريزى والثانى فتح الله القمى وكان يـكسبان عيشهما فى طهران . ففى الوقت الذى كان الجيش الملكى تحت رئاسة الشاه معسكرا فى شمران قام هذان الشابان الجاهلان فى سورة قنوطهما لينتقما لدماء اخوانهما المذبوحين (٢) . ومما دل على حماقتهما وطيشهما أنهما بدلا من أن يستعملا الأسلحة التى

(١) ٢٨ شوال وهو يطابق ١٥ أغسطس سنة ١٨٥٢ ميلادية

(٢) وفى الصباح خرج الملك راكباً جوادا للتنزه وكان يسبقه كالعادة رجال الاسطبل حاملين الحراب الطويلة يتقدمهم السياس ومعهم الجياد بايديهم والخيول المطهمة والمزركشة . وجماعة من الخيالة الرجل ومعهم البنادق والفيشلك والسيوف على السروج ولأجل عدم ازعاج الملك بالتراب الذى تثيره أرجل الخيل كان هؤلاء يتقدمون قليلا عنه فى المسير . ويسير الملك وحده على بعض البعد من الرؤساء العظام والضباط الذين يحوطونه ولم يكد يخرج من السراى ويبتعد قليلا عن حديقة محمود حسن الصندوق دار أو صراف التوفير حتى شاهد على جانب الطريق ثلاث رجال وهم الثلاث عمال فى الحديقة واقفين كأنهم بالانتظار واحد على اليمين واثنين على الشمال فلم يشتبه فيهم وأخذ فى المسير . ولما وصل اليهم وجد أنهم بدأوه بصوت واحد بالسلام والصياح « نحن فداؤك » وعندنا عريضة ولـكنهم بدلا من بقائهم فى اماكنهم كما هو المعتاد تقدموا مسرعاً اليه وصاحوا على عجل (عندنا عريضة) وتعجب الملك وصاح عليهم (أيها الأوباش ماذا تريدون) فى هذا الوقت أمسك الرجل الذى على اليمين بالسرع بيده اليسرى وكان بيده اليمين غدارة أطلقها على الملك . وفى نفس الوقت أطلق الرجلان الذان على الشمال النار أيضا . وقطعت احدى الطلقات العقد اللؤلؤ الذى كان معلقا فى جيد الجواد وأخرى أخرجت رشا كثيرا أصاب يد الملك والسرع . وتعلق الرجل الذى على اليمين بفخذ الملك وجذبه على الارض وكاد ينجح فى عمله لولا أن الاثنين اللذين كانا على الشمال عملا نفس العمل فبقى الملك معلقا بين الاثنين . وفى هذه الاثناء ضرب الملك رأس أحد الاثنين بقبضة يده وكان الجواد قد اضطرب وقفز قفزات متوالية عطلت حركات البابيين ومضى وقت غير قليل . واذ رأى رجال الحاشية ذلك اضطربوا أولا ثم جروا عليه . وهجم أسد الله خان رئيس الاسطبل وهو خيال رجاله وضرب الرجل الذى على اليمين بسيفه ضربة قاضية . وفى الاثناء قبض الرؤساء الآخرون على الاثنين اللذين كانا على الشمال وشدوا أوثاقهما . وحضر الدكتور كلوكيت طبيب الملك وبمساعدة الاخرين تمكن من إدخال الملك فى حديقة الصنـدوق دار محمد حسن لأنهم لم يعرفوا ماذا عساه يحصل ومع أنهم كانوا عالمين بعظم الخطر إلا أنهم ما كانوا يعلمون مقدار اتساعه. وكان لذلك ضجة كبيرة لمدة ساعة فى كل أنحاء نياوران . وبينما جاء الوزراء والصدر الأعظم فى الحديقة التى أدخل الملك فيها ضربت الطبول والابواق والصفافير لجمع العسكر من كل الجهات وركب الغلمان على الجياد بسرعة زائدة وكان كل الناس يصدرون أوامر . ولم يسمع أحد شيئا ولم يروا شيئا . وجاء رسول من طهران بامر ادرشير مرزا حاكم المدينة يسأل عما حصل وعما يمكن ان يصنع فى العاصمة . ومنذ الصباح الى الليل كان الناس جميعا يعتقدون أن الملك قتل يقينا . وكان العسكر مسلحين يمرون فى الاسواق بشكل تهديد حتى ان التجار هجروا المتاجر . وكانت دكاكين الخبازين محاطة بالناس الذين يرغبون فى تخزين العيش لمدة أيام وهذه هى العادة عند حدوث أي اضطراب وفى الصباح ازداد الهياج . وأغلق ازدشير مرزا أبواب المدينة والقلعة . ولـكن العسكر كانوا متأهبين والمدافع كانت مصوبة ولم يعلم على من يطلقها وكان منتظرا الاوامر (كتاب جوبينا الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٢–٢٣٣)

تضمن نجاح قصدهما عمّرا مسدسيهما بالرش الذى لا يستعمله أى عاقل لأجراء مثل ذلك العمل . فلو كان عملهما ناشئا عن تدبير شخص عاقل لما صرّح لهما بأن ينفذا أغراضهما بمثل تلك الآلات الناقصة المعطّلة.

وهذا العمل الذى لا يصدر إلا عن متعصب شرّير ضعيف العقل والذى كان محل سخط بهاء الله وغضبه كان بمثابة الأشارة والأيماء لانفجار أنواع جديدة من الأضطهادات والتعذيب والمظالم مما لم يسبق له نظير سوى ماوقع منها فى زنجان ومازندران . أما العاصفة



منظر نياواران قريبا من طهران

التى نتجت عن هذا العمل فأوقعت الرعب والفزع فى طهران . وأتت على البقية الباقية من الأحبّاء الذين نجوا من المصائب والمفاجع التى طالما تعرضوا اليها بسبب إيمانهم . وكانت العاصفة على أشدها وسبّبت سجن بهاء الله وبعض كبار أصحابه فى سراديب مظلمة قذرة ملوثة بالحمى ووضعت فى عنقه من السلاسل الغليظة مالا يوضع عادة إلا فى أعناق أخطر المجرمين . وتحمل ثقلها مدة لاتقل عن أربعة أشهر وكانت من الشدة بحيث بقيت آثارها فى جسده إلى آخر أيام حياته .

وأثار التهديد الموجه للملك وأرباب مملكته دهشة جميع الرؤساء الدينيين فى إيران واقتضى مثل هذا الفعل الجرىء عقاباً عاجلاً وقصاصاً صادقاً . فصاحوا وطلبوا ضرورة اتخاذ اجراآت استثنائية قاسية لصدّ هذا التيار الذى يهدد كيان الحكومة ودين الاسلام

كليهما ورغما عن القيود التي أمر أصحابه باتباعها منذ بداية إيمانهم فى كل بقعة ورغما عن التنبيهات المشددة التى كان مشاهير الأحباء يوصون بها إخوانهم من الامتناع من أعمال القوة ومن التزام الطاعة لأوامر الحكومة المحلية . وتجنب فكرة الجهاد فان اعداءهم مافتئوا يبذلون الجهد فى تشويه سمعة الأمر ومقاصده عند ارباب السلطة . فلما وقعت حادثة الشروع فى اغتيال الشاه بما لها من النتائج الخطيرة اتخذها الاعداء ذريعة للتدليل على مايلصقونه من انواع التهم للأمر الذى يتبعه هؤلاء الذين اقترفوا هذا الجرم وتهيأت لهم الفرص أن ينبهوا الحكام فى جميع المملكة الى ضرورة القضاء باسرع ما يمكن على هذه البدعة التي يرون أنها تهدد أركان المملكة (١) .

وبمجرد ارتكاب هذه الجريمة بالاعتداء على حياة الشاة كتب جعفر قلى خان الذى كان فى شميران خطابا الى بهاء الله يعلمه بما وقع . وقال ضمن خطابه (ان والدة الشاه قد اشتعلت بالغضب واتهمتك علنا أمام الحاشية والناس بأنك أنت ربما تكون القاتل لابنها . وهى تريد أيضا أن تتهم

(١) وقد اعتبر اللورد كرزون أن هذه الحادثة لم تكن ثورية ولا مؤامرة فوضوية وقال (ان من الخطأ البين اعتبارها كذلك ولأن البابية كانت تعد منذ نشأتها معادية للحكومة المحلية ولأن البابيين شرعو فى قتل الشاه استنتج الناس خطأ أن الحركة البابية هى سياسية فى منشئها واشتراكيه فوضوية فى كيانها ولكنه لا يظهر من كتابات الباب ولا من كتابات أتباعه وجود اى أساس لهذا الادعاء . نعم ان اضطهاد البابيين من الحكومه قد ألجأهم للقيام على هيئة ثورية وبسبب الغضب الذى تلا المشاحنة بين الطرفين والقسوة التى استعملتها أرباب الحكومة بعد انتصارهم لايستغرب أن تمتد بعض الأيدي المتعصبة لاسقاط الشاه وضربه والبابيون فى الوقت الحالى موالون للحكومة كغيرهم من الرعايا . وليس من العدل اطلاق ألفاظ الاشتراكيه أو الشيوعية أو الاباحية التى استعملت فى حق هذه الطائفة الفتية . فلم يكن فيها على وجه التحقيق فكرة الشيوعية كما يعرفها الأوروبيون يعنى استعمال القوة فى كيفية اعادة التوزيع للأموال أو الاشتراكية التى انتشرت فى القرن التاسع عشر بمعنى تغلب العمال على أصحاب رؤوس الأموال . فلم يجل ذلك بخاطر الباب أو تلاميذه . والفكرة الاشتراكية الوحيدة التي أوصى بها هى كما حصل للمسيحيين فى أوائل ظهور الديانة المسيحية من تقسيم المنافع بين المؤمنين والتصدق بالزكاة والتوسع فيها أما وصمة الأباحية فقد اخترعها أعداؤهم بسبب زيادة حرية النساء التى أمر بها الباب وهى فى العقل الشرقى تعادل الأباحية والفسق واذا نظرنا الى البابية نظرة واسعة صادقة نرى أنها عقيدة الأحسان والانسانية العامة . فالمحبة الأخوية والشفقة على الاطفال والاحترام الممزوج بالجلال والكرم والتخلص من التعصبات والاخوة العامة حتى بالنسبة للمسيحيين جميعها من ضمن قواعدها . وليس من الضرورى أن نعتقد أن كل بابي يكون متبعا لهذه القواعد اتباعا دقيقا فانه من العبث اعتقاد ذلك ولكن الحكم على كل نبي هو ما يدعو اليه . (من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية صحيفة ٥٠١ — ٥٠٢)

ميرزا آقا خان فى هذا الصدد وتدعى عليه بأنه شريكك . وطلب من بهاء الله أن يبقى مختفيا فى تلك الجهة المجاورة إلى أن يهدأ هياج الناس وأرسل إلى أفشه رسولا طاعنا فى السن وماهرا وأمره أن يكون تحت أمر ضيفه ومستعدا لمرافقته إلى أى مأمن يريد أن يلتجىء اليه .

فلم يقبل بهاء الله أن ينتهز الفرصة التى هيئها له جعفر قلى خان وتجاهل رسالته رافضا اقتراحه وركب فى صباح اليوم الثانى بكل هدوء واطمئنان من لاواسان محل اقامته إلى معسكر الجيش الملكى الذى كان مرابطا فى نياواران فى اقليم شمران . واذ وصل إلى قرية



مكان السفارة الروسية فى قرية زركندة

زركندة مقر المفوضية الروسية التى تقع على بعد ميدان واحد من نياوران تقابل مع نسيبه ميرزا مجيد الذى كان يشتغل سكرتيرا للوزير الروسى (١) وهذا أضافه عنده فى منزله الذى كان يلاصق منزل رئيسه . وقد عرفه خدام حاجى على خان حاجب الدولة وأخبروا بذلك سيدهم توا وهذا أخبر الشاه .

وكانت أخبار وصول بهاء الله قد أدهشت ضباط الجيش الملكى . واندهش ناصر الدين شاه نفسه من الخطوة الجريئة والغير المنتظرة التى حصلت من شخص متهم بأنه المحرض الاكبر للتعدى على حياة الشاه . فأرسل فى الحال أحد ضباطه الموثوق بهم إلى السفارة لطلب تسليم المتهم ليدهم . فامتنع الوزير الروسى وطلب من بهاء الله أن يذهب إلى

(١) البرنس دجروكى

منزل ميرزا آقا خان رئيس الوزارة لأنه أليق محل فى الحالة الراهنة لنزوله فقبل بهاء الله ذلك وكتب الوزير الروسى رسمياً إلى رئيس الوزارة برغبته فى أن يبذل منتهى عنايته فى أن تكون الوديعة التى سلمتها له حكومته فى حفظ وحماية تامة وحذّره فيها أن يكون مسئولا شخصيا إذا لم يعتن بهذه الرغبات (١)

(١) وقال رنان فى كتابه (الأنبياء) صحيفة ٣٧٨ الرواية الآتية الخاصة بالأعتداء على الشاه والمذبحة العظيمة الحاصلة فى طهران :—

(إنه كان يوما لا مثيل له فى تاريخ العالم (من كتاب مقاله سائح المقدمة للمستربراون صحيفة ٤٥) وبلغ عدد الشهداء فى إيران مالا يقل عن عشرة آلاف . (وهذا تقدير خاص وإلا فكثير يقدره بثلاثين ألف أو أكثر). وحصلت أغلب تلك الحوادث في الايام الأولى للأمر ولكنها استمرت تتناقص تدريجيا حتى الزمن الحاضر (كتاب حياة وتعاليم عباس افندى «المقدمة» للمسترفلبس صحيفة ٣٦) ومن الوثائق الخاصة بالبهائية التى هى فى حيازتى أصل مقالة كتبت باللغة الألمانية وطبعت فى ١٧ اكتوبر سنة ١٨٥٢ تحت نمرة ٢٩١ فى جريدة ألمانية أو نمسويه ولم يذكر فيها وللاسف اسم المنشىء . وأظن أنى استلمتها من أرملة الدكتور بولاك منذ بضعة سنوات وكان هذا الدكتور النمسوى طبيبا لناصر الدين شاه فى ابتداء حكمه وهو مؤلف كتاب قيم خاص بأيران والمسائل والاحوال المتعلقة بها ذلك بخلاف كثير من الرسائل الصغيرة . وتستند هذه المقالة على خطاب مكتوب فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٥٢ بمعرفة ضابط نمسوى وهو الكابتن فون جوميونز الذى كان فى خدمة الشاه وأفجعه ما شاهده من الفظائع حتى أنه أرسل استقالته وترجمة هذه المقالة كالآتى : منذ بضعة أيام ذكرت حكاية الشروع فى قتل الشاه وهو متأهب للصيد وكان المتآمرون من طائفة البابية . وأما عن هذه الطائفة وعن الأجراءات التأديبية التى اتخذت ضدهم فان خطاب الكابتن النمساوى فون جوموتيز الذي نشر أخيراً فى جريدة صديق العسكر (سولد اتفروند) يكشف عن أمور كثيرة وخاصة عن حادثة الشروع المذكور وكان نص الخطاب المذكور كالآتى : طهران فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٥٢ عزيزى أن خطابى الأخير كان عن حادثة الشروع فى قتل الشاه والآن أذكر لك نتيجة التحقيق الذى حصل مع المجرمين . فبالرغم من التعذيب الفظيع الذى قاسياه فان التحقيق لم يثمر عن أى اعتراف شامل فكانت شفاه المتعصبين مغلوقة حتى بعد كيهم باعمدة من الحديد المحمى وإثقاب أجسادهم بالخاريز وأرادوا إن يكشفوا المحرض الحقيقى بواسطة هذا التعذيب . . ولكن استمع مني يا عزيزى يا من لك قلب أوربي وأخلاق أوروبية أسمع منى وتتبع هؤلاء التعساء الذين فقأوا أعينهم واضطروهم أن يأكلوا آذانهم المبتورة بدون ضجيج أو من قلعت أسنانهم بقسوة متناهية بيد الجلاد أو من ضربت هامات رؤوسهم بالمطارق الحديدية أو من اشتعلت أجسادهم فى الأسواق العمومية حتى أضنتها نيران حريقهم بعد أن عملوا ثقوبا فى اجسادهم ووضعوا فيها الشموع الموقدة . وقد رأيت البعض مسحوبا فى الأغلال فى السوق ومعهم العسكر وفى أجسامهم ثقوب وضعت فيها الشموع المتقدة حتى ان الدهن ساح وابتدأ أزيزه يسمع بين نيران الشموع كالمصباح الذى يطفأ حديثاً . وليس من النادر أن نباهة الشرقيين تسوقهم الى اختراع تعذيبات جديدة . فقد ينزعون جلد أرجل البابيين بعد غمسها فى الزيت المغلى . أو يقطعون قدم الأسير على هيئة حافر الفرس ويضطروه للجرى . وما كان الشهيد يظهر أى صياح فكان ملازما للسكوت ولكن عندما يجبرونه على الجرى لا يقدر الجسم أن يتحمل

ومع أن ميرزا آقا خان أكّد ذلك بنفسه وأظهر لبهاء الله فى منزله كل إجلال وتعظيم ولكنه خوفا على وظيفته ومركزه كان يسمح بكل المعاملة التى ما كانت منتظرة منه

ما يتحمله الروح فلذلك كان يقع فيقولون « خلص عليه وأرحه من الآلام » فيقول الجلاد (لا) ويبتدي يجلده بالكرباج . وقد رأيت بنفسى أن الأسير الذى وقع عليه ماية تعذيب يجرى من البداية للنهاية . وفى النهاية يعلقون الأجساد المثقوبة على شجرة ورؤوسهم الى أسفل وكل ايرانى له أن يجعلها هدفا له بأن يصوب عليها بندقيته أوسلاحه ليجرب نشانه وهو مطمئن . وقد رأيت بنفسى نحو من ١٥٠ رصاصة فى جثة . وعند ما أعيد قراءة ما كتبت تتغلبنى فكرة أن الذين معك فى مملكتنا العزيزة (النمسا) ربما لا يصدقون الرواية أو صورتها أو يتهموننى بالمبالغة فياليت يا إلهى لم أعش حتى أرها . ولكن لداعى مهنتى كنت ويا للأسف كثيرا ما أشاهد هذه المظالم المفجعة . وأنا الآن لا أترك منزلى أبداً حتى لا أضطر الى مشاهدة مناظر مفزعة أخرى . وبعد اعدام البابيين يشطرونهم نصفين فاما أن يسمروهم على باب المدينة أو يطرحوهم فى العراء للكلاب والثعالب لتأكلها . وهكذا يستمر العقاب حتى فيما بعد حدود هذه الدنيا ذلك لأن المسلمين الذين لا يدفنون لا يستحقون أن يدخلوا جنة الرسول وإن روحى تثور من رؤية هذه الفظائع وبسبب المظالم المذكورة فى هذا العهد الحديث صممت علي قطع علاقتى بمناظر هذه الجرائم) ثم زاد بأنه طلب الاستقالة ولكنه لم يتلق نبأ بقبولها . (من كتاب المستر براون دراسة الديانة البابية على ضوء مستندات صحيفة ٢٦٧ ــ ٢٧١)

وابتدأ أردشير مرزا عمله . فاغلق أبواب المدينة ووضع عليها المدافعين البيادة وطلب من الحراس أن يتفرسوا فى وجوه الذين يرغبون فى مغادرة المدينة . وبينما يحثون الأهالى على اعتلاء السور قريبا من باب شمران لرؤية جثة صادق المقطعة على العراء أمام الجسر الذى يعلو الخندق جمع الحاكم البرنس كلا من كلانتر ومحافظ البوليس والوزير والداروغى أو قاضى البوليس ورؤساء الأقسام وأمرهم أن يبحثوا على كل من يشتبه فيه أنه من البابية وأن يقبضوا عليه . واذ لم يتمكن أحد من مغادرة المدينة انتظروا مرور الليل حتي يتمكنوا نهاراً من هذا الصيد الوحشى حيث يلزم استعمال الحيلة . وبوليس طهران مثل جميع مدن آسيا مرتب ترتيبا حسنا . وكانت هذه وصية الساسانيين التى احتفظ بها خلفاء العرب بكل دقة ولما كان من مصلحة الحكومات المحافظة عليها مهما كانت هذه الحكومات رديئة . ولذلك بقى نظامها بغير مس أو تغيير رغما عن ان الأنظمة الأخرى تدهورت مع انها كانت متينة أيضا . فيجب العلم بان كل رئيس قسم يخاطب مباشرة الكلانتر أي محافظ المدينة وله تحت إمرته جماعة من الرجال اسمهم سرغشمه أى عسكر البلدية وهم ليس لهم شعار خاص ولا علامة مميزة ولا يتركون مطلقا الشوارع التى هم مكلفون بحراستها وهم محبوبون من الأهالي ويعيشون مختلطين معهم . ويقومون بكل خدمة وفى الليل ينامون صيفا وشتاء على رصيف أول دكان أو خان بدون خوف أو اهتمام بالأمطار أو الثلج فيحرسون الاملاك وبذلك يجعلون السرقة نادرة لما فيها من الصعوبة وفضلا عن ذلك فهم يعرفون عوائد وسكان جميع المساكن بطريقة أنهم يرشدون فورا عن أى طلب فى وقت اللزوم وهم مطلعون على آراء وأفكار وعلائق السكان بعضهم ببعض وإذا تصادف وتغذى ثلاث أشخاص معا فان أصحاب السرغشمة بدون حاجة إلى التجسس يعرفون ميعاد اجتماعهم وماذا أكلوا وماذا عملوا أوقالوا وفى أى وقت افترقوا لأنهم مطلعون على جميع الاخبار . ولذلك طلب الكدخدا من هؤلاء الحراس أن يطلعوه على أحوال البابية كل منهم فى دائرة اختصاصه . (من كتاب جوبينو الاديان والفلسفة فى أواسط آسيا صحيفة ٢٣٤ ــ ٢٣٥)

وفى الوقت الذى غادر فيه بهاء الله قرية زركنده شعرت أبنة الوزير الروسى بأسى وحزن من المخاطر التى تهدد حياته وتغلب عليها الحزن بدرجة أنها لم تتمالك من ذرف دموعها عليه وسمعت وهى تتحاور مع والدها وتقول (ما الفائدة فى السلطة المخولة لك إذا كنت لا تقدر أن تحمى ضيفـا استقبلته فى منزلك) وتأثر الوزير من منظر ابنته وهى تبكى وكان يحبها محبة شديدة فسكّن خاطرها وأكّد لها أنه سيعمل كل ما فى وسعه لدرء الخطر الذى يتهدد حياة بهاء الله .



الجانب الجنوبى من طهران الذى علق فيه المجرمون والذى حصل فيه قتل الشهداء البهائيين العديدين (والعلامة × تدل على مكان سياه شال)

وفى ذلك اليوم حصلت ضجة كبيرة فى جيش ناصر الدين شـاه . فأن أوامر الملك الحتمية التى تبعت الشروع فى قتله قد أحدثت اشـاعات شنيعة وهيجت أقسى أنواع المشاعر فى قلوب أهالى الجهات المجاورة. وزاد الهياج فى طهران واشتعلت فى قلوب أعداء الأمر أثار الحقد الذى يكمنونه له واندلعت نيرانه بلهيب غضب متفـــاقم . واشتد الاضطراب والأرتباك فى كل أنحاء العاصمة . وكانت أقل اشارة أو إيماء أو كلمة اتهـام تكفى لأيقاع البرىء فى اضطهاد وعذاب لا يقدر القلم على وصفه ولم يعد فى المدينة أمن على الحياة ولا على الأملاك وامحى ذلك كلية واتحد كبار الرؤساء الدينيين فى العاصمه

مع أرباب السلطة فى الحكومة وتكاتفوا على عمل ما يؤملون أن يكون ضربة قاضية على عدوّ زعزع أمن البلاد مدة ثمان سنوات بحيث لم تتمكن أي سلطة أو قوة أو حيلة فى إسكاته

ولم يكن هناك فى نظرهم عدوّ أكبر من بهاء الله إذ كان الباب قدقضى عليه وراًوامن أول واجباتهم القبض عليه وسجنه واعتقدوا أن روح الباب دخلت فيه وهى تلك الروح التى تمكنت من احداث تغيير تام فى عوائد وأخلاق مواطنيه ولم تنجح احتياطات الوزير الروسى التى عملها فى إيقاف اليد المحركة التى امتدت بعزم أكيد للقضاء على حياته الثمينة ولا أفاد تحذيره فى ذلك . وفى الطريق من شمران الى طهران جرّد بهاء الله من ملابسه جلة مرات وانهالت عليه الاهانات والسخرية . واضطر أن يسير تلك المسافة عارى الرأس حافى القدمين معرضا لأشعة الشمس الصيفية المحرقة الى أن أدخلوه السرداب وكان الأهالى يرجمونه طول الطريق ويسبونه لأن الاعداء أفنعوهم بانه هو العدوّ اللدود للملك والهادم للملك . وتقصر العبارات عن وصف فظاعة المعاملة التى قاساها أثناء أخذه إلى سياه شال (١) فى طهران وإذ اقترب الى السرداب خرجت من وسط الزحام عجوز شمطاء وبيدها حجر تريد قذفه فى وجهه . وكانت عيناها تتقد بغضب قل أن يظهر من امرأة فى سنها وكان كل جسمها يرتعش أثناء تقدمها ورفعها يدها لترمى سهمها عليه . وقالت وهى تتقدم نحو الحراس (استحلفكم بسيد الشهداء أن تعطونى الفرصة لأرمى حجرى فى وجهه) فقال بهاء الله للحراس وهو يراها تسرع نحوه (لا تمنعوها عما تعتقد أنه عمل مجيد عند الله)

وكان السياه شال الذى حبس فيه بهاء الله أصلا عبارة عن خزان مياه لأحدى الحمامات العمومية فى طهران وهو عبارة عن سرداب تحت الارض يحبس فيه أدنى أنواع المجرمين وكانت قذارته وظلمته وطبيعة المسجونين فيه قدجعلت المكان أوبأ مكان يمكن أن يحكم على إنسان بالسجن فيه فكانت قدماه موضوعتان فى المقطرة وعنقه فى سلسلة قراجوهر وهى مشهورة فى عموم بلاد إيران بأنها أثقل أنواع الأغلال وزنا

(١) سياه شال يعنى البئر السوداء . (٢) الامام الحسين .

وعقرا (١) ولم يعط لبهاء الله أى أنواع الطعام أو الشراب مدة ثلاث أيام وثلاث ليال. وكان النوم والراحة معدومين عنده والمحل مملوءا بالحشرات وقذارة المسكن القاتم كافية لسحق أرواح المحكوم عليهم من شدة نتنه فهذه هى الأحوال التى قاساها بهاء الله حتى إن أحد الحراس كان يرمقه فى شدته ويترأف عليه. ويجتهد أن يحضر بعض الشاى ويخفيه تحت ردائه ويقدمه له فى ذلك السرداب ولكن بهاء الله كان يرفض تناوله وكانت أسرته تجتهد أن تقنع الحراس بالسماح لهم بنقل الطعام الذي هيئوه له فى سجنه. ولو أن الحراس فى ابتداء الأمر لم يتساهلوا إلا أنهم أخيرا نظراً لألحاح أصدقائه أخذوا فى التساهل قليلا وما كان أحد يتأكد من وصول الطعام اليه أو أنه يسمح لنفسه بتناوله بينما يرى اصحابه المحبوسين معه يتضورون جوعا. حقا لا يمكن تصور أى نكبة أشد مما قاساه هؤلاء الضحايا الابرياء بسبب تأثير سخط الملك (٢)

(١) اذا سنحت لك فرصة فى وقت ما لزيارة سجن جلالة الشاه فاسأل من رئيس ومدير ذلك المكان ليريك السلسلتين اللتين تعرف أحدهما باسم قرا جوهر والأخرى باسم سلاسل. وأقسم بشمس العدل انى تعذبت وأثقل كاهلى باحدى هذين السلسلتين لمدة أربعة أشهر لحزنى ما يعقوب بث اقله وآلام ايوب بعض بليتى (من كتاب ابن الذئب صحيفة ٥٧) وبخصوص السجون الفارسية ونظامها فانها تخالف سجوننا فى أحوال العقوبات. فلا يوجد فيها سجن الأشغال الشاقة المؤبدة أو لجملة سنوات فذلك النوع من العقاب غير معلوم عندهم وكذلك الحبس لمدة مستطيلة. فى ابتداء كل سنة يفرج عن المسجونين وكذلك عند تعيين حاكم جديد يفرج عن المساجين الذين أمر بحبسهم سلفه وفقط يعدم شخص أو شخصان من أرباب الحالات الخطرة كعلامة لقوة الحاكم وتحية له. ولا يوجد سجن للنساء. فان النسوة يحبسن فى منزل أحد المجتهدين وكذلك المجرمون الذين هم من طبقة راقية. وفى طهران يوجد ثلاث أنواع من السجون. الأول غرف تحت الأرض والمخابىء وفيها يسجن الذين يتآمرون على الملك أو الحكومة وسجن البلدية وفيه يسجن المجرمون العاديون وتلف الاغلال على رقابهم وأحيانا تكبل أرجلهم فى الحديد. ثم الحراسة الخاصة وهى من متعلقات مساكن العظماء. ومن ذلك يفهم أن نظام العدالة فى ايران سواء فى اصدار الاحكام أو فى توقيع العقاب أو فى نظام السجون هو نظام حالىّ وسريع والغرض منه العقاب بطريقة موازية بقدر الامكان للجريمة الأصلية وليس فيها أى اصلاح للمجرم. (من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية جزء أول صحيفة ٤٥٨ ـ ٤٥٩).

(٢) ولم يكن لنا من دخل فى هذا الجرم وظهرت براءتنا بغير شك أمام المحاكم ولكنهم مع ذلك قبضوا علينا وأوردونا سجن طهران من نياوران التى كانت يومئذ مقر الحكومة وساقونا مشيا على الأقدام مكبلين بالحديد وعاريى الرأس والأقدام لأن الشقى الذى رافقنا والذى كان ممتطيا جوادا خلع الكلاه من رأسنا وساقنا الجلادون والفراشون بسرعة عظيمة ووضعونا مدة أربعة أشهر فى مكان لم تر عين شبهه. وفى الحقيقة أن غرفة مظلمة ضيقة أحسن بكثير من المكان الذى حبس فيه هذا المظلوم مع الرفاق ولما دخلنا السجن وبوصولنا ساروا بنا على طول ممر مظلم ثم نزلنا ثلاث درجات عميقة الانحدار إلى

واما الشاب صادق التبريزى فقد كان نصيبه قاسيا ومهينا فانه قبض عليه فى حالة هجومه على الشاه وجذبه له من جواده بأمل ضربه بالسيف الذي كان يشهره عليه . فان شاطر باشى مع خدم مستوفى‌الممالك هجموا عليه وبدون أن يجتهدوا فى معرفته ذبحوه فورا فى المكان. ولتسكين‌هياج الأهالى‌شطروه نصفين ووضعوا كل نصف على‌مدخل باب



منظر مقتل عائلة بهائية استشهدت فى ايران

الحبس المعد لنا وكان المكان مظلما ويحوى نحو مائة وخمسون من اللصوص والقاتلين وقطاع الطرق . ومع أنها تحوى هذا العدد فلم يكن لها من منفذ سوى ما دخلنا منه . ويعجز القلم عن وصف هذا المكان وقذارة رائحته ولم يكن عند أغلب المسجونين لباس ولا وطاء ليجلسوا عليه والله يعلم ما ورد علينا فى هذا المكان المظلم الكريه . وكنا ليل نهار مشتغلين فى هذا السجن ومتفكرين فى‌أحوال‌البابية وأعمالهم ومتعجبين كيف أنهم مع عظمة أرواحهم ونبالتهم ونباهتهم يقومون على الاقدام على مثل هذا العمل المشين‌بالهجوم والشروع فى‌قتل الملك. ولذلك عزم‌هذا المظلوم‌أنه‌بمجرد خروجه من‌السجن يقوم بكل‌جهد على‌إحياء هذه الأرواح. وذات ليلة سمعت فى‌الرؤيا هذه الكلمة العليامن كل الجهات (إنا‌ننصرك بنفسك وبقلمك فلا تحزن مما ورد عليك ولا تخف فانك أنت من الآمنين . سوف يظهر الله كنوز الارض ويبعث رجالا ينصرونك بنفسك وباسمك الذى به أحيي الله قلوب الذين يعلمون (من كتاب ابن الذئب) . وكتب الدكتور أسلمنت (إن عبد البهاء يحكي كيف أنه ذات يوم سمح له بالدخول فى حوش السجن ليرى فيه والده المحبوب عندما يخرج للرياضة اليوميه . فرأي أن بهاء الله قد تغيرت هيئته وكان مريضا حتى إنه ما كان يقدر على المشى إلا بصعوبة وكان شعر رأسه ولحيته أشعث لم يمشط . وفى رقبته السلسلة وقد تورمت من ثقلها وكان‌جسمه منحنيا من ثقل الاغلال. وقدأثر هذا المنظر تأثيراً لا يمحى على عقل نجله الشاب (من كتاب بهاء الله والعصر الجديد صحيفة ٦١)

شمران وشاه عبد العظيم (١) أما رفيقاه الآخران فتح الله حكاك القمى وحاجى قاسم النيريزي اللذان نجحا فى جرح الشاه أخذا وعذّبا إلى أن توفّيا أخيراً ولم يقبل فتح الله عناداً أن يجيب على الأسئلة التى وجهت له رغم التعذيب الشديد القاسى وكان السكوت الذى التزمه رغم العذاب المتعدد الذى تحمله قد جعل المحققين يظنون أنه أخرس . وإذ غضبوا من عجزهم فى ذلك صبوا فى حلقه الرصاص المذاب وبهذه الطريقة انتهت حياته



اجتماع الاحياء حول جثة احد الشهداء

أما شريكه الحاجى قاسم فقد عومل بوحشية أفظع . فى اليوم الذى كان فيه الحاجى سليمان خان يقاسى محنته كان هذا الشقى يعذب فى شمران بالمثل . نخلعوا عنه ثيابه ووضعت شموع متقدة فى ثقوب مقطعة فى جسده وبهذه الكيفية ساروا به فى الشوارع أمام الجمهور الذى كان يصيح عليه ويلعنه . وعذبوه بروح انتقام مما لا شبيه لها . وفى كل يوم كانوا يأتون بأبرياء جدد يسفكون دماءهم باتهامهم زورا بذنوب لم يقترفوها ولأحوال لم يعلموا عنها شيئا وكانوا يعذبونهم بكل وسيلة جهنمية وآلات يعدّونها لمعاقبة هؤلاء

(١) وبعد قتل الصادق ربطوا جثته فى ذيل بغل وجروه على الاحجار لغاية أن وصلوا إلى طهران حتى يمكن لجميع السكان أن يعلموا أن المؤامرة أخفقت وفى الوقت نفسه أرسلوا إلى أردشير ميرزا يفهمونه ماذا يعمل (من كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٣٤)

البؤساء الذين لم يحاكموا ولم يسئلو ولم يسمح لهم باستعمال حقهم الطبيعى فى الدفاع عن أنفسهم وأثبات براءتهم .

واستشهد فى أيام هذا الفزع أثنان من أصحاب الباب ذبح أحدهما فى طهران والآخر لقى حتفه فى شميران . وعذّب الاثنان بطريقة واحدة وسلّم كلاهما للعامة لأفراغ جام انتقامهم فيهما . أما الذين كان يقبض عليهم فكانوا يسلّمون لفئات مختلفة من الناس كيفما شاءوا الذين كانت رسلهم يأتون إلى السرداب فى كل يوم ويأخذون منه من يشاؤون باعتباره فريستهم (١) وعندما يؤخذ إلى مكان التنفيذ تعطى الاشارة للهجوم عليه هجوما عاما فتقع الرجال والنساء على فريستهم ويمزقون جسده إربا إربا ويقطعونها بحيث لا يبقي منه شكل أى عضو من أعضائه ولا بقية منه . ومثل هذه الوحشية كانت تدهش أغلظ الجلادين الذين مع كونهم تعودوا سفك الدماء بأيديهم لم يرتكبوا أبدا مثل هذه الوحشية التى كان الناس يقترفونها (٢)

(١) وكان فى هذه المرة قد أراد مرزا آقا خان أن يوزع المسئولية الناتجة من العقاب وأن يقلل من طلب الانتقام ولذلك رأي أن يوزع المجرمين المعدين على الرؤساء والوزراء والموظفين فى البلاط والمجتهدين العلماء والتجار . فقتل وزير الخارجية رجلا ووزير الداخلية رجلا آخر وكذلك رئيس الاسطبلات رجلا آخر وهلم جرا (من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية صحيفه ٤٠٢ حاشية ٢)

(٢) ورأى سعادته أن يقسم التنفيذ على الأسرى بين الجهات الرئيسية فى الحكومة ولم يستثن أحدا سوى نفسه . فاولا التشريفاتى الأول للملك أطلق أول طلقة على أسيره ليقتص لجرح الشاه من المتآمرين ثم أتم الفراشون العمل . وكان ابن رئيس الوزراء رئيسا للداخلية ولذلك ذبح بابيا آخر . ثم جاء دور وزير الخارجية . وكان رجلا داهية متظاهراً بالتقوي كثير التأمل فى الأحاديث وضرب ضربة بالسيف وهو يحول وجهه ثم جاء وزير الداخلية وكتبة وزارة الخارجية وقتلوا فريستهم من البابيين الموزعين عليهم . وحتى طبيب الشاه الخاص الفرنساوى المرحوم المأسوف عليه المستر كاوكيه فانهم عزموا عليه أن يظهر ولاءه للشاه بان يتبع مثال باقى الموظفين فاعتذر قائلا انه قتل أشخاصا كثيرين أثناء العمليات التى كان يجريها ولا يرغب أن يزيدها بقتل اختيارى آخر . وقد قيل للصدر بان هذه الأعمال الوحشية التى لم يسمع بمثلها فى غابر الأزمان ليست ثورية فقط فى شكلها بل انها توجب الانزعاج والاشمئزاز العظيم فى أوربا . واذ سمع ذلك اشتد غضبه وقال «أفهل تريد أن يقع انتقام البابيين علىّ وحدى» . وكتبت جريدة (غازيت طهران) فى ذلك اليوم كتابة تدل على نفسية موظفى الدولة ومما يصح أن يكون نموذجا لأقوالهم : ان بعضا من الفسقة الغير المهذبين من الذين لا دين لهم أصبحوا تلاميذ الملعون السيد على محمد الباب الذى منذ بضع سنوات اخترع دينا جديداً والذى لقى فيما بعد حتفه . وكانوا غير قادرين على اثبات مدعاهم وكان فسادها ظاهراً بينا . مثلا قد وقع كثير من كتبهم فى أيدينا فلم نجد فيها سوى الكفر المبين . أما بالنسبة للبراهين الدنيوية فكانوا عاجزين أيضا عن الاتيان بها لاثبات دينهم الذى لا يصلح لشىء الا للجدال

ومن بين جميع أنواع التعذيب الذى أوقعه الاعداء على فرائسهم لم يكن أقسى ولا أفظع ولا أشنع مما ارتكب على الحاجى سليمان خان وهو كان ابن يحيى خان أحد الضباط

مع الله والتجديف عليه . ثم أرادوا بعد ذلك أن يحصلوا على الملك لأنفسهم وسعوا فى اثارة الثورات أملا فى الانتفاع بالاضطراب ونهب ممتلكات المجاورين وقامت منهم فئة ملعونة تحت امرة ملا شيخ على من ترشيز واعتبر نفسه نائبا عن الباب السابق وسمى نفسه صاحب الجلالة وجمعوا حوله عددا من أتباع الباب الأولين . وقد فتنوا لآرائهم ومعتقدهم بعض الفساق وكان أحدهم الحاج سليمان خان بن المرحوم يحيى خان من تبريز . وكانت عادتهم الاجتماع فى منزل ذلك الحاجى للتشاور ولتدبير مؤامرة لاغتيال جلالة الشاه . وقد تطوع اثنى عشر نفرا منهم لهذا العمل ولتنفيذ هذه الخطة وأعطى لكل منهم غدارة وأسلحة وخناجر وعزموا أن يقوموا الى مقر الشاه فى نياوران انتظاراً لتنفيذ عملهم (ثم تكلم بعد ذلك عن الهجوم وهو ما سبق فصلته قبل ذلك) وقد حكم على ستة انفار ممن لم تثبت التهمة عليهم ثبوتا كافياً بالسجن المؤبد . ووزع الباقون على العلماء والمجتهدين والموظفين فى البلاط الملكى وأهالى البلاد من التجار والصناع . وأوردوهم ما يستحقونه من العذاب فذبح الملاوات والعلماء الملا شيخ على وكيل الباب الذى لقب نفسه صاحب الجلالة والذى كان رئيس هذه المؤامرة وذبح البرنسات سيد حسن الخراسانى رجل فاسق بالغدارات والسيوف والخناجر . ووزير الخارجية المملوء بالحماس الدينية والأدبية ضرب أول ضربة على ملا زين العابدين من يزد . والسكرتاريون فى وزارته أكملوا عليه وقطعوه اربا . ونظام الملك ابن رئيس الوزراء ذبح الملا حسين . والمرزا عبد الوهاب من شيراز الذى كان من الاثنى عشر السفاكين ذبحه أخ وأولاد رئيس الوزراء . وباقى أقاربه قطعوه اربا . والملا فتح الله القمى الذى أطلق الغدارة وجرح صاحب الجلالة قتل بهذه الكيفية وسط المعسكر الملكى ووضعت الشموع فى جسده بعد أن تقب بدنه ثم أوقدت ، ثم جاء التشريفاتى وطعنه فى نفس المكان الذى جرح فيه الشاه ثم رجمه الباقون بالأحجار. أما أشراف البلاط فقد أرسلوا الشيخ عباس الى طهران ثم الى الجحيم. وأما خدم الشاه فقتلوا محمد باقر أحد الاثنى عشر ، وخدام الاسطبل ورئيسهم سمروا أرجل محمد تقى من شيراز ثم أرسلوه مع أقرانه ، ورئيس التشريفاتى ومعه النبلاء ذبحوا محمد نجف أباد بالبلط والقضبان وأرسلوه الى قرار الجحيم وطعن العسكر سيد حسين من ميلان ، ورجال المدفعية اقتلعوا أعين محمد على من نجف أباد ثم نسفوه من فم المدفع ، والخيالة ذبحوا ميرزا رفيع ، وقائد الجيوش مع ضباطه ذبحوا سيد حسين :

(من كتاب اللادى شيل لمحات فى حياة وعوائد الايرانيين ٢٧٧ ـ ٢٨١)

وقد رأى الناس فى ذلك اليوم فى الشوارع وفى الأسواق فى طهران منظراً لا يمكن أن ينسى فلا يزال الناس يعجبون بالفظائع التى ارتكبت فى تلك الايام كلما حدثت محادثة فى موضوعها ولم يغير مرور السنين الطويلة شيئا من طبائعهم وكان الناس يرون الأطفال والنساء بين أيدى الجلادين تتقدم ولحوما مغطاة بالدماء وفيها فتائل مشتعلة مغروزة فى الجروح وكان الأسرى يجرون بالحبال ويسيرون وهم يجلدون ويتقدم الأطفال والنساء وهم يتلون الآية (إنا لله وإنا اليه راجعون) وكان صوتهم فى وسط السكون الذى خيم على الجماهير لان أهالى طهران لم يكونوا أشقياء ولا متدينين وهم شديدوا التعلق بالاسلام ، فاذا وقع أحد من هؤلاء الاسرى المحكوم عليهم يضربونه بالكرباج ليقوم أو يضربونه برأس الحراب ذلك لان الدماء العزيزة التى خرجت منهم تضعف قواهم ولكنهم كانوا يرقصون ويصيحون بكل حماس (إنا لله وإنا اليه راجعون) وكثير من الاطفال يتوفون أثناء الطريق فالجلادون يرمون جثثهم أمام أقدام آبائهم ليدوسوها . فيسيرون ولا يلتفتون اليهم . واذا وصلوا الى المكان الذى أعد لتنفيذ الاعدام عليهم قريبا من الباب

فى جيش نائب السلطنة والد محمد شاه . وكانت له هذه الرتبة فى أيام حكم محمد شاه . وكان حاجى سليمان خان يظهر من صغره عدم الميل الى الرتب والوظائف . ومنذ أن اعتنق أمر الباب احتقر سلوك الناس حوله فى معاملاتهم الدنيوية وطال تأسفه عليهم لما رأى من أطماعهم وكان يود منذ صباه أن يهرب من ضجة المدينة والتجأ فعلا إلى مدينة كربلاء المقدسة . وهناك قابل السيد كاظم وأصبح من تلاميذه المعدودين الغيورين . ومن أشهر خصاله التقوى والاعتدال والرغبة فى الوحدة والعزلة ومكث فى كربلاء إلى اليوم الذي وصله النداء من شيراز بواسطة ملا يوسف الأردبيلى وملا مهدى خوى وكلاهما من أخص أصحابه . فاعتنق أمر الباب بكل حماس(١) وعزم أن ينضم إلى جماعة المدافعين فى قلعة طبرسى عند رجوعه من كربلاء إلى طهران . ولكنه وصل متأخراً فلم يتمكن من ذلك

الجديد طلب من المسجونين أن يتوبوا ولما ظهر لهم أن ذلك غير ممكن استعملوا معهم طرقا تهديدية فقال الجلاد لواحد منهم ان لم ترجع وتتوب فانى أذبح أولادك على بطنك ، وكان له ولدان أحدهما الكبير يبلغ من العمر ١٤ سنة وكان جسمه قد احمر بدمائه واحترق لحمه فاستمع الى هذا القول بكل ثبات ، وأجاب الوالد وجلس على الارض وأظهر استعداده فاختار الولد الاكبر بكل شمم أن يكون هو أول مذبوح لانه الاكبر فلم يمتنع الجلاد عن قبول ملتمسه بدون أن يظهر منه أى تألم ، وأخيراً بعد أن أتم عمليته جاء الليل على أكوام وأكداس من اللحوم فأخذوا الرؤوس وعلقوها على خوازيق وجيء بكلاب الجيران وأطلقوها على جهة اللحوم لنهشها ، وفى ذلك اليوم آمن بالباب جم غفير سرا أكثر ممن آمن بواسطة الدعوة ، فان التأثير الواقع على الاهالى من عدم خوف البابيين من الاستشهاد ومن العذاب المفجع كان عميقا وكثيراً ما سمعت من العديدين ومن كبار رجال الحكومة ممن كان شاهد عيان لهذه المفاجع عن حالات الشهداء وكل من يستمع لاقوالهم يظنهم جميعا بابيين لانهم جميعا اعجبوا بهذه المشاهد التى لم يلعب الاسلام فيها دوراً جيلا ومن الفكرة العالية التى أسندوها الى نجاح طائفة البابية فى جميع أدوارها (كتاب الكونت جوبينو الاديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٤٨ ـ ٢٥٠)

ولم تكن هذه التعذيبات فقط اجرامية بل كانت أيضا جنونية ، فان توحش المنفذين قد عكس مقصدهم فبدلا من أن يوقعوا الرعب فى القلوب جعلت للشهداء فرصة لاظهار الثبات والشجاعة التى فاقت أى دعاية أو بروباجندا مهما كانت ماهرة لانتصار الامر الذى ماتوا لاجله . فالتأثير الحاصل من مثل هذا الثبات وهذه الشجاعة كان عميقا وأبديا ، فان الدين الذى نفث فى روع الشهداء هذه الشجاعة قد عدى الكثيرين غيرهم كما يظهر من الحكاية الآتية : كان أحد سكان يزد رجلا شقيا مشهورا بالحياة الغير المنتظمة وقد ذهب لرؤية التنفيذ على بعض البابية وربما كان بقصد الاستهزاء بهم ، ولما رأى الثبات والصبر الذى قابلوا به العذاب والموت حصل له تغيير كلى فى احساساته حتى انه هجم فى وسطهم وهو يصيح (اقتلونى أنا أيضا لانى أنا بابى) ومكث يصيح على هذه الكيفية حتى شاركهم أخيراً فى نصيبهم مع انه كان خارجا فقط للفرجة (من كتاب ا . ج براون سنة بين الايرانيين صحيفة ١١١ ـ ١١٢)

(١) وقال سمندر (فى كتاب خطى صحيفة ٢) بان سليمان خان قابل الباب أثناء حجه فى المدينة ومكة

وبقى فى العاصمة واستمر يلبس اللباس الذى كان يرتديه فى كربلاء . وهى عمامة صغيرة وعباءة سوداء تغطي تحتها قفطانا أبيض وكان الأمير نظام لم يعجبه لبسه هذا وأقنعه أن يلبس بدلة عسكرية بدلا عنها . فكان لذلك يلبس الكلاه (القلنسوة) وهى ما كان والده يلبسها . ومع ان الأمير صمم أن يسند اليه وظيفة فى خدمة الحكومة الا انه رفض بتاتاً قبول ذلك وكان يصرف أغلب أوقاته مع أصحاب الباب وخاصة مع البقية الباقية من ملاحم قلعة طبرسى وكان يخدمهم بعناية وشفقة زايدة وكانت له ولوالده مكانة عظيمة حتى ان الأمير نظام أراد أن يبقى عليه وأن لا يتعرض له أحد بأى أذى أو تعذيب . ومع انه كان موجوداً فى طهران أيام الشهداء السبعة لم يتجاسر الناس ولا موظفوا الحكومة على القبض عليه . وحتى فى تبريز عند ما رحل لانقاذ حياة الباب لم يتجاسر أحد من سكان تلك المدينة أن يرفع أصبعه عليه . وكان الأمير نظام يعلم بالخدمات التى كان مشغولا بها فى أمر الباب ولكنه فضل أن يتجاهلها بدلا من الاصطدام معه أو مع والده .

وبعد شهادة ملاّ زين العابدين اليزدى بقليل راجت اشاعة بأن الحكومة تنوى اطلاق سراح الطاهرة والسيد حسين كاتب وحي الباب بعد أن قررت اعدامها وكذلك عولت على عدم اضطهاد أصحابهما نهائيا . وأشيع فى طول البلاد وعرضها أن الأمير نظام ظننا من أن ساعة وفاته قد دنت أخذه فجأة خوف عظيم وفى اضطراب توبته زجر نفسه وصاح قائلا (إنى تطيّرت بخيال السيد الباب الذى تسببت فى استشهاده والآن أشاهد الذنب المخيف الجسيم الذى اقترفته . وكنت أقدر أن أدفع عنه عادية الناس وضغطهم علىّ فى سفك دمه ودم أصحابه . والآن قد عرفت أن مصلحة الحكومة كانت فى حاجة الى تلك الحماية) أما خلفه الميرزا آقا خان فكان فى ابتداء حكمه يرغب فى المصالحة بينه وبين أتباع الباب لتثبيت رياسته وكان يهيء الأسباب لذلك حتى وقعت حادثة الاعتداء على الشاه فبدّدت آماله وأوقعت العاصمة فى فتنة عمياء .

وقد سمعت الغصن الأعظم (١) الذى كان طفلا فى ذلك الوقت وعمره ثمان سنوات يحكى عن إحدى مشاهداته قال : (كنا التجأنا الى منزل عمنا ميرزا أسماعيل وكنت تجاسرت فى بعض الأيام أن أخرج من المنزل وأعبر الطريق لغاية السوق . وما كدت

(١) من ألقاب عبد البهاء

أخرج من العتبة حتى ازدحم حولى أطفال من سنّى يصيحون (بابي بابى) ولعلمى بالذعر الذى أصاب الناس من الكبير والصغير من سكان العاصمة كنت أمر الى منزلى بهدوء وسكون متجاهلا نداآتهم عمداً . وذات يوم كنت أمر وحدى فى السوق أثناء عودتى الى منزل عمى. وإذ نظرت خلفى وجدت فئة من الأولاد الرعاع يجرون بسرعة ليلحقونى وكانوا يقذفوننى بالطوب ويصيحون مهددين (بابى بابي) ورأيت أن أحسن طريقة للخلاص من الخطر الذى يهددنى هو تخويفهم فعدت اليهم وهجمت عليهم بعزم أوجبهم على الهرب وهم خائفون وجلون ولم يبق منهم أحد . وكنت أسمعهم يقولون على بعد (ان البابى الصغير تتبعنا وسوف يلحقنا ويذبحنا) واذ كنت أسير عائداً الى المنزل سمعت رجلا يصيح بأعلى صوته « نِعم ما فعلت أيها الغلام الشجاع فما قدر أحد من سنك أبداً أن يقاوم وحده هجومهم » ومنذ ذلك التاريخ لم يتجاسر أحد من أولاد الشوارع أن يماكسنى ولم أسمع أى كلمة جارحة تسقط من أفواههم) .

ومن بين الذين قبض عليهم وطرحوا فى السجن وسط الأضطراب العام الحاجى سليمان خان الذى أسرد كيفية استشهاده التى تحققت من جميع وقائعها بنفسى وانى مدين لروايتها للآقا كليم الذى كان فى ذلك الوقت فى طهران وكان يشارك آلام وتعذيب أخوانه فأخبرنى قال (فى يوم استشهاد حاجى سليمان خان كنت موجوداً مع ميرزا عبد المجيد فى مجمع فى طهران اجتمع فيه عظماء وأعيان العاصمة ومن بينهم الحاجى ملا محمود نظام العلماء الذى أمر الكلانتر أن يصف أحوال وفاة الحاجى سليمان خان بالدقة . فأشار الكلانتر بأصبعه إلى الميرزا تقى الكدخدا الذى قال عنه أنه هو الذي قاد الأسير من قرب السراى الملكية إلى مكان التنفيذ خارج باب نوّ فطلب الحاضرون من ميرزا تقى أن يقصّ عليهم الكيفية كما رآها وسمعها قال . (صدرت لى ولمساعدى الأوامر أن أشترى تسعة شموع وأن أثبتها فى تسعة ثقوب عميقة تحز فى جسمه وأن توقد هذه الشموع وأن نسير به فى السوق مصحوبا بأصوات المزامير ودق الطبول لغاية مكان التنفيذ وهناك أمرنا أن نقسم جسمه شطرين ونعلق على كل ناحية من باب نوّ شطراً . وكان هو بنفسه قد أختار الطريقة التى استشهد بها. وكان حاجب الدولة (١) قد أمره ناصر الدين

(١) واسمه حاجى على خان (من كتاب مقالة سائح صحيفة ٥٢ حاشية ١)

شاه أن يفحص أمر اشتراك المتهم وإذا تحقق من براءته يطلب منـه الارتداد عن دينه فأذا قبل يعفى عن قتله ويحجز لحين الفصل فى أمره نهائياً . وإذا امتنع يعدم حالا بالطريقة التى يختارها .

وتحقق حاجب الدولة من براءة الحاجى سليمان خان بعد الفحص . وما كاد المتهم يعلم بالأوامر الصادرة فى شأنه من مليكه بشأن الارتداد حتى صاح بكل فرح قائلا (هذا لايمكن أبدا فما دام فى عرق ينبض بالحياة لا أقبل أن أنـكر دين محبوبي. فهذه الدنيا التى شبهها أمير المؤمنين (١) بالجيفة القذرة لا يمكن أن تغرنى أو تصدنى عن محبوب قلبى.) فسئل أي ميتة يريد أن يموتها فقال لهم (أنقبوا جسدى تسع ثقوب وضعوا فى كل ثقب شمعة ولتوقد جميع الشموع حول بدني وعلى هذه الحـالة أسحبونى فى شوارع طهران وادعوا الجماهير أن تحضر وتشاهد نخر شهادتي حتى تنقش حوادث مماتى على صفحات قلوبهم وتساعدهم وهم يذكرون شدة معاناتي على أن يعترفوا بالنور الذى أعتنقه وبعد أن أصل الى مكان التنفيذ وأكون قد نطقت بآخر مناجاتي فى هذه الحياة الدنيـا أشطروا جسمى شطرين وعلقوا كل شطر على جهة من جهتى باب طهران حتى إن الذين يمرون من تحته يشاهدون المحبة التى أوقدها دين الباب فى قلوب أصحابه وينظرون إلى درجة إخلاصهم .)

فأمر حاجب الدولة رجاله أن ينفذوا رغبات الحاجى سـليمان خان وأمروني أن أسير به فى السـوق لمكان التنفيذ . ولما سلموا الشموع التى اشتروها للمسجون وكانوا يستعدون لتثقيب صدره وثب وأخذ السكين من يد الجلاد المرتعشة ليغرزها بنفسه فى لحمه وصاح وهو يخطف السكين قائلا (لماذا تخاف وتتردد أنا أعمل ذلك وأوقد الشموع بنفسى) وخوفا من أن يهجم علينا أمرت رجالى أن يقاوموه وربطوا يديه خلف ظهره . ثم قال (اسمحوا لى أن أشير باصبعى الى المحلات التى أريد أن تغرزوا فيها السكين فليس لى مطلب خلاف ذلك) .

فسألهم أن يغرزوا اثنين فى صدره واثنين على أكتافه وواحدة فى منجع الرقبة والأربعة الأخرى فى ظهره . وكان يتحمل هذا التعذيب بغاية التؤدة والهدوء ونور الثبات

(١) الامام على

يشرق من عينيه وهو يسير بخشوع مدهش تام . ولم يضطره للهياج صياح الجماهير ولا منظرالدم الذى كان يجرى ويغطى بدنه واستمر على هذه الحالة فى الرّزانة وعدم المبالاة حتى وضعت الشموع التسع فى أمكنتها وأوقدت .

ولما تم الجميع واستعد للسير للموت تقدم وهو منتصب القامة كالرمح بعزم مشرق من وجهه وثبات لاينثنى يسير أمام الجمع المحتشد الذي اكتظ حوله لمشاهدة استشهاده . وكلما خطّى بضع خطوات وقف فى سيره ونظر الى المشاهدين الوجلين وصاح قائلا (ما أعظم الزينة والجلال فى هذا اليوم الذى تم فيه نجاحى فى الحصول على فخر تاج الشهادة . والمجد والعظمة للباب الذى أشعل مثل هذا الاخلاص فى صدور أحبائه والذى منحهم قوة أكبر وأعظم من سطوة الملوك) وأحيانا كان يصيح كأنه ثمل من حماس هذا الاخلاص ويقول (ان ابراهيم فى الأيام الخالية كان يدعو الله فى ساعة الحزن والأسي أن يرسل عليه ما يخفف آلام روحه وينعشها فسمع من مكمن الغيب نداء (يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم[1]) ولكن سليمان هذا يصيح الآن من أعماق قلبه المحترق ويقول (آلهى آلهى لتشتعل نارك باستمرار فى باطنى ولتحرق شعلتها وجودى) ولما شاهدت عيناه الشمع قد قارب الانتهاء فى داخل الجرح صاح بفزع جنونى وقال للجموع الذين ينظرونه بذعر (ليت الذى أشعلت يده روحى كان حاضراً ليرانى فلا تظنونى سكراناً بحميا هذا العالم فقد امتلأت روحى بحب محبوبى الذى وهبنى قوةً وسلطانا يحسدنى عليه الملوك) .

ولا أقدر أن أصف أو أتذكر جميع عبارات الفرح التى خرجت من فمه إذ كان يقترب من نهاية أجله . وكل ما أتذكره هو بعض كلمات مؤثرة كان يصيح بها فى أوقات حماسه للجماهير المحتشدة . ولا تقدر العبارة أن تصف هيئة وجهه أو تعبر عن مقدار تأثير كلماته على الجموع . وكان لايزال فى السوق إذ زاد هبوب النسيم فى اشعال الشموع الموضوعة على صدره وإذ أسرعت فى الذوبان وصلت الشعلة إلى حافة الجروح المغروزة فيها وسمع الذين كانوا على مقربة منه أزيز لحمه الآخذ فى الاحتراق وكانت بقع الدماء على جسمه والنيران المشتعلة قد زادت فى إشعال حماسه الذى لا ينطفى بدلا من إخماد صوته وكان يخاطب الشعلات النارية وهى تأكل جسده ويقول (أيهـا اللهب قد فقدت قوة

(١) قرآن (٢١ ـ ٩٦)

اللسع والتلظي فليس لك تأثير على إيذائى . فاسرع لأنى أسمع من ألسنة شعلة نيرانك ذلك الصوت الذى يدعونى لمحبوبى .)

ويظهر أن الألم قد ذاب أمام اشتعال ذلك الحماس. وإذ اكتنفته النيران بشعلاتها كان يمشى كفاتح يسير فى ميدان نصره ويتحرك وسط الزحام على هيئة شعلة متوهجة وسط الظلام الذي أحاطه وإذ وصل إلى مكان التنفيذ رفع صوته لجموع الناظرين أخيراً وقال (ألم يكن سليمان هذا الذى ترونه الآن طعمة للنيران والدماء هو الذى كان منذ أمد قريب يتمتع بكل غنى وثروة فى هذه الدنيا فما الذى جعله يترك كل هذا الفخر الدنيوى ويقبل هذه الآلام والبلايا بدلا عنها وإذ كان فى مقام إمام زاده حسن نطق ببضع كلمات باللغة العربية لم أفهمها ثم قال للجلاد (إن عملى قد تم فاسرع واتمم عملك) وكان حيا عندما شطر جسده قسمين ببلطة وبقيت على شفتيه كلمة تمجيد محبوبه رغما عن آلامه المبرحة إلى آخر رمق من حياته) (١)

(١) ان الشجاعة الفائقة الحد التي أظهرها سليمان خان فى تحمله الآلام المخيفة صارت أشهر من نار على علم . وقد سمعت مراراً وتكراراً كيف انه لم ينقطع أثناء تعذيبه الطويل عن أن يظهر سروره بان يكون مستحقا للاستشهاد فى سبيل أمر مولاه . وكثيرا ما كان يغنى ويسرد أبياتا شعرية ومنها ما يأتى (قد رجعت من طريق شيراز وأحضرت معى اللطائف والظرائف وهكذا يكون جنون الحب) فعند ذلك استهزأ به الجلاد وقال له لماذا لا ترقص اذاً ما دمت ترى الموت جميلا الى هذا الحد فصاح سليمان خان نعم أرقص فهذه الكاس فى راحتى وفى الأخرى جدائل الشعر من محبوبى. وهذا الرقص وسط السوق مرغوبى (من كتاب مقالة سائح صحيفة ٣٣٣ ــ ٣٣٤ حاشية ت) وكان استشهاده فى اغسطس سنة ١٨٥٢ . ولما قبضوا على سليمان خان بذلوا جهدهم ليرجعوه عن دينه بسبب اخلاصه للعرش وخدمته له وأرادوا اغراءه بالوعود من الملك بالمكافآت ان يرجع عن عقيدته فلم يقبل وأجاب بكل ثبات أن جلالة الملك له الحق فى أن يطلب من أتباعه الاخلاص والطاعة والاستقامة ولكنه لا يحق له أن يتداخل فيما يعتقد به أتباعه من الأمور الدينية . فكانت النتيجة لهذه الجسارة فى القول أن صدر الأمر بأن يثقبوا جسمه بالجروح وأن يضعوا فى كل ثقب شمعة حتى يكون مثالا لغيره . وعاملوا آخر معه بنفس هذه الطريقة . وعلى هذه الحالة ساروا به وسط الأسواق تتقدمه الطبول والمزمار ولكنه كان دائم التبسم ويتلو الاشعار الآتية (ما ترجمته) :

ما أسعد المحب إذا غلبه الشوق حتى لا يعي
ان كان تحت أقدام المحبوب رأسه أو العمامة ترتمي

وكان كلما وقعت شمعة من جسمه يلقطها بنفسه ويوقدها من الشموع الاخرى ثم يضعها فى محلها. ولما رأى الجلادون منه هذا الفرح والسرور قالوا له (اذا كان شوقك للاستشهاد لهذا الحد فلماذا لا ترقص فعند

وقد أثـرت هذه القصة المحزنة فى المستمعين ونفذت الى أعماق قلوبهم . وكان نظام العلماء ضمن المستمعين لجميع هذه التفاصيل فأسقط فى يده من الذعر واليأس وصاح قائلا (ما أعجب هذا الأمر ما أعجب هذا الأمر) وبدون أن يزيد حرفاً واحداً قام وخرج(١)

وفى تلك الأيام أثناء الهياج المتواصل حصل استشهاد تلميذ آخر من أشهر تلاميذ الباب وهي امرأة لم تـكن أقل شجاعة ولا عظمة من السابقين واسمها الطاهرة واندمجت فى سلسلة الحوادث التى حصلت أثناء العاصفة التى ماجت بها العاصمة والتى هبت عليها بشدة وقسوة مستحكمة والذى أحكيه الآن عن أحوال شهادتها راجع الى أخبار موثوق بها ممن شاهدوا الحادثة عيانا فقد كان مكثها فى طهران محفوفا بعلائم المحبة والاعتبار الزائد من رؤساء النسوة فى العاصمة . فوصلت فى تلك الأيام الى ذروة العلا والحظوة(٢)

ذلك ابتدأ يقفز ويغنى قائلا ما ترجمته : طوبى لاذن واعية ما أصمها الجهل والعمى وطوبى لعبد خاضع خاشع يحمله سروره الروحي على الرقص . فالمجنون يرقص فى الاسواق والرجال ترقص بينما دماؤهم تقطر من أجسادهم ويصفقون للنفس طربا اذا ذبحت ويرقصون لخلاص أرواحهم ونجاتهم من الشرور يصفقون بأيديهم إذا ذبحت نفوسهم لعلمهم بانهم قد خرجوا وتخلوا من الشر) وعلى هذا المنوال قادوا هذين الشهيدين لغاية بوابة شاه عبد العظيم . ولما استعدوا لنشر جسم ذلك الرجل الشجاع مد قدميه بلا وجل أو تردد بينما كان يتلو الشعر الاتى (مترجما) انى أعد الجسم أمراً نذراً فنفس الشجاع تحتقر بيتها الارضى فالخنجر والسيف كأوراق الازهار أو كباقات صففت على مائدة الموت ببريقهما ولمعانهما .
(من كتاب التاريخ الجديد صحيفة ٢٢٨ — ٢٣٠) .

(١) إذا أردنا التوصل إلى نتيجة حتمية فى أفكارنا عن الماضي الذى تكلمت عنه فانها ليست سوى ذلك الاخلاص العالى الهادىء الذى نفخه هذا الدين الجديد مهما يكن شكله . واعتقد أنه لم يوجد سوى بابى واحد ارتد تحت ضغط التعذيب ثم قتل بعد مضى سنتين . وقد تزينت صحائف سفك دماء الشهداء باعمال الشهامة الصادرة من هؤلاء البابيين . ومع أن كثيرين من الاتباع كانوا أميين فانهم مع ذلك كانوا دائما مستعدين للتضحية لأجل دينهم وكانت نيران (سميث فيلد) غير قادرة على اشعال شجاعة فى القلوب أعظم وأكبر مما شاهدها الجلادون من أهل إيران . فالعقيدة التى تنفث فى قلوب أتباعها مثل هذه التضحية النادرة الجليلة ليست من العقائد التى يستهان بها أو التى لا يقام لها وزن ... فمثل هذه الحوادث الصغيرة التى تظهر من وقت لآخر ببيئتها المنكرة تبرهن على أن إيران لم تسترجع للآن كامل مجدها وتطمن المشائخ الذين كثيرا مايتحدثون عن المدنية الايرانية (كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية جزء أول صحيفة ٥٠١)

(٢) ومكثت هناك مدة مستطيلة تستقبل الزائرين العديدين من الرجال والنساء وكانت تؤثر على النسوة وتظهر لهم حقيقة الدور السكريه الذى عينه لهن علماء الدين وكانت تقنعهن كيف أن الدين الجديد أعطاهن حرية واحتراما . وكادت هذه المجادلات تمكث مدة مستطيلة لولا أن المرزا آقا خان الذى تعين صدرا أعظم أمر حاجى ملا ميرزا محمد أندرمانى وحاجى ملا على كينى أن يذهبا اليها ليمتحنا اعتقادها.

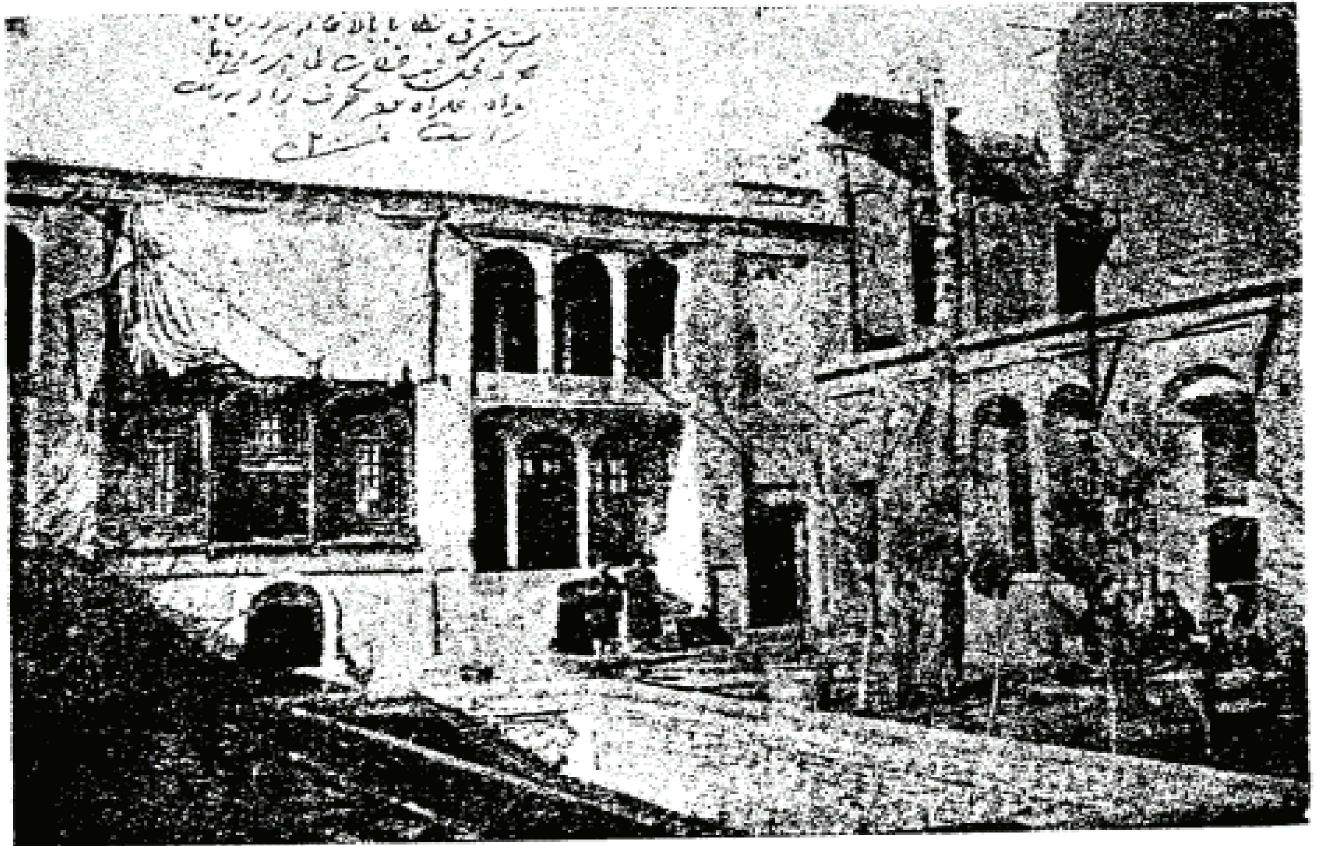
وكان المنزل الذى حبست فيه يموج بالنسوة المعجبين بها اللائي كن يتوافدن بكثرة على أبوابها ويشتقن أن يحضرن فى مجلسها وينتفعن بعلمها (١) ومن بين هؤلاء النسوة زوجة كلانتر (٢) التى امتازت بما أظهرته من الاحترام الزائد للطاهرة ولأنها كانت مضيفتها كانت تعرض عليها خيرة النسوة فى طهران وكانت تخدمها بكل حماس وتشاركها فى عملها بتوثيق عرى ألفتها مع باقى النسوة . وقد سمع منها بعض أصدقائها ما يأتى : (ذات ليلة بينما كانت الطاهرة فى منزلى طلبتنى للحضور أمامها فوجدتها مزينة للغاية ومرتدية بدلة من الحرير الأبيض . وكانت الغرفة معطرة بأحسن الاطياب. فأظهرت دهشتى من مثل هذا المنظر الغير العادى . فقالت (إنى أستعد للقاء المحبوب وأريد أن أخلصك من المتاعب التى تلاقينها فى سبيل سجنى) فذهلت فى ابتداء الأمر ثم بكيت من فكرة الافتراق منها فقالت لى لتطمئنى (لا تبك لأن ساعة الحزن لم تأت بعد وأريد أن أبث إليك آخر رغباتى .لأن الساعة التى سيقبض علىّ فيها والتى سوف أتجرع فيها كأس الشهادة قد أسرعت فى الاقتراب . وأطلب منك أن تسمحي لنجلك أن يرافقنى إلى مكان إعدامى وليؤكد على الحراس والجلادين الذين سوف أسلم لأيديهم أن لايجبرونى على خلع هذه الثياب . ومن رغبتى أن يطرح جسدى فى بئر وأن تملأ بعد ذلك بالتراب والأحجار. وبعد مرور ثلاثة أيام على وفاتى ستأتى اليك امرأة تزورك فعليك أن تسلمى

فباحثاها فى سبعة مجالس وناقشتهما بكل حماس وأظهرت لهما أن الباب هو الامام المنتظر والموعود . فردا عليها بأن الأمام الموعود يظهر من جابلقا وجابرسا فأفهمتهما بقوة بأن هذا كذب محض واختراع المحدثين الكذابين . وأن المدينتين المذكورتين لا وجود لهما مطلقا وما هما سوى خرافة تليق للمجانين . وأظهرت لهما الأوامر والاحكام الجديدة وأثناء تبين وجه الحقيقة كانت دائما تظهر فساد نظرية جابلقا . وأجابتهما منفعلة (بأن الأدلة التي تسوقانها هى أشبه باقوال طفل غبي جاهل . فألى متى تسيران وراء هذه الاكاذيب والخرافات الجنونية . وألى متى لا ترفعان رأسكما لتريا شمس الحقيقة . وإذ تأثر الخاجى ملا على من هذه الأقوال قام وقال لزميله ما هى الفائدة من زيادة البحث والمناقشة مع كافرة . فذهبا إلى منزل أحدهما وكتبا حكما أبانا فيه عن ردتها وكفرها ورفضها التوبة وحكما عليها بالأعدام بأسم القرآن (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٤٦ — ٤٤٧)

(١) وأثناء وجودها تصادف حصول عرس ابن كلانتر . فكانت نسوة الطبقة العالية معزومات ومع أنهن صرفن مبالغ طائلة لجمع وسائل الطرب فانهن صحن بطلب رؤية قرة العين . وما كادت تحضر أمامهن وتبتدىء فى الكلام حتى أبطلن الموسيقى والرقص وتركن تناول المرطبات والحلويات وصرفن المغنيات والراقصات اللذيذة وامتنعن عن النظر لأي شىء سوى قرة العين (نفس الكتاب صحيفة ٤٤٨)

(٢) وأسمه محمود خان كلانتر الذى أودعت فى حراسته قرة العين .

لها هذا الملف الذى أسلمه الآن لك. وآخر طلباتى أن لاتسمحي لأحد بأن يدخل غرفتى من الآن إلى الوقت الذى يأتى لخروجى من هذا المنزل أريد أن لا يقطع أحد صلوتى. فى هذا اليوم اعتزمت الصوم ولا أقطع هذا الصوم حتى أقابل محبوبى . وأمرتنى مع هـذه الكلمات أن أغلق الغرفة ولا أفتحها حتى تدق ساعة الفراق . وطلبت إلىّ أن لا أفشى سر شهادتها حتى يعرفه أعداؤها بأنفسهم .



منزل كلانتر فى طهران وهو الذى حبست فيه الطاهرة (وكانت الغرفة العليا خلف الشجرة هى التى خصصت لاقامتها)

وأوجبت علىّ محبتها العظيمة طاعتها . ولولا رغبتى فى تنفيذ رغباتها ما كنت أسمح لنفسي أن أبتعد عنها ولو لحظة واحدة . فأغلقت باب الغرفة وعدت إلى مخدعى فى حالة جزع وحزن عميق ومكثت بلا نوم مكتئبة على فراشى . وألهج قلبي على بدنو ساعة شهادتها وكنت أناجي ربي فى يأسي وأقول رب إذا شئت امنع عنها الكأس الذى ترغب فى تجرعه . ففى تلك الليلة كنت من شدة قلق أقوم وأذهب إلى عتبة غرفتها وأبقى هناك صامتة استمع لما يخرج من فمها من المناجاة ونغمات المدائح فى محبوبها ولم أتمكن من الاستمرار على هذه الكيفية إلا قليلا لما كان يساورنى من الاضطراب والأسى وإذ مضت أربع

ساعات من الليل سمعت دق الباب . وأسرعت إلى نجلي وأخبرته برغبات الطاهرة فأقسم أن ينفذ كل ماتأمر به . وتصادف فى تلك الليلة غياب زوجي . ولما فتح نجلى الباب أخبرنى ان الفراشين المرسلين من عزيز خان السردار كانوا واقفين على الباب الخارجى يطلبون تسليم الطاهرة لا يديهم فانزعجت من الخبر وذهبت الى بابها وفتحته بيد مرتعشة ووجدتها مقنّعة ومستعدة لترك الغرفة. وعندما دخلت الغرفة كانت تتمشى وترتل مناجاة جامعة بين الحزن والنصر . وبمجرد أن رأتنى أقتربت منى وقبلتنى ووضعت فى يدي مفتاح صندوقها



الملبس الخارجي



الملبس الداخلى

ملابس نسوة ايران وهى التي كن يرتدينها فى أواسط القرن التاسع عشر

الذي تركته لى وبه بعض الأشياء الصغيرة كتذكار لبقائها فى منزلى . وقالت لى (كلما فتحت الصندوق وشاهدتى الأشياء التى فيه فانك تذكريني وتفرحي لفرحي).

وبهذه الكلمات ودّعتني ورافقها نجلي وغابت عن أنظارى فكم شعرت للوقت والساعة بضربات الحزن والأسى وأنا أشاهد جمال هيكلها يبتعد تدريجيا من أمامى . وامتطت الجواد الذى أرسله لها السردار وحرسها نجلى وجملة من الخدام الذين مشوا على جانبيها وذهبت إلى الحديقة التى كانت محل استشهادها .

وبعد مرور ثلاث ساعات عاد نجلي ووجهه مغطى بالدموع وهو ينزل اللعنات على السردار وعلى ضباطه الفسقة . واردت تهدئة خاطره وإذ جلس بجانبي سألته أن يحكى كيفية استشهادها . فأجاب وهو يبكى (والدتى أنا لا أقدر أن أوف وصف ماشاهدته بعين

رأى حق الوصف فأننا ذهبنا إلى حديقة الايلخانه (١) توا وتقع خارج باب المدينة وهناك شاهدت لدعرى السردار وضباطه غارقين فى أعمال الخنا المخجلة وقد لعبت الخمرة بعقولهم وعلت أصواتهم بالقهقهة والضحك واذ وصلنا الى الباب ترجلت الطاهرة ونادتني وطلبت منى أن أكون وسيطا بينها وبين السردار لأنها تشعر بعدم الميل لمخاطبته وهو فى نشوته ومرحه . وقالت (انهم على ما يظهر يريدون خنقى وقد أعددت منذ زمن منديلا حريريا ليستعمل فى هذا الغرض . وأنا أعطيه لك وأريد أن تقنع هذا السكير أن يستعمله فى أخذ روحى .)

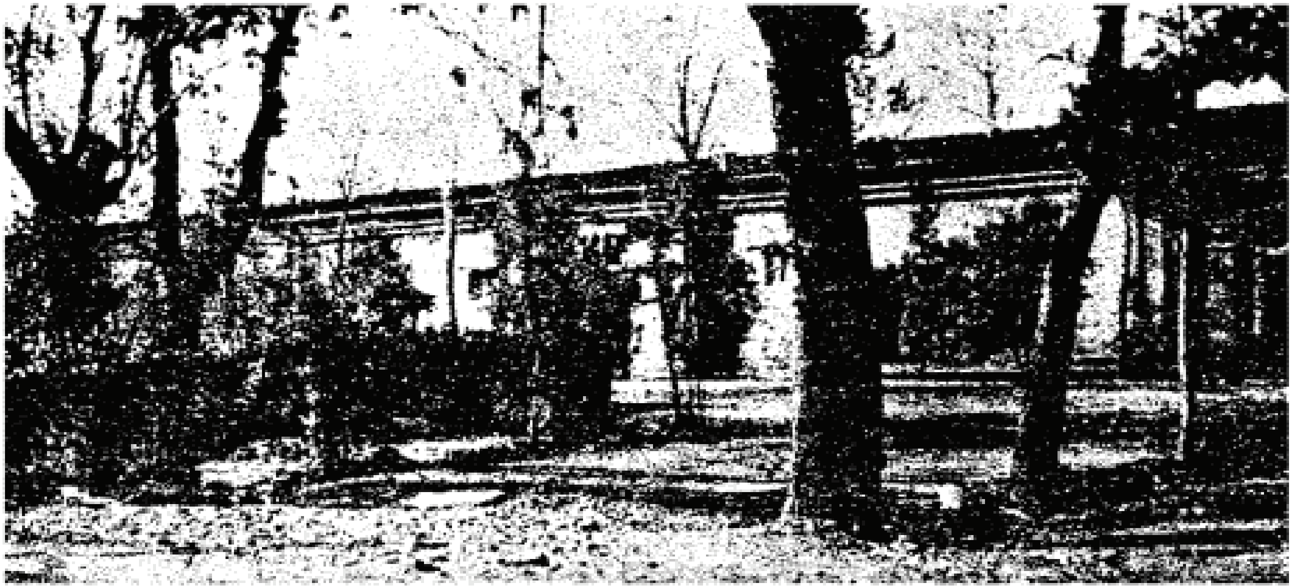
ولما ذهبت الى السردار وجدته فى حالة سكر عميق . وإذ اقتربت اليه صاح قائلا (لا تكدر علينا صفو مرحنا فلتؤخذ هذه الشقية التعسة وتخنق وتطرح فى البئر .) وقد دهشت من صدور مثل هذا الأمر . واعتقدت أن لا حاجة لاعادة السؤال وذهبت الى اثنين من الخدام الذين سبقت لى معرفتهما وأعطيتهما المنديل الذى سلمته لى الطاهرة . فعملا على إجابة طلبها ولفا المنديل حول رقبتها حتى أسلمت الروح. وأسرعت الى البستانى لأسأله عن محل يصح مواراة جسدها فيه . فأرشدنى لفرط سروري لبئر حفرت حديثا وتركت بدون اكمال. وبمساعدة آخرين أنزلنا الجسد فى قبره وملأنا البئر بالتراب والأحجار كما أرادت هى بنفسها . ثم تفرق القوم وهم فى حزن وسكون تاركين تحت الانقاض تلك الفريسة التى أنارت مملكتهم بضياء لن يزول للأبد .

وقد بكيت بدموع حرى على تلك الفاجعة التى رواها لى نجلى . وغلب علىّ التأثر حتى وقعت على الأرض مغشياً علىّ ولما أفقت من غشيتى وجدت أن نجلى قد وقع مثلى من شدة الألم وأصابه مثل ما أصابنى وكان مطروحا فى فراشه تنهمر منه دموع الحزن والأسى . واذ شاهد حالى وما أصابنى واسانى بقوله (إن دموعك ستكشفك أمام عينى والدى وقد يحمله مركزه ومقامه أن يتركنا ويقطع كل علاقة بينه وبين أسرته . وإذا

(١) هو مكان فسيح أمام الوكالة البريطانية والسفارة التركية وهذا المحل اختفى منذ ١٨٩٣ . وفى وسط هذا الميدان وعلى رصيف الطريق خمسة أو ستة شجرات منفردة تؤدى الى البقعة التى استشهدت فيها البطلة البابية لأنه فى ذلك التاريخ كانت الايلخانة تمتد إلى تلك الناحية ولما عدت فى سنة ١٨٩٨ وجدت أن الميدان قد اختفى وظهرت فيه مبانى جديدة ولا أعلم إذا كان المالك قد احترم هذه الاشجار التي قد غرستها ايدى صالحة (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٥٢)

لم نحبس دموعنا فانه يتهمنا أمام ناصر الدين شاه ويجعلنا فريسة لعدوّ لدود . ويحصل من ناصر الدين شاه على أمر باعدامنا وربما نفذ حكمه بأن يذبحنا بيده . فلماذا نرضى بتمثل هذا النصيب من يده ما دمنا لم نعتنق هذا الأمر . وكل ما علينا هو أن ندافع عن الطاهرة ونكذب أقوال كل من يتهمها في عرضها وشرفها . ولنجعل حبها مكنونا في أفئدتنا للأبد ونؤكد للجميع نبالة وشرف حياتها أمام كل عدوّ حانق شانيء .)

وكانت كلماته قد خففت هيجان قلبي وذهبت وأحضرت الحقيبة التي تركتها لي وفتحتها



منظر حديقة ايلخاني التي استشهدت فيها الطاهرة

ووجدت فيها قنينة من ألطف الطيب وبجانبها سبحة وقلادة من المرجان وثلاث خواتم عليها فصوص ياقوت وعقيق وفيروز وبينما أنا أنظر الى ممتلكاتها الأرضية تأملت في أحوال حياتها وحوادثها وتذكرت شجاعتها وصدقها وحماسها وعلوّ نفسها في أداء الواجب واخلاصها المتناهي . وأخذتني رجفة من التعجب وجال في خاطري ذكرى قصائدها وذكرى سجنها وبلائها والسخرية التي قابلتها بكل ثبات لا يظهر من أي امرأة في تلك الديار . وتفكرت مليًا في ملاحة ذلك الوجه الذي بقي للأسف مدفونا تحت ردم من التراب والأحجار . وكم كانت ذكرى فصاحتها المؤثرة تثير شعور قلبي كلما ردّدت تلك الدرر التي كانت كثيرا ما تخرج من فمها وكانت سعة علمها وتبحرها في العلوم الشرعية والكتب المقدسة الاسلامية تمرّ على خاطري بسرعة البرق فيساورني القلق حتى يكاد يأخذ بلبي وتذكرت وأنا واقفة بجانب حقيبتها ما صدر منها من الولوع المفرط والخشوع والخضوع للدين الذي اعتنقته وحماسها

أثناء مدافعتهـا عنه والخدمات التى أسدتها اليه والمتاعب والصعوبات التى تحملتها فى سبيله والمثل الأعلى الذى ضربته لأتباعه والقوة التى أظهرتها فى رقى أمره والاسم الذى نقشته لنفسها فى قلوب أبناء وطنها وصرت أتعجب عن البـاعث الذى جعل مثل هذه المرأة العظيمة تترك الثروة والكرامة التى تحوطها وتتبع أمر غلام منكور فى شيراز وجعلت أفكر فى نفسى فى الداعى الذى دفعها والسر فى تلك القوة التى ألجأتهـا إلى الانفصال والابتعاد عن منزلها وعن ذوى قرابتها وشددت قواها فى كل أدوار حياتهـا المفعمة بأرياح التقلبات والاضطهادات التى جرتها أخيراً إلى قبرها . وتساءلت فى نفسى هل كانت مثل هذه القوة صادرة من الله ؟ وهل كانت يد الله هى التى ترشدها وتوجهها وتمخر بها فى عباب مخاطر حياتها ؟ وفى اليوم الثالث من شهادتها (١) جاءت المرأة التى أخبرتنى مقدما بمجيئها وسألتها عن اسمها ولما علمت أنه مطابق للذى أخبرتنى به الطاهرة سلمتها الملف الذى أمنتني عليه ولم أكن قد رأيت هذه المرأة من قبل ولم أرها بعد ذلك (٢)

وكان اسم تلك السيدة الخالدة فاطمة وهو الاسم الذى سماها به والدها . وكانت كنيتها أم سلمى كما سماها بذلك أهلها ومعارفها وكذلك دعوها بالزكية . وكانت ولادتها سنة ١٢٣٣ (٣) هجرية وهى نفس السنة التى ولد فيها بهاء الله . وبلغت وقت شهادتها سن السادسة والثلاثين من عمرها . ولعل الاجيال القادمة تجمع سيرة مستوفية من تواريخ حياتهـا بما خفى عن معاصريها ولعل المؤرخين فيما بعد يقـدرون قوة تأثيرها ويدونون بتوسع تام تلك الخدمات الجليلة التى أدتها للوطن ولأبنائه . ولعـل المؤمنين بالدين الذى خدمته يبذلون الجهد فى اتباع مثلهـا الأعلى ويعددون أعمالها ويجمعون كتاباتها ويبسطون أسرار أفكارها ويجددون ذكراها على ممر الأيام ومحبتها فى قلوب أهالى وشعوب الارض (٤)

(١) أغسطس سنة ١٨٥٢ ميلادية

(٢) أنظر المجلة للجمعية الاسيوية الملكية سنة ١٨٨٩ البند السادس صحيفة ٤٩٢

(٣) ١٨١٧ — ١٨١٨ ميلادية

(٤) قد أظهر الجمال مع الجنس اللطيف تعلقه بالأمر الجـديد وكانت تلك الشـاعرة المحبوبة السيئة الحظ زرين تاج شاعرة قزوين أو قرة العين قد خلعت برقعها ورفعت مشاعل التبليغ عن الأمر الجديد في كل مكان . وكانت شجاعتها من أعظم الحوادث أثراً فى التاريخ الحديث . (إيران والمسألة

ومن الشخصيات البارزة من بين تلاميذ الباب الذى لقى منيّته فى ايام الاضطراب الذى حصل اذ ذاك فى طهران السيدحسين يزدى الذي كان كاتبا لوحى الباب فى قلعة ماه كو وجهريق .وكانت اطلاعاته فى التعاليم الأمرية بدرجة أن الباب أشار فى لوح الى مرزا يحيى بان يرجع الى السيد حسين المذكور للاسترشاد فى كل مايتعلق بالكتابات المقدسة. وكان ذلك الرجل معتمد الباب فى كل اعماله وموضع ثقته التى لانهاية لها وذا خبرة واسعة وخلطة وثيقة مع الباب وبعد استشهاد مولاه فى تبريز تحمل آلام السجن الطويل فى سرداب تحت الارض فى طهران وانتهى حبسه باستشهاده . وكان بهاء الله قد ساعده كثيرا فى تخفيف وطأة الآلام والمتاعب التى كان يرزح تحتها . وكان يرسل له فى كل

الايرانية للورد كرزون جزء ١ صحيفة ٤٩٧ حاشية ٢) ولا يوجد تذكار محترم أشعل حماسا من تذكارها وكان تأثيرها فى حال حياتها مما انتفع به أصحاب جنسها. (من كتاب المسألة الشرقية الوسطى لفانتين شيرول صحيفة ١٢٤)

وظهور قرة العين فى أى مملكة أو أي عصر من الحوادث النادرة وأما ظهورها فى مملكة مثل ايران فاحدى العجائب بل يكاد يكون معجزة . وكانت على ماجمعت من الجمال النادر والطهارة على جانب عظيم من المواهب العقلية والبلاغة والقوة والشجاعة الذاتية والاخلاص وكان استشهادها الباسل مما لامثيل له وهو أبدى الذكرى فيما بين مواطنيها من النسوة. ولو لم يكن للدعوة البابية من أسباب العظمة والفخر سوي أنها خلقت امرأة باسلة مثل قرة العين لكفاها . (من كتاب مقالة سائح حاشية ق صحيفة ٢١٣)

وأعظم الأمثال فى جميع الحركة هو قرة العين الشاعرة فكانت مشهورة بتقواها وفضلها وعلمها وأخيراً تمسكت بدعوةالباب عند ماقرأت بعض آياته ونصائحه واشتد إيمانها مع كونها غنية ونبيلة على شأن انها تركت ثروتها وصيتها ومركزها وطفلها لأجل خدمة مولاها وقامت على نشر مبدئه ودينه .. وكان جمال خطابها بدرجة أنها جذبت الضيوف من حفلة زواج وفرح ليستمعوا اليها بدلا من الموسيقى التى أعدها المضيف . أما أشعارها فن أعظم الأشعار فى اللغة الفارسية فى قوة التاثير .(كتاب اللمعة تاليف السير فرانسيس يُنج هسباند صحيفة ٢٠٢ — ٢٠٣)

وإذا نظرنا إلى الدور الذى لعبته قرة العين فان الانسان يندهش من الحماس المتأجج الذي أظهرته ومن انقطاعها التام عن العالم. فهذه الدنيا كانت بالنسبة اليها عبارة عن حفنة من التراب كما يقول القدوس وقد كانت خطيبة بليغة ومتقنة لاعوص أنواع الشعر الفارسي. ومن أشعارها ماله أهمية خاصة لأنه يظهر فيه الاعتقاد فى شخص بشرى (بدعوة الرب) وانه سوف يصدق دعوته الجميع . فمن يكون ذلك الشخص ياترى؟. ويظهر أن قرة العين استبطأته فى إظهار دعوته وهل يمكن أن يكون هناك شخص تفكر فيه سوى بهاء الله ؟. فكانت الشاعرة حقا بهائية (كتاب الدكتور ت . ك شينى اتحاد الأقوام والأديان صحيفة ١١٤ — ١١٥)

فان الغرس الذى غرسته قرة العين فى البلاد الاسلامية ابتدأ يثمر وأخذت هذه الأيام فى الظهور

شهر مايحتاجه من المصاريف. وكان كل من يراه يعجب به ويمدحه حتى السجانون الموكلون به . وطول معاشرته مع الباب فى أروع ايامه جمل تفكيره عميقا ووهب روحه قوة ازدادت ظهورا وبسطا على ممر الايام اذ كانت حياته الارضية تقترب على الانتهاء . وكان وهو فى السجن مشتاقا لأن تكون منيّته على مثال منيّة سيده واذ لم يمنح شرف الاستشهاد فى نفس

فان خطابا أرسل الى جريدة كريستيان كنوات فى يونيو الماضي أنبأ بان أربعين سيدة من المطالبات بحق الانتخاب قد نفين من القسطنطينية إلى عكا (التى كانت مدة طويلة سجن بهاء الله) فى السنوات الاخيرة ابتدأت حقوق الانتخاب تنتشر فى داخل الحريم بسكون وكان الرجال غير عالمين بهذه الحالة وكل الناس يجهلونها . والآن ابتدأ الطوفان ينهمر وابتدأ رجال اسلامبول يعدون العدة باتخاذ طرق شديدة فقد تكونت نوادي السيدات للانتخاب وكتبت مذكرات بديعة تتضمن مطالبهن وانتشرت وظهرت مجلات نسوية وفيها مقالات بديعة وعقدت مجامع وجمعيات عديدة وذات مرة رفع نحو من اربعمائة سيدة براقعهن فى احدي المنتديات وانزعج الناس الجامدون من حصول ذلك الامر وأخذ المسلمون الطيبون والحكومة فى العمل وشتتت الحكومة شمل الاربعمائة سيدة الراغبات فى الحرية إلى جملة فرق . ونفت احدى هذه الفرق وهى مكونة من أربعين سيدة إلى عكا وسيصلن بعد بضعة أيام . وأخذ جميع الناس فى التكلم عن ذلك. وانه من المدهش حقا أن ترى العديدين من الرجال فى جانب رفع الحجاب من وجوه النساء . وكثير منهم يفكر بان هذه العادة لم تكن قديمة فقط بل انها خانقة لحرية الفكر . وأرادت الحكومة أن تقتل هذه الحركة الفكرية للحرية ولكنها زادت فى اشتعالها وساعد عملها فى خلق رأي عام أوسع نطاقا وزاد اطلاع الناس على هذه المسألة العصيبة (نفس الكتاب صحيفة ١١٥ — ١١٦) أما المبلغة الاخرى وهى السيدة التى تكلمت عنها التى أتت إلى قزوين وهى بكل تأكيد إحدى الظهورات المهمة ذات الاثر البليغ فى الديانة البابية فضلا عن أنها موضع احترام البابيين (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ١٣٦) . وكان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها فى أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لي دائما أنها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة فى الخطب فأن إلقاءها كان من السهل الممتنع وكان الناس أثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير إلى أعماق قلوبهم مفعمين بالأعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق (نفس الكتاب صحيفة ١٥٠) والكثيرون من المسلمين والبابيين يمتدحون اليوم جمال قرة العين ومما لا نزاع فيه أن روح وأخلاق هذه السيدة الصغيرة كانت على غاية من الرفعة وعلو الشأن . وكانت كثيراً ما تشهد المجتمعات التى تغشاها العلماء بل كانت يوميا تقريبا تحضرها وكان لها شغف بها وكانت دائما على استعداد لمتابعة المجادلات والمحاورات العميقة التى كان والدها وعمها يتذاكرونها وكذلك ابن عمها الذى تزوجها بل كانت تفحمهم بافكارها وتدهشهم بملاحظتها الدقيقة التي تدل على شدة نباهتها ففى ايران ليس من الامور العادية رؤية سيدة تشتغل بمثل هذه الامور بل أن تلك ظاهرة نادرة الحصول فانه كان من الامور المتعذرة أن تجد سيدة مثل قرة العين فى فضلها وعلمها فانها زيادة على معرفة اللغة العربية معرفة جيدة للغاية فانها اشتهرت فى علوم الحديث وفى تفسير القرآن بطريقة لم يتمكن من مثلها باق العلماء وأخيرا كانت فى قزوين بحق احدي المعجزات (نفس الكتاب صحيفة ١٣٧)

اليوم الذى استشهد فيه الباب كما كان يتمنى اصبح ينتظر بفروغ صبر مجىء الساعة التى فيها يرتشف تلك الكأس حتى ثمالتها وكثيرا ماحاول عظماء الموظفين فى طهران أن يقنعوه بقبول طلبهم الخاص بانقاذه اذا رجع عن دينه من مشاق السجن ومما هو مزمع أن يصيبه من اعدام قاس . ولكنه رفض بأباء ماعرض عليه وكانت الدموع تنهمر من عينيه بدون انقطاع تلك الدموع التى كان يذرفها لأشتياقه لرؤية ذلك الوجه الذى اشتد اشراقه فى ظلمات الحبس القاسي فى آذربايجان والذى كانت أشعته بمثابة الدفء للذع برد لياليه القارس. واثناء تفكره وهو فى ظلمات حجرة سجنه وتذكره تلك الأيام المباركة التى صرفها فى حضور مولاه رأى بجانبه ذلكم الذى بسناء طلعته البهية أذهب وأزال الغم الذى تملك مشاعره ولم يكن يواسيه سوى بهاء الله نفسه فكان للسيد حسين شرف البقاء بصحبته لحين وفاته .

وكانت يد عزيز خان السردار التى امتدت للقضاء على الطاهرة هى نفس اليد التى أودت بحياة كاتب الوحى وقرين الباب فى سجنه فى آذر بايجان ولا داع لذكر تفاصيل الكيفية التى أعدمه بها ذلك السردار الطاغية ويكفى أن نقول أنه شرب الكأس التى كان يتمناها ويشتد حنينه لارتشافها بنفس القسوة المخجلة التى عومل بها سلفه من الشهداء . وأحكى الآن عما أصاب باقى أصحاب الباب الذين كان لهم حظ مشاركتهم السجن مع بهاء الله . فكثيرا ماسمعته يقول (إن جميع الذين قضوا نحبهم اثناء تلك العاصفة التى هبّت فى طهران فى ذلك اليوم التاريخى كانوا مسجونين معى فى سياه شال وزجّ الجميع فى حجرة واحدة وكانت ارجلنا مقيدة بالسلاسل ووضعت حول رقابنا اثقل الاغلال وكان الهواء الذي نستنشقه ملوّثا بابشع رائحة بينما الأرض التى جلسنا عليها مكسوّة بالاوساخ وموبوءة بالحشرات ولم يسمح لشعاع من النور أن يخترق ذلك البئر الموبوء أو بتدفئة برده القارس الثلجي وكنا مزجوجين صفين وأوجهنا متقابلة وقد علمناهم قراءة بعض آيات كانوا كل ليلة يرتلونها بحماس زائد وكان أحد الصفين يرتل (قل إن الله هو الكافى وهو الذى يكفى من كل شىء) ويجيب الصف الثانى (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وكان ترتيل هؤلاء المسجونين وارتفاع أصواتهم المفرحة تخترق الجوّ فى ساعات الفجر وعتلىء السرداب من ترديد الصوت الذى كان يخترق حوائطه فيصل الى آذان ناصر الدين شاه ولما كان قصره قريبا من محل سجننا كان دائما يصيح قائلا (ماهذه الأصوات التى أسمعها) فيجيبونه (هذه أصوات

البابيين ومناجاتهم فى سجنهم) ولم يزد الشاه على ذلك ولم يجتهد ان يمنع الحماس الذى استمر المسجونون على اظهاره رغم فظائع سجنهم .

وذات يوم وصل إلى سجننا مائدة عليها لحم مشوي وأخبرونا أن الشاه أرسلها وأمر بتفريقها بين المسجونين . وانه وفاء لنذر نذره اختار ذلك اليوم وذبح شاة . فساد على الأصحاب صمت رهيب وكانوا منتظرين ردّ الجواب منا فاخبرناهم (اننا نردّ هذه الهبة لكم لأننا نستغنى عنها) وكان هذا الجواب كافيا لاهاجة غضب الحرّاس لولا انهم كانوا مشتاقين لالتهام اللحم الذى امتنعنا عن الاقتراب منه . ورغما عن اشتداد الجوع على الأصحاب لم يقبل أحدمنهم أن يمسّه سوى ميرزا حسين متولى قمّى الذى تناول منه البعض . واختارَ هؤلاء المسجونون بكل شجاعة وثبات أن يتحملوا ما تعاهدوا عليه بدون صدور أى تذمر . وبدلا من شكواهم من معاملة ناصر الدين كانت والحمد لله ألسنتهم تلهج بالشكر الذى كانوا به يواسون اشتداد وطئة سجنهم وفى كل يوم كان يدخل السجانون وينادون أحد الأصحاب باسمه ويأمرونه بالوقوف والسير خلفهم الى مكان الأعدام . فكان صاحب ذلك الاسم يجيب ذلك النداء الخطير بكل اشتياق . واذا تخلص من قيوده يقوم ويقترب منا بكل فرح ويعانقنا وكنا نجتهد أن نسليه بتأكيد الحياة الأبدية فيما وراء العالم ونملأ قلبه فرحا وأملا ونرسله ليحوز تاج فخر الشهادة. فكان يعانق باقى المسجونين بدورهم ثم يتقدم لمواجهة الموت بلا خوف ولا وجل كما كان فى حال حياته وبعد استشهاد كل واحد من الأصحاب كان يخبرنا الجلاد باحوال وفاة مسجونه وبالفرح الذى كان يتقبل به آلامه إلى النهاية .

وفى ذات ليلة ايقظنا قبل طلوع الفجر مرزا عبد الوهاب الشيرازى الذى كان مقيدا معنا فى سلسلة واحدة وكان قد ترك كاظمين واتّبعنا إلى طهران وهناك قبض عليه وأودع السجن فسألنى إذا كنت يقظا وقصّ علينا رؤياه قال (كنت فى هذه الليلة كأنى أطير فى فضاء لانهاية لجماله وسعته . ورأيت كأنى ارتفع على أجنحة تطير بى حيث أشاء . فامتلأت روحي بسرور يخلب الألباب . وكنت أطير وسط هذا الفضاء اللامتناهى بكل سرعة وراحة لا أقدر أن أصفها) فاجبناه (ستكون فى هذا اليوم دورتك وتستشهد فى سبيل الأمر فعليك بالثبات والاستقامة للنهاية فستجد نفسك

مرتفعا فى ذلك الفضـاء اللا متناهى الذى رأيته فى رؤياك وتخترق عوالم السلطنة الابدية بنفس الراحة والسرور والسرعة وترى الأفق الابدى بنفس الفرح .

وفى صبيحة ذلك اليوم دخل السجان ونادى باسم عبـد الوهاب فقام ورمى قيوده وعانق كل واحد من الأصحاب وأخذنا فى أحضانه وضمنا بكل محبة لقلبه . وفى ذلك الوقت شعرنا انه لم يكن فى قدمه حذاء فأعطيناه حذاءنا وتكلمنا معه بكلمة التشجيع والفرح وودعناه وأرسلناه إلى مكان الاستشهاد . وجاءنا فيما بعد الجلاد وهو يمتدح بعبارة فصيحة تلك الروح التى أظهرها ذلك الشاب فـكم كان شكرنا لله على هذه الشهادة التى شهد بها الجلاد نفسه . وكانت كل هذه الآلام والانتقام القاسى الذى أوقعته الحكومة على الذين اعتدوا على حياة الشاه لم ترض والدته ولم تسكن غضبها . فـكانت تصرّ ليـل نهار فى صخبها وحقدها على إعدام بهاء الله الذى اعتبرته انه هو المؤسس الحقيقى لهـذه الجرءة . وكانت تصيح فى وجه أرباب السلطة وتقول (سلّموه إلى الجلاد فما أتمسنى قانى وأنا والدة الشاه لا أستطيع أن أعاقب ذلك المجرم العقاب الذى يستحقه على عمل فظيع مثل هذا .) وكان صياحها للانتقام مصحوبا بحنق زائد الا إنه أصيب بالفشل . ورغما عن تدابيرها السيئة حفظ بهاء الله من النصيب الذى بذلت جهدها فى التعجيل به ولـكنه تخلص أخيراً من سجنه وتمكن من تأسيس سلطته خارجا عن حدود مملكة نجلهـا على شأن لم تكن تحلم به .فـكان الدم الذى أريق أثناء تلك السنة المفعمة بالحوادث فى طهران من هؤلاء الأبطال الذين كانوا مسجونين مع بهاء الله بمثابة الفداء لخلاصه من يد عدو أراد أن يمنعه عن تنفيذ ما أراد الله قضاءه على يده فمنذ الوقت الذى اعتنق فيه أمر الباب لم تفته فرصة ولا برهة لم ينصر فيها الأمر الذى اتبعه . فعرّض نفسه لجميع المخاطر فى ابتداء أيامه وكان من بين تلاميذ الباب أول من أظهر المثل الأعلى لهم بانقطاعه وخدمته للأمر ومع ذلك فقد نجت حياته المعرّضة للاخطار والمتاعب التى كان لابد له من ملاقاتها فى مثل هذه الحركات بيد القدرة الالهية التى انتخبته لعمل مستقبل لم يحن وقت اعلانه . وكانت إحدى المخاطر التى واجهت بهاء الله فى حياته قد استوجبت ذعرا فى طهران . فـكانت الرجال والنسوة والأطفال ترتعد عند ذكرى الوحشية والقسوة التى كان العدو يعامل بها سجناءه . وكان للحاج سليمان خان خادم شاب يدعى عباس مطلع تماما على أسماء وعدد ومسـاكن أصحاب

الباب نظراً لاتساع دائرة الأحباء الذين تلقّوا الأمر عن سيّده فاستعملته الحكومة كآلة للارشاد عنهم وتنفيذ مآربها فيهم وكان هذا الشاب قد اعتنق الأمر واعتبر نفسه أحد أنصاره المتحمسين . واثناء الاضطراب قبض عليه واضطر إلى افشاء أسماء جميع الأحباء . واستمالته الحكومة بوعد المكافأة أن يكشف عن أسماء أصحاب سيّده وخوّفه أرباب السلطة وأفهموه أنه لو امتنع من ذلك فانهم يعذبونه أشد التعذيب. فتعهد لهم باجابة رغبتهم وباخبار مساعدى الحاجى علىّ خان حاجب الدولة الفراش باشى بالاسماء والمساكن فكانوا يطوفون به فى شوارع طهران ويأمرونه بالاشارة إلى كل من يعرف أنه من اتباع الباب . وبهذه الوسيلة قبضوا على اشخاص عديدين ممن لم يكن يعرفهم ولاقابلهم وسلّموهم لاتباع حاجى على خان وهؤلاء الاشخاص لم يكن لهم أى علاقة بالباب ولا بأمره وتمكن هؤلاء من استرداد حريتهم بعد دفع رشوة كبيرة للذين قبضوا عليهم . وكانت أطماع أتباع حاجب الدولة بدرجة أنهم كانوا يأمرون عباس بان يشير إلى كل شخص يظنونه قادرا على دفع مبلغ من المال بصفة فدية لاطلاق سبيله . وكانوا يجبرونه على الاشارة اليه ويهدّدونه انه فى حالة الامتناع فان حياته تكون فى خطر عظيم . وكانوا فى كثير من الاحوال يعدونه بأن يدفعوا له جزءا من المبلغ الذى يستولون عليه من غرمائهم .

وقد أخذوا عباس هذا إلى سياه شال وعرضوه على بهاء الله الذى قابله جملة مرات فى صحبة سيّده بأمل أن يرشد عنه . ووعدوه بان والدة الشاه سوف تكافئه مكافئة عظيمة على هذا العمل . فكان فى كل مرة يؤخذ لحضور بهاء الله يمكث هنيهة ينظر فى وجهه ثم يترك المكان وينكر سبق معرفته به أو رؤيته له ولما خاب مسعاهم من هذا الطريق لجأوا إلى وضع السمّ فى الطعام بأمل الحصول على رضا والدة الشاه . فكانوا يأخذون الطعام المرسل من أسرته اليه ويدسّون فيه سما لاعدامه ولم يأت هذا التدبير بالفائدة المطلوبة ولو انه أنهك جسم بهاء الله وصحته .

وأخيرا سكتوا عن اتهامه بانه هو المدبر الأول للجريمة واجتهدوا فى أن يحولوا هذه التهمة إلى (عظيم) الذى اتهموه بانه هو المدبر الحقيقى لها . وبهذه الوسيلة ارادوا أن يحصلوا على رضا والدة الشاه وهو ما كانوا يتمنونه ويطمحون لبلوغه . وكان الحاجى علىّ خان مسرورا من تأييدهم فى ذلك . وإذ لم يكن له يد فى سجن بهاء الله انتهز هذه

الفرصة التى سنحت له لاتهام عظيم ونجح فى القبض عليه بتهمة أنه الرئيس المحرض
وكان السفير الروسى يلاحظ عن كثب تطورات الحادثة بواسطة أحـــد اتباعه وخاصة فى التنقيب عن حالة بهاء الله وأرسل بواسطة ترجمانه رسالة شديدة اللهجة إلى الوزير الاكبر احتج فيها على عمله واقترح أن يذهب رسول بصحبة أحد الاتباع الموثوق بهم من الحكومة ومن حاجب الدولة إلى سياه شال وهناك يسألون رئيس العصابة المعروف أن يعلن علنا فكره فى موقف بهاء الله . وكتب (وكلما يذكره ذلك الرئيس سواء فى المدح أو القدح يجب أن يدون حالا ويكون حسبما أري أساسا يبنى عليه الحكم النهائى الذى يجب أن يصدر عليه فى مثل هذه الحالة) .

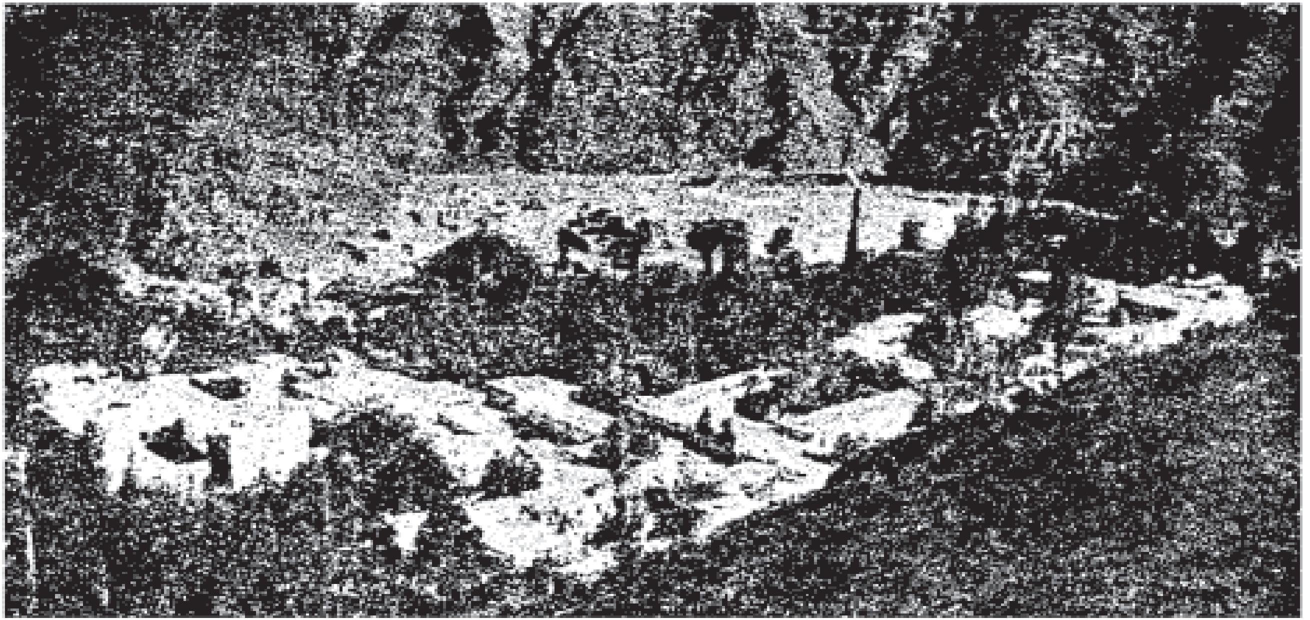
فوعد الوزير الاكبر المترجم أنه سوف يتبع نصيحة السفير وعيّن فعلا الوقت الذى يصحب فيه ذلك الرسول «مندوب الحكومة» وحاجب الدولة إلى سياه شال. ولما سئل عظيم إذا كان يظن أن بهاء الله هو الرئيس المدبر للعصابة التى اعتدت على الشاه أجاب بقوله (ان رئيس هذه الفئة لم يكن سوى السيد الباب الذى قتل فى تبريز والذى كان استشهاده قد حرّضنى على القيام لأخذ ثاره. وإنى أنا وحدى الذى فكّرت فى هذا الموضوع واجتهدت فى تنفيذه. أما الشاب الذى أوقع الشاه من الجواد فلم يكن سوى صادق التبريزى وهو عامل فى محل حلوانى فى طهران وكان فى خدمتى مدة سنتين . وكان قلبه يحترق أكثر منى فى الرغبة فى الانتقام لاستشهاد رئيسه ولكنه تسرع وخاب فى تحقيق أمنيته)

فتدونت هذه الاقرارات من كلا المترجم ومندوب الوزير الأكبر الذى أعلم الميرزا آقا خان بها . وبسبب ذلك التقرير المرفوع اليه تخلص بهاء الله من سجنه .

وسلّم عظيم ليد العلماء الذين ولو انهم كانوا راغبين فى سرعة اعدامه ولكنهم منعوا بسبب تردد مرزا أبو القاسم إمام الجمعة فى طهران . أما حاجب الدولة فبسبب قرب شهر المحرم أمر العلماء أن يجتمعوا فى الطابق العلوى من المعسكر وهناك نجح فى إحضار إمام الجمعة الذى كان لايزال متردداً فى الافتاء باعدام عظيم . وأمر باحضار المتهم إلى ذلك المكان هناك لينتظر الحكم الذى يصدر عليه . وكان يساق فى اسواق المدينة بحالة مزرية وتنهال عليه اللعنات والسخرية من الناس . وبواسطة تدبير الحيلة تمكن الأعداء من الحصول على حكم باعدامه وهجم عليه سيد بهراوة كانت فى يده وضربه على

أم رأسه . وتبعه جمهور الناس الذين رجموه بالطوب والاحجار وطعنوه بالخناجر حتى قطعوا جسمه إربا إربا . وكان الحاجى مرزا جانى ضمن الشهداء الذين استشهدوا أثناء هذه الاضطرابات التى تلت الاعتداء على حياة الشاه ولأن الوزير لم يكن راغبا فى التمثيل به أعدموه سراً .

واشتعلت نيران الهياج فى العاصمة وامتدت أيضاً إلى البلاد المجاورة وسببت الخراب



منظر عمومى لتاكور فى مازندران

والدمار للعديدين من الابرياء من بين الرعية . وعمت الفتن جميع انحاء مازندران موطن بهاء الله وتمكنوا بهذه الوسيلة من الاستيلاء على جميع ممتلكات بهاء الله وكان من جراء ذلك الاضطراب استشهاد اثنين من اتباع الباب وهما محمد تقى خان وعبد الوهاب من سكان نور

ولما رأى أعداء الأمر أن خلاص بهاء الله من السجن أصبح أمراً مؤكداً عملوا على تحريض مليكهم ان يحدث له مشكلة بقصد إعدامه وساعد على ذلك حمق المرزا يحيى الذى أراد أن يجعل لنفسه مقاما هو ومن معه من مساعديه فانساق بآمال كاذبة على تحقيق أغراضه ووجد العدوّ بذلك ذريعة أخرى لاتخاذ تدابير قاسية لتدمير كل سلطة باقية للمسجون فى مازندران. وكانت التقارير المخيفة التي تصل ليد الشاه قد حركت فى قلبه ظمأ الانتقام بينما كان على وشك الشفاء من جروحه . فطلب الوزير الاكبر وأنبه كثيراً على عدم استتباب النظام والأمن بين اهالى اقاليمه الذين تربطه واياهم رابطة

القرابة ولاستياء الوزير من توبيخ مليكه أظهر استعداده لاجراء كل مايأمره به . فأمره أن يرسل حالا إلى ذلك الاقليم بعض فرق من الجيش مزوّدين بالأوامر أن يقمعوا بيد من حديد كل من يقلق الراحة العمومية . وقد وجد الوزير الاكبر نفسه مضطراً لاجراء الأمر ولو أنه يعلم بان التقارير التي وصلته مبالغ فيها وأرسل فرقة شاه سون وبرأسها عليّ خان شاه سون إلى قرية تاكور في اقليم النور موطن بهاء الله ومحل سكنه وسلّم القيادة العليا إلى ايدي ابن عمه ميرزا أبو طالب خان نسيب ميرزا حسن الذى كان أخ غير شقيق لبهاء الله . وحذّره ميرزا أقاخان أن يستعمل كل حذق واحتراس أثناء نزوله بتلك القرية . وحرّضه قائلا (ان كل عمل خارج عن الحد يقوم به رجالك يؤثر على كرامة ميرزا حسن ويكون سبب الآلام لأختك) وأمره أن يفحص أمر هذه التقارير ويحققها وأن لا يعسكر أكثر من ثلاثة أيام فى تلك القرية

ثم طلب الوزير الاكبر حسين على خان ونصحه بان يسير تبعاً للحكمة والحيطة وقال له (ان مرزا ابو طالب صغير السن وغير متدرب وقد اخترته لقرابته مع مرزا حسن. واعتقد انه لأجل اخته يمتنع عن إجراء مالايلزم من الاضرار لسكان تاكور وبما أنك أكبر منه سناً وحنكة فعليك أن تكون نبراساً ليقتدى بك وان تعلمه بضرورة الالتفات وخدمة مصالح الحكومة والاهالى معاً . ولا تسمح له بان يتخذ أى إجراء بدون أن يتشاور معك مقدّما) واكّد لحسين عليّ خان انه أصدر التعليمات الكتابية إلى رؤساء تلك الجهات لمعاونتهما فى أداء مهمتهما كلما اقتضى الحال .

واذ امتلأ ميرزا ابو طالب خان كبرا وغروراً نسى نصائح الاعتدال التى أسداها اليه الوزير الاكبر وامتنع أن يرضخ لأوامر حسين عليّ خان المتكررة بوجوب الامتناع عن أى اصطدام غير ضرورى مع الأهالى وما كاد يصل إلى الممر الذى يفصل منطقة النور عن الأقليم المجاور الذى لم يبعد كثيراً عن تاكور الا وأمر رجاله ان يستعدوا لهجوم عام على هذه المدينة . فاسرع اليه حسين عليّ خان وهو فى حالة يأس وقنوط ورجاه ان يمتنع من مثل هذا العمل فقال له متصلفا (ان هذا من شأنى وانا رئيسك ولى أن أعمل كل تدبير اخدم به مليكى)

فحصل هجوم فجائي على السكان العزّل من السلاح من أهالى تاكور واذ دهشوا من

مفاجأتهم بمثل هذا الهجوم القاسي التجأوا إلى مرزا حسن الذى طلب مقابلة مرزا ابوطالب ولكنه لم يجب إلى طلبه . وكانت إجابة هذا الرئيس (اخبروه انى مكلف من مليكى أن





خرائب منزل بهاء الله الذى كان أصلا ملك والده فى تاكور مازندران

اذبح جميع سكان هذه القرية وأن أقبض على نسائها وأصادر أملاكها . ولكن إرضاء لخاطرك لا أمسّ أى امرأة التجأت إلى منزلك)

ولشدة دهشة مرزا حسن من هذا الرفض وبّخه على عمله بشدة ورجع إلى منزله ساخطا على عمل الشاه . وهرب سكان المدينة إلى الجبال المجاورة وتركوا مساكنهم اما نساؤهم

اللاتى تركن ونصيبهن فالتجأن إلى منزل المرزا حسن وتضرعن اليه أن يحميهن من عدوّهن.

وكان أول عمل قام به مرزا ابو طالب هدم منزل بهاءالله الذى ورثه من والده الوزير والذى كان هو المالك الوحيد له . وكان هذا المنزل مفروشا بأفخم رياش ومزينا بأوانى عديمة النظير . وأمر رجاله أن يفتحوا كل خزائنه واستولى على جميع محتوياتها وأما الاشياء التى لم يقدر على سلبها فانه أمر باتلافها فكسر البعض وأحرق البعض الآخر وحتى الغرف التى كانت مزينة بزينة أعلى من جميع قصور طهران شوّهت بطريقة لايستطاع إصلاحها وأحرقت سقفها وخربت زينتها بتاتا .

ثم تحوّل بعد ذلك إلى منازل الاهالى وهدمها وسوّى بها الأرض بعد نهبه هو ورجاله ما فيها من اشياء ثمينة ثم أشعل النار فى جميع القرية بعد نهبها وبعد أن هجرها سكانها . واذ لم يجد أمامه رجالا أقوياء أخذ يبحث عنهم فى الجبال المجاورة وكان كل من يوجد يضرب بالرصاص أو يؤخذ أسيرا ولم يتمكنوا من أسر أحد سوى البعض من رعاة الأغنام والشيوخ الذين لم يتمكنوا من الهرب من وجه العدوّ وكان رجلان راقدين على بعد على سفح الجبل بجوار غدير ماء وكان سلاحهما الذي يضيء فى اشعة الشمس قد كشفهما واذ وجدوهما نائمين أطلقوا عليهما الرصاص من الشاطيء الآخر من الغدير الذى كان يفصلهما عنهم . وعرفوهما فيما بعد بأنهما عبد الوهاب ومحمد تقى خان فقضى الأول نحبه وأما الثاني فأثخن بالجراح فحملوها أمام مرزا أبو طالب الذى عمل جهده فى تضميد جراحه وإبقائه حيا حتى يعود إلى طهران كعلامة على انتصاره لأن محمد تقى كان مشهورا بالفروسية فى جميع الجهات . ولكنه خاب أمله لأن محمد تقى خان توفى بعد يومين من جروحه . وأما الرجال القليلون الذين تمكن من أسرهم فوضعهم فى القيود والاغلال وطرحهم فى نفس السرداب الذي كان بهاء الله محبوسا فيه. وكان من بينهم الملاّ على بابا الذي هلك فى ذلك السرداب مع كثير من المسجونين معه بسبب المشاق التى تحملوها .

وفى السنة التالية أصيب الميرزا أبو طالب بالطاعون وأخذ الى شمران بحالة مزرية وبقى طريحا على فراش المرض وتجنّبه كل أقاربه ولم يعتن به أحد سوى الميرزا حسن وهو من كان قد تكبر عليه وسبقت له إهانته فعالج قروحه ورافقه أيام وحدته وذلّته. ولما حضرته

المتّسية زاره الوزير الاكبر ولم يجد بجانبه أحدا سوى ذلك الذى عامله بأقسى معاملة وفى ذلك الوقت قضى ذلك الطاغية التعيس نحبه وهو مغموم من عجزه عن بلوغه آماله التى كان يعمل لنيلها وكانت تلك الفتنة التى عمّت طهران والتى قاسى بسببها أهالى نور والبلاد المجاورة قد انتشرت وامتدت حتى وصلت إلى يزد ونيريز حيث قبض على الكثيرين من أتباع الباب واستشهدوا بطريقة وحشية وقد أحسّت جميع البلاد فى ايران بزلزلة هذه الفتنة التى جرف تيّارها القوىّ جميع القرى حتى فى الاقاليم المتباعدة وجلبت على البقيّة الباقية من الفئة المظلومة آلاما مبرحة وكان الحكّام فضلا عن سائر العامة مسوقين بالاطماع وحب الانتقام فانتهزوا الفرصة ليحصلوا على الغنى والثروة وليرضوا مليكهم فكانوا يستعملون أى واسطة مهما كانت دنيئة وغير شرعية فى سبيل الحصول على المنافع التى كانوا يطمحون فى استنزافها من جماعة الابرياء الذين كانوا يحسدونهم . فكانوا يلقون القبض على كل من يتهمونه بأنه بابى ويحبسونه ويعذبونه متناسين كل عدل وانصاف ويسرعون باخبار ناصر الدين شاه فى طهران بالنصر الذى أحرزوه على خصمهم اللدود .

أما فى نيريز فقد بلغ الهياج ضد البابيين أشدّه سواء من الحكام أم من الاهالى الآخرين . وكان يقطن فى نيريز شاب يدعى ميرزا علىّ وكانت شجاعته الاستثنائية قد أعطته لقب على سردار وبعد مرور شهرين من الاعتداء على الشاه اشتهر وامتاز بما يسديه من المواساة والاعتناء التام لأسرات البقية الباقية من حادثة نيريز التى انتهت بشهادة وحيد وأصحابه وكان كثيراً ما يخرج فى غسق الليل يخرج من منزله ويحمل ما يستطيع حمله للأرامل والأيتام الذين كانوا يقاسون الشدائد من جراء تلك المأساة وكان يوزّع عليهم الطعام والملابس بكرم زائد ويواسي آلامهم ويساعدهم فى أحزانهم .

وكان منظر الآلام التى يعانيها هؤلاء الابرياء قد حركت عواطف بعض أصحاب ميرزا علىّ وأخذوا على أنفسهم مهمة الانتقام من زين العابدين خان الذى كان لم يزل قاطنا فى نيريز والذين اعتقدوا أنه السبب فى شقائهم . ولظنهم بانه لايزال فى قلبه رغبة فى إذلالهم أكثر من ذى قبل عزموا على قطع دابره . فهجموا عليه فى الحمّام ونجحوا فى مقصدهم وتسبب عن ذلك حصول انقلاب جديد فيها أعاد ذكرى فظائع المذابح فى زنجان وحرّضت أرملة زين العابدين خان الحاكم الجديد ميرزا نعيم الذى استلم زمام السلطة وكان قاطنا فى شيراز على أن ينتقم لدم زوجها ووعدته بأنها فى مقابل ذلك تعطيه كل جواهرها

وأن تهبه ماشاء من أملاكها . وبطريق الخيانة أمكن القبض على جمّ غفير من أتباع الباب وضرب الكثيرون منهم بطريقة وحشية وزجّ الجميع فى السجون لحين وصول تعليمات من طهران . وكان الوزير الاكبر قد عرض قائمة الأسماء التى وردت له مع التقرير المرفق بها للشاه الذى أظهر رضاءه التام من النجاح الذي لقيه نائبه فى شيراز ومن الخدمة الجليلة التى كافأه عليها للغاية . وأمر بارسال جميع المقبوض عليهم الى العاصمة



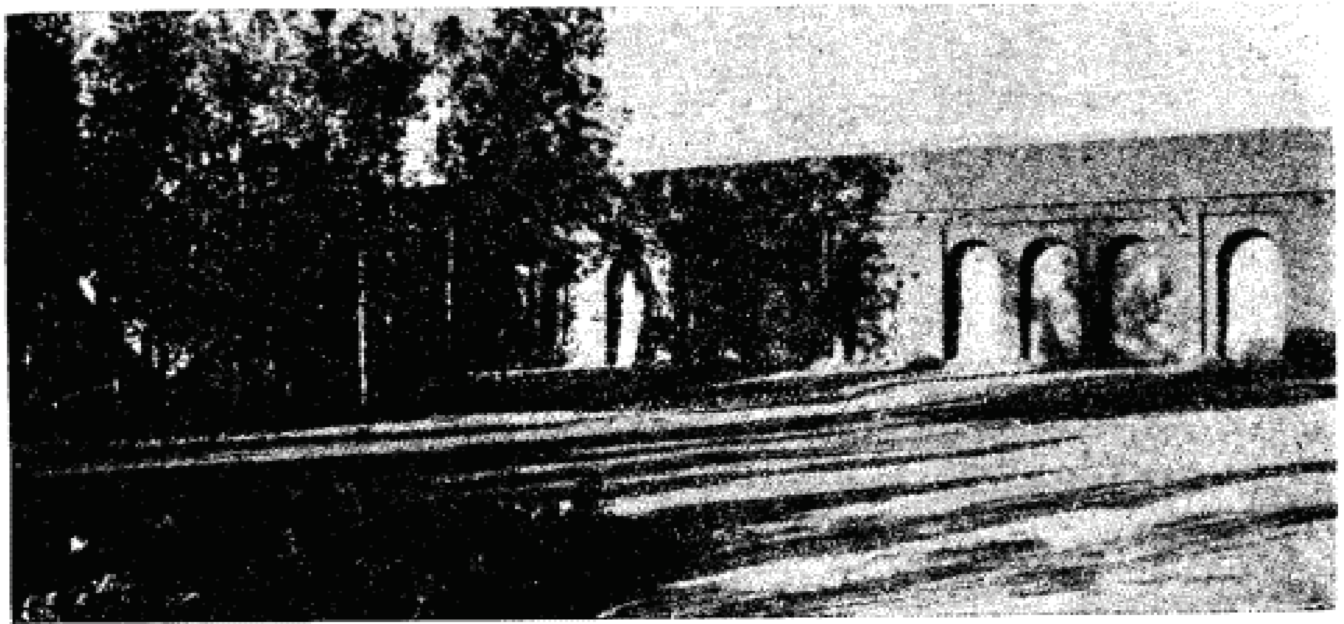
منظر آبادة

ولن أحاول أن أدون التفاصيل المتعدّدة التى أدّت إلى المذبحة التى تمت بها هذه المأساة بل أحيل القارىء الى الرسالة المفصّلة التى نمّقها يراع ميرزا شافع النيريزى التى يشير فيها بالتفصيل والدّقة والقوّة الى كل دقائق هذه الحادثة المؤثرة . ويكفى أن نقول أن الذين استشهدوا فيها لا يقلّون عن ماية وثمانية من أشجع تلاميذ الباب ومثلهم من الجرحى ولم يصل منهم الى العاصمة حياً سوى ثمانية وعشرين نفر وهم الذين أمكنهم أن يتحملوا مشاق السفر ومن بين هؤلاء الثمانية والعشرين أخذ خمسة عشر توآ الى مكان الاعدام بمجرد وصولهم . وطرح الباقون فى السجن ومكثوا فيه مدة سنتين يعانون من الآلام أشقها ومن العذاب أقساه ورغما عن الافراج عنهم أخيرا قضى أغلبهم نحبه أثناء الرجوع الى مواطنهم نظرا لانتهاك قواهم من آلام السجن الطويل والأسر القاسى .

وذبح الكثيرون من أقرانهم فى شيراز بأمر طهماسب ميرزا ووضعت رؤوس مايتين من هؤلاء على الأسنه وحملها الأعداء على هيئة موكب الانتصار إلى قرية آباده فى فارس

وكانوا يرومون حملها إلى طهران ولكن أحد رسل الملك أمرهم بترك هذا الأمر ومن ثم عزموا على دفن الرؤوس فى تلك القرية .

اما النسوة اللائى بلغ عددهن ستماية فافرج عن نصفهن فى نيريز وأخذ النصف الأخر على ظهور الخيول كل أثنتين على جواد بغير سرج إلى شيراز وبعد أن أوسعوهن أشد أنواع العذاب تركوهن وشأنهن وهلك أغلبهن فى الطريق إلى تلك المدينة وغيرهن أسلمن الروح



حديقة الرحمن التى دفنت فيها رؤوس شهداء نيريز

من اشتداد العذاب الذى كن يتحملنه قبل الأفراج عنهن وإن القلم ليجمد ويضج ذعرا فى محاولة وصف ما أصاب هؤلاء الأبطال وتلك النسوة فى سبيل تمسكهن بالأيمان وإن تلك الوحشية الفاجرة التى اقترنت بالمظالم التى ارتكبت فيهن وصلت إلى أحط درجات الخسة والسفالة (١) فى الأدوار الختامية لتلك المأساة المأسوف عليها وما سبق لى

(١) ومن العجب أنهم كانوا يحترمون النسوة اللائى جمعوهن وساروا بهن الى جبل بيابان وكان من ضمن الاسرى اثنان من العجائز ولاقدرة لهما على القتال. وأحدهما ملا محمد موسى السكوا ومشهدى باقر الصباغ وقتلوهما والذى قتل مشهدى باقر هو علي بيك كابطان العسكر النيريزية. فقطع رأسه وأعطاها إلى طفل ثم أخذ بنت أخيه ووضع على رأسها نقابا أسود وأركبها جواداً إلي أن حضر تجاه ميرزا نعيم . وكان هذا على جبل بيابان جالساً فى حديقة على حجر . ولما وصل اليه على بيك رمى رأس باقر عليه ثم طرح عليه الطفلة صائحا (قد عملنا كل ما أردتم حتى لم يبق بابى) . وملىء فم الاخوند ملا عبد الحسين بالتراب بناء على أمر ميرزا نعيم وأطلق أحد الغلمان طلقة نارية على رأسه ولكنه لم يقتله وكان هناك نحو من ٦٠٣ امرأة مقبوض عليهن وساروا بهن مع باقى المسجونين لغاية الطاحون المسمي بالتخت القريبة من نيريز . ويحكى محدثنا الرواية الآتية للدلالة على شدة بطش المتصرين

أن وصفته من فظائع حصارزنجان والأهانات التى حلّت بالحجة وأصحابه يتضاءل أمام القسوة التى ارتكبت بها الفظائع فما بعد أثناء السنوات القليلة التالية فى نيريز وشيراز

قال . كنت حديث السن وكنت أتبع والدتى وكان لى أخ أصغر منى . وكان شخص يدعى أسد الله قد أخذ أخى وحمله على كتفيه وكان على رأس الطفل قلنسوة مزركشة . فرأى القلنسوة أحد الخيالة الذين صاحبونا فاقترب من الطفل واقتلعها منه بشدة وتوحش حتى أنه أخذ الطفل معه ممتقا من شعوره ودحرج الطفل بعيدا نحواً من عشرة أمتار فرأته أمه المسكينة وقد غشى عليه .

ولا أطنب في الحديث على الفاجع التى تلت انتصارهم . بل يكفى أن تعلم أن المرزا نعيم امتطى جواده وأمامه وخلفه رجال حاملين المزاريق ومعلق عليها رؤوس الشهداء . وكانوا يضربون الاسرى بالكرابيج أو بالسيف وكانوا يزجون بالنساء فى الخنادق المملوءة بالماء . وأمضين الليلة فى خان شيرازى وفى الصباح أخرجت النسوة وهن عرايا ويستهزء بهن الناس ويضربوهن بالارجل والاحجار والعصى ويبصقون عليهن ولما تعبوا من هذه السخرية وضعوهن فى مدرسة فى تلك الجهة. ومكثن فيها عشرين يوما يعانين الاهانه والسب وكان البابيون موضوعين كل أربعة وعشرين تحت حراسة ١٠٠ عسكري لقيادتهم إلى شيراز كل عشرة من جماعة الباب معاً . وتوفى السيد مير محمد عبد من شدة البرد فى خان جرد وتوفى غيره بعد ذلك بقليل . وكانوا يقطعون رؤوسهم على الفور. وأخيراً دخلوا شيراز من باب سعدى وساروا بهم فى طول المدينة ثم وضعوهم مكبلين بالاغلال فى السجن أما النسوة فبعد حبس ٢٠ يوما فى المدرسة التى حبسوا فيها قسموهن قسمين وأفرجوا عن فريق منهن وأما الاخريات فأخذوهن إلى شيراز مع باقي الاسرى الذين قبضوا عليهم فى تلك الاثناء وإذ وصلوا إلى شيراز انقسم الركب إلى قسمين . الأول النسوة اللائي أدخلن فى خان الشاه مير على حمزة والرجال الذين انضموا إلى إخوانهم فى الدين فى سجنهم .
وكان اليوم التالى يوم عيد عام. وكان الحاكم ومعه جميع أعيان مدينة شيراز وعظماؤها قد أحضر الأسري أمامه وكان عنده شخص نيريزى اسمه جلال وكان نعيم يسميه بلبل وهو مكلف أن يتعرف علي البابيين . وأول بابى ظهر أمامهم كان اسمه الملا عبد الحسين فأمروه بلعن الباب فامتنع وإذا برأسه تدور على الارض . ثم جاء الحاجى ابن أصغر وعلى جرم سيرى وحسين بن هادى خيرى وصادق بن صالح ومحمد بن محسن وجميعهم قتلوا واطلق سراح النسوة وأعيد بقية الرجال للسجن . ولما طلب الشاه الاسري أرسل له ٧٣ نفرا منهم إلى طهران . وتوفي منهم اثنان وعشرون ومن بينهم الملا عبد الحسين توفى فى سايدان وعلى بن كربلائى زمان فى آباده وأكبر بن كربلائى محمد من قناره وحسن بن عبد الوهاب والملا علي اكبر من اصفهان وكربلائى باقر بن محمد زمان وحسن وأخوه ذو الفقار وكربلائى نقى وابنه علي وولى خان وملا كريم واكبر رئيس وغلام على ابن مير محمد ونقى ومحمد على بن محمد وقضوا نحبهم أثناء الطريق ووصل الباقون إلى طهران وفى نفس اليوم الذى وصلوا فيه قتلوا منهم خمسة عشر ومنهم آقا سيدعلى وكربلائى رجب الحلاق وهو الذى تركوه ظناً منهم أنه توفى وصنى الدين وسليمان ابن لك سلمان وجعفر ومراد خيرى وحسين وابن لك باقر ومرزا أبو الحسن وابن مرزا تقى وملا محمد على ابن آقا مهدى وتوفى ثلاث وعشرون شخصاً فى السجن وأفرج عن ثلاثة عشر بعد سجن ثلاث سنوات ولم يبق فى طهران سوى كربلائى زين العابدين وهذا توفى بعد قليل من الزمن (من كتاب السيد على محمد الباب لنقولاس صحيفة ٤٢١ ــ ٤٣٤)

وربما يوجد قلم أقوى وأقدر من قلمي يمكنه وصف الوحشيات التي لا يمكن أن يعبّر عنها بالعبارة ويتمكن من وصف تفاصيلها المحزنة المبكيه وتدوين تلك الروايه التي رغما

وكان مضطهدوهم بعد أن قبضوا على الرجال وقتلوهم قتلوا أيضا أربعين سيدة ومعهن أطفالهن بالطريقة الآتية : وضعوهن فى مغارة وجمعوا أخشابا وأحطابا فى وسط المغارة وصبوا عليها النفط ثم أشعلوا فيها النيران . وأحد الذين نفذوا هذه الطريقة قال ذهبت بعد يومين أو ثلاث وصعدت الجبل وحلت باب المغارة ورأيت أن النيران بعد أن خمدت صارت كومة من الرماد ورأيت النسوة جميعهن جالسات كل منهن فى ركن ويحملن أطفالهن فى حجورهن وقد قعدن حول دائرة بنفس الكيفية التي تركناهن عليها وبعضهن قد سقطت رؤوسهن على ركبهن من الأسى والحزن واليأس وكلهن حافظات لشكلهن الاول . فلما دخلت ورأيتهن على هذه الكيفية امتلأت منهن رعبا فرأيتهن قد احترقن جميعا وأصبحن رماداً ولكنهن لم يتحركن من أماكنهن حتى يسقطن رماداً وبمجرد أن لمست أجسادهن سقطت رمادا ولما رأينا هذا المنظر تأسفنا جميعا على ما فعلنا . ولكن ماذا ينفع الندم (التاريخ الجديد صحيفة ١٢٨ ــ ١٣١) ومؤلف التاريخ الجديد فى سرده لهذه الرواية اشار إلى كيفية انطباق البشارات على هذه الحوادث حرفيا ومنها النبوة المذكورة فى الحديث الدال على علامات ظهور المهدي وهو (عليه كمال موسى وعيسى وصبر أيوب فتذل أولياؤه فى زمانه وتتهادى رؤسهم كما تتهادى رؤس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وتصبغ الارض بدمائهم ويفشو الويل والرنة فى نسائهم أولئك أوليائي حقا .) وهذا الحديث المسمى بحديث جابر منقول من كتاب الكافى أحد مجاميع الحديث المعتبرة عند الشيعة وقد ذكر هذا الحديث فى الايقان

وعندما كنت فى يزد فى صيف سنة ١٨٨٨ تعرفت ببابي له مركز مهم نوعا فى الحكومة وكان من آبائه أثنان ممن لعبوا دوراً مهما فى إخماد ثورة نيريز . ومما أخبرني به وكتبته فى مذكراتي فى يوم ١٨ مايو سنة ١٨٨٨ قال : إن جدى لأمى مهر على خان شجاع الملك وعمي الكبير ميرزا نعيم كانا ممن اشتركوا فعلا فى حرب نيريز . ولما جاءت الأوامر لشيراز لقمع الثورة صدر الأمر إلى جدى بأن يقود الفرقة التى أرسلت لهذا الغرض . وما كان راغبا فى المأموريه التى عهد اليه بها واتصل بأثنين من العلماء اللذين أكدا له أن الحرب التى سيقوم بها هي عمل مقدس توافق عليه الشريعة وأنه سوف يجازى عليه فى الجنة فذهب بناء على ذلك وحصل ما حصل . وبعد أن قتلوا سبعمائة وخمسين شخصا وأسروا النساء والاطفال خلعوا عنهم ملابسهم وعروهم وأركبوهم على الحمير والبغال والجمال وساروا بهم وسط صفوف من رؤوس آبائهم وأخوتهم وأبنائهم وأزواجهم التى قطعت من الجثث فى طريقهم إلى شيراز . ولما وصلوا وضعوهم فى خان خارج باب أصفهان وفى مقابل مقام الامام زاده . وكان القابضون عليهم قد عسكروا تحت بعض الاشجار قريبا منهم . فمكثوا هناك مدة من الزمن مستطيلة وكانوا فيها موضع الاهانة والشتم والمتاعب وتوفى كثير منهم . والآن انظر قصاص الله الذي وقع على الظالمين . فأن كل واحد من الذين كانوا مسئولين عن هذا التعذيب كانت له آخرة سيئة جداً ومات فى كرب شديد ومصائب جمة ووقع جدى مهر على خان مريضاً وصار أصم لا يسمع شيئا حتى توفى . وفى الوقت الذى كان يفارق فيه الحياة لاحظ الذين حوله أنه يحرك شفتيه كمن يقول شيئا فأصغوا له وأمالوا آذانهم فسمعوه يقول بصوت خافت بابى بابى بابى ثلاث مرات ثم سكت . أما عمى الكبير ميرزا نعيم فقد غضبت عليه الحكومة وتغرم مرتين وكانت الغرامة عشرة آلاف تومان فى المرة الأولى وخمسة عشر ألف تومان فى المرة الثانية

عن روعة فصولها ستبقى الى الابد أعظم البراهين على صحة أمر الباب والأيمان الذى تمكن من غرسه فى قلوب اصحابه

وكان لاعتراف عظيم أثره فى خلاص بهاء الله من الخطر الذى كان معرضا له. وكان لوفاة ذلك الرئيس الذى اعترف بأنه المحرض الحقيق على هـــذا الاجرام ماهبّط غضب العامة الهائج وطلبهم معاقبة هذا المحرض الجرىء .

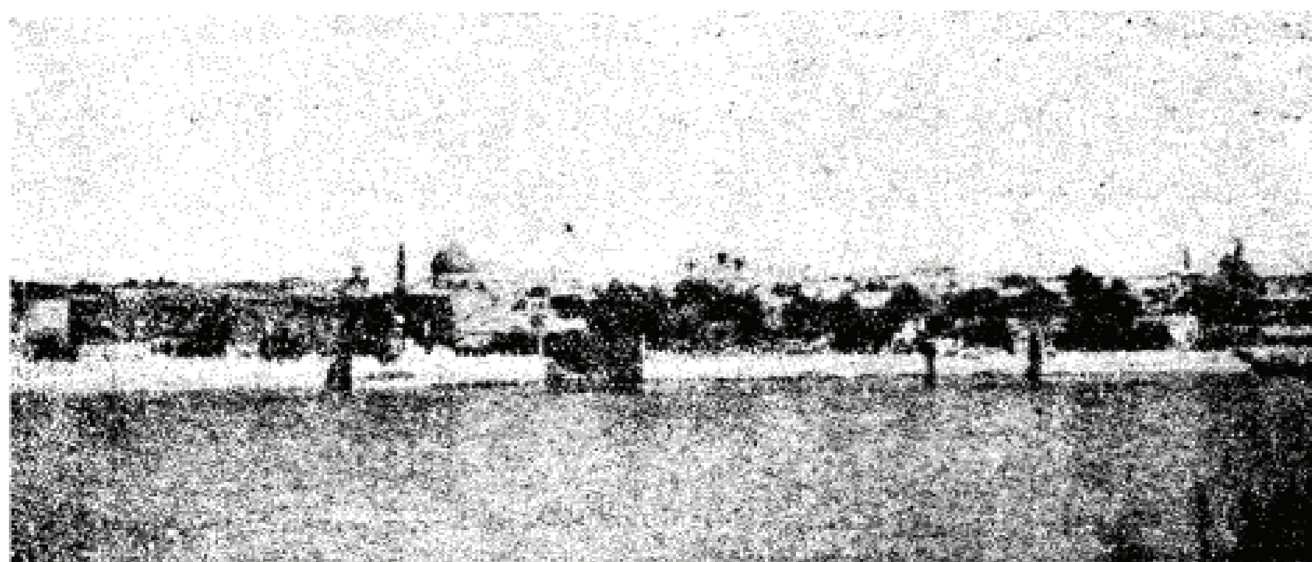
وأبتعدت وتحولت عن بهاء الله صيحات الغضب وطلب الانتقام التى كانت مصوّبة نحوه. وابتدأت حدّة هذه الاتّهامات الادّعائية تهبـط بالتدريج وازداد يقين أرباب السلطة فى طهران بأن بهاء الله الذى كان معدوداً بأنه العدوّ اللدود لناصر الدين شاه لم يكن له أى يد فى المؤامرة على حياته وبهذه الوسيلة تشجع مرزا آقا خان أن يرسل مندوبه واسمه حاجى على الى سياه شال وأن يسلم أمر الافراج عنه الى السجّان .

وبمجرد وصول الرسول ورؤيته المنظر الذى أمامه من هيئة بهاء الله امتلأ حزنا وأسى. فلم يكن يصدق ماتشاهده عيناه وبكى إذ شاهد بهاء الله مصفداً فى الاغلال المثبتة فى الأرض والموبوءة بأنواع الحشرات . بينما عنقه يرزح تحت أثقال السلاسل ووجهه ممتلىء بالحزن وشعره أشعث غير ممشط وهو يتنفس الهواء الموبوء المكتوم فى أفظع أنواع السراديب فعند ماشاهدت عيناه بهاء الله فى الظلمة التى حوله انبعث قائلا . (لعن الله المرزا آقا خان فالله يعلم انى ما كنت أظن انك تقاسى مثل هذا الأسر المهين وما كان يخطر لى على بال ان الوزير الاكبر يتجاسر على إتيان مثل هذا العمل المنكر)

وخلع رداءه عن كتفيه وقدمه لبهاء الله متوسلا اليه أن يلبسه عند مقابلته للوزير ومشيريه. ولكن بهاء الله رفض قبول ذلك وذهب بلباس المسجونين توّاً الى مقر الحكومة الشاهانية

ولم يقف العقاب عند ذلك بل حكم عليه بأن يقاسى تعذيبا كبيرا فوضعت أولا أيديه فى (الأشكيك) وهى آلة تعذيب يوضع فيها الأصابع بين قطع خشبية ويضغط عليها بالحبال . ثم يصب على الحبال ماء بارد ليحصل لها انكماش ويزاد الضغط على الأصابع ثم وضعت رجلاه فى تنك قاجار وهو آلة تعذيب تسمى (ضغط القاجار) تشبه الحذاء الذى كان يستعمل فى انجلترا يوما ما وسمى بأسم الدولة التى أحدثته فى إيران وهى الدولة الحالية . ثم أوقف فى الشمس عاري الرأس وصب على رأسه العسل لجلب الذباب عليه وبعد تعذيبه بهذه الانواع وغيرها مما هو أقسى وأذل طرد من الخدمة ذليلا مسكينا وأصبح رجلا منبوذا لا يملك شروى نقير (من كتاب مقالة سائح حاشية هـ صحيفة ١٩١ — ١٩٣)

وأول كلمة قالها الوزير الاكبر لمسجونه (لو كنت اتبعت نصحى وانفصلت من أمر السيد الباب لما كنت تتحمل كل هذه الآلام والاهانات التى انهالت عليك) فأجابه بهاء الله (وإذا كنت أنت ايضا اتبعت نصحي ما كانت تصل أحوال الحكومة الى هذه الدرجة من التحرج والفوضى)





مناظر بغداد

دفى الحال تذكر الحديث الذى دار بينه وبين بهاء الله فى حادثة استشهاد الباب وأبرقت فى ذاكرة الميرزا أقاخان كلماته وماسبق إن سمعه منه بقوله (إن الشعلة التى أوقدت سوف تلتهب مرة أخرى بقوة أشدّ مما سبق) فقال له (ان التحذير الذى سبق لك أن

أخبرتني به قد تم وياللأسف فما هو الذى تنصحنى الآن أن اعمله) فكان جواب بهاء الله للحال له (أصدر الأوامر الى حكام المملكة ان يمتنعوا عن سفك دماء الأبرياء ونهب أموالهم أو إفضاح نساءهم أو أطفالهم. وان يكفوا عن اضطهاد أمر الباب وليتركوا أملهم الكاذب فى استئصال شأفة أتباعه).

وفى نفس اليوم أعطيت الأوامر بمنشور الى جميع حكّام المملكة يأمرهم فيه أن يمتنعوا عن اعمال القسوة والاضطهاد. وكتب لهم المرزا أقا خان (يكفى ما عملتم فامتنعوا عن القبض على الناس ومعاقبتهم ولا تكدروا فيما بعد صفو الراحة والاطمئنان بين اهل المملكة) وكانت حكومة الشاه تفكر فى اتخاذ التدابير الحاسمة لتطهير المملكة دفعة واحدة من اللعنة التى أصابتها. وما كاد بهاء الله يحصل على حريته حتى تسلم أمر الحكومة أنه فى ظرف شهر من ذلك التاريخ عليه ان يغادر طهران هو وأسرته خارج حدود إيران

وكان السفير الروسى بمجرد علمه بعمل الحكومة عرض على بهاء الله أن يأخذه تحت حمايته وطلب منه الذهاب الى روسيا فرفض هذا العرض واختار بدلا عن ذلك أن يسافر الى العراق فكان خروج بهاء الله من طهران هو وأفراد اسرته وبينهم الغصن الأعظم (١) والآقا كليم والورقة العليا (٢) محروسين بعدد من الحرس الملكى وموظف من سفارة روسيا وسافروا الى بغداد فى اليوم الأول من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٦٩ هجرية (٣) بعد تسعة أشهر من رجوعه من كربلاء.

(١) عبد البهاء

(٢) بهية خانم الورقة العليا أخت عبد البهاء كانت طفلة عمرها ٧ سنوات عندما رافقت المنفيين

(٣) ١٢ يناير سنة ١٨٥٣ ميلادية

الخاتمة

ولم يكن فى وقت من الأوقات قد هبطت حالة الامر الجديد بمثل ما انحطت عندمانفى بهاء الله من موطنه الى العراق وكان الأمر الذى فداه الباب بحياته والذى تألم وتحمل المشاق من أجله بهاء الله على شفا الانهيار . وظهر أن قوته تلاشت وأن شوكته اقتلعت وتتابعت المصائب وتوالت المحن والرزايا بشدة تفوق ماسبق وكانت كل واحدة تتلو الأخرى بسرعة مروّعة حتى اجتاحت بما لم يخطر على بال أقوى الانصار وخيبت فيهم الرجاء وأضاعت منهم الأمل . والذى يقرأ صفحات تاريخ نبيل قراءة سطحية يرى ان الرواية من أولها عبارة عن ذكريات لجائع ومذابح ونكبات وبوائق كل منها أشد وأنكى من سابقتها وانتهت جميعها بنفى بهاء الله من موطنه .

أما القارىء الغير المتدين الذى لايريد الاعتراف بالقوة السماوية التى تجلت فى هذا الأمر فانه يرى ان المحور الذى تدور عليه فكرته الأساسية فى نظر المؤلف قد تلاشى لأن عمل الباب الذى كان جليلا فى الانظار والذى تعاون عليه الابطال قد تضعضعت قواته وانحلت عراه وانتابته الفجائع . ولمثل هذا القارىء تكون حياة هذا الشاب الشيرازى قد انتهت بصفقة المغبون وأن النكبات التى أصابت أمره والنوائب التى قوّضت أركانه جعلته فى النهاية عديم الجدوى فاقد الثمرة بحيث كان نصيبه أسوأ حظ كتب لانسان فى العالم وكانت تلك الحياة القصيرة المدى المفعمة بحوادث البطولة قد لمعت كالبرق الخاطف فوق سماء ايران ثم نزل ذلك النور الذى كان الناس ينتظرونه بشوق للخلاص الأبدى فى غياهب الظلمات التى احاطت تلك المملكة وانغمس فى هاوية داجية من اليأس

وكانت كل حركة يقوم بها ذلك الشاب وكل جهد ينهض به لايزيد إلا فى الاحزان والبوائق التى أنّت روحه تحت اثقالها . وكان التدبير الذى عمله فى مطلع حياته بتجسيم دعوته واعلانها امام الجميع فى مدن مكة والمدينة المقدسة لم يثمر بما كان يؤمله . وكان شريف مكة الذى أمر الباب ان يبلغه القدّوس الرسالة قد قابله ببرود تام وعدم اكتراث مما ظهر منه عدم مبالاة حاكم الحجاز وحارس الكعبة بذلك الشاب الشيرازى واحتقاره لأمره . كذلك

ضاع أمله فيما تصوره من رجوعه منصوراً من زيارة مدائن كربلاء والنجف وتأسيس أمره فى تلك البلاد المقدسة التى هى معقل الشيعة وكذلك لم يتهيأ له إكمال تنفيذ الخطة التى رسمها فى تعيين التسعة عشر تلميذا والحكمة التى أمرهم بها فى التبليغ تناساها المبلغون الأولون بسبب حميتهم وشدة حماسهم فساعد ذلك لدرجة كبيرة فى هبوط الآمال التى صرف لتحقيقها عنايته ومحبته .

وكان المعتمد ذلك الحاكم العاقل الحكيم الذى درأ عنه الخطر الذى هدّد حياته والذى أظهر من الكفاءة والاستعداد لتقديم الخدمات الجليلة ماينذر وقوعه من أمثاله المعتدلين قد عاجلته المنيّة واختطفته من أمام وجهه وتركته لرحمة ذلك القاسى العاتى جورجين خان أبغض وأفظع كل أعدائه . والفرصة الوحيدة التى كانت مهيأة للباب لمقابلة محمد شاه تلك المقابلة التى طلبها بنفسه والتى علّق عليها أكبر الآمال قد ضاعت وتصرمت من تداخل الفاسق الجبان حاجي مرزا أقاسى الذى كانت فرائصه ترتعد خوفا من أن تلك المقابلة مع الشاه الذى ظهرت منه بوادر الميل للأمر تضرّ بمصالحه أو تقضي عليها . أما الجهود التى بذلها اثنان من تلاميذه وهما الملا على البسطامى والشيخ سعيد الهندى لنشر الامر الأول فى بلاد الترك والثانى فى الهند كما أوصاهما بذلك الباب فلم تأت بنتيجة وانتهت بالفشل التام . وقد انهدمت آمال الأول فى ابتداء الحال باستشهاده بكل قسوة وكانت نتيجة الآخر ضئيله حيث لم يقبل الأمر بسببه سوى سيد كانت آخر خدماته مالاقاه من الصدمات فى لارستان بعمل الشقى الخائن ألدريم ميرزا وكان سجن الباب الذى حكم به عليه وقضى معظم سني رسالته فيه وعزلته فى جبال وحصون آذربايجان وفصله من جميع أتباعه الذين قاسوا الشدائد من العدوّ المفترس وفوق ذاك مأساة استشهاده المفجعة القاسية المهينة كل ذلك على مايظهر قد ازل مثل هذا الأمر المتشامخ الخطير من أول نشأته الى أدنى درجات الذلة وكانت وفاته التى اختتمت بها مهمته فى الحياة التى مرّت بسرعة البرق واحيطت بالعواصف قد أظهرت الأمر بمظهر اليأس والقنوط .

وبقدر الويلات التى أصابته فان الفاجعة التى تحملها لم تكن الا كقطرة من بحر بالنسبة للرزايا التى انهمرت على أصحابه المخلصين . وكان كأس الحزن الذى لمسه بشفته قد ارتشفه الى آخر قطرة منه كل الذين عاشوا بعده وكانت فاجعة الشيخ طبرسى التى أفقدته أقوى انصاره وهما القدّوس والملاّ حسين والتى أودت بحياة مالا يقل عن ثلثمائة

وثلاثةعشر رجل من كماة أصحابه شبيهة بالضربة القاضية والجـائحة التى نزلت به والتى أحاطت البقية الباقية من أيامه السريعة الانحدار فى غشاوة من الظلام .

أما ملحمة نيريز ومافيها من الفجائع والنكبات وما آلت اليه من فقد وحيد الذى هو أعظم الرجال علما وقوة واقتدارا واثقف أصحاب الباب فكانت ضربة أخرى قاضية على معالم الأمر ومن بقى من الاتباع حاملا للوائه فى يده وأما حصار زنجان الذى لحق كارثة نيريز وما كان فيها من المذابح والمجازر التى تبقى للأبد ملتصقة بأسم ذلك الاقليم فقدأودت بحياة من بقى من صفوف المؤمنين وحرمتهم من القوةالمحيية التي كان ينفثها فيهم الحجة . وبوفاته ذهبت آخر شخصية بارزة من بين قوّاد الأمر الذين ارتفعوا عن باقى المؤمنين بسلطتهم الدينية وعلمهم وبسالتهم وقوة أخلاقهم . وحصدت زهرة اتباع الباب فى مذبحة قاسية تاركة خلفها جماعة كبيرة من النسوة الأسارى والأطفال الذين كانوا يئنون ويرزحون تحت قسوة عدوّ جامح . وكان رؤساؤهم الذين يغذّون ويوقدون تلك الشعلة فى قلوب الأتباع الأبطال بعلمهم قد قضوا نحبهم وتركت أعمالهم وسط الاضطراب الذى عم هذه الفئة المنكوبة

ولم يبق من بين الذين كانوا قادرين على اجراء العمل الذى تركه الباب لاتباعه سوى بهاء الله (١) . وأما الباقون فقد سقطوا بحد سيف الأعداء . أما ميرزا يحي الرئيس الأسمي الذي عاش بعد الباب ففرّ إلى رؤوس جبال مازندران مخزيا هاربا من المهالك التي اقترنت بالانقلاب السائد فى العاصمة وهجر أصحابه ولبس لباس الدراويش وأمسك بيده الكشكول (٢) وفرّ من موارد المهالك إلى غابات جيلان . وأما السيد حسين كاتب وحي الباب ومرزا أحمد مساعده اللذين كانا متفقهين فى تعاليم الأمر ومضامين كتاب البيان الموحى به وكانا بسبب صحبتهما مع مولاهما واطلاعهما على آحكام دينه فى مركز يسمح لهما أن يدعما التأسيسات الامرية وينيرا أفهام الأتباع فقد حبسا فى سياه شال

(١) وقد أورد ميرزا أبو الفضائل فى كتاب الفرائد (صحيفة ٥٠ ـ ٥١) الحديث الآتى المعترف به كحديث صحيح والذىأورده السيد عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه المسمى اليواقيت والجواهر قال (وجميعهم أى وزراء المهدى يقتلون ماعداواحد منهم ينزل بمرج عكا فى المأدبة الالهية)وقد أورد الشيخ ابن العربى الحديث باكمله فى كتاب الفتوحات المكية .

(٢) الكشكول هو إناء على شكل جوزة الهند ومعلق بسلسلتين من الاربع جوانب لتكون حاملا له ويستعملها الدراويش للاستجداء (من مقالة سائح صحيفة ٥١ ـ حاشية ٣)

فى طهران وقيدا بالاغلال وانفصلاعن جسم الاحباء الذين كانوا يرغبون فى الاسترشاد منهما ومساعدتهما ومعاونتهما وأخيراً لقيا حتفهما باستشهاد قاس . وفضلا عن أن خال الباب الذى كان يكفله منذ طفوليته بعناية أبوية قل أن يظهر مثلها فى الآباء والذى أسدى له المعاونة والمناصرة فى الأيام الأولى اثناء تألمه فى شيراز والذى كان قادرا على شد أزر الأمر لو كان قد سمح له بالبقاء بضعة سنوات كد فى سجنه وترك منسيا لا أمل له فى استمرار العمل الذى كان محبوبا اليه من كل قلبه . أما الطاهرة تلك المثال المشتعل للامر التى كان يظهر عليها القدرة لاستمالة جميع نسوة ايران لأمر محبوبها بسبب ايمانها الجرىء وحماسها المتوهج وعلمها الواسع وشجاعتها التى لاتقهر وخلقها المتين فانها ويا للاسف وقعت فريسة لغضب عدوّ مفترس فى الساعة التى كان قد آن فيها أوان انتصارها وكان عملها الذى أوقف قبل أوان اتمامه قد ظهر بأنه انمحقت آثاره كلية فى أعين الذين أنزلوها فى البئر التى أعدت لدفنها . أما باقى حروف الحى فقد هلكوا بحد السيف أو كبّلوا بالحديد فى السجون أو بقوا فى أقصى ركن من أركان المملكة عائشين بحياة غامضة . كذلك لاقت معظم كتابات الباب الوفيرة العدد نصيبا لايقل فى الامتهان من نصيب الأصحاب ومحي الكثير من كتاباته الجليلة بالكلية وكذلك أحرق البعض وصار طعمة للنيران والبعض حرفه الأعداء والكثير أخذه العدوّ والباقى منها كان عبارة عن بعض مخطوطات غير مرتبة ولا منقطة ومخفية ومبعثرة تحت أيدى البقية الباقية التى نجت من الأصحاب .

وكان أمر السيد الباب الذى ضحى كل شيء فى سبيله قد وصل إلى أدنى درجات أفوله وهبوطه والتهمت النيران التى اشتعلت حوله جميع الأسس التى كان يتوقف عليها وجوده وكأن اجنحة الموت كانت ترفرف عليه مهددة باقتلاع أرومته واستئصال شأفته وفى وسط الغياهب التى كانت تلتف حوله وتحيط به بسرعة أضاء هيكل بهاء الله وحده كمنقذ قدير للأمر الذى كان على شفا الأدبار السريع وكانت علائم القوة والشجاعة وحصافة الرأى والحكمة التى بدت منه مرات متوالية منذ قام لمعاونة امر الباب قد أظهرته بمظهر القادر على إعادة سطوة الأمر الذى كان فى حاله الاحتضار لو أنه أتيحت له الأقامة وضمنت له الحياة فى إيران ولكن شيء من هذا لم يكن لأن الكارثة التى لم يكن لها مثيل فى جميع تاريخ هذا الأمر قد جلبت اضطهاد أقسى من كل ما سبق حصوله وجرّت فى ذيلها شخص

بهاء الله نفسه. فتحطمت وسط الاضطرابات الناشئة تلك الآمال الضعيفة التى كان بقية الأحباء يتعلقون بها لأن بهاء الله الذى كان مطمح آمالهم وثقتهم الوحيد قد سطت عليه تلك العاصفة واجتاحته بشدّتها حتى أصبح من المحال عليه الخلاص من بأسها. فبعد أن جرّد من جميع أملاكه فى نور وطهران اتهم بأنه هو المحرك الأول للتعدى الفظيع على حياة مليكه وزجّ فى سرداب مظلم موبوء متروكا من الأقارب ومحتقراً من أصحابه الأولين والمعجبين به وأخيراً نفى مأيوسا مع أعضاء أسرته خارج حدود موطنه فانقرضت بذلك جميع الآمال التى تجمعت حوله من أنه سيكون المعيد لذلك الدين المنكوب.

ولا عجب اذا كان ناصرالدين شاه الذى كانت تقع هذه النوائب أمام عينيه وبنفوذه فخوراً بأنه بدّد هذا الأمر الذى كان يحاربه على الدوام والذى تمكن أخيراً من محوه بحسب الظاهر. ولا غرابة اذا ظن وهو جالس يفكر فى الأدوار المتتابعة التى مرّت على هذه التدابير الدموية الواسعة بأنه بامضائه أمر نفى بهاء الله قد دق ناقوس النعى لهذه البدعة الكريهة التى أزعجت قلوب رعاياه ازعاجا مرّا. وظهر لناصر الدين شاه فى تلك اللحظة الفريدة أن سحر هذا الازعاج قد انفصمت عراه وأن التيّار الذى جرف على مملكته قد تحول وزال وأعاد الى رعاياه الأمان والطمأنينة التى كان ينشدها وأنه ما دام قد قضى نحب الباب ومادام قد هدمت الأعمدة التى كان أمره يستند عليها وأنه ما دام قد ذعروانقرض جميع من كان يخلص له فى طول البلادوعرضها وانه ما دام بهاء الله الذى هو الأمل الوحيد الباقى لفئة لا قائد لها قد نفى واختار الالتجاء الى معقل الشيعة مركز التعصب فى البلاد المتاخمة فقد زال من وجهه الى الأبد ذلك الشبح المخيف الذى كان يخشاه منذ تولى العرش ولم يكن يتصور أنه بعد ذلك يعود يسمع بهذه الحركة التى يمقتها والتى ظن أنها سقطت هاوية الهوان والنسيان (١) حسبما أشار به عليه أكبر مستشاريه.

(١) يا صاحب السعادة ـ انه بعد تنفيذ تلك الاجراءات من جانب الحكومة الايرانية لمحو واستئصال شأفة الطائفة الضالة المضلة البابية التى اطلعتم سعادتكم على تفاصيلها (وفى ذلك إشارة الى الاضطهاد العظيم الذى وقع على البابيين فى طهران فى صيف سنة ١٨٥٢) فالحمد لله بعون وعناية الامر الملكى لصاحب الجلالة القدير الذى هو معدود فى مصاف جمشيد حامى حمى الدين الحق أرواحنا له الفداء قد اقتلعت جذورهم (مختصر من خطاب أرسله ميرزا سعيد خان وزير خارجية إيران الى سفير إيران فى اسلامبول تاريخه ١٢ ذى الحجة سنة ١٢٧٨ (١٠ مايو سنة ١٨٦٢) وقد أورد صورته وترجمته المستر براون فى كتاب مستندات لدراسة الديانة البابية صحيفة ٢٨٣)

وكانت شدة الاهانات التى وقعت على الأمر قد جعلت البقية الباقية عدا القليل من الأحباء يظنون وهم يتسلقون الجبال التى على حدود العراق(١) المغطاة بالثلوج فى زمهرير الشتاء ان أمر الباب قد خاب فى مسعاه وقصده وان جنود الظلام قد أحاطته من جميع الجهات وانتصرت عليه فى النهاية وأنها قد اطفأت ذلك النور الذى أشعله ذلك الشاب والرئيس البهى الأعلى فى بلاده .

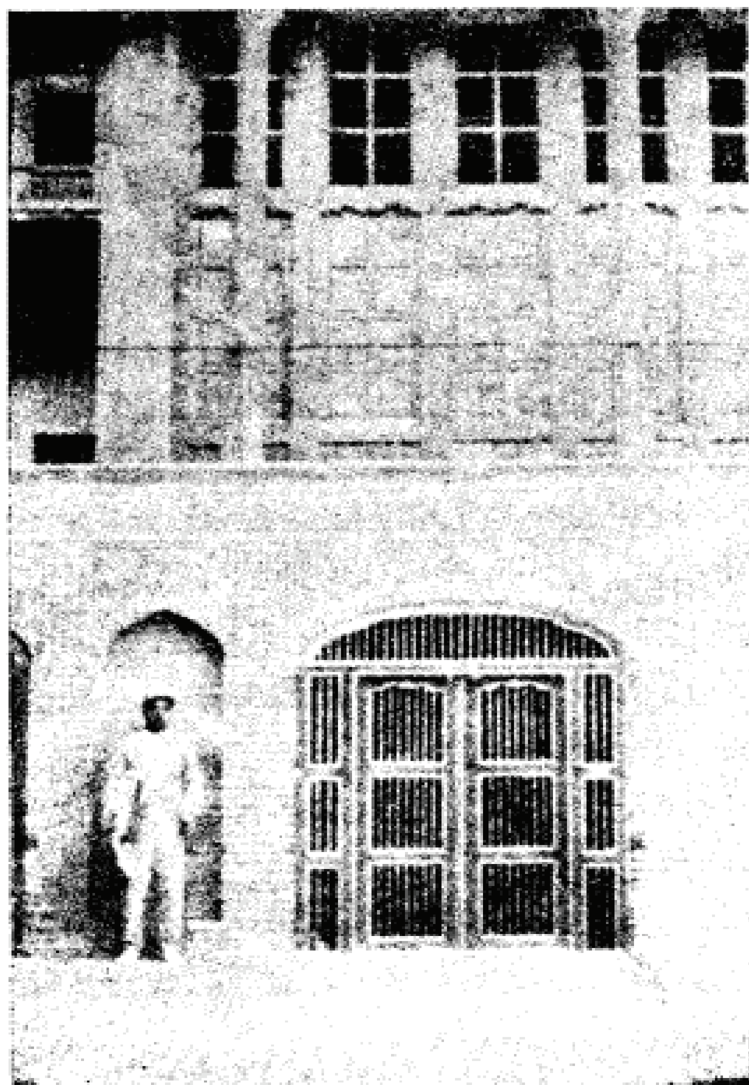
وعلى كل حال ففى نظر ناصر الدين شاه كانت تلك القوة التى كادت تجرف كل سلطته فى مملكته قد زالت وخضع لجوائحه وسطوات سيفه ذلك الأمر المنحوس الطالع وانتابته النوائب والبوائق بشدة فائقة معروفة . واذ تخلص من لعنتها التى كادت تسلبه هناءه وراحته ونومه فى كثير من الليالى أراد أن يلتفت بهمة فائقة الى تخليص بلاده من آثار التخريب الذى جاءت به هذه الضلالة الواسعة . وكان يعتقد أن مهمته فى الحياة هى ضم شمل الحكومة والسلطات الدينية ورأب صدعها وتوحيد أسسها وتقوية صفوفها حتى لا تؤدّى مثل هذه الضلالات فى المستقبل الى تسميم أفكار رعيته .

فذهبت تصوراته أدراج الرياح وأصبحت توهماته عبثا محالا . فالأمر الذى ظن انه قد انفصمت عراه وتهدمت أركانه كان لا يزال حيا وقدر له أن يطلع من وسط القوارع والزعازع أقوى ظهرا وأطهر عرقا وأنبل شرفا الى أبد الآبدين . فالأمر الذى كان فى ظن ذلك الملك الأحمق مشرفا على الزوال والدمار بدأ فى اجتياز امتحانات نارية مضطربة والخروج منها سالما فى طريقه الى ماقدّر له من نصيب موفور . فانكشف فى تاريخه فصل جديد أبهى مما ظهر فى نشأته فلم يكن ذلك القمع الذى ظنه ذلك الملك مبيداً للأمر سوى دور ابتدائى للتطور الذى كان نصيبه أن يزهر عند تمام الوقت الى وحى أقوى مما دعى له الباب . وتلك البذرة التى وضعتها يده نمت وترعرعت ولو انها خضعت وقتاً ما الى هيجان عاصفة من أنكى ما عرف فى التاريخ ورغما عن انها نقلت الى أرض أجنبية فانها استمرت تنمو وتنشأ فى الوقت الملائم شجرة باسقة تظل فى ظلها الوارف جميع أهل الأرض . ورغما عن أن تلاميذ الباب قد قتلوا وعذبوا وأن أصحابه أهينوا ومحقوا وأن أتباعه نقصوا فى العدد وان صوت الحق قد خنقه يراع الظلم والقسوة وان

(١) وقد كان سفراً مخيفاً فى الجبال الوعرة وقاسى المسافرون كثيراً (كتاب ت . ك جينى اتحاد الاقوام والاديان صحيفة ١٢١)

اليأس قد تطرق الى قلوب أهل الايمان ورغماً عن ان البعض من المدافعين عن الأمر إرتدوا عن الايمان فان كل هذه العوامل لم تقدر على منع بروز ما أكنته أصداف القدرة الالهية فلم ينجح الأعداء في ضياع آثار الموعود ولم تقدر أي قوة أن تقف في سبيل انبات بذره ونمو شجرته.

حقاً ان بوارق مطالع الوحي الذي أقر الباب نفسه أنه البشير بظهورها ونادى مراراً بقرب تحققها (١) يمكن ادراكها من القوة التي ظهرت من بهاءالله من وسط الظلام في سياه



منزل بهاء الله فى بغداد

(١) وبقابل ثباته العظيم فى ادعاء السلطة الالهية إقراره على أن أمره لم يكن نهائيا. وقد شعر بقدرته على إكمال الدعوة وعلى زيادة اتساع نطاقها ولكنه أشار بكل تاكيد على أنه لم يكملها وأنها تحتاج إلى وحي أكبر وهنا تظهر عظمته. وهنا تتبين تضحيته العظيمة لأنه بذلك ضحى شهرته الشخصية بانقاصها ولكنه اكد باستمرار مهمته ودعوته ... وقرر أن الامر الذى ابتدأه سوف يزداد وينتشر وأنه لم يكن إلا حرفا من ذلك الكتاب المجيد ونقطة من ذلك المحيط اللامتناهى. . فهذا هو تواضعه البهى. فكان له تأثيره فان أمره زاد وانتشر وله مستقبل مجيد أمامه (من كتاب اللمعة صحيفة ٢١٠ — ٢١١ للسير فرنسيس ينجهاسبند)

شال فى طهران (١) وإن تلك القوة التى قدّر لها أن تنشأ وتنمو من ذلك الوحى الخطير الذى ابتدأه الباب والتى بسطت كل بهائها فيما غبر من الأيام كانت تنبض فى عروق بهاء الله وهو فى سجنه معرض لنزول سيف الجلاد عليه وكان هناك صوت خفى نادى المسجون بالوحى واختاره أن يكون مبلغه ولم يطرق ذلك الصوت سمع الملك الذى كان يستعد للاحتفال بقطع دابر الأمر الذى كان يؤيده ذلك المسجون . واما الحبس الذى ظن أنه وصمة عار لبهاء الله واعتبره مقدمة لنفى مهين للعراق فقد كان من أعظم مؤيدات الدعوة الجديدة التى ظهرت منه وهى التى أعلنت أولا فى مدينة بغداد ثم من بعدها فى مدينة السجن فى عكا ومنها أرسل تلك الدعوة إلى الشاه فضلا عن باقى ملوك ورؤساء العالم المتوّجين

وما كان ناصر الدين شاه ليخطر له على بال أنه بالحكم الذى أصدره بنفى بهاء الله قد (٢)

(١) وفى أثناء حبسنا فى أرض الطاء (طهران) ونحن مغللون بالأغلال فى سجن كريه الرائحة لم يسمح لنا بالنوم إلا قليلا ومع ذلك أحيانا فى لحظات النوم شعرت بشىء ينصب على صدرى أقوى من السيل المنهمر الذى انحط من قمة جبل عال واستقر على الأرض ومنه اشتعلت جميع أعضائى وفى تلك الاوقات نطق لسانى بما لا تقدر أذن أن تسمعه (من كتاب ابن الذئب صحيفة ١٧ انجليزى)

(٢) وشهد جوبينو سنة ١٨٦٥م بما يأتى : ان الفكرة العامة هى أن البابية منتشرة فى جميع طبقات السكان ومن بينهم جميع أصحاب الأديان عدا النصيرية والمسيحية . ولكن الطبقة المتنورة فى المملكة والذين يمارسون العلوم فى البلاد مشتبه فيهم جدا . وقد يظن الناس والحق معهم أن الكثيرين من الملاوات والمجتهدين والقضاة من طبقة راقية ومن الرجال الذين يشغلون وظائف مهمة فى الحكومة وخاصة فى حاشية الملك هم بابيون . وطبقا للاحصاء الذى عمل حديثا يوجد فى طهران خمسة آلاف من هؤلاء المتمذهبين فى كل ثمانين ألف من السكان . ولكن يظهر أن هذا الحساب لم يعمل على أساس وطيد وأظن أنه لو كان البابيون يقلون عن ذلك فى انحاء ايران فانهم يزيدون عن ذلك فى عاصمة المملكة . لأنه يجب علينا أن نضيف الى المتحمسين عدد الذين يميلون الى هذه الأحكام الجديدة وأهلها مضطهدون والذين يحبذونها وتكون عندهم الشجاعة لاعلانها اذا رأوا نصرتها (كتاب الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٥١) ولم يمض نصف قرن منذ أعلن الرائى الصغير ميرزا على محمد دعوته فى شيراز حتى عد الآن شهداؤه بالمئات وأتباعه بمئات الألوف وكانت فى وقت ما تهدد سلطة القاجار والاسلام فى ايران وللآن ربما تكون عاملا مهما فى تاريخ آسيا الغربية (مقدمة كتاب التاريخ الجديد لبراون صحيفة ٧) . وكتب البروفسور جيمس دارمستتر قال : ان البابية التى انتشرت فى مدة خمس سنوات من أحد أطراف ايران الى الطرف الآخر والتى غرقت فى بحر من الدماء فى سنة ١٨٥٢ أى فى دماء شهدائها هى الآن تسير مترقية وتزداد يوما فيوم فى الانتشار . وإذا فرض وكان لايران حياة جديدة ونهضة فستكون بواسطة هذا الدين الجديد. (ملخص من كتاب ايران نظرة أدبية وتاريخية ترجمة ج. ك. ناريمان) وإذا استمرت البابية تسير فى رقيها بالنسبة التى تنتشر بها الآن فسيأتى الوقت الذى تمحو فيه الاسلام من ايران. وهذا مالم يكن تمكن اجراؤه لو كانت ظهرت فى مملكة أخرى معادية لايران. ولكن بما ان المتطوعين للدين الجديد هم

نفذ إرادة الله وكشف الستار عن مشيئته التى لا تقهر وأنه لم يكن سوى آلة لتنفيذ وعده وما كان ينتظر أنه فى أواخر أيام حكمه يشاهد أن الأمر التى بذل جهده الجهيد فى محوه

من نخبة عسكر الحامية التى تهاجمها فانه يغلب على الظن انها ستتغلب فى النهاية . وكل من هو مطلع على أخلاق الايرانيين الذين هم غالبا يخضعون للمشاعر الدينية يعلم كم من الناس من الطبقات المختلفة تنجح فيهم الدعوة . فالصوفية أو الباطنية يعتقدون أنه لابد من وجود شيخ أو نبي ظاهراً فى الجسد وأغلبهم يندمج بسهولة فى الدين البابى الجديد. حتى إن المسلمين المتمسكين بالدين دائما ينتظرون ظهور الامام الموعود وهم مسوقون باقتناع تام بان يعتقدوا بأن المهدى اما أن يكون الباب أو البهاء تبعا لتنبؤات القرآن والأحاديث. وطهارة حياة الباب وآلامه وموته المهين وشجاعته واستشهاد أتباعه سيكون لها أثرها فى تبليغ الذين لايوجد لهم مثل حوادثها فى مدونات الاسلام المعاصرة. (من كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية الجزء الأول صحيفة ٥٠٣) وقد عالج المؤلف فى نفس الفصل آمال المرسلين المسيحيين فى ايران بقوله: ان ايران كانت معدودة من أحسن البلاد استعداداً لأعمال المبشرين فى الشرق ورغما عما هو حاصل فيها من العمل المجيد من ممثلى الارساليات الانجليزية والفرنساوية والأمريكية فى تلك المملكة وعن انتشار التعليم فيها ومظاهر توزيع الصدقات والمساعدات الطبية التي لا تكل ولا تمل فانى لا اؤمل فى حصول اضطراب يحصل فيه سفك الدماء مثل هذا فى المستقبل وليس الغرض من قولى هذا تثبيط همم القائمين على هذه المساعدات الخيرية. (صحيفة ٥٠٤) .. وفى ايران الاختلافات المذهبية الحاصلة فى شيع المسيحيين أنفسهم تقوم عثرة فى سبيل المبشرين . وليس أبعد للمسلمين من دعوتهم للدخول فى أحزاب مسيحية مختلفة قائمة على بعضها بالمحاربة والتخاذل. فالبروتستانت يتشاجرون مع الكاثوليك الرومان والبرسبيتريان مع الابسكوباليان والنسطوريون البروتستان لاينظرون بعين طيبة الى النسطوريين العاديين وهؤلاء ليسوا على وفاق مع الكلدانيين أو النسطوريين الكاثوليك . وينظر الارمن شذرا الى الارمن الكاثوليك وهم يقومون معا على مهاجمة أعمال الارساليات الامريكية. وأخيرا يأتى اضطهاد اليهود وعداؤهم. ففى البلاد الشرقية التى سافرت فيها من سوريا الى اليابان شاهدت جموع المبشرين من الفرق المختلفة تقوم على محاربة بعضها البعض تحت راية رئيس السلام وبيدهم الأسلحة الساحقة لبعضهم البعض (صحيفة ٥٠٧ — ٥٠٨) . فاذا كان مقياس التبليغ المسيحى فى ايران ما نعلمه من عدد المتنصرين من المسلمين فانى لا أتأخر أن أقول ان المبالغ التي تصرف علي ذلك القصد النبيل والعمل الذى يقوم به جماعة المبشرين والذى يضحونه فى تلك الممالك لا يوازى النتيجة الحاصلة منه . نعم أحيانا يعمدون بعض الشبان من بين المسلمين بواسطة المرسلين المسيحيين ولكن ذلك لا يصح اعتباره تنصراً حقيقيا لأن المعمدين سرعان ما يعودون الى دين آبائهم وانى فى شك من انه منذ اليوم الذى هبط فيه هنرى مارتن أرض ايران لم يزد عدد الذين اعتنقوا المسيحية اعتناقا صادقا على ستة أنفار وكنت دائما أبحث عن مسلم تنصر ولكنى لم أجده (اذا استثنينا بالطبع هؤلاء المنبوذين أو اليتامى الذين تربوا من صغرهم على الديانة المسيحية فى المدارس المسيحية) ولكنى لم أستغرب على هذا الخسران والخيبة والعجز عن اتمام هذا العمل . فاذا فرضنا وطرحنا جانبا التقاليد الدينية وهي التثليث والوهية المسيح وهي التى لا يستسيغها العقل الاسلامى بحال من الأحوال ولا تنطبق على نظريات التوحيد فلا يترك المسلم اعتقاده ما دام انه يعاقب على هذا الترك بالموت والاعدام. فما دامت هذه الموازين موجودة فلا ينتظر للمسلم التنصر بسهولة . والرأى الشخصى ولو انه عامل مهم الا انه ليس العامل الأساسى فى الموضوع . فان أمواج المجهود التبشيرى تضرب عبثا على حائط الاسلام الصخرى الذى

ومحقه قد عاد مرة أخرى للحياة بنهضة لم يكن يعتقد وجودها حتى فى أظلم ساعات يأسه ولم يقتصر حصول هذا التنكيس وعودة الحيـــــاة إلى الامر على بلاده فقط بل انتشر فى الممالك المجاورة كالعراق وروسيا ووصل الى الهند(١) فى الشرق ومصر وتركيا وأوربا فى الغرب على شأن لم يكن ينتظر حصوله أبداً حتى كان ذلك سبباً لانتباهه من نومه الذى كان يغط فيه . وظهر له كأنما أمر الباب قد بعث من مرقده وظهر مجدداً بشكل أثبت وأقوى من ظهوره السابق. ولم يكن يعمل حسابا لذلك العامل الجديد الذى هو شخص بهاء الله ولم يتصور فى يوم من الأيام ظهور تلك القوة الباطنية للأمر الذى يمثله والتى ينصر بها أمر الباب وكان من بين العوامل العديدة التى أظهرت للشاه أن الأمر الجديد لا يمكن أن يقهر تلك السرعة المدهشة التى استيقظ بها الأمر ونشط من عقاله داخل مملكته وما كان من انتشاره فى الممالك خارج حدود ايران وكذلك الدعاوى الخطيرة التى قام باعلانها بهاء الله وسط المعقل الذى قد اختاره لسكناه ومن اشهاره لها علنا فى

لا يهدم حيث انه نظام شامل لكل ناحية وموافق لطقس وعوائد وأعمال سكان تلك البلاد التى وضع يده الحديدية عليها . وأتباعه يخضعون لنظامه مأسورين من المهد الى اللحد ، فهو لهم ليس دينا فقط بل حكومة وفلسفة وعلما أيضا . والفكرة الاسلامية ترمى الى حكومة دينية وليس الى دين حكومى. والروابط التى ينهض بها المجتمع الاسلامى ليست مدنية بل هى دينية وقد يكتفى بهذا الدين السامى المفلح المسلم الذى يعيش قانعا متنازلا عن كل ارادة معتقدا فى القدر ومعتبراً أعظم شىء فى الحياة هو عبادة الله ويجبر عليها غيره واذا لم يمكنه ذلك يحتقر كل من لا يعبده بروحه ثم يموت وهو مؤمل فى دخول الجنة . وما دام هذا القانون الشامل الملتهم لجميع نواحى الحياة مستوليا على الشرقيين الذين يعتقونه ومفصلا لاحكام كل شىء متعلق بهذه الحياة ومؤملا فى حياة ونجاة وسعادة بعد الموت فان أعمال المبشرين وصرفهم الأموال الطائلة ونكران ذواتهم يصبح بدون أي فائدة بل هو من العبث بمكان. وكل محاولة لعمل بروباجندا هو فى نظرى أسوأ أعمال السياسات التى يمكن للمبشرين أن يتخذوها فى مملكة متعصبة وما رأيته من تسامح الحكومة الايرانية هو لامتناع المبشرين المسيحيين من أعمال التبشير والتكريز العانى (صحيفة ٥٠٨ ــ ٩)

(١) وقد كتب جوبينو فى سنة ١٨٦٥ ميلادية الشهادة الآتية : كان للبابية تأثير عظيم على عقول الأمة الفارسية وانتشرت أيضا فيما وراء حدود ايران وفاضت على اقليم بغداد والهند . ومن بين الأمور التى يشتد الاعجاب بها أنه فى حياة الباب نفسه كان الكثير من العلماء وأتباعهم من الذين ثبت ايمانهم واقتناعهم بل كان العديدون من أشدهم اخلاصا للدين الجديد لم يتقابلوا مع نبيهم ولم يعرفوه ولم يهتموا أن يتلقوا الأوامر بانفسهم من فم رئيسهم . ومع ذلك فقد أسدوا له احترامهم الشديد وكانوا يرون أنهم محقين فى ذلك . (الكونت جوبينو كتاب الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطى صحيفة ٢٠٥)

تركية أوربا وإثباتها فى الألواح المرسلة الى الرؤوس المتوجة فى جميع الأرض ومنها لوح كان من نصيب الشاه نفسه ووصل اليه . والحماس الذى أشعله ذلك الاعلان فى قلوب الأتباع الذين لا عدد لهم ونقل مركز الأمر الى الأرض المقدسة والافراج التدريجى عن سجنه الذى وقع فى آخر أيام حياته ورفع المنع الحاصل من سلطات تركيا بخصوص مقابلته للزائرين وإسراع الزائرين والحجاج الذين أتوا من مختلف جهات الشرق لسجنه وإيقاظ روح البحث بين مفكرى الغرب وتشتيت القوي التى اجتهدت فى التفريق بين صفوف الأتباع والنصيب الذى لاقاه رئيس عصابتها وفوق ذلك سموّ تلك التعاليم التى ظهرت فى كتاباته المنتشرة والتى ذاعت وتعلمها عدد لا يحصى من الأتباع فى تركستان وروسيا والعراق والهند وسوريا وجميع البلاد لغاية تركية أوروبا . فعلم أن محاولات قهره قد ذهبت أدراج الرياح بعد أن كان قد اعتقد بنفسه أنه قضى على الأمر الجديد . وظهر له فشل محاولاته على عكس ما كان يتوقعه ومهما اجتهد فى اخفاء احساساته وكان أمر الباب الذى شاهد بنفسه ولادته وما حل به من النوائب قد ولد مرة أخرى كأنه العنقاء التى تتولد من رماد احتراقها وشاهده يقوم ويسير فى الطريق الذى يؤدى الى الغاية التى ليس وراؤها غاية (١) مما لم يكن يحلم بحصوله

(١) وهكذا على التحقيق نتجت حركة دينية مخصوصة فى آسيا الوسطى أى ايران وبعض أطراف الهند وأجزاء من تركية آسيا وضواحى بغداد وهي اليوم على جانب عظيم من الأهمية وتستحق كل عناية ودراسة . وهى تساعد على ترقى الأمور فى الظاهر وحصل فيها من المفاجىء ما لا يمكن تصور وقوع مثله سابقا إلا فى الدهور القديمة التى فيها نتجت الأديان العظيمة . وانى أعترف انه لو أتيح وجود مثل هذه الحركة في أوروبا بطريقة مماثلة لطريقة ظهور البابية وفيها كل الامتيازات الخاصة بها كالاعتقاد الأعمى والحماس المتناهى والشجاعة والاخلاص الممتحن والاحترام العميق الذى صدر من المحايدين والخوف والذعر الذي استولى على الأعداء فضلا عن الدعوة المستمرة التي تزداد يوما فيوم والتي تصادف نجاحا تاما بين جميع الطبقات في المجتمع فاني أقرر بأنى لو رأيت ذلك حاصلا فى أوروبا فلا أتردد أن أقرر أنه لا يمضى زمن كبير حتي تصير القوة والملك والصولجان فى يد هؤلاء الذين يملكون هذه الامتيازات (كتاب الكونت جوبينو الأديان والفلسفة فى آسيا الوسطي صحيفة ١١٦ — ٢٩٣ — ٢٩٤) والآن يظهر لى أن تاريخ الحركة البابية مهم جداً لاعتبارات شتي للذين هم متعمقون فى دراسة الفارسية فضلا عن غيرهم . فالباحث فى الحركات الدينية يستفيد من التفكير فيها لأنه يرى هنا شخصيات سيكونون بعد مدة من الزمن أبطالا وانصاف آلهة وتكتنفهم أسرار وحكايات ويمكننا ارتكانا على شهادة الذين لم يكونوا منحازين لأحد الطرفين أن يهتدى الى العثور على إحدى تلك الظواهر الغريبة التى فيها يتفجر الحماس والايمان والاخلاص المتناهي والشجاعة التى لا تقهر — وإذا شئت فقل التعصب — وهذه الحوادث هي التى اعتدنا أن ننسبها الى تاريخ الانسانية القديم . وعلى العموم يمكنه أن يشاهد تولد دين لا يبعد أن يأخذ محلا ثابتا بين أديان العالم العظيمة وكذلك الباحث عن الاجناس البشرية يستفيد كثيراً من طبائع هؤلاء الناس الذين كان معروفا عنهم أنهم طماعون أجراء شرهون نفسانيون بخلاء جبناء والآن

وما كان نبيل يتصور أنه فى ظرف أربعين سنة من كتابة هذا التاريخ يسير أمر بهاء الله الذي هو زهرة وثمرة اديان العالم ويتقدم فى طريقه الى الاعتراف العالمى والنصرة الى هذا

تجدهم غيروا طباعهم تحت تأثير دافع دينى قوي وأظهروا اخلاصا وكرما ونكراناً للذات وشرفا ونبلا وشجاعة وان شوهد مثلها فى تواريخ العصور الغابرة إلا إنها لا يمكن أن تزيد عليها . وكذلك بالنسبة للرجل السياسى لم تكن المسألة بقليلة الأهمية لأنه لا يمكن وضع حد للتغييرات التى تحصل فى مملكة هي الآن معدودة بين الدول فى ميزان القوى الدولية كالصفر من تأثير دين أشعل فى الناس مثل هذه الروح القوية. فالذين علموا ماذا فعل محمد بالعرب عليهم أن يتفكروا فيما يعمله الباب بالفرس . (من ا . ج براون مقدمة لكتاب مقالة سائح صحيفة ٨ — ٩) .

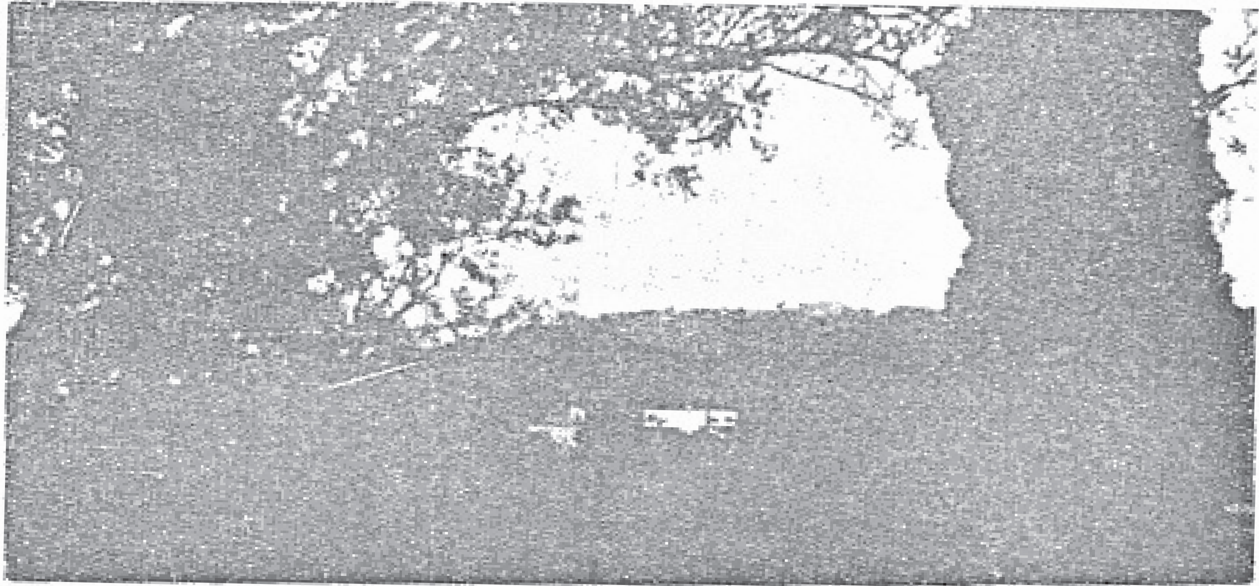
وهنا فى البهجة مكثت ضيفا فى وسط كل ما يعده البابيون مقدسا وشريفا وهنا صرفت خمسة أيام تذكارية تمتعت فى أثنائها من الفرص الثمينة التى لا مثيل لها والتى كنت كثير الشوق لاغتنامها حيث تحادثت مع الذين هم معتبرون منبع هذه الروح العجيبة التى تعمل بقوة لا حد لها فى تغيير وأحياء الاقوام الذين هم فى نومهم أشبه بالأموات . ولقد كانت تجربة مؤثرة حقا تلك الفرصة التى أتاحت لى المقابلة التى لا أقدر أن أصفها إلا بقدر مقدور وربما أجتهد فيما بعد أن أصف تفصيل تلك الأحوال والأوضاع والوجوه التي أحاطتنى والمحادثات التى كان لى الحظ باستماعها وقراءة الكتب المقدسة بالنغمات والترتيل وبالجملة احوال المحبة والرضا التى أحاطت بالمجلس . والحدائق الغناء التي لجأنا اليها فى عصر بعض الايام وكل هذا لم يكن شيئا مذكوراً فى جنب الجو الروحانى الذى أحاطني . ويذكر لك المسلمون الايرانيون أن البابيين يسحرون ضيوفهم حتي أنهم من تاثير ذلك السحر لا يمكنهم المقاومة فيصبحون مثلهم منجذبين وذلك مما يسميه هؤلاء المسلمون بالجنون الغريب الغير المعقول . ومع أن مثل هذا النظر سخيف وقول هراء فانه مع ذلك يستند على سبب أقوى مما يظنون فان الروح التي تحيط بالبابيين هى مما لا يمكن أن يفلت من تاثيرها جميع الذين يقعون تحت انظارها . فهى إما تخيف أو تجذب ولا يمكن لاى كان أن يتجاهل وجودها فليكذبنى كل من لم يشاهدا الامر بعينه ولكن إذا ظهرت مرة هذه الروح لهم فانهم يشعرون باحساس لا يقدرون على تناسيه (نفس الكتاب صحيفة ٣٨ — ٣٩) ويمكن القول بان البابية فى مظهرها الخارجى قد حدث فيها تغييرات مهمة منذ نشاتها وابتداء دعوتها منذ نصف قرن . وهذه التغييرات لم تنقص شيئا من أمرها بل أنها زادتها انتشارا بسرعة لا يمكن أن يتصورها الذين لا يرون فيها سوى نظام غير ناضج من الانظمة السياسية أو الفلسفية . فان أقل تقدير لعدد البابيين فى إيران هو نصف مليون ويمكن الحكم من كلام الذين خاطبتهم فى هذا الشان أنهم نحو مليون . فهم موجودون فى كل طبقة من طبقات الحياة من الوزراء والنبلاء إلى الكناس والسائس ونصف أعمالهم تقريبا مع علماء المسلمين . فان الحركة ابتدأت بنفس المجتهدين والملاوات والحاجى والاسياد وهم الذين اما من نسل شريف أو من الاتقياء يمتون بصلة عظيمة الى الديانة الاسلامية وكانت الدعوة البابية قد تأسست فى وسط هؤلاء المتدينين وفيهم تستمر الدعوة ومنهم ظهر بابيون عديدون وفيهم من يتمسك بالحكمة ويكون بهذه الوسيلة آمنا لا يصيبه اضطهاد . أما فى الاوساط الدنيئة فيخفون ايمانهم خوفا من غضب رؤسائهم . وحديثا انتشرت البابية بين جمع من الاعداء وهم اليهود فى المدن الايرانية وسمعت انه فى السنة الماضية اعتنق الامر من اليهود ١٥٠ فى طهران و ١٠٠ فى همدان و ٥٠ فى كاشان و ٨٥

الحد . بل ما كان يظن أنه في ظرف تلك الأربعين سنة التي مضت من وفاة بهاء الله يخترق أمره سمع أقصى مدن العالم بعد أن تجاوز حدود ايران والشرق وأحاط جميع الأرض وقليلا ما كان يعتقد أن علم الأمر سيرتفع في وسط قارة أمريكا وأن جميع عواصم أوروبا يشعرون به وانه سيصل الى أقصى حدود أفريقيا جنوبا وانه سيتجه الى تأسيس مراكزه في استيراليسيا . وأبعد من ذلك أن يتصور في فكره الذي امتلأ باعتقاد حازم عن مآل الأمر تلك الهيئة التي صار البهاء ضريح بقاياه ورفاته التي باعترافه لم يكن يعلم عن مصيرها شيئا وكذلك عن أمر دفنها في جوف جبل الكرمل منارة النور للزائرين والحجاج العددين الحاضرين من أطراف الأرض . وما كان ليتصور أن بيت بهاء الله الذي يقع في وسط الازقة الملتوية في بغداد القديمة يكون موضع مناقشات ومفاوضات من القوات الاوروبية الرئيسية بسبب مكايد العدوّ الساهر حتى أصبح بذلك موضع نظرهم واهتمامهم . وما كان أيضا ليظن رغما عما امتدح به الغصن الأعظم في تاريخه أن تظهر منه قوة يوقظ بها ولايات امريكا الشمالية ويعدها الى تفهم عظمة الأمر الذي خلّفه له بهاء الله . وما كان ليظن أن الأسرات الملكية التي قاومت الامر بالظلم الذي يصفه في تاريخه ببراعة تامة قد تضعضعت قواها وانتثر عقد نظامها وتهدم بنيانها وأصابتها البوائق التي بذل رؤساؤها الجهد لايقاعها بأخصامهم . وما كان

في المائة من يهود كلبايكان (من كتاب لورد كرزون ايران والمسألة الايرانية الجزء الاول صحيفة ٤٩٩ — ٥٠٠) ويقول الدكتور ج استاين كاربنتر انه قد ظهر من الجنس الماهر أشهر وأهم حركة صدرت للآن من الديانة الاسلامية حديثا . . . وقد اجتمع حوله التلاميذ ولم تقف الحركة بالقبض عليه وسجنه مدة ستة سنوات تقريبا واعدامه أخيرا في سنة ١٨٥٠ . . . وهي أيضا تدعو الى تعاليم عامة وكان لها جيش من الشهداء ولها كتب مقدسة وتولد في ايران في وقت اضطرابها وهبوطها دين سوف يدور حول العالم (الدين المقارن صحيفة ٧٠ — ٧١) وكتب مستر ا . ج . براون مرة أخرى قال : انه في تاريخ العالم قد أثبت الشرق مقدرته على تعليم دين للغرب وعلى أن يحل في العالم الروحي المحل الاسمي وأنه ليس للغرب سوي نصيب في الشؤن المادية (مقدمة كتاب م . ه فيلبس تاريخ وحياة وتعاليم عباس افندي صحيفة ١٥)

ويظهر أنه من المحقق أن البابية من وجهة النظر الدينية ومن الوجهة الادبية لها ترقيات فوق الاسلام الشرق ويمكننا القول مع م. فامبري (في الاكادمية ١٢ مارس سنة ١٨٩٢) إن رئيسها قد أبدع قوانين وأحكام تستحق اعتبار كبار المفكرين . . وفي جميع الاحوال كان انتشار البابية أمر مهم وحادث جلل في تاريخ الاديان والمدنيات الحديثة ثم أن الذين يفخرون بما يحق لهم أن يفخروا قسيأتي يوم تحيي فيه سكان إيران بحياة جديدة حتي جميع أهل الاسلام سوف يحتاجون إليها ولكنها مع الاسف لا تحيي الذين لا يكثر بينهم سفك الدماء . (م . ج بالتو البابية صحيفة ٢٨)

ايطن أن تلك الطغمة الدينية التى كانت فى بلاده المحرك الأول والعامل على الفساد والاهانات المتوقعة على دينه قد سقطت وسرعان ما انخذلت وانحلت بنفس القوة التى بذات وسعها فى قمعها. وما كان ليعتقد أن أعظم أنظمة أهل السنة فى الاسلام وهما السلطنة والخلافة (١) والهيئتان التوامتان اللذان طغيا على دين بهاء الله وظلماه قد محيتا ومحقتا بلا رحمة





مناظر ضريح الباب وهو مزين بالانوار على جبل الكرمل

(١) ابتدأت الخلافة الاسلامية بانتخاب أبى بكر سنة ٦٣٢ م واستمرت لغاية سنة ١٢٥٨م عند ما نهب هلاكو خان بغداد وأعدم المعتصم بالله. ولمدة ثلاث قرون بعد هذه الفاجعة بقى لقب الخليفة للعباسيين الذين عاشوا تحت حماية المماليك لغاية سنة ١٥١٧م غلب السلطان سليم العثمانى المماليك وأجبر الخليفة على التنازل له على لقب الخلافة وشعارها (من تاريخ إيران المجلد الثانى صحيفة ٢٥ للمستر ب. م. سيكس)

بنفس أيدي حماة الاسلام. وما كان يدور بخلده ان قوات الادارة البهائية تتقدم جنبا لجنب مع انتشار أمر بهاء الله لتهيء للعالم نظاما اجتماعيا عالميا فى تشعبه متحـداً فى أغراضه ومتسقا فى مجهوداته ومشتملا بالحماس والحمية التى لا تقدر أى قوة معادية على اطفائها .

ومع ذلك فما يدرينا ما يكون باقياً لأمر بهاء الله من الأعمال العظيمة التى تفوق كل ما سبق ومخزونا للذين تسلموا هذا الميراث العظيم . وما يدرينا انه لا يبرز من وسط الاضطراب الحالى الذى يهز وجه الحياة الاجتماعية نظام بهاء الله العالمي بأسرع مما هو فى الحسبان ذلك النظام الذى لا يدركه اجمالا سوى الجماعات العالمية الذين اتبعوه والذين يشتغلون بأسمه . فـكما كانت الأعمال السالفة عظيمة ومدهشة كذلك الوعد بظهور ومجىء مجد العصر الذهبي الذى هو الآن مكنون فى أصداف عبارات بهاء الله الخالدة سوف يظهر فيما بعد. ومهما كانت قسوة قوات الظلام التى ستهجم وتتعدى على الأمر ومهما امتدت تلك المشاحنات واشتدت ومهما يكن من المعاكسات والنوائب التى تنتاب الأمر وهى متحدة فان سموه ورفعته ستصل الى درجة لم ينلها أى دين فى تواريخ العالم . ويتحقق اتحاد أمم الشرق والغرب الذى تغنى بذكره الشعراء والوعد به الذى هو لبّ الأمر البهائى والاعتراف بشريعته التى هى العروة الوثقى التى لا انفصام لها لاتحاد واجتماع أمم الأرض واعلان حكم السلام الأعظم كل ذلك من ضمن صحائف التاريخ المجيدة التى سيكشفها ويظهرها أمر بهاء الله .

وما يدرينا ان النصر الذى لا حدّ له فى مجده وبهائه مخزون لأتباع بهاء الله العاملين فنحن والحق يقال قد وقفنا بالقرب من ذلك الصرح الفخيم الذى شيدته يد قدرته وفى هذا الدور من التطور المستمر فى دينه يمكننا أن نفهم عظمة هذا المجد الموعود. وان تاريخ الأمر السالف الملطخ بدماء مالا يحصى من الشهـــداء سوف يبعث فينا الفكرة القائلة أنه مهما يصيب هذا الأمر من الـكوارث ومهما كانت القوات التى تعمل على مهاجمته شديدة البأس ومهما تعددت البوائح والجوائح التى ستنتابه فان تقدم سيره لا يمكن أن يوقف بحال وإنه سيستمر على التقدم الى أن يتحقق آخر وعد مكنون من كلمات بهاء الله .

تذييــــل

قائمة بأحسن كتب الباب

(١) البيان الفارسي (٢) البيان العربي (٣) قيوم الاسماء (٤) صحيفة الحرمين (٥) الدلائل السبع (٦) تفسير سورة الكوثر (٧) تفسير سورة والعصر (٨) كتاب الأسماء (٩) صحيفة المخدومية (١٠) صحيفة الجعفرية (١١) زيارة شاه عبد العظيم (١٢) كتاب بنج شأن (١٣) صحيفة الرضوية (١٤) رسالة عدلية (١٥) رسالة فقهية (١٦) رسالة ذهبية (١٧) كتاب الروح (١٨) سورة توحيد (١٩) لوح حروفات (٢٠) تفسير النبوة الخاصة (٢١) رسالة فروع العدلية (٢٢) خصائل السبع (٢٣) لوح لمحمد شاه ولوح لحاجي ميرزا اقاسي

(ملحوظة) ويقول الباب نفسه في احدى فصول البيان الفارسي ان كتاباته لاتقل عن ٥٠٠,٠٠٠ آية

الكتب التي راجعها المترجم حضرة ولي الامر

(١) كتاب اللورد كرزون ايران والمسألة الايرانية (جزآن) مطبعة لونجمان جرين لندن سنة ١٨٩٢ (٢) كتاب ا . ل . م نقولاس مقالة على الشيخية (مكتبة بول جوتنر شارع مازارين باريس سنة ١٩١٠) (جزآن) (٣) كتاب ا . ل . م نقولاس السيد علي محمد الباب (مكتبة كريتيك شارع نوتردام دي لوريت باريس سنة ١٩٠٨) (٤) الكونت دي جوبينو كتاب الأديان والفلسفة في آسيا الوسطى (مطبعة ج . كري وشركاه باريس شارع سيفر سنة ١٩٢٨) (٥) لمحات عن الحياة والعوائد في ايران للادي شيل (طبع جون ماري شارع البمارل لندن سنة ١٨٥٦) (٦) التاريخ الجديد لميرزا حسين من همدان ترجمة من الفارسية ا . ج براون (طبع مطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٨٩٣ (٧) المسيو كليمان هوارت ديانة الباب (مكتبة ارنست لرو شارع بونابارت باريس سنة ١٨٨٩ (٨) مقالة سائح ترجم من الفارسية بمعرفة ا . ج براون (مطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٨٩١) (٩) البيان الفارسي ترجم من الفارسية بمعرفة ا . ل . م ٤ أجزاء (مكتبة بول جوتنر شارع مازارين باريس سنة ١٤ — ١٩١١) (١٠) المجلة الاسيوية الملوكية سنة ١٨٨٩ المقالة ٦ ، ١٢ وكذلك سنة ١٨٩٢ المقالة ٧ — ٩ — ١٣ (١١) كتاب الدلائل السبع ترجمة ا . ل . م . نقولاس (مكتبة ج مازونريف شارع ميرير باريس سنة ١٩٠٢) (١٢) كتاب سنة بين الايرانيين مكتبة الأفاضل ا . س . بلاك لندن سنة ١٠٨٩ (١٣) التاريخ الأدبي لايران لمؤلفة ا . ج . براون ٤ أجزاء المطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٩٢٤ (١٤) اللوتنت كولونيل ب . م . سايكس تاريخ ايران جزئين طبع ماكملان وشركاه لندن سنة ١٩١٥ . (١٥) كلمنت ر . ماركهام لمحة عامة عن تاريخ ايران طبع لونجمان جرين وشركاه لندن سنة ١٨٧٤ . (١٦) ر . ج . واطسون تاريخ ايران . (١٧) المجلة الاسيوية سنة ١٨٦٦ السلسلة السادسة جزء ٧ و ٨ (في الباب والبابية تأليف كاظم بيك) . (١٨) م . ج بالتو البابية (خطابة للمسيو م . ج . بالتو عضو فخري في الأكاديمية الملية للرمس بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٨٩٦) . (١٩) جبريل ساسي حكم الله والحروف المعروف باسم البابية (١٢ يونيه سنة ١٩٠٢) . (٢٠) كتاب ج . ي . اسلمنت بهاء الله والعصر الجديد (لجنة الطبع البهائية نيويورك سنة ١٩٢٧) . (٢١) محمد مصطفى الرسالة الأمرية (مطبعة السعادة القاهرة مصر) (٢٢) ا . ج براون مستندات لدراسة الديانة البابية (مطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٩١٨)

(٢٣) مذكرات ومخطوطات أبو الفضل (لم تطبع) . (٢٤) كشف الغطاء لأبي الفضل (طبع عشقباد روسيا) . (٢٥) م . هـ فليس تاريخ وتعاليم عباس افندي (طبع ج.ب بوتمان وأولاده لندن سنة ١٩١٢) . (٢٦ ت . ك جيني اتحاد الأقوام والاديان (طبع آدم وشارل بلاك سنة ١٩١٤!) . (٢٧) سير فرانسس ينج هازبند اللمعة (طبع جون مري شارع البمادل لندن سنة ١٩٢٣) . (٢٨) كتاب سمندر الخطى (لم يطبع) . (٢٩) ا . ج . براون الثورة الفرنسية (مطبعة الجامعة كامبردج سنة ١٩١٠) . (٣٠) مجلة كريستان كمن وات ٢٢ يناير سنة ١٩١٣ (٣١) ج . ك . نارعمان ايران والمجوس جزء ٢ (الرابطة الايرانية بمباى سنة ١٩٢٥) . (٣٢) فالنتين شيرول مسألة الشرق الأوسط . (٣٣) ج استلين كاربنتر الديانة المقارنة (٣٤) ا . ج . و . جيب السلسلة التذكارية المجلد ١٥ (طبع لوزان وشركاه لندن سنة ١٩١٠) . (٣٥) ناسخ التواريخ (عدد القاجارية) لميرزا تقي مستوفى لسان الملك المشهور بسپهر (طبع حجر في طهران) (٣٦) تاريخ حاجي معين السلطنة «خطي» (٣٧) كتاب الفرائد لميرزا ابو الفضل «طبع مصر» سنة ١٩٠٠

من كتب بهاء الله كتاب (الايقان) طبع القاهرة وكتاب رسالة ابن الذئب طبع القاهرة ١٩٢٠ والاشراقات «خطى» وألواح الملوك «خطى»

ومن كتب الباب صحيفة الحرمين وقيوم الأسماء والبيان العربي والدلائل السبع وجميعها مخطوطات

ومن قلم عبد البهاء كتاب المفاوضات «طبع لجنة النشر البهائية بشيكاغو سنة ١٩٢٨» وتذكرة الاوفياء «طبع حيفا»

ملحوظة : وتوجد مراجع أخرى كالآتي :

(١) العالم البهائي جزء ٣ المجلد الثالث .
(٢) ا . ل . م نقولاس السيد على محمد المدعو بالباب صحيفة ٢٢ — ٥٣ (٣) ا . ج براون مستندات لدراسه الديانة البابيه صحيفه ١٧٥ — ٢٤٣ (٤) مجلة الجمعه الاسيوية نمرة ١٨٩٢ صحيفه ٤٣٣ — ٤٩٩ — ٦٣٧ — ٧١٠ (٥) مقاله سائح صحيفه ١٧٣ — ٢١١ .

فى ذكر أقسام ايران (فى القرن التاسع عشر)

لا توجد أقسام ادارية ثابته فى ايران بل تتغير تبعا لحكام الجهات وسعتها أو ضيقها يكون تبعا لثقة الملوك فيهم أو الخوف منهم . . . والظاهر أنه لا توجد قاعدة جغرافيه أوسياسيه أو عمرانيه لتعيين حدود الاقسام المختلفه بل تختلف من اقليم واسع أكبر من انجلترا بأسرها الي قرية صغيرة مع ضواحيها . وهذه أقاليمها الكبيرة : (١) أذربايجان وقاعدتها تبريز (٢) خراسان وسستان وقاعدتها مشهد . (٣) طهران وضواحيها (٤) فارس وقاعدتها شيراز (٥) اصفهان وضواحيها (٦) كردستان وبالوشستان العجم وقاعدتها كرمان (٧) عربستان وقاعدتها ششتر (٨) جيلان وطالش وقاعدتها رشت (٩) مازندران وقاعدتها آمل (١٠) يزد وضواحيها (١١) الخليج الفارسي والسواحل والجزاير وقاعدته بوشير .

(من كتاب اللورد كرزون «ايران والمسألة الايرانيه الجزء الاول صحيفة ٤٣٧»)

فى ذكر سفراء انجلترا وروسيا لإيران

من سنة ١٨١٤ — ١٨٥٥

(١) السير موريار والمستر اليس فى سنه ١٨١٤
(٢) السير هنرى ولكوك يونيه سنه ١٨١٥
(٣) السيرجون ماكدونالد سبتمبر سنة ١٨٢٦
(٤) السير جون كامبل يونيه سنة ١٨٣٠ .
(٥) السير هنرى اليس نوفمبر ١٨٣٥ (٦) السير جون ماك نيل اغسطس ١٨٣٦ (٧) السير جوستن شيل اغسطس ١٨٤٢ (٨) الكولونيل فرانت سفير بالنيابة اكتوبر ١٨٤٧ (٩) السير جوستن شيل نوفمبر ١٨٤٩ (١٠) السير تايلو تومبسون السفير بالنيابة فبراير ١٨٥٣ .

(١١) ا . س . هلري ابريل ١٨٥٥ . (١٢) الجنرال برمولوف اغسطس ١٨١٧ . (١٣) المسترمازاروتش ابريل ١٨١٩ (١٤) السير امبورجر سفيربالنيابة يناير ١٨٢٣ (١٥) السير مازاروتس بعد عودته من الأجازة يوليه ١٨٢٤ (١٦) المستر امبورجر سبتمبر سنة ١٨٢٥ . (١٧) البرنس منشيكوف يوليه ١٨٢٦ .

(١٨) المسترجريبدايدوف ١٨٢٨ (١٩) البرنس دلكروكى ١٨٣١ (٢٠) السكونت سيمونيخ فبراير ١٨٣٣ (٢١) السكونت ميدين ١٨٣٩ (٢٢) البرنس دلجروكي يناير ١٨٤٦ (٢٣) المستر افنتشكوف سبتمبر ١٨٥٤ .

« من نظارة عامة فى تاريخ ايران لكليمنس. ر. ماركهام ذيل به طبع لونجمان جرين لندن ١٨٧٤ »

(فى ذكر بعض التواريخ العربية وما يقابلها بالتواريخ الافرنكية)

يوم أول المحرم	من	السنة	الأولى هجرية		...	يوم الجمعة	١٦	يوليه	سنة	٩٢٢	ميلادية
»	»	سنة	١٢٦٠	»	...	» الاثنين	٢٢	يناير	»	١٨٤٤	»
»	»	»	١٢٦١	»	...	» الجمعة	١٠	يناير	»	١٨٤٥	»
»	»	»	١٢٦٢	»	...	» الثلاث	٣٠	ديسمبر	»	١٨٤٥	»
»	»	»	١٢٦٣	»	...	» الاحد	٢٠	ديسمبر	»	١٨٤٦	»
»	»	»	١٢٦٤	»	...	» الثلاث	٩	ديسمبر	»	١٨٤٧	»
»	»	»	١٢٦٥	»	...	» الاثنين	٢٧	نوفمبر	»	١٨٤٨	»
»	»	»	١٢٦٦	»	...	» السبت	١٧	نوفمبر	»	١٨٤٩	»
»	»	»	١٢٦٧	»	...	» الاربع	٦	نوفمبر	»	١٨٥٠	»
»	»	»	١٢٦٨	»	...	» الاثنين	٢٧	اكتوبر	»	١٨٥١	»
»	»	»	١٢٦٩	»	...	» الجمعة	١٥	اكتوبر	»	١٨٥٢	»
»	»	»	١٢٧٠	»	...	» الثلاث	٤	اكتوبر	»	١٨٥٣	»

« من كتاب وستفيلد ماهلرش فرجليشتكس تابلن ليبزيك سنة ١٩٢٦ »

وهذا جدول لمعرفة ما يقابل الحروف العربية من الحروف الافرنكية وكيفية كتابتها

......k	ك	......ṣ	ص	......kh	خ	...á	ا
......g	گ	......ḍ	ض	......d	د	......b	ب
......l	ل	......ṭ	ط	......dh	ذ	...... p	پ
......m	م	......ẓ	ظ	......r	ر	......t	ت
......n	ن	......ʿ	ع	......z	ز	......th	ث
......v	و	......gh	غ	......zh	ژ	......j	ج
......h	ه	......f	ف	......s	س	......ch	چ
......y	ي	......q	ق	......sh	ش	......ḥ	ح
......	ء						

خريطة ايران

مبين بها أهم البـــلاد التى وردت فى هذا التاريخ



دليـــــــل الاسماء

ونمر الصحائف

شرح المفردات الفارسية اللغوية

آ قا	مولى وهو لقب أعطاه بهاء الله لعبد البهاء
بقية الله	لقب ينطبق على الباب وعلى بهاء الله
البيان	إسم كتاب الباب
داروغه	رئيس الشرطة
فراشباشي	رئيس الجلادين أو الخدم
إمام الجمعة	رئيس العلماء
إمام زاده	سليل الامام
كدخدا	عمدة البلد أو رئيس الحرس
كلانتر	محافظ المدينة
كربلائي	الذي حج إلى كربلاء
خان	برنس . أمير
كلاه	القلنسوة التي يلبسها موظفوا حكومة إيران
ميدان	جزء من فرسخ
ميرزا	منحوتة من كلمتين أمير وزاده ومعناها ابن الامير وإذا جاءت قبل الاسم دلت على الاحترام وإذا لحقت الاسم كان معناها برنس
مجتهد	اسم يطلق على علماء ايران وهم يأخذون الاجازة من متفقهي كربلاء والنجف
الملا	عالم اسلامي
نوروز	اسم لمبدأ السنة البهائية الجديده وهو يقع في دخول الشمس برج الحمل ومعناه اليوم الجديد
القليان	الشيشة المستعملة للتدخين
تومان	عملة ايرانية مقابل الريال
زاده	ابن

استدراك لمترجم السفر إلى اللغة العربيـة

لما منّ الله تعالى عليّ بالنزوح إلى بلدة إسنا قاضيا مبعداً الى اقاصي الصعيد بسبب قيامى على رد أحد مشايخ السنية فيما افتراه على البهائية السامية وجدت من فراغى هناك وقتا ليس بقليل عكفت فيه على ترجمة كتاب مطالع الأنوار تهذيب مولانا المعطوف حضرة ولى امرالله ارواحنا لتراب عتبته فداء وهذا السفر الجليل مستقى أصلا من تاريخ النبيل محمد زرندى ومضاف اليه مقدمة وخاتمة من براعة غصن دوحة البقاء الممتاز وفيه الواح الباب بصورتها الاصلية وبخط يده المباركة الا انه لتحريره باللغة الانجليزية كان أغلب قراء العربية محرومين من أجتلاء طلعته البهية ومبعدين عن اقتطاف أثماره الجنية ولذلك تطلعت نفسى إلى نقريبهم إلى جنته العالية ومشاركتهم لباقى الاحباء المطلعين على الانجليزية فى التلذذ من نعماء مائدته السماوية واطلاعهم على حـوادث البطولة والشهامة المردة التى صدرت من شهداء الامر مما يبقى على مرور القرون والاجيال وتتزين بها صحائف تاريخ العالم فى دورته الجديدة ولعمرى انها لاحـدى المعجزات واعلا خوارق العادات مما لم يسمح بمثلها الزمان ولم تسمع بها الاذان ولم ترها الاعين ولاخطرت على قلوب البشر

ورغم إنى بذلت الجهد الجهيد لأقرب من بلاغة الترجمة الانجليزية فى نقلها إلى اللغة العربية الا انى أعترف بعجزى وتقصيرى عن ان ابلغ شأو معانيها أو اصـل فى تعبيرى إلى سمو مبانيها فهى والحق يقال درة فريدة وجوهرة منيعة وترجمة منيفة كما يشهد بذلك أساطين اللغة الانجليزية واين الثرى من الثريا فليعذرنى القارىء الـكريم ان كان لابد لمثلى من وجود بعض الاخطاء وخاصة فى المطبعة رغما عن تـكرار المراجعة وقد أردفت الـكتاب بقائمة من الخطأ والصواب على قدر الامكان فما لا يدرك كله لايترك جله وإنى انضرع إلى عتبته المقدسة العليا أن تكون هذه الخدمة الضئيلة مقبولة وأن يثيبنى بها جميل ذكره راجيا ممن ينظر فيه من عالم فاضل أن يقبل مايراه فيه من عثار ويسد مايعثر عليه من خلل ويصلح ماطغى به القلم وقصر عنه الفهم وزاغ منه البصر

الاحد ٢٤ مارس سنة ١٩٤٠ م — عبد الجليل سعد

يوم العظمة شهر البهاء سنة ٩٦ بهائية

الخطأ والصواب الواقع فى هذا الكتاب

صحيفة	حاشية	سطر	خطأ	صواب
١٨	—	٢١	٣٠٠	١٠٠
١٨	٢	—	٢٠٠	١٠٠
٢٠	—	١٤	وأخذ	وأخذ ملا مهدى خوى
٣١	—	١	شميرى	شاعر
٣٩	—	١٢	غراسى	غرسي
٣٩	٣	٢	طاهر	ظاهر
٤٤	١	١	الثلاثاء	الخميس
٦٤	٢	١	البارفانى	البرقانى
٦٥	١	١ ، ١٦	«	«
٦٥	١	٢٠	أخيه	أخيه الحاج ملاّ على
٦٦	١	١	على ركن	على نق ميرزا ركن
٧١	—	٦	عبد الله	عبد الوهاب
١٠٢	١	٢	١٨٤٢	١٨٤٤
١٠٤	١	٦	١٥٧	١٥٦
١٨٩	—	٦	أصغر	عسكر

صحيفة	حاشية	سطر	خطـــأ	صـواب
٣٢٢	—	٣	والد	ووالد
٣٨١	—	١	بارار	بازار
٤١٣	—	٣	أصغر	عسكر
٤٦١	—	١١	الاصغر المدعو مهدى الحجة	الحجة الأصغر المدعو مهدى



الصورة العليا من مناظر مسجد الجمعة فى اصفهان
بدلا من الصورة العليا المطبوعة خطأ فى صحيفة ١٥٩